

مسعود الخوند

القارارات . المناطِق . الدُّول . الْبُلَدَان

الموسوعة التاريخية الجغرافية

معالم . وثائق . موضوعات . زعماء

الجزء السابع

تشيلي - جنوب افريقيا

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مشاركون في التصحيح:

شريف الخوند جورج سليم

خليل سمعان

الموزع: مؤسسة هاليداد

سن-الفيل - القلعة

ص.ب: ٥٥٥٨٦ بيروت-لبنان

٤٩٣٢٩٦ هاتف

طبع في لبنان

فهرست

١٩ تشيلي

بطاقة تعريف ١٩

نبلة تاريخية

المرحلة الاستعمارية ٢١ - يقطة الوعي الوطني، الاستقلال ٢٣، حوسيه دو سان مارتن
 ٢٣ - الجمهورية ٤ - المؤسسات والحياة السياسية في النصف الأول من القرن العشرين
 . ٢٦

تجربة الاشتراكية الماركسية من خلال مؤسسات النظام الليبرالي ٢٨

عشرة أعوام من التاريخ ٢٨ - مسيرة اليسار الموحد إلى السلطة ٢٩ - السياسة
 الاقتصادية لـ «الوحدة الشعبية» ٣٠ - مقاومة مسار الاشتراكية ٣١ - دور الحزب
 الديمقراطي المسيحي ٣٢ - أهم أحداث ١٩٧٣ حتى انقلاب ١١ أيلول (٣٣).

حكم الانقلابيين العسكريين ٣٦

القمع ٣٦ - الدستور الجديد ٣٦ - العلاقات مع الولايات المتحدة ٣٧ - تصاعد
 المعارضة ٣٨ - استفتاء ٥ تشرين الأول ١٩٨٨ (٣٩).

عودة الديمقراطيين المسيحيين إلى الحكم ٤٠

الرئيس إيلوين ٤٠ - الرئيس الحالي إدواردو فراغي ٤١.

نزاع حدودي مزمن ٤٢

مع الأرجنتين ٤٢ - مع بوليفيا ٤٣.

أقاليم تابعة

جزيرة الفصح ٤٣ - دسفنتوراداس ٤٤ - أرخبيل حوان فرنانديز ٤٤ - أنتاركتيكا ٤٤.

مدن و معالم

أنتوفاغاستا ٤٥ - إيكويك ٤٥ - بونتا اريناس ٤٥ - بيورتو مونت ٤٥ - تالكاهاويانو ٤٥ - تيميكو ٤٥ - رانكااغوا ٤٥ - سان برناردو ٤٥ - سانتياغو ٤٥ - شوكيكامايانا ٤٥ - فالباريزو ٤٥ - فالديفيا ٤٦ - فينا دل مار ٤٦ - كونسبسيون ٤٦ - لاسيرينا ٤٦ - نورتي غراندي والتقطیمات الجغرافية الثلاثة ٤٧.

زعماء و رجال دولة

اللندي، سلفادور ٤٨ - بيتوشيه، أغستو ٤٨ - فراغي، إدواردو ٥١ - كورفلان، لويس ٥٢ - نيرودا، بابلو ٥٣.

تنجانيقا

راجع تنزانيا في هذا الجزء.

تنزانيا

٥٤

بطاقة تعريف ٤

نبذة تاريخية

وجود بشري قديم - ٥٦ - دخول الاسلام - ٥٦ - الاوروبيون - ٥٦ - سلطنة عربية واستعمار اوروبي - ٥٦ - اتفاقية زنجبار - ٥٦ - الاستقلال والرئيس نيريري - ٥٧ - الاتحاد في «تنزانيا» - ٥٨ - ترانزانيا والدول الحاورة - ٥٨ - دستور جديد ومشكلات اقتصادية - ٥٩ - كرونولوجيا اهم احداث العقد الأخير . ٥٩

زنجبار

(أنجوجا وعجا)

زنجبار في إطار الوجود العربي الاسلامي في شرق افريقيا، سلطنة كلوي - ٦٠ - جزيرتا زنجبار وعجا - ٦٢ - «شيرازي» . ٦٢

الارث التاريخي يهدد بانفصال زنجبار ٦٣

تنزانيا مع نيريري وبعده - ٦٣ - الوضاع الحزبية والسياسية في دولة الاتحاد - ٦٤ - ثورة ١٩٦٤ والاعتذار عنها - ٦٤ - هل تملك زنجبار مقومات الاستقلال ٦٦

مدن و معلم

أروشا - ٦٨ - تانغا - ٦٨ - دار السلام - ٦٨ - زنجبار (مدينة) - ٦٨ - موانزا - ٦٨ - موشي . ٦٨

زعماء ورجال دولة

حمدادي، سيف شريف - ٦٩ - عامور، سالمين - ٦٩ - كاواوا، رشيدى - ٦٩ - كرومسي، الشيخ عبيد أمانى - ٦٩ - كيمالندو، حوزف - ٧٠ - ماكونغورو، الرعيم محمد - ٧١ مسويا، كليوبا ديفيد - ٧١ - نيريري، جوليوبوس . ٧١

٧٢ توركس وكيكوس

٧٣ توغو

بطاقة تعريف ٧٣

نبذة تاريخية

هجرة نوايجا ٧٤ - بداية التاريخ الحديث ٧٤ - بعد الحرب العالمية الثانية، الاستقلال ٧٥ - كرونولوجيا أهم الأحداث ٧٥ - أول انتخابات رئيسية حرة ٧٧ - استمرار الأزمة ٧٨.

اتفاقية لومي

تعريف ٨٠ - مناقشة: إتفاقية لومي بعد عقدين ٨٠.

مدن ومعالم

أتاكامي ٨٢ - أينهو ٨٢ - باليمي ٨٢ - تسيفييه ٨٢ - داباواني ٨٢ - سوكودي ٨٢ -
كارا ٨٢ - لومي ٨٢.

زعماء ورجال دولة

أولبيبو، جيلكريست ٨٢ - أولبيبو، سيلفانوس ٨٢ - إيادها، إيتان ٨٣ - غرونيتزكي،
نيقولا ٨٣ - كودجو، أدم ٨٣ - كوفيفو، جوزف ٨٣.

٨٤ توفالو

تونس.....٨٦

بطاقة تعريف ٨٦

نبذة تاريخية

الفينيقيون -٨٩ -الرومان -٨٩ -العرب -٨٩ -الاتراك -٩١ -الفرنسيون -٩٢ -بدء انتفاضة مسلحة -٩٣ -الاستقلال -٩٤ -بنزرت -٩٥ -نركيز داخلي وعربي -٩٦ -المعارضة -٩٦ -كرونولوجيا أهم أحداث سنوات ١٩٨٢-١٩٩٦ ، الرئيس زين العابدين بن علي -٩٨ -إذاء إسرائيل ١٠٤ -الشراكة مع الاتحاد الأوروبي . ١٠٥

في إطار الاتحاد المغاربي ١٠٥

استمرار التعثر وتعاظم المعوقات ١٠٥ -انضمام مصر إلى الاتحاد ١٠٦ -محاولات تونس في ترميم الاتحاد ١٠٧ .

مناقشة: بعد ٤ سنة على الاستقلال ١٠٨

الاحزاب

خريطة الاحزاب في ضوء انتخابات ١٩٩٥ البلدية ١١٠ - التجمع الدستوري الديمقراطي ١١١ - الحزب الدستوري والحركة الوطنية من منظور معارض ١١٣ - الحزب الشيوعي التونسي سابقاً، «حركة التجديد» حالياً ١١٣ - الاتجاه الاسلامي، «النهضة» ١١٤ - حركة الديمقراطيين الاشتراكيين واحزاب معارضة اخرى ١١٥ - النقابات . ١١٥

مدن ومعالم

أوتينية ١١٦ -بنزرت ١١٦ -توزار (ومدن صحراوية) ١١٦ -«تونس الخضراء» ١١٦ -تونس العاصمة ١١٧ -جريدة ١١٨ -جنة ١٢٠ -الحامة ١٢٠ -الرباطات

(القلاع، الحصون) ١٢٠ - سوسة ١٢١ - صفاقس ١٢٢ - قابس ١٢٣ - قرطاجة ١٢٤ - فرقة ١٢٧ - القிரوان ١٢٧ - كسرى ١٢٩ - كنز المهدية ١٣١ - متحف باردو ١٣١ - مطماطة ١٣٢ - المهدية ١٣٣ - موناستير ١٣٤ - وذلة (أوتينة) ١٣٥.

زعماء ورجال دولة

أحمد بن صالح ١٣٦ - أحمد المستيري ١٣٦ - الباхи الأدغم ١٣٧ - الحبيب بورقيبة ١٣٧ - الحبيب بورقيبة الابن ١٣٨ - الحبيب الشطي ١٣٨ - الحبيب عاشر ١٣٨ - حسين النصر (الباي) ١٣٩ - راشد الغنوشي ١٣٩ - زين العابدين بن علي ١٣٩ - الشاذلي القليبي ١٣٩ - صالح بن يوسف ١٤٠ - الطاهر بلخوجة ١٤١ - الطاهر بن عمار ١٤١ - الطاهر الحداد ١٤٢ - عبد العزيز الثعالبي ١٤٢ - عياشي حسونة ١٤٣ - فرحات حشاد ١٤٣ - محمد الأمين (الباي) ١٤٤ - محمد شنيك ١٤٤ - محمد صباح ١٤٤ - محمد علي ١٤٥ - محمد مزالى ١٤٦ - محمد المصمودي ١٤٦ - محمد المنصف (باي) ١٤٧ - المنجي الحولي ١٤٨ - المنجي سليم ١٤٨ - المادي نويره ١٤٨ - يوسف الروysi ١٤٨.

تونغا ١٥٣

التببت ١٥٥

بطاقة تعريف ١٥٥

نبذة تاريخية

قديماً ١٥٦ - حدثنا ١٥٦ - الغزو الصيني ١٥٦ - إنفاضة ١٠ آذار ١٩٥٩ (١٥٨).

دلالي لاما ١٥٩

إسمه وطفولته - ١٥٩ - علاقاته بالصين - ١٥٩ - في الهند، حكومة منفي - ١٦٠ - مناقشة: لا
عنف الدالاي لاما وليراليه - ١٦١.

تيمور الشرقية راجع أندونيسيا، ج ٣، ص ٢٧٦

جامايكا ١٦٥.....

بطاقة تعريف ١٦٥

نبذة تاريخية

المهد - ١٦٧ - الاسبان ثم الانكليز - ١٦٧ - إلغاء العبودية، الانتفاضة - ١٦٧ - الحكم الذاتي - ١٦٨ - الاستقلال - ١٦٨ - ظاهرة بوب مارلي - ١٦٩.

الجبل الاسود راجع ألبانيا، ج ٢، ص ٣٥٠؛ والبلقان، ج ٥، ص ٢٩١؛ وصربيا ومونتينغرو في الاجراء اللاحقة.

جبل طارق ١٧١.....

الجزائر ١٧٥.....

بطاقة تعريف ١٧٥

نبذة تاريخية

قبل الميلاد وفي عهد الرومان -١٧٩- الفتح العربي -١٨٠- دول عربية اسلامية -١٨١- دولة المرابطين ودولة الموحدين -١٨١- الفترة العثمانية -١٨٢- الحملة الفرنسية -١٨٣- المقاومة -١٨٥- الامير عبد القادر الجزائري -١٨٥- الاستعمار -١٨٧- بين الحربين العالميتين -١٨٨- إبان الحرب العالمية الثانية، سنوات ما قبل التحرير -١٨٩- حرب الاستقلال -١٩٠- فرنسيون يناصرون حرب الاستقلال -١٩٤- الجزائر بعد الاستقلال -١٩٥- عهد بومدين -١٩٦- عهد الشاذلي بن جديد -٢٠٠- عهد محمد بوظيف -٢٠٤- عهد علي كافي -٢٠٤- عهد اليمين زروال -٢٠٥- في إطار الاتحاد المغاربي ونزاع الصحراء الغربية -٢١٠- في إطار قضية «أزواد» (الطارق) .٢١٢

الاسلام الجزائري

العمق الحضاري بريري إسلامي -٢١٤- التعريب -٢١٤- الاسلام الجزائري مع الامير عبد القادر -٢١٥- الاسلام مع حفيض عبد القادر الامير خالد عبد القادر -٢١٦- الاسلام مع مصالي الحاج -٢١٧- الاسلام مع فرحات عباس -٢١٧- الاسلام مع «جمعية العلماء»، بن باديس -٢١٨- الاسلام الريفي، «الرواية» -٢١٩- الاسلام إبان ثورة التحرير -٢٢١- الاسلام مع بن بلة -٢٢٢- الاسلام مع بومدين -٢٢٣- الاسلام مع الشاذلي بن جديد -٢٢٤- الاسلام السياسي يحتل الشارع (جبهة الإنقاذ) -٢٢٧- جبهة الإنقاذ في اتجاه السلطة -٢٢٨- قيادة جديدة للإنقاذ -٢٢٩- جبهة الإنقاذ الاسلامية في عهد بوظيف -٢٣٠- العمل المسلح الاسلامي .٢٣١

البربر (الأمازيغ)

أول مملكة بربرية -٢٣٤- الاحتلال الروماني ودخول المسيحية .٢٣٤

البربر في التاريخ المعاصر والراهن ٢٣٥

«الظاهرة البربرية» -٢٣٥- «الأزمة البربرية» -٢٣٦- البربر إبان ثورة التحرير -٢٣٦- في عهد بومدين -٢٣٦- «الريع البربري» -٢٣٦- استجابات النظام -٢٣٨- الخريطة

السياسية الحالية للبربر -٢٣٨ - الاطار الجغرافي والواقع الديمغرافي -٢٣٩ - موقع البربر في الحرب الأهلية الدائرة ومن «المصالحة الوطنية» -٢٣٩ - تعليم الأمانة ٢٤٠ .

معالم تاريخية

اتفاقيات إيفيان -٢٤٢ - اتفاقيات تشرين الاول (١٩٨٨) -٢٤٣ - التعريب والموريتانية -٢٤٣ - جبهة التحرير الوطني -٢٤٤ - جمعية العلماء المسلمين -٢٤٦ - حرب التحرير الجزائري، «ثورة المليون شهيد» (١٩٦٢-١٩٥٤) -٢٤٦ - حزب الشعب الجزائري -٢٤٨ - حزب نجم شمالي إفريقيا -٢٤٩ - سطيف، اتفاقيات -٢٤٩ - الشرارة الأولى وبيانها العماني الأول -٢٥٠ - الصومام، مؤتمر -٢٥٠ - «العقد الوطني» -٢٥١ - «مجموعة وحدة» -٢٥١ - المستوطنون الأوروبيون -٢٥١ - مشتى القصبة، مجرزة -٢٥٢ - ميشاق -٢٥٣ - الجزائر -٢٥٣ - ندوة روما و«العقد الوطن» -٢٥٤ .

مدن ومعالم

الاصنام (سابقاً اورليانسفيل) -٢٥٩ - باتنة -٢٥٩ - بحيرة -٢٥٩ - بليدا -٢٥٩ - بيسكرا -٢٥٩ - بشار -٢٥٩ - تلمسان -٢٦٠ - تizi أوزو -٢٦٠ - الجزائر -٢٦٠ - عنابة (بونة سابقاً) -٢٦٢ - غرداية -٢٦٢ - قسنطينة (سيرتا قديماً) -٢٦٢ - المعسکر -٢٦٢ - موستغام -٢٦٢ - وادي ميزاب -٢٦٣ - وهران -٢٦٦ .

زعماء ورجال دولة

أحمد أوبيحي -٢٦٨ - أحمد بن بلة -٢٦٨ - أحمد سحنون، الشيخ -٢٧٠ - أحمد طالب الابراهيمي -٢٧١ - حسين آيت أحمد -٢٧١ - الحسين السليماني، الشيخ -٢٧٣ - ديدوش مراد -٢٧٣ - رابح بيطاط -٢٧٤ - سعيد سعدي -٢٧٤ - سيد أحمد غزالي -٢٧٥ - سي محمد -٢٧٦ - الشاذلي بن جديد -٢٧٦ - شريف بلقاسم -٢٧٧ - عباسي مدنى، الشيخ -٢٧٧ - عبان رمضان -٢٧٩ - عبد الحميد بن باديس -٢٨٠ - عبد السلام بعيid -٢٨٠

عبد العزيز بوتقليقة -٢٨١ - عبد العزيز بوصوف -٢٨١ - عبد الله فلالي مبارك -٢٨١
 عبد النور علي يحيى -٢٨١ - العربي بن مهيدى -٢٨٢ - علي بلحاج، الشیخ -٢٨٢
 فرحات عباس -٢٨٤ - قاصدی مرباح -٢٨٥ - کریم بقاسم -٢٨٦ - مالک بن نبی -٢٨٦
 - محفوظ خناج، الشیخ -٢٨٧ - محمد البشیر الابراهیمی -٢٨٨ - محمد بوضیاف -٢٨٨
 - محمد حمیستی -٢٩١ - محمد حیضر -٢٩١ - محمد صدیق بن یحیی -٢٩٢ - مصالی -٢٨٨
 الحاج -٢٩٢ - المفتی زکریا -٢٩٤ - مولود حمروش -٢٩٤ - نور الدین بوکروح -٢٩٤
 هواری بومدین -٢٩٥ - الیمن (الامین) زروال -٢٩٧ - یوسف بن خدة . -٢٩٨

جزر سلیمان ٢٩٩

جزر القمر ٣٠٢

بطاقة تعريف ٣٠٢

نبلة تاریخیة

في التاريخ القديم والوسطى -٣٠٥ - في التاريخ الحديث -٣٠٦ - في التاريخ المعاصر -٣٠٦
 الاستقلال -٣٠٧ - أحمد عبد الله وعلي صویلح -٣٠٧ - سید محمد جوهر
 الانضمام إلى الجامعة العربية -٣١٢ - الاعتراف باسرائیل -٣١٣ - نهاية عهد الرئيس سید محمد جوهر -٣١٣ - بوب دونار . -٣١٤

جنوب افریقيا ٣١٧

بطاقة تعريف .٣١٧

بلدة تاريخية

قدِيماً-٣٢١-أول القادمين الأوروبيين .٣٢٢-التوغل -٣٢٢-السيطرة .٣٢٢-نزاعات الانكليز والبوير .٣٢٣-التسوية البيضاء: اتحاد جنوب إفريقيا .٣٢٣-بين المربين العالميين .٣٢٤-جمهورية جنوب إفريقيا .٣٢٤-أهم احداث (١٩٨٥-١٩٩٦) .٣٢٧-انتخابات نيسان ١٩٩٤ .٣٣٤-مئة يوم على حكم مانديلا .٣٢٥

الأبارtheid

(الفصل العنصري)

تمهيد .٣٣٩-أسس الأبارtheid، أربع اطروحات عقائدية .٣٤٠-تصنيف المجموعات العرقية .٣٤١-الفصل العمودي بين الأعراق .٣٤٢-اليانتوستان .٣٤٢-تشرذم السود .٣٤٧

تفكيك نظام الأبارtheid ٣٤٨

روزنامة التفكيك التدريجي .٣٤٨-دوكليرك ومانديلا .٣٤٩-«كوديزا» والاستفتاء .٣٤٩-التعثر و«إنكاذا» .٣٥٠-التسوية .٣٥٠-مناقشة: ما بين جنوب إفريقيا وفلسطين .٣٥٠

معالم تاريخية

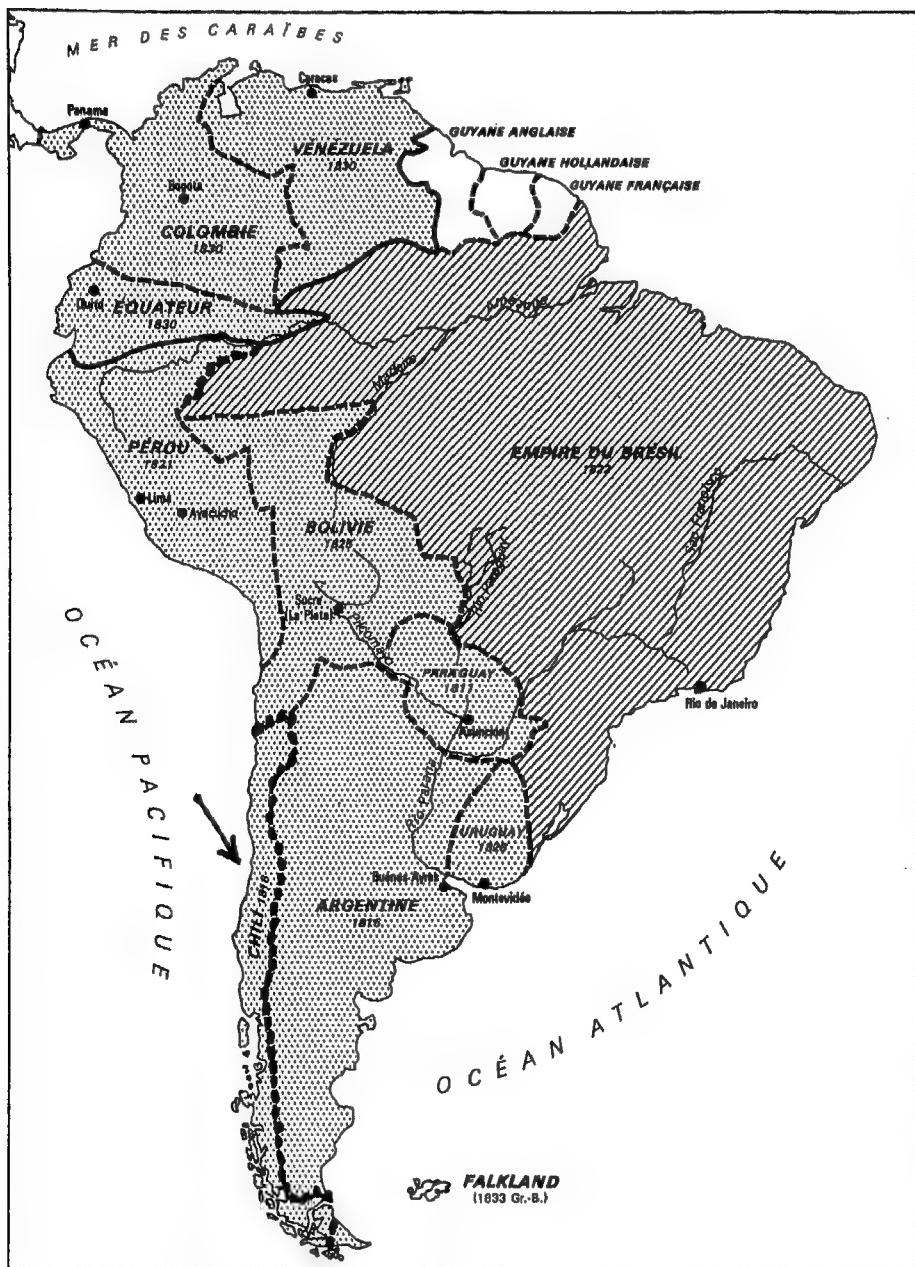
الاحزاب .٣٥٤-البوير وحرب البوير .٣٥٦-الكامب في إطار الاكتشافات البحرية .٣٥٨-الكنيسة الكاثوليكية والتمييز العنصري .٣٥٨-مجازر شاريفيل وسويفتو ودوريان .٣٦٠-المسلمون في جنوب إفريقيا .٣٦٠

مدن و معلم

ایست لندن - ۳۶۴ - برآکبان - ۳۶۴ - بربوریا - ۳۶۴ - بلومفونتین - ۳۶۴ - بوکسپورغ - ۳۶۴ - بیزماریتزبورغ - ۳۶۴ - جرمیستون - ۳۶۵ - جوهانسپورغ - ۳۶۵ - دوربان - ۳۶۵ - ریسانوخارسی - ۳۶۶ - سویتو - ۳۶۶ - کاب - ۳۶۶ - کیمبرلی - ۳۶۷.

زعماء و رجال دوله

بوتا، بیتر فیلام - ۳۶۸ - بوتا، لویس - ۳۶۸ - بوقیلیزی، منغوسوتو غاشا - ۳۶۸ - تامبو، اولیفر - ۳۶۹ - دوکلیریک، فریدریک - ۳۶۹ - سلطان، یان - ۳۷۰ - غولدبرغ، دیمیس - ۳۷۱ - غولدستون، ریتشارد - ۳۷۱ - فورستر، جون - ۳۷۲ - فیرفورد، هندریک فرانش - ۳۷۲ - لوئی، آلبیر میومی - ۳۷۳ - مانجیتا، آفرود - ۳۷۴ - ماندیلا، نلسون - ۳۷۴ - ماندیلا، وینی - ۳۷۷ - مبکی، ثابو - ۳۷۹.



تشيلي (شيلي)

بطاقة تعريف

وبوليفيا (٤٨٠٠ كلم). فيكون طول حدود التشيلي مع هذه البلدان الثلاثة ٥٠٠٠ كلم. أما طول الشاطئ التشيلي (ما فيها التعاريف) فيزيد عن ١٠ آلاف كلم.

المساحة: ٧٥٦ ألفاً و٩٤٦ كلم م.. المسافة بين أبعد نقطتين طولياً (من الشمال إلى الجنوب)

الاسم: يأتي إسم «تشيلي» (أو «شيلي») من اسم نوع من العصافير يعيش في المناطق الوسطى من البلاد. ورأى آخر يقول إنه من تسمية «كيتشوا» التي تعني «حيث تنتهي الأرض».

الموقع: في أمريكا الوسطى. تحيط بها البيرو (طول الحدود بينهما ٢٠٠ كلم)، والارجنتين

الفرنسية).

الحكم والاحزاب: نظام الحكم جمهوري. الدستور المعهود به يعود إلى ١١ آذار ١٩٨١. رئيس الجمهورية الحالي إدواردو فراري الإبن، وكان قبله (على أثر العودة إلى الديمقراطية بعد الحكم الدكتاتوري الذي امتد من ١٩٧٣ إلى ١٩٩٠) باتريسيو أيلوين (مولود ١٩١٨). البرلمان من مجلسين: مجلس النواب (١٢٠ عضواً منتخبًا)، ومجلس الشيوخ (٤٧ عضواً، ٣٨ منتخبًا، و٩ معينين).

«اتحاد العمل التشييلي الموحد»، نقابة تضم نحو ٣٠٠ ألف عضو؛ أعيد تأسيسها في ٢٠ آب ١٩٨٨ بعد تعليق دام منذ انقلاب ١٩٧٣. الأحزاب منعت إثر انقلاب ١٩٧٣، وأعيد السماح لها منذ ١٩٨٧ (باستثناء الحزب الشيوعي): التحالف الديمقرطي، ويضم: الحزب الديمقرطي المسيحي (أسسه إدواردو فراري الأب في ١٩٥٧)، والحزب الاجتماعي الديمقرطي، والحزب الراديكالي. الكتلة الاشتراكية، وتضم الحزب الاشتراكي، وحركة الديمقراطية الشعبية التي تضم بدورها الأليديين (انصار كلودوميرو أليدا)، والحزب الشيوعي (أقل من ٣٠ ألف عضو في أوائل التسعينات، وكانوا أكثر من ٥٠ ألفاً عشية انقلاب ١٩٧٣). وهناك حركة اليسار الثوري بزعامة أندرس باسكال اللندى، وكان قد أسسها باولويستا فان شوفن. وهناك التحالف الوسط، وحزب الوسط-الوسط، وحزب من أجل الديمقرطية، وحزب التحضر والانسانيين، وحزب التجدد القومي، وحزب الاتحاد الديمقرطي المستقل.

الاقتصاد: تغطي الاراضي المزروعة ١٦،٥ ألف كلم م.، والمراضي ١٢٩،٣ ألف كلم م.، والغابات ٢،٤٤ ألف كلم م.. بلغ متوسط إنتاج التشييلي في السنوات الأخيرة: ٣ آلاف طن من قصب السكر، وألف و٥٠٠ طن من

تبلغ ٤٧٠٠ كلم، ويبلغ العرض ٢٥٠ كلم. بذلك تشكل شريطاً مستطيلاً فريداً بين بلدان العالم. وتدعى التشيلي بحق امتلاك مليون و٢٥٠ ألف كلم م. من قارة أنتاركتيكا (راجع «أقاليم تابعة» بعد النبذة التاريخية).

المطاطق: راجع «نورتي غرانادي والتقسيمات الجغرافية الثلاثة» في باب «مدن ومعالم»، وباب «أقاليم تابعة».

العاصمة: سانتياغو. أهم المدن: كونسيسيون، فيينا دل مار، فالباريزو، أنتوفاغاستا... (راجع «مدن ومعالم»).

اللغة: الإسبانية.

السكان: كاثوليک (٨٩٪)، بروتستانت (١١٪). بلغ تعدادهم في ١٨٣٥ نحو ١٠٠١ مليون نسمة، وفي ١٩٠٧ نحو ٣،٢٣ مليون، وفي ١٩٦٠ نحو ٧،٣٩ مليون، ويبلغ حالياً (تقديرات ١٩٩٦) نحو ١٤ مليون نسمة، والمرجح انهم سيبلغون نحو ١٥ مليوناً في العام ٢٠٠٠. نسبة الخلاسيين (هنود وأوروبيون) منهم نحو ٦٦٪، وأوروبيون غير خلاسيين نحو ٢٥٪، وهنود ٥٪، وهي الذين يقال لهم «أروكان»، في الإسبانية «أروكانوس»، وهي الكلمة نجتها في العام ١٥٦٩، الشاعر ألونسو دو إريشيا. نحو ٨١٪ من مجموع السكان يعيشون في المدن. وهناك نحو ٧٥٪ من التشيليين يتحدررون من الإسبان الذين احتلوا بالسكان المندوبين (بيكونش) الذين كانوا يقطنون مناطق الأودية الوسطى في التشيلي. في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، حصلت هجرة أوروبية كبيرة إلى التشيلي، خاصة من الألمان الذين أقاموا في مناطق البحيرات والغابات، والإنكليلز في فالباريزو؛ وهناك أيضاً مهاجرون من الإيطاليين والعرب واليونغوسلاف؛ وكذلك عدد قليل من الفرنسيين (عدد من العائلات، منها عائلة بينوشيه التي جاءت من منطقة بريتانيا

التشيلي، ويحتوي على ٢٥٪ من الاحتياطي العالمي، ويؤمن ١٣٪ من الانتاج العالمي، و١٠٪ من انتاج النحاس المصفى. والتشيلي غنية ايضاً باللحديـد، والنـيتـرات، والمانـفـانـيز، والـفـوـسـفـاتـ، والـذـهـبـ، والـفـضـةـ. أهم صناعاتها: الاـخـشـابـ، الـورـقـ، الـفـوـلـادـ. وأـهمـ مـنـطـقـةـ صـنـاعـاتـهـاـ فيـ تـيـمـيكـوـ. مـتوـسـطـ عـدـدـ السـائـحـينـ السـنـوـيـ (١٩٩٠ - ١٩٩٥) نـحوـ مـلـيـونـ وـنـصـفـ مـلـيـونـ سـائـحـ. تـحـتـلـ التـشـيلـيـ المرـتبـةـ العـالـيـةـ الـأـولـيـ فيـ النـحـاسـ، وـالـخـامـسـةـ فيـ صـيـدـ السـمـكـ، وـالـثـامـنـةـ فيـ الـفـضـةـ، وـالـحـادـيـةـ عـشـرـ فيـ الـذـهـبـ.

القمع، وأـلـفـ طـنـ منـ الـبـطـاطـاـ، وأـلـفـ طـنـ منـ الذـرـةـ. وـبـلـغـ مـعـدـلـ الـاـنـتـاجـ السـنـوـيـ مـنـ السـمـكـ نـحوـ ٦ـ مـلـاـيـنـ طـنـ.

يـلـغـ اـحـتـيـاطـيـ التـشـيلـيـ مـنـ الـنـفـطـ ٦٢ـ مـلـيـونـ طـنـ، وـمـتـوـسـطـ الـاـنـتـاجـ السـنـوـيـ نـحوـ ٦٠ـ مـلـيـونـ طـنـ. وـالـاحـتـيـاطـيـ مـنـ الغـازـ الطـبـيـعـيـ ١١٦ـ مـلـيـارـ مـترـ مـكـعبـ، وـمـعـدـلـ اـنـتـاجـهـ ٤ـ مـلـيـارـاتـ. وـالـاحـتـيـاطـيـ مـنـ الـفـحـمـ نـحوـ ٣،٩ـ مـلـيـونـ طـنـ، وـالـاـنـتـاجـ ٢،٧ـ. التـحـاسـ: نـحوـ ٢ـ٪ـ مـنـ جـمـعـوـنـ الـيدـ الـعـالـمـةـ التـشـيلـيـ يـعـمـلـونـ فـيـ مـنـاجـمـ النـحـاسـ. أـكـبـرـ مـنـجـمـ للـنـحـاسـ فـيـ الـعـالـمـ هـوـ شـوـكـيـكـاـمـاتـاـ فـيـ

مـثـلاـ، أـوـ الـبـيـرـوـ أـوـ غـرـاتـيمـالـاـ. فـلـيـسـ هـنـاكـ اـشـيـاءـ تـذـكـرـ حـوـلـ الـجـمـعـاتـ الـأـتـيـةـ أـوـ الـلـغـوـرـيـةـ الـيـتـيـ سـكـنـتـ الـبـلـادـ قـبـلـ الـمـرـحـلـةـ الـاـسـتـعـمـارـيـةـ باـسـتـثـنـاءـ بـعـضـ الـقـرـىـ فـيـ اـقـصـىـ شـمـالـيـ الـبـلـادـ عـنـدـ تـخـومـ بـولـيفـياـ وـالـبـيـرـوـ حـيـثـ ماـ تـرـازـالـ تـعـيـشـ بـعـمـوـعـهـ هـنـدـيـةـ تـعدـ نـحوـ مـعـةـ أـلـفـ نـسـمـةـ وـتـعـوـدـ إـلـىـ الـهـنـودـ الـأـرـوـكـانـ الـذـينـ تـمـكـنـواـ مـنـ الصـمـودـ وـالـبقاءـ فـيـ وـجـهـ غـزـوـاتـ هـنـودـ الـإـنـكـاـ، ثـمـ الـإـسـبـانـ، ثـمـ سـكـانـ التـشـيلـيـ. وـهـمـ يـعـيـشـونـ فـيـ مـحـمـيـاتـ وـفـيـ ظـرـوفـ قـاسـيـةـ).

فيـ ٢٠ـ كـانـونـ الثـانـيـ ١٥٤٠ـ (أـيـ بعدـ نـحوـ ثـلـاثـةـ اـعـوـامـ مـنـ حـمـلـةـ دـوـ الـمـاغـروـ)، سـارـ الـكـابـيـنـ بـيـتـروـ دـوـ فـالـدـيـفـيـاـ، بـنـاءـ عـلـىـ أـوـامـرـ الـمـلـكـ شـارـلـكـانـ (شـارـلـ الـخـامـسـ)، عـلـىـ رـأـسـ حـمـلـةـ مـنـ ١٥ـ مـنـ الـفـرـسـانـ، قـاصـدـاـ الـاقـالـيمـ الـوـاقـعـةـ جـنـوـبـيـ الـبـيـرـوـ؛ وـكـانـ،

نبـذـةـ تـارـيـخـيةـ

الـمـرـحـلـةـ الـاـسـتـعـمـارـيـةـ: يـعـودـ اـكـتـشـافـ التـشـيلـيـ إـلـىـ نـحوـ أـرـبـعـةـ قـرـونـ وـنـصـفـ الـقـرـنـ، وـذـلـكـ عـنـدـمـاـ تـمـ إـرـسـالـ دـيـغـوـ دـوـ الـمـاغـروـ، وـبـيـزارـ (وـكـانـ يـحـصـرـانـ اـهـتـمـامـهـمـاـ بـاـرـاضـيـ اـمـپـراـطـورـيـةـ الـإـنـكـاـ فـيـ الـبـيـرـوـ الـحـالـيـةـ)، فـيـ حـمـلـةـ اـسـتـكـشـافـيـةـ، إـلـىـ الـبـلـادـ الـوـاقـعـةـ جـنـوـبـيـ كـوـزـكـوـ، أـيـ التـشـيلـيـ الـحـالـيـةـ؛ وـقـدـ وـصـلـتـ الـحـمـلـةـ إـلـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ فـيـ ١٥٣٦ـ بـعـدـ أـرـبـعـةـ أـشـهـرـ مـنـ السـفـرـ، وـحـطـتـ الرـحـالـ فـيـ وـادـيـ أـكـونـكـاغـواـ. وـلـمـ تـجـدـ أـثـرـاـ لـلـذـهـبـ عـادـتـ إـلـىـ الـبـيـرـوـ فـيـ ١٥٣٧ـ (ثـمـ مـعـلـومـاتـ قـلـيلـةـ عـنـ التـشـيلـيـ مـاـ قـبـلـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ الـاـسـتـعـمـارـيـةـ، تـؤـكـدـ أـنـ الـبـلـادـ لـمـ تـعـرـفـ حـضـارـةـ يـمـكـنـ مـقـارـنـتهاـ بـالـحـضـارـةـ الـيـقـيـنـيـةـ الـيـوـمـيـةـ الـمـكـسيـكـيـةـ)

الكريول (Créoles)؛ البعض المولودون في التشيلي) وبين «الإسبان» (المولودون في إسبانيا). وكان الكريول، أو الكريولوس، قد أصبحوا يشكلون مجتمعاً ارستقراطياً ممتعاً ببنواد سياسي قوي، واجتمعوا في «محالس» (نوع من جمعيات استشارية) كانت تهتم في إدارة المدينة وتتمتع بهامش عريض من الاستقلال الذاتي.

كانت السلطة العليا بيد الحاكم الذي يعينه الملك. وكان الحكام الذين تعاقبوا في القرن السادس عشر من العسكريين، وقد سغتهم الحروب والانتفاضات المحلية التي أطلق عليها تسمية «حروب أروكرو» نسبة إلى أنها كانت تخاض بصورة أساسية ضد السكان الأصليين الثائرين.

وحكم القرن السابع عشر كانوا من العسكريين والمدنيين الذين رغبوا جميعهم في الشراء على مصلحة المستوطنين والهندود على حد سواء. أما «المحكمة الملكية» التي أقيمت في سانتياغو، فكانت عاجزة عن تصويب، أو تقوية حكومة ضعيفة وغير كفؤة. واستمر الوضع الحكومي على حاله هذه (سواء لجهة الحكومة ذاتها أو لجهة المحكمة الملكية وعلاقتها مع الحكومة وشرافتها عليها) من أيلول ١٦٠٩ إلى نيسان ١٨١١.

منذ أوائل القرن الثامن عشر، أخذ يطرأ تحسن على وضع الحكم من حيث الكفاءة في الإدارة الاستعمارية، مستفيدين من السلام النسي الذي عرفه هذا القرن. فأسسوا مدنًا جديدة، وحققوا بعض الاصلاحات بكثير من الحنكة السياسية.

عشية موعد الحملة قد زار كاتدرائية مدينة كورزاكو وأقسم فيها بأنه سيطلق إسم الرسول مار يعقوب (St Jacques) على أول مدينة سيؤسسها في الأراضي التي يقصدها.

اتبع الكابتن دو فالديفيا، ورفاقه، الطريق ذاتها التي سلكها قبلهم دو الماغرو. وبعد ١١ شهراً من السير، وصلوا إلى واد خصبة وحطوا فيها الرحال. وفي ١٢ شباط ١٥٤١، وقع دو فالديفيا وثقة تأسיס مدينة جديدة تحمل إسم «سانتياغو دو إسترامادورا الجديدة» التي أصبحت تعرف، اختصاراً، بإسم «سانتياغو».

قاتل السكان الأصليون (الهنود) الغواة، لكن دو فالديفيا كان يتلقى الدعم المتواصل من نائب الملك في بيرو، حتى تستنى له إخضاع هؤلاء السكان، يساعدته رئيس قبيلة هندية يدعى لوتسارو. وفي ١٥٥٧، أرسل نائب الملك في بيرو إلينه غارسيا هورتادو دو مندوزا ليصبح حاكماً على البلاد باسم ملك إسبانيا.

نحو ثلاثة قرون (القرن السادس عشر- القرن التاسع عشر) قضىحا الحكم الاستعماري الإسباني في التشيلي بواجهة خلالها الثورات ويخوض الحروب متولاً القمع الشديد حتى كان له «سجل مليء بالرعب».

وكانت للحروب المكلفة التي خاضها الملك فيليب الثاني وخلفاؤه في أوروبا، وللحرروب ضد المسلمين (المور)، وللصراعات الدينية، نتائج مضرة جداً على الاقتصاد التشيلي. أضاف إلى ذلك، الصراعات التي عرفها التشيلي بين السكان

لم تكن هذه الاجواء التي سادتها الروح الوطنية التحررية في المنطقة الجديدة على التشيليين. إذ سبق لهم وهبوا في وجه القراصنة الانكليز والهولنديين الذين خربت سفنهم مرفأ التشييلي في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر.

عندما تناهى إلى سانتياغو نباء انتزاع نابوليون بونابرت العرش الإسباني، استعد عدد من المستوطنين التشيليين للذهاب إلى المتروبول (إسبانيا) والقتال لتمكين الملك فريديريند السابع من استرجاع عرشه. لكن البعض الآخر رأى أنه من الأفضل إقامة دولة مستقلة في التشييلي. وهكذا انقسم التشيليون بين ملكيين ووطنيين. ومن بين الوطنيين الذين كانت تلهب مشاعرهم أفكار الاستقلال والتحرر بزع خوسيه ميغيل كاريرو، مانويل رواديغيز، برناردو أوهيجينز وغيرهم. وقامت الثورة التي انتهت باعلان استقلال التشييلي في 18 أيلول 1810. وعقد مجلس بلدية سانتياغو اجتماعاً قبل فيه استقالة الحاكم، وانتخب أول مجلس سياسي حاكم للبلاد. ومع ذلك، تمكن الإسبان، في 1814، من استرجاع سيطرتهم على البلاد التي دامت حتى 12 شباط 1817، أي التاريخ الذي انهزم فيه الجيش الملكي في معركة شاكابوكو، قرب سانتياغو، وبعد أن كانت امدادات بالرجال والعتاد قد وصلت إلى الشوارع الوطنية من الشاعر الأميركي كي اللاتيني سان مارتن.

خوسيه دو سان مارتن: هو ثائر وقائد عسكري أرجنتيني، قاتل الجيوش

وقد ساعد على ذلك أن أسرة بوربون التي أسسها فيليب الخامس (الجناح الإسباني من هذه الأسرة) عرفت كيف تحيط نفسها بمعاونين من أصحاب الكفاءة والاستمارة. وقد بادر حاكم سانتياغو وبدأ بتنفيذ تأسيس جامعة «سان فيليبي» (على اسم الملك فيليب الخامس)، في سانتياغو، التي كان الملك نفسه قد أمر بانشائها في ١٧٥٦.

يقظة الوعي الوطني، الاستقلال: في ١٧٦٧، أمر ملك إسبانيا بطرد اليسوعيين من التشييلي. وكان لذلك آثار عميقه، خاصة في الأوساط الثقافية، إذ كان اليسوعيون يديرون مدارس ومعاهد عديدة وكان التشيليون يستشعرون حاجة كبيرة لتلقي العلم، أضف إلى أن قاعدة الوجود الاستعماري نفسه في التشييلي كانت قاعدة كنسية. فالكتب كلها كانت باللغة اللاتينية، وقليلون جداً هم التشيليون الذين كانوا يمتلكون مؤلفات من الأدب الإسباني، والمؤلفات الأجنبية كانت محظورة. وجاء اعلان الاستقلال الأميركي (١٧٧٦)، وبعده الثورة الفرنسية، ليشيرا لدى المستوطنين الأفكار التحررية.

قطعت العلاقة، عملياً، بين إسبانيا وأميركا الجنوبيه على أثر الهزيمة الإسبانية في ترافلغار، «الطرف الأغر» (١٨٠٥). فسارع الانكليز إلى مهاجمة المستعمرات الإسبانية. فنزلوا، في ١٨٠٦، في بوينس آيرس حيث انتفض الشعب هناك ضدهم وأجبر الانكليز على الانسحاب.

الوقت نفسه. فأدرك أن لا استقلال ثابتاً للتشيلي ما لم تتحرر بيرو أيضاً من الاستعمار الإسباني. لذلك كان تفاهمه كاملاً مع سان مارتن حول هذه النقطة بالذات. لكن سياسته الداخلية سرعان ما اعترضتها معارضات شديدة تخلّى بسيبها عن الحكم في ٢٨ كانون الثاني ١٨٢٣. فخلفه الجنرال رامون فريره.

في أوائل عهد الجنرال فريره، نشر أول قانون أساسي دعى «دستور العام ١٨٢٣». لكن، في ١٨٢٦، أحير فريره على التخلّي بدوره عن الحكم، فعاشت التشيلي، حتى ١٨٣٠، فترة من الفوضى والاتفاقيات العسكرية ذهبت بحياة عدد من الزعماء والقادة.

في أجواء هذا الاضطراب بُرِزَ إسم ديغور بورتالس (عضو في حزب المحافظين) الذي تمكّن من إخماد فورة التزعة العسكرية، وأصدر دستوراً جديداً نشر في ٢٥ آيار ١٨٣٣، الذي استمر العمل به حتى ١٩٢٥. ومع هذا الدستور، بدأ عهد من الازدهار في التشيلي. وفي ١٨٤١، انتخب مانويل بولنوس رئيساً للبلاد، فوّقعت إسبانيا، في ١٨٤٤، معاهدة مع التشيلي اعترفت، بمحاجتها، باستقلال التشيلي.

هذه الحقبة من السلم الداخلي، الحكومية بالدستور المذكور، عكّرتها مشكلة ترسيم الحدود ما بين الجمهوريات التي كانت خاضعة للاستعمار الإسباني في أميركا اللاتينية. فاندلعت حرب الباسيفيك في ٥ نيسان ١٨٧٩. وتمكن الجيش التشيلي، بعد معارك عديدة ضد الجيوش

الإسبانية في أميركا اللاتينية وساهم في استقلال التشيلي والبيرو. وبعد أن نالت الأرجنتين استقلالها في ١٨١٦، قاد سان مارتن جيشه المؤلف من ٥٤٠٠ رجل نحو التشيلي، وهزم الجيش الإسباني في معركة شاكابوكو (١٢ شباط ١٨١٧) وفتح الطريق نحو سانتياغو التي دخلها متصرّاً. وجاءه وقد من أعيان المدينة يعرضون عليه تسلّم زمام الحكم في التشيلي. لكنه رفض هذا المنصب وحوّله لصديقه ومساعده برناندو أوهيجينز الذي أصبح حاكم البلاد. إلا أن استقلال التشيلي لم يتم نهائياً إلا في ١٨١٨، وبعد أن انتصر جيشه سان مارتن على الجيش الإسباني في معركة مايبو (Maipu) حيث جاء صديقه أوهيجينز يصافحه ويعلنه «حامياً للتشيلي». وعهدت إليه حكومة التشيلي مهمة متابعة تحرير المناطق الشمالية من البلاد. قتّابع سيره شمالاً نحو البيرو. وفي ٧ أيلول ١٨٢٠ كان جيشه على مقرّبة من ليما. وفي ٢٨ تموز ١٨٢١، أعلن استقلال البيرو، وأصبح سان مارتن «حامياً» للدولة الجديدة. ثم تابع سان مارتن زحفه نحو الشمال لاستكمال تحرير البلاد، لكنه اصطدم بزميله بوليفار محرر تلك المنطقة. وبعد لقاءين تميزاً بالموافقة والتفاهم ما بين الرجلين انسحب سان مارتن تاركاً مهمة تحرير المنطقة المتبقية لبوليفار.

الجمهورية: كان الجنرال برناردو أوهيجينز، الذي عين الرئيس الأعلى للتشيلي، رجلاً عسكرياً ورجل دولة في

الحكومي استمرت نحو ٣٣ سنة، أي طيلة السنوات التي طبق خلالها النظام البرلاني (١٨٩٢-١٩٢٤). والظاهرات الاجتماعية التي بروزت في أوروبا غداة الحرب العالمية الثانية ما لبثت أن تركت تأثيراتها على الأوضاع في التشيلي. فقامت حركة اصلاحية قوية حملت إلى الرئاسة أرتورو أليستنديري الذي سارع إلى عرض جملة من القوانين الاجتماعية على الكونغرس. ثم جرى إصدار دستور ١٩٢٥.

وتميزت حكومة الرئيس كارلوس إيبانيز دل كامبو (١٩٢٧-١٩٣١) بعنادها في ثبيت المكتسبات الدستورية التي جاءت في مصلحة السلطة التنفيذية. وتركزت أزمة ١٩٢٩ الاقتصادية العالمية تأثيرات قوية على التشيلي التي عرفت، بسببها، اضطرابات سياسية أدت إلى استقالة إيبانيز.

وانتخب الليسندرى لولاية ثانية (١٩٣٢-١٩٣٨)، رسم خلالها النظام الدستوري وحقق منجزات إنجامية. ومع ذلك، اعتبر اليسار أن سياسته لم تتجز ما كان متوقعاً منها. في ١٩٣٨، فاز مرشح الجبهة الشعبية برئاسة الجمهورية، بيترو أغيري سيريدا، ضد مرشح الليبراليين والمحافظين، وقد سُجّل هذا الفوز بدأية مرحلة جديدة في السياسة التشيلية، خاصة وأن نهج أغيري استكمل بعد موته في ١٩٤٢، على يد خوان انطونيو ريوس، مرشح اليسار الراديكالي، الذي انتخبته أيضاً الجبهة الشعبية.

البيروفية-البوليفية، من الدخول متصرّاً إلى ليما، عاصمة البيرو، في كانون الثاني ١٨٨١، فحصلت التشيلي، جراء انتصارها هذا، على منطقة متنازع عليها وغنية بالنitrates.

داخلياً، بُرِزَ تياران سياسيان أساسيان تنازعوا السلطة حول مسائل دينية ودستورية: تيار محافظ كان يرى أن السلطة السياسية والمعتقدات الدينية في أساس تقدم البلاد وما تنشده من رفاه عيش لأبنائها، وتيار ليبرالي ركّز على أن الحريات السياسية وحرية المعتقد هي في أساس كل تقدم إجتماعي.

وقد تكون هذا التيار الآخر من إيصال دومينغو ساتانا ماريا إلى سدة الرئاسة، وفي عهده (١٨٨٦-١٨٨١)، صدرت تشريعات علمانية دعيت «السجل المدني».

كما وصلت إلى السلطة حكومة، برئاسة خوسيه مانويل بلماسيدا (١٨٨٨-١٨٩١)، هي أكثر الحكومات تقدمية في أميركا اللاتينية. فبإدارة هذا الرئيس تمت الترجمة العملية لأولى المطالب النقابية الخاصة بالمحورين.

وفي أوائل ١٨٩١، انفجرت أزمة سياسية أدت إلى قيام نظام سياسي جديد في التشيلي، وهو النظام البرلاني الذي جعل السلطة التنفيذية خاضعة للكونغرس التشيلي. فقامت حالة من عدم الاستقرار



مطلوب فلاحى في التشيلي: «الارض لن يزرعها».

الشيخ. وهذا الدستور يسير، إزاء علاقة الرئيس بالوزراء، وفق النظام الرئاسي الكلاسيكي المعروف. فالرئيس يعين وزراءه ويقيلهم. ولكن الدستور التشيلي يذهب إلى بعد من النظام الرئاسي المعروف بجهة اعطائه صلاحيات واسعة وسماحه في التدخل في جملة من الامور التشريعية. وقد جرت بعض التعديلات الطفيفة على هذا الدستور في ١٩٤٣، ١٩٥٧ و ١٩٥٩ و ١٩٦٣ و ١٩٦٧.

أما بجهة القوى السياسية الفاعلة فقد مثلها، في خطوطها العريضة، رئيسان: دون أرتورو أليستنديري الذي كان ينتمي إلى الليبرالية التقليدية، وخلفه بيترو أغيري سيردا

المؤسسات والحياة السياسية في النصف الأول من القرن العشرين: على رأس هذه المؤسسات يأتي دستور ١٩٢٥ الذي اعتير أنه أدخل تعديلات طفيفة على دستور ١٨٣٣ المعتبر بدوره كأقدم الدساتير في العالم. ودستور ١٩٢٥ أعاد للسلطة التنفيذية دورها الأساسي في الحكم مستفيداً من تجربة أزمة ١٨٩١ التي اتختبت نظاماً برلمانياً لم يكن ناجحاً. كان الرئيس ينتخب، بموجب هذا الدستور مباشرة من الناخبين ولولاية تمتد ستة أعوام وغير قابلة للتتجديد. أما الكونغرس الوطني فمكون من مجلسين: مجلس النواب (لدة أربعة أعوام) و مجلس

بالسلطة لمدة مئة يوم «الجمهورية الاشتراكية» (من ٤ حزيران إلى ٢ تشرين الأول ١٩٣٢)، ورغم محاربة السلطات للحزب الشيوعي وحظره مؤقتاً، وكان سلفادور اللندندي مرشح الحزب الاشتراكي الخاسر في المعارك الرئاسية في ١٩٥٢ و١٩٥٨ و١٩٦٤. الحزب الشيوعيتمكن من الاحتفاظ بحوالي ١٥ مقعداً في المجلس النسبي منذ ١٩٣٢، وانشق في الحكومة التي تشكلت في ٣ تشرين الثاني ١٩٤٦؛ لكن الرئيس فيديلا طرد أعضاء الحزب الشيوعي من حكومته في ٦ نيسان ١٩٤٧، وأدت الازمة إلى إصدار تشريع (في أيلول ١٩٤٨) حول «الدفاع عن الديمقراطية» يمنع الشيوعيين من الترشح أو الاقتراع في الانتخابات أو ممارسة التفاصيل التقافية. وقد تعرض هذا التشريع لحملة نقد واسعة كونه مخالف للدستور، وتوقف العمل به في ١٩٥٨. فازدادت قوة الحزب الشيوعي، وأصبح ثالث قوة سياسية، في اواسط الستينيات، بعد الحزب الديمقراطي المسيحي والحزب الراديكالي.

وعن الكنيسة في التسليلي، فإن النظام البرلماني عرف فترة من «السلام الديني» بين الحكم والكنيسة التي هالها اصدار التشريعات العلمانية في ١٨٨٤. وقد عرف الرئيس أرتورو الليسيندري (١٩٢٥) استعمال هذا «السلام» للفصل بين الدولة والكنيسة في إطار أجواء من التسامح الديني ساهم فيه مسؤولو الكنيسة أيضاً. وبدأت الكنيسة، منذ ١٩٣١، تدير شؤونها الدينية بعزل تام عن كل شأن سياسي.

الذي ارتكز على ائتلاف ضد الجبهة الشعبية التي كان الشيوعيون يشاركون فيها. والرئيس سيردا أسس، في نهجه هذا، للنجاجات المتكررة التي احرزها الحزب الراديكالي الذي أوصل الرئيسين التاليين بعد الرئيس سيردا: خوان انطونيو ريوس فيديلا (١٩٤٦-١٩٥٢)، وغبريلال غونزاليس أتياب «المذهب الشخصاني» مع الحكومة الثانية للرئيس كارلوس إليانيز (١٩٥٢-١٩٥٨)، ثم فاز اليمين التقليدي مع الرئيس جورج أليساندري رودرíguez (١٩٥٨-١٩٦٤) ابن أرتورو الليسيندري. وحملت انتخابات أيلول ١٩٦٤ إدواردو فرائي إلى الرئاسة، وقد انتخبه الحزب الديمقراطي المسيحي إضافة إلى أصوات من اليمين والمستقلين. والحزب الديمقراطي المسيحي هووريث حزب الكاتب الوطنية الذي كان قد تأسس في ١٩٣٨ عقب الانشقاقات التي اصابت الحزب المحافظ. أما الحزب الليبرالي والجناح المتبقى من الحزب المحافظ فقد اتحدوا وشكلا حزباً واحداً باسم «الحزب الوطني» بعد فشلهما في انتخابات آذار ١٩٦٥. الحزب الراديكالي، المتأثر بالفكرة الوضعية لعالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت، والمدعوم من المحافل الماسونية،تمكن من استمالة الطبقة الوسطى، وكان الحرك السياسي طيلة الفترة ١٩٣٨-١٩٥٢، وقد تمكن من الاحتفاظ ببعض المقاعد في انتخابات آذار ١٩٦٥. وحاول الحزب الاشتراكي منافسة الحزب الشيوعي، ولم يتمكن منه رغم انه توصل إلى الاستفراد

من سواهما من الاحزاب)، الميمنة وكسب الأعضاء والانصار داخل هذه النقابات.

تجربة الاشتراكية الماركسيّة من خلال مؤسسات النظام الليبرالي

عشرة أعوام من التاريخ: انقلاب عسكري، اعتبر أكثر الانقلابات العسكرية عنفًا دمويًّا في أميركا اللاتينية، كما اعتبر في الوقت نفسه استثنائيًّا في تاريخ التشيلي التي اعلنت منذ بداية القرن التاسع عشر مبدأ أولوية القانون على القوة، وقع في ١١ أيلول ١٩٧٣ وأطاح ثلاث سنوات من حكم «الوحدة الشعبية» في التشيلي.

قبل حكم الوحدة الشعبية والانقلاب عليها، كانت أحداث أخرى تضع التشيلي في وجهة الاحداث العالمية وتدور، منذ ١٩٦٤، حول تجربة «الثورة في إطار الحرية» التي قادها الرئيس إدواردو فراري وحزبه، حزب الديمقراطية المسيحية، والتي كانت تترجم عمليًّا سياسة الرئيس الأميركي جون كينيدي إزاء أميركا اللاتينية، أي السياسة التي كانت تهدف إلى تحقيق تغييرات من خلال إصلاحات عميقة في إطار البنى المؤسساتية القائمة، وهي السياسة التي كان يُرى إليها على أنها تسحب من الثوار الماركسيين والكاسترويين والغيفاريين، الذين يخوضون حروب عصابات في ارياف أميركا اللاتينية، مبرر وجودهم.

بين تشرين الثاني ١٩٧٠ وأيلول ١٩٧٣، حارلت حكومة الوحدة الشعبية

أما عن الجيش التشيلي، فكل كلام بصدره يستدعي الكلام على المحابيات الطويلة التي وضعت الجيش الإسباني في مواجهة السكان التشيليين الأصليين لمدة ثلاثة قرون متعاقبة، وحتى في مواجهة انتفاضات التشيليين في السنوات الأولى من اعلان الاستقلال والجمهورية. ومع ذلك، كانت التشيلي أول دولة من الدول التي كانت خاضعة للاستعمار الإسباني في أميركا اللاتينية، التي وضعت السيف في خدمة القانون. وبعد معركة ليركاي (١٨٣٠)، طرد الوزير ديغو بورتالس جميع الضباط الذين كانوا قد حملوا السلاح ضد الحكومة المشكلة، ولم يتدخل الجيش في أي شأن من الشؤون السياسية حتى أيلول ١٩٢٤. وأثناء أزمة ١٨٩١، توصل المدنيون إلى خلع الرئيس بالمسيدا، وكان الجيش قد استمر باغليبيته، تحت أمرته حتى اللحظة الأخيرة. وتدخل الجيش في الأمور السياسية احتفى بشكل تام بدءًا من ١٩٣٢، ولم يعد إليها إلا في ١٩٧٣.

التنظيمات النقابية للمأجورين بدأت في أوائل هذا القرن، خاصة بين عمال المناجم، وفي المدن الكبيرة التي كانت تعرف نمواً صناعياً مطرداً. وبدأت القوة السياسية لهذه النقابات تظهر جلية عندما أيدت بحماس المرشح الرئاسي أرتورو أليستنديري (١٩٢٠)، ثم المرشح خوسيه سانتوس سالاس (١٩٢٦). وجاءت تشريعات ١٩٢٥ و ١٩٣١ لتنظيم العمل النقابي. وفي ١٩٤٥، سمح بقيام نقابات زراعية. وقد تنازع الحزبان، الاشتراكي والشيوعي (أكثر



د. توميك، زعيم جناح اليسار
في الحزب الديمقراطي المسيحي
أثناء حملة الانتخابية الرئاسية
(كانون الثاني ١٩٧٠).

بزعامة إدواردو فراري، وعدت بتحقيق
النحوات كبيرة، خاصة على صعيد السكن
والإصلاح الزراعي، لكنها تكنت من تحقيق
بعض هذه الوعود، مما أعطى اتحاد اليسار
 مجالاً للاستفادة من الوضع الاجتماعي
المترافق.

واستفاد اتحاد اليسار، كذلك، من
انشقاق الحزب الديمقراطي المسيحي حول
مرشحه الرئاسي، في انتخابات أيلول
١٩٧٠. ففي حين تمسك بعضه بجورج
ليسيندرى، وهو يميني محافظ، رشح البعض
آخر زعيم الجناح اليساري فيه وهو
رودميرو توميك، وذلك في محاولة لفلا
تنهب قطاعات واسعة من مؤيدي الحزب

برئاسة سلفادور أللندي تحقيق تجربة في
الحكم هي الأولى من نوعها، مفادها
الانتقال إلى الاشتراكية بالوسائل السلمية
وباستعمال الشريعة القائمة وجهاز الدولة
البورجوازية. وقد تركت هذه التجربة،
بقيامها، وبفشلها بعد ثلاث سنوات، أثراً
بارزاً في الفكر السياسي المعاصر.

مسيرة اليسار الموحد إلى السلطة:
حكومة الحزب الديمقراطي المسيحي،
بنجاحها حيث نجحت، وبفشلها حيث
فشلت، ساهمت في تعبيد الطريق أمام
حكومة الوحدة الشعبية.

حكومة الحزب الديمقراطي المسيحي،

تخللت فترة الخمسين يوماً احداث درامية كبرى، أهمها اغتيال الجنرال أرتورو شنيدر على يد مجموعة من اليمينيين المتطرفين الذين كانت تدعمهم شركة I.T.T. الأميركية الشمالية، وأزمة مالية حادة، وقبول سلفادور الللندي باعطاء ضمانات دستورية كان الحزب الديمقراطي المسيحي يفارقه عليها.

السياسة الاقتصادية لـ «الوحدة الشعبية»: كان الحكم «الوحدة الشعبية» الاشتراكية الماركسية أهداف أربعة رئيسية كان اليسار التشييلي يعلن عنها ويعمل لها منذ ١٩٥٦:

- حرمان البورجوازية الخصبة، وحليفتها الاميرالية الاميركية، من قواعد ارتکازها، عبر الاجراءات التالية: نزع الملكيات العقارية الكبرى من اصحابها («لاتيفونديا»، راجع «أميركا»، ج ٣، ص ٢٢٦)؛ تأميم كل الثروات المتجممية؛ تأميم عدد من المشاريع الخصبة التي تدخل في قطاع الملكية الاجتماعية؛ وتأميم بعض المشاريع، أو إنشاء مشاريع مختلطة تتيح للدولة الاشراف على بعض فروع الاتصال.

- رفع الأجور والخاذ عدد من الاجراءات الاجتماعية لمصلحة القطاعات الشعبية، بحيث يصبح يقتدر هذه القطاعات الاقبال على طلب السلع الاستهلاكية.

- إعادة تفعيل التجارة وإطلاق الصناعة، إذ إن الصناعة التشييلية لم تكن تعمل، حتى تاريخه، أكثر من ٦٨٪ من طاقتها الانتاجية. وبهذا، تستطيع «الوحدة

لمصلحة مرشح اتحاد اليسار سلفادور الللندي.

كان «اتحاد اليسار» قد تشكل منذ ١٩٥٦ حول محور الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي اللذين كانوا ينضويان داخل «الجبهة الثورية للعمل الشعبي» (F.R.A.P.). في ٩ تشرين الأول ١٩٦٩ تأسست «لجنة تعاون الوحدة الشعبية» التي ضمت، إضافة إلى الحزبين الماركسيين و«اتحاد العمال الموحد» (C.U.T.)، الحزب الراديكيالي وحركة العمل الشعبي الموحد التي كانت تشكل الجناح اليساري في الحزب الديمقراطي المسيحي، وحزب العمل الشعبي المستقل، والحزب الاجتماعي الديمقراطي، وتشكيلين صغيرين من وسط اليسار. وفي نهاية كانون الاول ١٩٦٩، تبنت هذه الاحزاب، مجتمعة، برنامج عمل مشتركاً، وأعلنت، في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠ سلفادور الللندي، مرشحها اليساري الوحيد في معركة رئاسة الجمهورية. وقد صاحبت الحملات الانتخابية أحواء ساخنة من المواجهات الایديولوجية إلى حركات اضرابات وأعمال عنف. وجاءت نتيجة الدورة الأولى التي جرت في ٤ ايلول ١٩٧٠: ٣٦,٣٪ من الاصوات لمصلحة الللندي، و ٩٨,٢٪ لـ «الليستوري»، و ٨٤,٢٪ لـ «لوميك».

بعد خمسين يوماً، جرت الدورة الثانية لانتخاب الرئيس من اعضاء الكونغرس، أي في ٢٤ تشرين الاول ١٩٧٠، ففاز الللندي بـ ١٥٣ صوتاً ضد ٣٥ لـ «الليستوري» و ٧ اوراق بيضاء. وقد

هبطت إلى ٤،٨٪ في أيلول ١٩٧١، وإلى ٣،٦٪ في كانون الأول ١٩٧٢.

وقد ترجمت هذه الانجازات، سياسياً، بالانتصارات التي حققها أحزاب «الوحدة الشعبية» في انتخابات نيسان ١٩٧١، لكن رغم الزيادة في الاتساع فانه بقي مقصراً عن تلبية الطلب المتزايد على الاستهلاك. وهذا ما بدا واضحاً على صعيد السلع الغذائية حيث برزت الحاجة لاستيرادها بالعملات الصعبة (٤٠ مليون دولار في ١٩٧١، أي بزيادة نحو ٦٠٪ عن السابق).

مقاومة مسار الاشتراكية: منذ ٤ أيلول ١٩٧٤، بدأ القطاع الخاص ينقل رؤوس امواله إلى الخارج. ثم بدأت المقاطعة التي تناولت، بصورة خاصة، تهريب الماشية إلى الارجنتين. وعمد التجار إلى تخزين البضائع، الامر الذي فاقم من الصعوبات امام التموين. وبداءاً من ١٩٧٢، نظمت شبكات لتسير السوق السوداء. وشكلت المشاريع المتوسطة والصغريرة جبهة (فريتاب) تحالفت مع أصحاب المشاريع الكبرى.

وقامت المظاهرات: في كانون الاول ١٩٧١، مظاهرة «الطناجر الفارغة»، وفي آب ١٩٧٢، إضراب التجار لمدة ٢٤ ساعة، وفي ١١ تشرين الاول ١٩٧٢، بدأ إضراب أصحاب الشاحنات، وأغلقت أصحاب المصانع أبوابها أمام العمال وأقفل التجار محلاتهم ومؤسساتهم؛ وقد دعم الحرفيون وأصحاب المهن الحرة هذا الإضراب، وشلت البلاد لمدة ثلاثة أسابيع

الشعبية» ان تكسب قطاعات واسعة من الطبقة البورجوازية غير الحصرية.

- تقوية دعم الطبقات الشعبية للحكم، ثم تنظيمها وتأطيرها بواسطة مشاركة العمال في إدارة القطاعات المؤمرة أو المختلطة، وتنظيم مجالس الفلاحين لإدارة الاراضي المترعنة من أصحابها اللاتيفونديين، وإنماء العمل النقابي والمنظمات القاعدية.

في ١٩٧٢، توصلت حكومة «الوحدة الشعبية» إلى القضاء قضاة تماماً على الملكيات الكبرى للأراضي (لاتيفونديا) التي كانت، حتى ١٩٦٥، تشكل ٥٥٪ من مجموع اراضي البلاد، والتي كان حكم الحزب الديمقراطي المسيحي قد باشر، دون نجاح كبير، في قضمها شيئاً فشيئاً.

في تموز ١٩٧١، كان قد تم تأميم كل المناجم الكبرى التي كان يمتلكها الرأسمال الأجنبي، خاصة منه الاميركي الشمالي: مناجم النحاس في إل تيني، وإل سلفادور وشوكيكاماتا؛ وكذلك مناجم حديد إل روميرال، وإل توفو؛ ومناجم فحم لوتا-شفاجر... كما أمنت الحكومة صناعة صب الحديد، خاصة شركة «فولاذ الباسيفيك»، وثروات الطاقة (النفط، الكهرباء، الفحم)، والمواصلات (القطارات، الطائرات، الباصات)؛ وأشارت على الاعتمادات المصرفية. وزادت الاجور من ٣٥٪ إلى ١٠٠٪. وأصبح عقدور أكثر من ٩٠٠ ألف شخص الاستفادة من نظام الضمان الاجتماعي. ونسبة البطالة التي كانت في كانون الاول ١٩٧٠ نحو ٣،٨٪



فرنسوا ميرزان (إلى يسار الصورة)
الأمين العام للحزب الاشتراكي الفرنسي،
والرئيس الللندي
(شرين الثاني ١٩٧١).

الديمقراطي المسيحي (معروفة بالقطاعات التقنية) وفاوضت الحكومة وتوصلت إلى انتزاع تنازلات منها. وكان لهذا الأمر أن ترك أثره السلبي على التيارات الثورية داخل الحركة والقطاعات التقنية في الحزب الديمقراطي المسيحي، وعادت المبادرة إلى أيدي أصدقاء إدواردو فراري الذين تحالفوا مع الحزب الوطني في الحملة ضد الحكومة وعلى جميع الأصعدة، وشكلوا مع مختلف احزاب وتشكيلات اليمين «الكونفدرالية الديمقراطية». وبعد التحقيقات آذار ١٩٧٣ ضاعف الحزب الديمقراطي المسيحي من حملته على الحكومة، وإن كان قد دخل،

متواصلة. لكن كل محاولات عرقلة النظام هذه فشلت بسبب الدعم الشعبي الذي كان يحظى به. لكن المحاولات نفسها عادت في آب ١٩٧٣ لتنجح هذه المرة وتؤدي إلى انقلاب أيلول ١٩٧٣.

دور الحزب الديمقراطي المسيحي:
باختيار «الوحدة الشعبية» طريق الشرعية لتنفيذ في إطارها سياستها الاشتراكية، سعت جاهدة لإقامة اتفاق بينها وبين حزب الوسط التشييلي، أي الحزب الديمقراطي المسيحي.

في مرحلة أولى من حكومة «الوحدة الشعبية»، قامت قطاعات من الحزب

قررت (منذ ١٠ كانون الثاني) اتخاذ «إجراءات اقتصادية» ملائمة لأوضاع حربية.

في ٤ آذار، حصلت «الوحدة الشعبية» على ٤٣,٣٩٪ من أصوات الناخبين التشيليين، فأصبح رئيس الدولة، سلفادور اللندي، عبئاً عن إمكانية عزله دستورياً، الأمر الذي كان يعمل له معارضوه، وخاصة منهم الديمقراطيون المسيحيون.

في ٢٧ آذار، استقال الوزراء العسكريون الثلاثة (من وزارة الداخلية، الاشغال العامة، والمناجم) من الحكومة، وحل محلهم وزراء معتدلون؛ الأمر الذي اتاح للرئيس اللندي هامشًا أكبر في المعاورة السياسية إزاء المتشددين والمعتدلين على حد سواء في إطار جبهة «الوحدة الشعبية» الحكومية.

في ٥ أيار، أعلن الرئيس اللندي حالة الطوارئ في منطقة سانتياغو بعد أكثر من أسبوع من الاضربات ومعارك الشوارع، خاصة بين الطلاب المؤيدین للحكومة والناهضین لها، وعهد إلى الجيش مسؤولية الأمن.

في ١٥ أيار، أعلن الحزب الديمقراطي المسيحي التزامه استعمال «كل قوته» لايقاف «التدهور التوتالياري» الذي تحمل الحكومة مسؤوليته، متهمًا إياها «بغزو أفكار التشيليين من خلال حملة دعائية منهجية تعمل على إيجاد الحقد بين الطبقات الاجتماعية».

في ٢٩ حزيران، حاول قطاع في

بين حين وآخر، في مفاوضات مع الحكومة. وقبل شهر واحد من الانقلاب، قطع كل اتصال بينه وبين الحكومة رغم التنازلات التي قدمها له الرئيس اللندي. واشتراك الديمقراطي المسيحي بقوة في إضراب أصحاب الشاحنات والتجار (غوز وآب ١٩٧٣)، وذهب إلى حد إعلانه في البرلمان، في ٢٢ آب ١٩٧٣، أن الحكومة قد انهكت الشرعية، وهو إعلان كان يعني دعوة العسكريين للتدخل. ولم يبل الحزب أي مكسب من الانقلاب الذي وقع بالفعل بعد أقل من شهر واحد. في المقابل، كانت حكومة «الوحدة الشعبية» تأخذ أكثر فأكثر جانب الاتجاه الاصلاحي الاعتدالي مستبعدة منها كل الأطراف والاحزاب والتنظيمات الراديكالية التي كانت تدعوها إلى مزيد من الاعتماد على القوى العمالية والفلانية والشعبية وإلى مزيد من تنظيمها وحتى تسليمها. وذهب الرئيس اللندي إلى حد استجابة نداء الكاردينال سيلفيا هنريكيز، وأعاد المفاوضات مع الحزب الديمقراطي المسيحي؛ وأكثر من ذلك، فقد أدخل العسكريين في حكومته في ٩ آب ١٩٧٣، ثم كانت الضربة القاضية لنظامه.

أهم أحداث ١٩٧٣ حتى انقلاب ١١ ايلول: في ٢٢ كانون الثاني، طلبت حكومة اللندي من الجيش الإشراف على توزيع المواد الغذائية ومحاربة السوق السوداء، في محاولة منها لمواجهة تفاقم الأزمة الناشبة بين التجار وحكومته، حكومة «الوحدة الشعبية» التي كانت قد



١١ ابول ١٩٧٣، الساعة العاشرة صباحاً: الصورة اعلى: عسكريون بامرة الانقلابيين يخاطرون قصر لامونيدا.

الصورة أدناه: مدنيون منقطعون ارجأوا قبل موعدهم الى الاعتقال.



الأمن الوطني يتطلب ليس فقط الدفاع عن الحدود بل أيضًا «الدفاع عن الثروات الأساسية في البلاد، وعن النظام الداخلي، وعن القيم الروحية للامة».

في ١٣ آب، أعلن الللندي، في ندوة تلفزيونية عن «اننا على عتبة حرب أهلية ويجب ان نمنعها». واستبعد الرئيس، أمام هذا الوضع، ان يحصل من الكونغرس صلاحية الاعلان عن حالة الطوارئ والطلب من الجيش التدخل لمنع الحرب.

في ١٨ آب، استقال الجنرال، قائد سلاح الجو من الحكومة، وتبعه الجنرال كارلوس براتس وهو صديق شخصي للرئيس الللندي (في ٢٣ آب) ما اعتبر انتصاراً للمعارضة. ثم استقال الوزير العسكري الثالث الاميرال روال مونتيرو (٢٧ آب).

في ٤ ايلول، احتفلت حكومة «الوحدة الشعبية» بالذكرى الثالثة لوصولها إلى السلطة، وسارت أمام الرئيس الللندي وأعضاء حكومته، مظاهرة مؤيدة ضمت نحو مليون شخص. واستمرت الاضرابات تشنل البلاد، والوضع إلى مزيد من التدهور.

في ١١ ايلول، قاد فريق من الجنرالات انقلاباً عسكرياً أطاح حكم الرئيس الللندي، وهم: الجنرال بينوشيه، قائد الجيش البري، والجنرال غوستافو لاينغ غوزمان قائد سلاح الطيران (وكلاهما عضو في الحكومة القائمة)، والاميرال توبيورو مدينا، والجنرال سيزار مندوزا رئيس الجمارك؛ فاستولوا على وسائل

الجيش متتركز في سانتياغو ان يقوم بانقلاب عسكري، فحاصرت وحدات منه القصر الرئاسي وأطلقت عليه النيران، فيما هاجمت وحدات أخرى وزارة الدفاع. لكن الانقلابيين فشلوا بعد نحو ثلات ساعات على أثر تدخل قائد الجيش البري الجنرال براتس. ورفض زعيم الحزب الديمقراطي المسيحي ورئيس الجمهورية السابق إدواردو فرای إدانة المحاولة الانقلابية. وطلب الرئيس الللندي من البرلمان صلاحيات مطلقة لمدة ٩٠ يوماً؛ ورفضت المعارضة، وكانت تشكل الأكثريّة في البرلمان، منحه هذه الصلاحيات.

في ٢٥ تموز، أذاع الللندي رسالة طلب فيها من الحزب الديمقراطي المسيحي إجراء حوار مع الحكومة لتجنيب البلاد حرباً أهلية. وأثار قبول هذا العرض ردود فعل غاضبة لدى المتطرفين من الجانبيين، اليميني واليساري. وفي اليوم نفسه، أعلن أصحاب الشاحنات الاضراب العام. وبعد يومين، اغتيل أحد معاوني الرئيس الللندي في بيته.

في ٩ آب، وبعد انضمام مختلف السائقين في قطاع المواصلات إلى أصحاب الشاحنات في إضرابهم، وبعد الإعلان عن اكتشاف مؤامرة يديرها اليسار المتطرف في سلاح البحرية، عدل الللندي في وزارته للمرة السادسة منذ وصوله إلى السلطة في تشرين الثاني ١٩٧٠. ودخل إلى الحكومة، بناء على هذا التعديل، ثلاثة جنرالات: قائد سلاح البحر، وقائد سلاح الجو، وقائد سلاح البر الجنرال براتس الذي رأى ان

محلاتهم. وفي ١٧ أيلول (١٩٧٣)، سارت البرازيل وأوروغواي وباراغواي إلى الاعتراف بالحكم الجديد في تشيلي.

وفي ٢١ أيلول (١٩٧٣)، قرر المجلس العسكري الحاكم حظر جميع الأحزاب التي كانت قد اشتراك في الائتلاف الحاكم، وتحضير دستور جديد يعطي مزيداً من الصلاحيات للقوات الأمنية. أما الحزب الديمقراطي المسيحي الذي وقف، حتى الآن، إلى جانب المجلس العسكري، اعترض على حق هذا المجلس إصدار دستور جديد. وبعد أربعة أيام، حلّ المجلس العسكري «الاتحاد العمالي»، واقتصر التعريض على الشركات الأميركية المتضررة من الحكم السابق، ووضع جائزة لكل مواطن يرشد على مكان وجود أحد قادة الحكم السابق الذين لم يتم القبض عليهم، وكان قد ألقى القبض على لويس كورفالان، السكرتير العام للحزب الشيوعي، في سانتياغو، واتهم بانتهاك الشرعية والخيانة العظمى. ووصل القمع إلى أشدّه مع القرار الصادر في ١٧ تشرين الأول ١٩٧٣ والقاضي بمنع كل نشاط سياسي سواء بالنسبة إلى الأحزاب والمنظمات أو بالنسبة إلى الأفراد.

الدستور الجديد: على الرغم من وعده باصدار دستور جديد، أعلن بينوشيه، في كانون الاول ١٩٧٦ : «لقد باشرنا، في التشيلي بتجربة مركبة على الديمقراطية السلطوية. فلن تعود التشيلي مطلقاً إلى الديمقراطية التمثيلية...». وفي آب ١٩٨٠، نشر بينوشيه مشروع الدستور الذي وعد

الاعلام، وبررّوا الانقلاب كون الحكومة «ماركسية» وعاجزة «عن اتخاذ إجراءات قادرة على تجنب البلاد الفوضى»، وفرضوا حالة الطوارئ ومنع التجول. وقامت القوات البرية والجوية بقصف القصر الرئاسي (لا مونيدا) حيث لاقي الرئيس اللندى مصرعه وهو يدافع عنه مع فريق من أنصاره، وبقربه انتحر صديقه أوغستو أوليفاريis. وسارع الانقلابيون إلى تعليق المجلسين (النواب والشيوخ)، وإلى قطع كل العلاقات مع كوبا «والدول الشيوعية الأخرى»، ودعوا الشعب إلى تلبية أوامر القيادة العسكرية الجديدة «تجنباً لكل عملية إراقة دماء غير مجدية».

حكم الانقلابيين العسكريين

القمع: في اليوم التالي (١٢ أيلول ١٩٧٣)، شكل الفريق العسكري حكومة جديدة من ١٣ عسكرياً ومدنيين إثنين، وجرت معارك في شوارع سانتياغو بين أنصار الرئيس اللندى والقوات العسكرية اسفرت عن مقتل نحو ٥٠٠ شخص، واعتقلآلاف الأشخاص وسجّلوا في ملعب سانتياغو. ولم يمض أسبوع واحد على الانقلاب حتى وصل عدد القتلى (وخاصة بين أنصار اللندى وبين اللاجئين السياسيين إلى تشيلي في عهد اللندى الذي وصل عددهم إلى نحو ١٤ ألف لاجئ) إلى عدةآلاف. وعمل الحكم على تطبيع الوضع في البلاد، فبدأ التجار (ومصارف) يفتحون

واشنطن في ٢١ أيلول ١٩٧٦، ولدى وصول الرئيس الأميركي الجديد جيمي كارتر بعد شهرين من حادث الاغتيال، صرّح كارتر بان حكومته «ستعتمد إلى تعليق المساعدة إلى التشيلي وإلى غيرها من البلدان وفقاً لوقفها من حقوق الإنسان». ولم يمنعه هذا التصريح من استقبال الجنرال بينوشيه في واشنطن وإجراء «مباحثات ودية» معه في ٦ أيلول ١٩٧٧، وإن كان قد سبق هذا اللقاء ما أعلنه (في ٩ آذار ١٩٧٧) الممثل الأميركي فيلجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة من «الأسف البالغ» للدور الذي قام به بلاده في انقلاب التشيلي.

وتميز عام ١٩٧٨ بالنظر قانونياً في قضية اغتيال لوتوبيه وبثبوت ضلوع «الشرطة السياسية» التشيلية (DINA) فيها. وبعد تكرار وزارة الخارجية الأميركية أن القضية «على غاية الخطورة»، أحاجب بينوشيه: «إن كل أمر هو أمر خطير بالنسبة إلى هذه الوزارة، ولكنني أرى أنه من الأخطر أن تهتم بما لا يعنيها». وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٩ اتخذت الحكومة الأميركية إجراءات «خفيفة» ضد التشيلي، فانقصت من عددبعثة الدبلوماسية الأميركية في سانتياغو، وعلقت المساعدة الاقتصادية العامة، ولم تأت على ذكر الدعم العسكري. أما المساعدة الاقتصادية الخاصة العسكرية. فكانت تزداد بشكل كثيف بدءاً من ١٩٧٨. ومعبقاء قضية اغتيال لوتوبيه مفتوحة بعد تقديم شكوى قانونية من قبل زوجته وأولاده ضد الحكومة التشيلية، أعلن

به، ودعا الشعب إلى الاستفتاء عليه. وفي مشروع الدستور هذا نص يعطي بينوشيه سلطة مطلقة لمدة ثمان سنوات لاحقة، مما يعني أن الدستور لن يدخل حيز التنفيذ فعلياً إلا في ١٩٨٩.

في ١١ أيلول ١٩٨٠، جرى الاستفتاء الشعبي على مشروع الدستور، ونال موافقة ٦٧٪ من الأصوات. إلا أن هذه العملية أثارت موجة من الاعتراضات ليس في صرف انصار النظام السابق فحسب، بل أيضاً من قبل التيار الديقراطي المسيحي، ومن الكيسنة، ومن داخل النظام العسكري نفسه وعلى أعلى مستوياته، مثل الجنرال لايغ الذي كلفته معارضته فصله من المجلس الحاكم.

العلاقات مع الولايات المتحدة:
كانت علاقات الانقلابيين بالولايات المتحدة ممتازة بعد الانقلاب مباشرةً، فقد اعترفت الولايات المتحدة بالمجلس العسكري بعد أسبوعين من الانقلاب. ولكنها بدأت بالتدحرجياً في العام التالي عندما تغيرت الولايات المتحدة عن اقتراع (تشرين الأول ١٩٧٤) في الأمم المتحدة حول حقوق الإنسان في التشيلي. ثم بدأت، بعد أشهر، تنتقد علناً النظام التشيلي. وخفضت مساعداتها الاقتصادية الرسمية لعام ١٩٧٦، وعلقت رسمياً مساعدتها العسكرية التي «بقيت تصل إلى التشيلي بطرق ملتوية ومتشاركة».

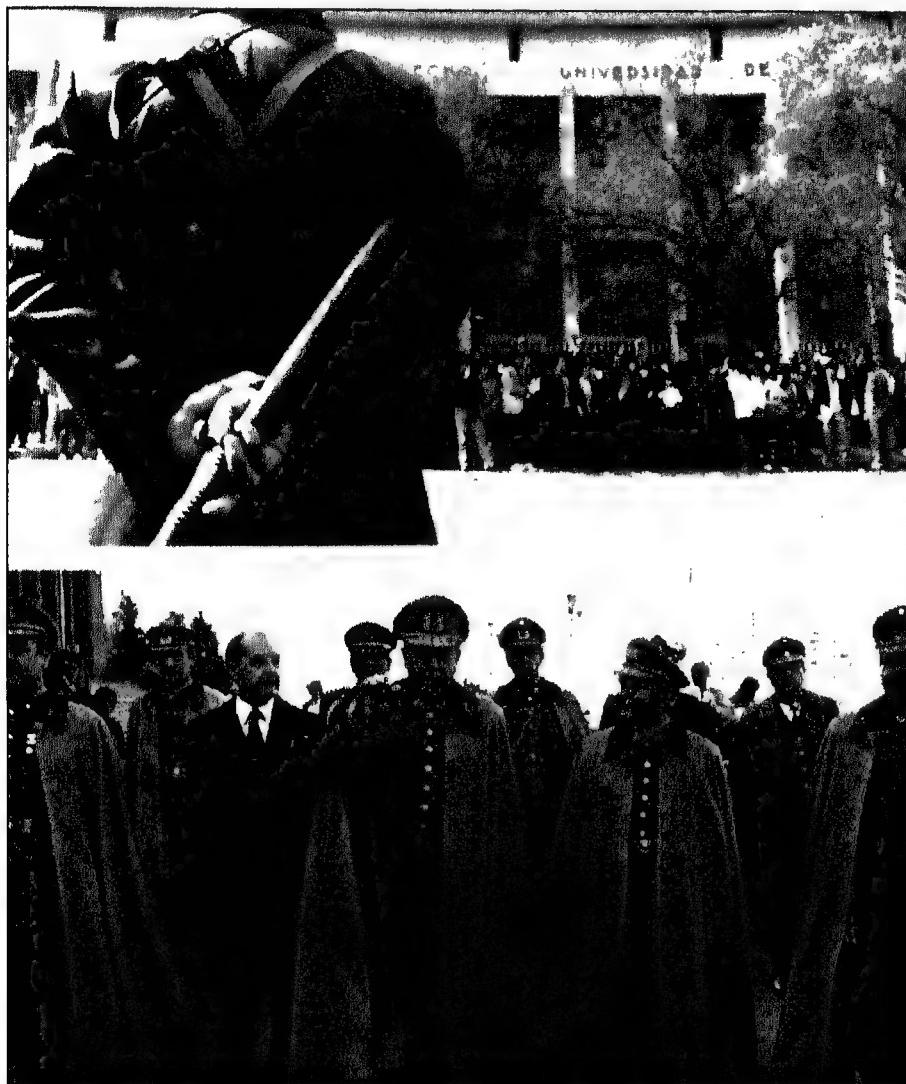
وعلى أثر اغتيال أورلندو لوتوبيه، الوزير السابق في حكومة اللندلي، وذلك في

اهتمامها في اميركا اللاتينية على الوضع المتفجر في السلفادور، وعلى ما استمته بالخطر الكوبي، وبعد ان استبدلت شعار «حقوق الانسان» بشعار «الخطر الشيوعي».

تصاعد المعارضة: لعل مظاهرات العاصمة سانتياغو التي انفجرت يوم ١٥ كانون الاول ١٩٨٢، والتي رفعت شعار «عُز و عمل وعدالة و حرية» فضلاً عن شعارات أخرى معادية لنظام الجنرال

الرئيس كارتر ان التشيلي لن تقبل في المناورات البحرية والجوية للدول الاميركية التي ستجري في ايلول ١٩٨٠. وكانت ردة فعل التشيلي عنيفة واتهمت واشنطن «بتهديد نظام دفاع القارة».

وبعد تسلم الرئيس الاميركي الجديد، رونالد ريغان، مهماته في اوائل ١٩٨١، بدا واضحاً ان الادارة الاميركية الجديدة تسير باتجاه تخفيف اللهجة، بل تغفل الحديث ضد النظام التشيلي. وذلك بعد ان ركزت



١٩٨٣ : ١٩
الذكرى العاشرة
للالطلاع. فوق:
طلاب جامعيون امام
واجهة جامعهم.
تحت: الجنرال بيتوشيه
بين عدد من كبار
مساعديه من الضباط.

حاول بيتوشيه، منذ بداية ١٩٨٧، الظهور بظاهر معتدل وقد استشعر تزايد الضغط السياسي الخارجي عليه نتيجة لسياسته القمعية، فألغى منع التجول في سانتياغو، وسمح بالعمل السياسي للأحزاب التي تضم أكثر من ٣٠ ألف عضو باستثناء الحزب الشيوعي. في أول نيسان ١٩٨٧، زار البابا يوحنا بولس الثاني التشيلي، وأثناء القدس الاحتفالي الذي أقامه في ثالث يوم من زيارة، وقعت اضطرابات في سانتياغو أوقعت أكثر من ٦٠٠ جريح وقتيل واحد.

استفتاء ٥ تشرين الأول ١٩٨٨:

في ٢ شباط ١٩٨٨، شكل ١٦ حزباً (منها الحزب الديموقراطي المسيحي وحزبان اشتراكيان) لجنة قومية هدفها التنسيق والعمل من أجل تأمين الأصوات الرافضة لبيتوشيه في الاستفتاء الشعبي العام الذي حدد هذا الأخير إجراءه في ٥ تشرين الأول ١٩٨٨. وفي ١١ آب، طلب اساقفة التشيلي من الجنرالات تعيين «مرشح وفاق» لهم لرئاسة الجمهورية في إشارة صريحة لعودة الكنيسة عن تأييدها لبيتوشيه ومعارضتها سياسته. لكن المجلس العسكري، وبعد أقل من ثلاثة أيام على بيان الأساقفة، أصرّ على تعيين بيتوشيه مرشحاً له، وجاء في بيانه أنه في حال فوز بيتوشيه في الاستفتاء فسيبقى في السلطة إلى العام ١٩٩٧، وفي حال فشله، فسيحكم لمدة ١٥ شهراً، أي حتى الانتخابات الجديدة وتعيين رئيس جديد للبلاد في آذار ١٩٩٠. وقبل شهر من موعد الاستفتاء،

بيتوشيه جاءت لتدل عن بداية خروج المعارضة من تحت الأرض. وحدثت مظاهرات أخرى في أواخر آذار ١٩٨٣، صاحبها أعمال عنف واعتقال نحو ٢٢٠ شخصاً، بينهم كاهنان كاثوليكيان.

استمرت الاضطرابات والمظاهرات ضد نظام بيتوشيه طيلة العام ١٩٨٣، وكان شهر تموز الأشد رحاً حيث جرت اعتقالات واسعة لزعماء المعارضة، على رأسهم رئيس الحزب الديموقراطي المسيحي غبريا فالديس، والنقابي رودولفو سيفيل، وحيث قطعت المعارضة حوارها مع الحكومة بشخص وزير الداخلية.

وفي ١٩٨٤، ازداد رفض المعارضة للنظام الدكتاتوري القائم الذي فرض، مرة أخرى أيضاً، حالة الطوارئ ومنع التجول والرقابة على الصحف. وفي أوائل أيلول ١٩٨٤، نظمت المعارضة حركة الاحتجاج العاشرة سعياً إلى تحقيق اجماع على عودة الديموقراطية، وإلى إنهاء الحكم العسكري المستمر منذ ١١ عاماً. وفي تشرين الثاني ١٩٨٤، رفض بيتوشيه استقالة الحكومة، وأعلن بحداً حاله الطوارئ في جميع أنحاء البلاد.

تصاعدت المظاهرات المعارضة طيلة ١٩٨٥ و ١٩٨٦، وكان بعضها يضم مئات الآلاف من المتظاهرين، وبذا الحزب الديموقراطي المسيحي أكثر القوى السياسية المعارضة حشدًا لها. وفي ٧ أيلول ١٩٨٦، جرت محاولة لاغتيال بيتوشيه، وألقي القبض على مدبريها بعد أيام، وكانتا ينتمون للجبهة الوطنية بزعامة مانويل روبيغز.



حوادث عيلة (٦٠٠) جريح أبناء التدماون الذي أقامه البابا يوحنا بولس الثاني أثناء زيارته التشيلي (يسان ١٩٨٧).

ولا سيما واحتضن، كان يراقب ما يحدث في التشيلي عن كثب. وما إن اعلنت النتائج حتى خرج التشيليون إلى الشوارع يرقصون، فيما وقف الجنرال بينوشيه يعترف بهزيمته ويصر في الوقت نفسه على البقاء في السلطة حتى ١١ آذار ١٩٩٠.

عودة الديمقراطيين المسيحيين إلى الحكم

الرئيس إيلوين: بعد نحو أسبوعين من الاستفتاء، استقالت الحكومة لتشكل حكومة أخرى، فتعود هذه وتستقيل في نيسان ١٩٨٩. وأجرت الحكومة الجديدة اتفاقاً مع المعارضة حول الاصلاح الدستوري، الذي يتضمن ٥٤ تعديلاً دستورياً، أهمه التعديل القضائي يجعل مدة ولاية الرئيس أربع سنوات بدلاً من ثلاثي.

أُلغيت أحكام الفي التي كانت قد طالت نحو ٥٠٠ شخص، ومن بين الذين عادوا إلى البلاد إيزايل اللندي، إبنة الرئيس سلفادور اللندي، وزوجته هورنتسيا، وخوسه أوباروس أحد الوزراء الشيوعيين في حكومة اللندي. وفي الذكرى الخامسة عشر لوفاة اللندي (أي في ١١ أيلول ١٩٨٨)، سارت مظاهرات مؤيدة لسياسة اللندي ضمت مئات الآلاف في سانتياغو.

وفي ٥ تشرين الأول ١٩٨٨، جرى الاستفتاء وجاءت نتيجته ٥٤،٧١٪ ضد استمرار بينوشيه في السلطة. وقد أذهلت هذه النسبة العالم الذي كان يعرف مدى بطش نظام بينوشيه الانقلابي وتغلغل رجال الشرطة السرية والقمع الذي ينتظر المعارضين الذين كانوا يخشون قيام انقلاب عسكري في اللحظات الأخيرة يلغي الاستفتاء أو تلاعب السلطة بالنتائج. لكن لم يحدث أي شيء من هذا، لأن العالم كله،

سياسي؛ اغتيال جيم غوزمان، المستشار السابق للجنرال بيتوشيه وعضو مجلس الشيوخ منذ كانون الأول ١٩٨٩؛ وعقد معاهدة للتبادل الحر مع المكسيك بيدًا العمل بها ابتداء من أول كانون الثاني ١٩٩٢.

في ٢٨ حزيران ١٩٩٢، جرت انتخابات بلدية فاز بها الائتلاف الرئاسي (الديمقراطي المسيحي وحلفاؤه)؛ وفي ١١ تموز، زار الرئيس إيلوين فنسا.

في أيلول ١٩٩٣، جرت صدامات في ذكرى مرور عشرين سنة على الانقلاب العسكري الذي أطاح الرئيس سلفادور اللندي، وقتل فيها شخصان وجرح أكثر من مئة. وقد هددت هذه الصدامات الهدنة المتواترة المعلنة قبل ثلاث سنوات بين القوات المسلحة بقيادة الجنرال أغسطو بيتوشيه والسياسيين والتي جرى بموجبها إنتهاء الحكم العسكري والعودة إلى الديمقراطية.

الرئيس الحالي إدواردو فراري:

الانتخابات الرئاسية (الثانية بعد عودة الديمقراطية إلى تشيلي في ١٩٩٠ وإنها دكتاتورية الجنرال أغسطو بيتوشيه التي امتدت منذ ١٩٧٣) جرت في موعدها الدستوري، كانون الأول ١٩٩٣، وفاز بها إدواردو فراري مرشح الحزب الديمقراطي المسيحي على منافسه اليميني أرтурورو الليساندرى.

ويقود الحزب الديمقراطي المسيحي ائتلاف يسار الوسط الحاكم بقيادة الرئيس السابق باتريسيو إيلوين. ويضم الائتلاف، إضافة إلى الديمقراطي المسيحي، الحزبين

وفي ١٤ كانون الأول ١٩٨٩، جرت الانتخابات الرئاسية، ففاز بها باتريسيو إيلوين بنيله ٥٥٪ من الأصوات (وهو من الحزب الديمقراطي المسيحي) ضد منافسه هرنان بوشي بوش (مرشح حزب الديمقراطي والتقدم ومرشح بيتوشيه وحكومته).

في ٢٩ كانون الأول ١٩٨٩، عاد الماركسيون للظهور على مسرح الأحداث السياسية في البلاد باعلان قيام الحزب الاشتراكي المؤلف من الماركسيين-اللينيين بزعامة كلودومIRO الميدا، والاشتراكيين التجددin بزعامة جورج أرّات.

في ١١ آذار ١٩٩٠، باشر إيلوين مهامه الرئاسية، وأعلن عن احتفاظ بيتوشيه بمنصبه كقائد عام للجيش التشيلي لمدة ثمانية أعوام. وأول عمل أقدمت عليه الحكومة الجديدة هو إعادة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي وألمانيا الديمقراطية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا. وفي ٢٠ آذار، عقد الكونغرس (المجلسية: التواب والشيخ) أول جلسة له بعد انقطاع دام ١٦ عاماً. وفي ٤ أيلول، نقلت رفات اللندي إلى سانتياغو (وكانت جثته قد دفنت، في ١٩٧٣، في فينا دل مار على بعد ١٠٠ كلم من العاصمة). وفي تشرين الثاني، صدر قانون يتبع لرئيس الجمهورية اتخاذ قرار بالعفو عن كل مسجون لسبب سياسي قبل ١١ آذار ١٩٩٠.

وأهم أحداث ١٩٩١: قرار البرلمان تعديل الدستور لاتاحة الفرصة أمام رئيس الجمهورية العفو عن ٢٠٠ مسجون

وبقي النزاع قائماً بين التشيلي والأرجنتين، وجرت محاولات لوضع حلول جديدة في أعوام ١٩٣٨، ١٩٦٠، ١٩٦٤، ١٩٦٧ و ١٩٧٢، ولكنها كلها فشلت. وبذا، في أول الأمر، ان لقاء ٥ نيسان ١٩٧٢ بين الرئيسين الللندي ولأنوس وتوقيعهما «معاهدة عامة حول الحل القانوني للخلافات بين الجمهورية الارجنتينية وجمهورية التشيلي» كان خطوة إيجابية وحاسمة. وزار رئيس جمهورية الأرجنتين الجنرال فيدلا التشيلي في تشرين الثاني ١٩٧٦ ووقع اتفاقاً للتعاون العلمي والتقني مدته ثلاث سنوات.

في ٢ آيار ١٩٧٧ عاد تحكيم بريطانيا في النزاع حول قناة بيغل بناء على طلب لجنة قوامها خمسة أعضاء تابعة لمحكمة العدل الدولية تشكلت بموجب اتفاق ٢٢ تموز ١٩٧١. وجاءت نتائج التحكيم لصالحة وجهة النظر التشيلية. فاعتراضت الأرجنتين وأخذت تعنف من هاجتها ضد «التوسعة» التشيلية. وقبلت التشيلي من جديد بالمقاييس التي اعادت الوضع إلى ما كان عليه قبل ١٩٧٧. فاشتكت المعارضة التشيلية من ضعف دبلوماسية الرئيس الجنرال بينوشيه. وأسفرت المحادثات عن توقيع إتفاقية إل تبيال التي تنص على تنفيذ الحل على ثلاثة مراحل ويمتد إلى أكثر من تسعة أشهر.

وصاحب أعمال اللجان تصاعداً في التوتر بين البلدين وصل إلى حد التسابق في التسلح والدخول في سياسة المعاور (أرجنتين-بوليفيا-بيرو من جهة، والتشيلي-باراغواي-برازيل من جهة

الاشتراكي والراديكالي.

في ١١ كانون الأول ١٩٩٤، عرض الرئيس الأميركي، بيل كلينتون، على التشيلي، أثناء انعقاد القمة الأمريكية، البدء بفاوضات انضمامها إلى رابطة دول أميركا الشمالية للتبادل الحر.

نزاع حدودي مزمن

مع الأرجنتين: تملّك التشيلي
والارجنتين خطوط حدود مشتركة تزيد عن ٥٣٠ كلم طولاً. واستمر البلدان يتنازعان السيادة والسلطة حول العديد من الجزر والممرات البحرية الحيوية؛ وكذلك حول حبيب بري واقع بين البلدين، ما أدى بهما إلى المواجهات العسكرية في مرات عدّة منذ بدايات القرن التاسع عشر وحتى ١٩٩٤ حين أفلح البابا الحالي يوحنا بولس الثاني في بلورة مشروع تسوية سلمية بين البلدين صاغه بمعية خبراء مستقلين وقدم في شكل اتفاق ينهي كل النزاعات والمطالب الإقليمية التي ظلت تهدّد وتعكر علاقات البلدين اللذين انتهيا إلى التوقيع النهائي عليه في تشرين الأول ١٩٩٤.

النزاع الأساسي بين البلدين محور حول مشكلة قناة بيغل (Begale). وتعود المشكلة إلى ١٩٠٢ عندما اعطت بريطانيا (بعد أن اتفق أن تكون الدولة الحكم في النزاع) التشيلي «كل الجزر الواقعة جنوبى قناة بيغل حتى رأس هورن». وقد أغفل هذا الحل تحديد خط القناة في منطقتها الشرقية.

كانت حرب المحيط الباسيفيكي، كما اصطلح على تسميتها لاحقًا، التي تواجهت فيها بوليفيا والبيرو مع التشيلي، ومنيت فيها بوليفيا بهزيمة ما زالت آثارها وانعكاساتها قائمة إلى اليوم، إذ استولت التشيلي في أعقاب تلك الحرب على مساحات واسعة من الأراضي البوليفية خاصة منطقة أنتوفوفوستا التي هي الواجهة البحرية الوحيدة للبلاد. ومنذ ذلك الحين تطالب بوليفيا باستعادة أراضيها تلك في المحافل الدولية وعلى مستوى المنظمات القارية، وحتى على المستوى الثنائي بينها وبين التشيلي قبل قطع العلاقات الدبلوماسية بصفة نهائية بين البلدين في ١٩٧٨ في أعقاب تهديد جدي من سلطات سانتياغو بشن حرب أخرى على البوليفيين إن هم استمروا في إخراجهم أمام الجموعة الدولية.

آخر). وفي ١٠ تشرين الأول ١٩٧٨، دعت الارجنتين جنود الاحتياط لديها ٥٠٠ ألف رجل). ولم تستطع اللجان المختلطة التي نص عليها اتفاق إل تي بال ان تصل إلى نتائج عملية. فارادت التشيلي من جديد أن ترفع النزاع إلى دولة وسيطة أو إلى محكمة العدل الدولية، في حين طالبت الارجنتين بالعودة إلى المحادثات الثنائية. وانتهى الأمر بالطرفين إلى القبول بتوسيط الفاتيكان. ووقع الاطراف الثلاثة في ٨ كانون الثاني ١٩٧٩ اتفاقاً يلزم الطرفان بموجبه بعدم اللجوء إلى القوة والعودة تدريجياً إلى وضع ١٩٧٧. أما محادثات إيجاد الحل النهائي للنزاع فبدأت في الفاتيكان في أول أيار ١٩٧٩.

مع بوليفيا: من ١٨٧٩ حتى ١٨٨٣

الاعتقاد السائد أن الجزيرة كانت مأهولة منذ القرن الثامن. وهناك نقاش دائر حول أول الذين عاشوا على أرضها. وعلى الرغم من أن سكانها يعتبرون اليوم بولينيزيين، ويتكلمون البولينيزية، فإن بعض الاختصاصيين يقولون بأن هنؤا قدمو من أميركا كانوا أول سكانها. كان الانكليزي إدوارد دافيس من المستكشفين الأوائل للجزيرة. وقد نزل عليها في ١٦٨٦. وفي ١٧٧٠، أعلنت إسبانيا امتلاكه للجزيرة. وفي ١٨٨٨، ضمتها التشيلي إليها. في القرن التاسع عشر، قضت نجارة العبيد على كامل

أقاليم تابعة

جزيرة الفصح Isla de Pascua: (يقال لها في اللغة البولينيزية: رابا نوي). تبعد نحو ٣٧٠٠ كلم عن شواطئ التشيلي. مساحتها ١٨٠ كلم م.. وعدد سكانها نحو ٣ آلاف نسمة (التقديرات المعاصرة ١٩٩٦). قاعدتها هانغا رووا. في أقصى جنوبها الغربي قرية صغيرة يومها سكان مؤمنون لاعتقادهم بأنها مكاناً مقدساً.

والاختصاصيين من فك رموزها، وان اعتبر أكثرهم أن هذه الآثار، سواء الحجرية أو الخشبية، تكشف عن أثر آسيوي. والسر ما يزال يكتنف هذه الآثار التي تدل على وجود حضارة أكيدة.

دسفنتوراداس Desventuradas (جزر سان أميروزيو وسان فيليكس). مساحتها ٣٢،٣٢ كم م.. غير مأهولة.

أرخيبل خوان فرانانديز: ثلاث جزر اكتشفها الإسباني خوان فرانانديز في ١٥٦٣. في ١٨١٠، أصبحت تابعة للتشيلي. في ١٩٣٥، أقيمت متزهء عام في إحدى هذه الجزر، جزيرة روبيسون. والجزر الثلاث هي: جزيرة روبيسون كروزوي، مساحتها نحو ١٠٠ كيلم م، ويسكنها نحو ٢٠٠ شخص. جزيرة ماس أ فويرا، ٨٦ كيلم م؛ وجزيرة سانتا كلارا، صغيرة وغير مأهولة.

أثار كتيكا: أراضٍ شاسعة في هذه القارة طالب بها التشيلي (راجع «أركتيكا وأنثار كتيكا»، ج ١، ص ٢١٩-٢٢٠).

سكانها تقريباً. وقد روى أحد المستكشفين الفرنسيين، في ١٨٧٧، انه لم يبق في الجزيرة أكثر من حوالي مائة نسمة فقط، في حين أنها كانت تأوي عدة آلاف. وسكانها الحاليون يعيشون خاصة على صيد السمك وتربية الماشية.

هناك حالياً رحلات جوية منتظمة من الجزيرة وإليها، في حين انه، حتى ١٩٦٠، كان مركب أو مركبان فقط يزوران الجزيرة في السنة. وسنة بعد سنة، تتزايد الأهمية السياحية لجزيرة الفصح بسبب وجود آثار ت-shell الروس عملاقة لأنواعها منحوتة في صخور بركانية. وبعض هذه الروس المنحوتة تصل إلى علو ١٢ متراً، وتزن نحو ٥ طنًا عدا القاعدة التي تحملها. وما تزال الأسئلة حول كيفية نحت هذه الروس، وكيفية وضعها على قواعدها الحجرية موضوع بحث ودراسة. وثمة أسئلة أخرى تتناول أصول لغة السكان المحليين وفنونهم.

إذا عثر في الجزيرة على ألواح خشبية عليها كتابات بشكل رسوم تدل على وجود لغة مكتوبة ومبنية لنظام دقيق.

ولم يتمكن أحد بعد من العلماء

التماليل العمالقة في جزيرة المصبح.



٢٧٥ ألف نسمة. عندها تبدأ منطقة البحيرات الشهيرة.

* رانكاغوا **Rancagua**: مدينة تشيلية. تعداد نحو ٢٢٥ ألف نسمة.

* سان برناردو **San Bernardo**: مدينة تشيلية. تعداد نحو ٢٢٥ ألف نسمة.

* سانتياغو **Santiago**: عاصمة التشيلية. تقع في مناطق المضاب وسط البلاد، مثلها مثل غالبية المدن التشيلية المهمة. تعداد نحو ٥ ملايين نسمة (تقديرات ١٩٩٦). أسسها بيترو دو فالديفيا؛ وبنيت، مثلها مثل غالبية المدن في مناطق أميركا التي كانت مخاضعة للاستعمار الإسباني، وفق خطط عمراني اعتمد المربعات المستaggered. كاتدرائية ذات طراز نيو كلاسيكي. جامعة تتمحور حولها الحياة الثقافية في البلاد. تتمتع المدينة بمناظر طبيعية خلابة، وهي محاطة بجبال تكسوها الثلوج طيلة أيام السنة.

* شوكيكاماطا **Chuquicamata**: منطقة في التشيلي تضم أهم مناجم النحاس في العالم.

* فالباريزو **Valparaíso**: ثاني أكبر مدينة في التشيلي بعد العاصمة التي تبعد عنها ١٦٠ كيلم. تعداد نحو ٤٠٠ ألف نسمة. في القرن التاسع عشر، وقبل شق قناة بناما، كانت فالباريزو ميناء مهمًا جدًا للبواخر التي كانت مضطرة لاحتياز كاب هورن للبلوغ الشاطئ الغربي من أميركا الشمالية. والجزء الأكبر من التجارة البحرية في الباسيفيك كان يعبر المدينة التي تحولت أكبر مركز توزيع للمنتجات الأمريكية والأوروبية. الشركات البريطانية بنت فيها مكاتب ومنشآت شبيهة بتلك المعروفة في المدينتين البريطانيتين، دوفر وليفربول.

مدن ومعالم

* أنتوفاغاستا **Antofagasta**: مدينة تشيلية. على الساحل وطريقها ميناء. قاعدة مقاطعة نورتي غراندي. تبعد ١١٨٦ كيلم عن العاصمة سانتياغو. تعداد نحو ٢٥٠ ألف نسمة. غنية بالنحيرات والنحاس. مرفاً صيد. جامعة. كرسى أسقفي. ومقاطعة أنتوفاغاستا التشيلية: الحالية هي نفسها إقليم أتاكاما البوليفي سابقًا الذي كانت التسلية قد ضمته إليها بعد حرب الباسيفيك في ١٨٨٤. وتبلغ مساحة المقاطعة ١٢٣٠,٦٣ كيلم م²، وتعداد نحو ٦٠٠ ألف نسمة.

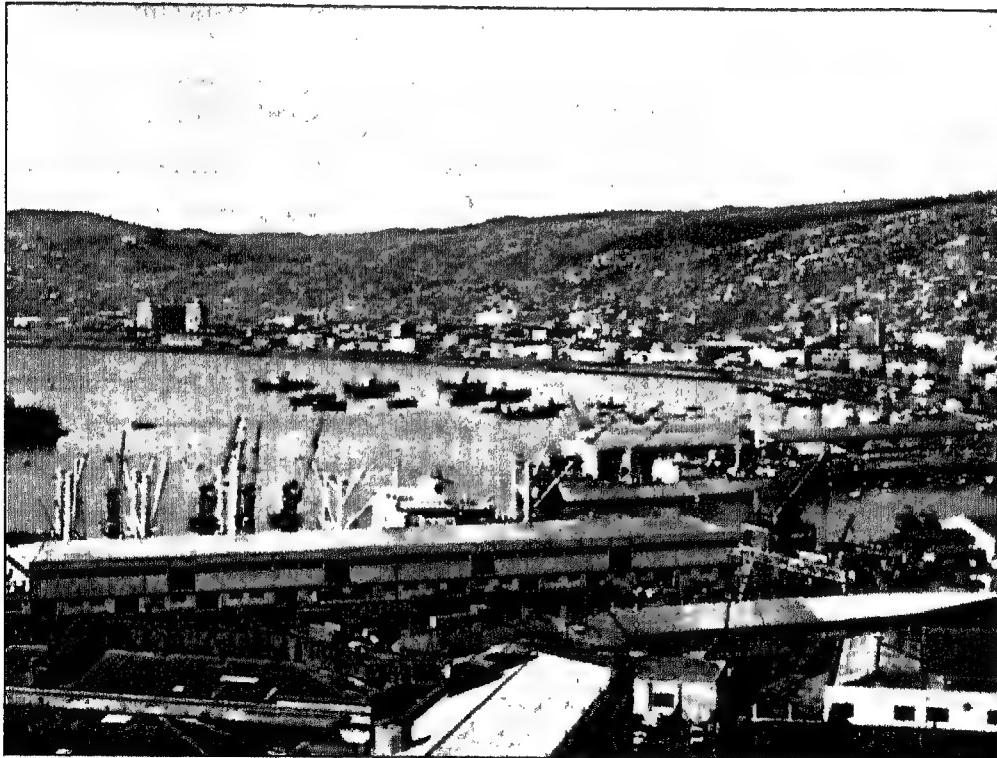
* إيكويك **Iquique**: قاعدة مقاطعة تاراباكا. تأسست في القرن السادس عشر. ميناء حديث.

* بونتا أريناس **Punta Arenas**: آخر مدينة في العالم واقعة جنوب الكورة الأرضية. تأسست في ١٨٤٧. قاعدة مقاطعة ماجلان. وتقع على الضفة الشمالية من مضيق ماجلان. أكثرية سكانها يعملون في تربية الخراف، أو في الصناعة النفطية الآخذة في النمو في منطقة أرض النار.

* بيورتو مونت **Puerto Montt**: مدينة تشيلية واقعة عند الحد الفاصل بين المناطق التي تشكل وسط تشيلي والمناطق التي تشكل جنوبها.

* تالكاوهيلانو **Talcahuano**: مدينة تشيلية. واقعة على بعد ٥٩٤ كيلم من العاصمة سانتياغو. تعداد نحو ٢٧٥ ألف نسمة.

* تيميكو **Temuco**: مدينة في وسط تشيلي. تبعد ٦٧٦ كيلم عن العاصمة. تعداد نحو



فالباريزو، أكبر ميناء في أميركا اللاتينية على الخط الأحادي.

ورمال شاطئها البيضاء وفنادقها الحديثة وحدائقها وعماراتها القديمة والحديثة.

* **كونسيسيون Concepcion**: ثالث مدينة في التشيلي، تقع نحو ٣٧٥ ألف نسمة. تقع على نهر بيو-بيو، قرب الشاطئ الباباسييفيكي، وفي وسط منطقة زراعية مزدهرة. مدينة صناعية وبخارية. جامعة شهيرة. حرقها هنود الأروكون (Araucans) مرتين في القرن السادس عشر؛ ودمرتها الزلازل أربع مرات في ما بعد. أعيد بناؤها على بعد عدة كيلومترات من موقعها الأصلي بعد زلزال ١٧٣٠. وأعيد بناؤها مرة ثانية بعد زلزال الأعير في ١٩٣٩.

* **لا سيرينا La Serena**: إحدى أهم مدن منطقة نورتي شيكيو. واقعة على نهر الكوي، أسسها بيترو دو فالديفيا، وما تزال تحتفظ بعدد

مسقط رأس رئيس التشيلي سلفادور اللنبي.

* **فالديفيا Valdivia**: مدينة تشيلية واقعة جنوبى مدينة كونسيسيون عند ملتقي نهر كال ونهر كروسن، وتحمل اسم مؤسسها بيترو دو فالديفيا الذي أسس عدداً من المدن التشيلية الأخرى. مركز مهم للتجارة النهرية، وميناؤها النهرى يعرف حركة ناشطة. مركز اصطيفاف يقصده عدد كبير من المصطافين والسياح خاصة وأن المدينة واقعة على طريق تيميكو التي تبدأ منها منطقة سياحية من الطراز الأول، وهي منطقة البحيرات.

* **فينا دل مار Vina del Mar**: مدينة تشيلية، تبعد ١٥١ كيلم عن العاصمة، و٦١ كيلم عن فالباريزو. تقع نحو ٣٥٠ ألف نسمة. أشهر المسابح والحمامات على الباباسييفيك بفضل مناخها

شيكو (Norte Chico)، وهي غنية أيضًا بالنحاس. وفيها أيضًا المراعي. أهم مدنها لا سيرينا.

المنطقة الوسطى، تبدأ من نهر ريو أكونكاغوا الفاصل بينها وبين نورتي شيكو. وهي منطقة خصبة، وتضم أكثرية التشيليين. أهم مدنها: سانتياغو العاصمة، فالباريزو، وفينا دل مار، وكونسبيسيون، فالديفيا.

الجنوب، بعد فالديفيا، مدينة ببورتو مونت التي تبدأ معها المنطقة الجنوبيّة من التشيلي، وهي منطقة لا تشبه بشيء المنطقة الشماليّة ولا الوسطى.

ففي حين تمتد سلسلة جبال الأندرز بشكل متصل حتى أرض النار، تغوص السلسلة الساحلية في البحر حيث تتكسر إلى آلاف الزقاقات البحريّة والجزر الصغيرة. لا طرقات، والتنقل يتم بواسطة الطائرات أو المراكب. غابات كثيفة تغطي المنطقة، وتتوقف فجأة عندما تبدأ المنطقة الثالجية عند ضفاف مضيق ماجلان. وهذا المنظر الطبيعي الذي يتلاقي عنده الأطلسي والباسييفيكي محاط بجبال من الثلوج والجليد. على اليسار سلسلة جبال دل باين، وعلى اليمين، سلسلة جبال داروين (أطلق عليها هذا الاسم تخليدًا لذكرى العالم الانكليزي الشهير) التي تمتد حتى كاب (رأس) هورن. أهم تجمع سكني في المنطقة الجنوبيّة هو في مدينة بونتا أريناس.

كبير من مبانيها القديمة، ما يضفي على المدينة طابعًا مميزًا أخاذًا. وفيها كاتدرائية تعود إلى أولى سنوات نشأتها. من مبنائها كوكيمبو، يتم تصدير المعادن، والفاكهه والشعير إلى أرجاء العالم.

*** نورتي غراندي Norte Grande**
والتقسيمات الجغرافية الثلاثة: الشمال والموسط والجنوب: تشكل منطقة نورتي غراندي كل الجزء الشمالي من تشيلي. وتحتل صحراء أناكاما، التي تمتد على ٩٥٠ كيلومتر طولياً من حدود البيرو، الجزء الأكبر من نورتي غراندي. غير صالحه للزراعة ولكنها غنية جداً بالثروات المتجمدة، خاصة مناجم النباتات والنحاس التي هي عماد الاقتصاد التشيلي منذ أكثر من قرن من الزمن. وأجيال بعد أجيال من العمال جاءت للعمل في مناجم هذه المنطقة، خاصة منجم شوكامانا للنحاس، الأكبر والأهم في العالم. عدد من القرى المهجورة والارصفة المتروكة تنتشر عند الشاطئ، إذ كان يستخدمها عمال النباتات الذي لم يعد قيد الاستثمارمنذ عقود قليلة. أهم مدن نورتي غراندي: أنتوفاغاستا، وهي قاعدة المنطقة، وإيكويك.

جنوبي نورتي غراندي، تبدأ وادي ريو كوبیاغو التي تؤشر على نهاية الصحراء جهة الشمال وبداية المناطق الزراعية والخصبة جهة وسط البلاد. يطلق على هذه المنطقة إسم نورتي

مضيق
ماجلان.



زعماء ورجال دولة

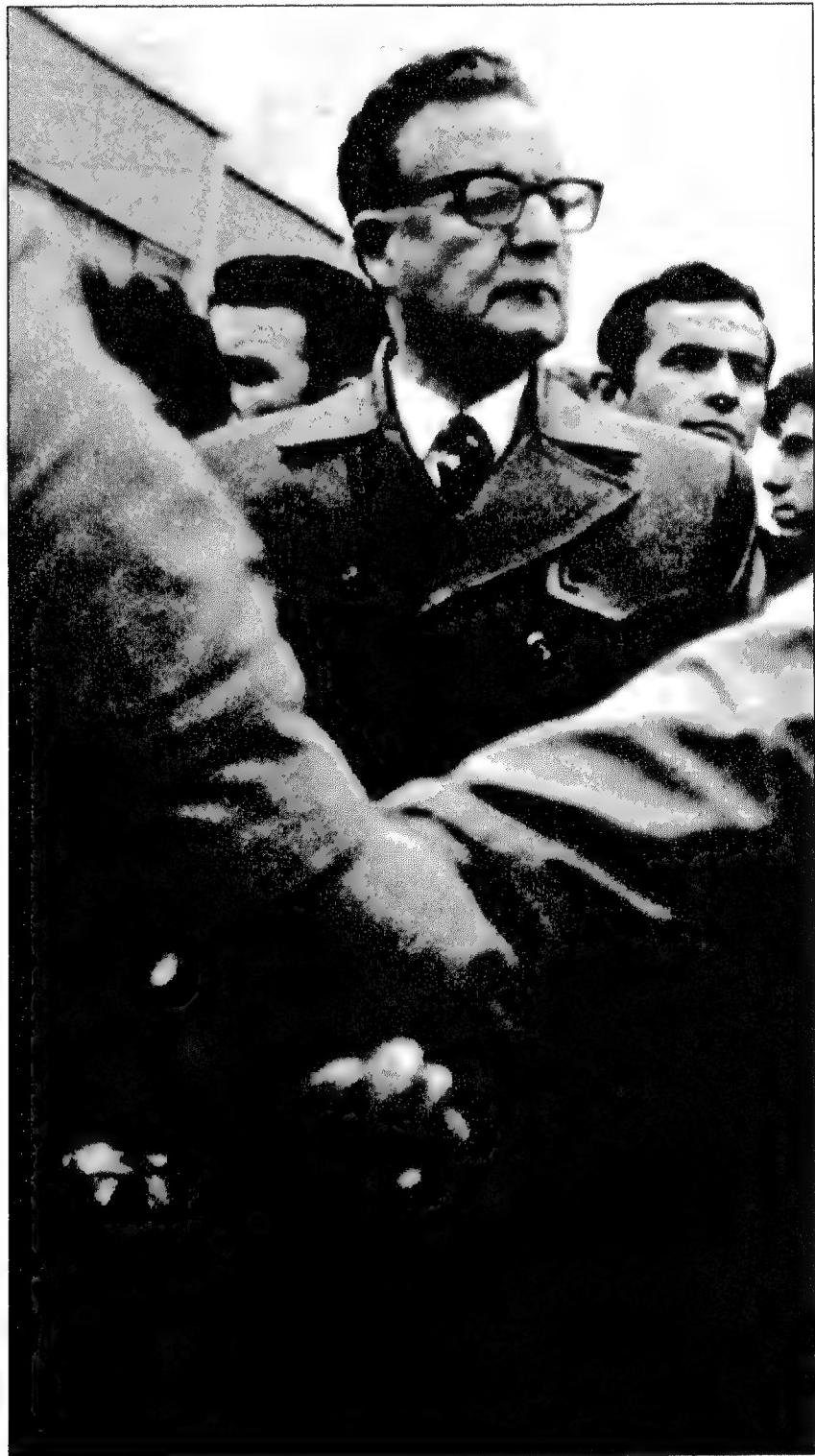
١٩٧١، حصل حزبه على ٤٩,٧٥٪ من اصوات المترعدين، لكن في ٢٠ تموز من السنة نفسها، فقدت حكومته الأغلبية في المجلس (النواب والشيوخ). فعرفت التشيلي عاماً من الاضطرابات والاضطرابات التي احيرت اللندني على اجراء تعديلات وتعديلات وزارية عديدة حتى اضطرب، في تشرين الاول ١٩٧٢، على توزير عسكريين في حكومته. في آذار ١٩٧٣، نال حزبه (الوحدة الشعبية) ٤٣,٩٪ من الاصوات، لكن كان على اللندني ان يواجه اضطرابات خطيرة في أجواء تصضم هائل (٢٥٪ في العام الواحد)، ووسط ضغوطات من حركة اليسار الشوري من جهة، ومن الحركة الفاشية («وطن وحرية») من جهة ثانية. في ٧ ايلول ١٩٧٣، أُعلن عن استعداده لاجراء استفتاء شعبي عام حول سياساته، لكن بعد أربعة ايام (في ١١ ايلول)، فوجئ بانقلاب عسكري عليه بقيادة قائد الجيش وعضو الحكومة منذ ٢٥ آب ١٩٧٣، أغستو بینوشيه أوغارتا. وأثناء هجوم الانقلابيين على القصر الرئاسي، لاقى اللندني مصرعه؛ فأعلن الانقلابيون انه انتحر، في حين رجحت الأنباء العالمية أنه قتل وهو يقاوم، وفي يده الرشاش الذي كان قد أهداه إيه الزعيم الكوبي فيدل كاسترو.

* **پینوشیه، أغستو Pinochet,A.** (١٩١٥-): عسكري وسياسي ورئيس المجلس العسكري الذي حكم التشيلي دكتاتورياً عقب انقلاب ايلول ١٩٧٣ العسكري حتى انتخاب الرئيس إيلوين (راجع البذنة التاريخية)، لكنه بقي قائداً للجيش، وحددت مدة بقائه في هذا المنصب حتى آذار ١٩٩٧. عاشه (پینوشيه) من أصل فرنسي، هاجر من منطقة بريطانيا الفرنسية في القرن الثامن عشر. عسكري كلاسيكي. معجب بالدكتاتور الإسباني فرنكو، ويتعذر مثلاً بختنه. ترك السلطة

* **اللندنی، سلفادور Allende,S.** (١٩٠٨-١٩٧٣): سياسي ورجل دولة ورئيس التشيلي (١٩٧٠-١٩٧٣). ولد في مدينة فالباريزو التشيلية من أبو محام. درس في تاكادا، فالديفيا والفالباريزو، وأصبح طيباً وأقام في سانتياغو حيث بدأ نشاطه السياسي وانتخب نائب رئيس اتحاد الطلاب. من أكثر الموضوعات التي شغلت نشاطاته السياسية، في الفترة الأولى، نضاله ضد البيوس في مدن الصفيح التي تلف العاصمة سانتياغو. كان أحد مؤسسي الحزب الاشتراكي في ١٩٣٣. سجن مرتين، وانضطر إلى ترك الدراسة في الجامعة والعمل كطبيب اسنان مساعد، ثم كطبيب في أحد الدور لرعاية المختلين عقلياً. في ١٩٣٨، انتخب نائباً، وقاد الحملة الانتخابية الرئيسية لمصلحة المرشح أغيري سيردا، أول رئيس عن الجبهة الشعبية في التشيلي. في ١٩٤٢، دخل الحكومة وزير الصحة وحاكمًا لصندوق الضمان العامل. في ١٩٤٥، انتخب سيناتوراً، ثم نائب رئيس مجلس الشيوخ. ترشح ثلاث مرات لرئاسة الجمهورية، منها في ١٩٦٤ حيث كان مرشحاً بصفته رئيس «الجبهة الثورية للعمل الشعبي» ضد منافسه (الذي ينجح) إدواردو فراي (ديمقراطي مسيحي). في المرة الرابعة، فاز بالرئاسة في ٤ ايلول ١٩٧٠ ضد جورج أليستادي (سياسي حافظ).

في ٤ تشرين الاول ١٩٧٠، صدق البرلمان على انتخابه. وفي ٤ تشرين الثاني، حلّ رسمياً إدواردو فراي وأقام في القصر الرئاسي «لامونيدا». واجهته أوضاع اقتصادية صعبة ومعقدة، فجاهدها بتسريع الاصلاح الزراعي الذي كان فراي قد باشر به، وتأمين صناعة التحاس، ومحاولة زيادة القدرة الشرائية لدى التشيليين. وفي آذار

٤٩ تسلی



سلفادور اللندي.



أغستو بيتوشيه.

فوجيء بالاستفتاء يأتي لغير صالحه. وبصعوبة بالغة قبل يومها خوض اللعبة حتى نهايتها فتحى أمام انتخابات شعبية حاوت بالرئيس إيلورين إلى الحكم» (من «الحياة»، تيارات، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٥).

بقي قائداً للجيش، لكنه كان يرى معاونيه يتسلطون واحداً بعد الآخر، وبعضهم يسجن بهم تصل أحياناً إلى حد ارتکاب المجازر إبان انقلاب ١٩٧٣ وبعده، على رأسهم الجنرال كونزيراس رئيس الشرطة السرية (السياسية) في التشيلي في عهد بيتوشيه، الذي اتهمته واشنطن بالوقوف وراء اغتيال أو لارندو لوبيز وزير الخارجية التشيلي في عهد اللندى، والذي اغتاله

بطريقة مشابهة إلى حد كبير لطريقة فرنكوا في تركه للسلطة في إسبانيا. اختار فرنكوا قبل موته أن يعيد «الحق إلى نصابه» باعادة الملك خوان كارلوس إلى العرش الإسباني، اختار بيتوشيه، في ١٩٨٨، أن يطرح منصبه كرئيس للبلاد على استفتاء شعبي. والحال أن بيتوشيه «كان فريداً في نوعه في ذلك الاختيار، في بلد أميركي لاتيني، أو لعله كان، انطلاقاً من المعلومات المخاطلة أو المبالغة التي ينقلها إليه معاونوه، يعتقد ان الاستفتاء سوف يكون لصالحه. فالاعتزاد بالنفس والوثوق بأن التشيليين سوف يواصلون مدى حياتهم الاعتراف له بالفضل في تخلصهم من الماركسية، كان من سمات بيتوشيه، ومن هنا كان يومها أول من

لوبتويه، أنهى دراسته الثانوية في سانتياغو، وأتم دراسة الحقوق في الجامعة الكاثوليكية. كتب دراسة حول «نظام الأجرور وشروط إلغائه»، فتال على أثرها درجة «محام». وكان بدأ ينشط في حركات العمل الكاثوليكي وهو طالب جامعي، فتشكلت حوله نواة من الشباب كانت أساس الحزب (والتيار) الذي سيصبح في ما بعد «الحزب الديمقراطي المسيحي التشيلي».

في ١٩٤٣، حال في أوروبا وكان رئيساً لبعثة من الشبيبة الكاثوليكية في بلاده. وثمة آراء متناقضة حول الأفكار التي تأثر بها في جولته هذه. لكن الرأي الغالب انه تأثر، على وجه الخصوص، بأفكار حيواني بابيني، جاك ماريستان وجيل روبل. وبين الرأسمالية والشيوعية، كان الفكر الكاثوليكي

رجال كونتيراس في واشنطن العام ١٩٧٦ في ١٩٩٥، وقل نحو عامين من انتهاء المدة المحددة لشغل منصب قائد الجيش، عاد بينوشيه إلى الأضواء مع عودة الحديث عن إمكانية قيام انقلاب عسكري في التشيلي بسبب انتحاري الديمocrطي الذي عاد مجدداً، من خلال الرئيس إيلوين وبعدة الرئيس الحالي إدواردو فراري الابن، بدأ يغيط العسكري. فزار بينوشيه الرئيس فراري (في تشرين الثاني ١٩٩٥) وقال له: «أرجو منكم ألا تخربوا العسكريين على القيام بانقلاب عسكري». لكن الحديث الانقلاب سرعان ما عاد واحتفى من أجواء التشيلي، كما من وسائل الإعلام العالمية، وما هي إلا شهور وتنتهي مدة وجود بينوشيه على رأس قيادة الجيش التشيلي.



إدواردو فراري.

* فراري، إدواردو Frei,E. (١٩١١-١٩٨٢): سياسي ورجل دولة ورئيس سابق للجمهورية التشيلية (١٩٧٠-١٩٦٤). والد الرئيس الحالي إدواردو فراري (١٩٩٤-). ينتمي إلى جيل السياسيين الذين بدأوا حياتهم السياسية بصف اهتماماتهم على إيجاد حلول لانقاذ البلاد من الأزمة الاقتصادية العالمية الكبرى (١٩٢٩) في إطار من ديمقراطية وليدة بدأت تشق طريقها على أيديهم، فحكموا حتى الانقلاب العسكري في ١٩٧٣. وهكذا تطابقت السنوات الخمسين السياسية من حياة إدواردو فراري مع ولادة هذه الفترة التاريخية من حياة التشيليين ومع صعودها وتالقها، وكذلك مع موتها في ١٩٧٣. وقد اعتاد المورعون على إطلاق تسمية «دولة التسوية» على هذه الفترة. وإذا ما استثنى سلفادور أللendi، فليس هناك من شخصية سياسية طبعت الحياة السياسية التشيلية، طيلة هذه الفترة، على قدر ما فعلت شخصية إدواردو فراري.

والده سويسري مهاجر وأمه تشيلية. قضى طفولته في قرية ريفية واقعة في وسط البلاد، تدعى

١٩٧٠

في هذه الانتخابات (ايلول ١٩٧٠)، كان رادوفيرو توبيك مرشح الديمقراطي المسيحي، وقد جاء في آخر لائحة المرشحين الثلاثة: سلفادور اللندي (الذى فاز)، حورج أليستوري رئيس سابق للجمهورية ومرشح اليمين. وأخذ إدواردو فراري جانب المعارضة وتزعمها، وانتخب سيناتوراً عن سانتياغو في ١٩٧٣، ثم رئيساً مجلس الشيوخ. لكن انقلاب ايلول ١٩٧٣ العسكري لم يمكن فراري ولا الحزب الديمقراطي المسيحي من حي أي مكسب على صعيد السلطة، ذلك أن هذا الانقلاب قضى على النظام برمهه وعلى رجالاته السياسيين. كتب فراري رسالة لرئيس الديمقراطي المسيحي العالمية، ماريانو رومور، يبرر فيها التدخل العسكري (والانقلاب) في الحياة السياسية التشيلية. كان ذلك بعد وقت قصير من الانقلاب. لكنه، ابتداءً من ١٩٧٥، أخذ يبحو، تدريجياً، باتجاه معارضته النظام العسكري، وكان على رأس القوى السياسية التي رفضت الدستور الجديد المعروض على الاستفتاء في ١٩٨٠.

يوم تشيعه غصت سانتياغو بالجماهير المشيدة التي لم تعرف العاصمة مثيلاً لها منذ ١١ ايلول ١٩٧٣.

* كورفالان، لويس، Corvalan, Luis

(١٩١٦-) : سياسي وزعيم الحزب الشيوعي التشيلي. عمل مدرساً ثم صحافياً، وانضم إلى الحزب الشيوعي في ١٩٣٢، وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ التشيلي في ١٩٦١. سكرتير الحزب الشيوعي التشيلي (١٩٥٨)، وكان من أكثر المترحمين بجبهة «الوحدة الشعبية»، وأكثرهم اعتدالاً وواقعية. وبعد سقوط حكومة الوحدة الشعبية (١٣ ايلول ١٩٧٣)، اعتقل بعد أسبوع، وسجن ونفي إلى جزر داوسون (Dawson) في أقصى جنوب التشيلي لمدة ثلاثة سنوات. وبذا ان

مياً إلى الأخذ بالحرفية، أي النظرية الاقتصادية الاجتماعية التي تقول بإيجاد مسوّات حرفية نقابية تخوّل سلطات اقتصادية واجتماعية وسياسية، على أساس تقارب طبقت فعلًا في إيطاليا والمانيا، وفي ما بعد في إسبانيا. وعلى أية حال، فأثناء هذه الجولة في أوروبا، عزم فراري على الانخراط في العمل السياسي.

فور عودته إلى التشيلي، في نهاية ١٩٣٤، تصد الإقامة في شالي البلاط، في مدينة إيكويك، حيث ترأس تحرير جريدة «ال تارابكا». ثم وضع كتابه الأول «تشيلي الجمهورية». مسيرته السياسية، ابتداءً من ذلك الوقت، اقتربت بحزبه الكتاب الوطني، في مرحلة أولى، ثم بالحزب الديمقراطي المسيحي التشيلي الذي ارتبط به حتى وفاته.

ترأس إدواردو فراري حزب الكتاب الوطني بين ١٩٤١ و١٩٤٦، وأصبح وزير الاشتغال العامة في ١٩٤٦، وسيناتوراً (السيناتور) من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٤، ثم من ١٩٧٣ حتى وفاته.

في ١٩٤٧، وقف فراري ومعه حزب الكتاب الوطني، ضد «قانون الدفاع عن الديمقراطية»، الذي دُعي «القانون الملعون»، والذي اعتبر الحزب الشيوعي خارج الشرعية. ومع تأسيس الحزب الديمقراطي المسيحي في ١٩٥٧، وترشيحه لأول مرة لرئاسة الجمهورية في ١٩٥٨، أصبح فراري أحد رجالات السياسة الأساسية في التشيلي، وجاء انتخابه رئيساً للجمهورية (في وجه منافسه سلفادور اللندي) في ١٩٦٤، وفي إطار الشعار الذي طرجه «ثورة داخل الحرية»، ليضع الحزب الديمقراطي المسيحي في أوج مجده. سانده اليسار في سنوات حكمه الأولى بسبب سياسة الاصلاح الزراعي التي انتهجها ولطموحاته الكبيرة في علاقاته الخارجية. وبعد انشقاق الجناح اليساري في حزبه، دعمه اليمين في سياساته التقشفية التي أدت إلى فشل الديمقراطي المسيحي في انتخابات

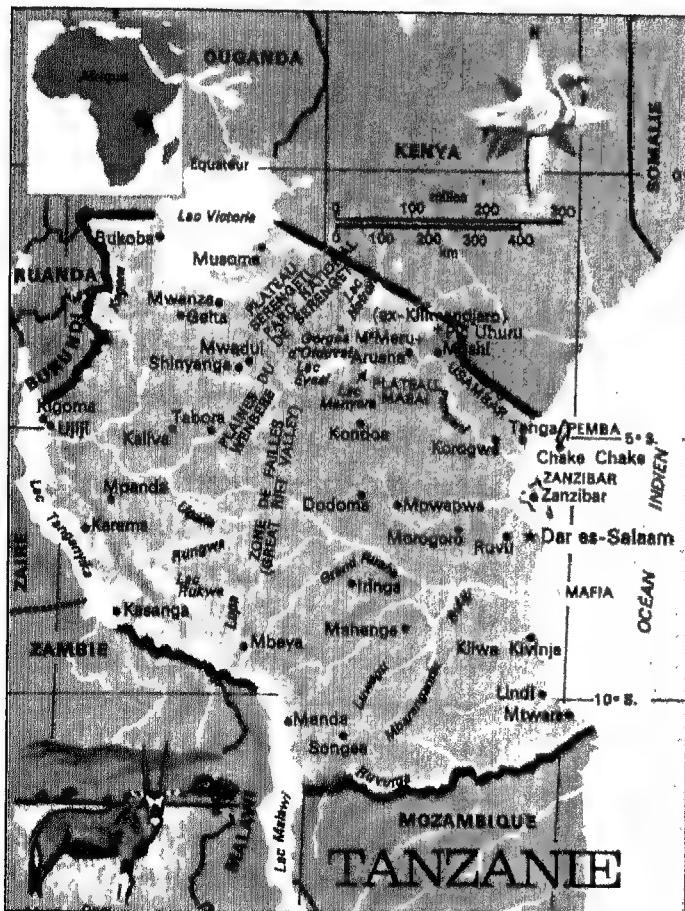
في ١٩٥٧، رئيس جمعية الكتاب في التشيلي. في ١٩٦٠، زار كوبا. من ١٩٦٠ إلى ١٩٧٠، سافر، وأقام في الصين، فرنسا، الاتحاد السوفيتي، هنغاريا، الخ. في ١٩٧٠، مرشح الحزب الشيوعي في الانتخابات الرئاسية في التشيلي، وانسحب منها ليدعم المرشح سلفادور الللندي. في ١٩٧٠، عين سفيراً لبلاده في فرنسا. في ١٩٧١، حاز على جائزة نوبل للسلام. وقع مريضاً فعاد إلى التشيلي في ١٩٧٢، وتوفي في سانتياغو في أيلول ١٩٧٣.

بابلو نيرودا.



مباحثات سرية جرت بين الحكومة السوفياتية والحكومة التشيلية أدت بشكل مفاجئ إلى مبادلة كورفلان بمنشق روسي يدعى يوكوفسكي في ١٩٧٦. فغادر كورفلان إلى موسكو وعاش فيها.

* نيرودا، بابلو P. Neruda (١٩٠٤-١٩٧٣): أديب وشاعر ودبلوماسي وسياسي تشيلي. اسمه الأصلي ريكاردو إيسير نافالي رئيس. ولد في بارال (في التشيلي) في ١٢ تموز ١٩٠٤. توفيت والدته بعد نحو شهر من ولادته. في ١٩٠٦، تزوج والده مرة ثانية وأقام في تيميكو. أول كتابة منشورة له كانت في ١٩١٧ ونشرتها جريدة تصدر في تيميكو. في ١٩٢٠، تبني له إسماً مستعاراً هو بابلو نيرودا. تلقى دراسته الجامعية في سانتياغو في ١٩٢١. في ١٩٢٤، نشر مؤلفه الأول وكان بعنوان «عشرون قصيدة حب ونشيد يائس». في ١٩٢٧، عين قنصلاً في رانغون وتزوج للمرة الأولى. في ١٩٣٣، ففصل في بونس آيرس، حيث قابل لوركا. في ١٩٣٤، ففصل في برشلونة. في ١٩٣٥، ففصل في مدريد. أسس وأدار مجلة «الحصان الأخضر». تزوج، ثانية، من ديليا دل كاريل. في ١٨ تموز ١٩٣٦، وقع التمرد الذي قاده فرنكوا. في ١٩٣٩، ففصل في باريس. اهتم بالطبقة الإسبانية ونظم نقل ٢٥٠٠ جمهوري إلى التشيلي. في ١٩٤٠، ففصل عام في مكسيكو. في آذار ١٩٤٥، انتخب سيناتوراً في التشيلي. وفي أيار من السنة نفسها، منح الجائزة الوطنية للأدباء، وفي تموز انضم إلى الحزب الشيوعي. في ١٩٤٨، قرر غونزاليس فيديلا اعتقاله، فعاش نيرودا متحفياً وكتب «النشيد العام». في ١٩٤٩، تبح في احتياز جبال الأندرز ومتغيرة التشيلي. في ١٩٥٠، طبع «النشيد العام» في مكسيكو. وتقاسم نيرودا، مع بابلو بيكاسو وبول روبيسون، الجائزة العالمية للسلام. في ١٩٥٢، عاد إلى التشيلي. انفصل عن زوجته وتزوج، للمرة الثالثة، من ماتيلد أوروتينا.



تنزانيا

بطاقة تعريف

العاصمة: دودوما Dodoma، ابتداءً من ١٩٩٠، وكانت العاصمة قبلًا دار السلام. تقع دودوما في وسط البر التنزاني، في حين تقع دار السلام على الساحل. وأهم المدن: موانزا، تابورا، مبيا، تانغا (راجع «مدن ومعالم»).
المطاق: أروشا، بوكروبا، دار السلام، دودوما، إيرنغا، كيغوما، كيليمندجaro، ليندي، مارا، مبيا، موروغورو، متوارا، موانزا،umba الشمالية،umba الجنوبية، بواني، روكترا، روفوما، شينييانغا، سينغيدا، تابورا، تانغا، زنجبار الشمالية، زنجبار الجنوبي والوسطى، وزنجبار الغربية.

الاسم: «تنزانيا» من تنجانيقا وزنجبار. والاسم رُكِّب مع إعلان «جمهورية تنزانيا المتحدة» من تنجانيقا وجزيرتي زنجبار وymba.

الموقع: في شرقي أفريقيا المطلة على المحيط الهندي. تحيط بها كينيا، أوغندا، زائير، رواندا، بوروندي، زامبيا، ملاوي، موزمبيق والمحيط الهندي.

المساحة: ٩٤٥ ألفاً و٨٧ كيلم. م. منها ٢٦٤٣ كيلم م. مساحة زنجبار وymba. والباقي، أي ٩٤٢ ألفاً و٣٤ كيلم م. مساحة البر التنزاني الذي تشكله تنجانيقا.

الغابات نحو ٤٢ ألف هكتار، والمراعي ٣٥ ألف هكتار.

متوسط الانتاج السنوي (السنوات الأخيرة): المانيوك (نبات يستخرج من جذوره دقيق نشوي) نحو ٦ آلاف طن، البن ٥٠ ألف طن، قصب السكر مليون و ٣٠٠ ألف طن، الذرة مليونين و ٣٠٠ ألف طن، القطن ٥٩ ألف طن، الموز مليون و ٢٠٠ ألف طن، الأرز ٧٤٠ ألف طن، الشاي ٢٠ ألف طن، الدخان ١٥ ألف طن. وتشكل تربية الماشية وصيد السمك ثروة مهمة للبلاد.

الثروة المنجمية: الفحم (لم يستغل بعد)، الحديد، الماس، الذهب، الملح، القصدير، الجيس، أحجار نصف كريمة.

تشكل السياحة قطاعاً اقتصادياً مهماً، ويبلغ متوسط عدد السياح، في السنوات الأخيرة (١٩٩٥-١٩٩٠) نحو ١٢٥ ألف سائح. وأكثر المناطق التي يقصدها هولاء (طبيعية وأثرية): حفرة نغوروندي (٦٥٠٠ كلم م.)، مدّرّج بعرض ٢٠ كلم وعمق ٦٠٠ م)، مضيق أولوففافي، متنزهات، وخاصة على بحيرة مانيمار، و«بيت العجائب» وقلعة تعود إلى القرن الثامن عشر ومتحف في زنجبار.

اللغات: السواحلية، هي اللغة الرسمية والقومية؛ والإنكليزية، اللغة الثانية.

السكان: يبلغ تعدادهم (تقديرات ١٩٩٦) نحو ٢٧٥ مليون نسمة. وتشير التقديرات إلى أنهم سيبلغون نحو ٤١ مليوناً في العام ٢٠٠٠. يتمون بأكثريتهم الساحقة إلى قبائل البانتو التي تشكل نحو ٩٥٪ منهم. والنسبة المتبقية تتوزع على قبائل سوكوما، شاغاس، ماكوند وهایاس. وهناك نحو ٧٠ ألف لاجيء من بوروندي. المسلمين (سييون، شافعيون، إسماعيليون) يشكلون نحو ٣٤٪ من جموع التanzanians، والمسيحيون (كاثوليك وبروتستانت) نحو ٣٦٪.

الحكم: جمهوري. الدستور المعمول به صادر في كانون الثاني ١٩٨٥، معدل في آيار ١٩٩٢. رئيس الجمهورية يتُخَبَّب بالاقتراع الشامل والماشر لمدة خمسة أعوام. الجمعية الوطنية من مجلس واحد مكون من ٢٩١ عضواً.

أهم الأحزاب: شاما شا مايندوزي (حزب الثورة، وكان الحزب الحاكم الوحيد من ١٩٦٥ إلى ١٩٩٢) أعيد تأسيسه في ١٩٧٧.

الاقتصاد: مساحة الاراضي الزراعية نحو ٤ آلاف هكتار، والمزروعة منها نحو ألف هكتار.

وذلك في ١٨٤٨. ورفض أغلب الأوروبيين تصديقه عندما روى لهم أنه رأى هناك جبالاً مغطاة بالثلوج.

سلطنة عربية واستعمار اوروبي:

كانت زنجبار، طيلة القرن التاسع عشر، سلطنة عربية قوية، استطاعت السيطرة على تجارة العاج والعيدي على طول الشواطئ الشرقية من أفريقيا. وكان لتحرير تجارة العيدي، وللحروب الداخلية الخلية أن أضعف من شأن الشركات الأفريقية، فبدأت الدول الأوروبية تعمل على تقسيم أفريقيا في ما بينها. فاستولت بريطانيا على زنجبار وجعلتها حمية، وأبقيت على السلطان العربي ونصبه رئيساً للحكومة الخلية، في حين كانت تنحانيقاً من حصة ألمانيا.

اتفاقية زنجبار (١٨٩٠): وهي

اتفاقية استعمارية بين بريطانيا العظمى والأمبراطورية الألمانية في أول تموز ١٨٩٠، وتسمى أيضاً اتفاقية هلغoland-Zanzibar Helgoland-Zanzibar الموقف الأوروبي من تقسيم أفريقيا إلى مناطق نفوذ تسيطر عليها القوى العظمى في نهاية القرن التاسع عشر، وتدل على رغبة ألمانيا في التقارب من بريطانيا العظمى بعد التخلص عن حلف بيسمارك مع روسيا. وقد ترتب على الاتفاقية تخلي ألمانيا لبريطانيا عن مطالبتها السابقة في حمية زنجبار والشاطئ الشرقي الأفريقي بين ويترو ونهر جوبيا، مقابل اعتراف بريطانيا بالنفوذ الألماني على منطقة تقع في شرق أفريقيا وتمتد شمالاً من

نبذة تاريخية

وجود بشري قديم: دلت حفريات أجريت حديثاً في شمالي تنحانيقاً (البر التنزاني، أي كل أراضي تنزانيا باستثناء زنجبار وبهبا) عن وجود بقايا بشرية كان أصحابها يعيشون في المنطقة منذ حوالي خمسة ألف سنة. وأطلق العلماء عليهم إسم «رجل زنجانثروبوس» Zinjanthropus، واعتبروه أقدم رجل اكتشف حتى الآن. وقد سبق للأغريق القدماء أن وصلوا إلى تلك الشواطئ.

دخول الاسلام: دخل الاسلام المنطقة في القرن الثامن، وأول من حمل لواءه هناك سبعة أخرى قدموا من شبه الجزيرة العربية، وأسسوا سبعة مراكز تجارية. ودلت الدراسات الأثرية عن وجود مدن عربية، تعود إلى القرن العاشر، منتشرة على الشاطئ.

ال الأوروبيون: في ١٤٩٩، توقف فاسكو دي غاما في زنجبار بينما كان في طريقه إلى الهند ليتمكن من ماء اللغة والأغذية. وخلال القرنين اللاحقين، أشرف البرتغاليون على عدد من المدن التجارية الواقعة على شواطئ أفريقيا الشرقية، ولم يتغللوا إلى داخل المناطق. وأول الذين وصلوا إلى كيليمندجارو (المسمة اليوم بيك أوهورو، والواقعة على الحدود مع كينيا) كان أحد المبشرين المدعى جوهانس ريمان،

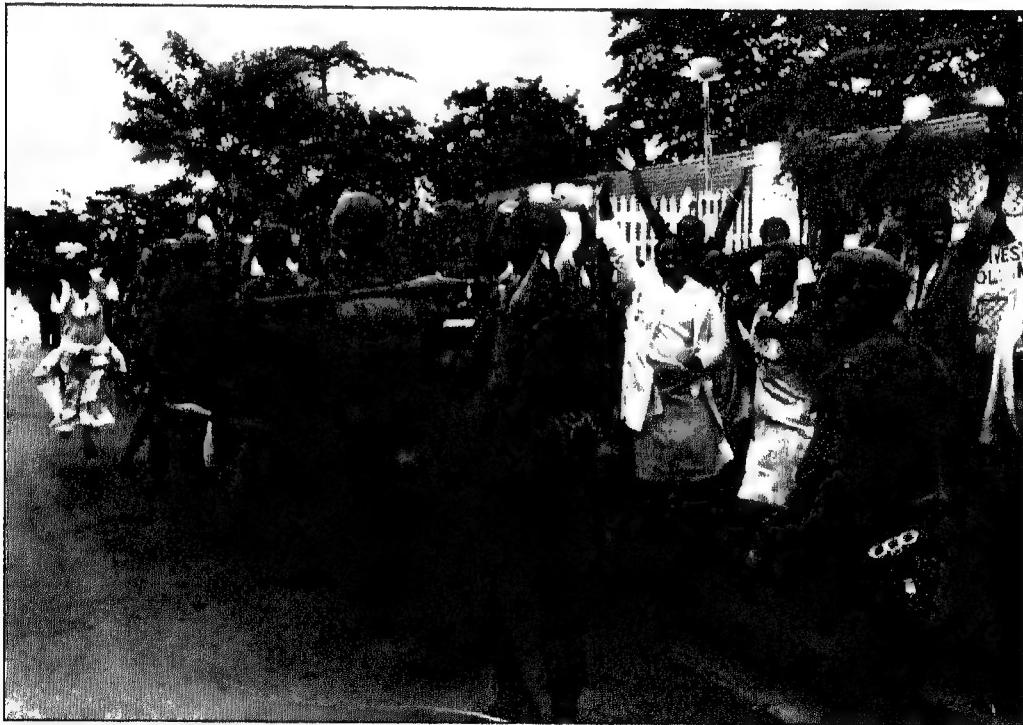


في قوز ١٩٦٣، الرئيس الاميركي جون كيبيدي مستقبلاً، في البيت الابيض، جوليوس نيريري رئيس جمهورية تنزانيا.

عهدت إلى بريطانيا بادارتها؛ وفي ١٩٤٦، أصبحت تحت وصاية الأمم المتحدة وإدارة بريطانيا.

الاستقلال والرئيس نيريري: في السنوات الأولى التي اعقبت الحرب العالمية الثانية، بدأ السكان في البلدين (زنجبار وتنزانيا) يطالبون بزيادة نسب تمثيلهم السياسي، وبالاستقلال. وفي ١٩٥٤، أسس جوليوس نيريري حزب «الاتحاد الوطني الأفريقي في تنزانيا»، واستطاع، وجزءه، أن يقوداً البلاد إلى الاستقلال في ١٩٦١. أما زنجبار فنالت استقلالها في كانون الأول ١٩٦٣ تحت ضغط المطالب الاستقلالية فيها أيضاً، ثم بعد شهر واحد، أطاحت ثورة شعبية نظام السلطنة في زنجبار، واقامت

بحيرة فكتوريا إلى أراضي الكونغو، ومن بحيرة نیاسا إلى تنزانيا. ونصت الاتفاقية على تنازلات متبادلة أخرى بين الطرفين في أحذاء أخرى من إفريقيا. كما تعددت الاتفاقية قارة إفريقيا لتطال بحر الشمال حيث تنازلت بريطانيا للمانيا عن جزيرة هلغولاند (في بحر الشمال)، وهي جزيرة لعبت دوراً أساسياً في تطور القدرة البحرية الألمانية في مطلع القرن العشرين. وبعد توقيع هذه الاتفاقية، بدأ البريطانيون والآشان يتخلون إجراءات لتحديث زنجبار وتنزانيا (مدارس إرسالية وأخرى حكومية، طرقاً وخطوط سكك حديدية...) اللتين ظلتا منفصلتين. وبعد الحرب العالمية الأولى وهزيمة المانيا، وضعـت تنزانيا تحت وصاية عصبة الأمم التي



وحدة من الجيش التنزالي الذي فزا أوغندا (١٩٨١).

الأفرو-شيرازي»، كما عمل على تطبيق نوع من الاشتراكية الملائمة مع ظروف البلاد، خاصة في الريف وإزاء الرعاهة والبدو الذين عمل نيريري على تجميع غالبيتهم في وحدات ريفية تعاونية.

تنزانيا والدول المجاورة: في ١٩٦٧، دخلت تنزانيا وأوغندا وكينيا في اتحاد ثلاثي سمي «الاتحاد دول شرقي إفريقيا». لكن هذا الاتحاد لم يعمر طويلاً، وقد انتهى رسميًا في تموز ١٩٧٧ بعد احتضار وتآزم في العلاقات بين تنزانيا وأوغندا، خاصة بعد الانقلاب العسكري الذي جاء بحكم عيدي أمين في أوغندا، والذي كان يتهم تنزانيا بدعم المعارضة الأوغندية. وقد انتهى هذا التآزم

الجمهورية.

الاتحاد في «تنزانيا»: وبعد نحو سنة واحدة، أي في آذار ١٩٦٤، اتحد البلدان، زنجبار وتنجانيقا، في دولة واحدة هي «جمهورية تنجانيقا وزنجبار المتحدة»، وانتخب جوليوس نيريري، رئيس تنجانيقا، رئيساً لها، وعبد كرومي نائباً للرئيس. وفي ما بعد، اخذت هذه الجمهورية إسم تنزانيا. وفي ١٩٦٥، أعيد انتخاب نيريري من جديد، وظل محتفظاً برئاسة الجمهورية عن طريق الانتخاب. وقد عمد إلى إقامة نظام الحزب الحاكم الوحيد في كل من تنجانيقا وزنجبار، وهذا الحزب هو «حزب اتحاد تنجانيقا الوطني الأفريقي والحزب

١٩٨٠، أعيد انتخاب جوليوس نيريري لرئاسة الجمهورية للمرة الرابعة. وفي اليوم نفسه، جرت انتخابات تشريعية.

في ١٩٨١ و ١٩٨٢، تدنى الاتساع الزراعي والصناعي، وانعدم وجود المخزونات الاحتياطية في تنزانيا، ما أدى إلى نمو هائل للسوق السوداء. فاضطرت السلطات إلى اتخاذ إجراءات لمكافحة هذه السوق. وقد وصلت الاجراءات المتخذة إلى أقصى درجاتها مع إعلان الرئيس نيريري، في ٨ نيسان ١٩٨٣، قراره إغلاق كل حدود تنزانيا، ومكافحة السوق السوداء بكل أشكالها، ووضع كل وسائل المراقبة البرية والجوية والبحرية في حال استنفار.

في تشرين الثاني ١٩٨٣، عقدت قمة بين رؤساء تنزانيا، أوغندا وكينيا، قررت كينيا وتنزانيا على أثرها إعادة فتح حدودهما المقفلة، وحلت المشكلات المالية بين البلدان الثلاثة العالقة منذ حل الاتحاد مجموعة إفريقيا الشرقية في ١٩٧٧.

كرونولوجيا أهم أحداث العقد

الأخير: في كانون الثاني ١٩٨٣، حرى انقلاب فاشل، واعتقل ٦٠٠ عسكري وألف مدني. وفي كانون الثاني ١٩٨٤، انتخب علي حسن معيini رئيساً لزنجبار خلفاً للرئيس المستقيل عبد جومي، واعتبر هذا الانتخاب نصراً للرئيس التنزاني، جوليوس نيريري، الساعي إلى تقوية الاتحاد بين حكومتي زنجبار وتنزانيا. وفي ٣١ تشرين الثاني ١٩٨٥، انتخب علي حسن معيini (مسلم، مولود ١٩٢٥) رئيساً

إلى حرب مكشوفة بين البلدين استمرت حتى ١٩٧٩، وشاركت فيها القوى الأوغندية المناوئة لنظام نيريري أمين.

وكانت تنزانيا تدعم جهة تحرير موزمبيق «فرييليمو» في نضالها من أجل الاستقلال. من هنا فإن علاقاتها بموزمبيق أصبحت وثيقة جداً بعد حصول الأخيرة على استقلالها في ١٩٧٥. وفي هذا العام، أعيد انتخاب نيريري رئيساً للجمهورية مرة جديدة. وتشكل مجلس وطني جديد بعد التأكيد على أن حزب تنجانيقا الوطني الأفريقي هو الحزب الحاكم الوحيد في قطرى البلاد. وفي شباط ١٩٧٧، تم دمج هذا الحزب بالحزب الأفرو-شيرازي (في زنجبار)، فشكلاً حزباً جديداً سمي «حزب تنزانيا الشوري». وصدر دستور جديد.

(الجدير ذكره أن تنزانيا تمتلكت، بين ١٩٧٥ و ١٩٧٧، من الجاز مشروع ضخم، «مشروع تازارا»، وهو شق طريق بين تنزانيا وزامبيا بطول ١٨٥٩ كلم، وعليها الفا جسر، و ١٩٧٧ نفقاً و ١٤٧ محطة. وقد انجز العمل ١٥ ألف صيني و ٤٠ ألف أفريقي).

دستور جديد ومشكلات اقتصادية:

في دستور ١٩٧٧، احتفظ رئيس «الجمهورية المتحدة» بزعامة الحزب، واللجنة المركزية، ووضعت الحكومة بتصرف رئيسها الذي يعينه رئيس الجمهورية، واحتفظت زنجبار بمؤسسات سياسية خاصة بها (مجلس ثوري، حكومة،...). وفي ٢٦ تشرين الأول

البرلمان البالغ عددها ٢٣٠ مقعداً. وكان في طليعة المرشحين للرئاسة إثنان: بنiamين مكابا (مولود ١٩٣٩) وزير العلوم والتكنولوجيا والتعليم العالي، وهو مرشح الحزب الحاكم «شاما شا مايندوزي»؛ وأوغسطين مريما (مولود ١٩٤٤) عن حزب «الاتفاق الوطني لاعادة الاعمار والتنمية» المعارض. والاثنان الباقيان: ابراهيم ليومبا (مولود ١٩٥٢) عن «الجبهة المدنية الموحدة»، وهو المسلم الوحيد الذي يخوض الانتخابات؛ وجون شييو (مولود ١٩٤٥) وهو رجل أعمال ويرأس «الحزب الديمقراطي الموحد».

لتزانيا، وأعيد انتخابه في ٧ تشرين الاول ١٩٩٠ ببيله ٩٥,٥٪ من الاصوات. وفي ٢٠ تموز ١٩٩٠، حلّ المجلس النيابي. وفي أول ايلول ١٩٩٠، زار البابا يوحنا بولس الثاني تزانيا. وعرفت المناطق الشمالية من البلاد الجماعة طيلة ١٩٩١. وفي أول ايار ١٩٩٢، صدر قانون يسمح بـ تعدد الاحزاب.

في اواخر تشرين الاول ١٩٩٥، جرت انتخابات رئاسية وبرلمانية شاركت فيها احزاب متعددة للمرة الاولى في تاريخ البلاد. وتنافس أربعة مرشحين على الرئاسة وأكثر من ١٣٠٠ مرشح على مقاعد

زنجبار في إطار الوجود العربي الاسلامي في شرق افريقيا - سلطنة كلوى:
تعرف باسم كلوى مواضع وجزر عدة قرب ساحل شرق افريقيا، إلا ان أشهرها كلوى التي تحدث عنها الرحالة ابن بطوطة عند زيارته لها في العام ١٣٣١. وتعرف اليوم باسم «كلوى كيسيواني»، وهي تقع على جزيرة صغيرة قرب ساحل تزانيا الجنوبي على بعد نحو ٢٠٠ كلم جنوب العاصمة السابقة دار السلام.

زنجبار (أنجوجا وبجا)

(هذه المادة تستند إلى الدراسات التي كتبها محمد علام- استاذ جامعي في أوكتسفورد، إنكلترا- من زنجبار ودار السلام في تزانيا، ونشرتها «الحياة» في اعدادها: عدد تاریخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٣، ص ٤١ عدد ١١٢٥٣ و ١١٢٥٤، تاریخ ٥ و ٦ كانون الاول ١٩٩٣، ص ٤١٤؛ عدد ١٤٠٢، تاریخ ٦ ایار ١٩٩٤، ص ٢٢).



السلطان سعيد سلطان زيجار.

جعل رجالنا يتشوّدون للاستيلاء عليها». وهذا ما حدث بالفعل إذ استولى البرتغاليون على كلوي عنوة العام ١٥٠٥، وعاثوا بها، ونهبوا ثرواتها وقتلوا بسكانها الآمنين. وذكر الماني (هانس مایر) كان يرافق الحملة البرتغالية ان بكلوي العديد من المساجد ذات الارواقة والقباب، ويشبه احدها جامع قرطبة.

ووصف كلوي المؤرخ البرتغالي المعروف دوراتي بربوسا (١٥١٨) بأنها «مدينة إسلامية... يرتدي سكانها ثياباً حسنة من القطن والحرير

كانت كلوي عاصمة سلطنة امتدت اراضيها في أواخر القرون الوسطى من نهر روفيجي Rufigi إلى سفاله على ساحل موزمبيق. وكانت -حتى قドوم البرتغاليين- أكثر المدن التجارية الإسلامية في شرق أفريقيا رخاءً وازدهاراً لاحتكارها بتجارة الذهب الذي كان يصل إلى سفاله (سفالة الذهب) من مناجمه في ما يعرف اليوم بزمبابوي وموزمبيق. ويُستفاد من كتاب «السلوى في تاريخ كلوي» -المؤلف في أوائل القرن السادس عشر- بأن مؤسسي المدينة قدموها من شيراز بمنطقة الخليج في منتصف القرن الثالث الهجري. وكانت كلوي بادئ الأمر محطة تجارية يومها التجار العرب في منطقة المحيط الهندي للحصول على الذهب والماعاج من الداخل، في مقابل بيع الأقمشة القطنية والحريرية والأواني الخزفية والفضayarة من الشرقيين الأقصى والأدنى ومن الهند. وكان القرن الرابع عشر العصر النهبي لكلوي، فنشطت حركة البناء، إذ أراد سلاطينها أن تكون مدينتهم صورة من عدن وجدة، بل والقاهرة. وما زالت اطلاقاً مساجدها الجامع مائلاً للعيان. كما دلت الحفريات على أن قصر سلطانها من أوائل القرن الرابع عشر كان قصراً رائعاً يذكر المرء بقصور الامويين والعباسيين قبله بخمسة قرون. وكان من نتائج انتشار الإسلام في مدن ساحل شرقى أفريقيا تشييد المساجد وبناء المنشآت من الحجر. والبناء الوحيد الذي ظل قائماً إلى اليوم من القرن الثاني عشر هو المسجد الجامع بكلوي، وهو مثال رائع للمعمار السواحلي في شرقى أفريقيا.

نمث كلوي في القرن الثاني عشر في عهد أسرة مهدي، وأصلها من حضرموت. وذكر المؤرخ البرتغالي بربوسا (اوائل القرن السادس عشر) ان القصر الكبير في كلوي كان من ادوار عده، وهو متأثر بتأثير مباني الحصون في جنوبى الجزيرة العربية. وقد «بدت المدينة من سفننا جميلة ببيوتها البديعة، وماذن مساجدها، وبمساكنها، مما

الخريص الفاخر. وفي الجزيرة مساجد كثيرة،
والسكان متمسكون بالدين».

«شيرازي»: يقول جيمس كيركمان (المورخ الألماني الشهير) «أنه لا شك في أن أقوى المؤثرات في شرقي إفريقيا في القرون الوسطى جاءت من الخليج وهو ليس فارسيًا، كما أن بحر الشمال ليس بحراً ألمانياً». إن معظم سكان ولاية فارس في القرنين التاسع والعشر للميلاد (وبها شيراز وميناؤها سيراف في خوزستان/إيران) عرب لا فرس، وهم الذين يشار إليهم بالشيرازي، شرق، إفريقيا.

وأفضل تفسير للتسمية «شيرازي» هو أنها استعملت لترتبط بين حكام مدن ساحل شرقى إفريقيا وبين أئماد بلاط شيراز العربى-الفارسى فى عهد البوهيميين (٩٣٢-١٠٥٠).

ويبدو ان الشيرازيين القادمين إلى شرقى افريقيا وصلوا من جنوبى الجزيرة العربية، كما يبدو ان الشرفاء «الشيرازيين» فروا من وجه الغزو المغولى للعراق ونزلوا عند أقربائهم فى مقدىشيو، ثم انتقل بعضهم إلى كلوى وحكموها.

ارتبط الشيرازيون بكلوى تدربياً ارتباطاً
تجاريّاً وعن طريق المصاہرة، وهاجر بعضهم إليها.
فبحجز القمر قدم إليها بعض كبار القوم من كلوي
في أواخر القرن الرابع عشر. كما قدم مهاجرون
من الشرفاء من حضرموت واليemen، وشمالتهم
التسمية «شيرازي» في كل هذه الاماكن في شرقى
افريقيا (راجع «جزر القمر» في هذا الجزء).

إن استعمال اللقب «شيرازي» في القرن العشرين في زنجبار والساحل يعني أن صاحبه مواطن من الفترة الأولى التي سبقت وصول العثمانيين في نهاية القرن السابع عشر، وهي الفترة التي كان يحكم فيها شرفاء عرفا بالشيرازي. وإن انتساب حكام المدن الساحلية للشيرازي شبيه بانتساب بعض اللورادات في انكلترا إلى الأصل

المقصب، ولغتهم العربية وهم مسلمون ورعون». وأضاف يقول إن البرتغاليين استولوا على المدينة عنوة بعد أن أبى سلطانها الخضوع لملك البرتغال وأداء ضريبة سنوية له.

ووصف كلوي طبيب جراح انكليزي (جيمس بريور) زارها العام ١٨١١ بأنها كانت في الماضي مدينة باللغة الأهمية، وحاضرة مملكة متزامنة الأطراف. فخرّبها البرتغاليون ونهبوها. وأضاف معقلاً على ذلك أن « مجرد لمس البرتغاليين لمكان يعني هلاكه ».

جزيرتا زنجبار وبعها (الجزيرة الخضراء):
الاسم القديم لجزيرة زنجبار أنجوحا Unguja،
ولكن العرب سمو الساحل المقابل زنجبار، أي
ساحل الزنج؛ ثم لما كانت الجزيرة في مقدمة
الاماكن التي قصدوا بها سموها «زنجبار».

يذكر المسعودي جزيرة «قبيلو» (ولعلها الجزيرة الخضراء إلى الشمال من زنجبار، ولو أن كيركمان-مؤرخ الماني-يرى أنها إحدى جزر القمر) ويقول أن سكانها مزيج من العرب والسكان الأصليين تحت حكم أسرة مسلمة.

وكانت زنجبار والجزيرة الخضراء من أقدم المستوطنات العربية. وأقدم كتابة عربية معروفة في شرقى افريقيا تلك التي في كيزاماكي في جنوبى زنجبار، وهي عبارة عن نقش على جدار يقول «إن الشيخ السيد أبا عمran أمر ببناء مسجد في اليوم الاول من شهر ذي القعده العام ٥٠٠هـ» (٢٧). تموز ١٤٠٧م).

وَمَا يَدْلِي الرُّحْمَاءُ الَّذِي كَانَتْ تَنْعَمُ بِهِ
رَبِّيْبَار قَبْيلٌ وَصُولُ البرْتُغَالِيْنِ إِلَيْهَا الْعَامُ ١٥٠٣
الْوَصْفُ الَّذِي كَتَبَهُ الْمُؤْرِخُ البرْتُغَالِيُّ بِرْبُوسَا، فَهُوَ
يَقُولُ: «سَكَانُ زَنجِيْبَارِ وَمَلُوكُهَا مُسْلِمُونَ... وَهُمْ
يَعْشُونَ فِي بَدْنَخْ وَنَعِيمٍ، وَيَرْتَدُونَ الْمَلَابِسَ الرَّفِيعَةَ
مِنَ الْحَرِيرِ وَالْقَطْنِ. وَنَسَاؤُهُمْ يَسْرُنَ بِالْجَلْوَاهِرِ
الْكَثِيرَةِ مِنْ ذَهَبٍ سُفَالَةِ الْأَجْبَدِ. وَمَلَاسِيْنَ مِنْ



حارة عربية في زنجبار.

قيادة الحزب الثوري الحاكم (CCM) عام ١٩٨٨ إلى نائب معيني هو للحفاظ على تاريخه حين قاد الحركة الوطنية في بلاده تجاهنقا نحو الاستقلال في ١٩٦١، وأسس مع نظيره الرينجاري عبد كرومي دولة الوحدة، وجعل بلاده مقرًا لعسكرات حركات التحرر الوطني في الجنوب الأفريقي.

ولم يكن من قبيل المصادفة أن نميري، الذي يعد واحداً من منظري فكرة الحزب الواحد وقائد التأسيس الفكري والسياسي لها باعتبارها النموذج الأمثل للتعاطي مع مشاكل دول تعاني تعدد الأجناس، هو أول من نادى قبل تخليه عن السلطة بشهر بدراسة إمكانات اخذ تنزانيا بنظام التعددية الحزبية.

ساهم نميري في صنع جدل واسع حول ضرورة إجراء تغييرات سياسية واسعة في النظام الاشتراكي الذي تنتهجه تنزانيا. وفي إطار حزبه

البورماندي الفرنسي.

الإرث التاريخي يهدّد بالفساد زنجبار

تنزانيا مع نميري وبعده: بعد نحو عشر سنوات من بدء حكم الرئيس التنزاني علي حسن معيني تصاعدت حدة المشاكل الداخلية وأصبحت قضية استمرار الدولة الاتحادية (تنزانيا) التي تضم تجاهنقا وجزر زنجبار (أنجورجا وبما) - وتتنفيذ سياسات الاصلاح الاقتصادي، واستكمال مسيرة الديمقراطية، ثلاث قنابل موقوتة قد يؤدي انفجارها إلى انهيار الاتحاد وعودته إلى دولتين مستقلتين كما كان عليه الحال قبل ١٩٦٤.

وبعد ان تخلي الرئيس السابق جوليوس نميري طواعية عن الرئاسة عام ١٩٨٥ ثم عن

منها الامتيازات التي يحصل عليها اعضاء الحزب بالنسبة إلى الالتحاق بالجامعة وفرص العمل. وببدأ الحزب فعلياً في تقليص عدد مكاتبته وفروعه المنتشرة في كل قرية ومؤسسة وجامعة.

وترى الاحزاب المعارضة ان لا فضل للحزب الحاكم (الذى كان الحزب الوحيد من ١٩٦٥ إلى ١٩٩٢) لوجودها، وإنما للتغيرات الدولية التي كسرت فكرة الشمولية والحزب الواحد.

ويظل حزب «جبهة الاتحاد المدني» (CUF) هو الأكثر نشاطاً وشعبية على الساحة. فقادته يجوبون البلاد استعداداً لانتخابات ١٩٩٥، وتستند قاعدته إلى المسلمين والمواطنين من أصل عربي وإيراني خصوصاً في زنجبار. وهناك مخاوف من أن يؤدي فوزه إلى صراعات عرقية. ويلاحظ ان الحكومة المركزية في دار السلام بدأت (في ١٩٩٣) تتهم دولًا أجنبية بالتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد. وتأتي هذه الاتهامات في إطار حركة عنف بدأت تشهدها تزانيا ضد المواطنين ذوي الأصول العربية والمهدية. ففي مقاطعة مورو جوري شهد شهر تشرين الثاني ١٩٩٣ إغلاق مواطنين فأفارقة الطرق وحصار العرب والهنود والاعتداء عليهم وسرقة ممتلكاتهم مما أعاد إلى الذهن أحداد العنف التي شهدتها البلاد في ١٩٦٤ وانطلقت شرارتها الأولى من مورو جوري حين أغلق مدير البوليس محلات التحثار الهنود بذريعة عدم مشاركتهم في التظاهرات المعادية وقتها للغرب.

ثورة ١٩٦٤ والاعتذار عنها في ١٩٩١:

منذ زيارة رئيس حكومة زنجبار سالين عامور إلى مسقط في ١٩٩١، وتقديم اعتذار للسلطان قابوس عن احداث ١٩٦٤، وزنجبار تشهد حركة ترميم واسعة للآثار العمانية من فترة حكم سلاطين عمان لها من ١٨٧٠ إلى ١٩٦٤، وهي «قصر السلطان

(CCM) بدأت المناقشات العلنية نهاية ١٩٩١ حول احتمالات «إنهاء نظام الحزب الواحد»، والأحد بنظام التعددية في إطار الحزب الحاكم نفسه.

الاوپساع الحزیبة والسياسية في دولة الاتحاد (TZANIA) : في شباط ١٩٩٢، صدر قانون الاحزاب معنى انتهاء مرحلة الحزب الواحد. وتتضمن القانون ثلاثة بنود رئيسية تنسجم مع الدستور العلماني للدولة:

«ضرورة ان لا يقل عدد الاعضاء المؤسسين للحزب عن ألفي عضو شريطة ان يكونوا ممثلين عن المحافظات العشر التي ت分成 إليها البلاد بواقع ٢٠٠ مثل عن كل محافظة (ومنها زنجبار).

«ان لا ينادي اي حزب بانفصال تنجانية وزنجبار.

«ضرورة احترام الدستور العلماني للدولة وعدم تشكيل احزاب على أساس ديني أو طائفي أو عرقي، ويجب ان لا تتضمن برامج وأهداف أي حزب ما يعبر عن هذه الاتمامات».

ووفقاً للقانون يوجد في البلاد (تزانيا) ١١ حزباً مسجلاً رسمياً استوفت شروط القانون وخمسة احزاب أخرى تحت التأسيس غير مخصوص لها بمزاولة العمل السياسي كونها لم تستوف الشروط. ومن أهم هذه الاحزاب «جبهة الاتحاد المدني» يرأسه جيمس امبالا غير ان زعامة الحقيقة في يد سيف شريف حمادي نائب رئيس الحزب ورئيس الوزراء السابق (١٩٨٨-١٩٨٥) في ولاية زنجبار ذات الحكم الذاتي. وسبق ان اعتقله نيرييري بسبب توجهاته الاصلاحية ذات المسحة الدينية. وهو الحزب الوحيد الذي مقره زنجبار خارج تنجانية.

وتتفق احزاب المعارضة على ضمان حياة ديمقراطية سليمة وانهاء احتكارات الحزب الحاكم

الحالي للحكومة.

وجاءت زيارة الاعذار، التي قام بها عامور إلى مسقط في ١٩٩١، في إطارين: الإطار الأول اقتصادي حيث ان الشعب الزنجباري يعاني من تراجع معدلات التنمية والانخفاض مستوى الدخل السنوي، والثاني قومي حيث ان الوحدة تواجهها خاطر الانفصال بسبب الرغبة في العودة إلى الأصول العربية والاسلامية.

وتؤكد هذه القضية ان تكون الوحيدة التي يتفق فيها رأي الحكومة والحزب الحاكم مع المعارضة. وهذا التوجه لا يتفاعل معه سوى سلطنة عمان التي بادرت عقب زيارة عامور إلى تقديم مساعدات اقتصادية كبيرة وأنشأت مطاراً دولياً ومدرسة تمريض وقدمت مساعدات طيبة للمستشفى الحكومي، كما افتتحت فتصيلية عامة لرعاية شؤون العلاقات والمصالح في اول استئناف للعلاقات منذ ثورة ١٩٦٤، كذلك فيان دبي سيررت خط طيران مباشر إلى الجزيرة لنقل البضائع والمساعدات.

لكن الحكومة المحلية في زنجبار ما تزال تلقى صعوبات هائلة في حملاتها نحو الآثار السيئة جدًا عن فترة الحكم العماني في ذاكرة الزنجباريين (والتابانيكين). إذ لا يزال ذوو الأصول الأفريقية والهنديّة يجدون من مخلفات الحكم العماني ما يستخدمونه في ضرب توجه الحكومة (والمعارضة) العربي والإسلامي،خصوصاً سجن العبيد، أحد الآثار الذي لم تقدر الحكومة انه من الحكم ترميمه، ذلك انه يرمز إلى المكان الذي كان السلطان العماني يأسر فيه الرنوج ليعدهم عبيداً للبريطانيين والفرنسيين في شرق إفريقيا.

غير ان وصول المساعدات، وجلوء حكومة زنجبار (قبل الحكومة المركزية) إلى تحرير التجارة للسماح بعودة العرب إلى زنجبار تحت غطاء التجارة والاستثمار من جهة، ومن جهة ثانية، المشاكل التي يواجهها الاتحاد مع تنجانيقا وأزمة

العماني» و«المتحف الوطني» الذي يضم متعلقات هذه الفترة، في ما وصف بأنه محاولة لإزالة آثار ثورة كانون الثاني ١٩٦٤ وإعادة النظر في العلاقات مع السلطة.

وكانت ثورة زنجبار بقيادة أول رئيس لها عبيد كرومي قضت على حكم آخر المسلمين العmanyin «جامشيد» الذي هرب على متنه باخرته إلى مومباسا في كينيا، وأعمل الشوار والأهالي من أصل أفريقي وهندي القتيل في السكان من اصل عربي الذين اضطروا إلى الهرب إلى كينيا وتنجانيقا أو العودة إلى بلدانهم الأصلية عُمان واليمن والامارات.

كان شعب زنجبار قد عرف، تحت الحماية البريطانية، التعديلية الخالية برب حلالها حزب ASP الذي شكل الحكومة الاتلافية الأولى في كانون الاول ١٩٦٣ فسور انتهاء الحماية وإعلان الاستقلال بقيادة رئيس الحزب الأفريقي عبيد كرومي. وشهدت زنجبار في ايام معدودة بعد الاستقلال قلاقل واضطرابات مفاجئة قادها كرومي ضد الوجود العربي في زنجبار. وسرعان ما تحولت الاضطرابات إلى احداث دموية في ١٢ كانون الثاني ١٩٦٤، حين فتح جون أكيلو (أوغندي) مخازن السلاح التابعة للسجون ومعسكرات الجيش البريطاني السابقة أمام الشوار الافارقة التابعين لكرومي.

وفور استقرار السلطة في يد كرومي-الذي أصبح أول رئيس لزنجبار - اتفق مع رئيس تنجانيقا، جوليوس نيريري، على إنشاء دولة اتحادية. وأقدم أحد أبناء ضحايا الثورة على قتل كرومي في ١٩٧٢ ، وانتهت حملته عبده غومبي السياسة نفسها ضد بقایا العرب، ودمج حزبه الحاكم في الحزب الشوري الحاكم في تنجانيقا عام ١٩٧٧ . وعلى المنوال نفسه، سار اسلاف غومبي (بعد استقالته في ١٩٧٨)، من حسن معيني (١٩٧٨-١٩٨٥)، وانتهاء بساملين عامور الرئيس

من السكان مسلمون على رغم اختلاف اصولهم العرقية (٧٪ منهم شيعة والباقي سنة)، و٣٪ مسيحيون ومعتقدات افريقية أخرى. وأصبح من الصعب تحديد الاصول العربية أو الايرانية للسكان بسبب الزواج المختلط. وبينما يركز ذرو الاصول العربية نشاطاتهم على التجارة إهتم الايرانيون بالسياسة، واندجووا مع العرب في علاقات مصاهرة وشكلوا مع الافارقة الحزب الافريقي الفارسي (ASP) بقيادة عبد كرومي.

وابحاه زنجبار نحو التركيز على وجهها الاسلامي يكتسب اهتماماً متزايداً الآن، خاصة بجهة العلاقة مع سلطنة عمان. ومتعد علاقات زنجبار مع السلطنة خصوصاً والعرب عموماً إلى حركة الكشوف الجغرافية عندما استعمرها البرتغاليون في القرن السادس عشر، واستنجد السكان ذرو الاصول العربي والديانة الاسلامية بسلطان عمان بعد انتصاره على البرتغاليين في هرمز. فوصلت قواته إلى زنجبار عام ١٦٥٠ وأصبحت إحدى ولايات السلطنة إلى أن اعلنت بريطانيا الحماية في ١٨٧٠.

المقوم الاقتصادي هو الأكثر صعوبة. فاقتصاد زنجبار يعاني اوضاعاً غير مستقرة. ويعرض دخل البلاد الرئيسي وهو عائد تصدير محصول القرنفل (٩٠٪ من الدخل الوطني) للتدهور بسبب المخاض اسعاره العالمية ودخول منافسين جدد (اندونيسيا) حتى أصبح غير كاف لتمويل استيراد الارز (الرز). ولا تملك زنجبار مصادر ذاتية للطاقة وتعتمد في تدبير احتياجاتها من البترول والطعام على تجاهنها وهو الأمر الذي يهدأ أحد معوقات الاستقلال.

ولا تبعث ملامح الاقتصاد الأمل على إمكان وجود اقتصاد وطني مستقل: - نسبة الأمية ٨٪ - معهد واحد ينتهي التعليم فيه بالمرحلة الثانوية. - لا يوجد سوى مدرستين ثانويتين للبنين والبنات ومدرستين فنيتين زراعية وصناعية إلى

الهوية التي يعيشها الشعب الزنجباري وأثار فترة حكم الحزب الثوري في تنزانيا، كلها عوامل قد تسهل مهمة التحول باتجاه الوجه الاسلامي لزنجبار.

هل تملك زنجبار مقومات الاستقلال؟
حاولت زنجبار، بما لديها من هامش استقلال ذاتي، ان تنضم إلى «منظمة المؤتمر الاسلامي» في ١٩٩٣. لكنها فشلت فتعمقت لدى الرأي العام فيها ملامح أزمة «الهوية»، خاصة وان الاتحاد أحد في الضعف، واقتصاد الدولة في التدهور. وبدأ الحديث يتواتر عن نزعزة استقلالية حادة لدى الزنجباريين، وظهرت جماعات دينية، وبرز التوجه نحو إعادة الروابط مع الدول العربية عموماً وسلطنة عمان خصوصاً، ونحو استكشاف سبل بناء اقتصاد وطني مستقل حرثت زنجبار على التمتع به عند إنشاء دولة الاتحاد في ١٩٦٤.

بحثت زنجبار في تحقيق قدر من الاستقلالية في إدارة علاقاتها الخارجية، وأنشأت علاقات قصبة مع مصر وعمان و MOZAMBIQUE والهند والصين وروسيا (أغلقتها الرئيس الروسي بوريس يلتسن في ١٩٩١)، كما بحثت في عقد اتفاقيات ثنائية مع هذه الدول حصلت بمقدتها من مسقط على مساعدات اقتصادية، ومن مصر على خبراء في الزراعة والتصنيع وأطباء، ومن الصين الازاعة الخليلية ومساكن للقراء. واحتفظت زنجبار ببعض مظاهر السيادة مثل نظام تأشيرات الدخول والجمارك للأجانب ولأبناء تنجانيفا.

هذا بالنسبة إلى مقوم الهامش الاستقلالي في إدارة العلاقات الخارجية. أما بالنسبة إلى المقوم الشعبي والتركيب السكاني الآتي، فإن شعب زنجبار محليط من العرب والإيرانيين (٤٠٪ من إجمالي عدد السكان البالغ نحو مليون نسمة) والهنود (١٠٪) والافارقة (٥٪) معظمهم من قبائل البانتو التي تعيش في شرق افريقيا. و٩٧٪

زادت نشاطات جماعات إسلامية، حديثة النشأة، وجماعة «التبلیغ والدعوة» في المساجد وكتابات تحفیظ القرآن ومعاهد لتدريس علوم الفقه والتفسیر وسط تعاطف شعی. وأصبحت شرائط ثلاثة القرآن الكريم سلعة وحيدة لأغلب الباعة المتجولين وأساسية في كل الحالات.

ويتسازع حزبان الوجود السياسي في الشارع هما فرع الحزب الثوري الحاكم في الدولة الاتحادية (CCM) برئاسة سالمين عامور رئيس زنجبار والنائب الثاني لرئيس الجمهورية التزانية مقتضى الدستور، وحزب جبهة الاتحاد المدني (CUF) الذي يتزعمه سيف شريف هادي رئيس وزراء سابق لزنجبار وهو من سكان جزيرة بمبأ ويحظى منذ تأسيسه، في ١٩٩٢، بشعبية كبيرة داخل زنجبار وحتى على مستوى الدولة الاتحادية. وهو ذو توجهات دينية وإن كان رسمياً ليس حزباً دينياً - ويضم غالبية السكان من الأصل العربي والمسلمين في تزانيا.

على ذلك فمستقبل تزانيا (الدولة الاتحادية) في محظوظ وأصبح استمرارها رهن رغبة الشعب زنجبار في المزيد من الاستقلال في ضوء تصاعد المد الوطني والمشاعر الإسلامية. ويرى الرأي العام في زنجبار أن الأسباب التي أدت إلى الوحدة قد زالت وفي مقدمها الحرب الباردة. كما يرى إن الغرب الذي كان نيريري قريباً منه، قبل تحوله في ١٩٦٤، هو الذي فرض الوحدة بسبب خواوف تحول زنجبار إلى قاعدة للاتحاد السوفيتي في الخليج الهندي.

جانب معهد ديني. - مستشفى حكومي واحد اطباؤه من روسيا والصين ومصر، ومستوصف خاص يملکه هنود. - ارتباط بالعالم الخارجي من خلال رحلة أو رحلتين جوبيتين في الأسبوع.

لمواجهة هذا الوضع تناول الحكومة المحلية الحصول على مساعدات لتوظيفها في مشاريع صغيرة، كما تناول إيجاد مصادر غير تقليدية للدخل مثل بيع الأعشاب البحرية (طعام ونشاط تصديري) شكل عائد مليون دولار في ١٩٩٢ ويتضمن أن يزيد في الأعوام المقبلة بعد فتح الأسواق الأميركية أمام هذا الصنف («لولا الأعشاب البحرية التي تتکاثر من دون تدخل بشري لكان اقتصاد زنجبار انهار... من حسن حظ الزنجباريين أن عدداً كبيراً من بلدان الاتحاد الأوروبي يستورد الأعشاب البحرية في صناعة الأغذية ويدفع في المقابل عملة صعبة... صاحبة المشروع شركة، أسسها دانماركي، أصبحت تمتلك في زنجبار ٤٣٢٣ مزرعة بحرية فردية، ما يعني توفير فرص عمل لما يراوح بين ١٠ و١٢ ألف زنجباري»، من تحقيق نشرته «الوسط»، العدد ٢١٠، تاريخ ٥ شباط ١٩٩٦، ص ٤٤):

مع كل هذا، ورغم المعوقات المائلة أمام الانفصال والاستقلال، يشهد الشارع والحياة اليومية نشاطات أكثر تعبيراً عن المفهوم، مثل بعض النظاهرات التي تطالب بتطبيق أحكام الإسلام وإزالة آثار العلمانية، وإغلاق نوادي الفيديو و محلات بيع الخمور التي أحرق بعضها خلال أعمال عنف (في ١٩٩٣) ومنع السياحة. كما

في القرن التاسع عشر، ينتهي فيها خط سكة حديد يصلها ببحيرة تanganica، ويترفع منه خط يصل إلى مدينة موانزا، ميناؤها من أكثر موانئ إفريقيا الشرقية نشاطاً تجاريًا.

* زنجبار (مدينة) Zanzibar: مدينة زنجبار عاصمة جزيرة زنجبار وأهم مدينة فيها. تبعد ٧٢ كيلم عن دار السلام، وتعد نحو ١٨٠ ألف نسمة.

* موالزا Mwanza: مدينة في شمال تنزانيا، على ضفاف بحيرة فكتوريا. يصلها خط سكة حديد بدار السلام. تعداد نحو ٢٥٠ ألف نسمة. مركز منطقة غنية باللؤلؤ والفضة والذهب.

* موشي Moshi: على بعد ٧٦٣ كيلم من دار السلام، وتعد نحو ٤٥ ألف نسمة.

مدن ومعالم

* أروشا Arusha: مدينة تنزانية. تبعد ٨٤١ كيلم عن دار السلام. تعداد نحو ٩٠ ألف نسمة.

* تانغا Tanga: مدينة ومرفأ تنزاني مهم، تقع شمالي دار السلام وعلى بعد ٥٦٨ كيلم منها. تعداد نحو ٢٠٠ ألف نسمة.

* دار السلام Dar-es-Salam: عاصمة تنزانيا قبل ١٩٩٠ حيث أصبحت دردوما هي العاصمة. دار السلام أكبر مدينة في تنزانيا. تعداد نحو ٣٥٠ ألف نسمة، ونحو ١٠٥ مليون مع الضواحي.

تقع على الساحل. أسسها سلطان زنجبار

قلعة تاريخية في زنجبار.



زعماء ورجال دولة

* **هادي، سيف شريف:** راجع «زنجبار» أعلاه.

* **عامور، سالمين:** راجع «زنجبار» أعلاه.

* **كاواوا، رشيد** Kawawa,R.: سياسي ورجل دولة تزاني. شغل منصب نائب رئيس جمهورية تزانيا. ولد في مقاطعة سونجيا في تنحانيقا. تلقى تعليمه في مدرسة دار السلام الثانوية، فالمدرسة الثانوية الاميرية في مدينة تابورا. اشتغل في إدارة التنمية الاجتماعية في حكومة تنحانيقا، ثم أصبح رئيساً لرابطة تنحانيقا الأفريقية للخدمة المدنية. في ١٩٥٥ قدم استقالته وبدأ في تشكيل حركة عمالية، فأنشأ اتحاد العمل التنحانيقي وتولى منصب سكرتيره العام ثم منصب الرئيس، كما أصبح عضواً في اللجنة المركزية لحزب ثانو. وفي انتخابات ١٩٥٨-١٩٥٩ أصبح عضواً في مجلس تنحانيقا التشريعي. في آب ١٩٦٠ أعيد انتخابه نائباً للمقاطعة الجنوبية، ثم عين وزيراً للحكم المحلي. وفي نيسان ١٩٦١، عين وزيراً بلا وزارة لمساعدة رئيس الوزراء جوليوس نيريري حتى ١٩٦٢، ثم عين رئيساً للوزراء بين كانون الثاني وكانون الأول ١٩٦٢. عين نائباً لرئيس جمهورية تنحانيقا من كانون الأول ١٩٦٢ إلى ١٩٦٤، ثم نائباً لرئيس جمهورية تزانيا المتحدة (كرئيس لأقاليم تنحانيقا)، وشغل في الوقت نفسه منصب رئيس وزراء تزانيا.

وبعد انتخابات ١٩٧٥، أصبح النائب الأول لرئيس الجمهورية نيريري، محتفظاً برئاسة الوزراء. أبعد عن هذا المنصب في ١٩٧٧، وكلف بعدة مناصب وزارية منها وزارة الدفاع (١٩٧٧-١٩٨٠) ووزير دولة.

*** كرومي، الشيخ عبد أمانى Karume, S.A.A.** (١٩٥٠-١٩٧٢): سياسي ورجل دولة تزاني وأول رئيس لزنجبار (١٩٦٤). كان قبل اختياره لهذا المنصب أحد التجار النازفين في البلاد. ولد في قرية تبعد ٧ كيلومتر من مدينة زنجبار، وتوفي والده ولهما يبلغ من العمر ثمانين سنة، فلم ينه تعليمه، وترك المدرسة في السنة الثانية الأولى وعمل بحاراً طوال ١٧ عاماً، وزار عبر تجواله بلداناً عديدة في العالم وبشكل خاص في قاراتي أوروبا وآسيا، وقد كان حماسه للرياضة ومارسته لكرة القدم والملاكمه خلال تلك الفترة سبباً في تنمية موهبته ومقدراته على التنظيم. وقد تمثل ذلك لأول مرة عبر قيادته لحركة عماليّة صغيرة تطمح لتحقيق بعض مطالب عمال المرافق والبحارة.

دخل كرومي مجال العمل السياسي في ١٩٥٤، ثم ما لبث أن أصبح بعد فترة وجيزة رئيساً للجمعية الأفريقية الزنجبارية وهي إحدى المنظمات الوطنية القليلة التي ظهرت فجأة وأخذت تطالب باستقلال زنجبار عن الاستعمار البريطاني، ثم اتحدت تلك الجمعية في ١٩٥٧ مع الجمعية الشيرازية لكي تشكلا معاً الحزب الأفريقي الشيرازي (ASP) والذي أصبح كرومي رئيساً له. وحصل الحزب على الأغلبية في الانتخابات (١٩٦١) وعين كرومي وزيراً للصحة، لكن الحزب الشيرازي الأفريقي ما لبث أن خسر مقاعده في انتخابات تموز ١٩٦٣، فأصبح كرومي زعيماً للمعارضة في المجلس الوطني وطعن في نزاهة الانتخابات، لأن حزبه انهزم، حسب رأيه، رغم حصوله على غالبية الأصوات.

وتحالف الحزب الوطني الزنجباري وحزب الشعب الزنجباري والبني ضدّه وشكلا حكومة ائتلافية حصلت في ظلها زنجبار على استقلالها في ١٠ كانون الأول ١٩٦٣، وترأس هذه الحكومة السلطان جمشيد بن عبدالله. وبسبب سيطرة الزنجباريين ذوي الأصول العربية على معظم

المتعلمين من حراء الاهانات والتمييز العنصري، شكل الموظفون المدنيون الافارقة في دار السلام حزب «التحمع الافريقي» في ١٩٢٩، وكان ذلك أول تنظيم سياسي افريقي في هذا البلد وقد تحول في ما بعد إلى «تحمع تنجانيقا الافريقي». طالب التجمع في بادئ الامر بإلزامية التعليم وتوظيف معلمين سود من اميركا وجنوب افريقيا، كما نادى بالمشاركة الافريقية في إدارة البلد وبوضع حد للسيطرة السياسية والاقتصادية للمستوطنين الأوروبيين. وفي وقت لاحق، وقف التجمع في وجه مشروع توحيد ثلاث مناطق شرق افريقيا هي كينيا وتنجانيقا وأوغندا.

انتخب كيمالندو الذي كان من مؤسسي التجمع نائباً للرئيس في ١٩٣٦، ثم تولى الرئاسة في ١٩٣٧ و١٩٣٨، وترك عنده إدارة السكة الحديدية ليعمل في مصلحة خاصة أسسها في موши حيث فتح فرعاً للتجمع كما فتح فروعاً ثانوية في المنطقة ذاتها. وعمل في ما بعد موظفاً لدى أحد الحامين الهنود بهدف تخصيص المزيد من الوقت لنشاط فرع التجمع في موши الذي تولى أمراته.

في ١٩٥٣، شارك في وفد «تحمع تنجانيقا الافريقي» الذي اجتمع بقيادة رئيسه الجديد جوليوس نيريري، باللجنة الملكية البريطانية المكلفة ببحث قضية المأوى ماور في كينيا الجماورة. وفي ١٩٥٤، شارك في أعمال مؤتمر دار السلام الذي كرس تحول التجمع من تنظيم اجتماعي إلى حركة سياسية حملت اسم «تنجانيقا الوطني الافريقي». وقد خطب نيريري في المؤتمرين معلنًا مطالبه بالاستقلال. وفي نهاية العام، اختير كيمالندو مع كيريلو جافيت ليحملوا إلى وفد الامم المتحدة مذكرة يطالب حزبه الاستقلالية.

غير أن موقف كيمالندو المعتدل لم تعد تتلاءم مع الطرح الجذري الذي حملته القيادة الجديدة. وينم عن ذلك إبعاده عن مركز القرار

الحقائب الوزارية فقد نظر الافارقة إليها بشيء من الريبة والعداء فقادت حركة معارضة عميقة وشديدة قادها الزعماء ذوو الاصول الافريقية وعلى رأسهم كرومي؛ وهكذا فقد قام انصار الحرب الشيرازي الافريقي في ١٢ كانون الثاني ١٩٦٤ بانقلاب دموي اطاحوا فيه حكومة السلطان جمشيد وشكلوا مجلساً ثورياً برئاسة كرومي وأعلنوا زنجبار جمهورية شعبية. وتحت إلحاح الجمهوريين أصبح كرومي أول رئيس للبلاد؛ وبعد ثلاثة أشهر قاد كرومي زنجبار نحو الاتحاد مع تنجانيقا لكي يولفاً معًا جمهورية تزاينا المتحدة تحت قيادة الرئيس جوليوس كامباراج نيريري في ٢٦ نيسان ١٩٦٤. وأصبح كرومي، في ظل الاتحاد، النائب الأول لرئيس جمهورية تزاينا المتحدة، في حين كانت حكومته فيإقليم زنجبار على درجة كبيرة من الاستقلالية. وبقي كرومي في منصبه حتى ٧ نيسان ١٩٧٢ حين قام أحد القناصه باغتياله، وقد حل محله في منصبه عبود جومبي الذي تابع السياسة نفسها.

* كيمالندو، جوزف J. Kimalando,

(١٩٨٠ - ١٩٨٠)؛ سياسي تزايني من الرعيل الاول وأحد قادة النضال الوطني من أجل الاستقلال. ولد في عائلة من قبيلة الكيبوشو في منطقة كيليمندجaro في الوقت الذي كانت ترعرع فيه تنجانيقا تحت الاستعمار الالماني. وبعد فترة أمضتها في نيروبي في كينيا، التحق في ١٩٢٢، بمصلحة السكة الحديدية في تنجانيقا ومكث فيها ١٥ سنة. وفي هذه الاثناء راح يidi اهتماماً بالسياسة مثله مثل العديد من مواطنيه العاملين في الادارات الرسمية. ومرد هذا الاهتمام الاجراءات الاستعمارية المادفة إلى تدعيم الهيمنة الاوروبية على تنجانيقا التي كانت قد انقلت إلى الحكم الانكليزي بعد الحرب العالمية الاولى. وبنتيجة الوعي الذي أخذ ينتشر في اوساط

في جريدة حزبه ينتقد فيها الاجراءات التي استهدفت الزعماء المعارضين. فكان ماكونغورو شاهد الدفاع الأساسي لما أثار عليه مجدداً نعمة السلطة. فأبعد مرة ثانية من داره وأقصى إلى جنوب تنزانيا حيث ما لبث أن توفى.

* **Mesuya, C.D.** مسويا، كلويوا ديفيد (١٩٣١ -) : سياسي تنزاني. ولد في أوساناغي بار. عهد إليه جوليوس نيريري بتشكيل الحكومة في تشرين الثاني ١٩٨٠ . وكان قد شغل قبل ذلك عدة مناصب إدارية ووزارية، منها منصب وزير الصناعة في حكومة سلفه إدوارد سوكوين، فبرز في هذا المنصب كتقني فعال.

* **Nyerere, Julius J.** نيريري، جوليوس (١٩٢٢ -) : سياسي ورجل دولة تنزاني. ولد في بوتياما. رئيس وزراء تنزانيا فور نيلها الاستقلال في ١٩٦١؛ وبعد عام، انتخب رئيساً للجمهورية. في ١٩٦٤، أصبح رئيس جمهورية تنزانيا المتحدة (تنزانيا وزنجبار)، وأعيد انتخابه في ١٩٧٢ . كان أحد الرؤساء والزعماء الأفريقيين الأكثر حماسة لإنشاء منظمة الوحدة الأفريقية (راجع «البلدة التاريخية»، وبعدها «زنجبار»، والزعماء المذكورين في هذا الباب «زعماء ورجال دولة»).

السياسي، وقد اعتزل العمل السياسي وأقام قرب مدينة موشي حتى وفاته في ١٩٨٠ .

* **Makongoro, Chief M.** زعيم تنزاني من الرعيل الأول ومناضل بارز ضد الاستعمار. كان زعيم مقاطعة إيكوزو في منطقة زاناكى، مسقط رأس جوليوس نيريري. ميزته أنه خرج عن دوره كزعيم تقليدي عارقاً بذلك القوانين البريطانية التي كانت تمنع الزعماء والموظفين الأفارقة في الادارة العامة من ممارسة أي نشاط سياسي معاد. فهو لم يوكل حزب «الاتحاد تنزانيا الوطني الأفريقي» وحسب، بل انتسب إليه. وكان له نشاط ملحوظ خاصة في فترة إقامة رئيس الاتحاد نيريري في منطقة زاناكى، إثر إجباره على الاستقالة من وظيفته في أحد معاهد العاصمة. اعتقل ماكونغورو في ١٩٥٧ بسبب معارضته اجتماعاً للزعماء نظمته السلطة البريطانية للتصديق على سياستها. وقدم إلى المحكمة فكان قضيه السجن ستة أشهر. وما إن انتهت هذه الفترة حتى نزعت عنه الرعامة ونفي من منطقته. لكنه استطاع العودة إليها بعد استئنافه الحكم أمام المحكمة العليا. وكانت قضيته محور الدعوة التي رفعت ضد نيريري في ١٩٥٨ بعد أن نشر مقالاً

توركس و كيوكوس

لحة عامة

نبذة تاريخية: في ١٥١٢، اكتشف هذه الجزر البحار خوان بونس دو ليون. في ١٦٧٠، تخلت إسبانيا عنها لبريطانيا. في ١٨٣٨، فرضت بريطانيا على هذه الجزر القانون الذي يمنع تجارة العبيد. بين ١٨٧٤ و ١٩٦٥، ألحقت بجامائيكا. بين ١٩٦٥ و ١٩٧٣، ضمت إلى جزيرة بهاما الكبرى. في ١٩٧٣، أصبحت مستعمرة بريطانية ممتعنة بوضع خاص. في ٦ آذار ١٩٨٥، أوقف رئيس حكومتها نورمان ساندرز، ووزير التجارة في الحكومة، في ميامي (الولايات المتحدة) بتهمة تجارة المخدرات.

الاسم: «توركس» Turks، نبات زهرة شبيه بطریش تركی. «كيوكوس» Caicos، لفظة إسبانية تعني الجزيرة الصغيرة.

الموقع: أرخبيل من ٣٠ جزيرة صغيرة، منها ثمانية فقط مأهولة، واقع في القارة الاميركية جنوب شرقي جزر البهاماس، على مسافة ١٥٠ كيلم شمالي جمهورية الدومينican.

المساحة: ٤٣٠ كيلم م.. إجمالي طول شواطئ هذا الأرخبيل ٣٥٠ كيلم.

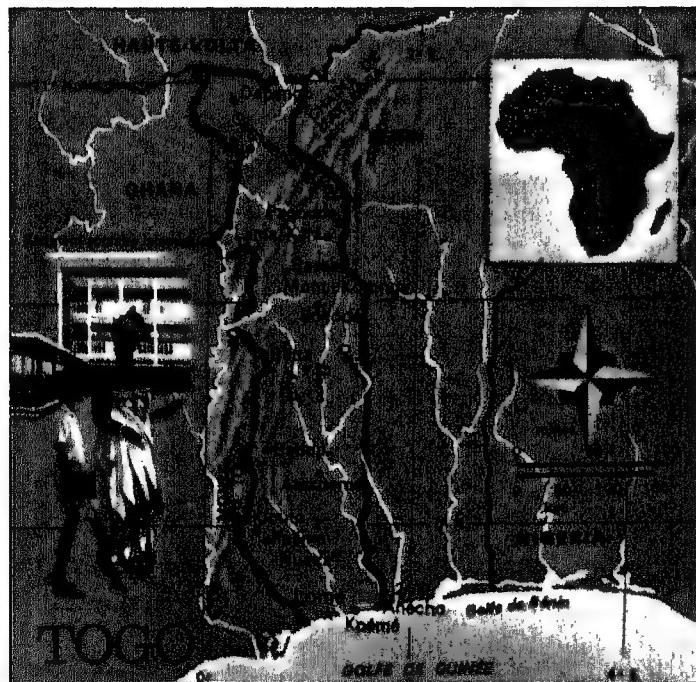
العاصمة: كوكبورن تاون الواقعة في أكبر هذه الجزر، وتعد نحو ٤ آلاف نسمة.

اللغات: الانكليزية، وهناك نحو ٥٪ من السكان يتكلمون الفرنسية الممزوجة بلغة السكان المحليين (كما الوضع في هايتي).

السكان: نحو ١٤ ألف نسمة، ونحو ٩٠٪ منهم يتحدرون من أصول البريقية، أنجليكان معمدانيون وكاثوليك.

الحكم: مستعمرة بريطانية. الدستور المعمول به صادر في آذار ١٩٨٨. المجلس التشريعي من ١٣ عضواً متبعاً (لمدة أربعة أعوام) أو معيناً، والمجلس التنفيذي (الحكومة) من ٨ أعضاء. الحاكم الحالي: مايكل برادي.

الاقتصاد: متوسط الدخل السنوي للفرد الواحد (١٩٩٠-١٩٩٥) نحو ٤٣٠٠ دولار. يعتمد على صيد السمك والسياحة. نحو ٥٥ ألف سائح في العام ١٩٩١.



توغو

بطاقة تعريف

السكان: كان عددهم ١،٤٤ مليون في العام ١٩٥٨، فأصبح ٢،٥٢ مليون في العام ١٩٨٠ ثم ٣،٥ مليون في العام ١٩٩٠ وتشير التقديرات إلى أنهم سيبلغون نحو ٤،٧٥ مليون في العام ٢٠٠٠.

هناك نحو ٤٠ إثنية (قبيلة) يتشكل منها التوغوليون حاليًا. أهمها قبائل أويه التي تسكن في المناطق الجنوبيّة من البلاد، وتشكل نحو ٢١٪ من جموع السكان؛ وقبائل كابييه في الشمال وتشكل نحو ١٤٪ من جموع السكان؛ ثم قبائل أواتشي (٪١٢)، ولوسو (٪٥،٨٥)، ومينا (٪٥،٨)، وكوتوكولي (٪٥)، وموبا (٪٤،٧٩)، وغورما (٪٤،٣٨)، وأكيوسو (٪٢،٧٨) نحو ٥٪ من إجمالي السكان يعتنقون الاديان

الموقع: على الساحل الغربي من إفريقيا. تحيط بها غانا، بوركينا فاسو، بين و الخليج غانا (الخليط الأطلسي). أبعد نقطتين طولياً ٥٠٠ كلم، وعرضها يتراوح بين ١٧٠٠ و ١٥٠٠ كلم. وطول حدودها البرية ١٧٠٠ كلم، وطول شاطئها ٥٠٠ كلم (يتراوح الشاطئ بمعدل نحو ١٥٠ م كل ست سنوات بفعل التساقط والتنفس).

المساحة: ٥٦ ألف كلم م..

العاصمة: لومي. أهم المدن: سوكودي، كارا، كباليمي، أتاباكامي، تسيفيه، باسّار، داباونغ، أنيهه، فوغان.

اللغات: الفرنسية (رسمية)؛ ولغات محلية وطنية، أهمها لغة مجموعة قبائل أويه *ewé*، ولغة قبائل كابييه *Kabié*.

يُعمل فيها نحو ٧٠٪ من اليad العاملة. أهم المتوجات الزراعية: الكاسافا، الذرة والبطاطا والأرز (الرز) فضلاً عن تربية الماشية. المزروعات التي تؤمن دخلاً قومياً هي البن، الكاكاو، الجوز وبذور التخييل. بدأت الصناعات تعرف، منذ نحو عقدين، بعض النمو، وأهمها تصنيع المتوجات الزراعية؛ وهناك مصنع للاسمنت، ومصفاة لتكرير النفط. اكتشف الفوسفات في التوغو في ١٩٥٢، ويعتبر من أجدود انواع الفوسفات في العالم، ومتوسط انتاجه السنوي (في السنوات الأخيرة) ٢،٢ مليون طن. وهناك مناجم الحديد والرخام.

الاحيائية المحلية، و ٢٦٪ كاثوليك، و ١٥٪ مسلمون، و ٩٪ بروتستانت.

الحكم: نظام جمهوري. الدستور المعهول به هو دستور ٢٧ أيلول ١٩٩٢. رئيس الجمهورية ينتخب بالاقتراع الشامل والماشر ولوبياً سبعة أعوام. وهناك «المجلس الأعلى للجمهورية» ويكون من ٣٩ عضواً. البلاد مقسمة إلى ٥

مناطق إدارية، وإلى ٢١ دائرة.

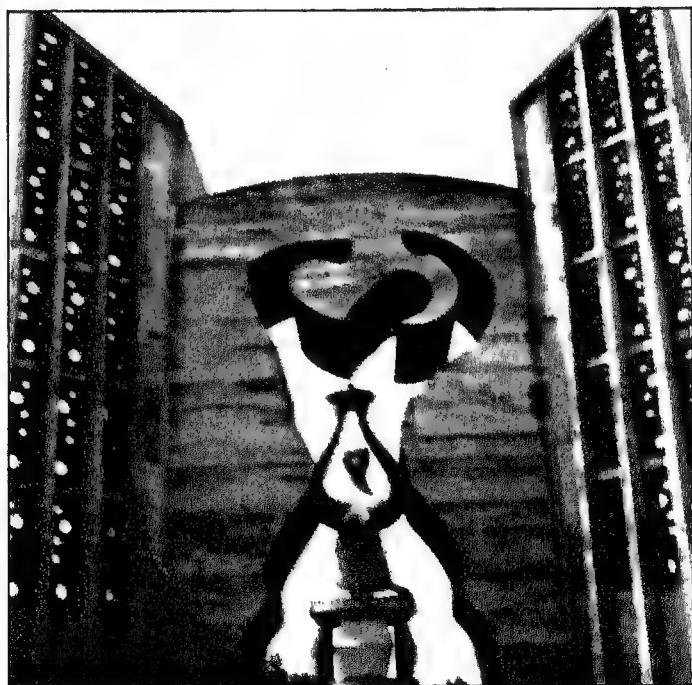
أهم الأحزاب: «جَمْعَ الشَّعْبِ التَّوْغُولِيِّ» الذي أسسه الجنرال إياديما في ١٩٦٩؛ و«الاتحاد قوى التغيير»، وهو ائتلاف من ١٠ أحزاب.

الاقتصاد: الاعتماد الأساسي على الزراعة التي

بداية التاريخ الحديث مع معاهدة ١٨٨٤: وبدأ التاريخ الحديث للتوغو مع المعاهدة الموقعة بين ممثل أميراطور المانيا وأحد الزعماء التوغوليين في ٥ تموز ١٨٨٤، والتي جعلت من التوغو مستعمرة المانية. وقبل السنة المذكورة، كان عدد من المبشرين الالمان قد انطلقوا من شواطئ التوغو ووصلوا إلى شمالها. وتكسرت التوغو كمستعمرة المانية، رسميًا، على أثر مؤتمر برلين (١٨٨٥) والاتفاقات المعقودة في ١٨٩٧ و ١٨٩٩ بين بريطانيا والمانيا وفرنسا، وقد عينت هذه الاتفاقيات حدود التوغو المعروفة حالياً. واستمر الالمان في التوغو رؤوس اموال كبيرة، وشقوا الطرق،

نبذة تاريخية

هجرة نواحجا: ليس هناك من معلومات تاريخية موثقة حول الملك التي تعاقبت على البلاد المعروفة اليوم باسم توغو، وذلك حتى كانت هجرة نواحجا في القرن الثامن عشر، تلك الهجرة التي يقف عندها التوغوليون ويعتبرونها بداية تاريخهم الفعلي. وتمت تلك الهجرة عندما نزح عدد كبير من قبائل إاوية من هضاب داهومي (التي أصبح إسمها بين) الشمالية، وجاءوا ليقيموا في منطقة نواحجا الواقعة في المناطق الجنوبية من التوغو.



نصب الاستقلال في العاصمة لومي.

استمرت تدیر الشطر التاسع لها. وفي ١٩٥٧، أجري في شطري التوغو استفتاء شعبي بإشراف الأمم المتحدة، انضمت بنتيجة التوغو البريطانية (القسم الغربي) إلى غانا التي حصلت على استقلالها في العام نفسه؛ في حين أصبحت التوغو الفرنسية (القسم الشرقي) جمهورية تحت الوصاية الفرنسية؛ ثم نالت استقلالها التام بالاتفاق مع فرنسا والأمم المتحدة، في نيسان ١٩٦٠، وانخذلت إسم توغو، وانتخب سيلفانوس أوليبيو أول رئيس لها (هذه التقسيمات والإجراءات جعلت من قبائل إويه منقسمة بين التوغو وغانا).

كرونولوجيا أهم الأحداث

وبنوا بعض المؤسسات الحديثة في مدينة لومي (العاصمة).

احتل الجيش الفرنسي والإنكليزي عاصمة التوغو في بداية الحرب العالمية الأولى. وعندما انتهت الحرب، قسمت توغو إلى قسمين: القسم الغربي الذي وضع تحت الانتداب البريطاني، والقسم الشرقي تحت الانتداب الفرنسي (التوغو الفرنسي)، ٥٥ ألف كلم م.؛ التوغو البريطاني، أو توغولاند ٣٠ ألف كلم م.).

بعد الحرب العالمية الثانية، الاستقلال: في ١٩٤٦، وضعت التوغو، بقسميها، الفرنسي والبريطاني، تحت وصاية الأمم المتحدة؛ لكن كل من فرنسا وبريطانيا

التوغولي» بـ٩٦٪ من الاصوات فيها. في ٢٣ ايلول ١٩٨٢، اغلقت الحدود بين التوغو وغانا بسبب تهريب البن والكافيار.

في ١٣ كانون الثاني ١٩٨٣، زار الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتزان، التوغو في بداية جولة افريقية شملت، إلى توغو، بين الغابون. وتركزت محادثاته مع الرئيس إيمادها على الصعوبات التي كان يعانيها الاقتصاد التوغولي وإمكان مساهمة فرنسا في مساعدته. وكان سبق للسلطات التوغولية ان أقرت سياسة تقشف بعدما تأكد فشل خطة التصنيع التي بدأت في ١٩٧٤، وكانت ديون توغو الخارجية بلغت (٦ آذار ١٩٨٣) نحو ٩٠٠ مليون دولار.

في تشرين الثاني ١٩٨٤، شهدت العاصمة لومي تظاهرة دولية كبيرة، إذ جرى فيها توقيع اتفاق دولي ضم ٦٤ دولة من افريقيا ومناطق البحر الكاريبي والمحيط الهادئ وجموعة السوق الاوروبية المشتركة. ويقضي الاتفاق بان تقدم السوق الاوروبية المشتركة مبلغ ٦،٣ مليار دولار إلى مجموعة الدول النامية؛ كما دانت مجموعة الـ«٦٤» ظاهرة التمييز العنصري في حنوب افريقيا (راجع «اتفاقية لومي» بعد هذه النبذة التاريخية).

في ٢٤ آذار ١٩٨٥، جرت انتخابات تشريعية. وفي ٢٤ ايلول ١٩٨٦، عرفت لومي حوادث تخريرية ذهبت بحياة عشرات الاشخاص.

في ١٩٩٠، بدأت الاحداث

(١٩٦٣-١٩٩٢): اغتيال أولبيسو في ١٩٦٣ بسبب نزعته الدكتاتورية في الحكم، وعاشت البلاد حالة من عدم الاستقرار السياسي إلى ان كان انقلاب ١٣ كانون الثاني ١٩٦٧ العسكري الذي قاده الكولونييل إتيان إيمادها.

عين إيمادها نفسه رئيساً للجمهورية، وعلق الدستور، ووعد باعادة السلطة إلى المدنيين. ولم يتحقق هذا الوعيد إلا في كانون الثاني ١٩٧٧ عندما أخرج جميع العسكريين من الحكومة. وقد اتسمت سياساته الخارجية، في هذه الفترة، بدعوهه لاقامة تجمع واسع للدول الافريقية على أساس المصلحة المتبادلة لتحل محل التجمعات التي أوجدها الاستعمار الفرنسي أو البريطاني، وقام بدور اساسي في إنشاء «الاتحاد الاقتصادي لدول افريقيا الغربية».

في ٢٣ آذار ١٩٧٦، وقعت التوغو مع فرنسا اتفاقاً للتعاون التقني بين البلدين. وفي ١٨ آب ١٩٧٧، تأسست «حركة الطلاب الوطنية» (مونيسترو) لتقديم كل دعمها للرئيس إيمادها. وبعد أقل من شهر افوج عن ١٢ معتقلًا سياسياً، ثم أعلن عن إحباط مؤامرة.

في شباط ١٩٧٩، سُجِّلت الجنبية من جميع افراد عائلة الرئيس السابق أولبيسو مع الاعلان عن فشل المؤامرات على الحكم والدولة. وفي ٣٠ كانون الاول ١٩٧٩، صدر دستور جديد بعد ان جرى استفتاء عليه (مليون و٥٠٠ ألف صوت مؤيد، و١٦٩٣ صوتاً معارضًا فقط)، كما جرت انتخابات تشريعية فاز حزب «تجمع الشعب

لومي (٢٣ تشرين الثاني ١٩٩٢). في ١٩٩٣، تصاعدت وتائر الاضطرابات: في كانون الثاني، مظاهرة دموية (أكثر من ١٠٠ قتيل)؛ وفي آذار، جماً أكثر من ١٣٠ ألف توغولي إلى بينن، و١٠٠ ألف إلى غالا. وفي ٢٥ آذار، بُحِّا الرئيس التوغولي، إياديما، من محاولة لإطاحة نظامه قادتها القوات الديمقرatية المعارضة، المدعومة من نظام الحكم في غالا، والتي طالب باعتماد نظام ديمقراطي متعدد الأحزاب، بينما تعارض القوات المسلحة التي تحكم البلاد، بقيادة إياديما، مثل هذا النظام لأنّه يسمح لقبائل تشكّل أقلية بالمشاركة في الحكم. ويتنمي معظم ضباط الجيش إلى قبيلة كابيه التي تسيطر على شمالي البلاد (المزيد من التفصيل والربط، راجع العنوانين الفرعيين التاليين: أول انتخابات رئيسية حرة واستمرار الأزمة).

أول انتخابات رئيسية حرة: في أواسط آب ١٩٩٣، افتتحت معركة الرئاسة بين أربعة مرشحين أبرزهم الرئيس إياديما الذي استولى على السلطة بانقلاب عسكري في ١٩٦٧. وهو آخر الجنرالات الحاكمين في إفريقيا السوداء بعد تساقط الآخرين إثر عاصفة الديمقرatية التي هبت على إفريقيا في مطلع التسعينيات. ويعود صمود إياديما في حكم توغو إلى سيطرته المحكمة على الجيش الذي تغلب على تحالفاته الاتنية قبيلة كابيه التي يتنمي إليها إياديما.

وكانت السلطة سمحت، في ١٩٩١،

والاضطرابات التي هدفت، في خطوطها العريضة، إلى الحد من دكتاتورية الجنرال إياديما: انتخابات تشريعية ومظاهرات دموية في لومي، ومسلسل من الاضطرابات وحوادث الشغب. فأجبر إياديما، في نيسان ١٩٩١، على القبول بمبدأ تعدد الأحزاب، وعقد بين ٨ تموز و٢٨ آب ١٩٩١، مؤتمر وطني، عين أثناءه حزب «جوف كوكو كوفيغرو» (مولود ١٩٤٨) رئيساً للوزراء، فعمل على الحد من هيمنة حزب «تجمّع الشعب التوغولي»، وجرى انتخاب المجلس الأعلى للجمهورية على أساس أن يكون هيئة تشريعية انتقالية، وصدر قانون أساسي يجعل من نظام الحكم نظاماً نصف رئاسي. وفي تشرين الأول (١٩٩١)، عادت وهبت موجة من الاضطرابات الاندية اسقطت عدداً من القتلى، وجرت محاولة انقلابية دخلت بعدها (كانون الأول) قوات فرنسية (٣٠٠) رجل إلى بينن. وبقي إياديما الرجل القوي في البلاد.

أهم أحداث العام ١٩٩٢: استفتاء على الدستور، انتخابات محلية، اعتداء على الزعيم المعارض جيلكريست أولمبيسو، انتخابات تشريعية، اغتيال تافيو أموران رئيس الحزب الاشتراكي الإفريقي، إضراب عام في العاصمة لومي (٣١ تموز)، اقرار الدستور الجديد بعد استفتاء عليه (٩٨،١١٪ من الأصوات)، احتجاز العسكريين «المجلس الأعلى للجمهورية» وإفراجهم عنه (في ٢٣ تشرين الأول ١٩٩٢ مقابل ١٣٠ مليون فرنك)، أكثر من ١٥٠ ألف متظاهر وإضراب عام في

دعا رئيسها كومباوري بلزيز مثليين لإيادها وقوى المعارضة إلى سلسلة اجتماعات في بلاده تم التوصل إثرها إلى توافق على إجراء انتخابات رئاسية في ٢٥ آب ١٩٩٣ بإشراف لجنة دولية من الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وبوركينا فاسو بعد انسحاب الجيش إلى ثكنه ووصول قوة فرنسية من أبيدجان لتشرف على سير الحملات الانتخابية التي بدأت قبل أسبوعين (أي في ١٠ آب ١٩٩٣) من موعد الانتخابات الرئاسية.

وبقي هذه الانتخابات، أعلن رئيس الوزراء كوفيغو تأييده للرئيس إيادها مبرراً ذلك بنيته «الحفاظ على وحدة توغو وسلامتها». وكان مجلس شورى الدولة رفض ترشيح أولبييو جيلكريست، الوزير السابق، الذي يعيش منفياً في أكرا، عاصمة غانا. وبقي في مواجهة إيادها مرشحان مستقلان هما إيفي إداني وجاك أموزو. نال إيادها في الانتخابات ٩٢٪ من أصوات الناخبين. لكن نسبة الاقبال لم تتجاوز ٣٦٪. وقد تخللت الانتخابات اضطرابات أدت إلى مقتل عدد من المواطنين واعتقال عدد آخر.

استمرار الأزمة: في أوائل كانون الثاني ١٩٩٤، عادت توغو وشهدت احداثاً دامية (نحو ٦٠ قتيلاً) أثر الهجوم الذي شنه أنصار الزعيم المعارض المنفي في غانا جيلكريست أولبيو على المقر الرئاسي وعلى حرس الحدود التوغوليين. وفي إطار هذه الأحداث، توجهت

قوى المعارضة بتشكيل احزابها السياسية التي انضوى عشرة منها تحت لواء «قوى المعارضة الديمقراطية» وسيطرت على «المؤتمر الوطني» الذي تشكل من كل القوى السياسية والثقافية لرسم سياسة جديدة لدولة توغو الديمقراطية. ووافق إيادها حينها على تعين أحد قادة المعارضة كوفيغو رئيساً للوزراء، واحتفظ لحزبه بوزارتي الدفاع والداخلية. وهنا بدأت مرحلة الحكم برأسين. وحاول رئيس الوزراء أكثر من مرة تقويض صلاحيات رئيس الجمهورية فكان يواجه بالجيش الذي وقف في وجهه. فعندما أقال كوفيغو رزيري الدفاع والداخلية في ١٩٩٢، طوقت وحدات من الجيش مكتبه واعتقلته ساعات عدة. وعندما وضع نظاماً انتخابياً جديداً لم يرق لإيادها، أحرق الجيش كل اللواحة الانتخابية وحاول اغتياله. فأخذ كوفيغو يتخذ مواقف أكثر ليونة مع الرئيس. لكن ذلك أحدث شرخاً في قوى المعارضة الديمقراطية التي دعا الراديكاليون فيها (بقيادة ليوبولد جينيفي وأدم كودجو) إلى عصيان مدني بهدف ترحيل إيادها وكوفيغو.

وبعد أسبوع من الشلل العام في لومي، قامت ألمانيا وفرنسا بمبادرة للوفاق عقد أثراها العديد من الاجتماعات بين الحكم والمعارضة في فرنسا انتهت جميعها بالفشل نتيجة رفض الجيش الانسحاب من الشوارع إلى ثكنه. وخيمت على البلاد أجواء حرب أهلية دفعت بالآلاف إلى ترك البلاد إلى ساحل العاج وبوركينا فاسو التي

من زعيم «الاتحاد التوغولي من أجل الديمقرatie»، أدم كودجو، تشكيل الحكومة الجديدة. والمعروف عن كودجو قدراته الادارية والسياسية التي لا ينكرها أحد في لومي وفي معظم العواصم الافريقية، وقد شغل منصب الأمين العام لمنظمة الوحدة الافريقية.

لكن، ليس بسبب هذه القدرات عينه إياها رئيساً للوزراء، بل ليحرق به صوره المعارضة، من زاوية أنه رئيس أصغر احزاب المعارضة ولا يملك في البرلمان أكثر من ستة نواب، وفي الوقت نفسه من زاوية أن احزاب المعارضة كلها كانت، قبل شهر واحد، ابرمت اتفاقاً أعلنت بموجبه التزامها ان قائد الحزب الذي ينال أكبر قسط من المقاعد البرلمانية سيحظى بتأييدها لرئاسة الحكومة. لذلك كان من المفترض ان يتولى هذه الرئاسة ياو أغويرو، زعيم «لجنة العمل من أجل التجديد» الذي حصل على ٣٦ نائباً من اصل ٨١.

وبعد قبول كودجو رئاسة الحكومة، أعلنت احزاب المعارضة عدم رغبتها في المشاركة في الحكومة وغدت تتحدث عن «خيانة كودجو ميشاق المعارضة». وبرر كودجو الاسباب التي امللت عليه قبول المهمة بتدھور الاوضاع في البلاد، وتضاعف عزلة توغو على المسرح الدولي.

الانظار من جديد إلى باريس التي ترتبط بمعاهدات عسكرية مع لومي، تتولى القوات الفرنسية بمحاجها حماية توغو من أي اعتداء خارجي، إضافة إلى وجود معاهدة سرية بين البلدين تسمح لباريس بالتدخل لفرض الأمن في حال حدوث شغب يهدف إلى زعزعة النظام (في هذا السياق، تدخلت وحدات المظليين الفرنسيين في ايلول ١٩٨٦ وأحبطت انقلاباً عسكرياً ضد الجنرال إياها). ويتمتع الرئيس التوغولي، إياها، بعلاقات جيدة مع الاحزاب اليمينية الفرنسية، خاصة مع الحزب الديغولي الذي يرأسه الرئيس الفرنسي جاك شيراك. وفي المقابل، تمنع زعيم المعارضة التوغولية، أولبيو (وهو ابن الرئيس السابق سيلفانوس أولبيو الذي اطاحه إياها في ١٩٦٣) بدعم رئيس غانا جيري رولونغ.

خسر حزب «التجمع الشعبي التوغولي»، الذي يتزعمه رئيس الدولة إياها، الانتخابات التشريعية التعددية الأولى من نوعها في البلاد، في ٢٠ شباط ١٩٩٤ وعاشت توغو، بعد هذه الانتخابات، في فراغ سياسي سعى الجنرال إياها إلى توظيفه في إشارة للتناقضات بين صفوف احزاب المعارضة التي حاول كل منها الدخول في تحالفات تؤهله المشاركة في الحكم. وفي ٢٢ نيسان ١٩٩٤، طلب إياها

ترقى إلى المستوى المطلوب لإعادة التوازن في العلاقات بين الدول الصناعية والدول النامية، إنها قفزة نوعية بالنسبة للاتفاقيات والمعاهدات التي سبقتها. وقد جددت عدة مرات، وهي ما تزال قائمة.

مناقشة: إتفاقية لومي بعد عقدين ١٩٩٥-١٩٧٥: «إتفاقية لومي» عکوم عليها بالرزاں. لن تعيش، بشكلها الحالي، ألقه حتى العام ٢٠٠٠. هذه العبارة التي قالها (في تشرين الثاني ١٩٩٤) البريطاني بيتر بولي، المسؤول عن سياسة التنمية في المجموعة الأوروبية، أثارت فضيحة في الأوساط الأوروبية والافريقية-الكاريبية-الباسييفيكية (لوموند دبلوماتيك، عدد نيسان ١٩٩٥، ص ١٣).

قد يكون استعمال الكلمة «فضيحة»، هنا، مقصوداً للإشارة إلى أن إتفاقية لومي تم توقيعها في الأساس في أجواء ظروف ضغطت على الأوروبيين ودفعتهم إليها دفعاً عن غير قناعة. وعند زوال هذه الظروف أخذوا يتملصون من الاتفاقية بمحج وذرائع ومارسات تشير إلى نهاية قوية وأكيدة لها. بعد التوقيع على الإتفاقية في ١٩٧٥، جددت عدة مرات، آخرها في ١٩٩٥ في جزيرة موريشس حيث بلغ عدد الأعضاء ٧٠ دولة وعلى مدار خمس سنوات مقبلة. ورقم المساعدات الذي دار الحديث حوله هو ١٢ بليون دولار سوف ينفقها الاتحاد الأوروبي لمساعدة دول لومي الأعضاء، مما يعني حصول كل دولة على ٣٤ مليون دولار تقريباً كمعدل عام وافتراضي، وهو ما يشير إلى هزال المساعدة إذا نظر إليها كعامل تنموي أساسي.

وضعت إتفاقية لومي (١٩٧٥)، وجددت عدة مرات في السابق من دون آية اعتراضات، إذ كان صراع النفوذ (الحرب الباردة) على أشدّه. غير أن التجديد الأعlier هذا شهد مفاوضات شاقة

اتفاقية لومي

تعريف: إتفاقية إقتصادية دولية وقعت في لومي في ٢٨ شباط ١٩٧٥ لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد بين مجموعة السوق الأوروبية المشتركة و٤ دول منها ٣٧ دولة إفريقية و٦ دول في البحر الكاريبي و٣ في المحيط الهادئ (جزر ساموا الغربية، وجزر فيجي وجزر تونغا)، ويطلق على هذه الدول الموقعة باسم: Etats d'Afrique (A.C.P) des Caraïbes et du Pacifique. سبقت إتفاقية لومي خطوات تمهدية، أبرزها الوصول إلى صيغ اتفاقية عليها فرنسا وبريطانيا بعد خلاف في وجهات نظرهما حول أساس تعامل المجموعة الأوروبية مع الدول الأفريقية والآسيوية.

أوجدت إتفاقية لومي، إلى حد ما، اسلوباً جديداً في التعامل الاقتصادي بين الدول الصناعية وغير الصناعية يأخذ بعين الاعتبار عدة نقاط أساسية: مثل: مبدأ عدم المعاملة بالمثل في ما يتعلق بتخفيف أو إزالة الرسوم الجمركية، ومبدأ التخلص عن «بند الدولة الأكثر رعاية» والعمل على إزالة العقبات والشروط المجنحة الحائلة دون إمكانية نقل التكنولوجيا والتأكد على ضرورة نقلها ضمن أفضل الشروط للدول النامية. كما ارسست إتفاقية لومي قواعد جديدة في ميدان التعاون التجاري والمالي والتكنولوجي والصناعي وفي المساهمة في تنظيم هذا التعاون وتوجيهه. كل ذلك في إطار مبدأ جوهري مفاده أن تشجيع الدول النامية على زيادة إنتاجها المخصص للتصدير لكي تحصل على الوسائل المالية الضرورية لتنموها هو أفضل بكثير من تقديم المساعدات المالية، وهو ما يعبر عنه بعبارة: *Traide not Aid*.

واعتبرت إتفاقية لومي (في حينه، وعلى مدى سنوات لاحقة)، رغم نواقصها ورغم أنها لا

الثانية كانت في تشكيل بريطانيا، التقليدي والمعروف، بفاعلية وإدارة الاتحاد الأوروبي وطريقة تنفيذه للمساعدات. والثالثة كانت بمواصلة التأكيد على ضرورة توجيه التصنيف الأكبر من مساعدات الاتحاد الأوروبي لدول أوروبا الشرقية. ولولا التدخل الألماني بالتكلف، مساعدة دول أوروبا الشرقية بهدف الحفاظة على موازنة لومي كما هي، لاستمرت المفاوضات الشاقة حول تجديدها أو إلغائها لفترة أخرى.

ويتيح تجديد الاتفاقية لمدة خمس سنوات جديدة توفير فترة زمنية كافية للتخلص منها تدريجياً، ويزوسيغ القناعات عند الجميع،خصوصاً المستفيدين منها (العالم الثالث) غير تبريرات يتم صياغتها بشوب علمي تنموي (وطبعاً بالتفوذه والضغط السياسيين والاقتصاديين)، إذ من غير المؤمل، قياساً على ما رافق التجديد الأخير ومسار الأمور ومنطقها، أن يتم تجديد الاتفاقية مرة أخرى بعد العام ٢٠٠٠، سيما وأن الاتحاد السوفياتي (ونفوذه) يكون قد أصبح في الذاكرة البعيدة. وما لم ينشأ تهديد بديل للمصالح الغربية في دول العالم الثالث فإن هذا العالم سيزداد تخلفاً إن ظل يأمل بتنمية شاملة تأتيه من الشمال عبر الهبات والمساعدات.

وطويلة بين مثلي العالم الثالث في الاتفاقية ونظرائهم في الاتحاد الأوروبي، وبين اعضاء الاتحاد الأوروبي أنفسهم. ودار حلال الـ ١٥ شهراً التي سبقت التوقيع في جزيرة موريشيوس جدل ساخن حول جدوى الاتفاقية برمتها، وبلغت المطالبات الأوروبية حد طلب إلغائها بذرية أنه لم تعد ملائمة للمستجدات العالمية، وانضمت مفاهيم التنمية في العالم الثالث لمعايير صارمة ودققة كانت غائبة إبان وجود الاتحاد السوفيaticي وتنامي نفوذه في العالم الثالث. وأصبحت الدول الأوروبية الرئيسية التي صافت الاتفاقية في نشأتها (١٩٧٥)، بريطانيا وفرنسا وبلجيكا، هي الآن الأكثر تنصلاً من التزامات الاتفاقية. وقد عرق الموقف البريطاني على وجه المخصوص التجديد الأخير بسبب إصرار بريطانيا على حفظ مساهمتها في الموازنة العامة للاتفاقية بنسبة ٣٠٪. وقد تدرع هذا الموقف بعده ححج: الأولى هي رغبة بريطانيا في استبدال الآلية التي تسم بـها مساعدة دول العالم الثالث غير اتفاقية لومي إلى إنشاء علاقات مساعدة ثنائية، وهو أمر يتبع بالطبع للسياسة البريطانية تقضيل هذا البلد أو ذاك بحسب المصالح الذاتية، وبجريدة كافية للتتصل من جهة مسؤوليات تفرضها اتفاقيات جماعية، والمحجة

على بعد ٦٦٢ كيلم من العاصمة. تعداد نحو ١٨ ألف نسمة.

* سوكودي Sokodé: مدينة توغولية، على بعد ٣٥٠ كيلم من العاصمة. تعداد نحو ٥٠ ألف نسمة.

* كارا Kara: مدينة توغولية، على بعد ٤٢٨ كيلم من العاصمة. تعداد نحو ٢٩ ألف نسمة.

* لومي Lomé: عاصمة توغوا. تقع على خليج بيني غربي البلاد وقرية من الحدود مع غالان. عقدة مواصلات مهمة تربط مختلف أرجاء البلاد، خاصة بخطوط سكك الحديد. تعداد نحو ٣٩٠ ألف نسمة. كرسى أسقفي. جامعة، مركز تجاري وصناعي (صناعة الزيوت، الجعة، المنظفات، القطن).

ميناؤها شهير بتصدير الفوسفات، وقد أنشئ في ١٩٦٨ بمساعدة جمهورية المانيا الديمقراطية. عرفت، في ١٩٧٥، توقيع إحدى أكبر الاتفاقيات الاقتصادية الدولية (راجع «اتفاقية لومي»).

مدن ومعالم

* أتاكمامي Atakpamé: مدينة توغولية في غربى البلاد، يربطها خط سكة حديد بالعاصمة لومي التي تبعد عنها ١٦٧ كيلم. تعداد نحو ٢٥ ألف نسمة. صناعات الأقمشة. مسقط رأس نيكولا غرونيتزكي.

* آليهو Aného: مدينة توغولية. تقع على بعد ٤٥ كيلم من العاصمة. تعداد نحو ١٥ ألف نسمة.

* باليمي Palimé: مدينة توغولية غربى البلاد. يربطها خط سكة حديد بالعاصمة لومي. تعداد نحو ٣٠ ألف نسمة. شهيرة بزراعات البن.

* تسيفييه Tsévié: مدينة توغولية، على بعد ٣٥ كيلم من العاصمة. تعداد نحو ٢٢ ألف نسمة.

* داباووني Dapaony: مدينة توغولية،

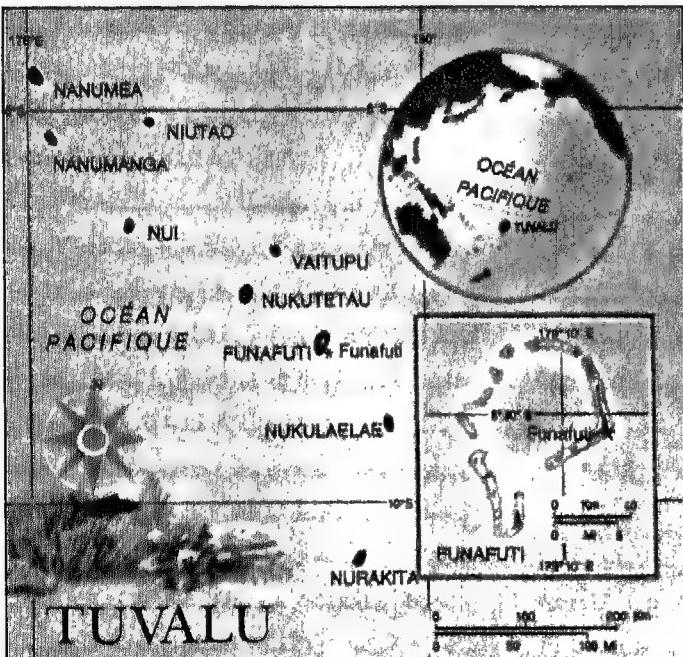
زعماء ورجال دولة

* أوليبيو، جيلكريست Olympio,G.: راجع البذرة التاريخية.

* أوليبيو، سيلفالوس Olympio,S.: سياسي توغولي. ولد في لومي ١٩٠٢-١٩٦٣:

من عائلة برازيلية الأصل. درس في المدرسة الالمانية في توغو، ثم أكمل دراسته في لندن. أصبح رئيس غرفة التجارة في توغو (١٩٤٨)، وانضم إلى «لجنة الوحدة التوغولية» التي أصبحت، بتأثيره، محور الحركة القومية التوغولية العاملة لنوحيد الشعب المقسم بين شاطئ الذهب (أي غالان ابتداء من ١٩٥٧) والتروغو الفرنسي. وعندما أعلنت توغوا جمهورية مستقلة في

- * غرونيتزكي، نيكولا Grunitzky,N (١٩١٣-): سياسي تونغولي. ولد في مدينة أتاكامي التوغولية. أول رئيس وزراء في جمهورية تونغو (١٩٥٦)، ورئيس الجمهورية بعد اغتيال سيلفانوس أولبيو (١٩٦٣) حتى الانقلاب الذي أحرأه الكولونيال إياتيما في ١٩٦٦.
- * كودجو، أدم Kodjo,A (١٩٣٨-): سياسي واقتصادي ورجل دولة تونغولي. ولد في سوكوري (تونغو) ودرس في رين (فرنسا) وتال فيها إجازة العلوم الاقتصادية (١٩٦١). درس في المعهد القومي للادارة (ENA) في باريس من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٤.
- شغل منصب أمين عام حزب التجمع التوغولي من ١٩٦٩ إلى ١٩٧١، فمدير عام الشركة الوطنية التوغولية للاستثمار، فوزير المالية في تونغو من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٦، ثم وزير الخارجية (١٩٧٨-١٩٧٦)، ثم انتخب في ١٩٧٨ أميناً عاماً لمنظمة الوحدة الأفريقية. وبعد انتهاء مدة استدعى إلى تونغو حيث عاش في الفيل إلى بداية التسعينات (راجع النبذة التاريخية).
- * كوفيغو، جوزف (١٩٤٨-): راجع النبذة التاريخية.
- ٣٠ آب ١٩٥٦، جرت فيها انتخابات عامة تحت إشراف الأمم المتحدة في نيسان ١٩٥٨ فازت بها «لجنة الوحدة التوغولية» بأكثريّة المقاعد، فاستدعي المفوض السامي الفرنسي أولبيو وكلفة تشكيل الحكومة. ومن منصبه هذا قاد بلاده نحو الاستقلال التام في نيسان ١٩٦٠.
- انتخب رئيساً للجمهورية في ١٩٦١ فمنع الأحزاب وحرم المعارضة من وسائل التعبير، وحل «جفتتو»، وهي مجموعة الشباب اليساري في «لجنة الوحدة التوغولية». واضطربت علاقاته بغانَا إلى رفض الدخول في «مجموعة الدول الفرنسية»، ثم في «منظمة الوحدة الأفريقية»، ولكنه انضم في المقابل إلى «مجموعة دول مونروفيا»؛ ثم ما لبث أن وجد نفسه معزولاً على الصعيدين الداخلي والخارجي، ما سهل قيام انقلاب عسكري ضده في كانون الثاني ١٩٦٣ لاقى فيه مصرعه، وكان أول رئيس دولة أفريقي يطيحه انقلاب عسكري منذ ١٩٤٥.
- * إياتيما، إيان Eyadema, E (١٩٣٥-): عسكري ورئيس دولة تونغو منذ ١٩٦٧. ولد في باما، وتولى رئاسة اركان حرب الجيش التوغولي في ١٩٦٧-١٩٦٥ (راجع النبذة التاريخية).



توفالو

لحة عامة

السكان والاقتصاد: نحو 10 آلاف نسمة (في العاصمة فونافوتى Funafuti نحو 2500 نسمة). يتحدرن من الأصل البولينيزى، ويتكلمون لغة جذورها بولينيزية. يجربى تعليم الانكليزية في المدارس. بعض المعمرين يتكلمون الساموية (بالنسبة إلى جزر ساموا Samoa). كنيسة توفالو أسسها مرسلون أتوا من جزر ساموا في أواخر القرن التاسع عشر، وتتبع الطقوس البروتستانتية.

يعتمدون في عيشهم على صيد السمك وزراعة جوز الهند، ومساعدات من أอستراليا وبريطانيا. يعمل عدد منهم في

الاسم: تعنى توفالو Tuvalu «مجموعة الثنائي» (أى ثانى حزر، وقد شغل سكانها، منذ نحو ثلاثة عقود، جزيرة صغيرة إضافية هي جزيرة نيو لاكتيا، فأصبحت تسع جزر صغيرة مرجانية كانت تعرف في السابق باسم «جزر إليس» Ellice).

الموقع والمساحة: تتوزع على مساحة كبيرة جنوب غربى المحيط الباسيفيكي (نحو 103 مليون كلم م. من المياه الاقليمية)، أما مساحة جزر توفالو (البرية) فلا تتعدي 26 كلم م.

الاتصالات بينها وبين الأوروبيين حتى بدء الغزوات الباحثة عن العبيد والقادمة من البرتغال وأستراليا بين ١٨٥٠ و ١٨٧٠. كما وصلها، في هذه الفترة، مرسليون بروتستانت. في ١٨٩٢، أصبحت محمية بريطانية. في ١٩١٦، ضمت هذه الجزر (تونالو) إلى مستعمرة جزر جيلبرت وإلبيس البريطانية. وبقيت شبه معزولة حتى الحرب العالمية الثانية عندما استخدمتها بريطانيا قاعدة حربية في وجه جزر جيلبرت التي احتلها الجيش الياباني.

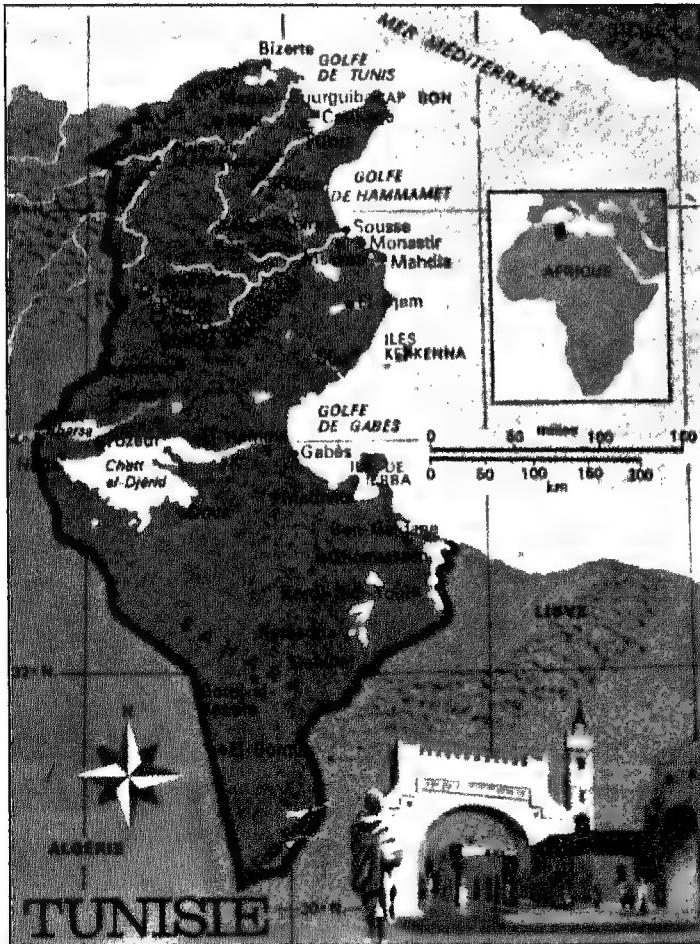
في ١٩٧٤، جرى استفتاء للسكان حول الانفصال. في أول تشرين الأول ١٩٧٥، تم الانفصال فعلياً.

في ١٩٧٧، نالت استقلالها الداخلي وانخذلت الاسم الحالي «تونالو». في أول تشرين الأول ١٩٧٨، نالت تونالو استقلالها التام.

مناجم الفوسفات في جزيرة سورو، ومنهم موظفو في العاصمة فونافوت، وفي العاصمة الإدارية فانغاسال *Fangasale*.

الحكم: تونالو عضو في الكوميونيت البريطاني. الدستور المعمول به صادر في أول تشرين الأول ١٩٧٨. المجلس التشريعي من ١٢ عضواً منتخبًا بالاقتراع الشامل وال مباشر لمدة أربعة أعوام. الملكة إليزابيث الثانية هي رئيسة الدولة. رئيس الوزراء بيكنيبو باينيو منذ إيلول ١٩٨٩، المحاكم هو توناليسي لاوتي منذ أول تشرين الأول ١٩٩٠.

نبلة تاريخية: سكان تونالو الأوائل وصلوا من تونغا وجزر ساموا. اكتشف الإسباني مندانا *Mendana* هذه الجزر في ١٥٦٨. لكن تونالو بقيت معزولة، ولم يتم



تونس

بطاقة تعريف

وتتصل بالبحر المتوسط بواسطة قنطرة تجعل منها مرفأً مهماً. أهم المدن: صفاقس، سوسة، موناستير، بنزرت، قابس، وهي مدن ساحلية ومرافئ تجارية، والقريون في الداخل (راجع «مدن ومعالم»).

اللغات: العربية (رسمية) والفرنسية على نطاق واسع. وهناك بلدات وقرى (مثل جبل، مطماطة، جنوبى جربة) سكانها البربر يتكلمون البربرية بالإضافة إلى العربية. وهم أقلية صغيرة. لكن، في خطوة أولى اعتبرت بداية النهاية

الموقع: في أقصى شمال القارة الأفريقية، على ساحل البحر المتوسط، وتبعد مسافة ١٤٠ كيلم عن مضيق صقلية.

يمدها البحر المتوسط من الشمال والشرق، ويبلغ طول شواطئها عليه نحو ١٢٠٠ كيلم، وليبيا من الجنوب الشرقي (وطول حدودها معها ٤٨٠ كيلم)، والجزائر من الغرب (١٠٥٠ كيلم).

المساحة: ١٦٣ ألفاً و٦٠٠ كيلم م..
العاصمة: تونس المدينة، وتحتل مع ضاحيتها المركز الصناعي والتجاري الأول في البلاد،

المعمول به صادر أول حزيران ١٩٥٩، معدل في ١٩٨٨. في حال شغور منصب رئاسة الجمهورية، يشغل رئيس البرلمان هذا المنصب مؤقتاً ريثما يتم انتخاب رئيس جديد في مدة أقصاها ستة أشهر من غير أن يكون من حق الرئيس الموقت أن يترشح لهذا المنصب. الجمعية العمومية (البرلمان) من ١٤١ عضواً متاخماً لمدة خمسة أعوام بالانتخاب الشامل. والبلاد مقسمة إلى ٢٣ حاكمة محلية مقسمة بدورها إلى دوائر وأقضية.

بالنسبة إلى الأحزاب: راجع البذلة التاريخية. مع الموجة الإسلامية في المنطقة، وخصوصاً في الجزائر المجاورة وذات التأثيرات الأكيدة على مجريات الأمور في تونس، كتب الكثير حول متانة نظام الحكم في تونس والتحديات المرتقبة التي قد يواجهها. أوجز «المعجم الجيوبوليتيكي للدول» (إيف لا كوست، فلاماريون، باريس، ١٩٩٤، ص ٥٦٧-٥٦٨) هذه الكتابات بالفقرتين التاليتين تحت عنوان فرعي «المستقبل مسألة معلقة»:

«بعد انتخابه رئيساً للجمهورية، تمنع بن علي بنوع من إجماع الامة عليه. فخفف من سياسة العلمنة التي كان ينتمي إليها سلفه الحبيب بورقيبة وضاعف من المبادرات التي تراعي فيها الدولة التقاليد الإسلامية. ولكنه، بخلاف الحكومة الجزائرية التي شرعت، في ١٩٩٠، الجبهة الإسلامية للإنقاذ فأتساحت هذه الأخيرة الفوز الذي حققه في انتخابات ١٩٩١، رفض، في ١٩٨٩، أن يشرع الحركة الإسلامية كحزب سياسي في تونس، فبقي الإسلاميون خارج اللعبة الانتخابية...»

المشكلة الجيوسياسية الأكبر في تونس اليوم مرتبطة إلى حد كبير بالتطور السياسي في الجزائر. صحيح ان الرئيس بن علي، الذي أعيد انتخابه مرة جديدة في آذار ١٩٩٤، بنسبة ٩٩,٩%

لسيطرة اللغة الفرنسية على النظام التعليمي في تونس، أعلن (آيار ١٩٩٥) وزير التعليم العالي التونسي أن مرسوماً رئاسياً صدر أخيراً يقضي بتعظيم اعتماد الانكليزية في كل شعب التعليم الجامعي. وبعد أشهر قليلة (أيلول ١٩٩٤)، أقرت وزارة التربية التونسية إدخال الانكليزية إلى مقررات التعليم الابتدائي ابتداء من السنة الدراسية ١٩٩٤-١٩٩٥، وهي الخطوة الأولى من نوعها منذ استقلال تونس عن فرنسا في ١٩٥٦، كما أنها المرة الأولى التي يقرر فيها بلد مغاربي تعليم الانكليزية في الصفوف الابتدائية. السكان: كان عددهم في العام ١٩١١ نحو مليوني نسمة (منهم نحو ١٥٠ ألف أوروبي)، وأصبح في ١٩٨٠ نحو ٦,٥ مليونين، ويبلغ تعدادهم حالياً (١٩٩٦) نحو ٨,٧٥ مليونين، وتشير التقديرات إلى انهم سيبلغون نحو ١٠ مليونين في العام ٢٠٠٠.

الإسلام دين الدولة الرسمي (يجب أن يكون رئيس الجمهورية مسلماً)، نحو ٨٥٪ على المذهب المالكي، و١٥٪ حنفي. وهناك نحو ١٣ ألف كاثوليكي (كانوا ٦٠ ألفاً في العام ١٩٥٦)، ونحو ١٠ آلاف يهودي (كانوا نحو ٦٠ ألفاً في العام ١٩٣٦)، وأماكن إقامتهم في العاصمة والضواحي، ومدن جربة وصفاقس وسوسة وقابس (نحو ٥٠ ألف يهودي تونسي غادروا تونس وهاجروا إلى إسرائيل خلال النصف القرن الأخير). الغالية العظمى من السكان من أصل عربي. أما البربر في تونس ف أقلية صغيرة جدّاً، يعيشون في جنوب البلاد (منطقة مطماطة) وفي جزيرة جربة. وتختلف تونس في الصدد هذا عن الجزائر والمغرب حيث يشكل البربر جزءاً مهماً من سكانهما ويعيشون في المناطق الجبلية التي ساعدت على استمرارهم والحفاظ على لغتهم في وجه التعرّب. الحكم: جمهوري. دولة إسلامية. الدستور

تأسست في اواخر القرون الماضية. واستطاعت تونس في ١٩٩٥-١٩٩٦ استقطاب اهتمام دول غربية مخصوصاً المانيا وبريطانيا لتطوير التعاون في استثمار الثروات المنجمية المحلية، وأثار التعاون تفاصيل مشاريع مشتركة. وهناك كميات كافية من البترول والغاز الطبيعي. وأبرز الصناعات التونسية: الصناعة الغذائية (زيت الزيتون، الخمور، السكر)، تعليب الفواكه والاسماك)، الكيماوية (الاسمنت، الاسمنت، الصابون، وتكرير البترول)، النسيجية والتعدية، ويتركز معظم هذه الصناعات في المدن الكبرى وضواحيها: تونس، بنزرت، صفاقس، قابس، القصرين، وغيرها.

منذ سنوات الحكومة عاكفة على تشجيع القطاع السياحي. وصل عدد السياح في ١٩٩٥ إلى أربعة ملايين، وتشير التقديرات إلى أن عددهم سيصل إلى ستة ملايين في ١٩٩٦. وقد يتجاوز عدد المسافرين عبر المطارات الستة في تونس ٧ ملايين مسافر في ١٩٩٥. وتسعى تونس إلى تطوير السياحة الصحراوية والجبيلية. وكان الفرنسيون يستأثرون بالمرتبة الأولى بين السياح الأوروبيين، إلا أن عددهم تراجع وحلّ محلّهم الالمان «الذين باتوا يفضلون تونس على تركيزاً».

«الاصوات)، يستمر في تشديده إزاء الاسلاميين وخاصة بعد اكتشاف مؤامرة مسلحة مدبرة ضده بمساعدة الحكومة الاسلامية في الخرطوم، لكن الصحيح ايضاً انه إذا توصل الاسلاميون إلى استلام السلطة في الجزائر، فقد يصبح من الممكن ان يستلموا السلطة ايضاً في تونس».

الاقتصاد: الزراعة والثروة الحيوانية والغابات تؤمن العمل لنحو ٣٥٪ من اليد العاملة. يتركز معظم الزراعات في السهول الساحلية والسفوح الجبلية والأودية النهرية، وأهم انواعها الحبوب والزيتون والحمضيات والجوز والخضار، بالإضافة إلى التغذية في واحات الجنوب. وملوك تونس غابة صنوبرية مهمة. وصيد السمك تطورت حرفه وتضاعف إنتاجه بفضل وجود اسطول للصيد البحري (٩٦ ألف طن متوسط إنتاج السنوات الأخيرة ١٩٩٥-١٩٩٠).

تشهد الصناعة تقدماً ملحوظاً. أهم المعادن المتوفّرة الفوسفات واللحديد والرصاص والزنك والأملّاح. يصدر الفوسفات من ميناء صفاقس (٢٥٠ كلم جنوب العاصمة تونس)، وهناك نحو مئة باخرة لنقل الفوسفات في السنة. وقدر إنتاجه في ١٩٩٥ بحوالي ١،٣ مليون طن. وتأتي تونس في المرتبة الثالثة عالمياً بين مصدري الفوسفات، و«الشركة الوطنية للفوسفات»

نبذة تاريخية

حتى أصبحت تضم كامل المناطق التي تشكل منها تونس الحالية. وعرفت هذه المقاطعة الرومانية ازدهاراً واسعاً بين القرن الثاني والقرن الخامس، وباتت تومن استهلاك روما من الحبوب وكامل الامبراطورية الرومانية من زيت الزيتون.

وفي العصر الروماني، انتشرت المسيحية في قرطاجة، وبرزت وجوه مسيحية من أمثال ترتوليان، والقديس سيبيريوس، والقديسة مونيكا وأبنها القديس أوغسطين. لم يتمكن الرومان، مثل القرطاجيين من قبلهم، من فرض لغة أو دين في تونس؛ فحافظ البربر، داخل البلاد، على لغتهم ومعتقداتهم الفريدة من العتقدات الأفريقية الإحيائية.

في العام ٣١٤، حدث انقسام كبير داخل الكنيسة في قرطاجة ترعمه دونا الذي كان أسقف قرطاجة. وقد لاقت هذه البدعة (الدوناتية) دعماً وتأييداً من قبائل الفاندال التي غزت قرطاجة مع نهاية الامبراطورية الرومانية (٤٢٩-٥٣٣). وبين ٥٣٣ و٦٤٧، كانت السيطرة على قرطاجة للامبراطورية البيزنطية.

العرب: في ٦٤٧، بدأ الغزو العربي للبلاد، وتم لهم السيطرة الكاملة عليها في القرن الثامن. وقد تمكّن العرب، دون صعوبة كبيرة، من محـو الأثر الروماني فيها. بنوا المدن. لكنهم هدموا قرطاجة (٦٩٨)، ولم يتوصّلوا إلى إخضاع البربر بشكل كامل، وإن بمحـوا في توحيد البلاد ثقافياً. إذ إن فتوحـتهم، في القرنين الحادي عشر

الفينيقيون: قبل وصول الفينيقيين، في القرن الرابع عشر ق.م.، إلى شواطئ تونس الحالية، كان داخل البلاد مأهولاً بشعب أطلق عليه العرب في ما بعد إسم «البربر»، في حين أطلق بعض المؤرخين الأجانب على هؤلاء السكان الذين كانوا يقطنون هذه المناطق الداخلية قبل وصول الفينيقيين إلى المناطق الساحلية باسم «القبصيون» Capsiens (من قبصـة، أو قفصـة)، أي، برأي هؤلاء المؤرخين، «أكلة البزاق». ولم يتوصـل المؤرخون حتى اليوم إلى تحديد أصل البربر المتنـشرين في شمال إفريقيا.

أقام الفينيقيون مرافق تجارية طـم على شواطئ إفريقيـا الشمالـية. وخلال القرن الخامس ق.م.، أصبحـت مدينة قرطاجة مركزـاً إمبراطوريـة تجاريـة مهمـة.

الرومان: لم يتمـكن الرومان من إخضـاع قرطاجة إلا بعد حـروب استمرت نحو قرن كامل (١٤٦-٢٦٤ ق.م.). (راجع «إيطاليـا»، جـ ٤، صـ ٢٦٨). في ١٤٦ ق.م. هـدمـها سـبيـرونـ. وـكانـ كـاتـونـ يقول «يـجب هـدم قـرـطـاجـة» Delenda est (Carthago). في ١٢٢ ق.م. أعادـ الروـمانـ بناءـها تحتـ إـسـمـ «ـمسـتـعـمـرةـ جـونـوـنيـاـ» (Colonia Junonia) مستـقـدـمـينـ إـلـيـهاـ نـحوـ ٦ـآـلـافـ مـسـتـوـطـنـ روـمـانـيـ. وـتوـسـعـتـ قـرـطـاجـةـ فيـ عـهـدـهـمـ إـلـىـ دـاخـلـ الـبـلـادـ وـعـلـىـ السـاحـلـ



ابن خلدون.

مقدسة بعد مكة والمدينة والقدس. وعرفت عصرها النهبي في عصر الأغالبة الذين اشتهروا برعايتهم للعلوم والفنون، ومن أشهر آثارهم الجامع الكبير في القิروان الذي يعد من روائع العمارة الإسلامية. وشيد الأغالبة بيت الحكم واحاطوا أنفسهم بالفقهاء والعلماء والبدعين. فساهمت القิروان بصورة أساسية في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في إفريقيا الشمالية.

والثاني عشر حملت معها الإسلام واللغة العربية. وبين ١٢٢٨ و١٥٧٤ أصبحت تونس من أهم مراكز الاعمال الدينية والعلمية في العالم الإسلامي. وفي هذه الفترة كتب ابن خلدون مقدمته المعتبرة في أساس علم الاجتماع.

أسس عقبة بن نافع مدينة القิروان في ٦٧٠ بالقرب من قلعة بيزنطية، فصارت أول عاصمة للمغرب العربي ورابع مدينة

وفي زمن الحفصيين ولد ابن خلدون في تونس (١٣٢٢) ودرس في جامع الزيتونة ثم عمل في خدمة السلطان الحفصي أبي اسحق الثاني في فترة ساد القلق والاضطراب.

بين ١٥٢٦ و ١٥٧٣ حقبة من الصراع بين الحفصيين، يدعمهم الإسبان، وبين الاتراك؛ حتى تلاشت (وانهارت) قوة الحفصيين، فسيطر دون خوان «التمساوي» على تونس في ١٥٧٣، ولكن لأشهر قليلة.

الاتراك: انتصر الاتراك العثمانيون ودخلوا تونس في ١٥٧٤، وتحولت إفريقيا الشمالية إلى ولاية من ولايات الامبراطورية العثمانية. وبعد ثلاثة أعوام فقط، أي في ١٥٧٧ أقامت فرنسا قنصليّة لها في تونس (لكن الغلبة في النفوذ الأوروبي كان لا يزال للإسبان)، فدخلت تونس في مرحلة جديدة من تاريخها تميزت بتصاعد القوى الغربية، وترافق ذلك مع سقوط آخر مملكة عربية في الاندلس، ما زاد من نفوذ القرى الإسبانية التي سعت إلى بسط نفوذها على شواطئ إفريقيا الشمالية.

ومنذ ١٥٩٠، بدأ الاتراك يحكمون تونس بواسطة جند الانكشارية لديهم (مسيحيون اعتنقوا الإسلام) الذين كانوا ينصبون «دai» حاكماً على تونس، وبعده «باي». حكم dai من ١٥٩٨ إلى ١٥٩٠، والباي من ١٦٣١ إلى ١٧٠٢. وبعد ثلاث سنوات (أي في ١٧٠٥) سيطر الباي حسين على السلطة، وأسس أسرة مالكة عرفت بالأسرة الحسينية التي ظلت توارث السلطة حتى استقلال تونس في

وهذا الوضع الحضاري المزدهر الذي نعمت به القيروان شجع عدداً كبيراً من علماء (خاصة الأطباء) الشرقي والغربي على الجيء إليها والعمل فيها. ومنها انتشرت «المعرفة الطبية» إلى أوروبا خلال القرون الوسطى وساهمت في تطوير الدراسات العلمية في جامعة مونبلييه وغيرها.

بني الفاطميون ، على الساحل التونسي مدينة المهدية لتكون عاصمتهم الجديدة. ومن المعروف أن أول دولة فاطمية نشأت في شمالي إفريقيا قبل أن تنتقل إلى مصر، وذلك عندما تمكن الإمام عبيدة الله المهدى من هدم دولة الأغالبة وطرد آخر ملوكها. وبعد دخوله إلى القيروان قرر عبيدة الله تأسيس مدينة المهدية التي صارت مقرًا ملكيًّا، لكنها لم تستطع أن تحمل مصلح القيروان التي ظلت العاصمة الأساسية والمهمة للبلاد مدة أربعة قرون، أي حتى منتصف القرن الحادى عشر عندما اكتسحت قبائل بني هلال العربية شمالي إفريقيا، وتميز تنقلهم بحركة تدمير واسعة حتى ان ابن خلدون وصفهم بـ«الجراد المتشر لا يقربون من شيء إلا أتوا عليه».

وإذا كانت العصور الكلاسيكية في التاريخ التونسي تميزت بهيمنة القيروان والمهدية، فإن مدينة تونس أصبحت العاصمة وتفوقت على بقية المدن منذ عهد الحفصيين الذين حكموا منذ مطلع القرن الثالث عشر وحتى مجيء العثمانيين في ١٥٧٤ . وفي تلك الحقبة توافد التجار الأوروبيون، منهم بالخصوص الإيطاليون، وأقاموا في فنادق مدينة تونس وضواحيها.

المتحدر من أسرة شركسية (توفي في استنبول ١٨٩٩)، وكان من ألمع رجال النهضة التونسية التي كانت شبيهة إلى حد كبير بحركة الاصلاح والنهضة التي حصلت في مصر في الوقت نفسه وبرز فيها، أكثر ما برع، النهضويون اللبنانيون.

الفرنسيون: في ١٨٨١، احتلت فرنسا تونس بعد قليل من احتلالها الجزائر. فأصبحت تونس محمية فرنسية بموجب معاهدة «باردو» الموقعة في ١٢ ايار ١٨٨١ والمتممة والمحدة، معاهدة «لا مارسا» في ٨ حزيران ١٨٨٣. وكان أول مقيم عام فرنسي تيودور روستان (١٨٨٣-١٩٠٦).

ومن أهم أحداث فترة الاحتلال الفرنسي: قيام حركة تونسية مناهضة للفرنسيين في ١٨٨٥. توقيع إتفاقية فرنسية-إيطالية حول مصالح الدولتين في تونس في ٢٨ ايلول ١٨٨٦. إنشاء حزب ثوري تونسي (تونس الفتاة) بزعامة علي باشا في ١٩٠٧. تخنيس يهود تونس في ١٩١٠-١٩٠٩. اندلاع حوادث دامية بسبب إقدام الادارة الفرنسية على اتهام حرمة مقابر جلاز في ١٩١١. إنشاء الحزب الدستوري (حزب دستوري ليبرالي) في ١٩٢٠. تخلي تركيا عن حقوقها في تونس في ١٩٢٣ وصدور قانون التجنن. تأسيس حزب دستوري جديد يتزعمه الحبيب بورقيبة في ١٩٣٤ وإلقاء القبض على بورقيبة وسجنه وإطلاق سراحه في ١٩٣٦ ثم إعادة اعتقاله بسبب اضطرابات في العاصمة وقعت في ٩ نيسان ١٩٣٨.

١٩٥٧

ومنذ تاريخ السيطرة العثمانية على تونس، نمت في مدينة تونس حالية تركية كبيرة كانت تمثل بزمام السلطة. وعكسَت الصراعات بين الداي والباي التناقضات التي كانت سائدة في القرن السابع عشر بين القوى المحلية والقوى التركية والتي مهدت للتغييرات السياسية التي حصلت في ما بعد وأدت إلى سيطرة الباي حسين في ١٧٠٥. وتحولت الأسرة الحسينية، مع الأيام، إلى نوع من الحكومة المحلية التي تحهد في اكتساب هامش من الاستقلال الذاتي. فأعادت إحياء التقاليد التونسية القديمة وبالخصوص ما تركه الحفصيون من تراث، وزادت عدد الموظفين المحليين في الادارة العامة والقضاء ودعم اللغة العربية وسلطة علماء الدين، حتى تمنت في الأخير من القضاء على دور الجيش التركي. وما ساهم في نجاحها تعاونها التجاري مع أوروبا وسيطرتها على الداخل التونسي.

وعلى يد هذه الأسرة (الحسينية) تم أهم ما يميز تاريخ تونس في القرن التاسع عشر وهو الاصلاحات الكبيرة التي حدثت في حقول الادارة والجيش والضرائب والتربية، وغيرها. وذلك في عهد أحمد باشا باي (١٨٣٧-١٨٥٥) الذي شيد قصر باردو الشهير، وعهد محمد باي (١٨٥٥-١٨٥٩)، ومحمد الصادق (١٨٥٩-١٨٨٣). وقد ساهمت هذه الاصلاحات في تغيير طبيعة الدولة التونسية وتحديثها، وعكسَت حضور نخبة منفتحة في المجتمع ضمت شخصيات عدّة منها خير الدين،

الأحرر» لإرهاب الوطنيين التونسيين وقامت بعدة عمليات اغتيال ونسف، واستمرت ناشطة نحو عامين. وبعد رفض الشوار ل برنامـج إصلاحـي فرنـسي، وـنفي بـورـقيـة إـلـى خـارـجـ الـبـلـادـ، زـارـ رـئـيسـ الـحـكـوـمـةـ الفـرـنـسـيـةـ بيـارـ منـدـسـ فـرـانـسـ تـونـسـ، وـأـعـلـنـ فيـ مدـيـنـةـ قـرـاطـاجـ قـبـولـهـ مـبـدـأـ الـاسـتـقـلـالـ الذـاتـيـ لـتـونـسـ. وـفـيـ ٢ـ آـبـ ١ـ٩ـ٥ـ٤ـ، أـصـبـحـ طـاهـرـ بنـ عـمـارـ رـئـيسـ الـحـكـوـمـةـ التـونـسـيـةـ، وـأـصـدـرـ نـداءـ يـدعـوـ إـلـىـ رـميـ السـلاحـ.

صدر تـشـريعـاتـ معـادـيةـ لـلـيهـودـ بـيـنـ ١ـ٩ـ٤ـ٠ـ وـ ١ـ٩ـ٤ـ٣ـ. اـحـتـلاـلـ أـلـمـانـيـ لـلـبـلـادـ بـيـنـ ٨ـ تـشـريـنـ الثـانـيـ ١ـ٩ـ٤ـ٢ـ وـ ١ـ٣ـ آـيـارـ ١ـ٩ـ٤ـ٣ـ وـالـقـومـيـونـ التـونـسـيـونـ رـحـبـواـ بـالـتـعاـونـ مـعـ الـأـلـمـانـ. الـجـنـرـالـ جـيـرـوـ اـسـتـولـىـ عـلـىـ تـونـسـ وـالـتـعاـونـوـنـ مـعـ الـأـلـمـانـ فـرـرـاـ إـلـىـ الـخـارـجـ. صـدـورـ بـيـانـ «ـالـجـبـهـةـ التـونـسـيـةـ»ـ الـمـطـالـبـ بـالـاسـتـقـلـالـ الدـاخـلـيـ وـإـجـرـاءـ أـوـلـ اـنـتـخـابـاتـ قـاطـعـهاـ ٨ـ٠ـ٪ـ مـنـ الـتـونـسـيـنـ فيـ ١ـ٩ـ٤ـ٥ـ. أـوـلـ مـؤـمـرـ سـرـيـ لـلـقـوـمـيـنـ وـالـوـطـنـيـنـ التـونـسـيـنـ فيـ ١ـ٩ـ٤ـ٦ـ آـبـ ٢ـ٥ـ.

بعد إنفاضة مسلحة في ١٩٥١: في

إطار أحدـاثـ تـارـيخـيـةـ كـبـرىـ عـرـفـهـاـ بـلـدـانـ شـمـالـيـ إـفـرـيقـيـاـ فيـ هـذـهـ السـنـةـ ١ـ٩ـ٥ـ١ـ): مشـاكـلـ بـيـنـ سـلـطـانـ الـمـغـرـبـ وـالـجـنـرـالـ الـفـرـنـسـيـ جـوـانـ، اـحـدـاثـ الـقـاهـرـةـ الـدـامـيـةـ الـيـةـ جـابـهـتـ الـمـحتـلـيـنـ الـانـكـلـيـزـ، نـيلـ لـيـبـاـ اـسـتـقـلـاـلـهـاـ عنـ إـيطـالـياـ بـزـعـامـةـ مـحـمـدـ إـدـرـيـسـ السـنـوـسـيـ، اـنـدـلـعـتـ، فيـ ١٧ـ كـانـونـ الـأـوـلـ ١ـ٩ـ٥ـ١ـ، فيـ تـونـسـ اـنـفـاضـةـ مـسـلـحةـ مـهـدـتـ لـهـ اـعـوـدةـ الـحـبـيـبـ بـورـقـيـةـ زـعـيمـ حـزـبـ الـدـسـتـورـ الـجـدـيدـ إـلـىـ الـبـلـادـ فيـ ١ـ٩ـ٤ـ٩ـ، وـاقـتـراـحـاتـ اـصـلـاحـيـةـ قـبـلـهـاـ السـلـطـاتـ الـفـرـنـسـيـةـ عـلـىـ مـضـضـ، وـتـشـكـيلـ حـكـوـمـ جـدـيـدـ (ـصـيفـ ١ـ٩ـ٥ـ٠ـ) بـرـئـاسـةـ مـحـمـدـ شـنـيقـ توـلـيـ فـيـهـاـ صـالـحـ بـنـ يـوسـفـ وـزـارـةـ الـعـدـلـ مـعـلـنـاـ انـ «ـهـدـفـ الـحـكـوـمـةـ الـجـدـيـدـةـ هوـ إـعـادـةـ السـيـادـةـ إـلـىـ الـتـونـسـيـنـ عـلـىـ مـرـاحـلـ». وـبـالـفـعـلـ قـامـتـ الـحـكـوـمـةـ التـونـسـيـةـ خـلالـ الـشـهـرـ التـالـيـ بـسـحبـ الـخـبـرـاءـ وـالـمـسـتـشـارـيـنـ الـفـرـنـسـيـنـ، وـحدـتـ مـنـ سـلـطـةـ الـقـيـمـ الـعـامـ الـفـرـنـسـيـ، وـاقـتـرـحـتـ عـلـىـ الـحـكـوـمـةـ الـفـرـنـسـيـةـ تـشـكـيلـ

فيـ ٢ـ١ـ شـبـاطـ ١ـ٩ـ٤ـ٧ـ، عـيـنـ جـانـ مـونـسـ مـقـيـماـ عـامـاـ، فـبـادرـ إـلـىـ إـجـرـاءـ بـعـضـ الـاصـلـاحـاتـ: الـغـيـرـقـابـةـ وـأـعـادـ تـنظـيمـ مجلـسـ الـوزـراءـ بـحـيـثـ أـصـبـحـ يـتـكـونـ مـنـ ٦ـ فـرـنـسـيـنـ وـ٦ـ تـونـسـيـنـ، وـيـرـأسـ الـجـلـسـ تـونـسـيـ. فيـ آـبـ ١ـ٩ـ٤ـ٧ـ، جـرـىـ إـضـرـابـ عـامـ فيـ صـفـاقـسـ نـظـمـهـ الـاـتـحـادـ الـعـامـ لـلـعـمـالـ الـتـونـسـيـنـ، وـقـمعـتـهـ السـلـطـةـ بـعـنـفـ أـوـدـيـ بـجـيـةـ ٣ـ مـضـرـيـاـ (ـرـاجـعـ «ـفـرـحـاتـ حـشـادـ»ـ فيـ بـابـ زـعـمـاءـ وـرـجـالـ دـولـةـ). وـفـيـ حـزـيرـانـ ١ـ٩ـ٤ـ٩ـ، جـرـىـ وـضـعـ مـشـروـعـ دـسـتـورـ جـدـيدـ، وـبـعـدـ تـصـاعـدـتـ حـدـةـ الـمـطـالـبـ الـاسـتـقـلـالـيـةـ، وـاعـتـقـلـ الـحـبـيـبـ بـورـقـيـةـ فيـ ١٨ـ كـانـونـ الثـانـيـ ١ـ٩ـ٥ـ٢ـ. وـبـعـدـ اـسـبـوعـ مـنـ اـعـتـقـالـهـ، طـرـحـ إـدـغـارـ فـورـ اـسـتـعـافـ الـتـفاـوـضـ مـعـ الـتـونـسـيـنـ، وـعـرـضـ فـرـنسـواـ مـيـزانـ (ـوـزـيرـ دـولـةـ)ـ خـطـةـ لـلـاسـتـقـلـالـ الدـاخـلـيـ لـتـونـسـ، وـتـضـمـنـ مـنـحـ جـنـسـيـتـيـنـ لـلـفـرـنـسـيـنـ فيـ تـونـسـ، وـوـجـدـهـاـ بـورـقـيـةـ قـابـلـةـ لـلـتـفـاوـضـ. وـمـعـ اـسـتـمـارـ الـثـورـةـ الـاسـتـقـلـالـيـةـ، شـكـلـ مـسـتـوـطـنـوـنـ فـرـنـسـيـوـنـ مـنظـمةـ «ـالـكـفـ

حزيران ١٩٥٥) مظفراً. وفور عودته تم الإعلان عن الوصول إلى اتفاق نهائي كان الخطوة الأساسية على طريق الاستقلال.

الاستقلال: أقرت فرنسا، رسميًا، باستقلال تونس في بروتوكول وقع في آذار ١٩٥٦. وفي ٢٨ تموز من العام نفسه، غادر بن يوسف البلاد وطلب اللجوء إلى القاهرة. وبعد أيام، حرت انتخابات عامة (عدد المقترعين ٥٩٨ ألفًا) صوت ٩٥٪ منهم إلى جانب الجبهة الوطنية، ومحورها الحزب الدستوري بزعامة بورقيبة الذي أصبح رئيساً للحكومة. وفي أول حزيران ١٩٥٧، طلب بورقيبة من الحكومة الفرنسية سحب الجيش الفرنسي من الأراضي التونسية. وفي ٢٥ تموز ١٩٥٧، قررت الجمعية التأسيسية التونسية إلغاء منصب الباي وانتخاب بورقيبة رئيساً للجمهورية مع منحه لقب «المجاهد الأكبر».

وبسبب دعم تونس للثوار الجزائريين، تآزرت الأوضاع بين تونس وفرنسا، وكانت تصل أحياناً إلى قطع العلاقات بينهما. ولم تحسن هذه الظروف إلا بعد جحود الجنرال ديغول إلى الحكم، حيث تم الاتفاق على سحب القوات الفرنسية (باستثناء قاعدة بنزرت) خلال ٤ أشهر. وفي أول حزيران ١٩٥٩، صدر دستور جديد كرس شكل الحكم الرئاسي. ثم أعيد انتخاب بورقيبة رئيساً للجمهورية. وفي ١٩٦١، عادت العلاقات إلى التأزن مع فرنسا بسبب استمرار الوجود العسكري الفرنسي في بنزرت ومطالبة التونسيين

جمعية وطنية تتولى بنفسها وضع دستور للبلاد وتحديد مستقبله.

وإثر رفض الحكومة الفرنسية بحمل هذا المسار، ومناوراتها، اندلعت الانتفاضة المسلحة في طول تونس وعرضها. فقامت السلطات الفرنسية (في أواسط كانون الثاني ١٩٥٢، أي بعد نحو شهر من انطلاق الانتفاضة) باعتقال العديد من زعماء البلد والحزب الدستوري وعلى رأسهم الحبيب بورقيبة والمنجي سليم ورئيس الحكومة محمد شنيق وصالح بن يوسف، وفرضت حكاماً عرفية. لكن عمليات الثوار المسلحة، راحت تتكاثر في تونس العاصمة وفي المناطق، رد عليها مستوى طنون فرنسيون بتشكيل تنظيم لارهاب الشوار بعمليات اغتيال لمواطني وشخصيات وطنية (أبرز هذه الشخصيات الزعيم النقابي محمد حشاد الذي سقط ضحية لواحدة من العمليات الإرهابية). وتوصلت الشخصيات والسلطات الوطنية التونسية إلى نقل القضية التونسية إلى الأمم المتحدة وإلى جامعة الدول العربية في القاهرة.

أدرك الرعيم الفرنسي بيير منلس فرنس (وهو الذي كان يتمتع بعقلية ليبرالية ساهمت في حل العديد من الاشكالات بين فرنسا ومستعمراتها خلال سنوات حكمه) أنه من العبث مواصلة التصدّي لرغبة التونسيين في الحصول على استقلالهم. فقدمت حكومته اقتراحًا يمنح تونس الحكم الذاتي مع احتفاظ فرنسا بمسؤولية الدفاع والشؤون الخارجية، وهو اقتراح نال قبولاً من جانب بورقيبة الذي عاد من المنفى (أول

الجزائريين. لذلك أعلن الحبيب بورقيبة، في ١٧ تموز ١٩٦١، ابتداء معركة الجلاء، وأمر بإقامة السدود والحواجز على الطرق المؤدية إلى القاعدة تمهيداً لتحريرها من الفرنسيين.

رد الفرنسيون على ذلك بتعزيز الحامية العسكرية في القاعدة، وبارسال المظليين الفرنسيين. وابتدأت المعركة العسكرية في ١٩ تموز (١٩٦١) واستمرت حتى ٢٢ منه بين الطرفين ذهب ضحيتها أكثر من ألف تونسي، معظمهم من المدنيين، فقطعت تونس علاقاتها مع فرنسا (٢١ تموز)، وأصدر مجلس الأمن، بناء على شكوى تقدمت بها الحكومة التونسية، قراراً يوقف إطلاق النار دون أن يدين الاعتداء الفرنسي بسبب معارضته الولايات المتحدة. وبعدما ماطلت فرنسا في تنفيذ الرغبة الدولية، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً مماثلاً. وقد لبت الدول العربية المستقلة نداء تونس في إرسال المتطوعين للقتال ضد فرنسا.

اضطربت فرنسا أخيراً للإذعان للمطلب التونسي القاضي بعقد مفاوضات بين الطرفين تمهيداً للجلاء عن الأراضي التونسية بكاملها. وفي أيلول ١٩٦١، عقدت المفاوضات وانتهت بالسماح للجيش الفرنسي الاحتفاظ بالقاعدة حتى ١٩٦٣ حين عادت إلى السيادة التونسية (جلاء آخر جندي فرنسي في ١٣ كانون الأول ١٩٦٣). وكانت العلاقات الدبلوماسية عادت بين البلدين في آب ١٩٦٢.

خروج الفرنسيين منها.

بنزرت: استمر الفرنسيون يجلون عن تونس حتى ١٩٥٨، لكنهم ظلوا محتفظين «موقعًا» بقاعدة عسكرية لهم في بنزرت (مدينة صغيرة في تونس وميناء على البحر المتوسط، أقيمت بالقرب منها قاعدة عسكرية فرنسية).

في هذه اللحظة كانت الجزائر تشهد ثورة على الحكم الفرنسي الذي كان يعيش أوضاعاً داخلية وخارجية غير مرحبة، ويحاول تحاوزها من خلال البقاء في بنزرت والقضاء على الثورة الجزائرية المتنامية.

في ١٩٥٩، نادى الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بوجوب الجلاء عن بنزرت. وأعلن، في ١٩٦٠، ابتداء معركة الجلاء؛ غير أنه عاد وأرجأ هذه المعركة نظرًا لدقائق الوضع السياسي للشورة الجزائرية، إذ كان الفرنسيون يطلبون من تونس عدم إثارة هذا الموضوع تسهيلاً لعملية التفاوض مع الجزائريين. لكن فرنسا، بعد أن ابتدأت بالتفاوض مع القادة الجزائريين، أخذت تطلب منهم التخلص عن ميناء المرسى الكبير، أحد الموانئ المهمة في الجزائر، واعتباره أرضًا فرنسية لها وضع مشابه لوضع جبل طارق، وكذلك كانت تبني القيام بالخطوة نفسها إزاء قاعدة بنزرت التونسية. إذ بعد إتصالات عديدة بين فرنسا وتونس على أعلى المستويات تبين لتونس أن فرنسا لا ترغب في الجلاء عن بنزرت، لا بل عمدت إلى توسيعها لجعلها قاعدة انطلاق للطائرات الفرنسية ضد معاقل الثوار

في تشرين الاول ١٩٧٠، عين المادي نويرة رئيساً للحكومة، وأعلن الرئيس بورقيبة ان المادي نويرة سيكون خليفته في الحكم. وشدد الرجالان قبضتهما على الحياة السياسية للبلاد. وفي ١٩٧٤، جدد انتخاب بورقيبة رئيساً بدون منافس، وبعد انتخابات الجمعية الوطنية (البرلمان) عدل الدستور كمقدمة لانتخاب بورقيبة رئيساً لدى الحياة، ولتسمية المادي نويرة خلفاً له.

عقب اجتماع بين الحبيب بورقيبة والرئيس الليبي معمر القذافي في ١٢ كانون الثاني ١٩٧٤، أُعلن ان تونس ولبيا سوف تتحدآن، وان بورقيبة سيكون رئيس الدولة الجديدة، والقذافي نائب الرئيس. تردد ان صاحب مشروع الاتحاد، والعامل الاول له كان وزير الخارجية التونسي محمد المصمودي الذي حضر الاجتماع. ولكن، بعد يومين فقط أقيل المصمودي وألغى مشروع الوحدة.

المعارضة (١٩٧٥-١٩٨٥):

تنامت حركة المعارضة لنظام الرئيس بورقيبة بدءاً من ١٩٧٤ حيث اعتقل العديد من القادة السياسيين والطلاب الجامعيين، خاصة بعد إضراب عام في جامعة تونس (١٩٧٥) تخللته اشتباكات عنيفة بين الشرطة والطلاب. وتمددت مظاهرات الطلاب في ١٩٧٧، بعد ان كانت قد انتقلت إلى صفوف العمال منذ ١٩٧٦. وكان أحمد المستيري من أشهر المعارضين الليبيين.

أما أبرز حدث داخلي شهدته تونس،

تركيز داخلي وعربي: اثناء انتخابات تشرين الثاني ١٩٦٤، تم تغيير إسم الحزب الحاكم ليصير «الحزب الاشتراكي الدستوري»؛ وجاء هذا التغيير متوازناً مع السياسة الاقتصادية (خاصة الزراعية) المتّهجة في تلك الفترة. وأجريت تغييرات وزارية تضمنت تعيين الحبيب بورقيبة الأبن وزيراً للخارجية. وفي ١٩٦٦، أُعلن عن تشكيل مجلس رئاسة مكون من اعضاء الحكومة ومن المكتب السياسي للحزب، من بين مهماته تأمين انتقال السلطة في حال وفاة رئيس الجمهورية. وكانت السياسة العربية، في هذه الفترة، الشاغل الرئيسي للحكم في تونس. فقد ركز بورقيبة سياسته هذه على انتقاد سياسات الانظمة العربية إزاء قضية فلسطين، ودعا إلى خط أكثر تساهلاً يقوم على التفاوض المباشر مع اسرائيل حول التقسيم الذي أقرته الامم المتحدة في ١٩٤٨ (راجع «إسرائيل»، غزة أريحا، ج ١، ص ٤٠٣). وقد أدى ذلك إلى توتر في علاقات تونس ببعض البلدان العربية، ووصل الامر إلى حد قطع العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا). ولم تعد هذه العلاقات إلى الانفراج إلا بعد حرب حزيران ١٩٦٧. وكذلك، تحسنت علاقات تونس مع الجزائر، وتم التوصل، في ١٩٦٨، إلى اتفاق حول ترسيم الحدود بينهما، كما وقعتا، في ١٩٧٠، معاهادة تعاون وصداقة تضمنت تسوية جميع القضايا العالقة، بما فيها قضية استثمار النفط في الحقول النفطية الواقعة على الحدود.

تونس ٩٧



صور عن حوادث قفصة (كانون الثاني ١٩٨٠) حيث حرصت التعليقات التونسية
جوفها على إظهار مسؤولية ليبيا عن هذه الحوادث.

الدستوري الذي يتزعمه الرئيس بورقيبة (نisan ١٩٨١). كما شهدت البلاد عودة طبيعية للحياة النقابية العادلة، توجت بانتخابات تشريعية جرت في أول تشرين الثاني ١٩٨١، وشاركت فيها المعارضة، وباطلاق سراح زعيم الحركة النقابية الحبيب عاشر وراغبته إلى منصبه.

لكن في الشهر الأول من ١٩٨٤، عادت موجة الاضرابات وترافق مع اضطرابات أطلق عليها «ثورة الخبز». وفي شباط، أضرر قطاع التعليم دعماً لطلاب المدرسين بزيادة أجورهم، كما أضررت الجامعات (في آيار) احتجاجاً على دخول الشرطة الحرم الجامعي، وصدرت احكام بالاعدام على ١٠ اشخاص شاركوا في «ثورة الخبز». وتوصل الاتحاد العمالي العام، في نيسان ١٩٨٤، إلى اتفاق مع الحكومة يعطي النقابات الكلمة أكبر في القرارات المؤثرة في الاقتصاد.

كرنولوجيا أهم احداث سنوات ١٩٨٢-١٩٩٦، الرئيس زين العابدين بن علي: في ١٠ آب ١٩٨٢، استقبلت تونس زعيم وقادة منظمة التحرير الفلسطينية بعدما تم طردهم من بيروت إثر الحصار الإسرائيلي المفروض عليهما، وذلك في إطار دور دبلوماسي عربي ودولي نشط لعبته تونس التي كانت قد أصبحت مقراً للجامعة العربية بعد خروجها من القاهرة عقب زيارة الرئيس المصري أنور السادات لإسرائيل. في ١٨ آذار ١٩٨٣، وقعت تونس والجزائر معاهدة صداقة تضمنت ترسيماً

في السبعينيات، فكان انفجار الصراع السياسي الذي شاركت فيه النقابات العمالية حول قضایا سياسية واجتماعية متعددة. وقد بلغ هذا الانفجار ذروته في ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٨، حينما تصدى الجيش لكسر الاضراب الذي دعت إليه الحركة النقابية، فوقع العشرات من القتلى، واعتقل قادة الحركة النقابية وعلى رأسهم الحبيب عاشر.

في ايلول ١٩٧٩، عقد الحزب الحاكم مؤتمره العام حيث طفت الأصوات التي طالبت بانتهاج سياسة الانفتاح وال الحوار مع الفئات السياسية الداخلية (الهادي نويرة كان من المتحمسين لهذا الاتجاه، لا بل أصبح رمزاً له). وجاءت انعكاسات أحداث الثورة الإسلامية في إيران، في شباط ١٩٧٩، لتدعم هذا الرأي.

في كانون الثاني ١٩٨٠، وقعت معارك بين متمردين وقوات السلطة في مدينة قفصة (عاصمة المنطقة الجنوبية الغربية من تونس) تسبّبت في مقتل العديد من الطرفين. وقد اتهمت دوائر رسمية تونسية ليساً بأنها وراء هذه العملية، ما أدى إلى توتر في علاقات البلدين.

في ١٩٨١، نجح الحكم في تطبيع الوضع الداخلي، حتى أن زعماء المعارضة: محمد هرمل (أمين عام الحزب الشيوعي التونسي)، وأحمد المستيري (حركة الديمقراطيين الاشتراكيين)، ومحمد بلحاج أمور (حركة الوحدة الشعبية)، أعلنوا عن موافقتهم وتأييدهم لخطوات الحكم عقب إنعقاد المؤتمر الاستثنائي للحزب الاشتراكي



في آب ١٩٨٢: استقبلت تونس المئالين الفلسطينيين الخارجين من بيروت. مقايل يرفع صورة الرئيس التونسي الحبيب بو رقيبة (إلى اليمين)، والآخر يرفع صورة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات.

ايار) اشتراك فيها ٩٢٪ من الناخبين وقاطعتها المعارضة، وفاز بها مرشحو الحزب الاشتراكي الدستوري (٣٤٥٠ مرشحًا منهم ٤١٨ امرأة؛ ليبيا طردت ٣٥٢ تونسيًا بتهمة التجسس (٢٠ آب) وقطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين (٢٦ ايلول)؛ غارة اسرائيلية ضد منظمة التحرير الفلسطينية في تونس (أول تشرين الأول).

للححدود بين البلدين. بين ٢٩ كانون الاول ١٩٨٣ و٣ كانون الثاني ١٩٨٤ (خلال نحو أسبوع واحد)، وقعت اضطرابات («ثورة الخبز») خاصة في قصرين، وفي قفصة وقبس في المناطق الجنوبية وقتل نحو مئة شخص، واعتبر وزير الداخلية مسؤولاً عن هذه الاضطرابات وصدر حكم عليه يقضي بسجنه عشر سنوات.

في ١٩٨٥، انتخابات بلدية (١٢

معتقلون سياسيون (١٨ آذار)؛ بن علي يتسلم بنفسه حقيقة وزارة الدفاع (١١ نيسان)؛ العفو عن بن صلاح ١٥ عاماً من النفي (٣٠ نيسان) وعودته إلى البلاد (٦ حزيران)؛ العفو عن رشيد غنوشي (٤ آيار)؛ تفكيرك تمثالين تكريميin للحبيب بورقيبة في مدينة القيروان (١٢ حزيران)؛ إجازة تعدد الأحزاب (٢٨ حزيران)؛ إلغاء المادة التي تجيز للرئيسبقاء في سدة الرئاسة مدى الحياة، واستبدالها بإجازة التمديد لولaitien متعاقبتين (٢٥ تموز)؛ زيارة الرئيس بن علي للبيضاء (٦ آب)؛ استبدال إسم «جادحة بورقيبة» في تونس العاصمة باسم «جادحة ٧ تشرين الثاني» وهو اليوم الذي يرمز إلى تاريخ استلام بن علي السلطة في ١٩٨٧؛ زيارة بن علي لفرنسا (١٢ أيلول).

يُقى صدور الميثاق الوطني (في تشرين الثاني ١٩٨٨) أهم حدث ميّز العام ١٩٨٨؛ وقد شدد هذا الميثاق على الهوية العربية والإسلامية لتونس، فكان البند الأول فيه: «هوية شعبنا عربية إسلامية متميزة مُتداً جذورها في ماض بعيد حافل بالإنجاد»؛ وأشار الميثاق بالمقابل بـ«التحول النوعي الذي خلق ظروف القطيعة مع عهد الذبول والانحطاط ومهد للأجيال الحاضرة سبل مواكبة العصر والمعارف الحديثة». واقترب بالميثاق افتتاح نسيي على المعارضة الإسلامية الأصولية لفترة قصيرة قبل أن تتجدد المواجهة معها لتقود إلى ضربة قاصمة لها منذ ١٩٩١.

في ١٩٨٩، العفو عن ١٢٤٦ معتقلأً

في ١٩٨٦، اتفاق فرنسي-تونسي حول ممتلكات الفرنسيين الذين لم يعودوا يقيمون في تونس (٢٤ أيلول)؛ حكم غيابي بسجن مزالٍ مدة سنة بتهمة عبوره الحدود التونسية بصورة غير شرعية (٢ تشرين الأول).

في ١٩٨٧، قطعت العلاقات الدبلوماسية مع إيران (٢٦ آذار)؛ وقعت اضطرابات في مدينة تونس على يد طلاب إسلاميين (٢٣ نيسان)؛ صدر حكم على مزالٍ (مقيم في سويسرا) يقضي بسجنه مع الاشغال الشاقة لمدة ١٥ عاماً (٤ نيسان)؛ عمليات تفجير في أربعة فنادق (في سوسة ومنا ستير) في ٢ آب؛ حكم بالإعدام على ٧ من الناشطين في الحركة الإسلامية التونسية، وبالسجن مع الاشغال الشاقة المؤبدة على رشيد غنوشي (٢٧ أيلول)؛ تعيين زين العابدين بن علي رئيساً للوزراء (٢ تشرين الأول)؛ زين العابدين بن علي يزور الرئيس الحبيب بورقيبة «الذي تقدمت به السن وأصبح عاجزاً عن مهمات الدولة» ويحمل محله ويبادر إلى تعيين الحادي بکوش رئيساً للوزراء (٧ تشرين الثاني)، وبعد أسبوعين ونيف يُعلن عن اكتشاف مؤامرة ضد الجنرال الرئيس بن علي الذي، بعد نحو أسبوعين (أي في أوائل كانون الأول) يغزو عن ٢٤٨٧ سجينًا و٧٩١ معتقلًا سياسياً، ثم يلغى «محكمة الأمن» التي كانت قد أنشئت منذ العام ١٩٦٨.

في ١٩٨٨، زيارة الرئيس الليبي معمر القذافي لتونس (٤ شباط)؛ العفو عن دفعة جديدة (٤٤) من السجناء بينهم

اعتقال ٢٠٠ من اعضاء حركة «النهضة» (كانون الاول).

في ١٩٩١، اندلاع مظاهرات تطالب باطلاق سراح المعتقلين من اعضاء «النهضة» (٢ كانون الثاني)؛ استطلاعات ودراسات دلت على ان نحو من ٩٣٪ من التونسيين على استعداد لدعم العراق (آذار)؛ تعليق «الاتحاد العام للطلاب التونسيين» (٢٩ آذار)؛ بن علي ينشئ لجنة العليا لحقوق الانسان (٩ نيسان)؛ اعتقال طلاب إسلاميين (ايار)؛ إعدام ٣ إسلاميين (٩ تشرين الاول) بتهمة إقدامهم

(١٨ آذار)، أصبح عدد الذين شلهم العفو منذ ٧ تموز ١٩٨٧ نحو ٩٧٠٠ سجين ومعتقل؛ إعادة انتخاب بن علي رئيساً للجمهورية (أول نيسان).

في ١٩٩٠، انتخابات بلدية اشتراك فيها ٣٧٪ من جموع الناخبين، وفاز «الجمع الدستوري الديمقراطي»، وهو نفسه الحزب الدستوري الاشتراكي سابقاً وقد بدد إسمه ابتداء من ٢٧ شباط ١٩٨٨، بـ٣٧٧٤ مقعداً بدنياً (في ٢٤٥ دائرة)، ونال المستقلون ٣٢٨ مقعداً (كانون الثاني)؛ في أثناء حرب الخليج الثانية، تم

الرئيس التونسي الحبيب بو رقيبة (إلى يمين الصورة) والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، وخللها الرعيم الفلسطيني ياسر عرفات (آذار ١٩٨٣: معايدة صداقة وتعاون بين تونس والجزائر).



من حيث رؤساء الدول الحاضرين، إذ توافد على تونس ٤٢ من رؤساء الدول الأفارقة وثلاثة نواب رؤساء من بين ٥٣ من الدول الاعضاء، وأبرز الحاضرين كان رئيس افريقيا الجنوبي (أو جنوب افريقيا) نيلسون مانديلا. واعتبرت هذه القمة تاريخية لجهة قرارها بحل جنة حركات التحرير إذ لم يعد هناك أطلاقاً أي بلد افريقي تحت السيطرة الاجنبية. وانخذلت القمة أكثر من ٢٠ قراراً، وشهدت مبادرة تونسية لصياغة ما سمي «ميثاق السلوك الحضاري» الذي قدم مشروعه الرئيس التونسي.

في كانون الثاني ١٩٩٥، تماهى التونسيون تماهلاً تاماً الذكرى الواحدة والعشرين للوحدة التونسية-الليبية (التي لم تستمر سوى ٢٤ ساعة)، رغم أن الرئيس الليبي معمر القذافي يذكر بها في جميع المناسبات ويعتبر ان ليبيا ما زالت متمسكة بمعاهدة الوحدة بين ليبيا وتونس التي وقعاها الرئيس التونسي بورقيبة والزعيم الليبي القذافي في جزيرة جربة التونسية. وترتبط ذكرى هذه الوحدة بالوزير الاول التونسي هادي نوير الذي عارضها بقوة واستطاع اقناع الرئيس بورقيبة بالغائتها وعزل وزير الخارجية محمد المصمودي الذي كان مهندس الوحدة.

وفي ٢٦ تشرين الاول ١٩٩٥، وقع بن علي ورئيس الوزراء الاسباني فيليبي غونزاليس (في القصر الجمهوري في تونس) معاهدة «صداقة وحسن جوار وتعاون». واعتبرت المعاهدة الاولى من نوعها بين تونس وبلد غربي، وجاءت تثريجاً لزيارة بن

على مهاجمة مركز لحزب «التجمع الدستوري الديمقراطي» في شباط ١٩٩٢، بلغ عدد الموقوفين الاسلاميين، خاصة من «النهضة»، من اوائل ١٩٩١ إلى حزيران ١٩٩٢ نحو ٨ آلاف إسلامي.

وعرف النصف الاول من ١٩٩٣ إجراءات إقتصادية مهمة: أصبح الدينار التونسي قابلاً للتحويل، وجرى تخفيف المراقبة على المبادرات التجارية، وتخفيض (شخصية) بعض المشاريع. في تشرين الثاني، كشف الامن التونسي علاقة أحد قيادي منظمة التحرير الفلسطينية ويدعى عدنان حسن ياسين مع «الموساد» الاسرائيلية، واعترف ياسين بهذه العلاقة وبأنه ضابط في «الموساد».

في انتخابات ٢١ آذار ١٩٩٤، حصل الرئيس زين العابدين بن علي على ٩٩,٩٪ من اصوات الناخبين ليبدأ ولاية ثانية تتدام خمس سنوات، فيما حصل الحزب الحاكم «التجمع الدستوري الديمقراطي» على ٩٧,٧٪ من الاصوات ليسيطر على ٤ مقعداً. أما المقاعد الـ ٩ الاضافية فتوزعتها أربعة احزاب معارضة: ١٠ لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين، ٤ لحركة التجديد (الحزب الشيوعي سابقاً)، ٣ للاتحاد الديمقراطي الوحدوي، ومقعدان لحزب الوحدة الشعبية.

وفي ١٣ حزيران ١٩٩٤، شهدت تونس انعقاد أول قمة افريقية على ارضها منذ تأسيس منظمة الوحدة الافريقية قبل ٣١ سنة. وحققت هذه القمة رقمياً قياسياً

نبهت إليه الأشقاء والاصدقاء من اخطار تنامي التطرف... ومن المفارقات أن هذه الظاهرة (التطرف والارهاب) تتغذى من تساهل البعض في منع عناصرها الحجوة السياسي، ومن الحالات المفتوحة امام المتطرفين للانضمام في شبكات واسعة والحصول على التمويل وبث الدعاية... ومن المفارقات ایضاً ان تجد الدعاية والمساندة من بعض الهيئات والمنظمات التي تدعي الدفاع عن حقوق الانسان والجميع يعلم ان كثيراً من الدول التي آوت بعضهم وامثلهم لم تعتبرهم متطرفين إرهابيين إلا عندما تحول خطورهم إلى اراضيها».

بعد محمد موعاده، رئيس حركة الديمقراطيين الاشتراكيين، الذي يقضي حكماً بالسجن مدته ١١ عاماً بعد إدانته بالتحابير مع بلد أجنبي (ليبيا)، أودع النائب حميس الشماري السجن (في ١٨ أيار ١٩٩٦) ووضع على ذمة القضاء بعدما وجه إليه تهمة «إفشاء اسرار قضائية».

وفي ١٥ أيار ١٩٩٦، بدأت اجتماعات لجنة العمل المكلفة ملف المصادر المائية في الشرق الأوسط المنبثقة عن المفاوضات المتعددة الاطراف وذلك في مدينة الحمامات التونسية. وشارك في الاجتماعات ممثلون عن ٤٩ دولة بينها ١٢ بلداً عربياً (قاطعتها سوريا ولبنان)، ومتذوبون عن الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي إضافة إلى الراعيin الأميركي والروسي وإلى الوفد الإسرائيلي الذي يرأسه الخبير في المياه ابراهام ليتسوس (عضو سابق في الكنيست).

على لاسبانيا في ١٩٩١، وزيارة الملك خوان كارلوس لتونس في ١٩٩٤، وتقدم اسبانيا إلى المرتبة الثالثة بين شركاء تونس الأوروبيين بعد فرنسا وایطاليا.

تميز العام ١٩٩٥، بصورة عامة، باستمرار الهدوء السياسي. وكان من بين الاحداث التي شهدتها تونس، إضافة إلى ما سبق، الخلاف بين حكومة الرئيس زين العابدين بن علي ومنظمة العفو الدولية، واعتقال رئيس حركة الديمقراطيين الاشتراكيين محمد موعاده. أما حركة النهضة فأعادت (في بداية ١٩٩٥) انتخاب زعيمها راشد الغنوشي على رأس هذه الحركة المحظورة.

في ٨ كانون الثاني ١٩٩٦، عقدت قمة تونسية-للبية (في لقاعين) على جانيبي الحدود المشتركة، وعكست تحسناً في العلاقات بعد فترة من التآزم. ومنذ نيسان (١٩٩٦)، وإثر تبادل الزيارات بين وزراء تونسيين وخليجيين، بدأت العلاقات التونسية-الخليجية تشهد انعطافاً من حال التطبيع التي تكرس منذ ١٩٩٢ إلى حال العلاقات الجيدة والمتطورة في إطار اتفاقات تعاون في قطاعات مختلفة. وفي آذار (١٩٩٦)، ولمناسبة الذكرى الأربعين لاستقلال تونس، وفي اشارة إلى قمة شرم الشيخ، قال الرئيس بن علي، متقدماً الدول الغربية: «... إن تونس التي ستتابع دعمها الصادق لمسار السلام... تذكر المجتمع الدولي الذي اهتز لعمليات الارهاب التي وضعـت مسار السلام في خطر، وكأنـه يكتشف ذلك للمرة الأولى، بما كانت

أدنى مستوى في العلاقات الدبلوماسية. وبدأت تونس تستقبل شخصيات اسرائيلية من رجال الاعمال والسياحة والاقتصاد والفن في مقدمهم وزير البيئة يوسي ساريد الذي شارك في مؤتمر لوزراء البيئة المتوسطين. وارسلت تونس وفوداً مماثلة إلى اسرائيل. وتزامن هذا التقدم في العلاقات التونسية-الاسرائيلية، مع تنشيط في العلاقات التونسية-الاميركية، ذلك ان «الولايات المتحدة تحرص على تطوير التعاون الثنائي مع تونس لدورها في دعم مسار التسوية السلمية في الشرق الاوسط»، وهي العبارة التي ردّدها المسؤولون الأميركيون.

في اواخر نيسان ١٩٩٦، عينت تونس خميس الجهيناري (يعمل مستشاراً في وزارة الخارجية) رئيساً لمكتب الاتصال في تل أبيب، بعد أقل من شهر على مباشرة رئيس مكتب الاتصال الإسرائيلي في تونس شالوم كوهين مهماته. وكان الاتفاق الذي توصل إليه وزير الخارجية التونسي والإسرائيلي في واشنطن برعاية وزير الخارجية الأميركي كريستوفر (كانون الثاني ١٩٩٦)، ينص على فتح المكاتب في ١٥ نيسان ١٩٩٦. لكن العدوان الإسرائيلي على لبنان (عملية «عنانيد الغضب») حمل التونسيين على تأجيل الموعد إلى اواخر ايار ١٩٩٦.

وبدا، من المتابعة اليومية، ان التونسيين والاسرائيليين يركرون، في هذه المرحلة، على تطوير التعاون السياحي في الدرجة الاولى (عن اليهود في تونس، راجع

في حزيران ١٩٩٦، حضر الرئيس زين العابدين القمة العربية المنعقدة في القاهرة (غاب عنها العراق، إذ لم يُدع إلى حضورها) وألقى كلمته في الجلسة الافتتاحية بصفته رئيس الدورة الحالية لجامعة الدول العربية، وأيد فيها المسيرة السلمية طبقاً للشرعية الدولية. والمعروف ان العقاد هذه القمة جاء بعد انتخاب زعيم الليكود، نتنياهو، رئيساً للوزراء في اسرائيل خلفاً لشمعون بيريز.

إذاء إسرائيل: في أول لقاء علني بين وزيري خارجية البلدين، التونسي الحبيب بن يحيى والاسرائيلي شمعون بيريز في نيويورك في ايلول ١٩٩٤، اتفق الوزيران على جدول زمني تدرسي لعلاقات البلدين. وفي اواخر تشرين الثاني ١٩٩٥، اجتمع بن يحيى مع وزير الخارجية الإسرائيلي، باراك (كان بيريز قد أصبح رئيساً للوزراء في اسرائيل)، على هامش الاجتماع الوزاري الأوروبي-المتوسطي في برشلونة، وربط بين نجاح الانتخابات الفلسطينية والتقدم خطوة جديدة في طريق التطبيع مع اسرائيل. وفي خطاب ألقاه في تشرين الثاني ١٩٩٥، شدد الرئيس بن علي على ان «العلاقات مع اسرائيل ستتطور بقدر تقدم الحادثات بين الاطراف المعنية بعملية السلام وتبلور نتائجها الملمسة، مساهمةً منها في اقرار السلام الشامل والعادل وال دائم في المنطقة». وفي اواخر ١٩٩٦، أعلن عن فتح قسمين لرعاية المصالح في سفارتي بلجيكا في تونس وتل أبيب. والمعروف ان هذا الاجراء هو

(١٩٩٦) للشركة المالية العالمية SFI (إحدى موسسات البنك الدولي)، وفيه أن بورصة تونس جاءت في عداد العشرين من الأسواق المالية التي سجلت أفضل النتائج.

في ١١ حزيران ١٩٩٦، صدر مجلس النواب التونسي على اتفاق الشراكة الذي توصلت إليه تونس والاتحاد الأوروبي في صيف ١٩٩٥. وهذا الاتفاق يحمل محل إتفاق التعاون الذي كانت تونس قد وقعته مع السوق الأوروبية المشتركة في ١٩٧٦ وانتهى مفعوله في ١٩٩٥.

في إطار الاتحاد المغاربي

(راجع «الاتحاد المغرب العربي» (الاتحاد المغاربي)، ج ١، ص ٩٠-٩٦).

استمرار التعرّض وتعاظم المعوقات: في شباط ١٩٩٦، كانت الذكرى السابعة على إنشاء اتحاد المغرب العربي. ومرت الذكرى في أجواء تشارمية إزاء الوضاع التي آل إليها الاتحاد. مواجهته صعوبات عدّة ذات طابع داخلي بالنسبة إلى كل دولة على حدة من جهة، وذات طابع إقليمي يطاول محاور العلاقات الثنائية والمultiplex كما هو الحال بالنسبة إلى العلاقات مع الاتحاد الأوروبي والموقف حيال معلم الرفض الاستراتيجي في منطقة شمال إفريقيا من جهة أخرى.

تأثرت مسيرة الاتحاد كثيراً بالخلافات التي نشأت، بين الفينة والأخرى، بين الشركاء المغاربيين، وخاصة المغرب والجزائر. فانفراج العلاقة بين الرباط والجزائر خلال عهد الرئيس الجزائري الشاذلي بن حميد أسهم إلى حد كبير في إعطاء دفعة للبناء

«تجربة» في مدن ومعالم).

الشراكة مع الاتحاد الأوروبي: ترکز الاهتمام، في النصف الأول من ١٩٩٥ على المفاوضات التي جرت في بروكسيل لوضع بنود اتفاق الشراكة بين تونس والاتحاد الأوروبي، فيما انصب الاهتمام في النصف الثاني من العام نفسه على وضع الصيغ والآليات التي تضع الاتفاق على سكة التنفيذ.

وقضى الاتفاق بإنشاء منطقة للمبادرات الحرة في العام ٢٠١٢ بعد منح الصناعة التونسية فرصة لإعادة هيكلة بنيتها وتحديث تجهيزاتها وتحسين أدائها. وستنتقل العلاقات التجارية (موجب هذا الاتفاق) بين تونس والاتحاد إلى مستوى من حرية التبادل بعد المرور في ثلاث مراحل تؤدي إلى تكييف النسيج الصناعي المحلي مع متطلبات المنافسة الخارجية. وتستمر المراحل الثلاث نحو ١٦ سنة (١٩٩٦-٢٠١٢).

ولتنفيذ اتفاق الشراكة باشرت تونس خطة واسعة أطلق عليها اسم «خطة تأهيل الصناعة». وستشمل في مرحلة أولى ٤٠٠ مصنع محلي. كذلك نص الاتفاق على إنشاء مركز للأعمال باستثمارات قيمتها ٢٠ مليون إيكو (الوحدة النقدية الأوروبية، أي ما يعادل ٢٤ مليون دولار) سيتولى التدقيق في المصانع المرشحة للتأهيل. وجاء تنشيط دور البورصة في إطار خطة لتطوير السوق المالية وتحويلها إلى مركز مالي مهم في المنطقة المتوسطية. وللمرة الأولى يرد باسم البورصة التونسية في التقرير السنوي

الاتحاد الأوروبي بمعزل عن مواقف شركائهما المغاربيين. وقد فعل المغرب الأمر نفسه عندما أدار مفاوضات شاقة مع بلدان الاتحاد الأوروبي حول ملفات الصيد البحري، ثم الشراكة الاقتصادية والسياسية.

وفي مؤتمر برشلونة للحوار الأوروبي-المتوسطي الذي استضافته إسبانيا في ١٩٩٥، كان الحوار المغاربي ثانياً أيضاً، إضافة إلى تغيب ليبيا، وارتداء حضور موريتانيا صفة «مراقب».

فعلى الرغم من توقيع دول الاتحاد المغاربي لأكثر من ستين اتفاقية في الستينات والسبعينات (أي خلال طور التمهيد لإقامة الاتحاد)، وتوقيع نحو أربعين اتفاقية منذ تاريخ الإنشاء في ١٩٨٩ حتى الآن (ربيع ١٩٩٦)، فإن الغالبية العظمى لهذه الاتفاقيات الاتحادية ما زال حبراً على ورق، وإن الاتفاقيات الثنائية بين دول المغرب العربي هي التي ما زالت قائمة.

الضمام مصر إلى الاتحاد: في ١٢ تشرين الثاني ١٩٩٤، حضر وزير الخارجية المصري، عمرو موسى، الاجتماع الوزاري للاتحاد المغاربي السادس عشر الذي عقد في الجزائر، بصفة مراقب، ذلك أن «مصر لم تتقدم حتى الآن بطلب للانضمام إلى الاتحاد المغاربي (...) ذلك أن اتفاق تأسيس الاتحاد افترض أنه تجمع مغلق، واضح من تسميته، وعليه لا توحد إجراءات دستورية للانضمام ومطلوب دراستها أو لاً من جانب اللجنة القانونية في الاتحاد». وقد اعتبرت المشاركة المصرية بصفة مراقب (كخطوة أولى قبل

المغاربي. ييد ان تأثر تلك العلاقة بالخلافات الناشئة، حول مشكلة الصحراء انعكس سلباً على الاتحاد. بقاء المشكلة دون حل على امتداد السنوات السبع الماضية أفقى بظلاله على أوضاع الاتحاد المغاربي. لذلك كان طبيعياً كلما ظهرت الخلافات، وخاصة بين المغرب والجزائر، ان يتقل نزاع الصحراء الغربية إلى الواجهة. ووصل الامر إلى حد إغلاق الحدود بين الجزائر والمغرب بدءاً من صيف ١٩٩٤ حينما اكتشفت الرباط شبكة تضم عناصر من المغرب والجزائر شنت هجمات على مراكز مغربية، ما حدا بالسلطات المغربية إلى فرض نظام تأشيرة على الرعايا الجزائريين، وردت الجزائر بإغلاق الحدود، وهو إجراء لا يزال مستمراً (ربيع ١٩٩٦).

وأكبر ضربة تلقاها الاتحاد تمثلت في طلب المغرب، قبل نهاية ١٩٩٥، وقفًا موقفاً لمؤسسات الاتحاد احتجاجاً على مواقف الجزائر التي تدعم جبهة بوليساريو (في الصحراء الغربية)، ما شجع على امكان معاودة سياسة المماور في منطقة شمالي أفريقيا، خاصة في ضوء غياب المغرب ولibia عن الاجتماع الثلاثي لوزراء خارجية الجزائر وتونس وموريتانيا الذي استضافته الجزائر في شباط ١٩٩٦.

أضاف إلى ذلك ان العواصم المغاربية دخلت في مفاوضات ثنائية مع بلدان الاتحاد الأوروبي بدل وضع سياسة جماعية يقوم الحوار من خلالها بين الاتحاد المغاربي والاتحاد الأوروبي. فقد أبرمت تونس اتفاق الشراكة الاقتصادية والسياسية مع بلدان

الحركات الاسلامية في الجزائر وتونس إلى تحالف يستفيد من الخلفية الاستراتيجية لوجود نظام إسلامي يحكم الجزائر. وبالدرجة نفسها من الاهتمام، ترى تونس أن نجاح المغرب في إقامة تعددية سياسية تحت مظلة الديمقراطية يضعف احتمالات انتشار المد الأصولي. لذلك تحاول تونس أن تقف على المسافة نفسها بين الجزائر والمغرب ضمن معادلة يصعب فيها التوازن. ففي التعاطي مع تطورات نزاع الصحراء الغربية، وبخاصة عند استضافتها مؤتمر القمة الأفريقية، تعرضت تونس لانتقادات مغربية بسبب السماح لوفد جبهة «بوليساريو» بالمشاركة في المؤتمر، وكذلك الحال إزاء حضور وفد عن المنظمة الأفريقية في الفريق المكلف الإشراف على تنظيم الاستفتاء في الصحراء الغربية. واحتارت تونس، حينها، حلاً وفاقياً يستند إلى استقبال وفد الصحراويين في القمة الأفريقية ليس بصفة دولة كاملة العضوية، وإنما بصفتها حركة نزاع المغرب في مستقبل الصحراء.

بعد أقل من شهر واحد من طلب المغرب وقفاً مؤقتاً لمؤسسات الاتحاد المغاربي (كانون الأول ١٩٩٥) بعد تزايد خلافاتها مع الجزائر في شأن الموقف من تطورات نزاع الصحراء الغربية، اتفق الرئيسان التونسي والليبي خلال قمتهم الأخيرة (كانون الثاني ١٩٩٦) على القيام بمبادرات للحؤول دون انهيار الاتحاد، وأكدا تعلقهما بالكيان المغاربي باعتباره خياراً استراتيجياً، وارسلا مبعوثين للمغرب لتطويق الازمة وتفعيل الاتحاد.

قبول انضمام مصر في إجتماع قمة مغاربية لاحقة مقررة في ليبيا) محاولة جديدة لانعاش مسار الاتحاد المغاربي الذي يشهد مصاعب سياسية وأمنية زاد في تعديقها تأثير الارضاع الداخلية في الدول الأعضاء وتراجع خطوات التنسيق وتزايد الضغوط الخارجية التي بلغت ذروتها في فرض عقوبات على ليبيا (راجع «ليبيا» في جزء لاحق من هذه الموسوعة) أبعدتها عن المشاركة في مشاريع البناء المغاربي.

وطلب مصر الانضمام إلى الاتحاد المغاربي أعطي تفسيرات ركزت على أن ثمة استراتيجية جديدة تنتهجهما مصر للافاده من التطورات التي تشهدها المنطقة المغاربية خصوصاً على صعيد افتتاحها على إسرائيل من خلال إقامة مكاتب اتصال وروابط اقتصادية وتجارية مرشحة لمزيد من التطور؛ إضافة إلى أن الانشغالات الرئيسية لدول مغاربية مثل الجزائر وتونس تلتقي مع خطة القاهرة في مواجهة تنامي التيارات الإسلامية المتطرفة.

محاولات تونس في تهييم الاتحاد: تونس أكثر بلدان الاتحاد المغاربي الجذابة إلى سياسة الحلول الوفاقية عند كل أزمة تتشعب بين دوله. ذلك أنها تنطلق من مناهضة التطرف الديني فتجد نفسها متزنة دعم النظام الجزائري كونه يلتقي معها في خط مواجهة الأصولية، ولأنها ترى أن انهيار نظام الجزائر الراهن يجلب لها المزيد من المتاعب في حال قيام نظام إسلامي على حدودها الشرقية. وأكثر ما تخشاه تونس أن يتحول تضامن

مناقشة بعد ٤ سنة على الاستقلال

تحت عنوان «تونس في عيد استقلالها الـ ٤: صيغة الوفاق تعزز التعددية»، نشرت «الحياة» (العدد ١٢٠٧٨، تاريخ ٢٠ آذار ١٩٩٦، ص ٦):

قطعت تونس اشواطاً مهمة على طريق تكريس استقلالها وتحقيق التنمية في الأربعين سنة التي مضت على إنفصالها عن فرنسا. فهي انتقلت من مستعمرة مسلوبة السيادة إلى بلد متتطور في كل المجالات.

ووجه الاستقلال الذي تجلّى اليوم ذكره الأربعون على خلفية انقسام داخل الحركة الوطنية بين جناح الأمين العام لـ«الحزب الحر الدستوري» الحامي صالح بن يوسف، الذي عارض اتفاقات الحكم الذاتي في العام ١٩٥٥، لأنها ارجأت الحصول على الاستقلال الناجز إلى العام ١٩٥٧ وجناح رئيس الحزب الحامي الحبيب بورقيبة الذي اعتنّ طريق المرحلية لاقطاع الاشتراكيين الذين كانوا يمسكون دفة الحكم في فرنسا بالاسراع في منح الاستقلال لنفسه والغرب حتى لا يتحولان إلى وضع جزائي.

ولما سلم التونسيون مقاليد الأمور في بلدتهم، لم يجدوا سوى بقايا دولة أنهكها قرنان ونصف القرن من الحرروق الداخلية والصراعات وعنتيقها سطوة الجهاز الإداري الفرنسي طيلة الحقبة الاستعمارية. فكانت أول مهمة نهض بها الحكم الاستقلالي هي وضع دستور وانتخاب مجلس تأسيسي وإرساء مؤسسات دولة حديثة.

إلا أن السيادة بقيت منقوصة في الأعوام الأولى بسبب استمرار مراقبة جيش الاحتلال في ثكن الجنوب والقاعدة العسكرية في بنزرت (الشمال) وتشتيت المستوطنين الفرنسيين بالأراضي

الزراعية التي انتزعوها من أصحابها. لذا طفت على المحبقة الأولى من الاستقلال معركة استكمال السيادة التي بلغت ذروتها لدى استعادة قاعدة بنزرت مطلع السبعينيات وتأمين أراضي المستوطنين في العام ١٩٦٤. ويمكن القول أن هذه «الحلقة الساخنة» من تكريس الاستقلال أعادت ربط جسور تونس مع خيطها العربي، إذ استقبلت بنزرت المحررة الرؤساء الثلاثة بورقيبة وجمال عبد الناصر وأحمد بن بلة في العام ١٩٦٣.

داعليًا تركّزت جهود التنمية على نشر التعليم وتحسين الأوضاع الصحية والاجتماعية وهمما الحالان اللذان فقرا بالبلد من حال إلى حال واتاحا طي قرنين من التخلّف في أقل من عقدين. ولما جاء الكاتب محمود المسعودي خريج «السوريون» إلى وزارة التربية في العام ١٩٥٨ (استمر فيها عشرة أعوام) كانت خطّته ترمي إلى تكريس انجذاب التعليم ومجانيته لانشاء لجنة حديثة على انقضاض النظام التعليمي التقليدي. فأوصل المدرسة إلى أقصى الأرياف والمناطق الجبلية الوعرة واستطاع البلد في زمن قياسي ملء الفراغ الذي تركته الهجرة الجماعية للكوادر الإدارية والعلمية الفرنسية.

وبعد أربعة عقود من الاستقلال احتزت تونس الزمن فتطورت من بلد لا توجد فيه سوى جامعة واحدة (الجامعة الزيتورية) في العام ١٩٥٦ إلى بلد يملّك ست جامعات وعشرين الكلية، ومعاهد العالية ومراكمز البحوث والدراسات، بالإضافة إلى مدينة العلوم التي أنشئت في السنوات الأخيرة والتي ستشكل عند استكمالها جسرًا متينا مع أكثر مراكز العلم تطوراً في العالم. وتخصص تونس حالياً ٣٤ في المئة من موازنتها للتربية والتعليم ووضعها التقرير العالمي الخاص بالتنمية البشرية بين البلدان الخمسة عشر الأولى التي بلغت مستوى عالياً على صعيد التنمية البشرية. كذلك تتبوأ تونس المرتبة الأولى بين البلدان المغاربية على

التونسية. وفي هذا السياق تشير الاحصاءات إلى أن متوسط عدد الأطفال في الأسرة الواحدة الذي كان يعادل ثمانية أطفال في أواسط الخمسينات تراجع حالياً إلى ثلاثة أطفال بعدهما صار أكثر من نصف الامهات يعطين حبوب منع الحمل.

وأتاح الحد من معاناة المرأة ومنحها حقوقاً واسعة أدرجت في قانون الاحوال الشخصية الصادر في العام ١٩٥٩، والذي تعزز بإجراءات جديدة أكثر تطوراً اتخذها الرئيس بن علي في العام ١٩٩٣، رفع المستوى الثقافي للمرأة التونسية وأكثر القطاعات دقة وصعوبة مثل قيادة الطائرات والمهندسة الجيولوجية ووصلت إلى الوزارة في وقت مبكر.

كذلك تحسن وضع المرأة مع تقدم متوسط سن الزواج من ١٩ عاماً في سنة الاستقلال إلى ٢٥ عاماً حالياً، فيما تراجع فارق السن بين الزوج والزوجة من ١١ عاماً إلى أربعة أعوام فقط.

وأبقى هذا التطور الاجتماعي الشامل بظلاله على غم البيئة الثقافية في اتجاهين: فهو حمل على توسيع شبكة المكتبات ودور الثقافة وقاعات السينما والمسارح، لكن ثنو المؤسسات الثقافية ساعد في دوره على رفع المستوى الثقافي العام.

وطبعي ان تتشكل نخبة سياسية في مثل هذا المناخ الثقافي. فبعدما كرس الرئيس السابق بورقيبة نظام الحزب الواحد في العام ١٩٦٤ وتصادم مع المعارضة السياسية والاتحاد النقابات، بدأ يسعى للتعايش معها في الثمانينات ومنح ترخيصاً لثلاثة احزاب معارضة.

إلا ان التعددية قطعت شوطاً حاسماً بعد وصول الرئيس بن علي إلى سدة الحكم. إذ ارتفع عدد الاحزاب المرخص لها إلى ستة احزاب، وتكرست صيغة جديدة من الوفاق لما وقع «التجمع الدستوري الديمقراطي» (الذي حل محل الحرب الاشتراكية الدستوري بعد التغيير) مع احزاب المعارضة والمنظمات الشعبية الرئيسية على

صعيد نحو الأمية.

واستمرت جهود نشر التعليم بعد التغيير السياسي الذي قاده الرئيس زين العابدين بن علي في السابع من تشرين الثاني العام ١٩٨٧ وطالع جميع قطاعات التربية والبحث العلمي. وتشير الاحصاءات إلى ان عدد طلاب المدارس قفز من ٢٦٦ ألف طالب كانوا يومون ٨٢٠ مدرسة ابتدائية في بوادي الاستقلال إلى أكثر من مليون ونصف المليون طالب حالياً موزعين على أربعة آلاف مدرسة، فيما ارتفع عدد الثانويات إلى ٦٠٠ ثانوية يدرس فيها أكثر من نصف مليون طالب، ويبلغ عدد طلاب الجامعات أكثر من ٧٠ ألف طالب.

كذلك قطع البلد اشواطاً كبيرة على الصعيد الاجتماعي بعد تحسين مستوى دخل الفرد وارتفاع الحد الأدنى المضمن للرواتب إلى ١٥٠ دولاراً في الشهر حالياً. واستأثر القطاع الصحي بتركيز خاص، إذ قضت تونس على الأوبئة والامراض المعدية وتوسعت شبكة المستشفيات والمصحات خلال الأربعين سنة الماضية إلى كل المحافظات ووصل الطبيب إلى المناطق البعيدة حتى ان البيانات الأخيرة للأمم المتحدة قدرت نسبة السكان الذين يحصلون على الخدمات الصحية بـ ٩١ في المئة.

وأدى تطور الدهنيات والتحول الاجتماعي في العقود الماضية إلى تغيير صورة المجتمع الذي انتقل من مجتمع زراعي إلى مجتمع مدني. إذ كان سبعون في المئة من التونسيين يعيشون في الريف العام ١٩٦٦ (بعد عشر سنوات من نيل الاستقلال) فتراجع النسبة إلى أربعين في المئة فقط حالياً.

ومع ثنو المدن وانتشار التعليم تأكلت شبكة العلاقات القبلية ونمط الاسرة الكبيرة إذ أدت سياسة تحديد النسل الحازمة إلى ارتفاع نسبة الاسر الصغيرة العدد إلى ثمانين في المئة من الأسر

مستمر ونوق إلى الأفضل والأحسن». ومن ضمن هذه الرؤية أولت القيادة الجديدة في تونس اهتماماً رئيسياً لاستشراff المستقبل والاعداد للاستحقاقات الآتية:، إذ شدد الرئيس بن علي في غير مناسبة على «ضرورة الوعي بالتحديات التي ستواجهنا والاهتداء من الآن إلى الجمع الطرق لرفع هذه التحديات».

«الميثاق الوطني» الذي حدد «هدفآ أسمى هو تثبيت دعائم الدولة، دولة التونسيين جمِيعاً، باعتبارها إداة لتحقيق طموحات شعبنا وتبعة طاقاتنا بما يعزز مكانة تونس في العالم».

ويعتبر الرئيس بن علي أنه «إذا كانت المكاسب والابحاث عنوان فخار واعتزاز، فإن صونها ودعمها يشكلان واجباً ينبغي دوماً النهوض به، فذلك هو التغيير في جوهره: فعل

حصل عليها «التحالف الانتخابي من أجل البلدية» المعارض يتميّز إلى المجلس التأسيسي للحركة (وهو بمثابة لجنة مركبة تأسيسية)؛ وكانت «حركة التجديد» حاضرة في الانتخابات في إطار تحالف شكلته مع حزب الوحدة الشعبية والاتحاد الديمقراطي الوحدوي، ولم يفز هذا التحالف الذي قدم مرشحين في ١٦ دائرة سوى بثلاثة مقاعد.

واعتبرت حركة الديمقراطيين الاشتراكيين بزعامة محمد معاذدة الخاسر الأكبر في هذه الانتخابات، وكانت مصنفة الحزب الرئيسي في المعارضة، وكانت قد فقدت الكثير من رصيدها السياسي بعدها غادرها مؤسسها الحامي أحمد المستيري، واقتضى أثره القياديون البارزون في مكتبها السياسي ولحتها المركزية.

الاحزاب

خرائط الاحزاب في ضوء التخابات ١٩٩٥ البلدية: في ٢١ ايار ١٩٩٥، جرت انتخابات بلدية حاضرها حزب «التجمع الدستوري الديمقراطي» الحاكم، وشاركت فيها خمسة احزاب معارضة ولاجئتان للمستقلين.

أعطت نتائج هذه الانتخابات حزب «التجمع الدستوري الديمقراطي» أكثر من ٩٩٪ من المقاعد في المجالس البلدية البالغ عددها ٢٥٧. طعنت حركة «الديمقراطيين الاشتراكيين» بنتائج الدوائر ٣٢-٣٣ التي تقدمت فيها بمرشحين؛ وأعلنت «حركة التجديد» (الحزب الشيوعي سابقاً) أن اثنين من الفائزين بالمقاعد الثلاثة التي

الأساسية، وقد تعرض زعماء هذا الحزب إلى النفي؛ وفي ١٩٢٣، انسحب الشعالي فألت قيادة الحزب إلى أحمد العاني وصلاح فرجات اللذين لم يتمكنا من النهوض به، فانسحب منه مجموعة من الشباب الوطني وأسس حزب «الدستور الجديد» في ١٩٣٤. وظل حزب الدستور يعبر عن وجوده أحياناً بتأييد سياسة الباي ومعظم الأحيان بمحاجة سياسة حزب الدستور الجديد.

بعد الاستقلال، قاطع حزب الدستور كل الانتخابات التي حررت وهاجم الاتجاه العلماني الذي انتهجه بورقيبة. وفي ١٩٦٠، توقفت جريدة الحزب «الاستقلال»، وتوقف عملياً نشاطه، فانضم معظم من بقي من زعمائه إلى الحزب الدستوري الجديد.

هذا الحزب نشأ، إذًا، عن انشقاق تزعمه الحبيب بورقيبة داخل حزب الدستور في ١٩٣٣. عقد مؤتمره الأول في قصر هلال في ٢ آذار ١٩٣٤، فكرّس ولادة حزب علماني ومناضل من أجل الاستقلال، وانتخب المؤسس الحبيب بورقيبة رئيساً، ومحمد الطيري أميناً عاماً. ولم تنتظر السلطات الفرنسية طويلاً لتعتقل زعماء هذا الحزب وتعدهم إلى الجنوب حيث ظلوا حتى وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا والافراج عنهم في ١٩٣٦. وعلى أثر احداث ٩ نيسان ١٩٣٨ التي اسفرت عن عشرات القتلى والجرحى في تونس، صدر أمر بحل الحزب وتوقيف صحفه عن الصدور واعتقال زعمائه بتهمة التآمر ضد أمن الدولة.

في ١٩٤٥، جأ بورقيبة إلى القاهرة حيث تابع حملته ضد الاستعمار الفرنسي وشارك في إنشاء لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة التي كانت تضم الحركات الوطنية في المغرب العربي. وفي ١٩٤٨، انتخب صالح بن يوسف أميناً عاماً للحزب الدستوري الجديد مكان محمود الطيري، وكان بذلك زعيم الحزب الفعلي في غياب رئيسيه

وجاءت النتائج التي حصدها احزاب المعارضة في هذه الانتخابات البلدية أقل من النتائج التي حصلت عليها في الانتخابات الاشتراكية الاخيرة (آذار ١٩٩٤)، وفازت حالفها حركة الديمقراطيين الاشتراكيين بعشرة مقاعد وحركة التحديد بأربعة مقاعد والاتحاد الديمقراطي الوحدوي بثلاثة مقاعد وحزب الوحدة الشعبية بمقعدان فقط (أي ١٩ نائباً لأحزاب المعارضة من جموع ١٤١). في حين ان احزاب المعارضة مجتمعة لم تعد تسيطر سوى على ثمانية مقاعد من أصل ٤٠٩ (أي ما نسبته أقل من ٢٪) في انتخابات ١٩٩٥ البلدية.

وكانت الانتخابات البلدية سجلت نسبة مشاركة فاقت ٩٠٪. وفي ضوء تجربة المعركتين الانتخابيتين (آذار ١٩٩٤ الاشتراكية، وايار ١٩٩٥ البلدية)، طُرِح، وما يزال، السؤال حول المدى الذي سيسمح فيه «التجمع الدستوري الديمقراطي» بظهور احزاب حقيقة تنافسية، خصوصاً ان هذه الاحزاب لا تملك حق استخدام الاذاعة والتلفزيون لاطلاع الرأي العام على برامجها وموافقها، فضلاً عن ان صحفها محتجزة منذ ١٩٩٤.

التجمع الدستوري الديمقراطي: (حزب الدستور، ثم الحزب الدستوري الجديد، ثم الحزب الاشتراكي الدستوري، ثم الاسم الحالي: «التجمع الدستوري الديمقراطي»): في الأساس، أو البداية البعيدة لحزب التجمع الدستوري الديمقراطي الحاكم، هو حزب الدستور الذي أسسه الشيخ عبد العزيز الشعالي وجموعة من الوطنيين المثقفين في العام ١٩٢٠ وقد استشعروا ان الاستعمار الثقافي الفرنسي يهدّد شخصيتهم القومية والثقافية. ففي العام المذكور (١٩٢٠) نشر الشيخ الشعالي كتابه الشهير «تونس الشهيدة» وفيه إدانة للاستعمار ودعوة إلى انتزاع الاستقلال والحربيات

طويل في شأن التواصل مع إرث الرئيس السابق الحبيب بورقيبة الذي أسس الحزب في ١٩٣٤ أو القطيعة معه. واستطاع هذا المؤتمر (١٩٨٨) إزاحة صور الارث البورقيبي القديم من الحزب وفي مقدمهم الوزير السابق محمد الصياغ، فيما سطع بجم الحدّيين خصوصاً الوزير الاول السابق الهادي البكوش ووزير الداخلية السابق حبيب عمار اللذان كانوا وراء اعتماد الاسم الجديد للتحمّع.

المؤتمر الثاني لحزب «التحمّع الدستوري الديمقراطي» (تunoz ١٩٩٣) انطلقت التحضيرات والاستعدادات له مع البيان الذي أصدره الرئيس بن علي، وهو في الوقت نفسه رئيس الحزب، في ٦ كانون الاول ١٩٩٢. وقد نظر التونسيون إلى هذا المؤتمر، وانتظروه، كمحطة مهمة في تطور الحياة السياسية للبلاد، خصوصاً في ما يتعلق بالاستمرار في عملية إرساء الديمقراطية التي سجلت انطلاقاً حيدة خلال السنة الاولى من حكم الرئيس بن علي حيث اتخذ عدداً من الاجراءات والخطوات الانفتاحية المهمة، ثم اعزّاهما بعض التباطوء والمواصلة، إما بسبب طففان الماجس الاممي والمحاباة الشاملة التي خاضتها السلطات ضدّ أصولي حركة النهضة، متخذة شكل الاجتناب، أو بسبب ردود الفعل المحافظة لدى بعض القوى داخل أجهزة الادارة والدولة.

في ٢٧ تونoz ١٩٩٣، عقد «التحمّع الدستوري الديمقراطي» مؤتمره الثاني، شارك فيه ١٨٠٠ عضو (٤٢ ألف كادر حزبي شاركوا في التعبّاب نواب فروع الحزب للمؤتمر، وقدرت نسبة المشاركة في الاقتراع بـ ٧٨٪، وعدد المترشّبين إلى الحزب نحو مليون و٦٠٠ ألف مترشّب).

جاءت مختلف التعليقات والتحليلات حول نتائج هذا المؤتمر، والمسار السياسي العام لحزب التحّمّع الحاكم، لتتمحور كلها حول ان الحزب دون تطلعات رئيسه رئيس الدولة بن علي بجهة التعدديّة والديمقراطيّة اللتين يعمل لهما الرئيس.

الحبيب بورقيبة.

في ١٩٥٠، شارك الحزب بشخص صالح بن يوسف في حكومة محمد شنيك الذي بدأ يفاوض الفرنسيين من أجل الحصول على الاستقلال. وعندما فشلت المفاوضات اعتقلت السلطات الفرنسية أعضاء الحكومة وزعماء حزب الدستور الجديد ومنهم بورقيبة، وتمكن الأمين العام بن يوسف من الفرار من الأسر وقيادة العمل من الخارج في أثناء اعتقال زعماء الحزب.

بعد التوقيع على اتفاقيات الاستقلال الذاتي نشبّت خلافات داخل الحزب انتهت بعزل بن يوسف. وفي مؤتمر صفاقس (١٩٥٦) نشأ تيار منشق عرف باسم «الامانة العامة لحزب الدستور الجديدي». وبعد الاستقلال استلم الحزب السلطة وأصبح شيئاً فشيئاً يسيطر على كل النشاطات السياسية في الداخل ليصبح الحزب الحاكم الوحيد (ما يزال حتى اليوم).

في ١٩٦٤، انعقد المؤتمر السابع للحزب وأخذ قراراً بتغيير إسم الحزب فصار يعرف باسم «الحزب الاشتراكي الدستوري»، وكان وراء هذا القرار الأمين العام للحزب أحمد بن صالح. وعلى أثر عزل هذا الأخير في ١٩٦٩، أخذ الحزب ينحو باتجاه الليبرالية والانفتاح على الغرب. امتازت أيديولوجية الحزب، في هذه الفترة، بنوع من اشتراكية دستورية تتحقق عبر تحالف الطبقات الاجتماعية لا عبر صراعها.

في ٢٧ شباط ١٩٨٨، أي بعد نحو ثلاثة أشهر ونصف الشهر من وصول الرئيس زين العابدين بن علي إلى السلطة، غير الحزب إسمه ليصبح «التحمّع الدستوري الديمقراطي»، وكرّس هذا التغيير في مؤتمر عقده الحزب تحت شعار «الإنقاذ» ومن أجل مهمّة ملائمة لنشاط وبني الحزب مع الخيارات السياسية الجديدة التي حملها التغيير الذي طرأ على رأس السلطة (خلافة بن علي للحبيب بورقيبة؟؛ كما جاء هذا التغيير بعد جدل

الاحتلال الايطالي في ١٩٤٣، فأخذ يمارس نشاطه علينا حتى ١٩٥٢ حين أصدرت الحكومة الفرنسية قراراً بحله. وقد أدى هذا المنع إلى اضعاف الحزب بالإضافة إلى ابعاده عن الحركة الوطنية التونسية وعدم حمله السلاح معها، بل ناهضها واتخذ مواقف شبيهة بمحاذير المعارضة اليسارية الفرنسية التي كانت تعارض استقلال تونس. في توز ١٩٥٤، انقلب الحزب الشيوعي التونسي على نفسه، فشارك في التحركات الشعبية ضد الحماية الفرنسية بعد أن عاد علينا، إلا أن دوره بشكل عام ظل هامشياً في الحركة الاستقلالية التي تصدرتها القوى القومية والوطنية والدينية. وبعد حصول تونس على استقلالها، دعا الحزب الشيوعي إلى قيام نظام ديمقراطي وإجراء إصلاح زراعي. كما عمد، في مؤتمر السادس (كانون الأول ١٩٥٧) إلى إجراء نقد ذاتي لسياسته السابقة. وفي كانون الثاني ١٩٦٣، حلت الحكومة التونسية هذا الحزب على أثر المحاولة التي كانت استهدفت حياة الرئيس بورقيبة في ١٩٦٢، فنشط معظم زعماء الحزب في العمل السري، وفي الخارج وخاصة في فرنسا.

شهد الحزب ازمة داخلية حادة على اثر احداث ققصة في ١٩٨٠ (راجعت النبذة التاريخية)، اذ سارع قيادة الحزب إلى إدانة هذه العملية بعنف، ثم تراجعت جزئياً بسبب الخلاف الداخلي الذي أثارته هذه الادانة. بعدها بقليل، أي في ١٨ تموز ١٩٨١، سمحت السلطات باستئناف عمل الحزب. وفي نيسان ١٩٩٣، غير الحزب إسمه ليصبح «حركة التجدد». أمينها العام الحالي محمد حرمنل (كان أيضاً أميناً عاماً لحزب الشيوعي التونسي لأكثر من عقد من الزمن قبل تغيير إسمه). كانت حركة التجدد تشغل أربعة مقاعد في مجلس النواب المنيق من انتخابات ١٩٩٤ التشريعية؛ إلا ان النائب المستقل سالم رجب الذي فاز على لائحتها ما لبث ان ابتعد عنها. ويعتبر

فالمهمة الأكثر صعوبة امام الرئيس زين العابدين بن علي هي في «ترويض» التجمع الدستوري على التعايش مع فكرة التعددية والديمقراطية وقبوظها كاستحقاق مستقبلي لا بد منه. والفكرة تفترض عملياً ومنطقياً إلغاء شيء اسمه «الحزب الحاكم»، علمًا بأنه يمكن ان يبقى الحزب الاقوى في الساحة السياسية.

وفي سياق تعديل حكومي اجراءه الرئيس زين العابدين وقراره إدخال تغيير في مستوى قيادة التجمع الدستوري الحاكم، نقل وزير الدفاع الدكتور عبد العزيز بن ضياء من الوزارة وعين امينا عاماً للتجمع الحاكم، وكان سبق ان تولى هذا المنصب في آخر فترة حكم الرئيس السابق بورقيبة. وعلى رغم ان هذا المنصب ليس منصباً وزارياً إلا انه بالغ الاهمية نظراً إلى المسؤوليات الملقاة على عاتق صاحبه الذي لا بد من ان يكون متمتعاً تماماً بثقة رئيس الدولة.

الحزب الدستوري والحركة الوطنية من
منظور معارض: راجع «يوسف الرويسي»
والمقالة التي تليه في باب زعماء ورجال دولة.

الحزب الشيوعي التونسي سابقاً، «حركة التجديد» حالياً: تأسس الحزب الشيوعي التونسي في ١٩١٩ كفرع للحزب الشيوعي الفرنسي في ظل الاممية الثالثة، ولم ينفصل شكلياً عن هذا الحزب الا في ١٩٣٤ وكان عدد اعضائه آنذاك نحو ألفي عضو. وقد أثر ارتباطه بالحزب الشيوعي الفرنسي في شعبنته وساهم في عزله عن الحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال خاصة وأنه كان يولي أهمية كبيرة لتطور الوضع في فرنسا على حساب ما كان يجري في تونس ذاتها.

ساهم الحزب الشيوعي التونسي في العمل ضد الفاشية والنازية خلال الحرب العالمية الثانية. خرج من العمل السرى بعد تحرير تونس من

العقائدي» لحركته، حركة الاتجاه الإسلامي. وأقر كذلك الاستراتيجية الموقته له التي أصبحت بمثابة لائحة داخلية. وأودع الغنوشي تحت الإقامة الجبرية. وفي آذار ١٩٨٧، اعتقل، وانتخب صالح كركر رئيساً الذي ما لبث أن فر إلى فرنسا. وفي ١٩٨٧، انتخب جمال العوبي رئيساً، ثم اعتقل، فانتخب مكانه الدكتور صادق شورو الاستاذ في كلية الطب، الذي اعتقل بدوره. في آيار ١٩٨٨، صدر عفو عام، فأطلق سراح راشد الغنوши وعدد كبير من المعتقليين للاتجاه الإسلامي.

في ١٩٨٩، غير الاتجاه الإسلامي اسمه وتبني إسم «النهضة» التي دخلت الانتخابات البلدية، ولكنها فشلت في الحصول على موافقة السلطة على اعتبارها في عدد الأحزاب.

في شباط ١٩٩١، اعتقل الصادق شورو الذي حافظ على رئاسة النهضة بسبب جلوه الغنوشي إلى فرنسا، وانتخب الحاج محمد العكروت لمدة ٢٤ ساعة اعتقل بعدها فانتخب الدكتور محمد سالم الذي غادر البلاد، في آذار ١٩٩١، إلى المتنبي الاجباري في فرنسا. فانتخب الحبيب اللوز، ثم اعتقل بدوره (تشرين الأول ١٩٩١)، فقرر من تبقى في مجلس شوري «النهضة» في الداخلي والخارج أن الوضع في الداخلي لم يعد مناسباً لاستمرار العمل التنظيمي فتولى الرئاسة رئيس مجلس شوري «النهضة» وليد البناي (الحادي عشر سياسي في بلجيكا). وفي ١٩٩٢، عقدت النهضة مؤتمراً لها، في أوروبا، لتقييم أوضاعها منذ ١٩٨٧، وانتخب الغنوشي غيابياً. وفي ربيع ١٩٩٥، عقدت مؤتمرها العام (في المهر) للنظر في ورقة التقييم التي اعدتها لجنة خاصة مبنية من المؤتمر السابق، وانتخب مجلس شوري جديداً، وحدّدت للغنوشي بعد حصوله على نسبة ٥٢٪ من اصوات المؤتمرين.

حدّدت النهضة في مؤتمرها الأخير هذا (ربيع ١٩٩٥) محاور ثلاثة لحركتها: العودة إلى

حرمل الوحيد بين رؤساء احزاب المعارضة الستة الذي يشغل مقعداً في مجلس النواب الحالي.

في عدد «الطريق الجديد» (المجلة الناطقة بلسان الحركة الجديدة، وكانت «الطريق» ناطقة بلسان الحزب الشيوعي التونسي) الصادر في ١٥ نيسان ١٩٩٦، نفى حرمل أن يكون الانتقال من صيغة الحزب الشيوعي إلى صيغة حركة التجديد تغييراً للاسم فقط، وقال: «أسسنا حركة التجديد باعتبارها النواة الأولى لإعادة بناء الحركة الديمقراطية والتقدمية برمتها على قواعد فكرية وسياسية مناسبة للمرحلة التاريخية الجديدة وتأمين الظروف لتوحيد روادها المختلفة بما يعزز إيجابياتها ويهمش سلبياتها ويفرز الاتجاه السليم».

الاتجاه الإسلامي، «النهضة»: تأسس «الاتجاه الإسلامي» في ١٩٧٩ بزعامة («أمير») راشد الغنوشي (مولود ١٩٤١). حركة اصولية منعتها السلطات التونسية، فاختارت إسم «النهضة» التي استمرت السلطات بمعندها ولاحقت زعماءها: راشد الغنوشي جلأ إلى فرنسا منذ ١٩٨٩، وبعدها قصد لندن، ومنهم من قصد المركب إلى الجزائر، وبعضهم اعتقلته السلطات التونسية.

في ١٩٧٩، عقد «الاتجاه الإسلامي» مؤتمره التأسيسي وأعلن انتقاله من حال الدعوة العامة وتحوله إلى حزب وانتخب راشد الغنوشي رئيساً. وفي حزيران ١٩٨١، عقد الاتجاه مؤتمراً استثنائياً جدد فيه رئاسة راشد الغنوشي. وفي تموز ١٩٨١، طلب الاتجاه ترخيصاً رسمياً من الحكومة، فقابلته بحملة اعتقالات شملت نحو ٥٠٠ من أعضائه على رأسهم الغنوشي، فتسلم القيادة الفاضيل البلدي. في ١٩٨٢، انتخب المهندس حمادي الجبالي رئيساً (معتقل). وفي ١٩٨٤، أطلق سراح الغنوشي وانتخب رئيساً في مؤتمر عام.

في ١٩٨٦، عقد «الاتجاه الإسلامي» مؤتمراً عاصماً أقر فيه «وثيقة الرؤية الفكرية والمنهج

اجنبية».

والصراع الداخلي الذي عصف داخل الحركة قبل تعيين خلف الله ناطقاً رسمياً سرعان ما انتقل إلى العلن عندما بادر نائب رئيس حركة الديمقراطيين الاشتراكيين اسماعيل بو لحية إلى التوقيع على بيان مشترك مع «حزب الوحدة الشعبية» (برعاية محمد بن الحاج عامور)، و«الاتحاد الديمقراطي الوحدوي» (برعاية عبد الرحمن التليلي، تأسس في ١٩٨٨)، اتفاقاً تجاهد المغارب عضويته في مؤسسات الاتحاد المغاربي (راجع النبذة التاريخية، «في إطار الاتحاد المغاربي»)، واعتبر موقف الاحزاب المعارضة الثلاثة الخطوة الاولى نحو إدماج هذه الاحزاب في تنظيم موحد.

في اول تموز ١٩٩٦، انتخب «المجلس الوطني» لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين المحامي محمد علي خلف «منسقاً للحركة» في غياب رئيسها محمد مواعدة.

ومن الاحزاب والتنظيمات المعارضة الأخرى: حركة الوحدة الشعبية التي أسسها (ويترعماها) أحمد بن صالح في ١٩٧٣؛ والجمعية الاشتراكي التقديمي الذي أسسه نجيب شي في ١٩٨٣؛ والحزب الاجتماعي للتقدم الذي تأسس في ١٩٨٨ ويترعماه منير بجي.

النوابات: راجع «الحبيب عاشور»، و«فرحات حشاد»، و«محمد علي» في باب زعماء ورجال دولة.

الوطن، تأسيس تحالف وطني يجمع القوى السياسية كافة في تونس، والمصالحة الوطنية.

لكن في نيسان ١٩٩٥، تجددت (بعد توقيف) حملة اعتقالات النهضويين واصارهم، وشملت هذه المرة النساء اللواتي اتهمن بتهريب المساعدات والمالي لأسر المعتقلين الذين تقدر النهضة عددهم بنحو ٤٠ ألف معتقل، بينما تكتفي منظمة العفو الدولية بالاشارة إليهم على ان عددهم «آلاف».

حركة الديمقراطيين الاشتراكيين واحزاب معارضة أخرى: حزب سياسي حديث النشأة، في الوسط بين اليمين واليسار بحسب المفهوم المعروف تقليدياً. زعيمه محمد مواعدة الذي اعتقلته السلطات التونسية في خريف ١٩٩٥، فحالت بذلك دون عقد اجتماعات المجلس الوطني للحركة طيلة أربعة أشهر، حتى تنسى لهذا المجلس عقد دورة استثنائية في ٢٥ شباط ١٩٩٦ عين فيها عضو المكتب السياسي المحامي محمد علي خلف الله ناطقاً رسمياً باسم الحركة، وكلفه الدعوة للاجتماعات الدورية للمكتب السياسي. وهذا التعين أنهى الخلاف الذي نشب بين أعضاء أمانة الحزب التسعة في شأن من يتولى منصب «المنسق» في غياب رئيس الحركة، محمد مواعدة المتهم بارتكاب «جرائم التورط مع اعوان بلد اجنبي (ليبيا) وتعريض التونسيين للانتقام والاتصال بهمة أجنبية بهدف الاضرار بصالح البلد الاقتصادية والسياسية والحصول على مبالغ مالية من جهة

حيث تختلط حضرة اشجار الزيتون بكل انواع الدهور والورود والشجيرات الدائمة الاخضرار. أما بالنسبة إلى تسمية «تونس الحضراء» فتعود إلى ما يزد ويقال عن مدينة قرطاجة عندما كانت في قمة عنوانها حيث لم ينس أهلها اصولهم الفينيقية. فلم يكتفوا بنقل تقاليدهم وعاداتهم وأساليبهم في الحروب والغزوات والتجارة والصناعة والزراعة، بل انتقلت معهم ايضاً طقوس عبادة آلهة فينيقية؛ بعل وملوكارت وعشتروت وأدونيس، ولم يكن بد من ان يستدعوا الكاهن الأكبر «آزواداس» من صور إلى قرطاجة. وحين أήجرو معه إبنته «أسماتا» بسفينة الفينيقية كان قد حملها بكميات كبيرة من زيت الزيتون أعدت خصيصاً في معاصر لبنان. كانت هذه الكمية من الزيتون هي هديته الرئيسية إلى أهل قرطاجة الذين كانوا يمتحنون إليه بليوشهم ومصانعهم وهياكلهم في آن واحد للقتال ولل العبادة.

«لم يكن زيت الزيتون وحده هو ما اهتم الكاهن الأكبر بنقله معه إلى مقر كهانته الجديد، بل كانت هناك في السفينة عشرات من أجود اشجار الزيتون. ولقد كان حريصاً على أن تزرع شجرة زيتون على قبره كما هي عادة أسرته من كهنة صور، وحتى لا يختلف هذا التبرير في شيء عن قبور من سبقوه إلى العالم الآخر فقد كان من عاداتهم ان يغرسوا شجرة زيتون على قبر كل منهم لتكون نومتهم الأخيرة في غابة من الزيتون انتشرت وأمنت دعـلـفـ اسوارـ صـورـ وـعـلـىـ سـفـحـ الجـيلـ، عند مصب نهر أدونيس، حيث مدافن الآباء والأجداد.

«قبل ان تنقل اغراض الزيتون على ظهر السفينة اختفت «أسماتا» ابنة الكاهن على ايديها لتقول له: قبل ان نزرع اغراض الزيتون على قبرك بعد عمر طويل سأزرع واحدة منها بيدي في حدائق الدار التي ستقيم فيها يوم يختلفون هناك بزفافي، وسيكون غرس الزيتون ذكرى لزواجي»،

مدن و معالم

* أوثينة: راجع «وذنة» في هذا الباب:
مدن و معالم.

* بنزرت: راجع البذلة التاريخية.

* توزار (ومدن صحراوية): مدينة تونسية في الصحراء الواقعة في الجنوب الغربي لتونس. عاصمة الصحراء، تتميز عن جاراتها من المدن الصحراوية الأخرى في تونس بمطارها وفنادقها. أبنيتها أحجرية. عند تجوهها واحة متصلة ببحيرة «شط الجريد»، وغابة كثيفة من أشجار النخيل التي يربو عددها على مليون شجرة، ما يعطي تجارة التمر مكانة خاصة في توزار. وقد أفادت توزار من تشجيع السياحة، وهي في طور تحولها إلى محطة رئيسية لـ«سياحة الصحراء». وتحفل سنوياً بـ«مهرجان الفنون التقليدية». وفي توزار متحف عاـصـمـ،ـ المتـحـفـ الخـاصـ الـوحـيدـ فيـ تـونـسـ (يـعودـ لـ مؤـسـسـةـ يـمـلكـهاـ مواـطنـ توـنـسـيـ)ـ وـهـوـ مـعـرـضـ دائـمـ يـحـمـوـ عـلـىـ قـطـعـ الأـثـاثـ والمـصـنـوعـاتـ الـيدـوـيةـ وـالـرـسـومـ،ـ لـكـيـ تـكـوـنـ عـيـنـاتـ تـمـثـلـ جـوـانـبـ الـخـضـرـاءـ الـتـقـلـيدـيةـ.

وغير بعيد عن توزار مدينة تغزة التي تجاور واحة «شيبة» والتي غدت متجهةً صحراوياً بفضل فندقها «قصر تغزة» المطل على المدينة القديمة الرابضة على كتف الوادي. ومدينة دوز الواقعة في سهل عند حافة «شط الجريد» الشهير بمهرجانها الفولكلوري السنوي.

* «تونس الحضراء»: الحقيقة ان الحضرة في تونس هي احد المعالم البارزة في كل احياء البلاد، في المزارع والمنتزهات وعلى جوانب الطرق والميادين، وفوق شرفات المنازل في المدن والقرى،



شجرة أرز، وثالث آثار إفريقية «ثالثت» في متحف باردو، وصورة جامع الزيونة.

أيطالي. بلغ عدد سكانها في العام ١٩٥٦ (عشية الاستقلال) نحو ٣٠٠ ألف. تقديرات ١٩٩٦ تشير إلى أنها تعد نحو ٨٠٠ ألف، ونحو مليونين مع الضواحي (أو «تونس الكبرى»). واقعة شمالي تونس، وميناء على المتوسط. تطوقها المياه من ثلاثة جهات (إضافة طبعاً إلى المتوسط)، ففي شماليها بحيرة تونس، وجنوبها بحيرة رادس، وتمتد في منطقتها الشرقية بحيرة السيجومي. وتوضع حالياً دراسات لنقل ميناء العاصمة تونس، الواقع على مقربة من وسط المدينة، إلى منطقة جديدة على نحو يخفف الضغط عليه ويجعله همزة وصل بين البحيرتين الشمالية والجنوبية اللتين ستكون تجهيزاتهما السكنية والسياحية ومرافقهما متکاملة. مدينة تونس القديمة أساسها العرب المسلمين في القرن الثامن الميلادي، وكان موقعها فوق ربوة على البحر المتوسط يوهلها لوراثة جاراتها قرطاج (قرطاج) الفينيقية. وكانت، قبل العرب، قرية بربرية، ثم تحولت، مع العرب، إلى قلعة دفاعية حصينة (حكم الأغالبة)، ثم إلى مركز

ولزواجه كل واحدة من فتيات الأسرة يوم يتم زفافها.

«ومع مرور الأيام، كانت اغراس الريتون التي جاء بها الكاهن معه والتي ارسلت إليه في ما بعد من فينيقيا، قد زرعت في الحدائق والبساتين والمزارع في قرطاجة وما حولها، وانتشرت زراعة الريتون منذ ذلك الوقت في تلك البقعة من الأرض الأفريقية التي لم تعرف قبل ذلك زراعة اشجار الريتون الحضراء» (من «العربي»، العدد ٤١، أيار ١٩٩٣، ص ٤٣-٤٠).

بعد الفتح الإسلامي في منتصف القرن السابع الميلادي، بدأت البلاد تعرف باسم «تونس الحضراء».

* تونس العاصمة Tunis: عاصمة تونس. كان عدد سكانها نحو مائة ألف في القرن الثاني عشر؛ نحو ١٧٠ ألفاً في العام ١٩١١، منهم نحو ١٨ ألف فرنسي، و٧٥ ألف مسلم، و٢٦ ألف يهودي، و٦ آلاف انكليزي-مالطي، و٤٥ ألف

جامع الزيتونة الذي كان يغذي الناس بالثقافة التقليدية الإسلامية. وفتحت هذه المدرسة أبوابها لقبول الطلاب في العام ١٨٧٥ (أي قبل ست سنوات من الاحتلال الفرنسي لتونس)، وبعد ثلاث سنوات، أي في ١٨٧٨، تكنت هذه المدرسة من أرسال عدد من الطلبة إلى فرنسا وتركيا وأنكلترا لمواصلة تعليمهم. والمدرسة أخذت إسمها من حاكم تونس آنذاك الصادق باي. ومنذ ١٨٢٢، تقرر أن تكون الفرنسية وحدها لغة التعليم في المدرسة الصادقية، وفي ١٨٩٢ عين لها مدير فرنسي (أصبحت «ليسيه فرنسي»). وفيها درست غالبية النخب (من سياسيين وغيرهم) التونسية. ووحده، بين الزعماء والسياسيين، عبد العزيز الشعالبي كان «زيتونياً» وليس «صادقياً».

* جربة Djerba: جزيرة تونسية صغيرة

(متوسط طولها ٥٠ كيلومتر وعرضها ٤٠ كيلومتر)، تقع في خليج قابس (على إسم مدينة قابس التونسية) في وسط المسافة تقريباً بين مدينة قابس والحدود مع ليبيا. تعداد حالياً (تقديرات ١٩٩٦) نحو ١١٠ ألف نسمة، وهي ناشطة جداً اقتصادياً وسياحياً بعد أن كان أهلها، من مدة ليست بعيدة، يعيشون من الصيد وتعاطي الزراعة في بساتين صغيرة. فصارات اليوم شبكات الفنادق الحديثة تغطي سواحلها فيما يربطها المطار الدولي الذي أنشئ فيها بالمدن الرئيسية في أوروبا. شهيرة بوجسود إحدى أقدم الجاليات اليهودية (والزوارات اليهودية) في العالم. فيها كيس «الغريبة» المعتبر من أقدم المعالم اليهودية في العالم، وفيه تجري احتفالات «الزيارة» (١٧ أيار) السنوية التي اعتناد اليهود التونسيون على إقامتها منذ عصور بعيدة ولكن في إطار محلي، ثم صار يهود كثيرون من الدين هاجروا إلى فرنسا أو فلسطين يأتون إلى «الغريبة»،خصوصاً بعدما وقعت تونس اتفاقاً للتبادل السياحي مع إسرائيل بعد توقيع «اتفاق غرة أريحا

amarة محلية دام حكمها حوالي قرن. وحين ضم الموحدون تونس، في ١١٦٠، إلى دولتهم الكبيرة المستقرة في مراكش والممتدة من الغرب الأقصى إلى طرابلس الغرب، جعلوا منها عاصمة ولاية إفريقيا. ومنذ ذلك الوقت لعبت دوراً مهماً على مستوى الحركة التجارية في حوض المتوسط. والمدينة عاصمة بالكتوز الدفين في القصور والمتاحف والبيوت العتيقة.

فيها «جامع الزيتونة» أول جامعة في العالم، على وجهه لوجهة تقول: «جامع الزيتونة العمور أسسه عبد الله بن الحجاج سنة ١١٤ هـ، ٧٣٢ م، في المكان الذي أقام به حسان بن النعمان الصلاة عند فتح تونس سنة ٧٧٨ هـ، ٦٩٨ م، وأعاد بناؤه على شكله الحالي زيادة الثاني بأمر من الخليفة العباسى المستعين بالله. وتم إبان الاستقلال ترميمه ودعم أركانه بأمر من فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة».

و«دار الأصرم» و«سيدي محرز» بهندسته المستوحاة من الفن التركي؛ ودار «سيدي قاسم الجلizi» الراخنة يفتون زخرفة الإبرواب والشبابيك المقوسة، وهو أحد أهم معلم تونس من المهد الحفصي الذي حول، في السنوات الأخيرة، إلى المركز الوطني للحرف الفني. وسيدي قاسم الجلizi من أصل أندلسي توفي في مدينة تونس العام ٤٩٦ م، وأخذ إسمه من مهنته وهي صناعة الجليز، ونال حظوة كبيرة لدى الأمراء الحفصيين. وتحول مقامه إلى ملحاً للمهاجرين القادمين من الاندلس غداة سقوط غرناطة، آخر الإمارات الاندلسية.

وهناك «دار ابن عبد الله» من القرن الثامن عشر والذي تحول إلى متحف تقليدي يضم أبدع الأزياء والأثاثات الشعبية الشرقية. وهناك «المدرسة الصادقية» التي كان لها أثراًها القوي من حيث لعبها دوراً أداة نقل الأفكار الجديدة من الغرب إلى أبناء تونس، فكانت بذلك متممة لعمل

اسلافهم. إلا ان الصراع لم يهدأ يوماً بين الحارة الكبيرة والحارة الصغيرة. فسكان الاولى يعتبرون انفسهم متحدرين من اصول اوروبية ويعتقد كبار السن بينهم انهم جاءوا من اسبانيا بعد موجةطرد الكري ل المسلمين واليهود في ١٦١١، فيما يتغير اهل الحارة الصغيرة انهم أول اليهود المستقرين في الجزيرة منذ هدم هيكل سليمان في القدس». وكيس الغربية موجود في الحارة الكبيرة في الحي اليهودي الرئيسي الذي يقدر عدد سكانه بـ نحو ألفي يهودي فيما لا يزيد عدد سكان الحارة الصغيرة عن ٥٠٠ شخص. وحاول يهود جربة الذين هاجروا إلى فلسطين إنشاء قرية بالقرب من تل أبيب أطلقوا عليها إسم «جربة الجديدة»، لكن أكثرهم عاد وغادر إسرائيل إلى فرنسا أو عادوا إلى تونس».

في السنوات الأخيرة بدأت جربة تستقبل مئات المهاجر اليهود الذين يأتون للمشاركة في «زيارة الغربية»، وكان السياح الاسرائيليون يستخدمون جوازات اوروبية أو أمريكية، إلا انهم

أولاً». ويعزى اهتمام اليهود بـ«زيارة الغربية» إلى كونها أهم معلم لليهودية في المتوسط خارج فلسطين، إذ تشير لوحة رخامية في داخل الكيس إلى أنه أنشئ في العام ٥٨٦ق.م. أي «عند خراب هيكل سليمان الأول تحت سلطة نبوخذنصر ملك بابل». ومعروف عن يهود جربة شدة تعلقهم بهويتهم. وكان داود عيدان، أحد أبناء يهود جربة، أول من أدخل المطبيعة إلى جربة في ١٩٠٣ وأصدر في ١٩١٣ صحيفة «كنيست إسرائيل». جاء في «الحياة» (عدد ١٤ إيار ١٩٩٥): «يقول المؤرخ التونسي محمد العربي السنوسي المتخصص بتاريخ اليهود التونسيين إن رعي يهود جربة بعراقتهم جعلهم يعتبرون انفسهم -دينياً- أصحاب فضل على اليهودية إذ حافظوا عليها خصوصاً انهم يعتقدون انهم ينحدرون من قبيلة الكهنوت، وهذا ما جعل أكثرية الأسر في الحارة الصغيرة (في جربة) يحملون لقب «كohen»، فيما تحمل بعض الأسر اليهودية الأخرى لقب «حداد» نسبة إلى الحرفة التي امتهنها

خراب برج الكبير في جربة،
يعود إلى القرن السادس عشر.



التونسي، على منطقتين: الساحل الأوسط وشبه جزيرة «الوطن القبلي» (جنوبي العاصمة تونس)، خاصة بعدهما فقدت تونس سيطرتها على جزيرة مالطا في اعقاب استيلاء «فرسان رودس» عليها، إذ ان الاتراك طردوا مغاربي جزيرة رودس اليونانية من ارضهم فعوضتهم عنها الكيسة جزيرة مالطا ونسبتهم إليها فقيل «فرسان مالطا».

وتندى الرباطات في تونس اليوم من الحصن

«الجنوي» (نسبة إلى أهالي جنوبي الإيطالية) في مدينة طبرقة شهلاً على الحدود الجزائرية التونسية إلى جزيرة جربة غير بعيد عن الحدود المشتركة مع ليبيا. وعرف رباط (حصن) طبرقة، الذي يقع فوق مرتفع متقدم في البحر يشبه الجزيرة قبالة المدينة، صراغاً مريضاً بين الاتراك والاسبان الذين تناوبوا على احتلال المدينة ثم استولى عليها الظليان (الإيطاليون) فترة زادت عن القرن، وحددوا بناء الرباط القديم. وما زال الحصن الجنوي اليوم مزاراً للسياح لأنه حافظ على هيبته التي تركه عليها الجنويون.

وتقسم رباطات مماثلة في مدينة بنزرت وحيوارها، ولعب الاندلسيون الذين طردوا من إسبانيا في ١٦١١ دوراً كبيراً في تجديدها كون عدد كبير منهم هاجر إلى المدن الشمالية في تونس. وفي مدينة تونس يقوم رباط كبير في مدخل التغر البحري الذي يبعد عن وسط المدينة نحو ١٠ كلم في ضاحية حلق الوادي. وتذكر الروايات التاريخية أن الإسبان هم الذين شيدوه بعدما احتلوا تونس، إلا أن القائد التركي محير الدين بربوسا أخرجهم منه وفتح تونس في القرن السادس عشر؛ وتحول الرباط في القرن الماضي (الناسع عش) بعد زوال أهميته الاستراتيجية إلى سجن وقضى فيه قائد ثورة ١٨٦٤ علي بن غذاهم أيامه الأخيرة.

إلا أن محافظة «الوطن القبلي» التي تندى جنوبي العاصمة تونس في شكل شبه جزيرة كانت

صاروا يأتون بمحاذات إسرائيلية. وحضر الاحتفالات هذا العام (١٩٩٦) للمرة الأولى رئيس مكتب العلاقات الإسرائيلي في تونس شالوم كوهن الذي باشر عمله في نيسان ١٩٩٦.

* **جنة:** راجع «المهدية» في هذا الباب: مدن ومعالم.

* **الحامة:** مدينة تونسية تبعد ٣٠ كلم عن قابس وكانت تسمى «حامة مطماطة»، وصارت تسمى اليوم بعد اندثار الصراع بين العرب والبربر «حامة قابس». ومثل قابس، ورثت الحامة من العهود السابقة صناعة المسروقات. وما زالت الحامة تصنع إلى اليوم أغطية صوفية ترتديها نساء القرى والبلدات المنتشرة في المنطقة، وتسمى «الأغطية الحامية».

* **الرباطات (القلاء، الحصون):** تندى سواحل تونس بطول نحو ١٣٠٠ كلم، وعليها رباطات (قلاء وحصون وابراج) غالبيتها ما زالت قائمة في غير مدينة من المدن الساحلية التونسية أنشئت في عهد الأغالبة، وهن الامراء الذين انفصلوا عن مركز الخلافة العباسية في بغداد وأسسوا دولتهم في تونس والجزائر (حالياً) واستمر حكمهم أكثر من مئة عام أي من سنة ١٨٤ هـ إلى ٢٩٦ هـ. وكان هدفهم من هذه الرباطات حماية السواحل من غزوات البيزنطيين. والأدارسة في المغرب أقاموا الرباطات كذلك. فأصبح هناك خط يقدر طوله بحوالي ٦ آلاف كلم عليه رباطات المسافة بين الواحد والآخر لا تزيد عن ٦ كلم. واشتقت إسم «الرباط» (القلعة) من المرابطين وهم الجنود المتعبدون الذين كانوا يسكنون الغرف التي يتآلف منها الرباط ويقطعون للعبادة والدفاع وخدمة الأهالي الذين أحاطوهم بهالة من التكريم. ركز البيزنطيون غاراتهم، في الساحل

قبيلة صنهاجة دحر الغزاة. وتمتد إلى الجنوب من المهدية سلسلة من الرباطات على طول الساحل حتى جزيرة حربة، وارتبط تطوير هذه الرباطات أو إعادة بنائها بالفتح العثماني إذ إن الاتراك المعروفين بجهنم للبحر وخيبرتهم بفنون القتال بمحوا في السيطرة على البحر المتوسط وطوروا حركة القرصنة بشكل لم يسبق له مثيل. واستقر الاتراك في المدن الساحلية التونسية واقام ضباطهم وقادتهم في قلاع ورباطات أعيد تربيتها وترميمها وتوسيعها. ومن آثار تلك المرحلة قلعة غازى مصطفى التي استرجعها الاتراك من الإسبان في جزيرة حربة، وأعاد الغازى مصطفى قائد منطقة حربة بناءها وأنشأ فيها قاعات كبيرة ومخازن ومراصد لمراقبة حركة السفن في البحر. وتبقى الرباطات القائمة على طول سواحل المغرب العربي اليوم شاهداً على مرحلة مهمة من الصراع بين أهم قوتين في العالم خلال أربعة قرون وهم الجيش الإسباني والجيش الترکي اللذان كانا يتصارعان على النفوذ في مركز الثقل الدولي آنذاك، أي البحر المتوسط (من رشيد خشانة، «الحياة»، عدد تاريخ ٢٣ تشرين الأول ١٩٩٤).

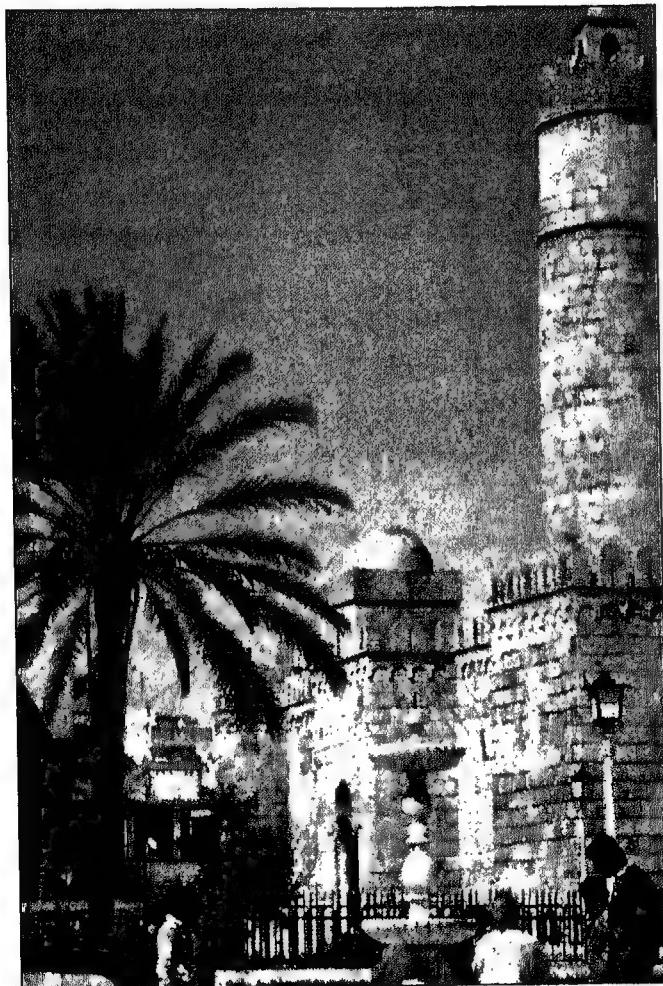
* سوسة: مدينة تونسية ساحلية. والساحل هناك هو أقرب المناطق الساحلية للداخل الصحراوي حيث التمروان. تبعد سوسة عن تونس العاصمة ١٤١ كم. وتعد نحو ١١٥ ألف نسمة. تعرف باسم «جوهرة الساحل». في منطقتها مساحات شاسعة من غابات الزيتون. فيها الكثير من المعالم التاريخية: أسوار ومساجد. تطل على «الرباط» الذي شيد في القرن التاسع في عهد الأغالبة، وهو صورة من صور كثيرة مماثلة على طول السواحل الأفريقية الشمالية أقيمت لحماية السواحل وتعليم المغاربة المرابطين. تتميز أسوارها وأبراجها بهندة بسيطة، وفي ساحاتها تقام اليوم

المسرح الامامي للمواجهات مع الغزاة كونها قرية جدعاً من سواحل صقلية وسردينيا. لذلك أنشئت فيها حصون وقلاع كبيرة أهمها رباط مدينة الحمامات الذي يقع على حافة البحر وتحول اليوم إلى متحف تاريخي، وقلعة قلبية التي ما زالت قائمة فوق قمة الجبل المشرف على المدينة، إلا أنها مقفلة منذ سنوات.

وتقوم في المنطقة رباطات وحصون أخرى تعود إلى فترة الفتح الإسلامي وأشهرها اليوم «قصر النخلة» الذي أنشأ في مكان قريب من المرفا الحربي الكبير للقوات الفاتحة الإسلامية «نوبة» المقابل لانقضاض مدينة قرطاجة من الجهة الغربية، وهو حصن حربي وعليه برج لمراقبة البحر.

وتمتد الرباطات إلى الجنوب في مدن سوسة والمنستير والمهدية العاصمة الأولى للفاطميين قبل أن يتجهوا لمصر ويؤسسوا القاهرة. ولأن المهدية كانت العاصمة فقد أنشأ الخليفة المهدى إلى حوار قصريه الفخمين مرسى كان من ابدع منشآت المهدية، وكأنه كان يريد ان يستغنى به عن مرفأ سوسة الحربي الذي أسسه الأغالبة و يجعل من ميناء مدinetته وقلاعها أحصن الحصون لاساطيله الضاربة في المتوسط وأنشا في محيط الميناء الحربي «دار الصناعة» لبناء السفن.

وفي شمال المهدية ما زالت تقوم آثار رباط قديم أنشأ على انقضاض مدينة رومانية تعرف باسم «تبصة» (Thapsa)، وهو الموقع التاريخي الذي حررت فيه المعركة الشهيرة بين يوليوس قيصر وشبيهه الأفريقي، والذي يعرف اليوم باسم «الديماس»، أو رأس الديماس. وما يؤكد ان هذه المنطقة كانت مسرحاً لمواجهات عسكرية بين جيش الاسلام وجيوش الفرنج ان قوات روجيه الثاني الورماندي الآتية من صقلية في حملة عسكرية على المهدية في سنة ١١٣٧ نزلت في رأس الديماس، إلا ان الحسن بن علي آخر ملوك



رباط سوسة، ويبدو البرج العالي لمرابط السلن.

ورومانية إضافة إلى أحواض إسلامية.

* صفاقس Sfax: مدينة تونسية، معروفة بـ«بوابة تونس التجارية» وبأنها من «أجمل المدن الإسلامية في المغرب العربي». وحيط بها سور أنشئ في زمن الأمير أحمد بن الأغلب في القرن التاسع الميلادي بالطوب والطين ثم جدد بالحجارة على فترات متعددة كان آخرها في القرن الثامن عشر، ويتكون من شرفات ورباطات (راجع «الرباطات» في هذا الباب: مدن وعالم) وأبراج دفاعية. كان يعتمد سور وكيل ينتخبه أهل صفاقس، ويقع تحت إشراف بلدية صفاقس والمعهد القومي للآثار والفنون.

تظاهرات ثقافية ومهرجانات سياحية، ومسرحيات وعروض غنائية وموسيقية. وفيها متحف للفسيفساء، ويضم آثاراً تعود إلى القرون الستة الأولى وتعكس صوراً من اساطير الديانات اليونانية والرومانية. وعلى أرضيته صورة إله البحر «نيبتون» على منوال شكل فينيقي.

منذ عقدين ومنطقة سوسة مسرحًا لعمليات تنقيب وبعث يقوم بها فريق من علماء الآثار كشفت عن آثار فينية ورومانية مهمة لمدينة تونسية قد تكون شهدت ازدهاراً عمرانياً واقتصادياً في العهود الفينيقية والرومانية. وتمثل تلك الآثار في كهوف مسرحية وحمامات وأبار رومانية وأعمدة وفسيفساء وتحف مزخرفات فينية

«الشركة الصناعية للحامض الفوسفوري والأسمدة» (يطلق عليها اختصاراً لفظة «سياب») ويقع مصنعتها في ولاية صفاقس.

ترتبط مدينة صفاقس بعلاقات توأمة وتعاون مع عدد من المدن العربية والاجنبية: داكار في السنغال، ماربورغ في ألمانيا، الدار البيضاء في المملكة الغربية، وليون ومرسيليا في فرنسا، ووهران في الجزائر.

* قابس *Cabes*: مدينة تونسية ساحلية، قبالتها تقع جزيرة جربة، تبعد ٣٦٤ كلم عن العاصمة تونس. تعد نحو مئة ألف نسمة.

اشتهرت قابس بانتاج الحرير الذي يعود إلى القرن الحادى عشر، أي قبل هجرة الاندلسيين الكبيرى إلى سواحل المغرب العربي على أثر سقوط غرناطة في ١٥٩٢ . وببداية إنتاج الحرير في قابس (في القرن الحادى عشر) يتزامن مع وصول قبائل بني هلال وبني سليم إلى الجنوب التونسي. لكن ليس مستبعداً ان تكون هذه الصناعة (الحرير) تطورت وتوسعت بعد بجيء الاندلسيين، إذ كان العرب الذين فتحوا الاندلس نقلوا معهم من مركز الخلافة الاموية في الشام فنون تصنيع الحرير. وأشار عبيد الله البكري، في ١٠٦٨ ، إلى ان مدينة قابس اشتهرت بصنع حرير ناعم من النوع الرفيع وأكد انها المدينة الوحيدة في «افريقيا» (تونس والجزائر) التي تصنعه. ولعل البكري يلتقي مع «دائرة المعارف الاسلامية» التي تقول في مادة «حرير» ان انتاج الحرير صار مقصوراً على سوريا وتونس بعد الغزو المغولي لبغداد في سنة ١٢٥٨ ، وفسرت ذلك بان الناخ في البلدين مناسب لزربية دودة القرز. وظللت قابس عاصمة غنية في صناعة الحرير في تونس لقرون طويلة.

لم يتبق من معالم عمارات قابس الأصلية المغربية أثر بارز كما هي حال صفاقس مثلاً والقيروان خصوصاً. اندر سوراها الرومانى

المدينة القديمة مشيدة فوق ربوة عالية، وفي قلبها يقوم الجامع الكبير وهو معاصر سور صفاقس، ومئذنته على طراز مئذنة جامع عقبة بن نافع في القيروان. وحول الجامع تجتمع الاسواق المسقوفة والمكشوفة.

إثر الاحتلال الفرنسي لتونس، أخذت مدينة صفاقس في التوسع خارج السور. فصارت بفضل اسواقها القديمة والجديدة تجذب اعداداً هائلة من التجار. وظهرت مدينة حديثة خارج سورها بعد ان ردم مرساها واقامت المدينة الحديثة مكانه.

عرفت منذ القدم بأنها مدينة صناعية. تحدث ياقوت الحموي في معجم البلدان عن صناعة النسيج وجودته في مدينة صفاقس. أما صناعاتها الحديثة (صناعات آلية لصناعة النسيج والاحذية والملابس الجاهزة والزيت والصابون والمواد الغذائية) فيرجع ظهورها إلى نحو القرن، وعرفت انطلاقتها الجديدة مع فترة الاستقلال.

ومع ان صفاقس ارتبط اسمها بالصناعة وبالتجارة، فإن مناطقها غنية بالزراعة حيث ان المساحة الصالحة للزراعة فيها تقدر بنحو نصف مليون هكتار، والراغي والغابات تغطي مساحة ١٣٣ ألف هكتار؛ وبعد الزيتون (يطلق عليه في تونس اسم الزيائين) أهم المزروعات في صفاقس (فيها نحو ٢٤٠ معاصرة). وقد بقىت صناعة الزيت تقليدية حتى او اخر القرن التاسع عشر. ومنذ بداية القرن العشرين صارت تستعمل الآلات الحديثة. وما تزال محاصيل الزيتون مقياس النشاط التجاري لصفاقس. وثاني الزيتون يأتي اللوز، ثم الخضار. ويشكل الاشتغال بالصيد البحري قطاعاً اقتصادياً بالغ الأهمية لأهالي صفاقس. ويكون اسطول الصيد البحري في ميناء صفاقس من نحو ١٦٦٠ وحدة صيد ساحلي بمحرك، إضافة إلى آلاف الوحدات الشراعية.

كانت تونس في الماضي تصدر الفوسفات كمادة حام، إلا انه وفي العام ١٩٥٢ ، تكونت



مدحولة بولية قتيل امرأة قرطاجية.

اقتصادي قائم على التجارة البحرية والزراعة. ومتزايد في نفوذها قوتها العسكرية وانتشارها في حوض المتوسط من خلال تواجدها في مالطا وصقلية وسردينيا وجنوب إسبانيا. فلقد ازدهرت قرطاجة خلال نحو ستة قرون، لكن المؤرخين الرومان، في حديثهم عنها، ركزوا على مرحلة حروبها مع روما (وهي مرحلة امتدت قرناً واحداً فقط، أي منذ ٢٦٤ حتى ١٤٦ ق.م.).

بعد حوالي قرن على تدمير قرطاجة الفينيقية، ولدت قرطاجة الرومانية بعد أن اخذت يوليوس قيصر في العام ٤٤ ق.م. قراراً بإعادة إعمارها، فصارت في القرن الثاني الميلادي حاضرة مزدهرة حتى لقبها كاًنا من مرسيليا بـ«روما الأفريقية». ومثل روما، ساهمت قرطاجة الرومانية في ازدهار الإمبراطورية وفي نشأة الفكر المسيحي، فولدت فيها كنيسة لاتينية، وإليها يرجع الفضل في جعل اللاتينية لغة المسيحية الغربية. ومن أشهر شخصياتها القديس أوغسطينوس أسقف هيبون

والعربي، وجرى استخدام حجارتهما لتشييد بيوت المدينة العتيقة. وأهم معالم المدينة زاوية «سيدي عبد السلام» أحد صالحى القرن الثامن عشر.

احتلت قابس («بوابة المذوب الصحراوى» كما يطلق عليها) شهرة كبيرة أثناء الحرب العالمية الثانية، حين دار حولها الصراع بين القائد الألماني النازي رومل، والقائد الأميركي كي آيرنهاور. لقد سقطت قابس أكثر من مرة في يد كل من القائدين.

* **قرطاجة Carthage**: «المدينة الجديدة» (وهو المعنى الفينيقي للفظة قرطاجة الفينيقية «قارات حدشت»). الحقيقة التاريخية لشأها، يقول المؤرخون وعلماء الآثار، إنها قرية جداً وشبهه متطابقة مع أسطورة الشاعر اللاتيني فيرجيل: في القرن التاسع ق.م. (تحديداً في العام ٤٨١ ق.م.)، حصل خصم عالي حول عرش صور الفينيقية بين بيعماليون وشقيقته إليسار التي أحيرت على الفرار برفاقها عدد من الموالين لها. وبعد توقف في قبرص ورحلة بحرية طويلة وصلت إلى الشواطئ الأفريقية وأسست قرطاجة. ويقال إن السكان الأصليين في المنطقة رفضوا في البداية أن يتخلوا للملكة الشابة إلا عن قطعة أرض تعادل مقاييسها جلد ثور، وبقال أيضاً أن الملكة الشابة قبلت الشرط فأمرت بقطع جلد الثور إلى قطع رفيعة للغاية ونشرها على مساحة يعتقد أنها وصلت إلى ٤ كلم م.. وحكمت إليسار مديتها ولقت في ما بعد بـ«ديدون» وهي الكلمة يونانية تشير إلى «التابعة» أو «المتردة»، وعرفت خصوصاً بهذا الاسم في القصص والأساطير والنصوص التي غنت سماعاً اجيال من الكتاب والفنانين.

عرفت قرطاجة نمواً كبيراً ما بين القرن الثامن والقرن الثاني ق.م. معتمدة على نشاط

القيروان، أديا إلى تغيير ميزان القوى وإلى نشوء ثقافة جديدة، فقدت قرطاجة زعامتها واحتفت من الوجود.

حول مسؤولية العرب المسلمين في موت قرطاجة التي يوكلد عليها مؤرخون وعلماء لأنصار (غريبون بالأخص)، يذكرها علماء آخرون، منهم العالم التونسي عز الدين باش شاوش، وما يقوله في الصدد هذا (من حوار معه أحراه خالد النجار ونشرته «الحياة» في عددها ١١٢٤٤، تاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٣، ص ٢١):

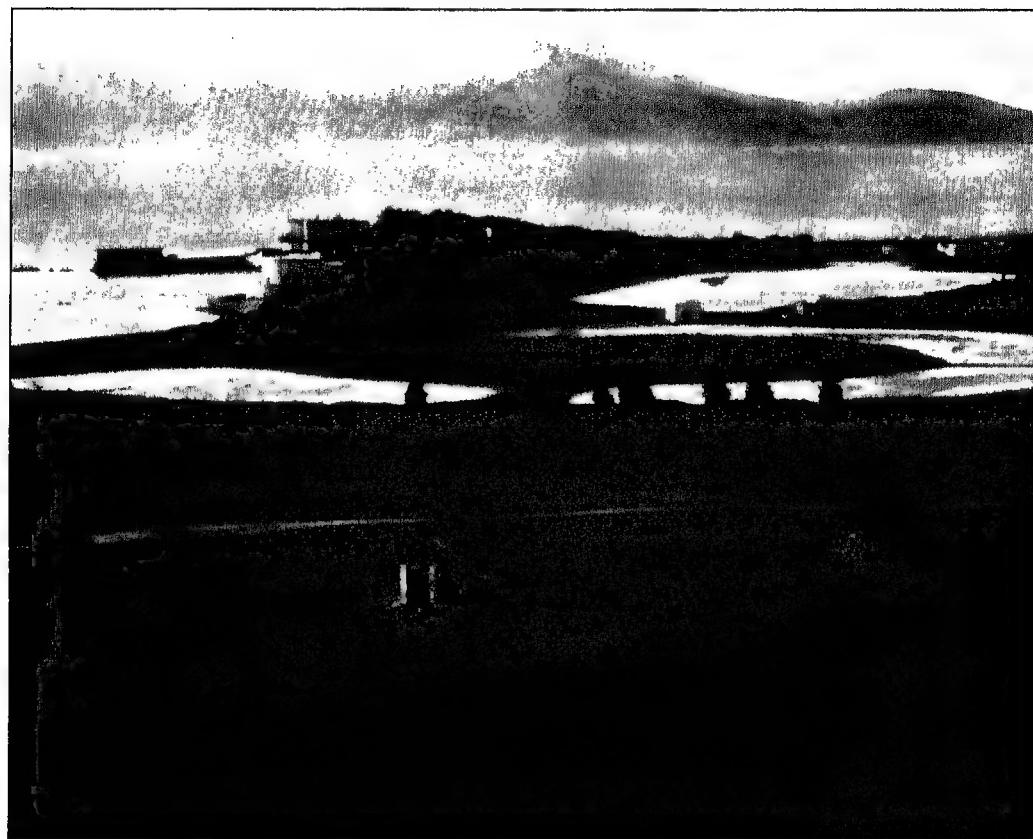
«... من الغالطات الشائعة القول إن العرب هدموا قرطاج. لا، لم يهدم العرب قرطاج. وعندنا المستند التاريخي الذي يوكلد أن هذه المدينة ظلت عاصمة بالسكان حتى القرن العاشر، وذلك من خلال الكشف الأثري من فسيفساء ونقوش عربية وقبور إسلامية. ولنا أيضًا

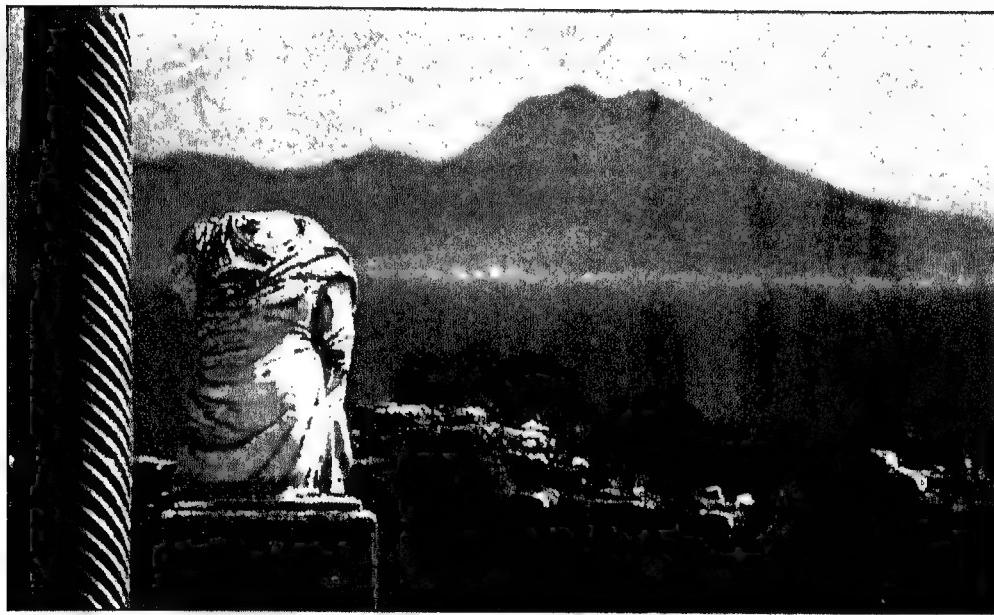
(حالياً عنابة) الذي ناضل من أجل وحدة الكنيسة، بعد أن درس في قرطاجة التي كانت مركزاً ثقافياً كبيراً يلتقي فيه الفلاسفة والعلماء والشعراء، وقرطاجة مدينة المدرسة اللاهوتية التي مثلها ترتوليان والقديس سيريان. كنيسة سيريان من بين المكتشفات الأثرية الحالية.

ومنذ العام ٤٣٠ وهي السنة التي توفي فيها أوغسطينوس بدأت جيوش الوندال (فاندال) تسيطرها في المقاطعات الأفريقية الرومانية مستفيدة من انهيار الإمبراطورية الرومانية وإنقسام السلطة بين أباطرة عدة، حتى أنها دخلت روما ونهبتها. لكن مملكة الوندال في المغرب التي جعلت من قرطاج عاصمة لها، سقطت بعد جييء البيزنطيين العام ٥٣٣ بأمر من جوستينيانوس. وعاد السلام الداخلي والازدهار إلى قرطاجة.

لكن الفتح العربي الإسلامي، وتأسيس

منظار عام لمكان بناء قرطاجة قبل أن ترتفع عليه الأبنية الحديثة.





من آثار قرطاجة.

كانت غزوة بين هلال، وانهارت الامور وامتنج التاريخ بالاسطورة والخرافنة وصار الكلام عن قرطاج خيالياً...»

تعرضت آثار قرطاجة للنهب عبر القرون. وتؤكد الوثائق التونسية ان أحجزاء مهمة منها اقتطعت وارسلت إلى الامبراطورية العثمانية وإلى ايطاليا حيث استعملت في بناء كاتدرائيات جنوى وبيزا. وهناك جمومعات أساسية من قحفها موزعة على بلدان ومدن كثيرة: مرسيليا ومتاحف اللوفر في فرنسا، وكرواف في بولندا، وفي بريطانيا وروسيا (الارميتاج) والولايات المتحدة، وغيرها.

ولم يبدأ الاهتمام التونسي فعلياً بقرطاجة إلا بعد ولادة الجمهورية التونسية في ١٩٥٧. إذ تكون فريق من خبراء تونسيين عملوا على إعادة قرطاجة إلى الذكرة الوطنية. ثم جاءت حملة الاوئيسكو منذ ١٩٧٥ بعد ان كاد امتداد مدينة تونس العاصمة يهدد موقع قرطاجة، ومن النتائج المهمة التي توصلت إليها الاوئيسكو والبعثات الغربية اكتشاف البيوت التي تعود إلى ما قبل

نص للجغرافي العربي الكبير أبي عبيد البكري الذي يصف فيه قرطاج ويطلق على مسرحها اسم «الطياطر» ويصفه بدقة... وهو لا يذكر اطلاق مدينة وإنما يتحدث عن مدينة قائمة عكس الادريس (الذى جاء متأخراً عنه). وهذا الوصف يدل بوضوح على ان قرطاج لم تهدم أثناء الفتح الإسلامي، ووجود المقاومة الإسلامية دليل على وجود حياة بشرية وعمران. وفي التاريخ ذكر لأحد أربطة (رباطات)، راجع «الرباطات» في هذا الباب: مدن (ومعالم) قرطاج. وفي قرطاج مقبرة إسمها «جبانة سيدى عبد العزيز»، وهذا العالم كان يرتبط بقرطاج. إذن كان هناك مرابطه وكان هناك عمran بقرطاج حتى القرن العاشر تقريباً. وليس من باب الصدفة ان تستهدف الحملة الصليبية التي قام بها القديس لويس مدينة قرطاج، فبالاضافة إلى العلاقة التاريخية، فقد كانت عاصمة بالسكان... ولقي مصرعه فيها. إذن قرطاج الاسلامية كانت قائمة... وعاصمة ايام بي الأغلب الولاة العباسيين، ثم ايام الدولة الفاطمية قبل انتقالهم إلى مصر... ثم

*** القிரوان Kairouan:** مدينة تونسية واقعة في الصحراء جنوبى تونس (تبعد نحو ١٥٧ كلم عن تونس العاصمة) وتعد، بحسب تقديرات ١٩٩٦ نحو مائة ألف نسمة. ما تزال القிரوان تعرف بـ«رابعة الثلاث» بعد مكة والمدينة المنورة والقدس الشريف، ذلك لأنها أقدم وأول مدينة إسلامية بناتها القائد العربي عقبة بن نافع لتكون قاعدة لنشر الإسلام في المغرب العربي وأفريقيا. وبحدر الاشارة إلى أن بناء القிரوان في هذه المنطقة الصحراوية لا يعني أنها شكلت أول وجود بشري حضاري هناك، إذ أن المنطقة كانت مأهولة منذ القدم. فآخر المكتشفات التي تمت منذ نحو عقدين من الزمن، على يد فريق أبحاث تونسي، هي أدوات حجرية للإنسان القديم بعثرتها عوامل الانحراف على ضفاف أحد روافد وادي مرق الليل في منطقة العلا بولاية القிரوان. وقد أثبتت التحاليل أن هذه الأدوات يعود تاريخها إلى أكثر من ٢٠٠ ألف سنة. ويعتقد العلماء أن ربع بلدة «العلا» قد تكون غنية بهذا النوع من الأدوات التي كان الإنسان القديم يستعملها في حياته اليومية.

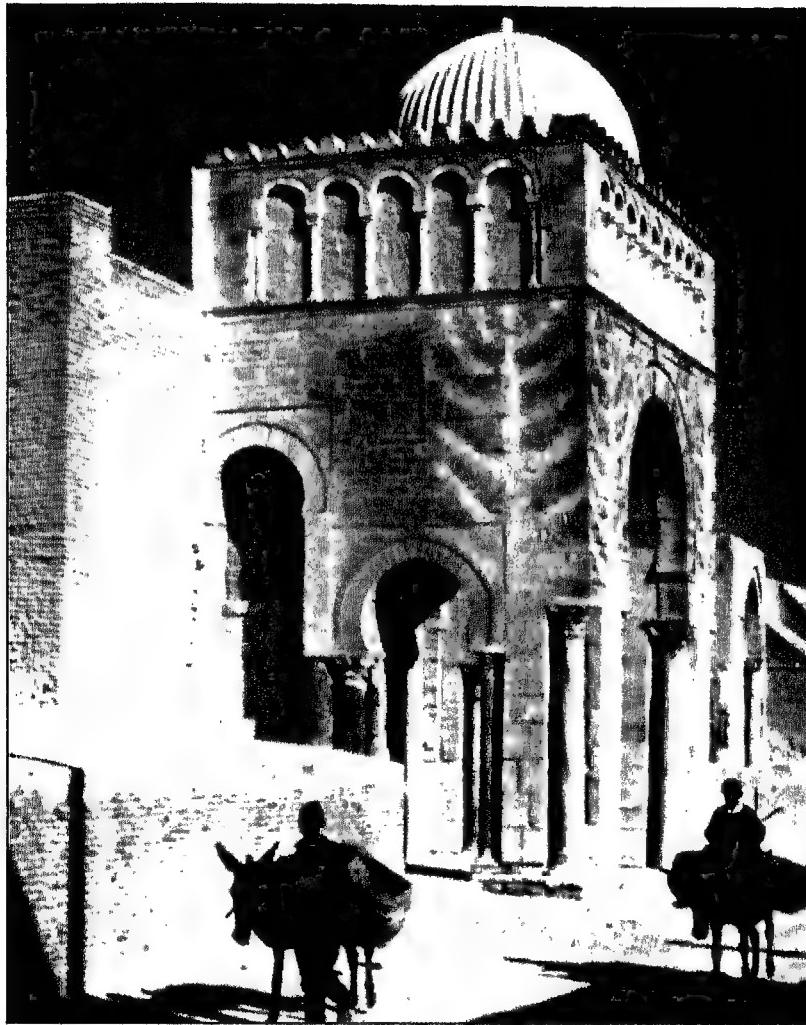
من استطلاع ميداني، نشرته مجلة «العربي» (العدد ٤٤، أيار ١٩٩٣)، ص ٤٩-٥٢) هذه النبذة التاريخية عن المدينة وأهم معالمها: حين توسط عقبة بن نافع البيضاء حيث تونس الحالية توقف عند منطقة وجدتها تصلح لأن تكون مكاناً أميناً تعسكر فيه قواته، ومحطاً آمناً لاستراحة القوافل التي تنتقل بين الشرق والغرب الأفريقي. وحط عقبة الرحال، وأمسك بعصا راح يحيط بها فوق الأرض حدود المعسكر. كان اختياره للمكان عن بعد نظر ثاقب، فهو يقع في جوف الروابي، على منتصف الطريق بين الحصون والشواطئ البيزنطية ومخابئ البربر الجبلية، فهو مكان مناسب لمحطة استراحة ومحطة انطلاق لنشر الإسلام، لهذا أسماؤها «القிரوان» وتعني حسب قول

المرحلة الرومانية فتلقي مع الرواية الأسطورية- التاريخية وتأكد أن تأسيس المدينة يرجع إلى القرن التاسع ق.م..

وقد بلغ الاهتمام التونسي أوجه بانشاء مهرجان سنوي للمسرح في قرطاجة، منذ ١٩٨٢، حيث تحولت تونس العاصمة وضواحيها إلى مشعب مسرح شاسعة تقدم عليها الفرق العربية والأوروبية عروضها.

وفي قرطاجة آثار كاتدرائية ذات طراز بيزنطي تطل على انقاض مدينة إيسار الفينيقية. جيء بمحجارتها من مالطا، وفي داخلها عموداً مكللاً بهاء الذهب. في ١٨٨٢ وضع مخططها الكاردينال لافيجري اسقف مدينة تونس، وفي ٢٧ آب ١٨٩٤ افتتحها وطلب أن يدفن خلف مذبحها. وهي تقام في المكان نفسه الذي يضم عظام الملك لويس التاسع. واليوم يطلق عليها التونسيون إسم «أكروبوليم». وفي ١٩٩٤، تحول جناح ملحق بالكاتدرائية إلى متحف لكتوز قرطاجة. وفي تونس، وبعد حمل ثقافي حول جعل الأكادémie فضاء ثقافياً مفتوحاً للطليعة، تقرر في بداية ١٩٩٦، جعل الأكادémie مركزاً ثقافياً مكرساً للموسيقى والاحتفالات المسرحية الكلاسيكية.

*** قرقنة Kerkennah:** أرخبيل تونسي يشبه بتكوينه الجزر اليونانية المتشعبة ويقع غير بعيد عن سواحل مدينة صفاقس، أعلى خليج قابس. تهتم السلطات بتشجيع السياحة في أرخبيل قرقنة بعد نجاح تجربة جربة السياحية المعتبرة في مقدمة المناطق السياحية التونسية من نحو ٢٥ سنة حيث شكلت هذه التجربة حافزاً رئيسياً على استثمار الجزر الأخرى سياحياً. وبدأت وزارة السياحة التونسية (في ١٩٩٦) التخطيط لإنشاء مدينة سياحية في قرقنة مساحتها ٢٨٢ هكتاراً. وبدأ مستثمرون تونسيون وأجانب يقبلون على إنشاء فنادق وبجمعيات شقق في المنطقة.



الواجهة الشرقية من جامع «سيدي عقبة» في القிரوان (واخر القرن الثالث عشر).

المياه من «بئر بروته». فدعى عبد الله ربه ان تكون البئر واطعة ومنخفضة، ولذلك يسمونها «البئر الواطئة» وقد حرى حفر البئر في نهاية القرن الثامن، ومازها له قدسيّة خاصة عند أهل القிரوان. أنشئت القிரوان بعيداً عن العمran وسط الصحراء، فكانت بذلك آمنة من هجوم الاعداء. ولم يمنعها انزعالها من ان تنمو وتكتن، وكان اول ما احتضن فيها هو دار الامارة، والمسجد الجامع، وكان ساحة فضاء ليس فيه بناء ويصلى فيه وهو كذلك. وبعد تحديد محراب المسجد اقتدى به الناس. وبعد بناء المساجد والمساكن شد الناس المطاييا إلى القிரوان من كل بلد وعظم قدرها.

اللغويين «القافلة». وبدأت انطلاقتها في ٦٧٠م (٩٥٠هـ).

قبل القائد عقبة، جاء إلى المنطقة الصاحي عبد الله بن أبي زمعة البلوي الذي كان مع الرسول في المدينة. وبعد ان ادركه النبي في «جلولة» على بعد ٣٠ ميلاً من القிரوان. وبعد مد ادخال القிரوان يقوم مقامه. وكان الصاحي عبد الله بن أبي زمعة البلوي قد دخل افريقيا في جيش معاوية بن حبيج في خلافة عثمان بن عفان، بعد ان شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص. ويقولون انه عند وصول عبد الله هذا إلى القிரوان، كان العطش قد أخذ بالجميع. ولكن فجأة تفجرت

الواشقين من هويتهم.

ومسجد القิروان أشهر مساجد إفريقيا والمغرب العربي. تصميمه الأول وضعه عقبة بن نافع، وجرى تطويره على تتابع القرون. أعمدته عديدة ومتنوعة تعود لمعابد رومانية وكنائس بيزنطية (...).

***كسري:** قرية تونسية موغلة في القدم، واقعة في الوسط الغربي لتونس، وبنيت في موقع طبيعي متميز وتحذ شكل قلعة معلقة في قمة جبل يشرف على سهول واسعة.

أقام في كسرى التوميديون منذ ٢٣ قرنا خلت وبنوا فيها منازل مخصنة وسكنها الأصليون من البربر، وتضم آثاراً تعود إلى ما قبل الميلاد مبنية على الحجارة الضخمة (أنصاب ومقابر محفورة في الصخر). اندثرت كسرى تحت امبراطورية قوطاجة في أوج قوتها ثم خرجت عنها لتتضوّي تحت النفوذ الروماني إثر سقوط قوطاجة. بعد ذلك احتلها البيزنطيون. ويؤكد المؤرخون أن الحياة استمرت في ما بعد الفتح الإسلامي وتواصل وجودها كقرية مخصنة حتى أواخر القرن التاسع عشر. وتحدث الوثائق عن كسرى، بعد اغفال لقرون عدة، من جديد في العهد العثماني مع نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، وأصبحت مركزاً نفوذاً إدارياً يضم ثلاثة مشائخ (دواوير تراتبية) كما ان ابن حليدون يذكرها في مقدمته كأحدى القرى العربية البربرية. المعلم الوحيد المسجل في هذه القرية هو الحصن البيزنطي. أما ديار القرية (وجلها أثري) فكلها ملك ساكنيها، وهم متسلكون بديارهم القديمة رغم ان الدولة اقامت لهم قرية حديثة على مسافة ٤ كلم من كسرى القديمة وجهزتها بكل المرافق الضرورية.

جاء في «الحياة» (عدد تاريخ ١٨ تشرين الاول ١٩٩٣): «يؤكد محي الدين بوغاشي

وكانت دار الامارة خلف قبة المسجد. وقد توفرت توسعاتها فور إنشائها عندما عزل عقبة بن نافع، إلا أنها استعادت عظمتها بعودته عام ٦٦ هـ. وظلت حوالي ٤٠٠ عام على رأس مدن إفريقيا والمغرب. وكان لها سور له ١٤ باباً. وكان سوقها متصل بالمسجد من جهة القبلة، ومتداً إلى باب يعرف باسم «باب الربيع». وكان لهذا السوق سطح تتصل به جميع التجار والصناعات. وقد تعرض هذا السطح لبعض الهدم، وأمر الخليفة هشام بن عبد الملك بترميمه عام ٥١ هـ.

وتحتفل القิروان عن المدن العربية القديمة في ان كل قبيلة نزلت بها لم تكن تختص بمكان معين من المدينة كما حدث في المدن الإسلامية التي سبقتها في بدايات فتوح الإسلام. أما بالنسبة إلى تحطيطها فقد اتبع نفس تحطيط المدن الأولى حيث كان يُبدأ بتحطيط المسجد ودار الامارة. ويليها ذلك السوق والمساكن والطرق والزنقات.

حول المدينة أقيمت أسوار عالية تطورت على مدى التاريخ لتكون قلعة حصينة تصد عنها حجاراتها المرصوصة هجمات الغزاة. ولم يكف أهل القิروان عن اصلاح الاسوار مرة تلو مرة. ذلك ان الهجمات كانت تتكسر فوق هذه الاسوار وإن كان يصيبها الكثير من الهدم. من أمثلة هذا الهدم ما حدث حين ثارت المدينة ضد حكم الأغالبة عام ٨٢٦ وهو ما حدث ايضاً عام ١٠٥٧ عند الغزو الملالي (بني هلال). وقد صمدت القิروان في منتصف القرن الثامن عشر أكثر من خمس سنوات على الحصار المفروض عليها، بل أجريت الحاكم على دفع تعويضات لها.

ولم تسلم القิروان من اطماع الالمان في الحرب العالمية الثانية، إذ هدموا قسماً منها لاستعمال حجر الطابوق لبناء مدرج للطائرات. ولم تفارق القิروان أنس تنظيمها على مدى التاريخ حتى اليوم. وقد حافظت على نسقها المعماري الأصيل، لأن هذا النسق مطبوع في أهلها



في كسرى، بناء جمالي فوق القديم.

أهل الاختصاص.

حدث ذلك على يدي الباحث الأثري الدكتور فتحي شلي وبالتحديد في منطقة «المنازل الرومانية» قريراً من مسرح قرطاج الأثري أثناء عمليات سبر قام بها المعهد الوطني للآثار آنذاك. واكتشفت هذه الفسيفساء في عمق مترين في أرض تسمى «تقسيم المزيع» وجرى استخراج جزء منها ياهز طوله ٢،١م بعرض نصف متر مع عينات فخارية. وأمكن ضبط تاريخ هذه الفسيفساء بواسطة العينات الفخارية المورجة بدقة لأنها من الطراز اليوناني فتبين أنها ترجع إلى أواخر القرن الرابع ق.م.

وهنا تكمن أهمية هذا التاريخ، لأن أقدم فسيفساء معروفة سابقاً يعود تاريخها إلى أواسط القرن الثالث ق.م. وعثر عليها في جزيرة صقلية في موقع يسمى «مورغنتينا (Morgantina)». وجاءت الفسيفساء المكتشفة لتعيد إلى الأذهان مدى ازدهار الفسيفساء في إفريقيا (تونس القديمة) وتراث المجموعات الموجودة في متحف باردو وفي مختلف الواقع الأثري، ما يدل بصفة قطعية على وجود تقاليد عريقة في فن الفسيفساء سبقت الحضور الروماني في إفريقيا وسبقت سقوط قرطاج سنة ٤٦ ق.م. وترجع إلى الفترة البونية (أو البوئيقية). شكل هذا الاكتشاف بابعاده التاريخية والحضارية مفاجأةً كان لها مفعول الصدمة عند الاختصاصيين الغربيين من ذوي التكوين الكلاسيكي (اللاتيني-الأغريقي) الذين قابلوا هذا الاكتشاف بشيء من التجاهل والتحمّل، وضربوا حوله حصاراً إعلامياً منقطع النظير.

إلا أن المعارف الإنسانية لا بد ان تنتشر مع الوقت حتى وإن لم ترق بعض الباحثين الغربيين من ذوي النزعة المضادة لكل ما هو آخر من العالم الثالث حتى ولو تم اكتشافه على أيدي علماء غربيين. ولا أدل على ذلك من الاكتشاف الذي تم في السنتين على يد الباحث الأثري

(باحث في المعهد الوطني للتراث والمكلف ترميم جزء من القرية) أن من أهم الاكتشافات في هذه القرية الضاربة في القدم، نظام توزيع المياه على الأهالي. وهو نظام على غاية من الطراوة، إذ إن المياه المتعددة من العيون تتجمع في حوض كبير ثم توزع عبر قنوات محفورة من الصخر (السوافي) تمر تحت الديار فتأخذ منها كل أسرة نصيبها من الماء، لتتجمع القنوات عند آخر منازل القرية في بحري واحد نحو أسفل القرية حيث السهل فيستعمل ما تبقى من المياه في ري المروعتات والحقول. وهذا نظام عرفته كسرى منذ آلاف السنين وما تزال عليه».

* «كتر المهدية»: راجع «المهدية» في هذا الباب: مدن وعلم.

* متحف باردو (الفسيفساء): هو أول متحف في إفريقيا والعالم العربي، إذ يعود تاريخ تأسيسه إلى ١٨٨٥ حين قرر باي تونس محمد الصادق باي تخصيص قسم من قصره في ضاحية باردو لإنشاء متحف تاريخي. وبالفعل تم تدشين المتحف في السنة نفسها، ويعتبر إسمه مقتبساً من إسم القصر الملكي المشهور في مدريد «قصر برادو» الذي تحول هو أيضاً إلى المتحف الوطني الإسباني «متاحف باردو».

أهم وأثمن ما يحتويه هذا المتحف قطع من الفسيفساء غيرت تاريخ هذا الفن وانتزعته من الرومان.

بالصدق هذا، جاء في «الحياة» (من مولدي الحبشي، العدد ١١٥٨، تاريخ أول أيلول ١٩٩٣، ص ٢١):

«منذ ثمانين سنوات، أي في ١٩٨٥ في مكان ما من منطقة قرطاج الأثرية، تم اكتشاف قطعة فسيفساء ترجع إلى العهد البووني غيرت تاريخ الفسيفساء في العالم كما كان معروفاً عند



بيوت - حفر متشرة خاصة عند تخوم المدن الصحراوية كما في مطماطة.

الانسان».

* مطماطة: بلدة تونسية، موقعها غير بعيد عن قابس بجهة الداخل الصحراوي. مطماطة القديمة يبotta فريدة في العالم، فهي كثيرة عن حفر في الأرض. ومطماطة الحديثة يبotta إسمنتية بيتها الحكومة في محاولة لجذب السكان وتغيير نمط حياتهم القديمة، فرفضوا أول الأمر وتمسكوا ببيوتهم الخفورة في الأرض بحيث تكاد لا ترى للناظر على سطح الأرض.

ومطماطة، في الأساس قبيلة كبيرة تناثرت بطنونها في المغرب العربي. جدهم الأكبر هو مصطاب بن مطماطة، وهو من البربر الرحل الذين يسعون إلى أرض آمنة. استقروا أول امرهم في جبل عال في الجزائر ما زال يحمل إسمهم حتى الآن هو جبل مطماطة، ولكن قطاع الطرق لم يرحمهم، فهاجروا إلى هذا المكان في تونس واستكأنوا.

الفرنسي المعروف والاختصاصي في الفسيفساء جان بول موريل والمتمثل في قطعة فسيفساء صغيرة في مدينة كركوان - بالوطن القبلي (في تونس) - في طبقة أثرية ترجع إلى القرن الخامس ق.م. أي الفترة البونيقية. لكن هذا الاكتشاف بقي طي التكتم اللام و لم يقع الانتباه عليه حتى أعاد تقديره الباحث فتحي شلبي في كندا منذ ٨ سنوات (أي في ١٩٨٥) بمناسبة تقديم اكتشافه الأخير. ومنذ ذلك الوقت أصبح الاكتشاف محل اعتبار و تم الاقرار به وصار مرجعا لظهور جلور فن الفسيفساء في العالم.

وتقول السيدة مارغريت ألسندر الباحثة الاميركية المهتمة بالفسيفساء في تونس منذ ١٩٤٨ ، وما عدد من البحوث والدراسات حول هذا الموضوع المجزئها بالتعاون مع باحثين تونسيين: «إن تونس تختزن بلا شك من الفسيفساء أكثر من أي بلد آخر في العالم، كما ان متحف باردو يحتوي على أجمل مجموعة فسيفساء عرفها

المهدية، ويقبل عليها السياح باعداد كثيفة لأنها تحتفظ بأكثير معالم الحضارة الرومانية في إفريقيا خصوصاً مسرحها التاريخي الذي صمم على شكل مسرح روما وما يزال مختلفاً إلى اليوم بقسماته الأساسية.

وفي الناحية الجنوبية من قصر الخليفة، أنشأ المهدى المרפא واستغنى به عن مرفاً سوسة الحربي الذي أسسه الأغالبة (راجع النبذة التاريخية، و«الرباطات» في هذا السياق «مدن ومعالم»). بعد تولي المعز لدین الله الخلافة، وهو رابع الفاطميين، ابتدأ بالاستيلاء علىسائر المغرب إلى حدّه الأقصى، أي إلى «بحر الظلمات» (الخيط الأطلسي). وبعد أن انتهى من امتلاك المغرب بأسره، أتجه إلى الشرق الإسلامي، وأمر قائده، جوهر، بالتوجه إلى مصر بعد وفاة كافور الأحشيدى، ومن ثم تقدم إلى الشام ودخل دمشق (٩٧٠). وبعدما استتب الأمر للفاطميين في مصر، قرر المعز نقل مركز الخلافة من المهدية إلى المشرق

على أرض مطماطة وقعت معركة عسكرية، في ١٩٤٣ بين رومل وموتنغمري، ومنها انتقل القائدان بعراكتهما إلى العلمين الشهيرتين.

* المهدية: مدينة تونسية على ساحل المتوسط، وعلى بعد ٢٠٠ كلم من العاصمة تونس بجهة الجنوب.

في أواسط القرن العاشر، أسس المهدية الخليفة الفاطمي الأول عبد الله المهدى وجعلها مقراً للخلافة قبل انتقال الحكم الفاطمي إلى القاهرة. وأنشأ عبد الله عاصيته المهدية بعد أن ردم مساحة كبيرة من البحر وبني عليها الجامع الكبير والقصير وخزانة لتخميم المياه ونقلها إلى القصور. وأحاط المدينة بسور.

قبل «المهدية» (على إسم مؤسسها) كان إسم المدينة «جنة» وهو أقرب إلى أسماء المدن الصينية التي كانت منتشرة على السواحل التونسية. وجنة، حالياً، واقعة في الجهة الجنوبية من

مخازن الفلال في مناطق التجمعات الصحراوية (كما في مدنين وغيرها).



ميداني في ١٩٩٣. وكلّ العمل بالتحفاج، وعثر على كامل السفينة وحمولتها. وفي العام نفسه انعقد في «ارلانغن» أول مؤتمر دولي في المانيا لعلم الآثار المغمورة تحت المياه. وأحرىت عملية استكشافية ثانية (متتصف تشرين الاول ١٩٩٣) واشتراك فيها ٣٠ عالماً أثرياً متخصصاً، بينهم بريطانيون بالإضافة للالمان والتونسيين.

وعرضت نتائج هذه الابحاث بمناسبة افتتاح المعرض في متحف الراين في بون. وتجاوزت تكاليف ترميم الكائز ١٢٣ مليون دولار. والترميم الاصعب كان لتمثال «أيروس» وهو يمثل يافعاً مجدها يحمل إكليلًا على رأسه وفي أعلى الظن انه رمز الحب «أغون». ونتيجة للمحادثات بين التونسيين والألمان حول هذا الكائز، تستعد تونس لاستقبال الكائز وعرضه في متحف باردو (راجع «باردو، متحف» في هذا السياق: مدن ومعالم).

* **موناستير (النستير) Monastir:** مدينة تونسية ساحلية، بين صفاقس وسوسة. سياحية بالدرجة الأولى. أهم آثارها «الرباط» الذي تم تشييده أيام دولة الأغالبة، وكان عبارة عن حصن عسكري معد لحماية البلاد من هجمات الغزاة القادمين من البحر. وأهم معالمها الحديثة «القصر الرئاسي» الذي يقع في منطقة سكنية هادئة ويتميز برسومه، وحدرائه المرمرية، وحدائقه التي تمتد خلفها واحة «الله خليلة» الشهيرة منذ القدم، ولكنها اليوم تشتهر بما تقدمه من وسائل التسلية والترفيه للسائحين الراغبين في الرياضات المائية. وموナستير مسقط رأس الرئيس الحبيب بورقيبة الذي كان صاحب الفضل في نقلها من قرية صغيرة للصياديدين إلى مدينة حديثة. وتطورت فيها سياحة المؤتمرات إذ صارت الشركات الصناعية ولوسسات السياحية الأوروبية وكذلك المنظمات الدولية تختارها لإقامة جمعياتها العمومية وندواتها كونها تضم قسراً للمؤتمرات مجهزاً بأحدث

وأسس القاهرة واتخذها عاصمة لدولته. تميزت المهدية، بالإضافة إلى صناعة المراكب والاشغال بالصيد، بصناعة الزجاج نظراً إلى وجود مادة «الكارتز» في المدينة ومنطقتها. ويوجد حالياً في الماحف التونسية العديد من القناني الزجاجية التي عثر عليها في مصنع المهدية.

أولت الحكومات التونسية في العهد الاستقلالي الحالي، وما تزال، المدينة أهمية سياحية لوقعها الجميل ولما تحزنه من آثار ومعالم. فالسائح الذي يختار تضيية إجازاته فيها يستطيع ان يزور في أقل من أسبوع جميع المناطق الأثرية والسياسية الرئيسية في تونس مكتفياً برحلات يومية قصيرة. فالمهدية لا تبعد عن سوسة ومدينتها السياحية الشهيرة «قططاوي» سوى ٦٠ كلم، وهي لا تبعد عن مدينة موناستير سوى ٤٠ كلم، وإلى غربها مدينة القيروان.

في ١٩٠٧، عثر فريق من الغواصين اليونانيين على آثار من منحوتات مختلفة من ضمنها قطع معمارية (أعمدة وتيجان أعمدة وقواعد) وتماثيل من الرخام والبرونز، كانت تولف حمولة باخرة فنيقية غرقت في الربع الأول من القرن الأول ق.م. وهي تغادر سواحل مدينة المهدية وعلى بعد ٥ كلم منها. وقد سميت هذه المكتشفات «كائز المهدية». وبعد ٤١ عاماً، أي في ١٩٤٨، قامت بعثة علمية فرنسية بالغوص والكشف عن الكائز، وفي ١٩٥٤ تم انتشال بعض الأعمدة ورفع أجزاء من السفينة ونقلها إلى متحف «باردو» في تونس.

في ١٩٩٢، سافر إثنان من أعضاء «الجمعية الألمانية لرعاية الآثار المغمورة تحت المياه» (ديغوفا) إلى تونس، فاجروا محادثات مع المسؤولين التونسيين حول ما يمكن عمله إزاء هذا الكائز. وادخلت الجمعية في برامجها «مشروع المهدية»، وقررت، بموافقة السلطات التونسية، إجراء كشف

آثارها يعود إلى القرن الثالث ق.م. ويعتقد ان أصل المدينة بربري، وثمة قطع نقدية تدل ان تاريخ المنطقة كان متتطوراً عمرانياً قبل جيء الرومان، وان مصدر ثروتها الأساسية من زراعات الحبوب. وتطورت المدينة على مدى الحضور الروماني، وتواصلت الحياة فيها في العهد البيزنطي، ثم في عهود الأغالبة والفالاطميين والحسينيين. أهم معالمها التاريخية «المسرح الداوري» الذي يرجع بناؤه إلى القرن الثاني ويتسع لـ ١٢ ألف متفرج. وفي أعلى المدينة بناء شامخ يعتقد انه الكابيتول (مقر السلطة) وقد حوله البيزنطيون إلى قلعة لحماية المدينة في عهدهم. ومكنت الحفريات الأخيرة التي شرعت فيها وكالة إحياء التراث منذ شباط ١٩٩٣ من إبراز جزء مهم من مبني الكابيتول، وتم العثور على قطع أثرية عدّة من بينها نصب يمثل رمز الخصب وتمثال آخر مقطوع الرأس، وسفيساء رومانية... وتعود تاریخ الحفريات الأولى إلى العام ١٨٤٥. وتولي الدولة أهمية فائقة لهذه المدينة الأثرية.

المعدات وشبكة فنادق قرية من المطار. أما لفظة «موناستير» (أو منستير) فقد أخذها العرب عن البيزنطيين الذين كانت لهم منشآت كبيرة تجمع بين وظيفة الدير ووظيفة الحصن العربي (الرباط)، على ان اللفظة كانت متداولة على الارجح في المشرق العربي كذلك وتحديداً في سواحل سوريا وفلسطين. وأطلق العرب في الجناح الغربي من العالم الإسلامي (المغرب العربي) لفظة «منستير» على المصون الشبيهة بالاديرة التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة أي قبل استخدام كلمة «رباط» في مدلولها العربي الخاص في القرن الثالث الهجري. وأقدم الرباطات رباط المنستير في تونس (راجع «الرباطات» في هذا الباب «مدن وعالم»).

* **وذلة (أوتينيَّة):** مدينة تونسية على بعد ٣٠ كلم جنوبي تونس العاصمة. زاخرة بالمعالم التارِيخية. إذ هي نفسها مدينة أوتينة رومانية المعترفة من أقدم المدن الرومانية في إفريقيا. بعض

منظر عام لمدينة موناستير، والعلم الأثري هو «الرباط» الذي بناه الأغالبة.



زعماء ورجال دولة

بورقيبة الذي كان يوكل إليه مهمة القيام بالمهام غير السهلة: السياسة التعاونية الازامية، تجميد الأجرور، فرض الضرائب، الخ... إلا أنه فقد، في ١٩٦٩، ثقة بورقيبة، ما أدى إلى سقوطه ومحاكمته وسجنه. استطاع، في ١٩٧٣، الهرب من معقله واللحظه إلى الجزائر حيث بقي فيها حتى عودته إلى تونس في ١٦ حزيران ١٩٨٨ بعد أن أُعْفِي عنه الرئيس زين العابدين بن علي.

*** أحمد المستيري (١٩٢٥-)**: سياسي ورجل دولة تونسي. شغل عدة مناصب سياسية ومن دعاة الانفتاح الاقتصادي والسياسي. ولد في مرسى بالقرب من تونس العاصمة في عائلة غنية وفي وسط مواطن لحزب الدستور القديم (بزعامة الشاعلي). انضم إلى حزب الدستور الجديد، كما نشط في جمومات «الملال الأسود» التي كانت مهمتها الرد على هجمات منظمة «الكف الأحمر» الارهابية الموجهة ضد المناضلين التونسيين الاستقلاليين. في ١٩٥٢، دخل لأول مرة المكتب السياسي لحزب الدستور الجديد. رئيس مكتب المنجي سليم (وزير الدولة ثم وزير الداخلية) في ١٩٥٤-١٩٥٥. انتخب في أول جمعية وطنية في تونس المستقلة، ثم عين على التوالي وزيراً للعدل، ثم للمالية والتجارة ابتداء من كانون الأول ١٩٥٨. بعد ١٩٦٠، دخل السلك الدبلوماسي، وأصبح سفير تونس في موسكو، فالقاهرة فالجزائر. عاد إلى تونس في حزيران ١٩٦٦، فعين وزيراً للدفاع محل الباهي الأدغم الذي احتفظ برئاسة الحكومة، إلا أنه سرعان ما قدم المستيري استقالته من الوزارة ومن المكتب السياسي احتجاجاً على سياسة أحمد بن صالح الاقتصادية. وقد أدى ذلك إلى إبعاده عن الحزب. بعد طرد بن صالح واعتقاله والمحروم رسمياً على سياسته، أعيد الاعتبار للمستيري فاستعاد دوره في الحياة السياسية التونسية منذ نيسان ١٩٧٠. وفي

* **أحمد بن صالح**: سياسي ورجل دولة تونسي، ومن كبار واضعي السياسة الاقتصادية والاجتماعية التونسية قبل ١٩٦٩، والرجل الثاني بعد بورقيبة حتى ذلك التاريخ.

ولد في عائلة فقيرة من منطقة الساحل، وحصل على ثقافة فرنسية وعربية. عمل كمدرس للغة العربية عدة سنوات قبل أن يُستدعى لشغل منصب الأمين العام للاتحاد العام للعمال التونسيين في كانون الأول ١٩٥٢ على أثر اغتيال فرحات حشاد على يد منظمة «الكف الأحمر». آيد سياسة بورقيبة بشدة وخاصة في صراع الأخير ضد صالح بن يوسف في ١٩٥٥. انتخب عضواً في أول جمعية استشارية تونسية، وطالب بسياسة اصلاحية على جميع المستويات، وقاد سياسة مطلبية باسم العمال، ما أدى إلى انشقاقات داخل الاتحاد العمالي. فأبعد عن الامانة العامة ليحل محله أحمد طليبي. وبعد فترة من الابعاد، استدعاه بورقيبة وأوكل إليه وزارة الصحة العامة والشؤون الاجتماعية. ورغم ذلك فإن مؤتمر سوسة الذي عقده حزب الدستور الجديد (١٩٥٩) لم ينتخبه عضواً في مكتبه السياسي.

عين في كانون الثاني ١٩٦١ وزيراً للدولة لشؤون التخطيط والمالية، فعمد إلى وضع خطة واسعة للتنمية تم على أساسها إرساء ما عرف باسم «الاشتراكية الدستورية»، وقد قاد داخل الحزب الدستوري الاشتراكي (الاسم الجديد لحزب الدستور) الاتجاه التكنوقратي. وبالرغم من دعوته إلى اعتماد سياسة اقتصادية قائمة على إشراف الدولة وتدخلها في الاقتصاد فإنه وافق على دعوة الرساميل والاستثمارات الأجنبية ولم يعارض سياسة بورقيبة الموالية للغرب.

كان ينظر إلى بن صالح على أنه ولّي عهد

عاد إلى تونس، في ١٩٢٧، ليمارس مهنة المحاماة وينشط في صفوف حزب الدستور قبل أن يوسع مع مجموعة من شباب هذا الحزب «الحزب الدستوري الجديد» في ١٩٣٤ ويترشح أميناً عاماً له، وأصبح باسم هذا الحزب، في ما بعد «الحزب الاشتراكي الدستوري» (راجع باب «الاحزاب»).

أمضى بورقيبة ١١ عاماً في السجون الفرنسية في فترة ١٩٣٤-١٩٥٥ بسبب نضاله من أجل استقلال تونس. وقد حددت الحكومة الفرنسية إقامته في الجنوب الفرنسي للحد من نشاطه. دعا إلى العصيان المدني، فاعتقل من ١٩٣٨ إلى ١٩٤٣ حين أفرجت عنه حكومة المارشال بيستان. فرحل إلى مصر (١٩٤٣-١٩٥٠) وأسس هناك مكتب المغرب العربي (راجع «يوسف الروسي»)، في هذا الباب: زعماء ورجال دولة. ثم عاد إلى فرنسا ليعتقل مرة أخرى في ١٩٥٢. وفي ١٩٥٤، اعتزفت حكومة بيار منديس فرانس بالحكم الذاتي لتونس ودعت بورقيبة لتأليف حكومة جديدة. فقبل بورقيبة الدعوة، ونتيجة لذلك انشق عنده صالح بن يوسف الذي كان يطالب بالاستقلال التام لتونس معتبراً أن الحكم الذاتي خطوة إلى الوراء. واستطاع بورقيبة أن يتغلب على هذا الانشقاق وأبعد خصمه اللدود (صالح بن يوسف) الذي اغتيل في فرنكفورت عام ١٩٦١.

في ٢٠ آذار ١٩٥٦، ثالت تونس استقلالها بالكامل. فأصبح بورقيبة رئيساً للمجلس الوطني فيها، ثم رئيساً لمجلس الوزراء. وفي ٢٥ تموز ١٩٥٧، خلع باي تونس وأعلنت الجمهورية وانتخب الحبيب بورقيبة رئيساً لها، فلقب نفسه «المحالف الأكبر».

في فترة الزعامة القومية للرئيس المصري جمال عبد الناصر، انتهج بورقيبة سياسة معارضة له ومتقررة من الغرب وخاصة فرنسا، ونادي محل

حزيران (١٩٧٠)، عين وزيراً للداخلية في حكومة الاتحاد الوطني التي شكلها الباهي الأدمغ ومسؤولها عن اللجنة التي كلفت اصلاح الحزب وتعديل الدستور. وعندما حلّف الهادي نويرة الأدمغ في رئاسة الحكومة ظل المستيري محتفظاً بكل مناصبه، كما ظل يتمتع بثقة الحبيب بورقيبة بالرغم من اختياره الهادي نويرة محلّاً له.

* **الباهي الأدمغ (١٩١٣-)**: سياسي ورجل دولة تونسي ومن زعماء الحزب الدستوري الاشتراكي. ولد في العاصمة تونس، ولعب دوراً في قيادة الحركة الوطنية الاستقلالية. كان في فترة من الفترات مرشحاً لخلافة الرئيس بورقيبة. تقلب بعد الاستقلال في عدة مناصب إدارية وحكومية مهمة. في ١٩٦٩، عين رئيساً للوزراء، ولعب إسمه على الساحة العربية بصفته رئيساً للجنة المشرفة على وقف القتال بين منظمات المقاومة الفلسطينية والجيش الأردني. شغل بعد ذلك على التوالي منصب الممثل الشخصي للرئيس بورقيبة، والأمين العام للحزب الدستوري الاشتراكي، وذلك قبل أن يحل محله في هذا المنصب الهادي نويرة.

* **الحبيب بورقيبة (١٩٠٣-)**: أول رئيس للجمهورية التونسية منذ الاستقلال وحتى بدء ولاية الرئيس الحالي زين العابدين بن علي الذي عزله في تشرين الثاني ١٩٨٧ (راجع النبذة التاريخية)، رغم أن بورقيبة كان انتخب رئيساً لدى الحياة في ١٩٧٤.

ولد في مدينة موناستير (المنستير) في عائلة متواضعة. فسُجّل رسمياً أنه ولد في ١٩٠٣، لكن ثمة من يؤكد من معارفه أنه ولد قبل هذا التاريخ. فالبعض يقول أنه ولد في ١٨٩٨، والبعض الآخر يرجح أن سنة ولادته هي ١٩٠٠. تلقى العلم في تونس، ثم في فرنسا حيث نال شهادته الثانوية، وبعدها إجازة الحقوق من جامعة باريس.

رئيس مجلس الوزراء (١٩٥٤-١٩٥٥). عضو المجلس الوطني للحزب الدستوري الجديد (١٩٥٥). مدير صحيفة «العمل» الناطقة باسم الحزب (١٩٥٦). نائب رئيس الجمعية الوطنية التونسية (١٩٥٦). سفير تونس في لبنان، والعراق (١٩٥٩-١٩٥٧)، وتركيا، وإيران (١٩٥٩-١٩٦٢)، وبريطانيا (١٩٦٢-١٩٦٤)، والمغرب (١٩٦٤-١٩٧٠)، والجزائر (١٩٧٠-١٩٧٢). مدير مكتب رئيس الجمهورية (١٩٧٤-١٩٧٢). في ١٩٧٤، أصبح وزيراً للخارجية بالإضافة إلى عضويته في المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب، وفي الجمعية الوطنية.

في ٢٥ كانون الأول ١٩٧٧، استقال من منصبه كوزير للخارجية احتجاجاً على موقف الحكومة من الأوضاع البابات النقابية في البلاد، ما دفع بقيادة الحزب إلى فصله من عضوية المكتب السياسي. فغادر تونس متقدلاً بين فرنسا والمغرب حتى عودته مجدهاً إلى تونس في ١٠ كانون الأول ١٩٧٩ مستعدياً مقعده في الجمعية الوطنية وفي اللجنة المركزية بعد أن صرّح بأن احتجاجه لم يكن في محله. في مطلع ١٩٨٠، انتخب أميناً عاماً للمؤتمر الإسلامي.

* **الحبيب عاشور (١٩١٤-)**: سياسي ونقابي تونسي بارز. نشط في سبيل الاستقلال، وسجن، وتبّأ أعلى المناصب في الحزب الدستوري الاشتراكي. ولد في جزيرة قرقنة التونسية في عائلة فقيرة. حرج في ١٩٤٧ في مظاهرة تصدت لها القوات الفرنسية، فاعتقل وحكم عليه بالسجن خمس سنوات. انتخب في ١٩٥٦ عضواً في اللجنة الإدارية لاتحاد الشغيلة التونسيين وقاد حملة ضد أمينه العام أحمد بن صالح، ثم عرج بعد ذلك من الاتحاد ليترأس اتحاداً آخر هو الاتحاد التونسي للعمل التابع لحزب الدستور الجديد. في ١٩٦٣، أصبح على رأس الاتحاد العام للشغيلة التونسيين

القضية الفلسطينية على مراحل.

بعد خلعه «بناء على نصيحة الأطباء» (١٩٨٧)، انزوى في بيته في مدينة الموناستير (المستير) واستمرت الحكومة تقدم له كل أنواع الرعاية. أعطى صوته، في الانتخابات الرئاسية والاشتراكية التي جرت في نيسان ١٩٨٩، للرئيس بن علي وللائحة التجمع الدستوري.

* **الحبيب بورقيبة الأبن (١٩٢٧-)**:

سياسي ورجل دولة تونسي وابن الحبيب بورقيبة. أتم دراسته الابتدائية في المدرسة الصادقية في تونس، ثم في ثانوية كارنو (ديجون، فرنسا). انتسب إلى كلية الحقوق في باريس، ثم في غربوبول. شارك في الحركة الوطنية التونسية ضد الاستعمار الفرنسي خاصة بين ١٩٥١ و١٩٥٤، ثم مارس المحاماة في تونس ما بين ١٩٥٤ و١٩٥٦. تقلب بعد ذلك في عدة وظائف دبلوماسية قبل أن يصبح، في ١٩٦٤، الأمين العام لغرفة الرئاسة، ثم مساعد الأمين العام للحزب الدستوري الاشتراكي. وعيّن، في السنة نفسها، أميناً عاماً لوزارة الخارجية حتى ١٩٦٩ حين أصبح وزيراً للخارجية، ثم للعدالة (١٩٧٠) ليشغل في ١٩٧١ منصب المدير العام للبنك التونسي للتنمية الاقتصادية. وفي ٢٨ كانون الأول ١٩٧٧، عين مستشاراً خاصاً لدى رئيس الجمهورية واستمر يحتفظ بهذا المنصب في عدد من الحكومات التي تشكلت بعد ذلك (١٩٨٠).

* **الحبيب الشطبي (١٩١٦-)**: سياسي

ودبلوماسي ووزير خارجية تونس. تلقى دراسته الثانوية في المدرسة الصادقية في تونس. عمل صحافياً ما بين ١٩٣٧ و١٩٥٢، فأنشأ مجلة «الزهراء» ما بين ١٩٤٣ و١٩٥٠، وصحيفة «الصباح» ما بين ١٩٥٠ و١٩٥٢. اعتقلته السلطات الفرنسية في ١٩٥٠ و١٩٥٢ و١٩٥٣، بسبب إتجاهاته الوطنية. ترأس قسم الإعلام في

* **حسين النصر (الباي)**: راجع «محمد الأمين (الباي)» في هذا الباب: زعماء ورجال دولة.

* **راشد الغنوشي**: راجع البذلة التاريخية، والاحزاب.

* **زين العابدين بن علي (١٩٣٦ -)**: الرئيس الحالي للجمهورية التونسية (١٩٩٦)، راجع البذلة التاريخية.

* **الشاذلي القليبي (١٩٢٥ -)**: سياسي ورجل دولة ومتذكر تونسي. أول أمين عام لجامعة الدول العربية بعد انتقالها من القاهرة إلى تونس. ولد في مدينة تونس، وتلقى تعليمه الثانوي في المدرسة الصادقية. أكمل دراساته العليا في الآداب والفلسفة في السوربون (فرنسا). عمل استاذًا جامعيًا (١٩٥٧). لكن في ١٩٥٨، ترك التعليم

بدعم من الرئيس بورقيبة. في ١٩٦٤، انتخب عضواً في المكتب السياسي لحزب الدستور الجديد، وأصبح في العام نفسه نائباً عن منطقة بجة. في ١٩٦٦، نحي عن مناصبه بسبب انتقاده لسياسة الحكومة الاقتصادية واعتقل لفترة قصيرة. أعيد إدخاله من جديد (١٩٦٧) إلى الحزب الدستوري الاشتراكي، وانتخب نائباً عن صفاقس (١٩٦٩). في ١٩٧٠، أعيد إلى منصبه كأمين عام لاتحاد الشغيلة التونسيين، وظل في منصبه هذا حتى مطلع ١٩٧٨ حين تصدى الجيش التونسي لاضراب عمالي كانت قد دعت إليه الحركة النقابية التونسية. وكانت حصيلة ذلك مقتل العشرات واعتقال العديد من ومحاكمتهم وعلى رأسهم الحبيب عاشور الذي أُقيل من مناصبه وطرد من الحزب وأودع السجن. وفي ٣ آب ١٩٧٩، وبمناسبة عيد ميلاده السادس والسبعين، أصدر الحبيب بورقيبة عفوًّا خاصًّا عنه وعن ثمانية من رفقاء المعتقلين.

الرئيس زين العابدين بن علي.



القضايا العربية امام المحافل الدولية والصحافة الأجنبية. وقد حاول، من خلال مركزه كأمين عام للجامعة العربية، ان يعزز أجهزة الاعلام الخارجية، وأن يطور عمل الجامعة في المجالات كافة. شارك بنشاط في الجهود الرامية لوضع حد لأساة الحزب في لبنان (من خلال عضويته في لجنة المتابعة العربية - ١٩٨١).

وضع مؤلفات عديدة في الادب والثقافة والسياسة، منها: «العرب امام قضية فلسطين» و«من قضايا الدين والعصر». له آراء صريحة ومتقدمة في كل المشكلات التي تواجه المجتمع العربي، كالعلاقة بين الديمقراطية والتقدم والاسلام، والعلاقة بين العروبة والاسلام، وحول قضية المرأة العربية، والنفط، والنظام الاقتصادي العالمي الجديد، والحوار العربي الاوروبي الافريقي، الخ... يحمل القليبي أكبر وسامي الجمهورية والاستقلال، وعدداً كبيراً من الأوسمة العربية والأجنبية (من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ج ٣، ص ٤٢٧).

* صالح بن يوسف (١٩٠٩-١٩٦١): سياسي ورجل دولة تونسي. من زعماء حزب الدستور الجديد ومؤسسيه. ولد في جزيرة جربة التونسية. درس الحقوق وبدأ العمل السياسي منذ شبابه في صفوف حزب الدستور أولاً، ثم في تأسيس حزب الدستور الجديد إلى جانب الحبيب بورقيبة والمطيري في ١٩٣٤. ولم يمض وقت قصير حتى اعتقل زعماء هذا الحزب ومن بينهم صالح بن يوسف الذي ظل في المنفى والمعتقل حتى ٢٣ ايار ١٩٣٦. في ١٩٣٨، اعتقل من جديد، ما أثار حملة احتجاجات ومظاهرات عارمة. ولكن هذا لم يمنع سلطات الاحتلال من المضي في حملات الاعتقال وحل الأحزاب المعارضة. في ١٩٤٨، أصبح على أثر مؤتمر حزب الدستور الجديد الذي

بعد تعيينه مديرًا عامًا للاذاعة والتلفزيون. وفي ١٩٦١، كلف بإنشاء أول وزارة للشؤون الثقافية في تونس، وبقي مشرقاً عليها حتى ١٩٧٠. بالإضافة إلى تسلمه مرتين في تلك الفترة وزارة الاعلام. أُسنِدَت إليه وزارة الثقافة من جديد في ١٩٧١، واستمر فيها حتى ١٩٧٣، ثم تسلماها مرة ثالثة من ١٩٧٦ حتى ١٩٧٨. وكان قد شغل أثناء ذلك، وبالتحديد ما بين ١٩٧٤ و ١٩٧٦ منصب مدير ديوان رئيس الجمهورية. من ايلول ١٩٧٨ إلى حزيران ١٩٧٩، شغل للمرة الأخيرة منصب وزير الاعلام وذلك قبل ان ترشحه تونس لنصب الأمين العام بلجامعة الدول العربية والذي انتخب له في ٢٨ حزيران ١٩٧٩.

بالإضافة لنشاطه العام على الصعيد الوطني، كان الشاذلي القليبي نشاطات محلية وجزئية واسعة. فهو منذ ١٩٦٣ يشغل منصب رئيس بلدية قرطاجة (قرطاج) التي تميزت في عهده بحياة ثقافية مجده، كما انه مارس منذ ١٩٦٤ مسؤوليات سياسية واسعة داخل الحزب الدستوري، فانتخب في ١٩٦٤ رئيساً للشعبة المحلية للحزب في قرطاجة، كما انتخب في العام نفسه عضواً في اللجنة المركزية للحزب، وحدد انتخابه لهذا المنصب في كل المؤشرات التي عقدتها الحزب بعد ذلك. في كانون الثاني ١٩٦٨ أصبح عضواً في المكتب السياسي للحزب الدستوري، واحتفظ بعضويته إلى تاريخ انتخابه أميناً عاماً للجامعة العربية في حزيران ١٩٧٩.

يمتاز الشاذلي القليبي بثقافته العربية العميقه واسعة اضطلاعه باللغة العربية (إذ انه عضو في بجمع اللغة العربية في القاهرة منذ شباط ١٩٧٠)، بالإضافة إلى افتتاحه الواسع على الثقافات الأجنبية وبخاصة الثقافة الفرنسية. وشارك، في مستهل حياته العامة، في تحرير العديد من الصحف والمحافل الوطنية، ما أكسبه خبرة قيمة في حسن التخاطب مع الرأي العام العربي والعالمي، وفي الدفاع عن

ورجل دولة تونسي. تخرج مهندساً في المعهد الزراعي العالي في تونس. مثل الحركة الطلابية في المكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد في ١٩٥٩-١٩٥٨. شغل عدة مناصب دبلوماسية في الوفد التونسي في الأمم المتحدة، وفي وزارة الخارجية وبعض البلدان الأفريقية المجاورة واسبانيا. عين في ١٩٧١ وزيراً للدولة مسؤولاً عن الزراعة، ثم وزيراً للشباب والرياضة (١٩٧٢). وفي ١٩٧٢، عين رئيساً للبعثة التونسية لدى الأمم المتحدة في جنيف، وفي ١٩٧٣، وزيراً للداخلية وظل حتى كانون الاول ١٩٧٧ حين أقيل في جو أزمة وزارية عامة. في تشرين الاول ١٩٨٨، حكم عليه بالسجن لمدة سنتين (مع وقف التنفيذ والتغريم) بتهمة احتلاس اموال عاممة، وكان قبلها يشغل منصب وزير الاعلام.

* الطاهر بن عمار (١٨٩٠ -) : رجل

دولة تونسي معتمد ينتمي إلى البروجوازية التونسية الكبيرة. عينه باي تونس محمد الأمين، معاقة فرنسا (حكومة بيار ميديس فرانس) والحزب الدستوري الجديد بزعامة بورقيبة، رئيساً لأول حكومة تونسية سميت «حكومة التفاوض»، لأن مهمتها كانت في الواقع تقتصر على إجراء مفاوضات مع فرنسا من أجل الاتفاق على الخطوات العملية لانتقال السلطة إلى التونسيين في نطاق الاستقلال الداخلي أي معبقاء السياسة الخارجية والجيش والأمن بيد فرنسا. تشكلت تلك الحكومة في آب ١٩٥٤ بعد زيارة بيير ميديس فرنسا تونس في ٣١ تموز ١٩٥٤ وإعلانه منع تونس الاستقلال الداخلي، وضمت عناصر مستقلة وثلاثة أعضاء من الحزب الدستوري الجديد أبرزهم المنجي سليم. وبدأت في ٤ ايلول من السنة نفسها (١٩٥٤) المفاوضات التي كان يقودها في الواقع الخبيب بورقيبة دون أن يكون عضواً في الحكومة. وقد افضت تلك المفاوضات إلى اتفاقية ٣ حزيران

انعقد في تونس، الأمين العام للحزب بورقيبة رئيساً له.

في آب ١٩٥٠، عين وزير العدل في حكومة محمد شنيك. وكان الغرض من هذه الحكومة تمهيد الطريق للوصول إلى السيادة الكاملة بشكل تدريجي. وفي ١٥ كانون الاول ١٩٥١ أوقفت الحكومة الفرنسية المفاوضات المادفة الوصول بتونس إلى الاستقلال، وعمدت في ١٦ آذار ١٩٥٢ إلى اعتقال الحكومة باستثناء بن يوسف الذي تمكّن من الفرار في اللحظة المناسبة.

في آب ١٩٥٤، قبل حزب الدستور الجديد بقيادة بورقيبة اتفاقية الاستقلال الذاتي التي تتضمن السياسة الخارجية التونسية ومسألة الدفاع الوطني في أيدي السلطات الفرنسية كخطوة أولى نحو الاستقلال الكامل. وقد أدى ذلك إلى حصول أول صدام على بين زعيمي الدستور الجديد بورقيبة وبن يوسف.

عاد بن يوسف إلى تونس في ١٩٥٥ ليقود حملة عنيفة ضد سياسة قيادة الحزب التي فصلته في مؤتمر صفاقس، ما أدى إلى حصول انشقاق في الحزب، وقاطع «اليوسفيون» الانتخابات التي أجريت في ١٩٥٦، وفي كانون الثاني ١٩٥٦ جلأ بن يوسف إلى طرابلس في الوقت الذي قرر فيه بورقيبة إلقاء القبض عليه ومحاكمته. وبالفعل، فقد صدر عليه حكم غيابي بالاعدام، وقد بدأ بن يوسف من الخارج سياسة معارضة شديدة لبورقيبة وكان المقر الرئيسي لنشاطاته في القاهرة، ما جعل العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) وتونس تتأزم. وفي ١٩٦١، سافر بن يوسف إلى المانيا حيث اشتغل في فرنكفورت في آب ١٩٦١ في ظروف غامضة (من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ج ٣، ص ٥٤٨).

* الطاهر بلخوجة (١٩٣١ -) : سياسي

الحاكم أيضًا. استعراض عبد العزيز العلالي عن الكتابة الصحافية بالوقوف خطيباً في الساحات العامة، إلى أن عاد وأصدر جريدة ثلاثة سرعان ما داهمتها السلطات الفرنسية وأغلقتها واعتقلت العلالي ونقلته إلى مصر (١٩٠١). وهناك تأثر بأفكار رواج الاصلاح الفكري الاسلامي، من امثال محمد عبده ورشيد رضا، الذين اتصل بهم، وبعد سنة عاد متخفياً إلى تونس.

في ١٩١١، عندما بدأ العدوان الإيطالي على ليبيا، قام العلالي بجمع المعونات والاموال والأسلحة من تونس ويرسلها إلى المهاجرين في ليبيا.

في ١٩١٩، سعى إلى باريس لعرض القضية التونسية على مؤتمر الصلح. لكنه أعيد إلى تونس معتقلاً وزوج به في السجن. ترأس الحزب الدستوري (القديم) عند تأسيسه في ١٩٢٠، ومن مجلة مبادئه «العرب أمة واحدة ولا بد أن تتوحد». ونفي العلالي مرة جديدة في ١٩٢٣، إلى مصر ومنها سافر إلى فلسطين وسوريا ولبنان والعراق والمحاجز والمليح

١٩٥٥ التي منحت الاستقلال الذاتي ولكن دون ان تلغى معاهدة ١٢ أيار ١٨٨١ (معاهدة الحماية الفرنسية لتونس). وعلى أثر ذلك شكل الطاهر بن عمار نفسه حكومة جديدة شارك فيها هذه المرة ستة أعضاء من الحزب الدستوري الجديد. وحلت على أثر انتخابات المجلس التأسيسي في نيسان ١٩٥٦ التي فاز فيها الحزب الدستوري الجديد بكل المقاعد وكلف الباي الحبيب بورقيبة باعتباره رئيساً للحزب تأليف حكومة جديدة.

* **الطاهر الحداد:** راجع «محمد علي» في هذا الباب: زعماء ورجال دولة.

* **عبد العزيز العلالي (١٨٧٤-١٩٤٤):** سياسي ومفکر تونسي. ولد في عائلة فقيرة. كان عمره سبع سنوات عندما وقع «باي تونس» معاهدة ١٨٨١ الشهيرة التي منحت الفرنسيين ما أرادوه كمستعمرين. عندما أنهى دراسته في جامع الزيتونة، أصدر جريدة فأغلقها الحاكم العام الفرنسي بعد أيام، فأصدر جريدة ثانية فأغلقها

عبد العزيز العلالي.



أصبح في مقتبل العمر عمل معاون سائق في الشركة التونسية للنقل البري في الساحل، وانخرط في العمل النقابي وأصبح عضواً في الكونفدرالية العامة للعمل (C.G.T.) التي تأسست في ١٩١٩ والتي هي عبارة عن امتداد للنقابة الفرنسية للأم في باريس. وتجدر الملاحظة أن تلك النقابة الغربية عن الواقع التونسي سرعان ما دخلت في صراع مع العمال التونسيين الذين جندتهم النقابي التونسي محمد علي (راجع «محمد علي» في هذا الباب: زعماء ورجال دولة) للوقوف في وجه النقابة الفرنسية.

فضل فرات حشاد العمل النقابي من خلال الحزب الدستوري الجديد. وفي ١٩٤٤ أدرك أن النقابة القائمة والتي تعمل السلطات الفرنسية على تشجيعها ليست إلا فرعاً من الحزب الشيوعي الفرنسي. عندها كثُف حشاد اتصالاته بالعمال وتمكن (في ١٩٤٤) من تأسيس نقابة تونسية هي «الاتحاد العام التونسي للشغل» (U.G.T.T.). وكان حشاد يرد على منتقدي النقابة من حيث أنها توسيع العمل السياسي أهمية أكبر من العمل النقابي، بقوله:

«إن قضية الطبقة العاملة لا تنفصل عن القضية الوطنية بعمومها وبأن السياسة موجودة في كل ميادين الحياة، وحتى لو أردنا أن نتجاهلها فإنها حتماً لن تتجاهلنا، وإن العامل التونسي أثناء نضاله من أجل الانتصار والتقدم الاجتماعي يصطدم يومياً بعراقيل سياسية عليه أن يتجاوزها، ومن أجل ذلك فإنه مضطر لأن يناضل سياسياً...».

أول ضربة تعرض لها «الاتحاد العام التونسي للشغل» كانت في ٥ آب ١٩٤٧، وذلك عندما حصدت نيران الدبابات الفرنسية جموع العمال التونسيين المضربين في مدينة صفاقس وقتلت ٣٠ عاملاً. ثم توالت الضربات مثل الأعدامات العمالية في جبل الجلود والنفيضة.

واليمين. في ١٩٣٦، عاد إلى تونس وأخذ يدعو إلى توحيد أقطار المغرب العربي كخطوة لتوحيده مع بقية الأقطار العربية. بُجا من محاولة اغتياله. اعتزل السياسة في أواخر أيامه. أصدرت القيادة الحالية في تونس (وذلك في ١٩٨٩) قراراً باعادة الاعتبار إلى عبد العزيز الشعالى والتعریف به على أنه مؤسس الحركة الوطنية للجهاد في سبيل استقلال تونس.

* **عياشي حسوة (١٨٧٣-١٩٥٨):** سياسي تونسي، من رواد الحركة الوطنية الاستقلالية. ولد في سوسة، وتعلم في المدرسة الصديقية. عمل استاذاً للغربية في «ليسيه كارنو»، وعمل بعدها مترجماً فورياً لدى حكومة الحماية الفرنسية، وسافر إلى فرنسا للدراسات العليا. في ١٨٩٨، تخرج محامياً، ومارس المحاماة في سوسة. ساهم في تحرير مجلة «الحاضرة» وملة «الزهراء». نشط في الحركة الوطنية التونسية بعد الحرب العالمية الأولى. فأسس الوطنيون حزب الدستور بزعامة عبد العزيز الشعالى، ودعوا فرنسا إلى وضع دستور جديد يضمن للتونسيين مزيداً من الحقوق، ثم أرسلوا وفدين إلى فرنسا كان الأول برئاسة الشعالى والثاني برئاسة عياشي. غير أن الوفدين أخفقا في تغيير السياسة الفرنسية. وانضم عياشي إلى حزب الدستور الجديد بزعامة بورقيبة، وترأس بعضاً من مؤتمراته. وفي ١٩٣٨، كان عياشي بين الذين اعتقلتهم السلطات الفرنسية من قادة الحركة الوطنية. وأطلق سراحه في ١٩٣٩، وكان مريضاً.

* **فرات حشاد (١٩١٤-١٩٥٢):** مناضل وطني وزعيم نقابي تونسي. ولد في جزيرة العباسية، إحدى جزر قرقنة مقابل مدينة صفاقس، في عائلة صيادي أسماك فقيرة. اضطر إلى ترك المدرسة بعد وفاة والده وكان قد حصل على الشهادة الابتدائية. أصبح عاماً في ميناء صفاقس للإنفاق على والدته وأعواته الصغار الثلاثة. ولما :

الحبيب بن المأمون الذي تولى عرش تونس (الذي يعود إلى ١٧٠٥) بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٩. أما ابنه الأمين فقد أتى به الفرنسيون في ١٩٤٣ ليخلف البai منصب الذي أُجبر على التخلي عن عرشه بسبب تبنيه مطالب الوطنيين في وجه السلطة الاستعمارية. فشكك الكثيرون بشرعية الأمين، ولم يعترض به منصب الذي كان قد أُبعد إلى الجزائر ففرنسا إلا قبل وفاته بقليل في ١٩٤٨. ولم يتمكن الأمين من تحسيد التطلعات الوطنية كما فعل محمد الخامس في المغرب. وقد حجب عنه الأضواء صعود حزب الدستور الجديد وتحوله إلى حركة جماهيرية. وعندما حصلت تونس على استقلالها، صار إلغاء العرش التونسي (منصب البai) محتماً، فرغم تخلي الأمين عن عرشه لصالح حسين النصر، ومن هذا الأخير إلى ابنه القاصر رشاد، فقد عمدت حكومة بورقيبة إلى الإعلان عن إلغاء منصب البai (الملكي) في ٢٥ تموز ١٩٥٧.

* **محمد شنيك (١٩٧٦-١٨٨٩):** سياسي تونسي وواحد من أبرز وجوه حزب الدستور الجديد. رئيس الحكومة التونسية في ١٩٤٣ (في عهد البai منصب)، وفي ١٩٥٢-١٩٥٣. عزلته السلطات الفرنسية ونفته لبعضه أسابيع بسبب مواقفه الوطنية. كان محمد شنيك يتحدر من أسرة بورجوازية كبيرة، وكان قد ترأس غرفة التجارة التونسية في عهد الحماية الفرنسية وساهم في تأسيس «تعاونية الاعتماد التونسية».

* **محمد صياغ (١٩٣٣-):** سياسي تونسي. حائز على إجازة في الآداب، وعضو في الحزب الدستوري الاشتراكي. أصبح نائباً لرئيس الحزب في ١٩٦٢، ثم رئيساً له من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٩، أي في أثناء تجربة التعارضات التي قادها وزير الاقتصاد التونسي أحمد بن صالح. وزير

ولكن ذلك لم يزد النقابة وزعيمها فرحات حشاد إلا إصراراً على مواصلة النضال. فكتَّف حشاد من عمله ووسع دائرة نشاطه إلى خارج تونس لكسب الحلفاء في الخارج، وانضم الاتحاد إلى الكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة.

ولشدة ما كان يمثله فرحات حشاد من مخاطر على المصانع الفرنسية الاستعمارية، «شجعت الادارة الفرنسية في تونس قيام منظمة فرنسية إرهابية سرية تسمى اليد الحمراء التي تولى قيادتها أعضاء بارزون في الادارة الاستعمارية في تونس مثل بونس (Pons) الكاتب العام لدى المقيم الفرنسي العام والعديد من محافظي الأمن... وقد تولت تلك المنظمة مهمة إرهاب وتصفية العناصر الوطنية المعروفة مثل الطاهي شاكر وخاصة فرحات حشاد الذي كانت ترى في الرأس المدبر للنضال المسلح، حتى ان الجملة الاستعمارية الأسبوعية «باريس» التي كان يديرها أعضاء اليد الحمراء الصادرة في أوائل تشرين الثاني ١٩٥٢ حملت على صفحاتها الأولى بكل عنف على فرحات حشاد وحرّضت بشكل علي على التخلص منه. فقد كتبت بالحرف الواحد: على القراء ان ينفذوا ما هو ضروري في حق ذلك الشخص ويقوموا بما تقتضيه الرجولة. وبعد أسبوع واحد من ذلك المقال اغتيل فرحات حشاد في يوم ٥ كانون الأول ١٩٥٢ بعد ان اعترضت طريقه سيارة تابعة لليد الحمراء وأمطرته وابلاً من الرصاص، إلا ان حشاد الذي أصبح بمحروم خطيرة حاول اللجوء إلى سيارة أخرى ولم يكن يدرك انه كان يسعى إلى دخول تلك السيارة الثانية التي كانت جزءاً من المخطط الاجرامي» (من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠، ج ٤، ص ٤٩٢-٤٩٣).

* **محمد الأمين (باي) (١٨٨١-١٩٦٢):** عاهل (باي) تونس قبل عهد الاستقلال. أبوه محمد

حينما رفض طلب الباشا إليه بتوصيل سفير فرنسا في القاهرة إلى منزله، ثم توجه إلى السعودية وعمل في الترجمة ثم اشتري سيارة نقل عمل عليها بنفسه إلى أن وفاه الأجل أثر حادث.

كان محمد علي شديد التأثر بالمستوى المتدني الذي وصل إليه حال الشعب وطبقاته الفقيرة، وكان يرى الخلاص في النهوض الاقتصادي والاجتماعي القائم على التعاون والعمل الجماعي لجميع التونسيين من عمال وأصحاب عمل وغيرهم. وحينما عاد من المانيا في ١٩٢٤ بعد أن حصل على إجازته في الاقتصاد والعلوم السياسية، أخذ يركز على إنشاء حركة تعاونية؛ وبمحض دعوته لتأسيس «جمعية التعاون الاقتصادي». ولكن حدث أن قام عمال الرصيف في ميناء مدينة تونس بتنظيم اضراب بهدف رفع أجورهم. وهنا تخلى محمد علي عن نشاطه التعاوني، واتجه إلى تكوين نقابات تونسية واتحاد عمال تونس، واندفع للإشراف على حركة الاضرابات وتنظيمها، وهي الحركة التي امتدت من مدينة تونس إلى بنزرت ومتلوي وغيرهما من المدن.

وبعد فترة من عودته لا تتجاوز عشرين شهراً ملأها محمد علي عملاً نقابياً تنظيمياً، اعتقلته السلطات ونفته في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٢٥ بتهمة أنه يدير مؤامرة ضد السلطات، كما مر معنا. وهذه الفترة، على قصرها، شهدت تطورات هائلة وحركة سريعة أحداثها محمد علي بين صفو الطبقة العاملة، خاصة بجهة المعركة التي محاضها ضد اتحاد العمال الفرنسي الذي يسيطر عليه الاشتراكيون الفرنسيون الذين «ينظرون إلى تونس نفس نظرية غلاة الاستعماريين ويرون فيها أمتداداً لفرنسا... والمعركة هذه بقيادة محمد علي كشفت في الحقيقة زيف الأحزاب الاشتراكية في أوروبا» وزييف «الأمين» و«الشيوعيين».

قبل عودة محمد علي من برلين (١٩٢٤)

الاعلام (١٩٦٩). مثل تونس في الأمم المتحدة (١٩٧١-١٩٧٠)، ثم وزير الأشغال العامة والإسكان، ثم عاد ليرأس الحزب في ١٩٧٣ وزيراً للشباب والرياضة في الوقت نفسه. دافع داخل الحزب عن خط متصلب يرفض كل حوار مع المعارضة السياسية والنقابية. أبعد عن رئاسة الحزب مع جيء بحكومة محمد مزالى في نيسان ١٩٨٠، وأُسندة إليه وزارة التجهيز والإسكان. أعيد انتخابه عضواً في المكتب السياسي للحزب الدستوري في حزيران ١٩٨٦.

* محمد علي (١٨٩٣-١٩٢٨): مناضل وزعيم نقابي. مؤسس الحركة النقابية التونسية. كتب عنه وأرخ له رفيقه الطاهر الحداد. وكلاهما تعرض إلى حاربة كبيرة من جانب كثريين من التونسيين وإلى مضائق الاستعمار الفرنسي لهما. حتى مات الطاهر الحداد وعمره ٣٥ عاماً بمرض القلب والصدر بعد أن ظل في أواخر عمره محاصراً ويعيش شبه وحيد بعد أن انقض عنه الكثير من الأصحاب بسبب التهم الشنعاء التي ألصقت به من قبل المترمذين الذين اتهموه بالكفر والاحاد والعمل على تقويض الدين بعد أن أصدر كتابه «العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية» وفيه يورخ دور رفيقه محمد علي كمؤسس للحركة النقابية العمالية في تونس، وكتاب «أمرأتنا في الشريعة والمجتمع» الذي طالب فيه بتحرير المرأة من قيودها.

وأما محمد علي فقد مات غريباً عن وطنه إثر حادث في السعودية في ١٩٢٨. فقد نفته السلطات الفرنسية في ١٩٢٥ من تونس بتهمة تدبير مؤامرة ضد فرنسا لحساب المانيا وروسيا. وتآلت عليه الأحزاب والحكومة التونسية ووقفوا بجانب السلطة الفرنسية. وذهب إلى إيطاليا فطردته، فذهب إلى تركيا فطردته، وجاء إلى مصر وعمل سائقاً عند أحد الباشوات، وترك عمله

على إجازة في الفلسفة، ومارس التعليم قبل أن يصبح رئيس دائرة التربية الوطنية مع إعلان الاستقلال (١٩٥٦). مدير الشبيبة والرياضة (١٩٥٩). مدير عام للإذاعة والتلفزيون (١٩٦٤). أمين عام وزارة الدفاع (١٩٦٨). وزير الشباب والرياضة (١٩٦٩). وزير الصحة (١٩٧٣). وزير التربية ثلاث مرات على التوالي: ١٩٧٠، ١٩٧٣-١٩٧١، وبين ١٩٧٦ و١٩٨٠ وهو تاريخ تكليفه رئاسة الحكومة. أقام صلات وثيقة بالشباب وبالرياضيين، وكذلك بأوساط المثقفين بصفته رئيساً لاتحاد الكتاب التونسيين.

انتخب محمد مزالي إلى حزب الدستور في ١٩٤٧، وأصبح عضواً في اللجنة المركزية والمكتب السياسي منذ ١٩٦٤. وبعد ان اختاره الحبيب بورقيبة ليحل محله في رئاسة الحكومة أصبح مزالي، بموجب احکام الدستور، خليفة الرئيس التونسي. والمعروف عن مزالي انه انتهج سياسة تعريب برامج التعليم في تونس ونادي باصالة تونس العربية الاسلامية. وهو، في الوقت نفسه، من أكبر دعاة اقامة علاقات متينة مع الغرب وبشكل خاص فرنسا والولايات المتحدة.

في تموز ١٩٨٦، قرر الرئيس بورقيبة، دون سابق إشارات، إقالته من منصبه كرئيس للوزراء وقراره من جميع وظائفه الخفية. وفي احياء الغموض الذي ما يزال يلف الاسباب التي دفعت الرئيس لهذا الموقف من محمد مزالي، صدور حكم غيابي (في ٢ تشرين الأول ١٩٨٦) يقضي بسجنه سنة لعبوره الحدود بصورة غير شرعية. وفي اواخر السنة نفسها، حكم على ابنه وأصهره بتهمة الفساد. وفي ٢٤ نيسان ١٩٨٧، حكم عليه غيابياً (وهو في سويسرا) بالسجن مع الاشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة.

* محمد المصمودي (١٩٢٢ -) : سياسي

كان العمال التونسيون يتظملون داخل فروع النقابات الفرنسية في تونس، وكان الاشتراكيون الفرنسيون يطلقون دعوة وحدة العمال وانتظامهم معًا رغم اختلاف اجناسهم لواجهة اصحاب الاعمال بقوة منظمة، وان ما يجب ان يسود العمال هي الروح الأعمية، وان يندوا أي اتجاهات وطنية أو دينية أو عنصرية تهدد بشق وحدة الصنوف العمالية. ولكن العمال التونسيين كانوا يلقون معاملة أقل من مستوى معاملة العمال الفرنسيين. ما أدى إلى انسحاب كثريين منهم من النقابات الفرنسية. وكان هذا التمييز في المعاملة أول دليل على بطلان دعوى الاشتراكيين الفرنسيين. وجاء الدليل الثاني بصدور قانون التجنيس. وهو القانون الذي يقتضاه فتحت الحكومة الفرنسية الباب للدعوة التونسيين للتخلص عن جنسيتهم والتجنس بالجنسية الفرنسية. وهذا اتجاه تفكير محمد علي فهو تأسيس نقابات تونسية مستقلة عن النقابات الفرنسية واتحاد عمال تونس مستقل عن اتحاد العمال الفرنسي (ولقد أكمل عمله النقابي التونسي فرحات حشاد، راجع «فرحات حشاد» في هذا الباب: زعماء ورجال دولة). ولقد كانت المساجلات التي قام بها محمد علي مع اتحاد العمال الفرنسي ث渥ذحاً حياً لهذه المواقف كما انها عكست قدرة محمد علي الفكرية وقوته حججه وسلامة منطقه. وهذا فهي تعتبر وثائق لا غنى عنها لأي دارس لتاريخ الحركة النقابية في تونس ولتاريخ الحركة الوطنية. ويعد الفضل للطاهر الحداد في نشر هذه المساجلات في كتابه «العمال التونسيون» (من مجلة «قضايا عربية»، العدد الخامس، أيار ١٩٨١، ص ١٧١ - ١٧٤).

* محمد مزالي (١٩٢٥ -) : سياسي ورجل دولة تونسي ورئيس الحكومة (نيسان ١٩٨٠). ولد في مدينة الموناستير (المستير). حائز

(شباط ١٩٦٥) وكلف مهمة تطبيع العلاقات بين البلدين بعد أن كانت قد تدهورت على أثر تأمين اراضي المستوطنين الفرنسيين. وقد نجح في مهمته بسبب علاقته الخاصة بالجنرال ديغول.

بعد إبعاد بن صلاح وفشل سياساته الاقتصادية، قوي نفوذ المصمودي وأخذ يشن حملة مركزة من أجل الانفتاح الاقتصادي والمزيد من الديمقراطية السياسية. وفي تشرين الثاني ١٩٦٩، أصبح أميناً عاماً مساعدًا للحزب الدستوري الاشتراكي. وفي كانون الثاني ١٩٧٤، بادر إلى تبني مشروع وحدة مع ليبيا، إلا أن فشل المشروع يوم الإعلان الرسمي عنه قضى على آماله في خلافة بورقيبة، فتم إبعاده من جديد ودفعه إلى مغادرة البلاد ومعارضة نظام بورقيبة. وفي تشرين الأول ١٩٨٤، عينته الجماهيرية العربية الليبية سفيراً لها في الأمم المتحدة، فقبل هذا المنصب رغم استياء الحكومة التونسية منه. ولكنه لم يبق طويلاً في هذا المنصب. ألف بعد خروجه من تونس كتاباً بعنوان «العرب في العاصفة» (من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٠، ص ١٠٤).

* محمد المنصف (باي) (١٨٨١ - ١٩٤٨)

باي تونس، تميز بعوازرته للحركة الوطنية التونسية ضد الاستعمار الفرنسي. توترت علاقته بحكومة فيشي الموالية للمحور على أثر توليه العرش في حزيران ١٩٤٢، ومطالبه باحترام السيادة التونسية ورغبات الشعب. وقد وقعت في أيامه معارك طاحنة بين الحلفاء ودول المحور عانت تونس من جراءها الخاعة والتشريد، والتزم الباي محمد المنصف خالها الحياد، وعمل على التخفيف من وقع الحرب على شعبه، وتعمقت تونس في عهده بالحرية. فأبعده الفرنسيون عن العرش في ١٩٤٣ بتهمة موالاة المحور، ونشوه، فطالب التونسيون بعودته، إلا أنه توفي وهو في منفاه.

تونسي شغل مراراً منصب وزير الخارجية وذلك قبل إبعاده ودفعه إلى المعارض في كانون الثاني ١٩٧٤ بعد فشل مبادرته الوحدوية مع ليبيا. ولد في المهديّة في منطقة الساحل وأتم دراسته الثانوية في تونس. انضم إلى الحزب الدستوري الجديد، وكان في أثناء دراسته المحرق في باريس في أوائل الخمسينيات يدير فرع الحزب في فرنسا. اعتقله الشرطة الفرنسية في ١٩٥٣ لفترة قصيرة بسبب نشاطاته السياسية. وبعد الإفراج عنه في العام نفسه دخل أول حكومة شكّلها بن عمار. شارك بصفته عضواً في الحكومة التونسية المفاوضات الفرنسية- التونسية التي أدت إلى التوقيع على اتفاقية حزيران ١٩٥٥ حول الاستقلال الذاتي. دخل حكومة بن عمار الثانية وزيرًا للصناعة والتجارة ثم أصبح وزيراً في أول حكومة في تاريخ تونس المستقلة في ١٥ نيسان ١٩٥٦. عين في كانون الثاني ١٩٥٧ سفيراً لتونس في باريس، ثم ما لبث أن ترك منصبه على أثر قطع العلاقات بين فرنسا وتونس في شباط ١٩٥٨ بسبب الاعتداء الفرنسي على الساقية بالقرب من الحدود الجزائرية بحجة ملاحقة الثوار الجزائريين اللاجئين إلى تونس. وفي أيلول من العام نفسه أُعفي من مهماته الرسمية وطرد من المكتب السياسي لحزب الدستور الجديد بسبب تضامنه مع المسؤولين عن مجلة «العمل» الأسيوية المتهمين بالانحراف. إلا أنه سرعان ما أعيد إلى الحزب. فانتخب في الجمعية الوطنية وعين في تشرين الثاني ١٩٥٩ وزيراً للإعلام. وفي تشرين الأول ١٩٦١ أُعفي مرة أخرى من منصبه بسبب مقال صدر في صحفته «أفرييك أكسيون» ضدّ سلط الرئيس بورقيبة واتهم بأنه هو الذي كتبه.

استمر هذا الابعاد عن السلطة حوالي ٣ سنوات عمد فيها إلى إدارة أعماله الخاصة. وفي تشرين الأول ١٩٦٤، أعاد إليه مؤتمر الحزب في بنزرت اعتباره فعيّن من جديد سفيراً في فرنسا

سياسي ورجل دولة تونسي. ولد في مدينة الموناستير. أتم دراسته الثانوية في سوسة. درس الحقوق في فرنسا حيث كان يمثل في الوقت نفسه حزب الدستور الجديد. طرد من فرنسا في ١٩٣٧ فعاد إلى مدينة تونس ليمارس المحاماة، ويصبح الأمين العام للاتحاد العام للعمال التونسيين. اعتقل، في ١٩٣٨، على أثر المظاهرات الخاشدة ضد الاستعمار الفرنسي مع كبار زعماء حزبه بتهمة التآمر ضد أمن الدولة. وفي ١٩٤٠ نقل إلى السجن في فرنسا وظل فيه حتى الإفراج عنه في ١٩٤٢. فعاد إلى تونس وانتخب أميناً عاماً لحزب الدستور الجديد وظل في منصبه هذا حتى استقالته في ١٩٥٣، ولم يعود إلى هذا المنصب إلا في ١٩٥٩ على أثر إبعاد بن صالح. شارك في مفاوضات الاستقلال الذاتي (١٩٥٤). وزير التجارة ثم المالية في أول حكومة شكلها بن عمار. بعد الاستقلال، عهد إليه بورقية بالمهام نفسها، فنصح في تصحيح وضع الخزينة وإدارة الاقتصاد. عين حاكماً للمصرف المركزي التونسي في ١٩٥٨، وأنشأ في السنة نفسها «المركز الوطني للإصدار». عارض بشدة سياسة بن صالح. عين في ١٢ حزيران ١٩٧٠ وزيراً للاقتصاد الوطني، ثم حل محل الباهي الأدغم على رأس الحكومة.

اعتبر الهادي نويزة من أنصار الانفتاح الاقتصادي. عينه الحزب الدستوري، في ١٩٧٤، بيازار من بورقية خليفة لرئيس الجمهورية إلا أن المرض أتى به وأرغمه على الاستقالة في ١٩٨٠، فخلفه محمد المرزلي.

* **يوسف الرويس**: سياسي تونسي. تميز بمعارضته، من داخل الحزب نفسه، للحزب الدستوري، لسياسة الحبيب بورقية ونهجه، وبعمله الدؤوب على ربط مسار الحركة الوطنية الاستقلالية التونسية بمسار الحركة العربية سواء في مغربها أو في مشرقها. بعد عزل الرئيس بورقية

* **النجي الحسوبي** (١٩٣٠-): سياسي ورجل دولة تونسي، ورئيس الحزب الدستوري الاشتراكي (١٩٨٠). ولد في منطقة الساحل. محاضر في الحقوق. شغل منصب الأمين العام للاتحاد العام للطلبة التونسيين، ثم الرئيس المساعد للحزب قبل تعيينه حاكماً على بنزرت في ١٩٦٧. سفير في مدريد، ثم وزير الخارجية (١٩٧٦-١٩٧٤). استقال، في كانون الثاني ١٩٧٨، احتجاجاً على رفض الحكومة الدعouول في مفاوضات مع النقابات العمالية. فصل من الحزب في آيلول ١٩٧٩، لكنه أعيد إليه لدى تشكيل حكومة محمد مزالى في نيسان ١٩٨٠، فأُسندت إليه رئاسة الحزب بالإضافة إلى تعيينه وزيراً متدبراً لدى رئيس الحكومة (١٩٨٢).

* **النجي سليم** (١٩٦٩-١٩٠٨): سياسي تونسي. درس الحقوق في فرنسا ومارس المحاماة في تونس. انضم إلى حزب الدستور الجديد. اعتقل في ١٩٣٨، وسجين، ولم يطلق سراحه إلا في ١٩٤٣. في ١٩٤٥، أصبح عضواً في اللجنة السياسية للحزب. اعتقل للمرة الثانية في ١٩٥١ وبقي في السجن حتى ١٩٥٤ حين اعتزف فرنسا بحق الشعب التونسي في تقرير مصيره. ولعب في المفاوضات الفرنسية-التونسية دوراً بارزاً. وزير الداخلية (١٩٥٥) وأحد المشركون في المفاوضات التي قادت إلى الاستقلال. وبعد الاستقلال عين سفيراً في الولايات المتحدة ومثلاً دائماً لدى الأمم المتحدة حيث برع في الدفاع عن القضايا الأفريقية. وفي ١٩٦١، انتخب رئيساً للجمعية العمومية للأمم المتحدة. في ١٩٦٢، عاد إلى تونس وأصبح وزيراً للخارجية، فمندوباً متوجلاً لرئيس بورقية في ١٩٦٤. وفي ١٩٦١ تسلم وزارة العدل، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته.

* **الهادي نويزة** (١٩٩٣-١٩١١):

العام التونسي للشغل الحبيب عاشور ورسائل الأمين العام السابق للحزب الحر الدستوري الباхи الأدغم ومذكرات الدكتور محمود الماطري الرئيس الأول للحزب الدستوري الجديد وكتاب السيد منصف الشابي عن الزعيم صالح بن يوسف (الذي أمر بورقية باختياله في سويسرا عام ١٩٦١).

ويعتبر الروسي قائدًا من الصف الأول في الحزب فهو «الدينامو» الذي زرع الخلايا في الجنوب والوسط، وسهر على تنشيط الحركة الوطنية في تلك المناطق وأضفي عليها طابعًا شعبياً. وينسب إليه الدكتور عبد الجليل التميمي الذي جمع المذكريات وقدم لها بقلم المؤرخ الموضوعي أنه أول من أرسى تقليد «الاتصال المباشر» الذي ساعد زعماء الحزب الجديد على الخروج من الصالونات والاتحاح بالفعاليات الشعبية. ومن هذه الزاوية شكل الروسي رائدًا للتحديد السياسي في تاريخ الحركة الوطنية التونسية مثلما كان صديقه الطاهر الحداد وأبو القاسم الشابي رائدين للتحديد الاجتماعي والشعري. وتعكس مذكراته جوانب من هذه الصدقة خصوصاً حماولات حث الأهالي في مدينة دقاش، مسقط رأسه، على تعليم البنات، وجهوده لمساعدة الطاهر الحداد على جمع الاشتراكات مقدماً لإصدار كتابه التي نشرت فصول منها في جريدة «الصواب».

إلا أن الجانب الأهم الذي تكشفه المذكريات هو التباين بين مدرستين في قيادة الحركة الوطنية: الأولى رمز لها العصرانيون الذين عادوا من الجامعات الفرنسية وكانوا يعتقدون أن التحديث لا يمكن أن يتم إلا وفقاً للنموذج الغربي، والثانية متتبعة بالثقافة العربية الإسلامية درست في جامعة الزيتونة وتربدت على دروس الخلدونية، وكانت شخصيتها تنظرها إلى الشرق والمغرب أكثر من انبعاثها بأوروبا، فتفاعل مع أحداث فلسطين وتلاحم مع الحرب التحريرية في الجزائر والمغرب في الخمسينيات.

عن رئاسة الجمهورية في ١٩٨٧، وفي أجواء مسلسل إعادة الاعتبار لكثيرين من قادة الحركة الوطنية التونسية الذين كانت وسائل الاعلام و«التقييف الرسمي» تغفل ذكرهم، جاءت الكتابات على يوسف الروسي، وعلى غيره، لتحرى مراجعة حول جوانب كثيرة من تاريخ الحركة الوطنية التونسية لم يكن التشخيص الرسمي يسمح بها في عهد الرئيس بورقية المتهם بـ«استفراد قيادة الحركة الوطنية ومعركة الاستقلال». في ما يلي، وقعت العنوان الفرعية «مناقشة»، ثموج لهذه المراجعة التاريخية محورها يوسف الروسي.

مناقشة: كتب رشيد عشانة («الحياة»، العدد ١١٨٦٨، ٢٠ آب ١٩٩٥، ص ١٤) حول كتاب «مذكرات المناضل يوسف الروسي السياسية» الصادر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ١٩٩٥، ما يلي:

يكتب كتاب مذكرات يوسف الروسي أهمية خاصة في مسار إعادة كتابة تاريخ الحركة الوطنية في تونس، الذي تعرض لتشويه بالغ في ظل حكم الرئيس السابق الحبيب بورقية، إذ احتزله بسيرته الشخصية وهمّش دور الرعماء الوطنيين الذين سبقوه مثلما غيب نضالات القياديين الذين حايلوه وزاملوه في الحركة الوطنية.

إلا أن الروسي لم يكن زعيماً عادياً، فدائرة حضوره السياسي تتجاوز تونس لتشمل العالم من المغرب إلى العراق والكويت، إذ نسج علاقات متينة مع زعماء الحركة الوطنية في المغرب الأقصى والجزائر وربطه صداقات حميمة مع كبار رجال الدولة في كل من سوريا ولبنان والعراق والكويت ومصر، بالإضافة إلى فلسطين والأردن واليمن.

ويشكل كتابه هذا حلقة جديدة في حماولات إعادة كتابة تاريخ الحركة الوطنية التونسية بعد مذكرات الأمين العام السابق للاتحاد

بالاعتماد على معطيات دقيقة حالة التعليم والثقافة في كل من تونس والجزائر والمغرب. إلا أن دائرة نشاطه توسيع لتشمل أصدقاءه من الفرنسيين مثل المحامي فيليسيان شالاي الذي كان يتبادل معه الرسائل ويساعد قادة الحركة الوطنية التونسية.

ولعل ما يلخص مكانة الروسي في الشرق العربي تلك العبارة التي قالها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عندما جمع بين بورقيبة والروسي في القاهرة عام ١٩٦٤ بعد قطيعة طويلة، وقال بورقيبة لرفيقه السابق «عد إلى وطنك فهو يحتاج إليك». فرد عبد الناصر «بودنا لو ييق معنا فالعروبة بحاجة إليه أيضًا».

والثابت أن النهج الذي سطره الروسي لنفسه ولنضاله الوطني منذ البدء هو الذي يفسر الصدام الذي حصل بينه وبين الديوان السياسي. بمناسبة انضمام الأمين العام للحزب صالح بن يوسف لحكومة شنيق التفاوضية في ١٩٥٠، إذ أصدر بيانه الشهير المعارض له، وتكشف رسائله إلى الهادي شاكر المنشورة ضمن هذا الكتاب خلفية هذا الموقف، كما تكشف أيضًا صفحات مهمة أخرى من تاريخ الحركة الوطنية هي معارضته لاتفاق الحكم الذاتي في ١٩٥٥، والتي ناهضها بكل شدة، ولم يعد إلى تونس إلا في ١٩٦٤، أي بعد استكمال الجلاء العسكري والراعي.

ومنذ مغادرة قيادات الحركة الوطنية معتقل القدس نيكولا (جنوب فرنسا) في ١٩٤٣، تبلور التباعد في الرواية والأهداف الاستراتيجية بين بورقيبة والروسي، ففي ما عاد الأول إلى تونس وبدأ الاتصالات مع القنصل الأميركي هوكر دوليتل لم يستطع الحبيب ثامر ويوسف الروسي والحبيب بوقطفة والهادي السعدي المغامرة بالدخول إلى تونس فقفلا عائدين إلى أوروبا قبل أن تطاً أقدامهم أرض بلدتهم بسبب صدور حكم بالاعدام بحقهم.

وتشير، مذكرات الروسي إلا أن هذا الصراع بدأ منذ بوأكير الثلاثينات، ففي مؤتمر قصر هلال (١٩٤٣) اندلع خلاف حول فكرة ان «المتخرجين من فرنسا لا بد أن يكونوا مسؤولين» وعارض قياديون بارزون في مقدمتهم يوسف الروسي طريق الدخول الآلي للديوان (المكتب) السياسي لكل الأطباء والمحامين العائدين من فرنسا.

وحصلت محاولات للتراضية قبل قصر هلال لعل أهمها فكرة إدخال ثلاثة زعماء إلى «الديوان السياسي» هم الهادي شاكر ويوسف الروسي والحبيب بوقطفة مقابل ثلاثة من المتخرجين من فرنسا هم نويره وعالى البهلوان والمنجي سليم، لكن تم العدول عن الفكرة بسبب معارضة الروسي الشديدة لها.

وتبوأ الروسي منذ تلك الفترة مكانة مهمة ومركبة في «الحزب الدستوري الجديد» كونه صاحب الفضل في انضمام الجنوب إلى الحركة الجديدة.

واستمر دوره يتبلور ويظفو على السطح بالنهج المتميز الذي تونس والمواقف الصلبة التي وقفها في المتعطفات الرئيسية. وبعد الحرب العالمية الثانية أسس الروسي جريدة «المغرب العربي» في المانيا وكانت أول مرة تضاف فيها كلمة «العربي» للمغرب الذي كان يسمى «شمال إفريقيا»، وهو ما يعكس رؤية جديدة لإطار الحركة الوطنية التونسية في تلك الفترة.

ومن برلين انتقل إلى القاهرة ثم إلى دمشق واستمرت إقامته في المشرق تسع عشرة سنة نسج خلالها شبكة واسعة من العلاقات مع جميع الشخصيات والاحزاب العربية مشرقاً وغرباً وقدم خدمات حلية للحركات الوطنية المغاربية التي «كان الشرق يجهل عنها كل شيء» كما قال، من بينها الكتيبة الذي وجهه إلى مؤتمر الاونيسكو المنعقد في دمشق عام ١٩٤٨ والذي حل فيه

أهم المبادرات التي قام بها باسم مكتب المغرب العربي الاتصال بالأسرى المغاربة في أماكن اعتقالهم والسعى لدى السلطات الالمانية لتخفيض وطأة الأسر عنهم، وفعلاً نجح في اطلاق بعضهم فالتحقوا بـ مراكز عمل في المانيا حسب كفاءاتهم.

ولم يصدر المكتب سوى عددين من جريدة «المغرب العربي» الاول في ٢٦ شباط ١٩٤٥ والثاني في ١٤ آذار ١٩٤٥ أي قبل استسلام المانيا بنحو ٤٥ يوماً.

ومن اوروبا انتقل الرويسي إلى دمشق بعدما سجنته القوات الاميركية أحد عشر شهرًا في السجن العسكري في بروكسل على اثر استسلام المانيا.

وقام في كل من دمشق وبيروت وحلب بنشاط واسع لفائدة المغرب العربي ليس على صعيد رجال الحكم الذين عقد معهم صداقات وثيقة فحسب وإنما ايضاً في الاوساط الشعبية والسياسية والثقافية. وأقتع الرويسي بورقية بزيارة الشام ونظم له لقاءات مهمة مع رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء في سوريا ولبنان وقادة الاحزاب، بالإضافة لاجتماع شعبي حاشد في حلب. ولكن عكس هذا التناغم تقارباً بين الرجلين في محطتين مهمتين من رحلة بورقية إلى المشرق (دمشق والقاهرة)، فان رؤية الرويسي كانت تذهب إلى أبعد من تنظيم الحركات السياسية والاعلامية للضغط على فرنسا.

كان الرجل يخطط للمرحلة الخامسة، مرحلة الكفاح المسلح، وهو يقول في مذكراته في هذا الشأن انه استقطب الشبان إلى المشرق ليسجلهم في الكليات الحربية «ليتخرجو ضباطاً ويشكلوا ركائز الثورة المسلحة في بلدان المغرب العربي وكوادر الجيش الوطني في عهد الاستقلال». وتظهر الصور المنشورة وكذلك الرسائل الموقعة في الكتاب انه كان بمعابة الأب الروحي لكتير من الطلاب التونسيين والمغاربيين المسجلين في الكليات

وتوجه الروسي وشamer إلى المانيا حيث عملا على إنشاء مكتب المغرب العربي الذي عمل بين تشرين الاول ١٩٤٣ وآذار ١٩٤٥ وأصدرها جريدة «المغرب العربي» في برلين وشرع في تأطير العمال المهاجرين من تونس والجزائر والمغرب.

وفي برلين تعرف الروسي على مفتى فلسطين الحاج أمين الحسيني وربطه به صداقه حميمة كانت مفتاحاً لمعرفة شخصيات الصف الاول في المشرق.

وحضر هناك مؤتمر ٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ الذي دعا إليه الحاج أمين الحسيني بمناسبة ذكرى وعد بلفور وحضرته أعداد كبيرة من العرب مقيمين في اوروبا، وكانت فرصة للشخصيات المغاربية لاطلاع المشارقة على الاوضاع السائدة في المغرب العربي. ويدرك الروسي ان الحاج أمين قام بمساعي للافراج عن الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، «لكن الامان عارضوا (الفكرة) مراعاة جانب فرنسا واسبانيا» كما قال. ويدرك ايضاً ان الحاج أمين أعلمهم بأنه تلقى مساعدات مالية من شمال المغرب الواقع تحت النفوذ الاسباني لفائدة القضية الفلسطينية والقضايا العربية.

وانتقل الروسي إلى باريس في اواخر العام ١٩٤٣ وعقد اجتماعات مع اعضاء من حزب الشعب الجزائري واعضاء من حزب الكتلة المغاربية واتفق معهم على إنشاء حركة مغاربية تشمل المغرب وتونس والجزائر، وفعلاً غير اسم الحركة التي أنشأها في المانيا مع الدكتور شamer من «هيئة الحزب الدستوري» إلى «هيئة الحزب الوطني المغربي» (أي المغاربي لأن كلمة مراكش كانت هي التي تفيد الانساب للمغرب الحالي). واجتمع اعضاء الهيئة المغاربية في باريس مع «اتحاد عمال شمال افريقيا» وبخوا في اوضاع العمال المغاربيين وصيغ الدفاع عن حقوقهم المهدورة. وعندما عاد الروسي إلى برلين كانت أحد

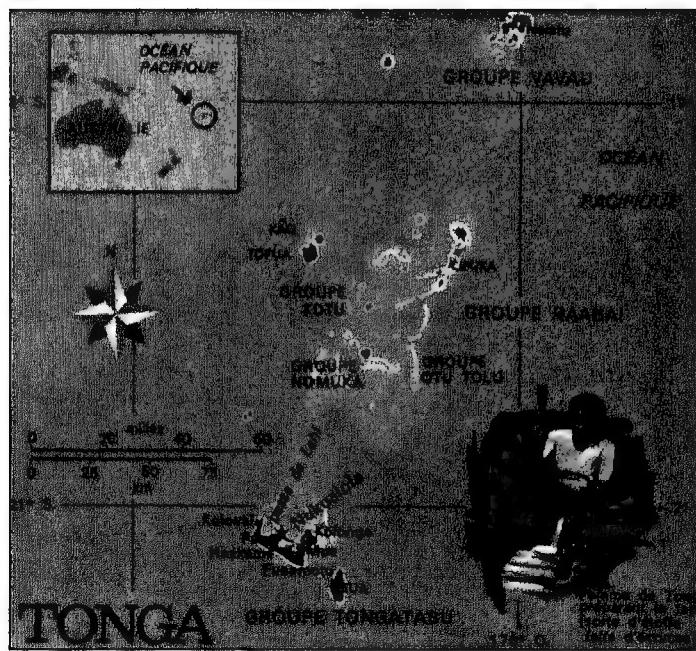
المغرب العربي وتنطلق مواهبهم في الخلق والإبداع ويساهمون في بناء المجتمع العربي الموحد على أساس الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية». هذه العبارات تلخص - كما هو واضح - برنامج روسيي الذي مختلف عن برنامج التيار السائد في «الديوان السياسي» والذي لم يكن يوحي قطعية ثقافية وسياسية من هذا النوع مع الغرب.

ويشكل هذا الكتاب الذي جمع وثائقه ومواده الدكتور عبد الجليل التميمي على مدى أكثر من عشرين سنة، مساهمة في كتابة تاريخ الحركة الوطنية التونسية على اسس موضوعية ولحظة مهمة في تبلور رؤية جديدة لحركة الاستقلال وأهدافها وإطارها الجغرافي والاستراتيجي والثقافي في شكل يساعد على تجاوز التشخيص السابق وينصف جميع الناضلين، خصوصاً أولئك الذين لم يكونوا من سجمن الثقافيين أو سياسياً مع قيادة الحركة الوطنية، لكنهم قدموها اسهامات جليلة ما زال يلفها النسيان.

الحربية المشرقة.

وفي وقت قياسي صار نشاط الروسي يشمل سوريا والأردن ولبنان وفلسطين والعراق والكويت وصولاً إلى مصر وكان عمله في هذه الدائرة الواسعة يتزوج ضمن رؤية مختلف جوهرياً عن الرؤية البورقيبية التي راهنت على تغذية التناقضات بين غلاة الاستعماريين والقوى الفرنسية المعتدلة وفي مقدمتها الاشتراكيون لكسب أنصار ومتخاطفين مع مطالب الحركة الوطنية وحمل فرنسا على الجنوح للتفاوض.

وفي المقابل كان الروسي يعتقد مثلما جاء في حلفيات تأسيسه مكتب المغرب العربي في دمشق عام ١٩٤٦ (مع الحبيب ثامر) أن نيل الاستقلال «سوف لا يتحقق إلا بتحقيق ثورة شعبية مسلحة تشمل جميع أقطار المغرب العربي تواكبها ثورة ثقافية تقضي على الاستعمار الثقافي وتعيد للمغرب (العربي) انطلاقة شخصيته العربية الإسلامية التي ظلت حبيسة الاحتواء الفرنسي عشرات السنين، وبذلك تتفجر طاقات أبناء



تونغا

لبلدة عامة

الاسم: مملكة تونغا. تعرف أحياناً باسم «الجزر الصديقة».

الموقع: جنوب المحيط الهادئ. وهي كنা�ية عن ثلاثة أرخبيلات من نحو 150 جزيرة، منها 36 جزيرة مأهولة. وهي مجموعة جزر من المجموعات التي تشكل جزر (أو منطقة) بولينيزيا. وجزر تونغا تبعد نحو 600 كلم عن جزر فيجي، والمسافة نفسها تقرباً تفصلها عن جزر كوك.

المساحة: 700 كلم م.

العاصمة: نوكو آلوفا (نحو 25 ألف نسمة). وأهم مدينة أخرى: نايافو.

اللغات: الإنكليزية، البولينيزية، والتونغية التي هي فرع من لغات ولهجات جزر بولينيزيا. الجدير بالذكر أن لفظة «تابو» (Tabou) المستعملة بكثرة في مختلف لغات العالم متأتية من البولينيزية حيث تعني «المقدس» أو «المعبد». واستعمالها المعروف والمتشر بشكل واسع له المعنى نفسه:

«المقدس» و«الذي لا يمس».

السكان: يبلغ تعدادهم نحو 100 ألف نسمة. أصواتهم بولينيزية. نحو 2% من مجموع السكان هم مهاجرون إلى نيوزيلاندا والولايات المتحدة الأميركيّة. يتمسّك السكان هناك بـ تقليد عدم بيع الأراضي إلى الآخرين، وقد تكرّس هذا التقليد قانونياً. نحو 78% بروتسانت، 15% كاثوليك، ويعتنق الباقيون معتقدات محلية إحيائية.

الحكم: النظام ملكيوريوري. وتونغا عضو في الكومنولث البريطاني. الدستور المعمول به صادر في 4 تموز 1875، وهو يمزج في الواقع بين المبادئ الديمقراطيّة المأخوذة من الغرب وبين المفاهيم الاستقراطية الموارثة من حضارات الباسيفيكي التقليديّة. الهيئة التنفيذية هي المجلس الخاص برئاسة الملك الذي يعين أعضاءه ويختار رئيس الجمعية التشريعية. وهذه الجمعية مولّفة من سبعة مستشارين للملك، ومن سبعة أعضاء من الطبقة الاستقراطية ومن سبعة آخرين منتخبهم الشعب. الملك الحالي: تاوفا آهوا توبو الرابع

فأطلق كوك على الجزر اسم «جزر الأصدقاء». وما يزال هذا الاسم يطلق على جزر تونغا حتى اليوم.

قام المرسلون المسيحيون بمحاولتين للاقامة في الجزر: واحدة في ١٧٩٧، والأخرى في ١٨٢٢ ولكنهم اخفقوا في المحاولات. ثم توصلوا، في ١٨٣٠، إلى عقد اتفاق مع أحد الزعماء المحليين، بعد أن غمروه بالهدايا (منها أسلحة وذخائر)، فاعتنق المسيحية ولحقه أتباعه. ثم أصبح السيد المطلق في جموعة جزره، أو في أرخبيله (أرخبيل ها آبو، وتونغا هي من ٣ أرخبيلات) أولاً، ثم في أرخبيل فافو، وأخيراً في أرخبيل تونغا تابو.

وفي ١٨٤٥، وبعد أن أكد سيطرته على كامل جزر تونغا أعلن نفسه ملكاً باسم جورج توبو الأول. وخلال السنوات العشر الأخيرة من عهده (توفي في ١٨٩٣)، غرفت البلاد في نزاعات دينية. فتصحّه أحد مساعديه، شيرلي بيكر (أحد المرسلين في تونغا)، باعلان «كنيسة تونغا الميثودية الحرة».

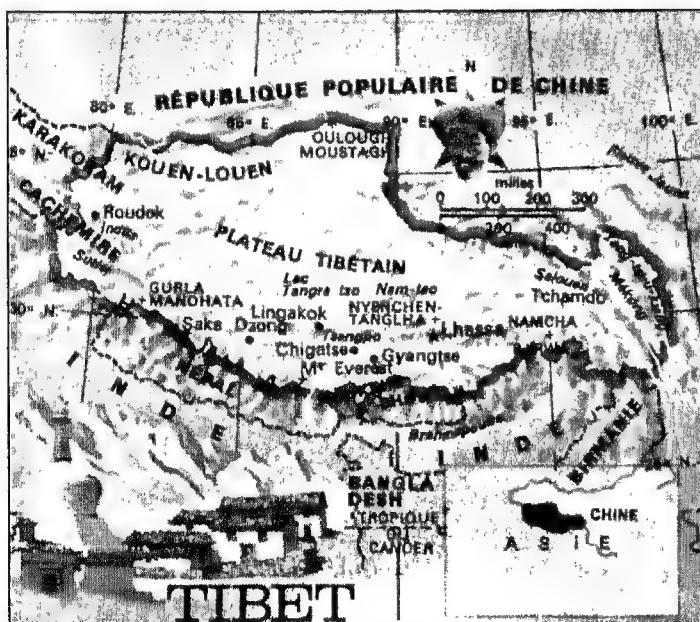
أصبحت تونغا محمية بريطانية في ١٩٠٠. وحكمتها الملكة سالوت توبو من ١٩١٨ إلى ١٩٦٥. ثم خلفها إبنتها توبو توونغي الذي كان رئيساً لوزرائها منذ ١٩٤٥. نالت تونغا استقلالها، في إطار الكومنولث، في ٤ حزيران ١٩٧٠.

(مولود في ٤ تموز ١٩١٨)، يزن ١٦٠ كلغ ولا يتنقل إلا معه كرسيه الخاص، ويتمتع بشعبية كبيرة في بريطانيا.

الاقتصاد: الزراعة هي القطاع الاقتصادي الأهم. يعمل فيها نحو ٥٠٪ من مجموع العاملين. ويعمل ١٠٪ في الصناعة، و٤٠٪ في الخدمات. نحو ٧٥٪ من الاراضي مزروعة، وأهم المزروعات جوز الهند واللوز والبطاطا الحلوة. وهناك اهتمام بقطاع تربية الماشية، والسياحة (نحو ٤ ألف سائح سنوياً). الاوراق البريدية تشكل نحو ٨٪ من العائدات. في ١٩٨١، أنشيء مطار برووس أموال ليبية. أكتشف النفط، في ١٩٧٧، في جزيرة تونغا تابو.

نبيلة تاريخية: تونغا من أقدم المالك في الباسيفيك. يعتقد المؤرخون أنها تعود إلى القرن العاشر، وكان يحكمها أباطرة، أو «أنصاف آلهة»، على الطريقة اليابانية. وكانت سلطتهم تتدحرجاناً لتشمل بعض مناطق بولينيزيا. وكانت صلاحياتهم وألقابهم تنتقل بالوراثة إلى الأبناء الأكبر.

اكتشف الأوروبيون تونغا في ١٦٤٣. وكان أولهم المستكشف المولندي آبل جنسزون تاسمان، ثم البحارة الانكليز، فالاسبان. وقد استقبل أحدهم، جيمس كوك الشهير، في القرن الثامن عشر، بحفاوة بالغة من السكان الأصليين،



التبت

بطاقة تعريف

اللغة: التibيتبية. تعود إلى اللغة السنسكريتية، لغة الهند القديمة.

السكان: يبلغ تعدادهم نحو ٦ ملايين نسمة (تقديرات ١٩٩٦) وكانتوا نحو ٣ ملايين في منتصف هذا القرن. يدينون باللامائية، وهي فرع من البوذية.

الحكم: تخضع للسلطة في بكين.

الاقتصاد: ثروات التبت المحمية: الفحم، الملح، البوراكس، الذهب، الحديد، والنفط. منتجاتها الزراعية: القمح والحنطة، الخضار، الحليب ومشتقاته. صناعاتها: المناجم، أشغال يدوية، أقمشة وأصوات. وثمة جهود صينية لا تزال تبذل لبناء المصانع التي تحل محل آلاف الأديرة اللامائية (البوذية) تبعًا لخطة إقتصادية-اجتماعية منهجية.

الموقع: تقع التبت (Tibet) في وسط آسيا، جنوب غربي الصين. تحيط بها بورما، الهند، النيبال، كشمير والصين.

المساحة: مليون و ٣٠٠ ألف كم م..

العاصمة: لاسا (Lhassa)، تقع على ارتفاع ٣٦٠٠ م. يحيط بها نهر تسانغ بو (وهو الإسم التibيبي لنهر براهما بوترا الذي يحيط الهند وبنغلادش والتبت ويبلغ طوله ٣ آلاف كيلومتر). تعد نحو ١٠٠ ألف نسمة، أشهر مبني فيها هو قصر «بوتالا» الذي شيد في القرن السابع عشر ليكون مقراً للدالاي لاما وفي منطقة كانت مأهولة منذ القرن السابع. زارها عدد قليل من الأوروبيين بسبب صعوبة مسالكها والوصول إليها. غالبية سكانها إما رجال دين (كهنة) وإما من الموظفين. أهم المدن: شيجاتسيه، جيانغتسىه.

نبذة تاريخية

على السيطرة على التبيت. وفي ١٩٠٤، شقت بعثة انكليزية طريقها إلى لاسا حيث حصلت على ضمادات تجارية للامبراطورية البريطانية. وبين ١٩١٣ و١٩١٤، عقد مؤتمر في سيملا في شمال الهند بهدف تطبيع العلاقات بين بريطانيا والتبيت والصين. ومن نتائج هذا المؤتمر تعين الحدود بين الهند والتبيت دعي خط ماك ماهون (كان السير آرثر هنري ماك ماهون ممثل بريطانيا في هذا المؤتمر). ولما لم توقع البعثة الصينية على هذه المعاهدة، بقي خط ماك ماهون موضوع جدال وخلاف بين الصين والهند.

وبقيت التبيت مستقلة حتى ١٩٥٠، وكانت البلد الأكثر انعزلاً في العالم، وحتى جاره الغربي أفغانستان الذي يضرب المثل بانغلاقه كان يبدو «حديثاً» بالمقارنة معه. ولو لم تسقط في التبيت في ١٩٤٤ طائرة استطلاع أمريكية لتفاد وقودها، لما عرف أصلاً بأن ملة حضارة ما زالت قائمة هناك.

الغزو الصيني: في ٧ تشرين الأول ١٩٥٠، أصدر الرعيم الصيني ماو تسي تونغ أمره إلى الجيش الأحمر الصيني بـ«تحرير البلد العالي من الاستطهاد الامريكي» (البلد العالي هو معنى إسم التبيت باللغة التibetية). ورغم أن تعداد التبيتنيين ما كان يتعدى في حينه ثلاثة ملايين نسمة، فإن عاصمتهم لاسا-بالمئتين ألفاً حيئت من سكانها. لم تسقط إلا بعد نحو سنتين من بدء الهجوم الصيني. فعدا المقاومة التي أبدتها التبيتنيون فإن الوصول إلى عاصمتهم، الواقعة على ارتفاع ٣٦٠٠ م كان يقتضي قطع آلاف

قديماً: نحو العام ٦٢٠، أسس زعيم قبلي يدعى سروغسان غامبو، مملكة في وادي تسنجبو الواقعة بين وسط البلاد وجنوبها. وبلغ هذا الرعيم من القوة والشأن حتى أجبر الاميراطور الصيني (من أسرة تانغ) على تزويجه ابنته الاميرة ون تشان. وفي القرن الثامن، أصبحت التبيت دولة عسكرية ذات شأن بين بلدان ودول وسط آسيا. وقد كان ملوكها الجغرافي الدور الأول في حمايتها من الغزوات الخارجية حتى القرن الثامن. وكانت منذ أواسط القرن السابع قد اعتنقت البوذية. وفي القرن الثامن، خضعت للمغول كباقي مناطق وسط آسيا، وتحت سيطرتهم اخترق النظام الملكي فيها (٨٥٠)، واعتمدت سلطة ثيوقراطية سارت عليها حتى اليوم، وعزّز المغول هذا الاتجاه (سلطة اللامات، أي الرهبان البوذيين) ابتداء من القرن الثالث عشر. وفي ١٢٧٠، أصبح كوبيلاي خان، أكبر القادة المغول، سيد الصين دون منازع، وتبني اللامائية (فرع من البوذية) دينا للدولة، وعين كاهناً لاماً ملكاً على التبيت. وفي ١٦٤٢، آلت السلطة الزمانية الموحدة إلى كبير هؤلاء الرهبان، الدالاي لاما، الذي يعتقد التبيتنيون أنه يتقمص شخص الله الحامي للتبيت.

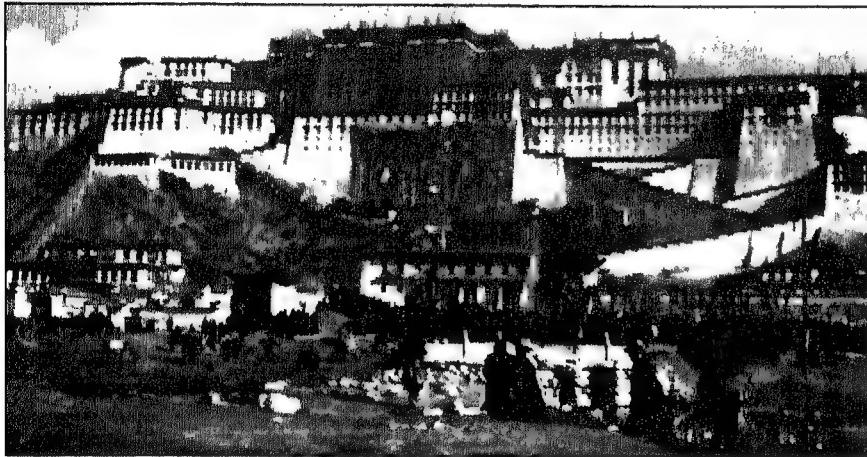
حديثاً: في أواخر القرن التاسع عشر، أصبحت الصين، بسبب وهنها غير قادرة



رهبان: العلم والتلميذ، ينتميان إلى طقس «سا-سكيابا» البوذي. الألوان تشير إلى تأثير المدرسة البوذية النيبالية على المعتقد البوذي في التبت (لوحة تعود إلى القرن الثامن عشر، متحف اللتوون الجميلة في بوسطن).

أحد الأديرة البوذية. يعود بناؤه إلى القرن الثاني عشر. في الصبيت نحو ٢٥٠٠ دير، كانت مراكز الحياة الروحية والثقافية للبلاد، وكان الرهبان يقومون بأعمال الزراعة والطبع ونسخ المخطوطات.





«بوتالا»، قصر الدالاي لاما،
قرب العاصمة لاما. تأسس
في القرن السابع على يد
سرولغ-يتسان-بو. بنته
الحالية تعود إلى القرن السابع
عشر أيام الدالاي
لاما الخامس.

وصل إلى أكثر من ألفي قتيل (وهذا رقم لم يتأكد حتى اليوم). وقد أثارت المزائِم الصينية، في بداية الأمر، حماس التibetيين الذين كان الجنود قد بدأوا يشجعونهم ويساعدونهم، فأعلنوا عن طريق المجلس التibetي «كاشا» الاستقلال الناجز لبلادهم ابتداء من ١٩ آذار ١٩٥٩. هنا لم يعد في إمكان الصينيين السكوت أكثر من ذلك، هم الذين كانوا يعلمون أن أي هزيمة قد تلحق بهم في التibet ستؤثر سلباً على علاقاتهم السيئة مع السوفيات من ناحية، ومع الهند من ناحية أخرى، فعملوا على تعزيز قواتهم المرابطة في التibet بوحدات مقاتلة أرسلت بسرعة إلى المنطقة، وتمكنوا خلال الأيام التالية من سحق الانتفاضة وتحويل إعلان الاستقلال إلى حلم بعيد المنال.

فما إن أطل صباح ٢٩ آذار ١٩٥٩ حتى كانت ثورة التibetيين قد انتهت. أما الدالاي لاما فاختفى ليعود ويظهر في الهند. وقد أراح ابعاده الصينيين، فعيّنا بدليلاً له الباشان لاما. وكان الصينيون، منذ احتلالهم التibet في ١٩٥١، قد استنكفوا عن

الكيلومترات والاتفاق حول القمم الجبلية الشاهقة المحيطة بها على ارتفاع خمسة آلاف م وشق طريق -بالمعنى الحقيقي للكلمة- عبر أودية ومرتفعات ما مررت بها آلية حديثة قط.

أصبحت التibet، بسقوط عاصمتها لاسا، منطقة ذات حكم ذاتي في إطار جمهورية الصين الشعبية. لكن نظام الحكم هذا أُلغي في العام ١٩٥٩ عقب انتفاضة التibetيين الاستقلالية التي قمعها الجيش الصيني بسرعة ووضع التibet تحت إدارة بكين مباشرة. وعمدت هذه إلى تزخيم عمليات «تصنيتها» للتibet.

إنتفاضة ١٠ آذار ١٩٥٩: في ١٠ آذار ١٩٥٩، اندلعت إنتفاضة تibetية عارمة حين كان التibetيين يحتفلون بعيد رأس السنة لديهم، إذ حدثت مناوشات بينهم وبين الجنود الصينيين سرعان ما عرفت وراحت تتواتر، فقامت مجموعات ثائرة بـهاجمة الثكنات والحاميات الصينية، وتكلمت وسائل الإعلام في حينه على أن عدد القتلى الصينيين خلال الأيام الأولى للإنتفاضة

وقد جرت تنشئته في دير بوذي في قلب جبال الهملايا، ولم يعرف من وسائل اللهو سوى رقاع الكتب المخطوطة الحاوية لتراث يزيد عمره على ألف سنة.

علاقاته بالصين: عندما تسلم السلطة الروحية والزمنية معًا في اليوم الحادي عشر من الشهر العاشر من سنة «النمر الحديدي» الموافق ١٧ تشرين الثاني ١٩٥٠، كان لا يزال في السادسة عشرة، فبات يلخص في شخصه كل شعب التبيت. وسعى، منذ اليوم الأول لتفاهمه مع النظام الشوري الجديد في الصين الذي كان قد رفع شعار تحرير التبيت من التخلف والاقطاع مفصحًا بذلك عن رغبته في ضم التبيت إلى الصين. فقصد بكين في ١٩٥٤ حيث التقى مارensi توونغ، وشوان لاي اللذين نصباه رئيسًا على «اللجنة التحضيرية لإنشاء منطقة التبيت المستقلة». لكن الأوضاع سرعان ما تدهورت مع ظهور بور تمرد مسلح في مناطق عدة من التبيت. فحاول الصينيون عبًًا ان يعارضوا سلطته المطلقة بسلطة صناعة لهم فرضوه نائبًا له هو «البانتن

التخلص من الدالاي لاما بسبب مكانته المقدسة لدى التبيتيين، ورما حاولوا التعايش معه. فتعتمدوا، منذ ١٩٥١، تعين مساعد له تحت إسم «بانتن لاما». وخلال الانفاضة (١٩٥٩)، قصفوا قصره في لاسا رغم انه لم يكن من الشابات ضلعه في الانفاضة التي قادتها بشكل أساسي قبائل «خامباس» المعروفة بقوة الشكيمة.

Dalai Lama

إسمه وطفولته: نغوانغ لوزانغ تzin Nagawang Losang Gyasto هو الزعيم الروحي والزمي للطائفة البوذية في التبيت (المعروف بـ«اللامائيّة»، أي الدالاي لاما الحالي الذي يأتي ترتيبه الرابع عشر في سلسلة الدالاي لamas التي بدأت منذ العام ١٦٤٢.

ولد في قرية تاكسنر (في التبيت) العام ١٩٣٥. كان لا يزال في الخامسة من عمره عندما نصب، في ١٩٤٠، ملًّا إلهيًّا في قصر بوتala الملكي في لاسا عاصمة التبيت، بعد أن جرى التتحقق من هويته المتتسخة.

دخول الصينيين
التبيت في ١٩٥٠.



الجيش الصيني (٧ تشرين الأول ١٩٥٠)، عقد الدالاي لاما مؤثراً صحفياً، وتناقلت على أثره، وسائل الاعلام العالمية «معلومات» أفضى بها لامارات التبيت حيث جاء ان «الصينيين، منذ اجتياحهم البلاد، قتلوا نحو ١٠٢ مليون تبيتي بريء، وهدموا ٧ آلاف بين دير ومسكن وقصر، وهرّبوا نحو ٢٠٠ طن من الذهب والفضة...».

في ١٩٨٩، فاز الدالاي لاما بجائزة نوبل للسلام. فاعتبر هذا الفوز مثابة توثيقاً لنضاله السلمي ومناسبة توقف العالم عندها بما تعنيه من تذكير بـ«مأساة ذلك الشعب المسي والمظلوم» حسب تعبير دانيال ميتان قرينة الرئيس الفرنسي فنسوا ميتران، وقد تسربت الجائزة في سحب السفير الصيني المعتمد لدى النرويج. وفي السنة نفسها (١٩٨٩)، توقي البانن لاما (ثاني أرفع مقام ديني في التبيت)، ولم يخلفه أحد. ذلك ان الطفل التبيتي الذي عمدة السلطات الصينية إلى اختطافه، في ما بعد، كان قد جرى تعرفه من قبل السلطات البوذية العليا على انه المتقمص الحي لشخص البانن لاما. وحدث الاختطاف هذا، وما يمثله من معان تبيتية، كان وراء أغرب طلب سياسي في تاريخ الدبلوماسية الدولية، إذ قرر البرلمان الأوروبي في ١٣ تموز ١٩٩٥ التقديم بطلب إلى السلطات الصينية باعادة الحرية إلى الطفل جدهم شوكبي نيماء، الذي لا يجاوز السادسة من العمر، والسماح له وأسرته بالعودة إلى قريتهما التبيتية. واعتبر البرلمان الأوروبي ان خطف هذا الطفل

لاما». وعندما اعممت الثورة ضد الصين وتوحدت الحركات المسلحة لتشكل «حركة الانهر الاربعة والجبال الستة»، وشملت العمليات العسكرية العاصمة لاسا (١٩٥٩، سنة «الخنزير البري»)، تدخل الجيش الصيني بقسوة وقمع الثورة وقضى على عشرات آلاف الثوار. فاضطر الدالاي لاما إلى الهرب والتوجه إلى الهند مع مئة ألف شخص من أنصاره.

في هذا العام نفسه (١٩٥٩)، حاز الدالاي لاما على «الدكتوراه» في الميافيزيقا الذي جرى امتحانها في القاعة الكيري لدير جو خانغ، الدير الأكثري تججلاً لدى التبيتيين، والذي حضره وشارك في النقاش فيه آلاف من الرهبان واللاهوتيين المثلين لمختلف مدارس البوذية التبيتية.

في الهند، حكومة منفى: في دهاراما، في الهند، شكل الدالاي لاما حكومة تبيتية في المنفى، ووضع دستوراً ديمقراطياً للتبيت ليبدأ تطبيقه في حال عودته إلى بلاده. وعلى الرغم من انه لا يزال (أواسط ١٩٩٦) منفياً في الهند، فإن السنة ملايين تبيطي المقيمين في مقاطعة الصينية إضافة إلى التبيتيين في المقاطعات الصينية الأخرى المجاورة لها، لا يزالون يعتبرونه زعيمهم الكبير. وهو لا يكف عن التحول في العالم مدافعاً عن قضية بلاده التي تمكن من جعلها حية في اذهان العالم.

في تشرين الاول ١٩٨٧، وفي أجواء مظاهرات عنيفة في التبيت دعا إليها اللامارات هناك، بمناسبة ذكرى اجتياح



وصول الدالاي
لاما إلى الهند
في آذار ١٩٥٩

أغلقت مقر مؤسسة «فريدريش ناومن» في بكين «احتجاجاً على التدخل في شؤونها الداخلية».

في البلدان الكثيرة التي زارها كان الدالاي لاما يلقى الترحاب من مضيقيه، الرسميين وغير الرسميين، في ما عدا زيارته إلى إسرائيل (آذار ١٩٩٤)، كضيف على «جمعية حماية الطبيعة»، حيث تعرض له عدد من اليهود الأورثوذكس، وهو في زيارة لحائط المبكى (أهم المراكز الدينية اليهودية)، وأسمعوه كلاماً نابياً واصفين إياه بـ«غبي وبخون».

مناقشة: لاعنف الدالاي لاما

وليبراليته: «أثبت الدالاي لاما مقدرة هائلة، حالاً أخذ طريقه إلى المنفى، على التعاطي مع وقائع العالم الحديث ورجاله وعلى هضم ثقافة العصر ومداورة لغة الحداثة السياسية من خلال تكيفها مع

(الذي كانت السلطات الدينية البوذية قد عرّفته على أنه المتقمص الحي لشخص الバانتن لاما) هو جزء من خطة «تصين» التبيت وهو هويتها القومية والدينية والثقافية واللغوية المتميزة تاريخياً عن الصين منذ سحيق الأزمنة.

وفي أواسط حزيران ١٩٩٦، عقد في بون مؤتمر دولي حول التبيت، دعت إليه مؤسسة «فريدريش ناومن»، حضره الدالاي لاما وأعضاء من «حكومة التبيت في المنفى»، وأقر مطالبة بكين بفتح حوار مع الرعيم الروحي الذي أكد أكثر من مرة، في السنوات الأخيرة، أن هدف شعبه ليس الانفصال أو استخدام العنف وإنما الوصول إلى حل سلمي لقضية شعبه، مشيراً إلى أن كفاحه «يتمحور حول الثقافة والدين في التبيت وليس حول الهيكلية السياسية للبلده». وأدى انعقاد هذا المؤتمر في المانيا إلى أزمة سياسية بينها وبين الصين الشعبية التي

الثقافة البوذية التي تحرم قتل كل كائن حي، إنساناً كان أم حيواناً. ولقد كان أول من وصف هذا المفهوم في خدمة النضال السياسي هو غاندي، كما هو معروف. ولكن الرؤييم الهندوسي الكبير يستغل هذه ظرفاً مواتياً: فتعداد قوات صاحبة الجلالات البريطانية في الهند ما كان يزيد على خمسين ألفاً في قبلة ثلاثة مليون هندي في ذلك الحين. ولكن توظيف الدلالي لاما لمفهوم «اللاعنف» يأتي في سياق معاكس: فالتيتيون يكونون قد اختاروا الانتحار الجماعي فيما لو اختاروا طريق المقاومة المسلحة: فهم ملايين ستة في قبلة بليون صيني، ولا تفصل بينهم محيطات ولا قارات كما في حال الهند وإنكلترا. وفضلاً عن ذلك فإن «سقف العالم» الذي تمثله الهضبة التبتية ما عاد يوفر لهم أي حماية منذ أن أجزر الصينيون شق طريقين حديثين يقطعنها طولاً وعرضًا.

من هنا الرهان الديمقراطي والسلمي للاما التييت الذي لا يفتا يطوف ببرلمانات العالم ويعتلي المنابر الدولية، كلما ستحت الفرصة، ليدعوا إلى احترام حقوق الانسان والتوقف عن اتهماكها في التبيت. ولكن عندما تتحدث عن الرهان الديمقراطي يجب ان يكون مثلاً أمام اذهاننا ان المقصود ليس الديمقراطية في التبيت، بل في الصين نفسها او لا. فصحيح ان مسألة التبيت هي في نظر الدالاي لاما مسألة سياسية ووجه من وجوه المسألة الاستعمارية والسيطرة الكولونيالية، ولكن عدم تكافؤ القوى، والمشروعية الدولية التي باتت تتمتع بها الصين، ولا سيما بعد ان اقر

حاجات المقاومة التبيطية.

فهو على سبيل المثال يداور ببراعة المفهوم القانوني عن جريمة إبادة الجنس البشري الذي رأى التور في القانون الدولي غداة الحرب العالمية الثانية لتوصيف جرائم النازية بحق الشعوب. ولكن إبادة الجنس التي يتحدث عنها، بالاحالة إلى التجربة التبيتية، هي الإبادة الثقافية. فتصنيف التبيت، خلال أربعين سنة من الاحتلال، يأخذ بكل تأكيد طابعاً مادياً: عشرات آلاف من المستوطنين الصينيين الذين يقطنون على التبيت بدافع مباشر من سلطات بكين، التعقيم الاجباري للنساء التبيتات وتعيم الاجهاض. ولكنه يأخذ أيضاً، وفي المقام الأول، طابعاً ثقافياً. مما يجري هو تدبير مبرمج لـ«حضارة» بكماتها وإلغاء للشعب التبيتي، لا من حيث هو الشعب، بل من حيث هو شعب مختلف. الواقع ان الاحتلال الصيني للتبيت لا يمكن وصفه بأنه احتلال استعمالي: فالتبنيون تصاعفوا تعدادهم خلال العقود الاربعة من هذا الاحتلال من ثلاثة ملايين إلى ستة. ولكن الخصوصية التبيتية هي التي تخضع إلى عملية « حتّ» طويلة النفس، ومنتطر له قوله الانقاضية الأكيدة: فعندما تدمر آلاف المعابد والاديرة لتقام مكانها على ما يقال- ورشات ومصانع ومحطات كهربائية ومدارس، فإنه بوسع السلطات الصينية ان تقول انها لا تخدم بذلك سوى مصلحة

وذلك هو أيضًا شأن مفهوم «اللاعنف» الموروث-على العكس- من



رئيس بلدية باريس (الرئيس الفرنسي الحالي) جاك شيراك مستقبلاً الدالاي لاما (١٩٨٢).

والديمقراطية وسيادة القانون لا تقل عن حاجة الشعب التبت. وبقدر ما تسير الصين إلى طريق الديمقراطية العالمية وبقدر ما تشجع على السير فيه، ينفرج أمام التبتيين الأمل في حل متفاوض عليه. والتطرف لا يساعد على كسب معركة الديمقراطية داخل الصين. ورغم أن خصوم الدالاي لاما ومتقديه داخل الكنيسة البوذية نفسها يلومونه على موقفه «التسووي» و«المتساهل»، فقد رفض وما زال يرفض - اعلان استقلال التبت من طرف واحد. فاعلان كهذا من شأنه ان يمحكم بالموت والاندثار على الأمة التبتية. والحال ان المطلوب على العكس ان تبقى على قيد الوجود، وان تتمسك قدر المستطاع بهويتها الثقافية، إلى ان تدق ساعة التفاوض مع عودة الديمقراطية والحرية إلى الصين نفسها.

وبديهي ان موقف الدالاي لاما هذا، على اعتداله، مرفوض من السلطات الصينية الحالية. فهذه السلطات لا تزال تتمسك بنص الاتفاق في سبع عشرة نقطة الذي وقع في ٢٣ ايار ١٩٥١ بين ممثلى الحكومة المركزية

لها المجتمع الدولي المستعمر البريطاني السابق بحقها في استرداد جزيرة هونغ كونغ، وكذلك بلوغ العتبة الذرية التي باتت تمنع قيام حرب محدودة بين الصين والهند كمثل تلك التي دارت بينهما في ١٩٦٢ بسبب التبت تحديداً، كل ذلك يجعل الزعيم الروحي والزماني للشعب التبتي يدرك ان حل مسألة الصينية مرهون بحل داخلي وديمقراطي لمسألة الصينية نفسها. فما لم يتخلص الشعب الصيني، كما قال الدالاي لاما في خطاب له مشهور أمام لجنة الشؤون الخارجية للبرلمان الالماني في حزيران ١٩٩٥ من «الدولة التوتاليارية الحالية» ليقيم بدلاً منها نظاماً ديمقراطياً يحترم حقوق الانسان والشعوب، فلن تعرف المسألة التبتية بداية حل. فوحدتها صين ديمقراطية ومنفتحة ومحترمة للحرية ولقيمتها تستطيع ان تفاضل على حل عادل وسلمي وديمقراطي للمشكلة التبتية. وبقدر ما يتمسك شعب التبت بطريق اللاعنف يسهم بدوره في إعادة نصب «جدار الديمقراطية» في ساحة بكين الكبير. ف الحاجة الصين إلى حقوق الانسان

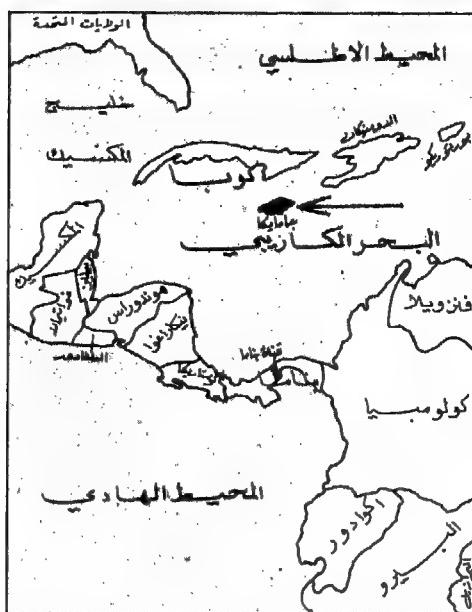
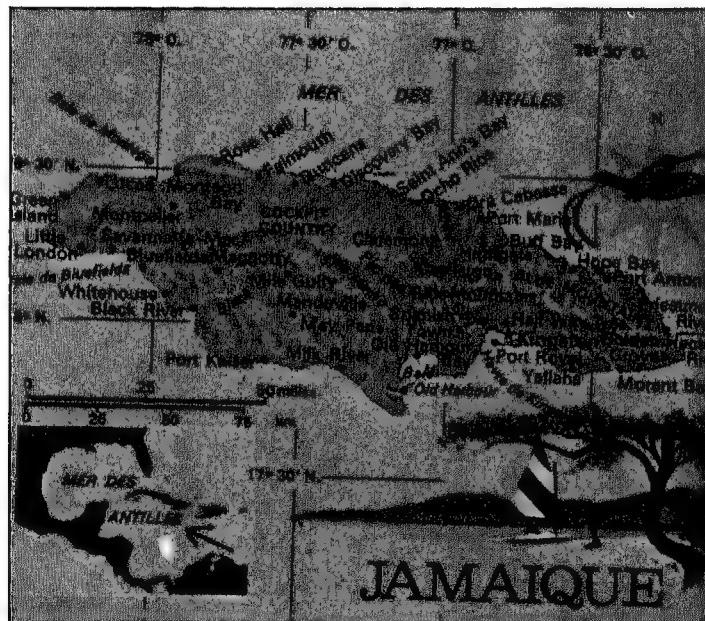
ويبن سائر مناطق الصين علاقة شمال بجنوب، أو علاقة مركز متتطور باطراف متخلفة. وتماماً كالامبراطورية السوفياتية بالأمس والامبراطورية الروسيةاليوم، فإن «الامبراطورية» الصينية لا تقف في منحي تمام من النزعات الانفصالية. والديمقراطية قد تنتهي بلسان التفجير القومي مثلما تنتهي بلسان التحرر الداخلي. وما تراهن عليه السلطات الصينية الحالية من لبرنة اقتصادية بدون ديمقراطية سياسية لا يكفي لكتم اصوات الاخوة غير الاشقاء في الأسرة الصينية الكبيرة، ومنها صوت التبتين. فاللبرنة الاقتصادية تستتبع لا محالة على المدى الطويل انفتاحاً سياسياً وانفتاحاً قومياً و«أقامياً». وفي سياق هذا الانفتاح يكتسب رهان كبير لامارات التبت عقلانية: فهو البديل عن دم كثير يسفع وعن انغلاق جديد لـ«البلد العالى» ضمن أسوار جباله الطبيعية وثقافته القروسطية» (من تحقيق جورج طرابيشي لكتاب Claude Levenson, *La Chine Enavahit le Tibet*, Ed. Complex, Bruxelles ١٩٩٥، تاريخ ٢٦ ت ١٩٩٥، ص ١٤).

الصينية ومثلي حكومة التبت «المحليّة». والحال ان هذا الاتفاق ينص، من السطر الاول فيه، على ان «القومية التبتية» هي واحدة من الاقليات القومية العديدة التي تُولف، مع القومية الصينية الكبرى، جزءاً لا يتجزأ من «الوطن الأم الكبير» وتعمل معها يدًا بيد على بناء جمهورية الصين الشعبية ضمن نطاق من الاستقلال القومي الذاتي المحلي الذي يحفظ لها مساواتها القومية ويصونها من الواقع محددًا بين براثن الامبراطورية وقوى العبودية والظلمامية. الواقع ان «العائلة الصينية الكبرى» التي تشكل بالbillions والمليئ ملايين من افرادها خمس سكان العالم، تتألف من عدد كبير من الاخوة غير الاشقاء. فعدد «الاقليات القومية» فيها لا يقل عن ٥٥، ينطوي كل منها بلغته الخاصة. وفضلاً عن ذلك، فإن الصين المركزية نفسها تتوزع جيوسيتيكيًا إلى ثلاث «صينات»: الصين الساحلية، والصين الداخلية، والصين المحيطية المقطرة بغالبية من غير الصينيين.

والحال ان الصين الساحلية هي وحدتها تحكم الدينامية الاقتصادية، فيما تقوم بينها

بجزء بخليج تسو
(على علو ٤٠٠ م)
على الحلود الفاصلة
بين التبت وكشمير.





جامايكا

بطاقة تعريف

الاسم: Xaimaca وتعني أرض الغابات والمياه.
وهو إسم أطلقه هنود الأراواك على البلاد.

العاصمة: كينغستون، وتعد نحو ٨٠٠ ألف نسمة. أهم المدن: مونتيغو باي (نحو ٧٥ ألف نسمة)، سانشيز تاون (نحو مائة ألف نسمة)، ومانديفيل.

الموقع: جزيرة جبلية من جزر بحر الأنتيل. تبعد ٩٠ ميلاً إلى الجنوب من كوبا، و ١٠٠ ميل إلى الغرب من هايتي.

المساحة: ١٠٩٩١ كيلم². طول

اللغة: الانكليزية (رسمية).

السكان: كان تعدادهم في العام ١٩١١ نحو ٨٣٢ ألف نسمة، وفي العام ١٩٦٠ نحو مليون و٦٢٥ ألف نسمة، وأصبح تعدادهم حالياً (تقديرات ١٩٩٦) نحو مليونين و٤٠٠ ألف نسمة؛ نحو ٧٤٪ منهم من أصول إفريقية، و١٢،٨٪ خلاسيون، و٩٪ صينيون وهنلدوis واوروبيون ولبنانيون. نحو ٧٥٪ بروتستانت، و٥٪ كاثوليك، والباقيون يعتقدون معتقدات دينية ذات طابع إفريقي، من بينهم نحو ١٠٠ ألف من «الراستافاريين» الذين يضمرون إجلالاً عظيمًا للنجاشي («النجاشي» لقب امبراطور اثيوبيا سابقًا؛ ومنهم أيضًا المغني الجامايكى الشهير بوب ماري؛ وما يدعون إليه العودة إلى إفريقيا.

الحكم: نظام الحكم ملكي برلماني. والدولة عضو في الكومنولث البريطاني. الدستور المعروف به يعود إلى ٦ آب ١٩٦٢. رئيس الدولة الملكة إليزابيث الثانية.

الحاكم العام منذ أول آب ١٩٩١ هوارد فيليكس هانلن كوك، ويقترح رئيس الوزراء اسم الحاكم العام وتعيينه الملكة. رئيس الوزراء منذ ١٩٨٩ مايكل مانلي. وتمثل السلطة التشريعية بمجلس الشيوخ (٢١ عضواً يعينهم الحاكم العام) ومجلس النواب (٦٠ عضواً منتخبًا

بالاقتراع العام والشامل). وفي جامايكا حزبان رئيسيان: حزب العمال الجامايكى، تأسس فى العام ١٩٤٣، وزعيمه الحالى إدوارد سىغا (مولود ١٩٣٠)؛ والحزب الوطنى الشعوى، تأسس فى ١٩٣٨، وزعيمه الحالى برسيل باترسون.

الاقتصاد: تؤمن الزراعة حوالي ٧٠٪ من الصادرات. وأهم المنتوجات الزراعية: السكر، الموز، الخضروات. وأهم الصناعات الزراعية شراب الروم. ويعتبر القطاع المنجمي أهم قطاع إقتصادى ويکاد ينحصر بانتاج البوكسيت، وي العمل في القطاع الصناعي نحو ٣٢٪ من اليد العاملة، وتتركز معظم الصناعات في معالجة البوكسيت واستخراج مادة الألومينيوم منه. وهناك صناعات صغيرة مثل صناعة الأحذية والألبسة والتبغ والإسمنت والمنتجات الخشبية. القطاع السياحي في نحو مطرد، ومعدل عدد السياح السنوي (الستوات الخمس الأخيرة) نحو مليون و٣٠٠ ألف سائح يومياً عائدات تبلغ نحو ٥٠٠ مليون دولار سنوياً.

من الجدير ذكره ان زراعة «الماريجوانا» (الحشيشة)، التي أدخلها العمال المنود إلى البلاد في أواسط هذا القرن، أصبحت تشكلاليوم أحد المداخيل المهمة للبلاد خاصة لجهة الإتجار بها وتهريبها باتجاه الولايات المتحدة الاميركية.

كان الانكليز يشجعون، أحياناً، القرصنة في الجزيرة حتى أنها تحولت، في القرن السابع عشر، مركزاً للقرصنة الذين أرعبوا منطقة الأنتيل، وجعلوا من بورت روبيال مركز نشاطهم، فعرفت المدينة حركة تجارية نشطة، فكان الكثيرون من التجار الانكليز يقصدونها لشراء السلع بأثمان رخيصة. لكن، في ١٦٩٢، ضرب زلزال المدينة وأتى عليها. فاستغل الانكليز المناسبة وبنوا مدينة جديدة باسم كينغستون (العاصمة الحالية).

إلغاء العبودية، الاتفاقيات: استمر الانكليز يشجعون زراعة قصب السكر ويستقدمون الرقيق الأسود من إفريقيا، حتى أصبحت جامايكا، أواسط القرن الثامن عشر، في مقدمة المستعمرات البريطانية إنتاجاً للسكر (وكان هناك نحو ٣٠٠ ألف أسود يعملون في الزراعة). ولكن مع بداية القرن التاسع عشر، بدأ إنتاج السكر بالهبوط لأسباب داخلية ودولية. ثم جاء قانون إلغاء العبودية (جزئياً عام ١٨٣٤، وكلياً عام ١٨٣٨) ليطلق رصاصة الرحمة على الأهمية التي كانت لزراعة قصب السكر ولإنتاج السكر.

بعد قوانين الاعتقاف الانكليزية، رفض العديد من السود الاستمرار في العمل بالزراعة، وقصدوا الجبال للعمل في أراضيهم الخاصة. وكان الفقر من نصيب الأغلبية الساحقة من السكان، وكان أيضاً في أساس اتفاقية السود ضد السلطة المستعمرة في ١٨٦٥ في منطقة مورنت باي على

نبذة تاريخية

الهنود: من المعتقد أن أول الذين قطنوا جامايكا كانوا من الهند القديمين من نواحي فلوريدا، فسكنوا الكهوف، واقتاتوا الأسماك، وطلوا أجسادهم بطلاء أصفر أو أحمر. ثم حلّ عليهم هنود الأرواك المعروفين بنزعتهم السلمية، والذين أتوا من فنزويلا.

الاسبان ثم الانكليز: عقب اكتشاف كريستوف كولومبوس للجزيرة في ١٤٩٤، أخذ الإسبان يعملون على طرد وإبادة الأرواك، واستقدموا مكانهم العبيد السود من إفريقيا ليعملوا في ظروف مضطربة للغاية في تربية الخنازير وزراعة قصب السكر.

وعندما سيطرت إنجلترا على الجزيرة، في ١٦٥٥، لم يكن هناك سوى عدة ألوف من الإسبان وعيدهم السود. وأصبحت جامايكا مستعمرة إنكليزية رسمياً بعد التوقيع على معاهدة مدرید في ١٦٧٠. في أثناء استعمال الإسبان لعيدهم في الحروب الطويلة ضد الإنكليز، كانت أعداد من العبيد يفرون ويحلؤون إلى الجبال الوعرة حيث كانت أعداد أخرى من العبيد الذين كان يتم اعتقادهم يتضمنون إليهم. وكانوا يغيرون أحياناً على المزروعات لتلفها، وعثروا على الإنكليز إخضاعهم، حتى انهم اضطروا، في ١٧٣٨، إلى توقيع معاهدة معهم يعترفون بها بحق السود في امتلاك أرض، وينحهم بعض الحقوق.



إدوارد سياغا (في الصورة إلى اليسار) ومنافسه مايكل ماللي (إلى اليمين) في حملتهما الانتخابية، تشرين الثاني ١٩٨٠.

دستوراً يعيد إلى جامايكا نوعاً من الحكم الذاتي، وينبع سكانها حق انتخاب ممثلين لهم.

الاستقلال: وحطت البلاد خطوة أخرى باتجاه الاستقلال، وذلك عندما تشكلت، في ١٩٥٩، حكومة خاصة بادارة شؤون جامايكا؛ إذ إن البلاد، لسنة خلت، كانت منضمة إلى باقي المستعمرات البريطانية في الأنتيل التي كانت تشكل، في ما بينها، «اتحاد جزر الهند الغربية» والتي كان موعدها مع الاستقلال متوقعاً في ١٩٦٢. إلا أن الناخبين الجامايكيين افتقروا في ١٩٦١ لانسحاب بلادهم من هذا الاتحاد.

وفي ٦ آب ١٩٦٢، أُعلن استقلال جامايكا، وأصبح السير ولIAM الكسندر بروستمنت (بدأ بالعمل السياسي منذ الثلاثينيات) أول رئيس لحكومة الدولة الجديدة.

الشاطئ الجنوبي الشرقي من جامايكا. وقد قمعت الانقاضة، إلا أن الطبقة القائدة وأكثريتها من البيض والخلاصين بدأت تنظر بريبة وتحفظ إلى السود خاصة إلى أولئك الذين تنسى لهم بعض الثقافة والوعي الاجتماعي-السياسي.

الحكم الذاتي: كانت جامايكا تنعم، حتى هذه الحقبة، ببعض الحكم الذاتي. إلا أن قادتها أخذوا يعملون، ليس في سبيل المزيد من الاستقلال، بل في سبيل المزيد من الحماية الانكليزية لهم. لذلك، اقترب المجلس الجامايكى، في ١٨٦٦، على حل نفسه وارسل عريضة إلى الملكة فكتوريا يطلب منها تأمين إدارة شؤون البلاد. وقبلت السلطات البريطانية وعيّنت حاكماً على جامايكا يمسك عملياً بكل السلطات.

واستمر هذا النظام، مع بعض التعديلات، حتى ١٩٤٤، حيث تزايدوعي السود لقدراتهم الذاتية السياسية؛ فأعلنوا

(١٩٩٢)، واستمر قادته (خاصة مايكل مانلي) يهاجمون «السياسة الاميرالية والاستعمارية» للولايات المتحدة وبريطانيا.

ظاهرة بوب مارلي: حملت جامايكا أعباء ثلاثة قرون من الاستعمار الذي استند ثرواتها لمصلحة الانكليز؛ فاستمرت، منذ استقلالها في ١٩٦٢، تعاني من النتائج: ثلث السكان عاطلون عن العمل، السود دون عتبة الفقر، الحزبان اللذان يتناوبان السلطة على خلاف مستحكم، واحد مقرب من الأميركيين والآخر من الكوبيين. فالبؤس، والاذلال، والعنف، كلها وجدت طريقاً للتعبير من خلال موسيقى «ريغي» (reggae) وكلمات أغانيها التي أنسدتها الفنان الجامايكى بوب مارلي.

ولد روبرت (بوب) نستا مارلي في ٦ نيسان ١٩٤٥ في رودن هول، من أب كان جندياً في الجيش البريطاني وأم كانت مغنية. عاش طفولة بائسة لم تخلُ من العنوح. أنس، مع بوني ليفينغستون ويلر وبيتر توش، فرقة «ويلرز» (Wailers)، وما لبث الثلاثة أن أصبحوا نجوم موسيقى الـ«ريغي». توفي بوب مارلي في ١٩٨١ بمرض السرطان.

في أواخر السبعينات، انتمى بوب مارلي إلى طائفة الـ«راستافاريين» الذين يشبهون أنفسهم بـ«يهود التوراة». فتبعد الولايات المتحدة الاميركية بالنسبة إليهم مركز الشتات كما كانت بابل بالنسبة إلى اليهود. يدعون إلى ما كان الجامايكى ماركوس غارفي يدعو إليه في العشرينات من

وعلى غرار بريطانيا، هناك حزبان كبيران في جامايكا: حزب العمال الذي وصل إلى السلطة من خلال زعيمه بوستمنت، والحزب الوطني الشعبي الذي نالأغلبية الأصوات في انتخابات ١٩٧٢، فشكل حكومة جديدة بشخص أحد زعمائه مايكل مانلي. وقد تكرر هذا الفوز مجدداً في انتخابات ١٩٧٦ (راجع «الحكم» في بطاقة تعريف).

أما الانتخابات التالية التي جرت في تشرين الثاني ١٩٨٠ فنجحت عليها أجواء من العنف بدأ قبل حوالي سنة وسقط من جرائه نحو ٦٠٠ قتيل. وقد فاز في هذه الانتخابات حزب العمال المحافظ برئاسة إدوارد صياغة (لبناني الأصل) الذي كان يحمل على زعيم الحزب الوطني الشعبي، مايكل مانلي، ويتهمه بمحاولة تحويل جامايكا إلى كوبا ثانية.

في ٩ نيسان ١٩٨٢، زار الرئيس الأميركي، رونالد ريغان، جامايكا، وأشاد برئيس وزرائها، صياغة، واصفاً إياها بأنه موجه التحول الاقتصادي في جامايكا التي تحالفت مع كوبا في عهد رئيس وزرائها الاشتراكي السابق.

وفي انتخابات كانون الأول ١٩٨٣ التشريعية، فاز حزب العمال الجامايكى، بزعامة إدوارد صياغة، ورئيس الحكومة منذ ١٩٨٠ بجميع المقاعد الستين، وكان الحزب الوطني الشعبي قد قاطع هذه الانتخابات متحججاً على الفترة القصيرة التي خصصت للحملة الانتخابية. وعاد هذا الحزب ومني بالهزيمة أيضاً في الانتخابات الأخيرة

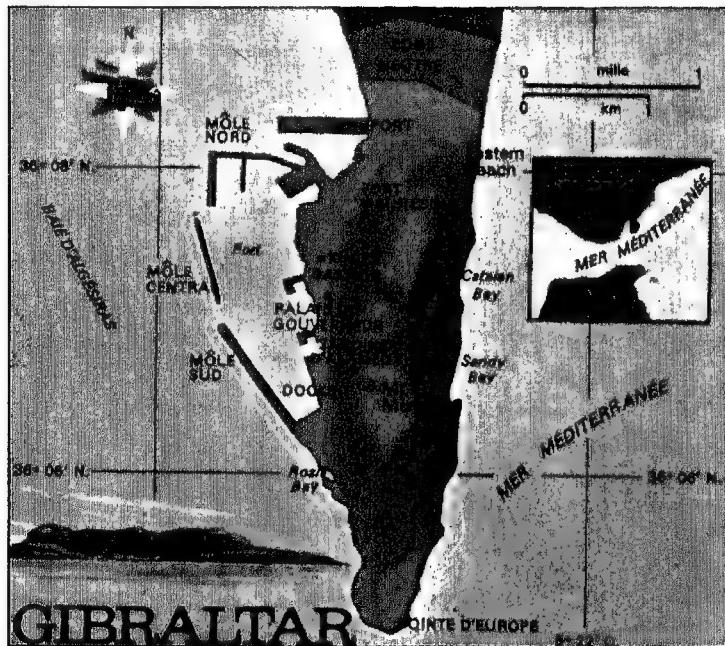


بوب مارلي.

المجتمع الايض، وكانت كلها تقريراً تلتقي حول ان هذه الظاهرة إنما تدل على ما تعانه شبيبة العالم الغربي، الغارق في المادية، من فراغ وعبثية، وتعطشها لعالم المثل والروح. ولما لم يكن بعد في وسع هذه الشبيبة، لأسباب كثيرة، من السير في ركب زعماء سياسيين من العالم الثالث مهما كانوا يشددون على مبادئ إنسانية، ارتأت ان تعلن عن اعجابها بـ«بطل فنان» طالع من العالم الثالث ويتماهى فيه كل ما ينشدون من مثل ويرفضون من مادية واستهلاكية. وقد يكون بوب مارلي قد وعى هذا الأمر جيداً، إذ كان يردد دائماً انه لا يغني للبيض، ولا للسود، إنما الله.

هذا القرن، أي أن يوجه السود انظارهم ناحية إفريقيا حيث سيتوج هناك ملك أسود (وبالفعل، بعد سنوات قليلة، أُعلن عن تنصيب النجاشي هايلي سيلاسي أميراً طوراً على الحبشة). وأصبح بوب مارلي داعية، بل نبي، العودة إلى القيم الأفريقية، وأظهر تعلقاً كبيراً بإثيوبيا (الوطن الأم).

منذ ١٩٧٢، بدأ المتجمرون يحيطون به، وبدأ تسويق موسيقى الريغي يأخذ طريقه إلى مدن العالم الغربي حيث سرعان ما أبدت الشبيبة الغربية تعلقاً هائلاً بهذا «الفن الاسود»، خاصة بدءاً من ١٩٧٥. وكتبت ونشرت مقالات ودراسات كثيرة حول ظاهرة بوب مارلي وتأثيرها على



جبل طارق

بلدة عامة

من المضيق تسمى «نقطة اوروبا». ومتوسط على الجبل عن البحر ٤٠٠ م. ويبلغ عرض المضيق الأدنى بين المغرب واسبانيا ١٥ كيلم.

المساحة: ٦ كيلم م..

اللغات: الاسبانية والانكليزية (رسميتان).

السكان: يبلغ عدد سكان مدينة جبل

الاسم: نسبة إلى القائد العربي طارق بن زياد الذي استولى على الجبل عام ٧١١، في بداية فتحه للأندلس.

الموقع: أقصى جنوب إسبانيا، على مدخل مضيق جبل طارق الذي يفصل أوروبا عن أفريقيا. وأقرب نقطة في البر الإيبريري إلى الناحية الأفريقية

الاقتصاد: تكاد تتحصر الموارد الاقتصادية بالرسوم التي يتقاضاها المرفأ من البوارخ (ما فيها بوارخ شحن النفط) التي تمر عبر المضيق، وبالسياحة، ففي المدينة، عدا هدوء طبيعتها واعتدال مناخها، متحف وكاتدرائية رومانية وأثار عربية.

جاء وضع حجر الأساس لـ«مسجد خادم الحرمين الشريفين» وبده العمل ببنائه بمنطقة استثمار مهم لخلق فرص عمل عديدة للجالية الغربية (نحو ٤٠ ألف يعيش ٤٠٪ منهم بلا عمل وفي ظروف سيئة). وسيكون، بالطبع، لمشروع نفق جبل طارق، أهمية اقتصادية بالغة ليس على صعيد جبل طارق وحسب بل على صعيد بلدان حوض المتوسط برمتها.

مشروع نفق جبل طارق: يُنتظر أن تطلق ابتداء من العام المقبل (أي ١٩٩٧) أعمال المرحلة الأولى لهذا المشروع الذي سيربط المغرب وأسبانيا وبالتالي إفريقيا وأوروبا عبر قناة مائية. وكان العاهلان الغربي والاسباني، الحسن الثاني وغوانكارلوس، قد أتيا على ذكره وتمينا تحقيقه في أول لقاء رسمي بينهما في حزيران ١٩٧٩. ويؤكد الخبراء اليوم إمكانية المخازن. وشدد فريق من الخبراء الدوليين في مجالات الجيولوجيا وهندسة القنطر والأفاق، في تقرير أبخر لحساب المجلس الأوروبي والذي شكل أساس توصية تبنتها الجمعية البرلمانية للمجلس الأوروبي في ١٩٨٩ ودعت فيها الدول الأعضاء إلى أن تلعب دورها في تسهيل مختلف طرق تمويل مشروع النفق من أجل الالسراع في المخازن.

وكان الاتحاد الأوروبي تبني، في تموز ١٩٩٥، توصية المجلس الاقتصادي الاجتماعي

طارق (من فيهم أفراد الحامية البريطانية) نحو ٤٠ ألف نسمة. أكثرتهم كاثوليك، وهناك أقلية بروتستانتية، وأخرى مسلمة. وغالبية سكان جبل طارق تتحدر من احتلال وترويج الجنود الانكليز بالفتيات الإسبانيات، ومن العمال الماليين، والبرتغاليين، واليهود الإسبان الفارين إلى الجبل، والإيطاليين الذين جلوا إلى هناك هرباً من تجنيدهم في الحروب النابوليونية.

مسجد إسلامي: في ٩ آب ١٩٩٥، وضع الحجر الأساس لـ«مسجد خادم الحرمين الشريفين» الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود» الذي سيتم افتتاحه في صيف ١٩٩٧. وحضر احتفال وضع حجر الأساس حاكم جبل طارق السير جون شاتل ورئيس الوزراء جو بوسيانو ووزير الأوقاف السعودي الدكتور عبد الله بن عبد الحسن التركى وممثل كنيسة جبل طارق وأبناء الجالية الإسلامية في جبل طارق. ويقام المسجد على أرض إسمها «نقطة أوروبا» التي يقول مورخون إنها كانت تضم مسجداً أيام الحكم العربي. وما قاله رئيس وزراء جبل طارق في الاحتفال: «هذا المكان كان نقطة وصول الثقافة الإسلامية إلى أوروبا ليس كقرة إرهاب، بل رمز استثنارة في ظلام أوروبا القرون الوسطى، وليس أفضل من جبل طارق لحياة الحضارة الإسلامية التي امتدت سبعة قرون في أوروبا».

الحكم: الدستور المعمول به صادر في ١٩٦٩، و بموجبه يتمتع جبل طارق بنوع من الحكم الذاتي، وتبقى السيادة الخارجية وشؤون الدفاع منوطة ببريطانيا التي يمثل ملكتها حاكم عام يقوم بمهام السلطات التنفيذية بالتشاور مع مجلس منتخب من ١٥ عضواً. الحاكم الحالي هو السير جون شاتل، ورئيس الوزراء جو بوسيانو.



صخرة جبل طارق.

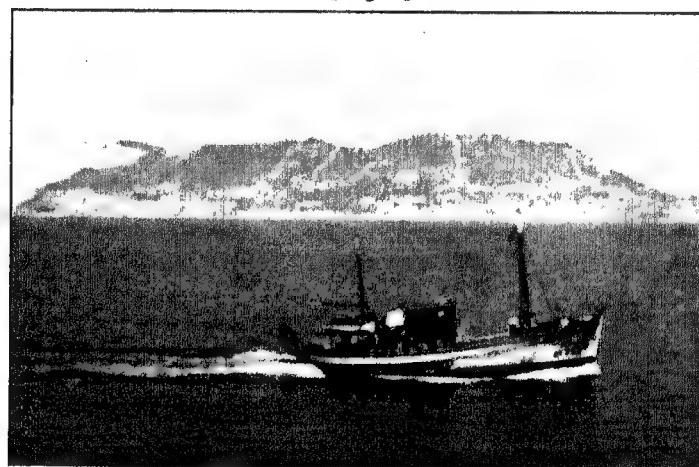
المشروع الكبير الذي يحتاج إلى كلفة باهظة.

نبلة تاريخية: في العام ٧١١، غزا طارق بن زياد شبه الجزيرة الإيبيرية، وبنى قلعة حصينة على الجبل الذي دعي في ما بعد باسمه. وبعد سبعة قرون من السيطرة العربية، انتهى الإسبان من استرجاع شبه الجزيرة في ١٤٦٢. وفي ١٧٠٤، سقطت القلعة بيد الانكليز، وتخلت إسبانيا

للأمم المتحدة التي دعت اللجنة الأوروبية إلى المساهمة في الدفع بالمشروع سواء على المستوى المؤسسي أو المالي. كما دافع وزراء النقل في دول غرب البحر المتوسط (فرنسا وإسبانيا وإيطاليا والمغرب والجزائر وتونس) خلال مؤتمر برشلونة (تشرين الثاني ١٩٩٥) عن مشروع النفق وأعتبروه من المشاريع المهمة التي تخطى بالاولوية في بلدانهم.

وتشكلت لجنة دائمة مغربية-إسبانية منبثقة من معاهدة التعاون الموقعة بين البلدين في ١٩٨٠، قامت بتنظيم العديد من المناورات والندوات حول مختلف جوانب المشروع الفنية والاقتصادية في كل من الرباط و مدريد. وبينت الدراسات أن تكلفة المشروع تقدر بنحو ١١ مليار دولار، وأن تفيذه سيتم عبر ثلاث مراحل. وفي شباط ١٩٩٦، اتفق البلدان، المغرب وإسبانيا، على إنجراج مشروعربط القاري بينهما عبر جبل طارق إلى حيز الوجود، من خلال إقامة نفق بحري خلال السنوات المقبلة (يكون جاهزاً في السنة ٢٠٠٩). ويراهن البلدان على دعم المنظمات الدولية لهذا

مضيق جبل طارق.



المستعمرة وارسل إليها الماء والكهرباء واللون، كما أرسل عمّالاً للعمل في مؤسساتها ومصانعها، فبلغ عدد المغاربة المقيمين سبعة آلاف، إلى أن تغيرت سياسة حكومة جبل طارق في الثمانينيات وأعطت الأفضلية للإسبان وغيرهم من مواطني دول المجموعة الأوروبية، ما تسبب في مأساة اجتماعية عاشها المغاربة هناك.

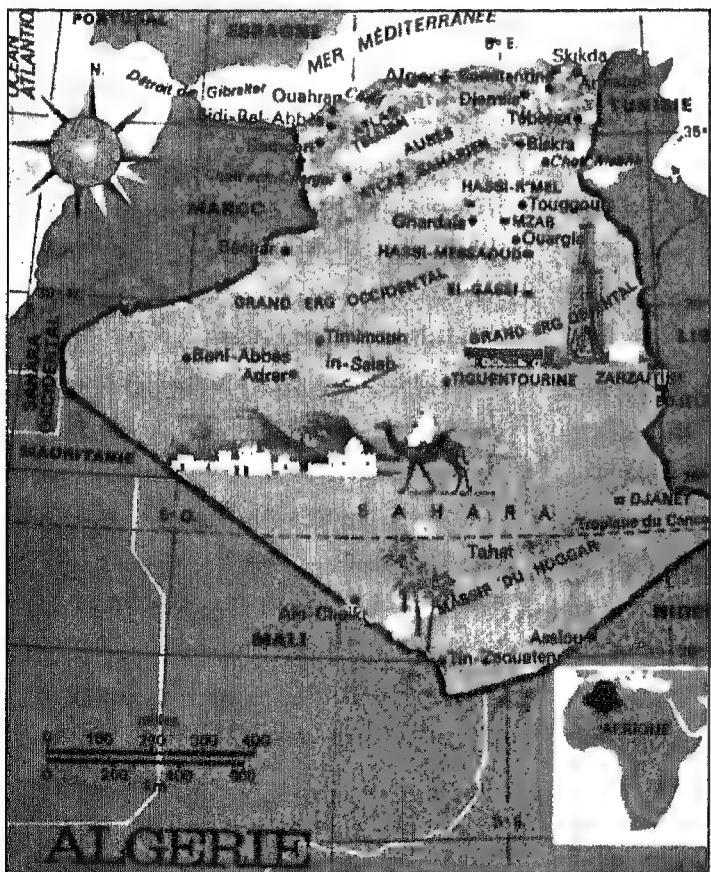
في ١٥ كانون الأول ١٩٨٢، أعادت إسبانيا فتح حدودها مع جبل طارق (بعد إغلاق استمر ١٣ عاماً). وأعلنت الحكومة الإسبانية الجديدة (الاشراكية) أنها اتخذت هذا القرار «لأسباب إنسانية».

وفي تشرين الثاني ١٩٨٤، اتفقت بريطانيا وإسبانيا على بدء محادثات بشأن مستقبل جبل طارق، بما في ذلك مسألة السيادة عليه.

لانكلترا عن جبل طارق بمعاهدة أوترخت في ١٣ تموز ١٧١٣. ومنذ تلك السنة وجبل طارق مستعمرة بريطانية.

استمرت إسبانيا تطالب بجبل طارق. فأجرت الحكومة البريطانية، عام ١٩٦٧، استفتاء للسكان للاختيار بين بريطانيا وإسبانيا، فجاءت النتيجة: ١٢١٣٨ صوتاً مع استمرار الحكم البريطاني، و٤٤ صوتاً فقط مع الانضمام لإسبانيا. إلا أن الأمم المتحدة لم تعترف بهذا الاستفتاء، وأصدرت، في ١٩٦٨، قراراً يقضي بوجوب انسحاب بريطانيا من شبه الجزيرة، وإعادتها لإسبانيا. فرفضت بريطانيا الاعتناء لهذا القرار، وقامت إسبانيا (الجنرال فرنكوا) باغلاق حدودها مع جبل طارق.

فأنقذ الحسن الثاني ملك المغرب هذه



الجزائر

بطاقة تعريف

العنوان: الشليف (الاصنام سابقاً)، بيسكرا وتبعد عن العاصمة ٤٢٥ كلم، سكيكدة (فيليفيل سابقاً)، موسطاً غامماً، بجية (بوجي سابقاً، وتعني بالفرنسية «الشمعة»)، ومنها كانت تستخرج المادة الشمعية، تيبيسا، بيشار وتبعد عن العاصمة ٩٦٥ كلم، تيليمسين، عين صلاح وتبعد عن العاصمة ١٣٨٨ كلم، غرداية وتبعد عن العاصمة ٦٠٠ كلم، تامدرست وتبعد عن العاصمة ١٩٧٠ كلم.

اللغات: العربية (رسمية)، والفرنسية التي ما يزال يتكلّمها أكثر الجزائريين. ويُعمل حالياً على جعل البربرية (الأمازيغية) لغة رسمية كذلك إلى جانب العربية (راجع باب «البربر في الجزائر»،

الموقع: في شمال إفريقيا، على المتوسط. تحيط بها المغرب (طول حدود الجزائر مع المغرب ١٣٥٠ كلم)، الصحراء الغربية (٦٠٠ كلم)، موريتانيا (٤٥٠ كلم)، مالي (١١٠٠ كلم)، النيجر (١٨٠ كلم)، ليبيا (١٠٠٠ كلم) وتونس (١١٤٠ كلم). طول الشاطئ ١٢٠٠ كلم.

المساحة: مليونان و٣٨١ ألفاً و٧٤١ كلم م. م. العاصمة: مدينة الجزائر. أهم المدن: وهران (أوران سابقاً) وتبعد عن العاصمة ٤٣٢ كلم، قسنطينة (سيرتا قديماً) وتبعد عن العاصمة ٤٣١ كلم، عنابة (بونا سابقاً، وهيون قديماً) وتبعد ٦٠٠ كلم، باتنا (تأسست في العام ١٨٤٤)، تيزى أوزو، سطيف، بلدية، سيدى بن

الدراسات إلى أن هناك نحو ٢٠٠ يهودي في الجزائر، ولم يبق سوى آثارهم الفنية والموسيقية في شرقي البلاد خصوصاً. أما المسيحيون فلا يتجاوز عددهم ٤٠ ألفاً يعيش معظمهم في منطقة بلاد القبائل وفي العاصمة، ومنهم نحو ٢٨٠ كاهناً وألف راهبة (٥٠٠ تعمّل في التدريس و٢٠٠ في المستشفيات)؛ وفي أرض الجزائر نحو ٣٠٠ ألف قبر موزعة على ٦٠٠ مقبرة تضم رفات الفرنسيين الذين ساتوا في الجزائر.

وكذلك، ليس في الجزائر أقلية مذهبية، فالذهب المالكي هو السائد. والاستثناء الوحيد هو الذهب الأباضي الذي يعيش معظم المنتسبين إليه في وادي الميزاب (راجع باب مدن ومعالم) التي تعتبر مدينة غردية عاصمتها. وهم أناس مسالمون مندمجون في المجتمع ومتصرفون في معظمهم لأعمال التجارة والمهن الحرة. ويطلق على الأباضيين لقب «الخوارج» للأسباب التاريخية المعروفة، وكان دعاتهم جاؤوا من الشرق في حدود العام ٧٥٠. وقد لقيت الدعوة حظوظاً كبيرة لدى السكان البربر خلال ٧٥٠-٩٤٧، بسبب ما تميزت به من طهارة وعصمة ومساواة بين المسلمين. وأحد أبرز دعاتها عبد الرحمن بن رستم، مؤسس الدولة التي اخذت من مدينة تيارت عاصمة لها في ٦٦١. وفي هذا تكون أول دولة شيعية في التاريخ.

الحكم: الجزائر «جمهورية ديمقراطية شعبية». الدستور المعروف به صادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٦، وجرت عليه تعديلات (بعد استفتاء) في ٣ تشرين الثاني ١٩٨٨، وفي ٢٣ شباط ١٩٨٩، أهمها تلك التي ألغت نظام «الاشتراكية»، والتي أقرت مبدأ التعددية (كانت جبهة التحرير الوطني «الحزب الحاكم» الوحيدة). وهناك نص دستوري يحدد دور الجيش. ونظام الحكم رئاسي، وينص على

باب «الإسلام الجزائري»).

السكان: كان عددهم في العام ١٨٣٥ نحو ١،٨٧ مليون نسمة، منهم ١،٢ مليون موزعون بين المور (أو الموريكس) القادمين من إسبانيا، والعرب المقيمين الأصليين (مغارعون وعمال)؛ و٤٠٠ ألف من البدو؛ و٢٠٠ ألف من القبائل (البربر)؛ و٣٠ ألفاً من اليهود؛ و٢٠ ألفاً من الاتراك. وفي أول أحصاء رسمي أجرته السلطات الفرنسية في العام ١٨٥٦: بلغ عدد السكان ٢،٣١ مليون نسمة (١٦٠ ألفاً من غير المسلمين)؛ وفي ١٩٠١ بلغ ٣،٧٨ مليون (٦٣٠ ألفاً من غير المسلمين)؛ وفي ١٩٥٤ بلغ ٨،٦٧ مليون (٩٨٠ ألفاً من غير المسلمين)؛ وفي ١٩٦٢ بلغ ١٠،٢٤ مليون؛ وفي ١٩٨٠ بلغ ٢٥،٤ مليون؛ وفي ١٩٩١ بلغ ١٨،٦٧ مليون؛ وتشير التقديرات إلى أن عدد الجزائريين سيبلغ نحو ٣٦ مليوناً في العام ٢٠٠٠، ونحو ٦٠ مليوناً في العام ٢٠٢٥.

هناك نحو ٩٦٪ من السكان يعيشون في المناطق الشمالية وعلى مساحة تشكل نسبة ١٧٪ من مساحة البلاد الإجمالية.

ليس في المجتمع الجزائري من فروقات إثنية تذكر بين من كانوا عرباً أو استعربوا وبين من ظلوا بربيراً (نحو ٢٥٪ من جموع السكان)، وبخاصة أقلية من الطوارق في أقصى الجنوب. وقد شكل الإسلام عنصر الدمج الأساسي في هذا المجتمع منذ الفتح العربي (راجع باب «الإسلام الجزائري»). والفرق ذات الوحيدة التي يبقى لها أثر هي ذات طابع ثقافي ولغوياً، يعمل الجزائريون حالياً على طمسها، وتقوم الجمعيات الأمازيغية بنشاط ملحوظ على هذا الصعيد (راجع باب «البربر في الجزائر»).

وليس في الجزائر أقلية دينية. فاليهود الذين عاشوا في الجزائر منذ أن طردهم حكام التقليش الغربيّة رحلوا جميعهم تقريباً (تشير بعض

(بعد اعتقال مدني) عبد القادر حشاني، وصدر حكم محكمة الجزائر العاصمة بحل الجبهة في ٤ آذار ١٩٩٢. حركة المجتمع الإسلامي (حماس)، نشأت في ١٩٩٠، رئيسها الشيخ محفوظ خناج، وتعتبر معتدلة وقرية من السعودية. جبهة التحرير الوطني، نشأت في أول تشرين الأول ١٩٥٤ (الحزب الوحيد)، وهي الجبهة التي قادت حرب التحرير. بحد (المovement الجزائرية للعدالة والانماء)، تأسست في ١٩٩٠، رئيسها قاصدي مرباح. حركة الديمقراطية في الجزائر، رئيسها أحمد بن بلة، تأسست في ١٩٨٢، وشُرّعت في ١١ آذار ١٩٩٠. الحركة الديمقراطية للتجديد الجزائري (النهضة)، رئيسها الشيخ سحنون، قريبة من الأعوان المسلمين المصريين. حزب الطليعة الاشتراكي، نشأ في كانون الثاني ١٩٦٦ وشرع في ١٢ ايلول ١٩٨٩، أمينه العام شريف الهاشمي، وقد حل محل الحزب الشيوعي، وحل في كانون الأول ١٩٩٢. حزب التجديد الجزائري، تأسس في ١٩٨٩، رئيسه نور الدين بو قروع. الحزب الوطني للتضامن والانماء، تأسس في ١٩٨٩. حزب الشورة الاشتراكي. الحزب الاشتراكي الديمقراطي شرع في ٤ ايلول ١٩٨٩. حزب العمال الاشتراكي، رئيسه صالح شوقي. التجمع العربي الإسلامي شرع في ٧ آب ١٩٩٠. التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (بربرى)، نشأ في ١١ شباط ١٩٨٩، أمينه العام د. سعيد سعدي (مولود ١٩٤٧). اتحاد القوى الديمقراطية، نشأ في ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٩. الافغان (جزائريون قاتلوا في افغانستان)، قريون من جبهة الانقاذ الاسلامية. حركة النهضة الاسلامية، نشأت في ١٩٩٠. التنظيمات النقابية والجماهيرية: الاتحاد العام للعمال الجزائريين، تأسس في شباط ١٩٥٦. الاتحاد الوطني للفلاحين الجزائريين. الاتحاد

اعتماداً مبدأ فصل السلطات. ميثاق وطني بعد استفتاء ٢٧ حزيران ١٩٧٦. وميثاق وطني جديد بعد استفتاء ١٦ كانون الثاني ١٩٨٦ يؤكد على الصفة العربية والاسلامية للجزائر. مسألة «التعديلات الدستورية» من المسائل الدائمة الطرح منذ أن بدأت الاحداث الأخيرة في الجزائر في ١٩٨٨ ثم من ١٩٩٠. وأخر ما جرى بهته في هذا الصدد، في ربيع ١٩٩٦، مع الرئيس اليمين زروال، توزع على أربعة مواقف: موقف متحفظ ورافض التعديل (جبهة التحرير الوطني)، موقف متحفظ وموافق ولا يضع تعديل الدستور في أولوياته (جبهة القوى الاشتراكية وحزب النهضة)، موقف القبول المشروط والقاتل بامكانية التعديل «باستثناء الاسلام واللغة العربية» (حماس، التجمع القبائلي، والتحدي-الشيوعي سابقاً)، موقف الدكتور سعيد سعدي (حركة الثقافة الامازيقية) والطاشمي الشريفي اللذين يطالبان بأن يتضمن التعديل فصل الدين عن الدولة، وإضافة اللغة الامازيقية إلى العربية، وعدم دستورية الاحزاب الاسلامية. الاحزاب: الكتاب السنوي الفرنسي «كيد» (Quid) ١٩٩٤، ص ٨٩٧، أورد الاحزاب التالية: الارشاد والاصلاح، اسلامي. التحالف الوطني للمستقلين، شرع له في ٤ تموز ١٩٩٠. الأمة، شرع في ١٨ تموز ١٩٩٠، رئيسه بن يوسف بن خوجة. جبهة القوى الاشتراكية، نشأت في ١٩٦٣، وشرع في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٨٩، رئيسها حسين آيت أحمد. جبهة الانقاذ الاسلامية (أو الجبهة الاسلامية للانقاذ)، نشأت في ١٠ آذار ١٩٨٩ وشرع في ١٤ ايلول ١٩٨٩، رئيسها الشيخ عباسى مدنى (مولود ١٩٣٩)، تدعى إلى تطبيق الشريعة الاسلامية، يتزعزع جناحها المتصلب على بن حاج إمام جامع السنة في باب العويد؛ رئيس الجبهة الموقت منذ ٢٣ كانون الثاني ١٩٩٢

الغاز، أهم آباره في منطقة حاسي رميل، اكتشفت في تشرين الثاني ١٩٥٦؛ ويجري تسويقه في مصانع سكيكدا أو أرزيو، أو ينقل إلى إيطاليا بواسطة الأنابيب (٢٥٠٠ كلم). وتحتل الجزائر واحدة من المراتب الخمس الأولى بين الدول صاحبة أكبر احتياطات الغاز في العالم. وارتفع احتياط هذه المادة في نهاية ١٩٩٣ بمقدار ١٠٢ مليار متر مكعب، من ٢٧٨٠ إلى ٢٨٨٢ مليار متر مكعب خلال سنة واحدة، كما زاد الانتاج الفعلي من ٣٤٨ مليون متر مكعب يومياً في ١٩٩٢ إلى ٣٦٦،٤ مليون في ١٩٩٣. وتحتل إيطاليا المرتبة الأولى بين الزبائن (نسبة ٤٠٪ من إجمالي صادرات الجزائر من الغاز).

وفي الجزائر ثروات منجمية مهمة: الفحم الحجري الذي يبلغ احتياطه نحو ٤٠ مليون طن، ويتوافر في حوض عبد الله والحديد، نحو ٢٠١ مليون طن، ٨٠٪ منها في منطقة عنزه وبدأ استخراجه في ١٩٢١. القصدير، الرنوك، النحاس، الزئبق، الفوسفات (اكتشفه فيليب توماس في ١٨٨٥) والبيورانيوم. وأهم الصناعات توماس في ١٨٨٥) والبيورانيوم. وأهم الصناعات في الجزائر: مصافي النفط في سكيكدا، وتسويقي الغاز، ومصانع الفولاذ، والأسمنت، والأسمدة، والأقمشة، والسيارات (اتفاق تعاون مع شركة «فيات» الإيطالية).

في ١٩٩٤، لم يعمل القطاع الانتاجي بأكثر من ٥٠٪ من طاقته الفعلية، في نسبة ٥٠٪ معطلة لكنها قابلة للاستغلال. والسبب الأساسي في ذلك عائد للأحداث الأمنية التي كانت قد بدأت منذ ١٩٨٨. ولمعالجة هذا الوضع، طبقت السلطات إصلاحات إقتصادية أثارت ارتباكاً لدى صندوق النقد والبنك الدوليين، كما حظيت بدعم من الشركاء التجاريين الأساسيين: اليابان والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

واعرفت الحكومة (في ١٩٩٤) باستفحال

الوطني للنساء الجزائريات. الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية، المنظمة الوطنية للمجاهدين. المنظمة الاشتراكية للعمال (تروتسكية).

الاقتصاد: تبلغ مساحة الأراضي المزروعة حوالي ٧٠٠ ألف هكتار، وأهم مزروعاتها الكرمة والفاكهية والخضرة والخضار والزيتون. في ١٩٦٢، وفور إعلان الاستقلال، حولت السلطة ٢٢ ألف قطعة أرض مزروعة كانت تخص الأوروبيين إلى تعاونيات زراعية يستفيد منها المجاهدون. في ١٩٧١-١٩٧٢، بدأ تطبيق «الثورة الزراعية» التي أصابت مقداراً كبيراً من النجاح، وفي سياقها تأسس «الاتحاد الفلاحين الجزائريين» (نحو مليون عضو). في ١٩٨٣، أعيد النظر بجملة من إجراءات الثورة الزراعية، وأصبح بالامكان إعادة توزيع أراضي القطاع العام على الأشخاص، وقد طالت هذه الإجراءات المناطق الصحراوية مخصوصاً. وفي ٨ كانون الأول ١٩٨٧، صدر قانون أعاد مبادئ الليبرالية إلى القطاع الزراعي. في الخطة الخمسية ١٩٨٩-١٩٩٥، رصد ١١٥ مليار دينار للقطاع الزراعي، وخاصة لمشاريع الري.

تشكل الصحراء ٩٠٪ من المساحة العامة للبلاد، والتضليل في تزايد مستمر. إزاء هذه المشكلة بدأت السلطة، منذ إطلاق الثورة الزراعية في ١٩٧١، بتحريج ٣ ملايين هكتار (طول ١٠٠٠ كلم وعرض ١٠-٢٠ كلم)، وهو المشروع الذي أطلق عليه تسمية «السدود الخضراء».

الجزائر من البلدان الغنية بثروتها النفطية، أهم آبارها في منطقة حاسي مسعود، وهي معروفة بجودة نوعها، وقد تم اكتشافها في آب ١٩٥٦. بلغت عائداتها النفطية في العام ١٩٩٠ نحو ١٢ مليار دولار، أي ما يعادل ٢٦٪ من الدخل العام. الولايات المتحدة تشتري ما معدله ٥٠٪ من جموع صادرات الجزائر النفطية.

خسائر تزيد على بليوني دولار بسبب العمليات العنيفة التي قام بها متشددون اسلاميون على مدى السنوات الأربع الأخيرة (١٩٩٥-١٩٩٣)؛ ورغم ذلك فإن القطاع الصناعي الجزائري توقف هبوطه بتسجيله ثروة سلبياً بنسبة ٥٪ عام ١٩٩٥ مقابل ٨٪ سلبياً في ١٩٩٤. وأشار التقرير أيضاً أن الاقتصاد الجزائري سجل ثروة تتجاوز ٣٪ في ١٩٩٥ بعد ركود لاعوام طويلة. ويتوفر النفط والغاز أكثر من ٩٠٪ من إيرادات الجزائر من العملة الأجنبية.

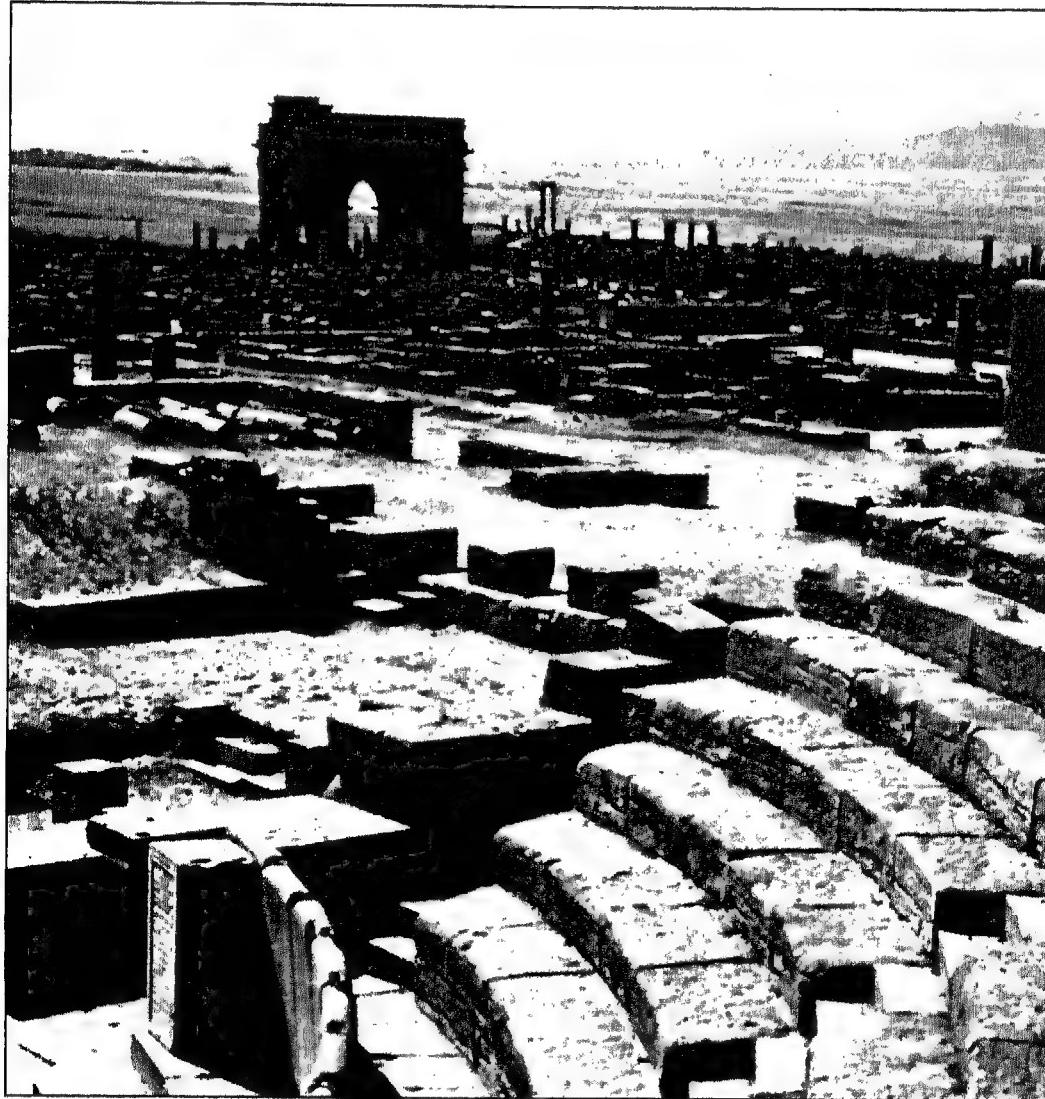
البطالة، وقالت تقديرات للدراسات شبه رسمية إن عدد العاطلين عن العمل زاد، منذ ١٩٨٦، بواقع ١٠٢ مليون شخص أضيفوا إلى حوالي مليوني شخص آخر، ما يعني أن معدل البطالة الفعلية قد أصبح في حدود ٤٥٪ من إجمالي قوة العمل في البلاد.

وفي تقرير لوزارة الصناعة الجزائرية (إيار ١٩٩٦) أن أعمال العنف في الجزائر تللت طاقة الانتاج الصناعي في البلاد بحوالي ١٠٪، لكن معدل الانخفاض بدأ يباطأ. وتقدر السلطات أن الاقتصاد الجزائري تكبد

ادخلوا فتواناً معمارية جديدة أخرجت الناس من الكهوف. فالفينيقيون جاءوا إلى هذه المنطقة بمكاسب حضارية كانت قرطاجة أبرز معالمها. فقد أحصى في مدينة قسنطينة وحدها (شرقي الجزائر) أكثر من ٨٠٠ آثر تعود إلى المرحلة الفينيقية. وإبان الحروب البونية (الرومانية- القرطاجية) ظهرت عدة دول في البلاد، كان أهمها نوميديا (٢٠٨-١٤٨ ق.م.) التي شغلت معظم المناطق الجزائرية الحالية الواقعة شمالي الصحراء. وبعد سقوط قرطاجة في ١٤٦ ق.م. تحولت نوميديا إلى دولة للروماني ثم إلى مقاطعة رومانية، وقد تضاءلت مساحتها. فرض الرومان سيطرتهم على البلاد

نبذة تاريخية

قبل الميلاد وفي عهد الرومان: الدراسات المتخصصة حول «الجزائر ما قبل الميلاد» حديثة العهد، ولا تزال عاجزة عن الكلام حول المرحلة التي سبقت الفينيقين. فتكفي عن هذه المرحلة، بالإشارة إلى أن ظهور مدن الساحل الجزائري في أواخر الألف الثاني ق.م. (القرن الثاني عشر ق.م. على وجه التحديد) تزامن مع الامتداد الفينيقي السلمي والتجاري على الساحل الشمالي لأفريقيا حيث ادخل الفينيقيون زراعات وتقنيات جديدة مثل زراعة الكروم والزيتون والتين وصناعة التصديف، كما



إحدى خرائب مدينة تيمقاد: قوس نصر ومسرح رومانيان.

باستقلالها (راجع باب «البربر في الجزائر»).

الفتح العربي: بدأ الفتح العربي الشمالي افريقيا في منتصف القرن السابع، وتعزز بعد إنشاء مدينة القيروان في العام ٦٧٠ (راجع «تونس» في هذا الجزء). اصطدم العرب بالبيزنطيين الذين تمسكوا بمدن الساحل، كما اصطدموا بقبائل البربر الذين توحدوا في دولة بربرية، ومركزها

حتى القرن الخامس، حين انحسر نفوذهم ليحل محلهم الفاندال، وهم قبائل رحل جرمانية الأصل، قبل أن يستعيدها البيزنطيون (امبراطورية الرومان الشرقية) في القرن السادس. وقد استطاع الرومان والفاندال والبيزنطيون على السواء أن يفرضوا سيطرتهم وثقافتهم (المسيحية) وعاداتهم في الساحل، في حين احتفظت قبائل البربر في الجبال وصحراري الداخل

ان الفاطميين واجهوا تمردات عديدة اعنفها ثورة أبي يزيد، فنقلوا مركز حكمهم بعد ٩٧٣ إلى مصر، في حين توزعت السلطة في هذه المنطقة اتحادات قبلية من البربر.

وشهدت سنة ١٠٥٠ حدثاً مهمّاً في تاريخ المنطقة، تمثل في غزوة «بني هلال»، وهم عبارة عن تجمع لقبائل عربية أخرجت من مصر. وقد أطلق هؤلاء البدو أذى كبيراً باقتصadiات شمالي إفريقيا، وشكلوا في الوقت نفسه الهجرة العربية الكبيرة الوحيدة إلى البلاد منذ الفتح العربي.

دولة المرابطين ودولة الموحدين:

أعقبت غزوة بني هلال فترة من الفوضى وضفت حدّاً لها دولة المرابطين الذين جاءوا من المغرب، وفرضوا سيطرتهم على ما يعتبر اليوم منطقة الجزائر ووهان. وفي هذه الأثناء كان بنو حماد قد ثبّتوا اقدامهم في بجاية. وانكسرت سلطة المرابطين بسرعة، وخلفهم الموحدون في ١١٤٧. ووقفت هذه السلالة، التي ربما كانت أهم سلالة حاكمة في شمالي إفريقيا في العصر الإسلامي الوسيط، في توحيد منطقة المغرب كلها مع إسبانيا الإسلامية (الأندلس). كما شهدت هذه الفترة ازدهاراً ثقافياً واقتصادياً، خصوصاً في تلمسان، وتوسعت التجارة مع السواحل الشمالية للمتوسط، غير أن وحدة منطقة المغرب لم تدم طويلاً. ففي حوالي ١٢٥٠ كانت المنطقة في حالة فوضى وتفكك، برب خلاطاً بنو عبد الواد من زناتة كقوة صغرى، وبدأ شكل من انحسار شامل دام قرنين. وفي نهايتهما كانت لغة البربر قد

المغرب الشرقي، أشهر زعمائها قصيلة أحد ملوك منطقة تيارت، و«الكافنة» الملكة الحاربة وزعيمة قبائل الاورانس.

غير أن الهجرة العربية المتزايدة في نهاية القرن السابع وضعـت حدّاً لمقاومة البربر، وتمكنـت من طرد آخر الحاميات البيزنطية. بعد ذلك، دخلت غالبية البربر في الإسلام، وانضمـت إلى جيوش الفتح، وشاركت في غزو ما تبقى من المغرب، ثم في غزو إسبانيا، فارتبط تاريخها ومستقبلها بمحيطها العربي (راجع باب «الإسلام الجزائري»).

دول عربية إسلامية: في مطلع القرن الثامن، ظهرت إشارات تذمر ببرلي كان جزءاً من تذمر الشعب غير العربية الذي ساهم في اسقاط الامويين (٧٥٠). وفي ٧٥٦ زالت سلطة العباسين الحديثة العهد من منطقة المغرب كلها، وقامت دولة «الخوارج». ثم استعاد العباسيون سلطتهم في القسم الشرقي من المغرب بعد عام ٧٦١، غير أن معظم أرض الجزائر الحالية خضعت لعدد من الدول الصغرى التي كانت تعتنق مذاهب مختلفة.

في القرن التاسع، انتقل مركز الخوارج البربر من تلمسان إلى تيارت. في هذه الأثناء قام في الغرب حكم الأغالبة الذين حاولوا انطلاقاً من القيروان مدعياً سيطرتهم إلى المغرب الأوسط. غير أن قبائل البربر وقفـت في وجهـهم بعد أن اعتنقـت المذهب الشيعي، وهذا أدى إلى قيام الحكم الفاطمي في المغرب الأوسط في ٩١٠. غير

وامبراطورية هابسبورغ على شمالي إفريقيا حتى فشل الحملة التي قادها الامبراطور شارل الخامس في ١٥٤١. وبعد هذا التاريخ، استمر الحكم العثماني في الجزائر طوال ثلاثة قرون، أي حتى بدء الاستعمار الفرنسي.

في ١٥٣٣، استدعي خير الدين بربوسا إلى العاصمة العثمانية ليقود الأسطول العثماني، وحلت محله إدارة منظمة يرأسها «يلرييك» الذي يكون مسؤولاً مباشرة أمام السلطان.

في ١٥٨٧، بدأ حكم الباشاوات. فكان الواحد منهم يحكم ثلاث سنوات. وبعد ١٦٥٩، تسلم الآغاوات الذين يقودون الانكشارية مراكز الحكم الحساسة إلى أن حلّ حكام كان يحمل الواحد منهم لقب «الدai»، وظلوا يحكمون البلاد حتى الاحتلال الفرنسي في ١٨٣٠.

غير أن معظم هذه التغييرات لم تتجاوز المظاهر. فمنذ أواسط القرن السادس عشر صار الحكم العثماني أساساً فحسب، في حين تولى السلطة الفعلية الانكشارية من جهة، وما يسمى بـ«طاقة الرؤساء» الذين كانوا مصدر ثروة الدولة الرئيسي طوال ثلاثة قرون من جهة ثانية.

إبان القرن السابع عشر، أقام نظام الداي علاقات دبلوماسية مع الدول الأوروبية البحرية الكبرى (إنكلترا، هولندا، فرنسا)، وأزدهرت عمليات القرصنة التي عادت بثروات كبيرة على الجزائر التي أصبحت مركز تجارة الرقيق في شمالي إفريقيا. أما في الداخل فقد استقلت بعض

تراجعت تدريجياً أمام اللغة العربية. وإن هذه الفترة، كان المركز الرئيسي للسلطة السياسية في تلمسان. وفي الداخل، استقل عدد من الامراء، في حين تحولت مدن الساحل، بما فيها مدينة الجزائر، إلى دوبيلات مستقلة تعيش بشكل أساسي على القرصنة. وقد دام هذا الوضع حتى مجيء الإسبان الذين دام وجودهم نحو عقدين من الزمن فقط.

الفترة العثمانية: في ١٤٩٢، أنهت

المملكة الإسبانية اخراج العرب من شبه الجزيرة الإيبيرية باستعادة غرناطة، ونقلت المعركة إلى شمالي إفريقيا التي عجزت كياناتها الضعيفة عن المقاومة. واحتل الإسبان المرسى الكبير في ١٥٠٥، ووهران في ١٥٠٩، وبجاية ومدينة الجزائر في ١٥١٠.

في ١٥١٦، استنجد أهالي مدينة الجزائر بالوالى العثماني تركي عروج. فاحتل هذا الأخير المدينة وأخاه آخرى على الساحل، إضافة إلى تلمسان في الداخل، وبريغ سلطاناً على البلاد. وبعد مقتله في ١٥١٨، خلفه أخوه خير الدين بربوسا الذي وضع جميع الأراضي التي كان يسيطر عليها تحت حماية السلطان العثماني. وكانت نتيجة هذا العمل الحاسم، الذي وحّد تحت سلطة واحدة كل ساحل شمالي إفريقيا والمنطقة الداخلية القرية الواقعة بين قسنطينة ووهران، بروز الجزائر كمفهوم سياسي.

استمر الصراع بين العثمانيين

امام مؤتمر اوروبسي، توقفت فجأة لأن الشعب الفرنسي اطاح بسلالة البوربون في السنة نفسها. ثم استؤنف التوسيع بعد ١٨٣٤، ودام زهاء ربع قرن. وفي ١٨٣٧، تم الاستيلاء على قسنطينة، آخر معقل للحكم التركي. وبحلول ١٨٤١ كان الحكم الفرنسي قد ترسخت قدمه في معظم المدن والمرافئ وضواحيها.

كانت فرنسا تعدّ لضربيها منذ مطلع القرن (التاسع عشر)، وبالتحديد منذ ١٨٠٣ في ظل حكم نابوليون الذي ارسل احد جواسيسه الكابتن بوتان Boutin ليدرس دفاعات «الجزائر المحروسة» كما كانت تسمى، ويضع الخطط الالازمة للغزو متسبّباً بهم تجاريّة. فقد اراد الفرنسيون وضع حد لحكم عثماني استمر ٣١٥ عاماً، ولسيطرتهم على بحر غربي المتوسط تحت راية الاسلام. كما ارادوا إيجاد حل للازمة الاقتصادية والسياسية الحادة التي كانوا يعيشونها في ظل الحكم الملكي الذي أعيد ترسيغه بصعوبة. وساندت كل الانظمة الملكية في اوروبا الحملة الفرنسية وارسلت أمراءها وقادتها العسكريين لتحية الاسطول الفرنسي المتوجّه إلى افريقيا الشماليّة. ووحدها بريطانيا اعتراض لأنها كانت الدولة الأقوى في اوروبا وكانت تخشى اختلال التوازن ضد مصلحتها. وضمنت فرنسا حياد باي تونس و محمد علي في مصر في مقابل مبلغ من المال.

وهكذا توجه اسطول من ٢٠٠ سفينة عسكرية و ١٠٠ باخرة محملة بالمؤن باتجاه الساحل الجزائري. وكان واضحاً ان

قبائل البربر، في حين كانت قبائل أخرى تدفع للدّاي مكرهة.

مع اطلاق القرن الثامن عشر، وصعود القوة البحرية الاوروبية، بدأت فترة الخسار المدّن. فالانخفاض عدد سكان مدينة الجزائر من ١٠٠ ألف إلى أقل من ٣٠ ألفاً، في حين وسع زعماء القبائل سلطتهم في الداخل الذي ازدهر اقتصادياً إلى حد ما.

إبان المروءة النابوليّونية انتعشت القرصنة، وتحسن اقتصاد الجزائر، ولكن إلى حين، إذ طلبت الدول الاوروبية الكبرى إلى الدّاي ان يضع حدّاً للقرصنة. وفي ١٨١٦، قصف الاسطول البريطاني مدينة الجزائر. فجداً واضحاً انه لن يمض وقت طويل، حتى تستغل إحدى الدول الكبرى الحملة العادلة للرق في اوروبا، وضعف الجزائر نفسها، لاحتلال البلاد.

الحملة الفرنسية: كانت الذريعة الظاهرة للتدخل الفرنسي إهانة الدّاي لقنصل فرنسا في العام ١٨٢٧. أما السبب الحقيقي فكان رغبة بولينياك، رئيس الوزراء في عهد شارل العاشر، في تحسين مركزه امام الرأي العام الفرنسي، إضافة طبعاً إلىصالح الاستعمار، فجرّد حملة على الجزائر، وسقطت مدينة الجزائر في ٥ تموز ١٨٣٠، وألقي القبض على الدّاي وعلى معظم الموظفين الكبار من الاتراك وأرسلوا إلى المنفى. لكن مشروعات تدعيم الحكم الفرنسي وامتداده إلى المدن الساحلية الأخرى، وكذلك خطة بولينياك التي كانت تستهدف طرح مصير ما تبقى من البلاد



الميدان، في مدينة الجزائر الجديدة.



خور الدين ياشا
الملقب «بربروسا».

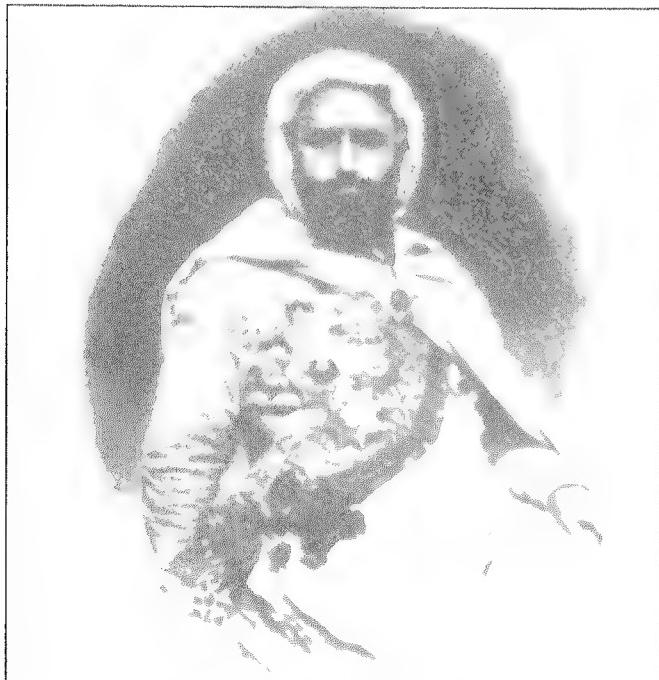
النساء والمحافظة على حرمة الدين. بعد ذلك ب نحو أسبوعين (٤ تموز ١٨٣٠)، اجتمع زعماء القبائل في تامنفست، بينهم الامير محيي الدين والد الامير عبد القادر الجزائري عن منطقة المعسرك (Mascara)، وأعلنوا بهذه المقاومة الوطنية متخطلين الادارة العثمانية التي اعتبروها مستقيلة من مسؤولياتها إزاء البلاد وكانتها لم تكن موجودة أصلاً، وأخذ زمام المبادرة بين أيديهم.

الامير عبد القادر الجزائري: في ٢٧ تشرين الثاني ١٨٣٢، ثُمت مبايعة الامير عبد القادر الجزائري كامير على كامل البلاد الجزائرية وهو لم يتجاوز بعد الرابعة والعشرين من العمر (يختلف الجزائريون كل عام بذكرى هذه المبايعة). فقاطع الجيش الفرنسي لمدة ١٧ عاماً مقارعة الند للند، وأمتاز ببراعته الدبلوماسية وبعقريته الحربية. فعقد في البداية معااهدات مع الفرنسيين وطدت مركّره كزعيم لاتحادات القبائل في الغرب. غير انه ما لبث ان أعلن الحرب على الفرنسيين في ١٨٣٩، ثم حقق توحيد العرب والبربر ضد الغزاة (راحى باب «الاسلام الجزائري»).

كان غيزو Guizot رئيس حكومة لويس فيليب عين الجنرال بيجو Bugeaud على رأس الجيش المكلف سحق الامير وكتب إليه متّهّماً: «لا يمكن الخلاص من رجل عظيم على رأس أمته إلا إذا تم قتله أو أسره». ولكن لم يتم أسر الامير أو قتله برغم انه كان دائمًا على رأس رحاله. ولم

المهاجمين كانوا يتتصورون انفسهم وكأنهم يقومون بحرب صليبية جديدة ضد المسلمين حتى اذا توقف الاسطول للراحة في جزيرة بما أعلن حاكمها الماركيز دي رومانا اياماً من الفرح العام ابتهاجاً وتحية لـ«محاري الصليب ضد اهلل» (من المعروف ان راية «الahlal» اصلها تركي، فالاتراك هم الذين اعطواها محتواها السياسي والديني ليدلّوا بها على حربهم ضد «الكافار»، واحتفظ الجزائريون بهذه الرأية في علمهم الوطني).
والاسطول الذي غادر الموانئ
الفرنسية يوم ٢٥ ايار ١٨٣٠ وصل إلى الساحل الجزائري يوم ٤ حزيران، وبدأ الانزال في منطقة سيدي فرج بعد محاولات تمويهية لايهام المدافعين عن المدينة بأن المجرم البحري على المدينة لا على ضاحيتها الغربية.

المقاومة: حاب الخيالة الجزائريون بسرعة كبيرة أنحاء البلاد وعمقها لإنخطار السكان بما حدث ودعّتهم الصعود إلى الجبهة. وجاء أكبر عدد من المقاومين من بلاد القبائل (١٧ ألف مقاتل)، وارسل باي قسطنطينة ١٢ ألفاً، وباي التيطري ٨ آلاف، وباي وهران ٦ آلاف، وباي الميزاب ٤ آلاف، بالإضافة إلى الحرس التركي. وتنظمت المقاومة في سidi فرج والشراقة وسطاوي (سطح الوالي)، ودامت شهراً واحداً بقيادة الآغا صهر الوالي. وفي ٤ تموز ١٨٣٠، أعلن الوالي استسلامه، ووقع على معااهدة ضمن فيها نظرياً من طرف الغزاة حماية الممتلكات واحترام السكان وحماية



الامير عبد القادر.

.المشيرال بيجو (Bugeaud)



وسجل في دمشق صحفة ناصعة أخرى من صفحات عمره حين حمى المسيحيين في اعقاب الفتنة الطائفية التي شهدتها جبل لبنان والشرق في ١٨٦٠. وكانت صورته تكبر باستمرار حتى ان نابوليون الثالث ارسل في ١٨٦٥ پقترح عليه ملكاً على «ملكة عربية في الشرق»، فرفض. توفي في ١٨٨٣.

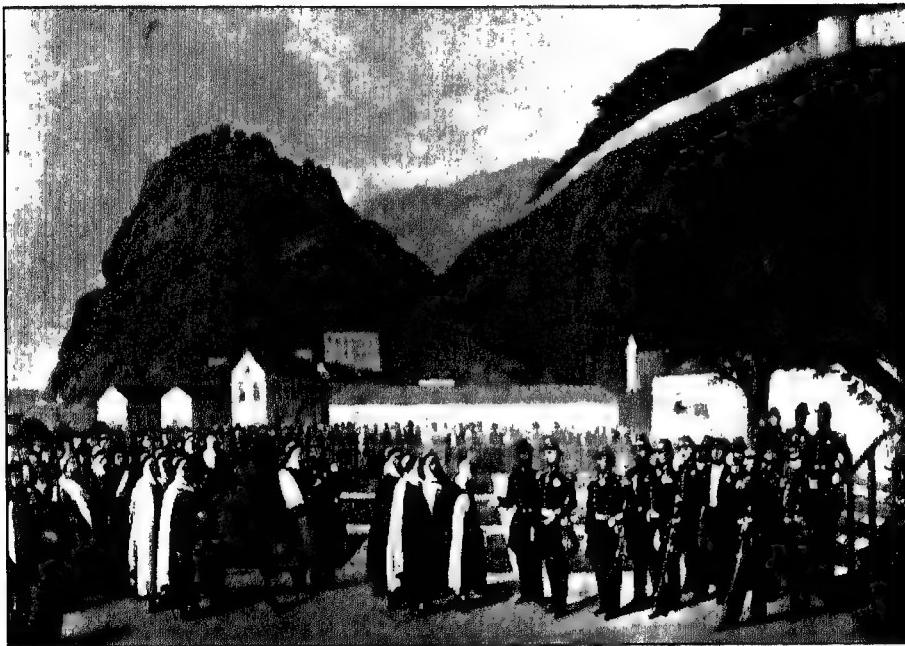
الاستعمار: في او اخر الاربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر، وبعد ان تم القضاء على مقاومة الامير عبد القادر الجزائري، ألمحت مقاومة القبائل على حدود الصحراء، وفي ١٨٥٧ استسلمت التحاديات البربر في منطقة القبائل، فكان ذلك ايذانا باستكمال هيمنة فرنسا على كامل البلاد وإن استمرت بعض الانتفاضات تزعجها، خصوصاً بعد هزيمتها امام بروسيا في حرب ١٨٧٠.

اتبعت السياسة الفرنسية الاستعمارية مصادرة الارضي على نطاق واسع وإعطاءها للمستوطنين الاجانب. وبحلول ١٨٦٠، كانت افضل اراضي الجزائر في ايدي الفرنسيين، حيث اقيمت فيها مشروعات تنمية واسعة. وصودرت اراضي اخرى بعد ١٨٧١-١٨٧٠، واعتبرت الجزائر مقاطعة (Département) فرنسية، وبدأت المنطقة المشمولة بالحكم العسكري تتقلص باستمرار في دلالة إلى امساك فرنسا بزمام الامور. فبدأت الجزائر لتكون مسرحاً لنشاط إقتصادي واسع، ولهجرة اوروبية متزايدة، خصوصاً من ايطاليا. وامتازت هذه الحقبة بنمو الزراعة وازدهار الصناعات، ما

يلق سلاحه إلا بعدما تخلى عنه سلطان المغرب، كما تم في وقت سابق رشوة محمد علي في مصر وباي تونس لضمان صمتهما على غزو الجزائر.

صمدت مقاومة عبد القادر حتى ١٨٤٧، حينما هزم امام المساورات والاساليب الحربية التي استخدمها الجنرال الفرنسي بيجو الذي يعتبر المخطط الحقيقي للحكم الفرنسي في الجزائر. وعند استسلامه وطلبه الأمان، اشترط على الجنرال لاموريسيير Lamoriciere ان يتم نقله مع حاشيته إلى بلد مسلم، فقبل الجنرال الفرنسي شرط الامير، وقدّم له سيفه الخاص كضمّان. وجاء دوق أومال، الحاكم العام من الجزائر العاصمة لاعطاء الأمان والتأكيد على احترام شرط الامير الذي رفض كل العروض المغربية التي قدمت له ليعيش في فرنسا.

في ٢٦ تشرين الاول ١٨٥٢، عرضت عليه السلطات الفرنسية، وهو في معتقله في قصر أمبواز Amboise، بعد أن اشادت بمناقبته، ان يذهب إلى حيث يشاء. وفي ٧ كانون الثاني ١٨٥٣، نقلته السفينة الحربية لا برادرور Labrador مع عائلته وحاشيته إلى العاصمة التركية حيث استقبل استقبلاً حاشداً، واحتفار لاقامته قصر «بروسا» الذي اعلنته الدولة التركية مؤخراً (حوالي العام ١٩٧٠) أثراً تاريخياً وأطلقت عليه إسم «دار الجزائر». وبعدما أمضى ثلاث سنوات في تركيا، انتقل إلى دمشق التي استقبلته استقبلاً لم يحظ به سوى صلاح الدين قبل ذلك التاريخ بسبعة قرون.



استسلام عبد القادر للجنرال لامورسيير، في ١٨٤٧، بعد ١٥ عاماً من المارك.

جماعاته ووسائل اعلامه وغير مؤسسه من أفكار تحريرية ودعوات ديمقراطية. من هذه الشعوب شعب الجزائر. والدليل الأكبر على ذلك الدور الوطني الذي حملته فتنان من الجزائريين: فضة المحاربين الجزائريين في الجيش الفرنسي في أوروبا، وفضة الجزائريين الذين تلقوا علومهم في فرنسا أو عملوا فيها. أضف إلى ذلك دون شك فضة ثلاثة، فضة الداخل، فضة رجال الدين الذين تمسكوا بتراثهم تجاه الغزو الغربي. بمعرض عن فكرة حداثة من هناك أو دعوة حداثة من هناك.

في ١٩٢٤، أسس أحد هؤلاء الطلاب الذين درسوا في فرنسا، مصالي الحاج، في باريس أول جريدة وطنية جزائرية بالتعاون مع الحزب الشيوعي الفرنسي. ثم قطع كل صلة له مع هذا الحزب في ١٩٢٧، واضطروه حركته للعمل سراً، غير أنهم عادوا للعمل علناً في ١٩٣٣ حين اشتركوا في مؤتمر لبحث مستقبل الجزائر،

زاد في قوة الأوروبيين الاقتصادية. وفي ١٩٠٠ منحت الجزائر حكماً ذاتياً إدارياً ومالياً يتولاه المستوطنون الأوروبيون بنسبة الثلثين والجزائريون بنسبة الثلث.

من ناحية أخرى، كان شعب الجزائر قد انتقل من حالة الرخاء النسبي إلى حالة التقهر الثقافي والاقتصادي الاجتماعي، فضلاً عن تفكك القبائل والقضاء على الاقتصاد التقليدي في سياق حملات «التمدين» الفرنسية (التي تمت أكثر ما يكون من خلال الإجراءات المتعلقة بالتربية والتعليم واللغة). كما حلت زراعة الكرمة لانتاج النبيذ محل زراعة الحبوب المخصصة للاستهلاك المحلي.

بين الحربين العالميتين: بعد الحرب العالمية الأولى، احتاحت الشعوب المستمرة الروح الوطنية التي تعود بجزء كبير منها في الحقيقة إلى المستعمر نفسه وما يشه في

الشامل ودون ان يزد فيها ذكر للاستقلال التام.

وأعقب هذه المطالب، التي تجاهلتها السلطات الفرنسية، صدور «بيان الشعب الجزائري» في مطلع ١٩٤٣، فدعا لاصلاحات فورية، بينما اعتبار اللغة العربية رسمية على الفور. وفي شهر ايار ١٩٤٣، طرحت مقترنات جديدة تدعوا إلى قيام دولة جزائرية بعد الحرب، على ان يعقبها اتحاد شمال افريقي بين تونس والجزائر والمغرب. وقد رفضت الادارة الفرنسية جميع تلك المقترنات.

على أثر زيارة ديغول للجزائر في ١٩٤٤، منحت الجزائر نظاماً جديداً وضع على أساس الحل الوسط، غير انه لم يرض الجزائريين ولا المستوطنين الفرنسيين. وبعد مدة أسس فرحات عباس جماعة «أصدقاء البيان والحرية» لتعمل من أجل جمهورية جزائرية تتمتع بالحكم الذاتي وتقيم علاقة فدرالية مع فرنسا. وكانت هذه الجماعة تعتمد على الطبقة الوسطى الجزائرية، ثم اكتسبت تأييد فئات شعبية. وإذاء هذه الموقف الوسطية لاقت حركة مصالي الحاج تأييداً جماهيرياً عاماً في ١٩٤٤ و ١٩٤٥.

وكانت ١٩٤٥ معطفاً حاسماً في تاريخ الجزائر الحديث إذ أقدم الفرنسيون على قمع مظاهرات سطيف (راجع باب «المعلم التاريخية») بصورة عنيفة اسفرت عن مقتل الآلاف من الجزائريين، وحلوا التكتلات الوطنية التي صارت تقترب أكثر فأكثر بأن القوة هي السبيل الوحيد لتحقيق مطالبتها. ومع ذلك فقد حاول الجانبان مرة

دعا إلى الاستقلال التام وسحب القوات الفرنسية وإقامة حكومة ثورية وإجراء إصلاحات واسعة بالنسبة إلى ملكيات الاراضي وتأميم المشروعات الصناعية.

وكان ثمة مجموعات أخرى من الجزائريين الذين تعلموا في فرنسا تعبر عن آراء أكثر اعتدالاً، بينهم فرحات عباس الذي دعا، في ١٩٣٠، إلى دمج الجزائر الكامل بفرنسا على أساس المساواة التامة. وجاء انتصار الجبهة الشعبية في فرنسا (١٩٣٦) ليشجع هذا الاتجاه. ولكن خطبة بلوم-فيوليه (Blum-Violet) لمنح الجنسية الفرنسية لعدد متزايد من الجزائريين فشلت أمام معارضة المستوطنين والإدارة الفرنسية في الجزائر.

وامتازت سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة بنهاض وطني متزايد، لعبت فيه القرى الدينية بزعامة ابن باديس والشيخ الابراهيمي (جمعية العلماء المسلمين) والقوى الشعبية بزعامة مصالي الحاج الذي أسس في هذه الأثناء حزب الشعب الجزائري، دوراً بارزاً. وجاء اندلاع الحرب ليضع حدّاً مؤقتاً لنشاطات الوطنيين، غير انه عزّ آمالهم بالنسبة إلى المستقبل.

إبان الحرب العالمية الثانية، سنوات ما قبل التحرير: بعد ازوال قوات الحلفاء في شمال افريقيا (١٩٤٢) قات جماعة يرأسها فرحات عباس بتقديم مذكرة إلى السلطات الفرنسية والقيادة الحليف، في ٢٢ كانون الاول ١٩٤٢، تطالب بإنشاء جمعية تأسيسية جزائرية على أساس حق الانتخاب

ولايات، عين لكل ولاية مسؤول عسكري. وعندما بدأت الانتفاضة في أول تشرين الثاني (١٩٥٤) غير المجلس اسمه فأصبح «جبهة التحرير الوطني» وأطلق إسم «جيش التحرير الوطني» على قواتها المسلحة. وانطلقت الثورة من الاوراس، وامتدت في ١٩٥٥ إلى منطقة قسنطينة ومنطقة القبائل وشلت منطقة الحدود المغربية غربي وهران. ومع نهاية ١٩٥٦ كان جيش التحرير قد انتشر في جميع أنحاء الجزائر.

انضم فرحات عباس وأحمد فرنسيس وجمعية العلماء المسلمين إلى جبهة التحرير الوطني في ١٩٥٦، بحيث أصبحت تضم جميع الاتجاهات باستثناء حركة مصالي الحاج. وفي آب انعقد مؤتمر سري للجبهة في الصومام (راجع باب «المعلم التاريخية») في منطقة القبائل انتخب لجنة مركزية وبمجلساً وطنياً للثورة الجزائرية، ووضع برنامجاً اشتراكياً للجمهورية الجزائرية، وأقر خططاً لبدء عمليات ثورية في الجزائر.

في مطلع الثورة، كانت حكومة فرنسا مقتنعة أن الدعم الخارجي كان سند الثورة الأول، لذلك أرسلت وزير خارجيتها إلى القاهرة لاقناع الرئيس جمال عبد الناصر بسحب تأييده للثورة. لكن المهمة فشلت. وعندما جاء غي موليه، رئيس حكومة فرنسا، إلى التواطؤ مع إسرائيل وبريطانيا لغزو مصر في نهاية تشرين الأول ١٩٥٦. غير أن العملية لم تؤثر على عبد الناصر، ولم تقض على النضال الجزائري، بل قوّت مركز جبهة التحرير، إذ منحتها مزيداً من دعم الدول الحديثة الاستقلال وغير

آخر إيجاد حلول سياسية، غير أنها كانت تصطدم دائماً بتصلب المستوطنين الفرنسيين وعدم استعدادهم لتنازلات محسوبة.

في مطلع ١٩٤٧، شكل شباب اعضاء في «حركة انتصار الحريات الديمقراطية» (كان مصالي الحاج قد أسسها بعد ١٩٤٥) ما دعي «المنظمة السرية» التي بدأت بجمع الأسلحة والاموال وبناء شبكة خلايا عبر الجزائر، استعداداً لانتفاضة مسلحة، وإنشاء حكومة ثورية؛ وبعد ستين شعرت المنظمة أن قوتها باتت تسمح لها بشن عمليات مسلحة في وهران. وفي وقت لاحق اكتشفت الحركة واعتقل قادتها. غير أن بعض اعضائها ظلوا أحراضاً، والتجأوا إلى منطقة القبائل، المعقل التقليدي للشوار، في حين فرّ منظم الهجوم، أحمد بن بلة، إلى القاهرة عام ١٩٥٢.

وفي هذه الاثناء كانت صفوف الحركة تذبذب بانشقاق تفجّر علنّا في ١٩٥٣. وفي آذار ١٩٥٤، أسس تسعة من اعضاء المنظمة السرية السابقة «المجلس الشوري للوحدة والعمل» (راجع باب «المعلم التاريخية») للإعداد لثورة فورية ضد الحكم الفرنسي.

حرب الاستقلال: تحت هذا العنوان، جاء في «موسوعة السياسة» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٢، ط ١، ١٩٨١، ص ٦٠-٥٨):
أعدت خطة الانتفاضة في سلسلة اجتماعات عقدها اعضاء المجلس في سويسرا في ١٩٥٤، وقسمت الجزائر إلى سنت

اعتقال القادة، وقصف قرية «ساقية» في تونس (١٩٥٨) الذي اسفر عن مقتل ٧٩ شخصاً، لم يؤثرا في تحركات الجبهة ونشاطها. وهكذا وجدت فرنسا ان لا مفرّ لها من التفاوض مع الجبهة، ما أثار ردة فعل عنيفة من المستوطنين الأوروبيين الذين كان نصفهم فقط من أصل فرنسي.

في ١٣ أيار ١٩٥٨، تمرد المستوطنون وشكلوا جلّانا للسلامة العامة في المدن الجزائرية الكبيرة. وبarak الجيش الفرنسي خطوة المستوطنين الذين استغلوا تخفّف الحكومة الفرنسية من اندلاع حرب أهلية في فرنسا، وأطاحوا الجمهورية الرابعة واعادوا الجنرال ديغول إلى الحكم أملأاً في ان يؤيد ديغول مطلبهم القاضي بدمج الجزائر دجماً تاماً بفرنسا. ومع ان ديغول عزّز العمل العسكري للقوات الفرنسية التي كان عددها ٥٠٠ ألف جندي، فإن ذلك لم يؤدّ إلا إلى مزيد من اعمال الارهاب في الجزائر وإلى

المحازة. بين ايلول ١٩٥٦ وحزيران ١٩٥٧ شنت الجبهة حملة تفجير قنابل أُرقت في صفو الفرنسيين اصابات عديدة، وردّ الفرنسيون بقمع متزايد رافقته اعمال تعذيب وسجن أثارت الاستنكار في فرنسا والعالم.

في ١٩٥٧، وضعّت حكومة بورجييس-مانوري التي حلّت محل حكومة غي موليه، تشريعًا يهدف لربط الجزائر نهائياً بفرنسا، لكن القانون لم يقرّ. وبعد مؤتمر الصومام وضعّت خطة مغربية-تونسية لاتحاد شمال أفريقي مرتبط بفرنسا. وببدأ قادة جبهة التحرير إجراء مفاوضات في المغرب في ٥ تشرين الاول ١٩٥٧. غير انّ أحمد بن بلة ورفاقه، خطّفوا أثناء طيرانهم من المغرب إلى تونس حينما حط الطيار الفرنسي بهم في الجزائر، ووضع القادة المخطّفون في السجن في فرنسا. لكن



القادة الذين اختطفوا في الجلو. من بين الصورة:
رایح بیطاٹ،
محمد بوضیاف، محمد
خیضر، احمد بن بلة،
حسین آیت احمد.

الصحراء، وكذلك بسبب الهجوم الفرنسي على بائزرت (راجع «تونس» في هذا الجزء).

في هذه الائتمان كان المستوطنون مع فلول من الجيش الفرنسي قد شكلوا «منظمة الجيش السري» المأذنة للمفاوضات ولنزاع السلطة من الأوروبيين. وفي ٢٢ نيسان ١٩٦١، نظم أربعة جنرالات هم: شال، زيلر، جوهو وسالان عملية الاستيلاء على مدينة الجزائر، غير أن انقلابهم فشل لأن أغلبية الضباط لم تسانده. بعد ذلك، تصاعدت الحرب مجدداً بين الفرنسيين والثوار، وراح اعضاء منظمة الجيش السري يشنون هجمات إرهابية في الجزائر وفرنسا معاً.

استؤنفت المفاوضات في كانون الأول ١٩٦١، وانتقلت في كانون الثاني ١٩٦٢ إلى جنيف وروما، وشارك فيها القادة الخمسة المعقولون. واسفرت المرحلة الأخيرة من المفاوضات التي جرت في إيفيان عن التوقيع في ١٨ آذار ١٩٦٢ على اتفاقية وقف اطلاق النار، مع اعلان السياسة التي ستبع مستقبلاً. ونص الاعلان على استقلال دولة جزائرية مستقلة بعد فترة انتقالية، وعلى صياغة حقوق الافراد وحرياتهم، وصدرت بيانات في اليوم التالي تتعلق بحقوق المواطنين الفرنسيين في الجزائر، ومستقبل التعاون الفرنسي-الجزائري. وفي المجال العسكري، اتفق على ان تختفظ فرنسا بالقاعدة البحرية في «مرسى الكبير» لمدة ١٥ سنة، وكذلك موقع التجارب النووية في الصحراء، فضلاً عن حقوق ازالة مختلفة

مزيد من التوتر على حدود المغرب وتونس. وردت جبهة التحرير في ١٩٥٨ بانشاء «الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية» في آب ١٩٥٨، برئاسة فرحات عباس، وبعضوية أحمد بن بلة وسواء من القيادة المعتقلين. وفي الوقت نفسه كان ديجول يميل للاعتراف بقوة الوطنية الجزائرية والقبول بطلاب جبهة التحرير.

كانت تصريحات ديجول في البدء غامضة. غير انه اصدر بياناً واضحاً في ايلول ١٩٥٩ اقرّ فيه بحق الجزائريين في تقرير مستقبلهم بأنفسهم. وفي كانون الثاني تردد المستوطنون واقاموا المغاريس في شوارع الجزائر؛ لكن تردهم ما لبث ان انهار بعد تسعه ايام لأنه لم يحظ بتأييد الجيش. وبدأت المحادلات الاستطلاعية الاولى بين الفرنسيين وجبهة التحرير سرّاً، قرب باريس، في صيف ١٩٦٠، غير أنها انتهت بالفشل.

في تشرين الثاني (١٩٦٠) أعلن ديجول انه سوف يجري استفتاء حول تنظيم الحكم في الجزائر ريثما يتم تقرير المصير، ثم زار الجزائر بنفسه لهذا الغرض. وفي الاستفتاء طلب إلى الجزائريين الموافقة على مسودة قانون ينص على تقرير المصير وعلى اصلاحات فورية تتيح للجزائريين المشاركة في الحكم. غير ان الاستفتاء تعرض لعمليات امتناع واسعة. وفي شباط ١٩٦١، اجرت حكومة فرنسا اتصالات جديدة مع جبهة التحرير عبر رئيس جمهورية تونس. وادت المحادلات السرية إلى مفاوضات مباشرة في إيفيان على الحدود الفرنسية-السويسرية. غير ان المفاوضات فشلت بسبب موضوع



فوق: عيد النصب الذي يرمز إلى مئوية الاحتلال الفرنسي، جزائريات من كل الأعمار في تظاهرة تطالب بالاستقلال. تحت: أول قمر ١٩٦٢: استفتاء حق تقرير المصير: ٥ ملايين و٩٩٣ و٧٥٤ صوتاً (ضد ١٦٤٧٨ صوتاً) انتزعوا للدولة الجزائرية مستقلة وتعاونة مع فرنسا. أوراق الاستفتاء كتبت باللغتين، العربية والفرنسية.



لمدة ٥ سنوات.

واستناداً إلى اتفاقيات إيفيان تشكلت حكومة مؤقتة في ٢٨ آذار ١٩٦٢ برئاسة عبد الرحمن فارس. وجرى اطلاق سراح بن بلة ورفاقه المعتقلين، وتم ترحيلهم إلى المغرب. وقد اعترف الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية والعديد من دول آسيا وأفريقيا بالحكومة المؤقتة على الفور.

كان توقيع اتفاقية إيفيان بمثابة إشارة الانطلاق للمحاولات الأخيرة اليائسة من جانب «منظمة الجيش السري». فقد شكل «المجلس الوطني للمقاومة الفرنسية» في الجزائر برئاسة الجنرال سالان، وشنّت وحدات الكوماندوس هجمات ضد السكان الوطنيين ودمرت عدة أماكن عامة بهدف حرق وقف اطلاق النار. ومع فشل الجيش السري في تعميم التمرد الذي انطلق من أورليانفيل، ووقع الجنرال سالان في الأسر في ٢٠ نيسان ١٩٦٢، وبجدد الاعمال الثأرية من جانب جبهة التحرير، ازداد عدد الفرنسيين الذين كانوا يغادرون الجزائر. وكشفت مفاوضات سرية فاشلة بين الجيش السري وجبهة التحرير حول تأمين ضمانت للسكان الأوروبيين عن وجود انشقاق ضمن الجيش السري، كان مؤذناً بانتهاء نشاطه الإرهابي. ومع حلول شهر حزيران ١٩٦٢ كان أكثر من نصف الأوروبيين قد غادروا الجزائر. وفي استفتاء عام جرى في أول تموز ١٩٦٢، اقترع ٩١٪ من الجزائريين مع الاستقلال. وفي الثالث من الشهر نفسه أعلن الجنرال ديغول انسحاب فرنسا من الجزائر بعد استعمار دام أكثر من

١٣٠ عاماً.

وعبد القادر فراج، اتخذت السلطات الدينية الفرنسية، وعلى رأسها مطران الجزائر المونسيور دوفال (الذى عرف بموافقه المؤيدة للوطنيين الجزائريين ما جعل أهل قومه يطلقون عليه، سخرية، لقب «بن دوفال»)، موقفاً مناهضاً لهذا الاعدام وللسياسة الفرنسية في الجزائر، رغم الوسائل الارهابية التي كان يلجأ إليها المستوطنون الأوروبيون في الجزائر، ومعهم منظمات سياسية وعسكرية وأطراف في السلطة، وليس أقل هذه الوسائل اتهام كل مواطن فرنسي يساعد الجزائريين بالخيانة.

جاء بيان ١٠ أيلول ١٩٦٠ ذروة تحرك «ثقافي - ضميري» أربك السلطات الفرنسية ومناصري السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر. إذ حمل هذا البيان توقيع غير عادلة، تواقيع فلاسفة وأدباء ومفكرين ومبuden فرنسيين، يمثلون الكثير الكبير بالنسبة إلى الضمير الثقافي الفرنسي، وندر لبعضهم ان تدخل في سياسة البلاد. على رأس الموقعين على البيان: جان بول سارتر، موريس بلانشو، سيمون دي بوفوار، أندريه بريتون، مرغريت دورا، آلان رينيه، آلان روب غرييه، سيمون سينيوريه، هنري ليغوفر، غي ديبور ولوران شوارتز. وما زاد من ارتباك انصار السياسة الاستعمارية ان هؤلاء الاشخاص، whom يمثلون صفوـة الحياة الثقافية الفرنسية، تعاملوا تناول المسألة، ليس من زاوية حق الجزائريين في الحرية والاستقلال وحسب بل من زاوية حق الفرنسيين انفسهم في الابتعاد عن حرب ظالمة لا يؤمنون بها وحقهم في

فرنسيون ينادون حرب الاستقلال: توصلت حرب استقلال الجزائر، خاصة في مرحلتها الأخيرة (الستينيات)، إلى ان تحدث شرحاً كبيراً في صفوف الفرنسيين انفسهم إلى درجة توقع البعض حدوث «حرب أهلية فرنسية» إذا لم يصار إلى حل قضية الجزائر. وكان المثقفون الفرنسيون على رأس المطالبين باعطاء الجزائر حقها في الاستقلال. وقد توجه مطلبهم هذا في «بيان المئة والواحد والعشرين» الذي أصدروه في ١٠ أيلول ١٩٦٠، وكان أبرز ما فيه الفقرة التي يقول فيها موقعه: «إننا نحترم ونجد كل التبرير لرفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري، وكذلك نحترم ونجد كل التبرير للسلوك الذي يسلكه أولئك الفرنسيون الذين يرون ان عليهم واجب تقديم العون والحماية للجزائريين المضطهددين».

في ذلك الحين، كانت الحرب الجزائرية في ذروتها. وبدأت تتشكل عبساً حقيقياً على كاهل الضمير الفرنسي. وتعددت حالات انسحاب الجنود من القتال في حرب استعمارية لا يؤدون بعدلتها ولا بجدواها. وهذه الظاهرة كانت قد بدأت، ولو على نطاق ضيق، منذ بداية حرب الاستقلال، إذ تم في ٦ حزيران ١٩٥٦ اعدام الجندي الفرنسي مايلر الذي رفض الانخراط في الحرب فقرّ من الجندي حتى اعتقل وحكم بالاعدام. وبعد أيام قليلة، وعلى أثر اعدام الجزائريين زيـانة بن محمد

الولايات.

من جهة أخرى، اعترفت الحكومة باللحان العمالية التي كانت، بعدم الاتحاد العام للعمال الجزائريين، قد تولت إدارة العديد من المؤسسات التي هجرها الفرنسيون. واعتبرت نظام «التسيير الذاتي» الذي ينص على انتخاب العمال مجلس إدارة يعمل إلى جانب مدير تعينه الدولة، أساساً للاشتراكية الجزائرية.

وفي نيسان ١٩٦٣، تولى بن بلة منصب سكرتير جبهة التحرير، ثم انتخب في ١٣ أيلول بعد تبني دستور رئاسي، رئيساً للجمهورية لمدة ٥ سنوات، بالإضافة إلى توليه رئاسة الحكومة ومنصب القائد الأعلى للقوات المسلحة. وقد استقال فرحات عباس من رئاسة الجمعية التأسيسية إثر هذه التطورات، ثم طرد من جبهة التحرير. وفي أواخر الصيف حدث تمرد في منطقة القبائل بزعامة «جبهة القوات الاشتراكية» التي يقودها آيت أحمد المسؤول السابق للولاية العقيد مهند ولد الحاج الذي استطاع بن بلة التفاهم معه في حين ظل آيت أحمد متمرداً. وفي تشرين الأول، أتم بن بلة ما تبقى من المؤسسات الفرنسية، كما عطل الصحف التي كان الفرنسيون يشرفون عليها.

في تشرين الأول ١٩٦٣، تحولت خلافات الحدود مع المغرب إلى اشتباكات عسكرية، ما لبثت أن توقفت بعد توسط الدول الأفريقية.

في نيسان ١٩٦٤، تبني المؤتمر الأول لجبهة التحرير، رغم معارضته اليمين وصمت مندوبى الجيش، «ميثاق الجزائر» (راجع

مماشة ضمائرهم. فكان أن فعل ذلك البيان فعله ونقل قضية مساندة الثورة الجزائرية إلى مستوى جديد لم يكن أعداؤها يتوقعونه. وقد أسس هذا البيان لما يمكن تسميته «تقليد ثقافي-ضميري» في العالم الغربي، يحق بمجتمعات هذا العالم ان تفخر به حقاً. إذ عادت مثل هذه المواقف للمثقفين متعاظمة في السنوات التالية ضد حرب فيتنام، وضد تدخل القوات السوفياتية في تشيكوسلوفاكيا وغير ذلك.

الجزائر بعد الاستقلال: في أيار ١٩٦٢، أقر المجلس الوطني للثورة الجزائرية في اجتماعه في طرابلس (ليبيا) برنائجاً أعدته لجنة ترأسها أحمد بن بلة، تناول في بنوده الاصلاح الزراعي على نطاق واسع ومصادرة الاراضي وإقامة تعاونيات فلاحية ومزارع للدولة، كما نص على احتكار الدولة للتجارة الخارجية، وعلى اتباع سياسة خارجية تستند إلى السعي لوحدة المغرب، والحياد، ومعاداة الامبرالياتية وخصوصاً في افريقيا.

ووجدت الجزائر نفسها عشية الاستقلال في ٣ تموز ١٩٦٢ غارقة في صراعات سياسية حادة، كادت تصل إلى الاقتتال الأهلي، لكنها حسمت رسميّاً في نهاية أيلول ١٩٦٢ بعد انتخاب فرحات عباس رئيساً للجمهورية، وأحمد بن بلة رئيساً للحكومة. ثم أقدمت الحكومة الجديدة على حلّ الحزب الشيوعي وحزب الثورة الاشتراكية (بو ضياف) وحزب مصالي الحاج، وأعقبت ذلك بالغاء نظام

الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، إلى جانب القضايا العربية، ومنها قضيتا فلسطين والصحراء. ففي ١٩٦٦ وقعت فرنسا والجزائر اتفاقية تنص على تقديم مساعدة تقنية وتعليمية فرنسية لمدة ٢٠ سنة، واتفاقية ثانية نصت على إلغاء ديون فرنسا للجزائر قبل الاستقلال، وتحديد دين فرنسا للجزائر بـ ٤٠٠ مليون دينار. غير أن العلاقات توترت حين تراجعت فرنسا عن تعهدها باستيراد النبيذ الجزائري. فتعهد الاتحاد السوفياتي عام ١٩٦٨ باستيراد نصف انتاج الجزائر من النبيذ. ويظل النفوذ الثقافي الفرنسي بالغ الأهمية في الجزائر، إذ هناك العديد من المعلمين الفرنسيين يعملون في الجزائر فضلاً عن كثرة استيراد السلع الاستهلاكية الفرنسية وما تقدمه فرنسا من مساعدة عسكرية، في مجال التدريب والمعدات للقوات المسلحة الجزائرية.

وشكلت قضايا النفط والغاز جانباً أساسياً من العلاقات الجزائرية الفرنسية. ففي ١٩٧٠، طلبت حكومة الجزائر إلى الشركتين الفرنسيتين: CFP وERAP، اللتين كانتا توليان انتاج ثالثي البرول الجزائري، زيادة اسعارهما المعلنة. وحينما تعثرت المفاوضات اتخذت الحكومة قراراً يقضي برفع السعر، ثم اعلنت في شباط ١٩٧١ الاستيلاء على ٥١٪ من اسهم الشركة مع تأميم منشآت الغاز والألياف بأسراها.

اعتبرت الحكومة الفرنسية الاجراء خرقاً لاتفاقية ١٩٦٥، وطالبت بتعليق عادل، باعتبار التعويضات التي أقرّتها الجزائر بمتحففة وتوقفت المفاوضات، وحاوت

باب «المعالم التاريخية» الذي اتقد الاخطاء الماضية لجبهة التحرير، وحدد العلاقات بين الحزب (جبهة التحرير) والدولة والجيش، وحاول ان يضع صياغة نظرية للاشتراكية الجزائرية المستندة إلى «الادارة الذاتية». وبعد المؤتمر عاود آيت أحمد التمرد، كما تمرد العقيد شعباني قائد الجيش في الجنوب الذي أسر في ما بعد وأعدم.

عهاد بومدين: في ١٩ حزيران ١٩٦٥، ووسط الاستعداد لاستضافة المؤتمر الآسيوي-الأفريقي، اطاحت حركة عسكرية تزعمها قائد جيش التحرير العقيد هواري بومدين بالرئيس أحمد بن بلة. وكان ذلك نتيجة صراعات سياسية وخلاف على النهج العام للسياسة الداخلية.

تولى السلطة السياسية في البلاد مجلس الثورة ترأسه العقيد بومدين. وتشكلت حكومة من ٢٠ عضواً كان بومدين رئيسها ووزير الدفاع فيها، في حين استمر عبد العزيز بوتفليقة في وزارة الخارجية. وكان هدف النظام الجديد، كما حدده بومدين، إعادة تأكيد مبادئ الثورة، وتصحيح أخطاء السلطة التي نسبت لبن بلة، وانهاء الانقسامات الداخلية، وخلق مجتمع اشتراكي أصيل، يستند إلى اقتصاد سليم. وعلى صعيد المخارجي أعلن استمرار سياسة عدم الاحياز وتأييد حركات التحرر.

على صعيد السياسات الخارجية التي اتبعتها الجزائر في ظل حكم الرئيس بومدين، تيز قضية العلاقات مع فرنسا وكل من

السويس حتى ١٩٧٠. وبعد اتفاقيات كامب ديفيد انضمت الجزائر إلى «الجبهة القومية للصمود والتصدي»، كما شاركت في مؤتمر بغداد الذي أدان هذه الاتفاقيات.

ومنذ ١٩٧٥، توترت العلاقات الجزائرية-المغربية والجزائرية-الموريتانية بسبب قضية الصحراء «الإسبانية» سابقاً. فقد احتجت الجزائر بعنف على قرار إسبانيا تسليم الصحراء للمغرب وموريتانيا، والجزائر تدعم جبهة «بوليساريو» التي تقاتل الجيشين المغربي والموريتاني تحت شعارات تحرير الصحراء. واعترفت الجزائر في ١٩٧٦ بـ«جمهورية الصحراء العربية الديمقراطية»، وفي الوقت نفسه تعتبر المغرب أن الجزائر مسؤولة عن القتال وترفض الاعتراف بوجود حركة تحرير مستقلة.

على الصعيد الداخلي، اعتمد الرئيس بومدين في سياسته التنموية على مبدأ اعطاء الأولوية لقطاع «انتاج ادوات الانتاج»، كذلك مقوله «الحلقات القائدة للقطاعات الاقتصادية»، ثم اضاف إلى هذين المفهومين اطروحة «الراكم الاشتراكي البدائي»، وبدأ الدعاية لمشروعه التنموي تحت شعار اساسي اشتهر حينها بـ«مفهوم الصناعات المصنعة» (كان وزير الصناعة والطاقة، من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٧، عبد السلام بلعيد الذي أصبح رئيساً للوزراء في ١٩٩٣). وتزامن اسلوب بومدين هذا مع عملية الاصلاح الزراعي في الريف التي انحصرت في تأميم الملكيات الكبيرة وتوزيعها على الفلاحين. وصرفت بلايين الدولارات على بناء بنية تحتية وصناعية متينة. ولكن هذه البنية

الحكومة الفرنسية ان تنظم عملية مقاطعة للنفط الجزائري، كما تعرض بعض العمال الجزائريين في فرنسا (وعدهم ٧٠٠ ألف- في أواسط السبعينات) للعنف وسوء المعاملة. لكن المفاوضات استؤنفت بين شركة «سوناتراك» الحكومية الجزائرية، والشركتين الفرنسيتين، واسفرت عن اتفاق تحولت بموجبه الشركة إلى شريكين صغارين للدولة الجزائرية مقابل واردات نفط مضمونة.

وفي ١٩٧٥، قام الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان بزيارة الجزائر، في أول زيارة لرئيس فرنسي منذ حرب الاستقلال، ما شكل خطوة ايجابية في العلاقات بين البلدين. غير أن هذه العلاقات ظلت تتعرض للتوتر إما لأسباب اقتصادية (الخلل في المبادرات التجارية لصالح فرنسا) أو سياسية (الموقف الفرنسي المؤيد للمغرب في قضية الصحراء).

وأخذت الجزائر على موقفاً انتقادياً من الولايات المتحدة، وقد قطعت العلاقات بين البلدين في ١٩٦٧، ثم استؤنفت. ومن جهة أخرى فإن المشروعات الأميركية في الجزائر تلقى التشجيع، خصوصاً في مجال النفط، حيث ثمة استثمارات أميركية مهمة؛ وقد وقعت في ١٩٦٩ اتفاقية لبيع الغاز السائل للولايات المتحدة.

على صعيد الصراع مع إسرائيل، سارت الجزائر في خط دعم منظمات المقاومة الفلسطينية كما دعت إلى اتخاذ موقف متصلب من إسرائيل. وقد بقيت قوات جزائرية محدودة في جهة قناة

الراسي («الحياة»، العدد ١١٦٩، تاريخ ١٢ ايلول ١٩٩٣، ص ١٤) أهمها على الشكل التالي:

- ١ - سلوكه الشخصي الذي كان يجعله فوق الشبهات؛ فكان الناس يميزون بينه وبين من هم حوله من يستفيدون من مواقعهم في السلطة ملء حيوفهم. كما ان تدينه وتمسكه الشديد بالدين لعب دورهما في كسب حب الناس له، خصوصاً انه صاحب تاريخ نضالي لا تشوهه شائبة.
- ٢ - الظرفية النفطية التي جعلت الدولة تصرف على مختلف المرافق العامة، وتلي الخدمة الاجتماعية الأساسية. فلا تظهر الفوارق الطبقية على السطح ويقى المستوى العام للحياة مقبلاً.
- ٣ - وجود نظام مخابراتي شديد الفعالية، قادر على سحق أي معارضه في المهد. وكان الجزائريون يتذرون بتسميته «الرياضة والموسيقى» Sport et Musique (S.M.) وهي الأحرف الأولى نفسها لجهاز الاستخبارات العسكرية Sécurité Militaire. وكان المعارضون أو حتى الذين يفكرون بالمعارضة يوماً ما يخشون هذا الجهاز خشية كبيرة.
- ٤ - وجود نظام عسكري. فالجيش كان صاحب الكلمة الفصل في شؤون السلطة. وكان رئيس الجمهورية هو ايضاً رئيس مجلس قيادة الثورة، ورئيس الوزراء ووزير الدفاع. والمحاولة الانقلابية الوحيدة التي قام بها الطاهر الزبيدي (من قادة ثورة التحرير في منطقة قالمة) باءت بالفشل.
- ٥ - بروز مشكلة الصحراء الغربية

ظللت مرتبطة بالسوق الخارجية بجهة استيراد المواد الأولية. وبقي القطاع النفطي وحده مصدراً للعملة الصعبة، مع ما يفترض ذلك من خضوع لقواعد العرض والطلب في السوق الدولية. ولكن الخلل الكبير وقع عندما أهملت الزراعة فأدت إلى هجرة متعاظمة من الريف إلى المدينة، وتصاعدت معها نسبة البطالة.

وبرغم تكون طبقة عاملة فاعلة ومؤثرة إلا ان تلك الصناعات الكبيرة والوحدات الانتاجية الضخمة ركزت سلطة القرار الاقتصادي بين أيدي حفنة قليلة من البوروكراطيين، كما كان القرار السياسي محصوراً بين يدي الرئيس ومن يحيطون به. ولعل هذه المركزية الشديدة هي التي لعبت دوراً كبيراً في تفشي الرشوة والمحسوبيّة وانتشار العملات. فقد اجتمعت هذه العوامل كلها: اهمال الزراعة، الصناعة الثقيلة التي لم تعمل ابداً بكامل طاقتها، مركزية القرار الاقتصادي، الهجرة الكثيفة من الريف إلى المدينة، بروز طبقة من البوروكراطيين لم يكن لها وجود في تاريخ الجزائر... اجتمعت كلها لحرف الثورة الصناعية عن اهدافها الأساسية وجعلتها في طبيعة الحال تصب في طاحونة رفض ما هو قائم، هذا الرفض الذي ترجم في العودة إلى الاصولية التي بدأت تملأ كل مساحة اجتماعية تنسحب منها السلطة أو تتركها تتدبر امرها بنفسها.

وإذا كان هواري بومدين قادرًا على ضبط البوار المتفجرة خلال عهده فذلك يعود إلى جملة عوامل محددة يسوق جورج



الرئيس هواري بومدين بين الرئيس العراقي صدام حسين (إلى يمين الصورة) وشاه إيران (في الجزائر العاصمة، ٤ آذار ١٩٧٥).

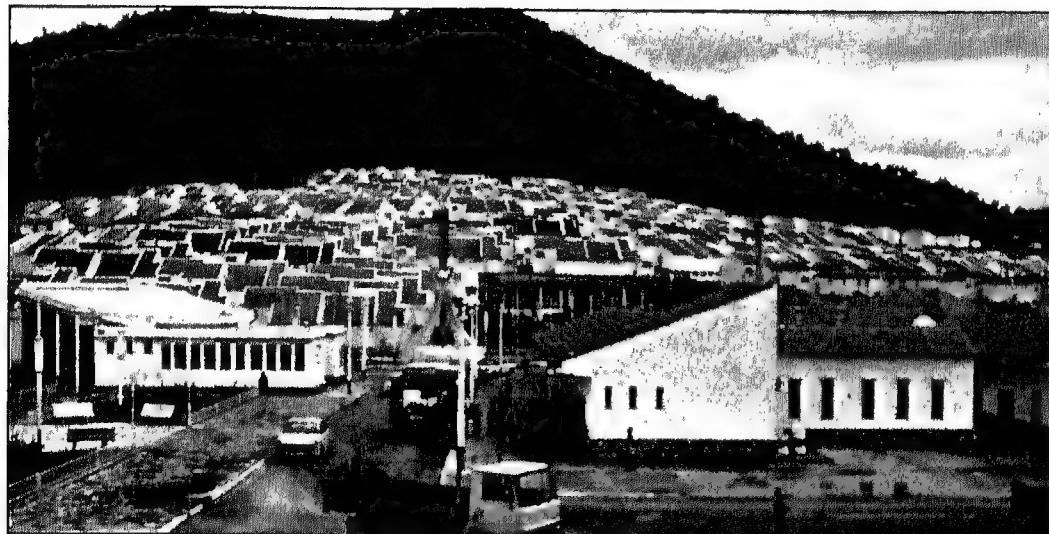
بومدين دوره كزعيم بارز من زعماء العالم الثالث. ولم يقصر أبداً في دعمه لحركات التحرير على امتداد القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. فهو صاحب فكرة «النظام الاقتصادي العالمي الجديد» الذي اطلقها من على منبر الامم المتحدة عام ١٩٧٤.

-٨- تضاف إلى هذا بالطبع المشاريع الضخمة التي أثارت حماس الشباب مثل الشورات الثلاث (الزراعية، الصناعية، الثقافية)، وطريق الوحدة الأفريقية لربط الجزائر بدول جنوب الصحراء، ومشروع السد الأخضر لمنع تقدم الصحراء (تشجير ٣ ملايين هكتار على امتداد ١٥٠٠ كلم بين الأطلس الصحراوي والهضاب المتاخمة). من أجل هذا كله استطاع بومدين كبح جماح المد الاصولي في عهده. ولكن الربة كانت صالحة لكي يأخذ هذا المد أقصى بعده في اللحظة المناسبة.

عام ١٩٧٣ وتبني بومدين لها ضمن معادلات التوازن في المغرب العربي. ووصلت العلاقات المغربية-الجزائرية مرات عدة إلى حافة القطيعة لا بل إلى حافة الحرب، الامر الذي شكل «بؤرة توتر» جعلت الناس لا يرకزون انظارهم على الارضاع الداخلية.

٦- التوجه القومي العربي لبومدين الذي أظهره في اللحظات الحرجة، وخصوصاً بعد هزيمة ١٩٦٧، وخلال حرب تشرين الاول ١٩٧٣. فقد كان سباقاً دائمًا في تقديم الدعم ونصرة التضامن العربي، وهو القائل «نحن مع منظمة التحرير طالمة كانت أم مظلومة»، مؤكداً على الدوام وفي كل المناسبات تأييده لقضية الشعب الفلسطيني، وهو الذي رتب الاتفاق العراقي-ال الإيراني عام ١٩٧٥ بين شاه إيران وصدام حسين.

٧- وأخيراً وليس آخرًا، فقد أكد



إحدى القرى (في منطقة أطلس الغرب) التي الشأنها الثورة الزراعية.

الاقتصادي عن انهيار ملحوظ في مداخيل الدولة من العملة الصعبة، ما أثار ارتباكات لدى المواطن الذي أصبح همه اليومي الجري وراء لقمة العيش. وترافق ذلك الانخفاض واستشرى الفساد، إضافة إلى التقشف الفاضح الذي فرضه صندوق النقد الدولي على الجزائر، وأزمة اسعار النفط التي اندلعت في ١٩٨٦.

والحقيقة أن الأزمة الاقتصادية الجزائرية جرت على مراحلتين، المراحل الأولى بدأت في ١٩٨٢ مع تناقص الاستيراد الذي كانت الدولة قد بدأت تسسيطر عليه سيطرة تامة منذ ١٩٧٨، ما أوصل الواردات إلى الحد الأدنى (٧,٥ مليار دولار ثلاثة لشراء المواد الغذائية)، وكان من نتيجة هذا التضاؤل المباشر شحّاً عاماً وخلو البلد من المواد الضرورية وقطع الغيار، إضافة إلى تنامي الاستيراد عن طريق التهريب ووجود سوق سوداء يسيطر عليها بعض أركان النظام. أما المراحلة الثانية، فقد بدأت مع

عهد الشاذلي بن جديد: انتخب الشاذلي بن جديد رئيساً للجمهورية، واعتقد كثيرون أن هذا الانتخاب سيكون بداية عهد جديد على اعتبار أن بن جديد كان مناراً عنيفاً للرئيس بومدين. لكن الأمور ما لبثت أن انجلت عن استمرار أزمة «اللعبة السياسية» حيث تبين أن السلطة حرصت على شدّ خيوطها من وراء الستار بقصد تقادم الكشف عن هويتها وحفظها على نفوذها المصلحي. من هنا، طفت على السطح السياسي في عهد الشاذلي فئة من الساسة تعتمد أسلوب القطيعة مع الواقع الجزائري.

لكن، ومع هذه الاحوال السياسية في بداية الثمانينات (السنوات الأولى من عهد الشاذلي) عرفت الجزائر، نتيجة ارتفاع اسعار البترول وقيمة الدولار، رخاءً إقتصادياً ساهم في تهيئة الجزائريين وأنساقهم الضغط والكبت السياسي؛ الامر الذي استمر حتى نهاية ١٩٨٥ حيث اعلن المؤشر

طوت إتفاضة تشرين الاول ١٩٨٨ صفحة ثورة التحرير وحزبيها الحاكم (جبهة التحرير الوطني)، وفتحت صفحة الثورة الاجتماعية في تاريخ الجزائر المستقلة، لكنها دشنت في الوقت نفسه لسنوات طويلة لاحقة من الفوضى الشاملة (حرب أهلية) ومن البحث عن حلول من خلال اصلاحات ملموسة بدأت بتحرير الدولة من الحرب الحاكم، وبالاطاحة بما تبقى من رؤوس النظام القديم واقرار دستور جديد ينص صراحة على بداية «الجمهورية الثانية».

فللمرة الاولى، وبعد ان ساعد قادة جبهة الانقاذ الاسلامي الرئيس الشاذلي على ضبط الاوضاع المترقبة على اتفاضة تشرين الاول ١٩٨٨ مقابل وعد بالعمل السياسي الحر، حل «رئيس الوزراء» محل «الوزير الاول» وتم اختيار قاصدي مرباح لتشكيل

الظروف التي استجدة في ١٩٨٦: تخفيض حزء كبير من النفقات في الميزانية، فيما هبطت الضرائب المباشرة المتأتية من مبيعات النفط إلى النصف خلال عام واحد. وهكذا اضطررت الدولة إلى تجميد مشاريع الاستثمار الكبير (صناعة السيارات والتعدين). وفي بلد جعلت الدولة فيه من نفسها الدولة الأم التي تفرض التسعير كما تفرض وتيرة النمو والأجور وحجم الاستثمارات، كان من الطبيعي أن ينبع عن هذا توقف مفاجيء في نسبة النمو.

أدلت كل هذه التراكمات السلبية (السياسية، والاقتصادية والاجتماعية) إلى انفجار إجتماعي بدأ في ٤ تشرين الاول ١٩٨٨، وشكل العنوان الأكبر لكل الاحداث التي عاشتها الجزائر بدءاً من هذا التاريخ (راجع «اتفاقية تشرين الاول ١٩٨٨» في باب معلم تاريخية).

الشاذلي بن جدي
(إلى يسار الصورة)
والرئيس الفرنسي
فرنسوا ميتان
في مطار أورلي
الفرنسي
. ١٩٨٢



السوفياتي.

لم يكمل قاصدي مرباح (راجع باب زعماء ورجال دولة) سنته الاولى على رأس اول وزارة في عصر التعددية، فأنخرج منها بحجة بطيءه في تنفيذ الاصلاحات. وجاء مكانه مولود حمروش للتسريع في وضع البرنامج الاصلاحي موضع التطبيق. وكان البرنامج يشتمل على شقين رئيسين: الاول سياسي وينص على تطبيق التعددية الحزبية من خلال السماح بتشكيل «الجمعيات التي لها طابع سياسي»، ونزع صفة الحزبية عن الدولة. والثاني اقتصادي ويعني العمل بسرعة نحو اقتصاد السوق.

وفعلاً تقدمت عشرات الاحزاب بطلبات الترخيص التي اعطيت ضمن مهل قياسية. أبرزها بالطبع الترخيص الذي أعطي من وزارة الداخلية واضفى صفة الشرعية على خروج «جبهة الانقاذ الاسلامية» إلى العمل العلني يوم ٢٢ آب ١٩٨٩ إيفاء بالعهد الذي قطعه الشاذلي على نفسه. وترافق ذلك مع تحجيم جبهة التحرير بعد انسحاب العسكريين من عضويتها في ٣ آذار ١٩٨٩، وكانوا يشكلون ثلث اعضاء اللجنة المركزية. وعاد الجيش إلى ثكناته ليلعب دوره التقليدي في حماية أمن الوطن وسلامة اراضيه، وابتعد عن السياسة كما نصّ على ذلك الدستور الجديد.

لقد اعتبر حمروش ان همه السياسي الاول هو «احتواء» المد الاسلامي. وحرص خلال فترة وجوده على رأس الحكومة على ابقاء الجسور مفتوحة مع الحركات الاسلامية. أعلن مرة في حديث تلفزيوني ان

الوزارة الجديدة المسؤولة تجاه البرلمان الذي ينحها الثقة. وبعد ذلك باسبوعين، أي في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٨، قطف الشاذلي أولى ثمار إصلاحاته حين اختاره المؤتمر السادس لجبهة التحرير مرشحاً لفترة رئاسية جديدة مدتها خمس سنوات أخرى بدأت فعلاً يوم ٢٢ كانون الاول ١٩٨٨. وكان هذا المؤتمر بداية الفصل بين منصبي رئيس الجمهورية والامين العام للحزب (جبهة التحرير). فقد آلت الامانة العامة إلى عبد الحميد مهري وسجل الشاذلي خطوة باتجاه ابعاده عن المعترك الداخلي ليظلل «فوق الجميع».

أما بالنسبة إلى الجيش، فقد أخذ الشاذلي على عاتقه مسؤولية القمع الذي حدث، مؤكداً ان الجيش انقذ البلاد من كارثة، وأنه هو الذي كان يصدر الأوامر. ومقابل هذه التطمئنات وافق كل من الحزب والجيش على منح الشاذلي ثقتهما من جديد، واعلنا دعمهما للإصلاحات الدستورية والاقتصادية والسياسية التي هو مقدم عليها.

وواصل الشاذلي سباقه مع الوقت. فبعد اطلاقه «الاتحاد المغرب العربي» في ١٧ شباط ١٩٨٩ بأيام قليلة، دعا الجزائريين للتصويت على الدستور المعدل المنسوخ عن دستور الجمهورية الخامسة في فرنسا، والذي أشرف على صياغته القانونية محمد بجاوي وينص على التعددية الحزبية وعلى فصل السلطات، ويلغي نهائياً آية إشارة إلى الاشتراكية التي تم دفنها في الجزائر قبل عام على الأقل من تشريعها في الاتحاد

بينما كان رئيس وزرائه، حمروش، يرى ضرورة تأخير موعد الانتخابات التشريعية وتسريع الاصلاحات التي كانت تتطلب ما لا يقل عن ثلاث سنوات لكي تؤتي ثمارها.

بعد تحديد موعد هذه الانتخابات حرى، في ٢٦ نووز ١٩٩٠، تعديل وزاري في حكومة مولود حمروش تخلى فيه رئيس الجمهورية عن منصب وزير الدفاع للمرة الأولى منذ استقلال الجزائر. واحتل المنصب اللواء خالد نزار الذي كان عين رئيساً لأركان حرب الجيش بعد شهرين من اتفاقية تشرين الأول ١٩٨٨.

أحداث ٢٥ ايار- ٤ حزيران ١٩٩١
 كانت العنوان الأكبر لهذا العام. في ٢٥ ايار أُعلن عباسي مدني، زعيم جبهة الانقاذ، الاضراب المفتوح، وبذلت التظاهرات الضخمة والتجمعات وبذا ان الحركة الاسلامية تتحرك في إطار مشروع لاستلام السلطة. وبعد نحو عشرة أيام من «الغليان الاسلامي»، أي ليلة ٤ حزيران ١٩٩١، أُعلن الشاذلي حال الحصار (الطوارئ)، واقال حكومة مولود حمروش، وأجّل الانتخابات النيابية التي كانت مقررة يومي ٢٧ حزيران و١٨ تموز إلى أشعار آخر؛ وفي اليوم التالي (٥ حزيران ١٩٩١) عُين سيد أحمد غزالي على رأس وزارة جديدة. وفي خضم هذه الاحداث المتسارعة، أُعلن الشاذلي استقالته من رئاسة جبهة التحرير قاطعاً أي علاقة معها.

مع اعلان حال الحصار (الطوارئ) بدا واضحاً ان «الانقاذ» في طريقها إلى خسارة الجولة وان المواجهة مع الجيش

«عدوي ليس جبهة الانقاذ وإنما المافيا التي تصرف بخمسين مليار دينار جزائري»، في إشارة واضحة إلى الاغتياء الجدد والقدامي. وعلى الصعيد الاقتصادي جمع حمروش حوله مجموعة من الاصلاحيين ابرزهم وزير الاقتصاد في حكومته غازي حيدوسي الذي كان باشر عملية تنمية الاجراء الاقتصادية وتشجيع الاستثمار الوطني والخارجي.

جاء العام ١٩٩٠ ليؤكد قدرة التيار الاسلامي على تعبئة الناس مستفيداً من الاصلاح السياسي الديمقراطي التعدي الذي بدأت الجزائر تعيشه والذي يعمل له الرئيس الشاذلي ورئيس الحكومة مولود حمروش. والقدرة التعبوية هذه، والشعبية، ظهرت في مناسبتين رئيسيتين: تظاهرة يوم الجمعة ٢٠ نيسان ١٩٩٠ الضخمة التي احتزت شوارع العاصمة، وبعدها بأقل من شهرين الانتخابات البلدية (١٢ حزيران ١٩٩٠) التي فازت بها الجبهة الاسلامية بـ٨٥٣ بلدية من اصل ١٥٤١، في حين لم تحصل جبهة التحرير إلا على ٤٨٧ بلدية، فبرزت جبهة الانقاذ الاسلامية خاصة (والاسلاميون عامه) جبهة المعارضة الرئيسية للسلطة في مرحلة تضعضع جبهة التحرير من ناحية، وعدم قدرة «القوة الثالثة» (الاحزاب الأخرى المرخص لها في ١٩٨٩) على التأثير الفعلي على مسار الاحداث.

وبعيد هذه الانتخابات، فاجأ الرئيس الشاذلي الجميع حين قرر إجراء الانتخابات التشريعية في نهاية ١٩٩٠- مطلع ١٩٩١،

النظام.

لكن المخواز فشل، وجبهة الانقاذ سرعان ما اعادت تكوين قيادة بديلة وبقيت جماهيرها متمسكة، في حين كانت الصراعات والتمزيات والمكائد تعصف بجبهة التحرير.

وفازت جبهة الانقاذ بالدورة الاولى من الانتخابات التشريعية (اواخر ١٩٩١)، فعطلتها الجيش والغى الدورة الثانية، واستقال الرئيس الشاذلي بن حماد في ١١ كانون الثاني ١٩٩٢.

عهد محمد بوضياف: بسبب الفراغ السلطوي الذي أدى إليه استقالة الشاذلي تم تشكيل المجلس الأعلى للأمن الذي تألف من رئيس الوزراء ووزراء الداخلية والدفاع والعدل ورئيس المجلس الدستوري وقيادة أركان الجيش. وأقر هذا المجلس عدم إتمام الانتخابات بسبب «استقالة الرئيس». وفي ١٤ كانون الثاني ١٩٩٢ (أي بعد ثلاثة أيام من استقالة الرئيس)، تم تشكيل المجلس الأعلى للدولة المؤلف من خمسة أعضاء، فقاموا بانتخاب محمد بوضياف رئيساً في ١٩ كانون الثاني ١٩٩٢. فامضى ٦٦ يوماً في الحكم، واغتيل في ٢٩ حزيران ١٩٩٢ (راجع ما له علاقة بـ محمد بوضياف في باب «الاسلام الجزائري» وفي باب «زعماء ورجال دولة»).

عهد علي كافي: اجتمع المجلس الأعلى للدولة إثر وفاة بوضياف وانتخب علي كافي (مولود ١٩٢٨) رئيساً له. فقام

أصبحت مفتوحة على كل الاحتمالات. في ٢٠ حزيران ١٩٩١ ردت «الانقاذ» على اتهامات الجيش لها بالعنف وخرق الدستور والاعلال بالامن ورفض قوانين الجمهورية، وحملته مسؤولية التصعيد مكررة مطالباتها برفع حال الحصار. وكان الجيش، خلال عام من الديمقراطية (بين حزيران ١٩٩٠ وبين حزيران ١٩٩١ حين بدأت صراعها المفتوح مع السلطة)، قدتمكن من كشف الكثير من هيكل الانقاذ وأطرها التنظيمية ومن أساليب عملها ومن نوایاها وخططها المستقبلية ومن التيارات المتصارعة في داخلها.

بعد ذلك باسبوع واحد، أي في ٢٦ حزيران ١٩٩٠، ظهر بشير فقيه أحد قادة الانقاذ (مات بعد ذلك بحادث سيارة)، مع عضويين آخرين في مجلس الشورى هما الهاشمي سحنونi و محمد مرانi ليعلنوا معارضتهم لقيادة عباسي مدنی وليتهموه بأنه «خطر على الاسلام والمسلمين». فبدأ ان سيد أحمد غزالي، ومعه الجيش، قد سجلنا نقطة مهمة على طريق شق الانقاذ. وبعد ذلك بيومين، ألقى القبض على عباس مدنی في مقر الجبهة وسط العاصمة، وعلى علي بن حاج امام مبنی التلفزيون، وأودعهما سجن البليدة العسكري، وحكم عليهم بالسجن ١٢ سنة.

وفي ٣٠ تموز ١٩٩١، بدأ سيد أحمد غزالي (راجع باب زعماء ورجال دولة) ندوة المخواز الوطني، وواصل حملته لاضعاف جبهة التحرير وابراز «قرة ثالثة» يستند إليها

القوة والعنف.

عهد اليمين زروال: في آخر كانون الثاني ١٩٩٤، انتهت مدة ولاية على كافي كرئيس للدولة، رئيس المجلس الأعلى للأمن المعتبر كهيئة استشارية لدستور العام ١٩٨٩ الذي كان لا يزال سارياً. وكان رئيس المجلس الدستوري كلف المجلس الأعلى للأمن في كانون الثاني ١٩٩٣ مهمات رئيس البلاد بعد استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد.

كان الرئيس علي كافي عمل لنجاح ندوة الرفاق الوطني. وقبيل انتهاء ولايته، حمل بشدة على «الاحزاب المهمة» التي قاطعت الندوة وأفشلتها. وقبيل انتهاء ولايته (أواخر كانون الثاني ١٩٩٤)، كان منصب رئاسة الدولة شبه محسوم لمصلحة عبد العزيز بوتفليقة. لكن المجلس عاد، في اللحظة الأخيرة، وعيّن وزير الدفاع في حكومة رضا مالك، اليمين زروال رئيساً للدولة الذي أدى اليمين الدستورية في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٤ مؤكداً ان «نفاد كل الحلول هو الذي دفع الجيش إلى استلام السلطة»، وطلب من رضا مالك البقاء في منصبه رئيساً للحكومة، وتعهد بانهاء المرحلة الانتقالية والرجوع إلى المسار الديمقراطي. وفي ما يلي كرونولوجيا أهم أحداث السنوات ١٩٩٤-١٩٩٦:

في ١٩٩٤

في ٢٧ شباط، قتلت قوى الأمن زعيم «الجامعة الإسلامية المسلحة» جعفر الأفغاني (إسمه الحقيقي مراد سي أحمد) مع

كافي بتعيين حكومة انتقالية في ١٩ تموز ١٩٩٢ برئاسة بلعيد عبد السلام.

في العام ١٩٩٣، عرفت الجزائر مزيداً من التدهور. فالي احكام الاعدام التي باتت تصدر بالعشرات، شهد البلد مواجهات دموية يومية بين قوى الأمن وأعضاء الحركات الإسلامية المسلحة التي ركز المتشددون فيها حربهم في الأشهر الاربعة الأخيرة من ١٩٩٣ على الاشجان. فقتلوا رعايا لفرنسا وبريطانيا واسبانيا وروسيا وآخرين يتبعون إلى أميركا الجنوبيّة. وكانت عمليتهم الأهم قتل ١٢ كرواتياً بالسلاح الابيض. وعلى الصعيد السياسي، اجرت السلطات حواراً مع الاحزاب لم يسفر عن نتيجة حاسمة. وبدا مع نهاية السنة ان السلطات-أو جناحاً فيها على الأقل- مصراً على ايجاد حل للازمة. ومن أجل هذا المهدف مددت ولاية المجلس الأعلى للدولة شهرًا (كان مقرراً ان تنتهي في ٣١ كانون الاول ١٩٩٣) للافساح في المجال امام بلنة الحوار الوطني لعقد «ندوة الاجماع» في ٢٥ و ٢٦ كانون الثاني ١٩٩٤.

اما الحدث الابرز الذي عرفه العام ١٩٩٣ فكان تعيين رضا مالك رئيساً للحكومة خلفاً لبلعيد عبد السلام في ٢١ آب. وبعد يومين تم اغتيال قاصدي مرباح وتبنّت العملية «الجامعة الإسلامية المسلحة» (راجع «قاصدي مرباح» في باب زعماء ورجال دولة). واستقبل الرأي العام الجزائري هذه الحكومة بشيء من القلق لاعتباره انها تشكل تكريساً لفشل سياسة الحوار وتوجهها صارماً نحو الاحتكام لنطق

مثلاً بجبهة الانقاذ الاسلامية. والاحزاب المدعوة تصنف في خانات ثلات اساسية: ١- الوطنية الديمocrاطية مثل جبهة التحرير الوطني (أمين عامها عبد الحميد مهري)، وأحمد بن بلة وحركته، وحزب التجديد الجزائري الذي يتزعمه نور الدين بوكرور؛ ٢- الاسلامية الديمقراتية ممثلة بحركة «حماس» و«النهضة»؛ ٣- الكتلة البربرية (القبائلية) ممثلة بجبهة القوى الديمقراتية (حسين آيت أحمد)، و«التجمع» (سعيد سعدي).

في ايلول: أطلقت السلطات ثلاثة من قادة جبهة الانقاذ من سجن البليدة العسكري، ونقلت زعيمها عباسى مدنى ونائبه على بلحاج إلى الاقامة الجبرية. واشاعت هذه الخطوة جرحاً من الارتياح مشجعاً على الحوار. واعتبرت فرنسا هذه الخطوة ايجابية ومهمة. وأصرّ مدنى وبن حاج على حریتهما الكاملة، وطالباً باطلاق كل المعتقلين. وأعادت هذه الخطوة إلى الذاكرة القنوات التي كان فتحها الرئيس زروال مع جبهة الانقاذ حين قام بزيارة الشیوخ في سجن البليدة يوم كان وزیراً للدفاع في كانون الثاني ١٩٩٤ حيث حطم الحاجز الذي أقيم بين المؤسسة العسكرية والانقاذ.

في تشرين الاول، وعقب تدهور خطير في الوضع الامني، وأخطره فرار عسكريين والتحقهم بالجماعات الاسلامية المسلحة، رفع قادة الجيش إلى الرئيس اليمين زروال «تقارير سرية» تحذر من «كارثة» إذا استمرت الاوضاع الامنية على

تسعة من افراد مجموعته، في عملية تؤكد خيار الحكم عدم التساهل مع المتطرفين. وكان الرئيس اليمين زروال وضع الخطوط العريضة ل برنامجه «الانتقالي» في كلمة ألقاها قبل يوم واحد من هذه الحادثة امام مجلس الوزراء في اول اجتماع له في رئاسة الجمهورية.

في ايار: زار الرئيس السابق أحمد بن بلة واشنطن، والتقي شخصيات قريبة من جبهة الانقاذ الاسلامية، وشخصيات أخرى عربية واجنبية كان التقىها في لندن وهو في طريقه إلى واشنطن شجعه على القيام بوساطة بين السلطة والانقاذ. وبن بلة زعيم «الحركة من أجل الديمقراتية». وعلى صعيد آخر، تأجل اعلان «المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي». وساررت تظاهرات شعبية مؤيدة للحوار الوطني، وذلك عقب الاعلان عن تشكيل لجنة للحوار من ستة أعضاء من الشخصيات الوطنية البارزة: أحمد بن بلة، محمد الصالح يحياري، السعيد معزوزي، الطاهر زبيري، أحمد بن علا وأحمد مهساں؛ واعتذر عن المشاركة أحد سحقون (رئيس رابطة الدعوة الاسلامية)، وبين يوسف بن خدة (رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة خلال الثورة، زعيم حركة الامة)؛ وقد سبق هذه اللجنة غير الرسمية ان قابلت بعض شيوخ جبهة الانقاذ الاسلامية مرات عدّة.

في آب: أطلقت الجولة الثانية من الحوار الوطني بلقاء دعا إليه الرئيس زروال ثمانية احزاب يفترض فيها تمثيل أهم التيارات الموجودة باستثناء التيار الاسلامي المهيمن

(راجع «ندوة روما» في باب معلم تاريخية) إلى هدنة، وإلى تشكيل حكومة انتقالية في الجزائر. ورفضت السلطات هذه الدعوة، ونظمت مسيرات شعبية لدعم موقفها من أحزاب المعارضة المتمثلة في ندوة روما، في حين ظهر ترحيب أميركي وأوروبي بهذه الندوة.

في شباط، استمرت «ندوة روما»، و«العقد الوطني» المبثق منها، مدار الجدل الأساسي الطاغي على الحياة السياسية الجزائرية؛ وقد حملت اطراف الندوة السلطة مسؤولية إنسداد الوضع في البلاد. ونوه الرئيس زروال بـ«المقاومة الشعبية»، ووعد بأن «الدولة ستسرع على توفير الدعم اللازم لها»، وذلك في خطاب في ذكرى تأسيس اتحاد العمال الجزائريين (النقابة الرئيسية في البلاد) في ٢٤ شباط.

في آذار، جدل حول سعي السلطة «تسليح فئات من السكان في مناطق عدة وتحت عناوين مختلفة»، ما يعني تشيريعاً للميليشيات، وتاليًا انفلات الوضع كلياً من قبضة السلطة (راجع «العمل الإسلامي المسلّح» في باب معلم تاريخية).

في تموز، جرى توزيع نص «وثيقة المبادئ» التي توصلت إليها السلطة مع زعيم جبهة الإنقاذ الإسلامية الشیخ عباسی مدنی، ونص وثيقة قدمها مدنی وبقية قادة الإنقاذ إلى السلطة في ١٩ حزيران ١٩٩٥. واعتبرت رئاسة الدولة وثيقة قيادة الإنقاذ تراجعاً منها عن الاتفاق الذي تمّ مع مدنی، ما أدى إلى فشل الحوار بين الحكم والجبهة. في أيلول، وقبل نحو شهرين من

تدحرها. وجاء في هذه التقارير أن ضحايا «الإرهاب» في صفوف الجيش الوطني الشعبي في الفترة الممتدة بين أول تموز وأول تشرين الأول بلغ عددهم ٢٨٣ ضحية من بينهم ٣ عقداء و ٨ ضباط برتبة رائد و ٢٨ نقibiaً و ٤٠ ملازمًا، والثلاث الباقية من عناصر الخدمة الوطنية. إضافة إلى عدد كبير من الضحايا في صفوف «أعوان الأمن»، إذ بلغ معدله اليومي ٢٥ ضحية على المستوى الوطني. وتعرض هذه التقارير إلى الوضع الاقتصادي والخسائر الناجمة عن عمليات التخريب، فقدر الخسارة بـ٦٢ بليون دينار (١٥ بليون دولار)، ووصلت مساحة الجبال المحروقة إلى ٢٢٠ ألف هكتار من الغابات. كما وتشتمل تفاصيل مثيرة عن بعض الجماعات التي التحقت بالسلحين بعد فرارها من الثكن العسكرية، وعملياتها «البالغة الدقة» والخطورة داخل مفاصل المؤسسة العسكرية، إذ تستهدف ضباط الأمن العسكري وضباط الشيفرة.

إذاء هذه الوضاع، طرح إسم الجنرال محمد لعماري رئيس هيئة الأركان العامة للجيش ليصار إلى ترقيته إلى أعلى رتبة عسكرية، وليستد إليه منصب وزير الدفاع. ولعماري من مواليد العاصمة، تلقى تعليمه العسكري في المدارس الفرنسية أثناء الثورة التي التحق بها قبل الاستقلال. وهو يصنف ضمن ما يُسمى «ضباط فرنسا».

١٩٩٥

في كانون الثاني، وفي أجواء تهديد «الجماعة»، بعد خطفها طائرة فرنسية، نقل الحرب إلى فرنسا، دعت «ندوة روما»

جبهة الانقاذ الاسلامية: «أخيراً، اكتشفت المؤامرة وظهرت المهزولة الانتخابية حيث تداول الجنرال زروال مقعده السابق». وكانت جبهة الانقاذ قاطعت الانتخابات النيابية.

۱۹۹۶

في كانون الثاني، تشكلت حكومة جديدة برئاسة أحمد أويني (راجع باب زعماء ورجال دولة) رسمت لنفسها أولويات: استئصال العنف الارهابي، اصلاحات اقتصادية، اصلاحات النظم التربوية والتعليمية، الحوار. وقديم هذه الحكومة طغي على جديدها إذ إن عدد الوجوه القديمة الموروثة عن حكومة مقداد سيفي (الذي خلف رضا مالك) ١٥ وزيراً. وعقدت دورة للجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني تحولت فجأة إلى دورة اشتانية سحبت الثقة من المكتب السياسي والأمين العام للحزب عبد الحميد مهري، في ما اعتبر نصراً آخر أحرزه الرئيس اليمين زرزال باعادة جبهة التحرير إلى بيت الطاعة بعد أن كانت اتخذت مواقف معارضة (راجع «جبهة التحرير الوطني» و«نثورة روما» في باب معلم تاريخية).

في شباط، وفي يوم ٢٤ منه ذكرى تأمين المروقات المصادر أيضًا ذكرى تأسيس اتحاد العمال في ١٩٥٦، قال الرئيس زورو إله عازم «على عكس ما يروج في بعض الأوساط المغرضة-في الداخل والخارج- على المضي بأخذ مبادرات مسؤولة وتقديها إلى كل القوى الوطنية بغرض استكمال المسار الديمقراطي

موعد الانتخابات الرئاسية، اغتيل في العاصمة ابو بكر بلقايد وزير الداخلية السابق. وبلغايد متزوج من فرنسيّة، تقلّد مناصب عديدة في الحكم الجزائري ايام الشاذلي بن حمدي بينها وزارة الداخلية بعد اتفاقية تشرين الاول ١٩٨٨. ومنتخب جبهة الانقاذ في عهده رخصة بالعمل الشرعي. وتسلّم في حكومة غزالي (١٩٩٢) وزارة الاتصال (الاعلام)، وهو محسوب على التيار المتشدد في السلطة والمعروف بقربه من زعيم تجمع الثقافة والديمقراطية الدكتور سعيد سعدي.

في تشرين الاول، أفرزت التصفيات الأولية في حملة الانتخابات الرئاسية اربعة مرشحين رئاسيين: نور الدين بو كروح، اليمين زروال، سعيد سعدي ومحفوظ نخناح (راجح بصدّ كل منهم باب «زعماء ورجال دولة»).

في تشرين الثاني، جرت الانتخابات الرئاسية، وأعلنت النتائج رسمياً على الشكل التالي:

١٥٩٦٩٩٠٤ عدد الناخبين

١١٩٦٥٢٨٠ (نسبة
الاقبال .٪٧٤،٩٢).

نال اليمين زروال ٧٠٢٨١١٨ صوتاً.

نال محفوظ نحناح ٢٩٠٧٨٥٧ صوتاً
 صوتاً (٪٢٨)، وسعيد سعدي ١٠٦٤٥٣٢ (٪٢٥،٣٨)
 صوتاً (٪٢٩)، ونور الدين بوكرور
 صوتاً (٪٣٧٨،٤٣٣٢٥٧).

رحب الامير كيون والاوروبيون
بالنتائج، وشكك بها الايرانيون، وأدانتها

آذار ١٩٩٦. وتأكد النباء وأثار إدانة دولية واسعة، بما فيها جهات وحركات واحزاب وتنظيمات إسلامية؛ وقد ارتكبت هذه الجريمة وتزامنت مع إثارة قضية «الأب بيار» على نطاق واسع وعلى المستوى الدولي. هذا الأب الذي يقف صلباً في وجه كثير من المقولات الصهيونية رغم الإرهاب الذي يمارس عليه، يدعمه في ذلك الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي.

في حزيران، زار رئيس الحكومة التونسي الجزائري. وعلى رغم ان علاقات التعاون بين البلدين ترجع إلى ١٩٦٣ والتي تدعمت في ١٩٨١ بـ«اتفاقية قنصلية» فإن مستوى التعاون بينهما لم يرق إلى الهدف المنشود. واعطت وسائل الاعلام الجزائرية عناية خاصة لهذه الزيارة باعتبار ان عدد افراد الجالية الجزائرية في تونس ارتفع، منذ بدء الازمة الجزائرية، إلى ٣٠ ألفاً، بينما لم يتجاوز عدد افراد الجالية التونسية ٨ آلاف. ومن جهة أخرى، أفاد تقرير جزائري رسمي ان قوات الامن قتلت ٥٢٩ اسلامياً متشددًا خلال عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٥ في الوقت الذي قتل فيه الاسلاميون المتشددون ١٤٠٠ مدني من بينهم ٣٠٠ امرأة. وفي آخر شهر حزيران، نفذ الجيش «عملية ضخمة» ضد الاسلاميين المتشددين ودمرت خانقاه لهم في تizi أوزو.

في تموز، وفي أول يوم منه وجه الرئيس زروال دعوات رسمية إلى رؤساء الأحزاب والجمعيات والمنظمات الوطنية يدعوها إلى لقاء متعدد الأطراف ابتداء من يوم ١٥ تموز؛ فأصبح من المتظر ان تختتم

ال حقيقي».

في آذار، وقد مرّ نحو مئة يوم على انتخاب زروال، استمرت الاوضاع خطيرة، واستمر الجمود والتدھور على الجبهات السياسية والأمنية والاجتماعية.

في نيسان، يوم ٦ منه، شرع الرئيس زروال بمشاورات سياسية مع المدعىين من الشخصيات الوطنية. وقد أخذ على هذه المشاورات غياب «المثقف» و«المفكر» و«المبدع» لمصلحة اسماء احتلت مناصب سابقة في عهود سابقة. ومن بين الذين بدأ الرئيس معهم مشاوراته: بلعيد عبد السلام، ورضا مالك. ودعى هذه المشاورات بـ«مشاورات الوفاق الوطني»، وقد رحب بها واشنطن. وشكل زروال لجنة لاعادة النظر في الدستور وقوانين الاحزاب والانتخابات في الجزائر.

في ايار، أعلن زروال ان «ندوة وطنية» واستفتاء على تعديل الدستور سينظمان في وقت لاحق هذه السنة (١٩٩٦) على ان تبعهما مطلع السنة المقبلة (١٩٩٧) انتخابات نيابية هي الاولى منذ انتخابات ١٩٩١ التي كانت قد ألغيت. وبعد ايام من كلمته هذه، أعلنت الفدرالية الوطنية لعمال الاعلام والثقافة اضراباً تحذيرياً للاواعض التي تمر بها مؤسسات اعلامية عدّة والتي تلخص في قرارات صرف للعمال والخفاض سعر الدينار، وارتفاع اسعار الورق. وفي ٢٢ من هذا الشهر (أيار ١٩٩٦)، أعلن بيان باسم «الجماعة الاسلامية المسلحة» الجزائرية عن ذبح سبعة رهبان فرنسيين مخطوفين منذ ٢٧

أحكامًا بالاعدام، معظمها غيابيًّا، بحق عشرات من المسلمين المسلحين.

في إطار الاتحاد المغاربي ونزاع الصحراء الغربية: هذا موضوع مفصله الأساسي العلاقات الجزائرية-المغربية التي شهدت تدهورًا كبيرًا عقب اعلان الرباط، في آب ١٩٩٤، فرض تأشيرات دخول على الجزائريين. فردت الجزائر باغلاق الحدود البرية بين البلدين. وجاءت هذه التطورات لتجز إلىعلن خلافات بين البلدين على أكثر من قضية يأتي في مقدمها موضوع أزمة الصحراء الغربية، ولتكشف مدى تردي حال اتحاد المغرب العربي (الاتحاد المغاربي، تونس والجزائر والمغرب وليبية وموريتانيا) ومدى الخلافات بين أعضائه.

و نتيجة لهذه الأزمة، عاد شبح المحار ليحيم مجددًا على المنطقة المغاربية، لكن في صيغة مختلف عن المورين اللذين تبلورا في الثمانينات ووضعا كلا من الجزائر وتونس وموريتانيا في جانب، والمغرب وليبية في جانب آخر.

وبعدما أدى الخلاف الجزائري-المغربي على تسوية ملف الصحراء إلى شلل مؤسسات اتحاد المغرب العربي منذ اواخر ١٩٩٥، انتقل الصراع، بدءًا من ربيع ١٩٩٦، إلى الساحة الأفريقية إضافة إلى كواليس الاسم المتحدة. وشهدت البلدان الأفريقية (تموز ١٩٩٦) سباقًا جزائريًّا-مغربيًّا للكسب المعركة الدبلوماسية بعدما استقر الوضع العسكري في الصحراء لصالح المغرب جسدته جولات وزراء ووفدين من

هذه اللقاءات بتحديد موعد جديد لـ«الندوة الوطنية للمصالحة». وكان الرئيس رجعه، في ختام اللقاءات الثانية في ١١ ايار (أي قبل أقل من شهرين) مذكورة إلى المشاركيين تضمنت مقترنات تتعلق بمواعيد إجراء الانتخابات. ومن أبرز ما اقترحته المذكورة الرئاسية إجراء استفتاء لتعديل الدستور قبل نهاية السنة (١٩٩٦) وإجراء انتخابات تشريعية ومحلىة في النصف الأول من السنة المقبلة (١٩٩٧). وقد أيدت غالبية الردود هذه المقترنات. وبعدها بأيام، عادت موجة العنف بوقوع محاولة اغتيال أحد أقطاب الحركة الإسلامية «المعتدلة» الشيخ أحمد سحنون (راجع «أحمد سحنون» في باب زعماء ورجال دولة).

وأعلن في هذا الشهر (تموز ١٩٩٦) عن إنشاء «مرصد وطني لمراقبة الرشوة والوقاية منها» تابع لرئاسة الجمهورية. ويقدم المرصد تقريرًا سنويًّا إلى رئيس الجمهورية والحكومة، وله صلاحية الاطلاع على المعلومات مهمة كانت سرية. وتأتي هذه الهيئة بعد إنشاء «مجلس المحاسبة».

وفي أحواز المشاورات التي يجريها الرئيس زروال تمهدًا لعقد الندوة الوطنية، كان تصعيد كبير للعنف يخيّم على البلاد. وقد أصدرت محكمة البويرة (١٢٠ كلم شرقي العاصمة) أحكاماً غيابية بالاعدام على ١٢٨ إسلاميًّا، وبالسجن المؤبد على ٦٧ إسلاميًّا آخرين. ومنذ مطلع ١٩٩٦ حتى اواسط تموز (١٩٩٦)، أصدرت محاكم البويرة وتiziزي أوزو (منطقة القبائل الكبيرى) والمدية (٨٠ كلم جنوبى العاصمة)

التسعينات، ارتدت المخاور صيغة جديدة حتى كاد كل بلد مغاربي يشكل محوراً في ذاته. فلا يمكن القول اليوم (اواسط ١٩٩٦) ان ليبيا، التي تحفظ بعلاقات طبيعية مع كل من الجزائر وتونس، تشكل محوراً مع الرباط على الرغم من تقاطع مواقفهم احياناً وتباعدتها احياناً أخرى خصوصاً في موضوع التطبيع مع اسرائيل. كذلك لا يمكن اعتبار تونس في محور مع الجزائر على رغم توتر العلاقات التونسية-المغاربية لاسباب لا علاقة لها بنزاع الصحراء كون التونسيين لم يؤيدوا في أي مرحلة من مراحله الاعتراف بجهة البوليساريو ولا حتى سعوا للوساطة بين المغرب وبوليساريو.

وعلى رغم العلاقات المتينة بين الجزائر ونواكشوط (موريتانيا) يصعب الحديث عن محور جزائري-موريتاني ضد المغرب، كون الموريتانيين عانوا كثيراً من مضاعفات التسهيلات التي منحوها للبوليساريو في اراضيهما خلال الثمانينات على اضطراب أنفسهم الداخلي واحتزار علاقاتهم مع المغرب. ولعل هذه المخاوف هي التي تقسر التشدد الذي تظهره موريتانيا حالياً (اواسط ١٩٩٦) إزاء استغلال عناصر جبهة البوليساريو لحدود موريتانيا الشمالية المتاخمة لاقاليم المغرب الصحراوية.

وخلال هذه القول ان الاوضاع المغاربية، بشكلها الحالي (١٩٩٦)، مرشحة لمزيد من التوتر بسبب تفاعل الخلافات الثنائية ومضاعفات الصراع الجزائري-المغربي على الصحراء. فالجزائر والمغرب يشكلان العمود الفقري لاتحاد المغرب

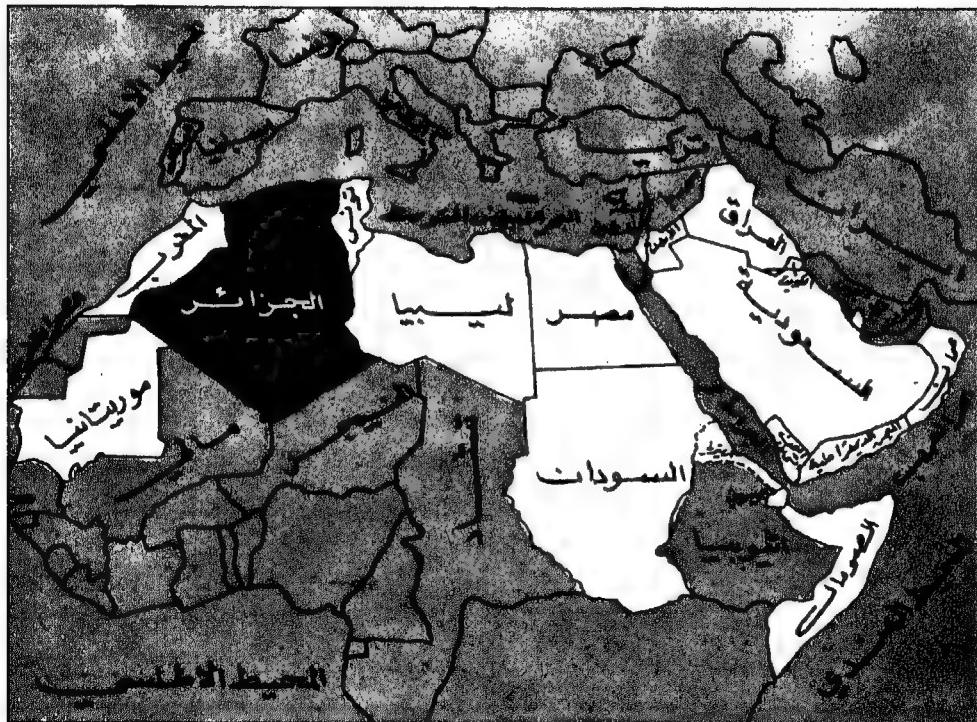
البلدين إلى عواصم افريقية. وفي ما يركز المغاربة دبلوماسيتهم على محاولة سحب اعتراف بلدان افريقية عددة بـ«البوليساريو» (هذا الاعتراف كان أتاح للبوليساريو الحصول على عضوية منظمة الوحدة الافريقية)، يسعى الجزائريون لتوسيع رقعة الاعتراف وتأمين «مجال حيوي» لعناصر جبهة البوليساريو في البلدان الواقعة جنوب الصحراء في ظل اطلاق تهديدات باستئناف العمليات العسكرية ضد المغرب.

واستطاع المغرب ان يقنع بوركينا فاسو بسحب اعترافها بـ«البوليساريو». وفي ما كان يتوقع ان تكرر السبعة، ردّ الجزائريون باقتراح رئيس جنوب افريقيا نلسون مانديلا الاعتراف بـ«الجمهورية الصحراوية».

وأول من تضرر من عودة التوتر بين الجزائر والمغرب كان الاتحاد المغاربي، خصوصاً بعدما قررت الامم المتحدة سحب بعثتها المكلفة رعاية استفتاء تقرير المصير في الصحراء وابتعدت على مكتب مصغر للاتصالات السياسية، ما يعني تجميد «خطة السلام» التي صادقت عليها الامم المتحدة في ايار ١٩٩١.

وترفع مضاعفات تأزم الوضع في الصحراء من درجة التوتر بين البلدان المغاربية وسط عودة الحديث عن الاستقطاب الثنائي وظهور المخاور المتصارعة بمجدداً.

وفي ظل التغيرات الدولية والإقليمية التي ألمت بآثارها على المنطقة منذ مطلع



والعسكري وعقدت مؤتمراً التأسيسي وأجتماعاتها في العاصمة الليبية. وفيما ضم التنظيم الأم «الحركة الشعبية لتحرير أزواد» عناصر من العرب والطوارق والسود الذين يقطنون منطقة أزواد شمالي مالي ويطلبون الاستقلال عن باماكي، أو في الأقل، حكماً ذاتياً للأزواديين، تفجر التنظيم إلى ثلاثة فصائل هي «الحركة الشعبية للازواد»، و«جيش تحرير أزواد»، و«الجبهة الشعبية لتحرير أزواد»، ودعم الليبيون إنشاء فصيل رابع هو «الجبهة العربية الإسلامية للازواد» بزعامة الذهبي ولد سيدى محمد.

وبسبب ضيق الجزائر من تنامي احتكار التوتر والصراع في منطقة الساحل الافريقي بعدما ارتدى النزاع المسلح بين جهات الأزواد والحكومة المركزية المالية ابعاداً عسكرية واسعة فإنها سارعت إلى

العربي (راجع «الاتحاد المغرب العربي»، ج ١، ص ٩٠-٩٦؛ «تونس» في هذا الجزء؛ وبلدان الاتحاد المغرب العربي الأخرى، إضافة إلى الصحراء الغربية في الأجزاء اللاحقة).

في إطار قضية «أزواد» (الطوارق):
تهم الجزائريين بتجذير الصراع بين جهات «الازواد» والحكومة المركزية في مالي، والذي يعتبر الجزائريون استمراره (الصراع) مصدر تهديد لأمنهم ونافذة لخطط تقسيم ترمي لوضع خارطة جديدة للمنطقة بإنشاء دولة للازواد (الطوارق) في موطنهم الاصلي شمالي مالي وتشمل اجزاء من جنوبى الجزائر والنيجر وموريتانيا.

ومن المعروف ان حركات الأزواد ارتبطت، بعد انتقالها للعمل المسلح في ١٩٩١، بليبيا إذ تلقت منها الدعم المادي

المفاوضات واسفر عن وضع خطة لانهاء القتال ودمج ١٥٠٠ مقاتل في القوات النظامية واقفال قواعد الجبهات الازوادية.

إلا ان الجزائريين يشكون في ان ليبيا تعمل على عرقلة تنفيذ بنود الاتفاق، ويحملونها جزءاً من المسؤولية في استمرار التوتر (اواسط ١٩٩٦) والاعمال المسلحة في شمالي مالي كون الفصائل الازوادية ما زالت مرتبطة بها وتلقى منها الدعم.

ويشعر الجزائريون بضيق شديد من تعثر المصالحة الازوادية-المالية وتعفن الوضع في منطقة الساحل الافريقي ما يشكل مناخاً مناسباً لمعاردة طرح فكرة التقسيم والانفصال وإحياء مشروع «دولة الطوارق» الذي يهدد وحدة الجزائر.

في هذا السياق، دعم الجزائريون طلبات قدمته الحكومة المالية للحصول على تمويل يساعد في تنفيذ بنود معاهدة السلام، وشددوا على ان «الدور الليبي يمكن ان يكون بناء أكثر لو ساعد في تمويل خطط إعادة اللاجئين ودمج المقاتلين الأزواديين في الجيش والاجهزة الادارية النظامية» (راجع «ازواد، بلاد الطوارق»، ج ٢، ص ١٧٣؛ و«بلاد الطوارق»، ج ٥، ص ٢٢٨).

حمل الطرفين المتنازعين على الوصول إلى تسوية سلمية مخافة تدويل الصراع، خصوصاً ان اطرافاً دولية نافذة لم تخف اطماعها في المنطقة المعروفة بثرواتها الطبيعية والمعدنية الكثيرة.

رعت الجزائر أول مؤتمر للمصالحة في باماكو بين الحكومة المركزية والفصائل الاربعة في نيسان ١٩٩٢ والذي اسفر عن وضع «الميثاق الوطني للسلام» والاتفاق على آلية حل الاجنحة المسلحة ودمج مقاتليها في القوات النظامية واعادة ٢٠٠ ألف لاجيء كانوا هاجروا إلى الجزائر و Moriitania وبوركينا فاسو إلى مواطنهم الأصلي. إلا ان التوتر عاد مجدداً بعد اغتيال العقيد بلال سلوم زعيم «الحركة الشعبية للأزواد» وأحد الصناع الرئيسيين لمعاهدة السلام مطلع ١٩٩٤ وتسجيل بطء كبير في اعادة اللاجئين (بسبب شح مصادر التمويل الدولية) وتعثر عملية دمج المقاتلين التي قدرت اعدادهم بسبعة آلاف رجل في الجيش المالي.

وسارع الجزائريون إلى استضافة لقاء في القليعة ثم في تمنراست (جنوب الجزائر) كرس عودة الطرفين المتصارعين إلى مائدة

الاسلام الجزائري

من انقلاب حضاري شامل، وهو الامر الذي عجزت فرنسا عن تحقيقه في الجزائر طيلة قرن وثلث القرن وعما يزيد على مليون جندي مدججين بالسلاح الحديث.

فالاسلام هو صانع التهضة في شمال افريقيا. وتباهى اهلها وجعلوه أساس تنظيماتهم الاجتماعية والسياسية وجوهر معتقداتهم الدينية. وازداد باستمرار وزن السكان المسلمين في جيش الاسلام منذ بدايات الفتح وبخاصة منذ اواخر عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

التعریب: ولم تبدأ عملية التعریب إلا في وقت لاحق. ولا شك في ان القبائل الهمالية لعبت فيها دوراً كبيراً لما كان يحيط بها من اساطير، على رغم الكلام القاسي الذي يحصها به ابن خلدون. فقد كان السكان المسلمين يطمحون بدورهم إلى امتلاك لغة القرآن الكريم. وساعدت بنائهم القبلية على ذلك لأن زعماء القبائل سبقوهم إلى اعطاء

القدرة وإلى تعریب لسانهم بعد اسلام قلوبهم. وساعد على انتشار العربية ظهور الدول في المغرب المسلم، وحلول هذه اللغة كأداة صلة ووسيلة اتصال لا مع دول المشرق العربي فحسب ولكن كذلك مع الاندلس في أوج ازدهارها. فقد أصبحت لغة الضاد هي لغة العلم والتعليم والتحصيل. بمحض اختيار القبائل البربرية القاطنة في تلك الديار، والتي تحولت بدورها إلى عنصر حي في نشر الدعوة الاسلامية وتوسيع أداء اللغة العربية. والأمر يشبه إلى حد كبير ما جرى في المشرق العربي، حيث ان شعوب تلك المنطقة كانت لها هي الأخرى لغاتها المختلفة قبل ان تتبنى العربية لغة حوار وعلم وحضارة.

وبحسب اليوم ان التجمعات السكانية غير العربية تاريخياً في الجزائر إنما ينحصر وجودها في أعلى الجبال كمنطقة بلاد القبائل والهروغار والأوراس، كما هو الامر في مناطق الأطلس

(كل ما يرد تحت هذا الباب «الاسلام الجزائري»، حتى العنوان الفرعى «جبهة الإنقاذ الاسلامية في عهد بوضياف» مستنده الاساسي دراسة د. حورج الراسى التي نشرتها «المجاهدة» على ١٥ حلقة، ص ١٤، بين ٤ و ٢٠ أيلول ١٩٩٣، تحت عنوان «الاسلام الجزائري من عقبة بن نافع إلى عباسى مدنى». ود. حورج الراسى كاتب وصحفى لبناني، مدير «المركز العربي للتوثيق والاعلام» وخلت «الحوار» العربية و«الحوار الدولى» بالفرنسية في باريس؛ ويحمل دكتوراه في العلوم الاجتماعية من جامعة السوربون عن اطروحته حول «التعریب في الجزائر»، ١٩٧٩).

العمق الحضاري بوري-اسلامي: لقد شهد تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً تراكمات حضارية وأثنية ولغوية ومنذهبية متعددة، ولكن العمق الحضاري بجزائر اليوم يشتمل على عنصرين لا ينفصلان: الاسلام كدين وحضارة، والبربرية كجنior إثنية وثقافية. وبعكس نظرتهم إلى المستعمرتين المتعاقبين، نظر البربر إلى الاسلام على انه رسالة حضارية لم تأت لتدمير ما بنوه بل تضفي عليه بعداً كونياً وروحياً. فاعتبروا الدين الجديد بسرعة كبيرة وشكلوا جحافله المنتصرة التي عبرت المضيق مع طارق بن زياد، ولعبوا دوراً رياضياً في تشييد البيت الفاطمي وفي بناء القاهرة جوهرة الاشعاع العربي الاسلامي، وفي تعریب المغرب العربي بأسره. إذ لا يمكن القول إن بضعة آلاف من الجنود العرب والمستعمرات الدين جاءوا مع الحملة الأولى كانوا قادرين وحدهم ليحققو للإسلام ما تحقق له في المغرب العربي وفي اوروبا

فالعبرة الاولى في تجربته كانت التسلّح بالدين لصهر وحدة الشعب ومواجهة الغزو، والدين في مفهومه كان ظاهرة حضارية كاملة، فقد اشترط على القبائل التي بايعته ان تخوض الحرب معه ضد الاحتلال، وان تلتزم بحماية الناس والممتلكات واحترام مبادئ الاسلام، وطبق مبدأ «لا إكراه في الدين» وحوالى البيعة إلى علاقة مدونة ومحدة بين الحاكم والمحكوم. فأعلن دستوراً وأنشأ دولة بالمعنى الحديث للكلمة لها حكومتها المؤلفة من وزراء يمثلون السلطة التنفيذية. وقسمَ البلاد إلى ثمانية مقاطعات. وشكل مجلساً نيايياً (مجلس شورى) من ١١ عضواً يمثلون تلك المقاطعات. وأوحد سلطة قضائية موحدة ومستقلة. واهتم بقطاع التعليم فجعله مجانيًّا وفي متناول الجميع. وكان «أول من أدخل نظام الوجبة الغذائية المدرسية» (هذا ما ذكره إدريس الجزائري)، حفيد الأمير عبد القادر والرئيس السابق للصناديق الدولي للتنمية الزراعية في كلمته المناسبة الذكرى ١٥٩ لمبادرة الأمير عبد القادر، نشرتها «الحياة» في عددها تاريخ ٨ شباط ١٩٩١). وأول عنابة خاصة بكل ما له علاقة بالعلم والثقافة، فكونَ مكتبة ضخمة، وكانت الكتب تنتقل معه من مدينة إلى أخرى. وبعد خسارته في موقعة «سالا» عام ١٨٤٣ أمام دوق «أومال» (سور الغزلان) كانت المكتبة الهدف الأول الذي أحرقه الدوق وكانت موجودة في مدينة تاغدمب *.Tagdempt*

كان الأمير جمع تحت سلطته كل المناطق التي ظلت خارج السيطرة الفرنسية، وادار بدءاً بالعام ١٨٣٩، دولة حقيقة جعلت من تاغدمب (تقع بجوار مدينة تيارت) عاصمة لها. وظل الامر كذلك حتى خسارته في كانون الاول ١٨٤٧. يعتبر المؤرخون ان مأثرة الامير عبد القادر الجزائري كانت اول ترسيم فعلٍ لما ستكون عليه في ما بعد الدولة الجزائرية الحديثة. وأهم من الدولة في حد ذاتها المحتوى الحضاري الذي اراد الامير ان

الأعلى والريف في المملكة الغربية. ما عدا هذه المفارقات الجغرافية يمكن القول بلا تردد ان الشعب الجزائري بأسره معنٍ بالبربرية كتراث تاريني مشترك وقد المخرط المخاطا كاملاً في الدعوة الاسلامية وفي اللغة العربية.

وقد دأب الاستعمار الفرنسي منذ احتلال البلاد على محاولة تشويه الهوية الثقافية الموحدة للشعب الجزائري، وعلى محاولة ضرب شخصيته المميزة عبر إشارة النعرات الاتنية تارة ومحاولات التنصير تارة أخرى، وعبر تغليب البربرية على العربية كلما سُنحت الفرصة، وتشجيع المهاجرة إلى فرنسا، إلى آخر سلسلة التقسيمات الإدارية والعسكرية التي ابتدعواها لمنع تلاحم السكان وتمازجهم والبقاء على البنى القبلية والاقطاعية الكفيلة بحماية مصالحهم. ولقد أدى الجنرال ديغول بتصرّح شهر في ٦ ايلول ١٩٥٩، أي قبل عام من بدء مفاوضاته السرية ثم العلنية مع جبهة التحرير الوطني الجزائري، وجاء فيه: «في أي وقت من التاريخ، وتحت أي شكل من الاشكال، لم يكن هناك دولة جزائرية ولا أمة جزائرية... لم يكن هناك سوى فسيفساء من القبائل». وبعد عامين فقط من هذا الاعلان اضططر ديغول إلى الاعتراف بهذه «الفسيفساء» التي انتزعت استقلالها بقوة السلاح وشكلت الدولة الجزائرية المستقلة.

الاسلام الجزائري مع الامير عبد القادر:
الامير عبد القادر الجزائري هو الوريث الروحي لعائلة كرسست حياتها خدمة الدين، وتنتمي إلى الطريقة «القاديرية»، وهي «زاوية» يغلب عليها طابع التصوف. فقد حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظافره، ووسع دائرة معارفه فدرس العلوم الاسلامية إلى جانب علم الفلك والرياضيات واللغات الاجنبية. أحاط نفسه بمجلس من العلماء والوجهاء والمستشارين.

الرسمية حتى تلك التي كان الامير يتبادلها مع العسكريين الفرنسيين ومع المسؤولين الأجانب... ولم نسمع ان احداً اعترض على استخدام اللغة العربية في الحياة العامة امام الامير عبد القادر، على عكس ما هو حاصل اليوم (راجع «الامير عبد القادر الجزائري» في النبذة التاريخية).

الاسلام مع حفييد عبد القادر الامير خالد عبد القادر: في ١٩٠٤ صدر قانون يمنع تدريس العربية إلا باذن خاص من سلطات الاحتلال، وأصبح استخدام اللغة العربية في الحياة العامة مقتصرًا على محاكم الاحوال الشخصية، ومحصورةً في جنوبى الصحراء الكبرى. وكانت السلطات، قبل هذا القانون بسنوات، بدأت بمصادرة الاراضي الخصبة لمصلحة المستعمرتين الحدد القادمين من فرنسا، واتهت اساليب (من خلال قوانين) تفكك المجتمع الجزائري، وبذلت محاولات دوّوبة لتشريع استعمال البربرية لدى بعض القبائل الجبلية.

في هذه الاحوال، جاء الامير خالد عبد القادر وأطلق فترة من النضال السياسي. عبانته العمل السياسي الفعلي بتأسيس «نجمة شمال افريقيا» عام ١٩٢٣. وهي فترة بدا فيها استمرار النضال المسلح ضرباً من المستحيل بعد ما آلت إليه ثورة الامير عبد القادر ومن بعده ثورة المقراني والعديد من الانتفاضات المسلحة هنا وهناك والتي سحقها الغزاة بقسوة شديدة.

أما عن الدور الحقيقى للأمير خالد عبد القادر فما يزال الجدل قائماً حول ما إذا كان رائدًا للوطنية أم للاصولية، للاندماج أم للاستقلال؟ شارل أندريله جولييان كتب عنه في ١٩٥٢ انه «رائد الاستقلال»، بينما رأى مصطفى الأشرف في ١٩٧٢ انه «اكتفى بطلب «بعض الاصلاحات»، وكان نصيراً لـ«المؤتمر الاسلامي» الداعي للاندماج. وبينهما يقف شارل أغريون

يضيفه على نضاله. فقد أدرك في وقت مبكر منذ قرن ونصف قرن ان الصدمة مع الغرب ليست عسكرية وحسب لكنها أولاً وقبل كل شيء صدمة حضارية بابعادها العلمية والتكنولوجية. وفهم ان هزيمته لا ترجع فقط إلى أسباب ظرفية ولكن إلى اسباب بنوية كذلك. ويرغم تربيته الاسلامية الراسخة وثقافته العربية الاصلية، كان يرفض تماماً الجمود الفكري والانغلاق في أسر البني التقليدية والمحافظة. فعلى جانب دفاعه عن إنجازات الحضارة العربية-الاسلامية، وعلى جانب نقده لبعض جوانب الحضارة الغربية، إلا انه لم يغمض عينه عن التفرق التقني لأوروبا وما أتت به حضارة الآلة وبداية التصنيع، لا بل رأى انه لا بد للمجتمعات العربية عموماً وللمجتمع الجزائري حصوصاً من ان ترفع هذا التحدي وتلتحم طريق التطور العلمي، والا ظلت على الدوام تلهث وراء حضارة الغرب.

لقد مارس الامير عبد القادر عملية التحديث خلال ١٧ عاماً من الحكم والمقاومة. فبالاضافة إلى البني الدستورية والمؤسسات التمثيلية التي ارساها في الدولة الجزائرية الفتية، اهتم اهتماماً حاصلاً بالتوسيع الاقتصادي وتطوير التجارة وشق طرق المواصلات. وأدرك منذ ذلك الوقت المبكر أهمية صناعة الحديد والصلب في ترسیخ الاستقلال الاقتصادي وتحريك عجلة الصناعة واستطاع تصنيع اسلحة القتال من بندق ومدافع وذخائر. كما جعل للدولة عملة وطنية سُكت محلها.

ومن المفيد ان نلاحظ ان عملية التحديث هذه كانت متزامنة تماماً مع ما كان يقوم به محمد علي في مصر، ولو أتيحت التجربة هذا الأخير ان تنتهي التجربة عبد القادر ان تواصل في الجزائر لكان وجه العالم العربي مختلفاً تماماً اليوم، وعلى الارجح وجه العالم بأسره...

وللجانب ذلك، هناك دور اللغة العربية في عهده. إذ كانت العربية الفصحى هي اللغة الرسمية في دولته، وبها تكتب كل المراسلات

الاسلام مع فرحت عباس: بدأ فرحت

عباس عمله السياسي في الثلاثينيات ناكرًا حتى وجود الجزائر وطالباً بالاندماج بفرنسا. لكنه انتهى إلى الانضمام إلى الثورة الوطنية المسلحة في الخمسينيات بسبب ما عاشه وعاشه من تمييز عنصري وهو متancock في الجيش الفرنسي (راجع «فرحت عباس» في باب زعماء ورجال دولة).

مع بداية تحوله، أصدر مع عدد من رفاته وثيقة عام ١٩٤٣ أطلقوا عليها اسم «بيان الشعب الجزائري» تضمن رؤية واضحة وجرعية لنهج سياسي جديد. وأهم نقطة في هذه الوثيقة هي المطالبة بحرية الديانة لجميع السكان والعمل ببدأ فصل الدين عن الدولة. والمعروف أن هذا المبدأ كان معمولاً به في فرنسا. ومن المفهوم أن يطالب به فرحت عباس ورفاته على اعتبار أنه سيخلص الاسلام من ضغوط وتدخلات الادارة الاستعمارية في الشؤون الدينية وسائل الاحوال الشخصية. ولكن مثل هذا المبدأ لم يعد يطرح على الاطلاق بعد الاستقلال على اعتبار ان الاسلام لا يتجرأ من الشخصية الجزائرية والمصدر الأساسي للتشريع. ولم نعد نسمع صداؤه إلا على لسان حزب جزائري حديث العهد تأسس ضمن إطار التعددية الجزائرية المعهول بها منذ احداث تشرين الاول ١٩٨٨، هو «التجمع من اجل الثقافة والديمقراطية» الذي يتزعمه سعيد سعدي. وهو حزب يركز على قاعدة قبائلية، وعلى ايديولوجية علمانية، ولا يجد حرجاً في المطالبة بالبقاء على اللغة الفرنسية حيث هي وتدرس البربرية في المدارس والجامعات.

وبحد طرح مثل هذا الموضوع في بلد كالجزائر، لعب فيه الاسلام على الدوام دوراً جوهرياً في المحافظة على الشخصية الوطنية، له مدلولات مهمة على صعيد الصراع الدائر حالياً بين من يريدون استخدام الدين كطريق إلى السلطة، ومن يريدون ابعاد السلطة عن كل دين. ومن المفيد ملاحظة أن فرحت عباس طرح وثيقته الاستقلالية التي يمكن

فيه ان عالماً لم يكن بطل الاندماج ولا رائد الوطنية بل مثل صحوة الاسلام بين ١٩١٩ و١٩٢٤ واحتجاج الشباب المثقف على الاستعمار.

الاسلام مع مصالي الحاج: ما يسجل

لصالي الحاج، رغم خلافه مع «جبهة التحرير الوطني» (F.I.N.) إلى حد الارتكاء بشكل كامل في احضان الجيش الفرنسي في ١٩٥٧ (راجع «مصالي الحاج» في باب زعماء ورجال دولة) انه رئي الرعيل الاول من المناضلين وأعطي لنضاله ثلاثة ابعاد رئيسية: بعد الاحتساعي من خلال المطالبة بالاصلاح الزراعي والاهتمام باوضاع الفلاحين الذين كانوا يشكلون الغالبية العظمى من ابناء الشعب؛ وبعد الفكرى من خلال إقامة نوع من التكامل بين الفكر الاشتراكي والدين الاسلامي؛ وبعد القومي من خلال ضم مثلي دول المغرب العربي إلى حزبه «النجمة» (مصالي عن الجزائر، والطيب بورقيبة عن تونس، وعلال الفاسي عن المغرب) ومن خلال الافتتاح على الفكرة العربية بخاصة بعد اشتراكه في المؤتمر الاسلامي-الاوروبي المنعقد في جنيف في ١٢ ايلول ١٩٣٥ بمبادرة من شكب ارسلان احد رواد النهضة العربية في ذلك الوقت. وكان لهذا اللقاء أثره الكبير على التوجهات اللاحقة لمصالي الحاج إذ ساهم في تحريره من السطوة السياسية والإيديولوجية التي كانت تفرضها عليه الاممية الثالثة الشيوعية، ومن الضغط الفكرى العلماني-

الاندماجي التي كانت تمارسه الجمهورية الثالثة الفرنسية. وقد ترسّخ منذ ذلك الوقت التوجه الاسلامي والعربي لدى الرعيل الاول من الجزائريين المتأثرين بآجاواء العاصمة الفرنسية في مرحلة ما بين الحربين. وكانت المطالب المتعلقة بضمان حرمة الدين والاعتراف باللغة العربية وتدريسها على رأس مطالبيهم على الدوام.

من كتاباته المعبرة عن الاسلام الاصلاحي الذي دعا إليه: «الاسلام الوراثي لا يمكن ان ينهض بالامم، لأن الاسم لا تنهض إلا بعد ثنبه افكارها وفتح انتظارها». وكانت له نظرية الراسخة في وحدة الشخصية الجزائرية إذ يرى انها «كانت مازينية من قديم عهدها، لم تخرج بها عن مازينيتها كل الغزوات التي سبقت الاسلام، إلى ان تناصر العرب والبربر في ظل الاسلام، واستجروا معًا بالحضارة العربية واللغة العربية، إذ ليس تكون الامة يتوقف على اتحاد دمها، ولكن متوقف على اتحاد قلوبها وارواحها وعقولها، اتحاداً يظهر في وحدة اللسان وآدابه، واشتراك الآلام والأمال». ويختل بعد العربي، المغاربي والشريقي، مكانة خاصة في فكر بن باديس: «وليس العبرية باحدكم من أب ولا أم. وإنما هي اللسان، ومن تكلم بالعربية فهو عربي». واعتبر الوحدة السياسية لlamme العربية هدفاً ينبغي تحقيقه، وجعل الدين حليف التقليم.

بعد وفاة مؤسس جمعية العلماء بن باديس في ١٦ نيسان ١٩٤٠ (راجع «بن باديس» في باب زعماء ورجال دولة)، واصل حمل رسالته عدد من رفقاء وعلى رأسهم الشيخ محمد البشير الابراهيمي والشيخ مبارك الميلي. و«المكتب الدائم لمجلس ادارة الجمعية» الذي ما يزال قائماً كثيراً ما يشغل في امور الدفاع عن الجمعية في وجه معتقداتها الذين يعتبرون انها كانت «أقل من اصلاحية ومسايرة إلى أقصى الحدود للسلطات الفرنسية...». فيذكر عوائق بن باديس وبأن الجمعية «لم تكن إصلاحية فحسب بل كانت ثورية كذلك. وهي لم تشا ان تتحول إلى حزب سياسي لأنها حضرت دورها بالقيام بشورة ثقافية غير شبكة المدارس الحرة التي أنشأتها وغير جمعيات الكشافة والموسيقات الخيرية والدعوة والخطيب في المساجد...». ويذكر كذلك بالنداء الرسمي الذي وجهه الشيخ البشير الابراهيمي الذي رأس الجمعية

وصفها بأنها «علمانية» في وقت اشتد فيه نضال المشرق العربي ضد الاستعمار الفرنسي وبدأت فيه الاحزاب والتيارات القومية بالظهور، كما اخذت تعالي الصيحات الداعية إلى الوحدة العربية.

الاسلام مع «جمعية العلماء»، بن باديس:
بدأ بن باديس بإرساء دعائم هذه الجمعية منذ ١٩٢٥، وأصدر عدّة مجلات، وكان يقادى العمل السياسي المباشر (حتى لا يوجد ذريعة لدى السلطات الفرنسية لنفيه)، ويهتم بالكتابة والنشر والتعليم. فدعم قيام «فدرالية المنتخبين المسلمين» التي ترجمها بن حلول، وشجع على تأسيس «المؤتمر الاسلامي الجزائري» الذي وضع لائحة مطالب من ضمنها: اصلاح المحاكم الشرعية، ارجاع المعاهد الدينية إلى المسلمين، اعادة الارقف، وإلغاء اعتبار اللغة العربية بمثابة لغة أجنبية.

كتب مقالات عدّة يرد فيها على دعوة «الفرنس». وعندما كان وزير حرية فرنسا دالان يقول بعنجهية: «فرنسا معها المدفع»، كان بن باديس يرد عليه: «والجزائر معها الله». وعندما كان دالان يقول ما رده ديجول في ما بعد: «لا أعرف شيئاً وجد في التاريخ إيمه الشعب الجزائري»، كان بن باديس بثلاثيته المشهورة التي أصبحت بطاقة تعريف لشعبه: «الاسلام ديني، والعربية لغتي، والجزائر وطني»، ويضيف قوله المأثور «شعب الجزائر مسلم... وإلى العروبة ينتمي»، وكان هذا في عامي ١٩٣٧-١٩٣٨.

كانت جمعية العلماء تفتح «المدارس الحرة» في شتى أرجاء البلاد لكي تدرس برامج من وحي عربي-إسلامي، وتنظم الحاضرات، وتفتح المساجد أمام طلاب العلم، وتتصدر الصحف الاصلاحية، وتحمي التوادي والمراقد الثقافية، بحيث تحوّلت نشاطاتها إلى موجة عارمة مكتن الشعوب من إحياء لغته العربية واستعادة هويته الدينية.

اماكن محددة باعتبارها اساساً مدارس دينية، والثاني انها غالباً ما تشتمل على أضরحة الارلياء الصالحين. ثم ان الأئمة والشيوخ القيمين عليها غالباً ما يتوارثون هذه المهمة آلياً عن جد.

ومن المعروف أن المدارس القرآنية والزوايا انتشرت وازدهرت في العهد التركي، وان الروايا، في غالبيتها، ذات «طبيعة ريفية بحتة»، ولعبت دوراً طبيعياً في اعلاء شأن الدين ونشر اللغة العربية. ووصل الامر بعض الحكام الاتراك ان جعلوا اللغة العربية متداولة رسميّاً في ادارتهم وفي مناطق حكمهم. هذا ما فعله مثلاً الحاج أحمد باي المعروف باسم «باي قسنطينة» وهو من أصل كولوغلي (تركي) ولكنه ولد حوالي العام ١٧٧٤ في هذه المدينة عاصمة الشرق الجزائري، ودافع عنها ضد الغزو الفرنسي، وألحق عام ١٨٣٦ هزيمة بجيشه الاحتلال، ذاع صيته على أثرها. وكان أحمد باي شديد الحرص على تطبيق مبادئ الشريعة وجعل من العربية اللغة الرسمية في ادارته. وامتد حكمه حتى شمل كل منطقة شرقى البلاد وصولاً إلى الساحل إلى ان وقعت قسنطينة بيد القوات الفرنسية عام ١٨٣٧ بعد سبعة اعوام على دعوهما الجزائر. وتقول الرواية الشعبية ان النسوة في هذه المدينة ما زلن حتى اليوم يتشحن بالسوداد حداداً على سقوط قسنطينة، ونهاية حكم احمد باي الذي تعلق به سكان شرقى البلاد تعلقاً كبيراً.

ولكن الملفت للنظر حقاً في تلك الفترة هو مستوى التعليم عشية الغزو الفرنسي والدور الذي لعبته الزوايا في هذا المجال. فالشهادات الصادرة عن مختلف المؤرخين والمعاصرين لتلك الفترة (بما في ذلك الفرنسيون) تجمع على القول بأن نسبة الأميين في الجزائر عام ١٨٣٠ كانت أقل مما كانت عليه في فرنسا بالذات إلى بمجموع عدد السكان (راجع ما كتبه فالسن استهاري وأوريان في مجلة «التاريخ الحديث والمعاصر» تحت عنوان «الوضع الثقافي والمعنوي في الجزائر عام ١٨٣٠

محلّاً لـبن باديس، وذلك على موجات إذاعة «صوت العرب» القاهرية يوم ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٤، ودعا فيه الشعب الجزائري إلى الاتصال بالثورة حتى تحقيق الاستقلال. والمحور النقدي الغالب حول دور جمعية العلماء يرتكز على فكرة أنها اتسمت دائمًا بالطابع التقليدي أكثر مما اتسمت بالطابع الاستقلالي، ولم تصبح كذلك إلا بعد انطلاقة حرب التحرير. لكن،مهما يكن من أمر هذا الجدل فمن المؤكد ان جمعية العلماء دفعت بالبلاد في اتجاه ايجابي، وكان لها دور ثقافي رائد خصوصاً وانها لم تقل يوماً انها ارادت ممارسة العمل السياسي المباشر.

وقد حرى إحياء الجمعية منذ سنوات، أي مع بداية الأزمة الجزائرية الحالية، لتعصب دوراً سياسياً داخلياً كرديف لـ«جبهة الانقاذ».

الاسلام الريفي، الزوايا: «جمعية العلماء المسلمين» التي أسسها بن باديس لم تكن تحارب على جبهة الاستعمار وحسب، بل كانت تحارب كذلك على جبهة أخرى محلية دينية متمثلة بجمعيات دينية عديدة، أهمها الطرقية والصوفية والمرابطية، لها جذور عميقه وأثر بالغ خاصة في الارياف. ولا يخفى ان الادارة الاستعمارية عرفت كيف تتسلل إلى هذه الجمعيات، وتنجح في احياناً كثيرة. وينقل المؤرخ الجزائري والكاتب الدكتور صالح بحرى عن «بيرك» مدير الشؤون الاهلية أثناء الحرب العالمية الثانية قوله: «لقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الاسلامي إلى درجة اتنا اصبحنا لا نسمع بتسمية المفتى أو الامام إلا من بين الذين اعتنوا سائر درجات التجسس، ولا يمكن لموظفي ديني ان ينسى اي ترقية إلا إذا ظهر لسلامة الفرنسية اخلاصاً منقطع النظير».

أما الروايا الدينية فهي بلا شك الاوسع انتشاراً ومتناز عن الاخويات والجمعيات المرابطية والطرق الصوفية بأمرین: الاول انها موجودة في

مثل شغل منصب الامامة واصدار الفتاوى والعمل ضمن المؤسسات القانونية والقضاء ومصالح الترجمة، وباختصار كل ما يساعد على تأثير ومراقبة جموع «السكان المحليين» (Indigenes). وأنجطت بهذه المدارس مهمة ثانية أساسية هي محاربة الدور الذي كانت تضطلع به الزوايا.

هكذا عاشت الزوايا خلال قرن ونصف القرن بين مطرقة الادارة الاستعمارية وبين سندان «جمعية العلماء المسلمين» و مختلف المثقفين (من حملة الثقافة الفرنسية) و اساطتهم في المدن، و الناشطين والمناضلين والثوار (مع ثورة التحرير) العاملين بهدف إقامة الجزائر المستقلة وفقاً للمبادئ السياسية الحديثة ذات المصدر الغربي. فكان يجب انتظار شهر ايار ١٩٩١، أي

بعد أكثر من ٣٠ سنة على الاستقلال لكي تشهد العاصمة الجزائرية انعقاد أول ندوة وطنية حول الزوايا. فجاء ممثلو الروايا من شتى أنحاء البلاد وفاقت عددهم الـ ٥٠٠ مندوب وال تمام شملهم في «قصر الامم» في نادي الصنوبر. واستعاد الخطباء تاريخ مؤسستهم ودورها في حماية الدين وحفظ اللغة ومساعدة المحتاجين. وتقول بعض الاحصاءات ان عدد الزوايا في الجزائر يبلغ اليوم حوالي خمسة آلاف زاوية أي ان كل قرية تقريباً فيها زاوية او أكثر. وشيخ الروايا يرفضون تماماً ان يُعتبروا بأنهم يمارسون السياسة، ويعتبرون ان الزاوية قامت اولاً للتربيبة الدينية ولتحضير الطلاب للدراسات العليا والجامعية انطلاقاً من حفظ القرآن وتعليم السنة. ثم انه لعبت دوراً إنسانياً واجتماعياً من خلال إيواء المشردين ومساعدة العوزين. كما يمكن للزاوية ان تتحول إلى مسجد. والزوايا تتسمى إلى المذهب المالكي السائد في الجزائر، وتكون اعجاضاً شديداً بسيرة ابن خلدون وتأثرت

ومن القاطن البارزة في فكر وتوجهات الزوايا اليوم ذات المبتد الريفي المتواصل منذ أكثر

عدد ايلول ١٩٥٥). وجاء في المحاضر والقارير التي كان الجنرال فالازري يرفعها إلى «لجنة الارقية» هذا النص الوارد في الجلسة المعقودة في كانون الثاني ١٨٣٤: «إن كل العرب تقريراً يعرفون القراءة والكتابة. ففي كل قرية توجد مدرستان». وبعد عشرين عاماً على بدء الاحتلال، رفع تقرير إلى نابوليون الثالث جاء فيه: «إن الدراسات الإسلامية كانت مزدهرة عشية الاحتلال».

ومن الطبيعي ان يزداد دور الرواية، مع الاحتلال، باعتبارها الملحمة الوحيدة المتبقية لحفظ الدين واللغة. وكان التعليم في الروايا يقتصر في احياء كثيرة على حفظ القرآن. لكن بقاء الروايا في مناطق الريف النائية أو الحاضرة أو البعيدة عن المدن ومرتكز التجمعات السكانية الكبيرة لم ينبع للدين ولغة المرتبطة به فرص التطور والانفتاح ومعايشة قضايا العصر، ما ترك بصماته في ما بعد على خصائص الاسلام الجزائري وعلى المصاعب التي واجهتها عملية التعریب، بالإضافة إلى السياسية الاستعمارية التي ضاقت بها حتى المدارس، القرآنية والرواية النائية.

ففي منطقة قسنطينة كان هناك قبل الاحتلال ٣٠٠ مدرسة وزاوية ولم يبق منها بعده سوى ٣٠. وفي منطقة عنابة كان يوجد ٣٩ مدرسة و ٣٧ مسجداً وزاويتان، وبعد سنوات لم يعد هناك سوى ثلاث مدارس و ١٥ مسجداً. ففي ١٨٦٤، رفع الجنرال دو كرو (Ducrot) توصيات إلى نابوليون الثالث تنص على: « علينا أن نعيق قدر المستطاع تطور المدارس الإسلامية -الزوايا- علينا أن نسعى بكلمة واحدة إلى تحرير الشعب المسلم (Indigène) من كل سلطنته العنوية والمادية ». ولم تفكّر الإدارة الاستعمارية بتوفير حد أدنى من العلم لأقلية محدودة من السكان المحليين إلا بعد استسلام الأمير عبد القادر عام ١٨٤٧. فعملت المدارس التي أنشأتها هذه الإدارة ابتداءً من ١٨٥٠ على تكوين بعض الموظفين لاغراض دينية

وهذه حادثة أولى كان بطلها بن بلة، وكان جوهرها دور الاسلام في الثورة. وقد جرت بعد عامين على انطلاق الرصاصات الاولى. أما الحادثة الثانية فقد جرت بعد ذلك بعامين، وكان بطلها بومدين هذه المرة.

فقد انعقد في صيف ١٩٥٩ ما عرف في ما بعد بـ«اجتماع العشرة» في مؤتمر استثنائي، وكان بينهم العقيد الشاب هواري بومدين الذي كان يحكم سيطرته غربي البلاد. وكم كانت دهشته كبيرة عندما لاحظ ان جلنة الصياغة لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى الاسلام. فانتفض ثائراً ومقاطعاً المناقشات بقوله: «إذا كان الجزائريون قد بقوا جزائريين بعد ١٣٠ سنة من الاستعمار فالفضل في ذلك يعود إلى الاسلام. الاسلام لا يتعارض مع الاصلاح الزراعي كالذى يجري تطبيقه في مصر وفي اماكن أخرى. لقد سبق وناقشتنا هذا الامر ووافقتنا على هذا المبدأ مرتين: الاول في اول تشرين الثاني ١٩٥٤، والثانى في المجلس الوطنى للثورة الجزائرية عام ١٩٥٧، فلماذا التراجع اليوم؟».

وعلى أثر هذه المداعلة أعيد النظر في النص النهائي الذي طرح على المجلس الوطني، فاصبح النص: «إقامة جمهورية جزائرية، حرة، ديمقراطية مبنية على المساواة والعدالة بما لا يتعارض والمبادئ الاسلامية».

وحاجء ميثاق طرابلس، في ما بعد، قبل شهر من الاستقلال في حزيران ١٩٦٢، بعید التأكيد على هذه القيم. أما بالنسبة إلى اللغة العربية فلن جبهة التحرير، حتى في ظروف الكفاح المسلح القاسية، ادخلت اللغة العربية إلى ميادين عديدة مثل التعليم والادارة واجهزة الاعلام. فقد ورثت الجبهة وحيش التحرير «المدارس الحرة» التي جرى افتتاحها في الجبال والقرى الواقعة تحت سيطرة الشوار. كما جرى تدريس القرآن الكريم الذي يرجع له الفضل الاول في المحافظة على اللغة

من خمسة قرون: حساسية مفرطة ضد «جمعية العلماء المسلمين» التي يعتبرونها خوبية وينت «المدنية الفرنسية»، وان العلماء تحالفوا مع «حزب المنتخبين» أي الذين انتخبوا وسعوا إلى الاندماج مع فرنسا من أتباع بن جلول، واعطوا اصواتهم للحزب الشيوعي الفرنسي بدل اعطائهم لحزب الشعب الجزائري الذي أسسه مصالح الحاج وهو احد ابناء الزوابيا، وامتعاض شديد من كل ما أتاهم من الشرق العربي من نظريات، لا سيما من مفكري عصر النهضة. وتمثل ما يهاجمون «الاسلام الاصلاحي» يهاجمون كذلك «الاسلام التطرف» الذي مثله «جبهة الانقاذ» ويشيرون باصبع الاتهام إلى ايران لأنها في نظرهم تسعى إلى تحقيق حلم فارسي قديم هدفه فرض السيطرة على العالم العربي.

الاسلام إبان ثورة التحرير: حدد بيان تشرين الثاني ١٩٥٤، الذي أعلن اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، الثقافة الجزائرية بأنها «عربية وأسلامية»، وأشار بعنتها الوضوح إلى انه لا يمكن الخلط بين الاسلام وبين «الم الرابطية التي دجحتها مفاهيم بعض زعماء الاخويات».

والملفت انه بعد نحو عامين، أهمل المؤتمر الاول بجبهة التحرير المنعقد في «روادي الصومام» (آب ١٩٥٦) الجانب الاسلامي في بيانه العام، ما جعل بن بلة يتضض ضد القرارات المتحدة في هذا المؤتمر، ويتهم المندوبين وعلى رأسهم عبان رمضان بأنهم أعادوا إلى بساط البحث «نقاطاً عقائدية مثل الطابع الاسلامي لمؤسساتنا السياسية في المستقبل». وبعد عام، عقد المجلس الوطني للثورة الجزائرية اجتماعاً في القاهرة (٢٨ آب ١٩٥٧) نقض فيه معظم القرارات الصادرة عن مؤتمر الصومام واعاد تأكيد البعد الاسلامي للثورة الجزائرية (راجع «عبان رمضان» في باب زعماء ورجال دولة).

أكثر من نقاش حاد داخل مؤسسات جبهة التحرير. وبصورة عامة يمكن تلمس موقع الاسلام داخل قيادة الثورة من خلال الملاحظتين التاليتين:

- الاولى ان قيادة الثورة كانت على وجه العموم صاحبة توجه فكري اقرب إلى الفكر الاشتراكي منه إلى التوجه الرأسمالي في السياسة والاقتصاد؛

- والثانية ان قيادة الثورة كانت مفتوحة على الفكر العلماني اليساري وكانت ابعد ما تكون عن التطرف الديني. ولو لا تداعلات بعض قياديها مثل بن بلة وبومدين لأهملت أكثر من مرة حتى الاشارة إلى الاسلام في بياناتها العامة.

الاسلام مع بن بلة: جعل احمد بن بلة، خلال عهده القصير (كان أول رئيس للجمهورية على أثر الاستقلال)، التعليم الديني إجبارياً، في حين دعم محمد حسضر قيام «جمعية القيم» عام ١٩٦٣ والتي أسسها الشيخ محمد سحنون لتكون نواة التنظيم الاصولي في البلاد إلى ان حلها بومدين عام ١٩٦٧.

خلال وضعه في الاقامة الجبرية، استغرق بن بلة، في القراءة وخصوصاً قراءة القرآن الكريم. وبعد الإفراج عنه، حجَّ إلى مكة المكرمة. وبعدها غادر الجزائر إلى فرنسا (١٩٨١) حيث أخذ يشر بالعودة إلى الاسلام، وكان حديثه الأول إلى مجلة «إطلاعات» الايرانية حيث ابدى اعجابه بالثورة الايرانية. فاحتفل خطابه تماماً عن خطابه حين كان على رأس السلطة. وفي ١٩٨٢، عين رئيساً لـ«لجنة حقوق الاسلام» التابعة لـ«المجلس الاسلامي العالمي».

بعد حوادث تشرين الاول ١٩٨٨ وبروز جبهة الانقاذ بزعامة عباسي مدني، اتخذ بن بلة جانب «الاسلام المعتدل» واعتبر طرحه بشأن الاسلام من جهة والنظام القائم في الجزائر من جهة ثانية «حلاً وسطاً» ينقذ الجزائر مما تتخطى به من

خصوصاً في مناطق جنوب الصحراء حيث لم تكن هناك لا مدارس وطنية ولا مدارس فرنسية.

والحقيقة ان مسألة اللغة، إبان الثورة التحريرية الكبرى، إلى جانب الدين، كانت محاطة بهالة من القداسة لا تقبل المساس بها. فتحولت جبهة التحرير إلى مدرسة كبيرة تنشر اللغة العربية في اوساط المناضلين داخل البلاد وفي اوساط تجمعات المهاجرين في تونس والمغرب وفي فرنسا ذاتها. وكتب أحد المناضلين عن تلك المرحلة يقول: «كنا إذا سمعنا أحدهم يتكلم بالفرنسية في المناطق الريفية، فمعنى ذلك بالنسبة إلينا شيء واحد هو أن العدو موجود بيننا... ولا أذيع سراً إذا قلت أن بعض الأخوة المناضلين دفعوا حياتهم ثمن التخاطب في ما بينهم باللغة الفرنسية. ذلك إننا كنا نعتقد أنهم أعداء (خلال المعارك الليالية ونصب المكامن). ومن أجل أن نضع حدًا لمثل هذه الحوادث المؤسفة فرض بطلانا الكبير زيفود يوسف غرامنة قدرها ٢٠ سنتيمًا على كل كلمة فرنسية يتلفظ بها أحد المناضلين» (زيفود يوسف ارتبط إسمه باتفاقية منطقة قسنطينة في آب ١٩٥٥ التي اعتبرت البداية الحقيقة لحرب التحرير).

لكن، رغم كل هذه الحمية للدين وللغة التي أبدأها بعض قادة الثورة، وهم على كل حال الأكثر تأثيراً ونفوذاً، ظلت جبهة التحرير مفتقرة إلى أيديولوجية واضحة. فما عدا الثورة المسلحة لطرد الاستعمار مخارج البلاد، ظلل العمل الجبهوي يتارجح بين تيارات فكرية متعددة يصل بعضها إلى حدود التناقض كما بين التيار الاسلامي والتيار الماركسي. ولكن وحدة الصفوف في ظروف المعركة كانت أمراً لا بد منه ولو بقوة السلاح. فتوجهات الثورة كانت محكومة أولاً وقبل كل شيء بالكمائن المسلحة. ولم تكن تحمل برنامجاً محدداً لما سيلي مرحلة التحرير، ما عدا الحديث العام عن التوجهات العربية والاسلامية، وهو حديث اثار

الذى اطاح بالفوارق الطبقية وحرر العبيد». وطور بومدين نظرته إلى الإسلام باستمراره مع تطور تجربته السياسية والاجتماعية. ولا شك انه كان متأثراً بالتجربة الناصرية. وحتى عندما اطلق «الثورة الزراعية» عام ١٩٧٢ فقد اعطتها بعدها دينياً بقوله: «إن الإسلام ليس عقبة أمام التقدم والتتطور. فليس هناك نص واحد ضد التطور يدعم الاقطاع ويشجع الاستغلال... بل على العكس ففي الإسلام نص واضح يقول إن الناس يشتكون في أسرور ثلاثة: النار (أي الطاقة) والمرادي (أي الأرض) والماء (أي الحياة)». ويركز بومدين كثيراً على سيرة عمر بن الخطاب، فيرى انه لم يتزدد بعد فتح السواد العراقي في نقض عادة كانت تقضي بأن يتم توزيع الارضي التي تم الاستيلاء عليها بالقوة على الفاقدين. فقرر عمر بأن تظل هذه الاراضي ملكاً لجموع المسلمين من دون تمييز. وعندما ابدى بلال شكوكه من هذا القرار رد عليه عمر انه ليس من العدل في شيء حرمان الاجيال القادمة من املاك لهم فيها نفس حقوق الفاقدين. وكان بومدين يردد ان «النبي لم يكن ابداً من كبار المالك وعاش مثل بقية المؤمنين... إن طموحنا الوحيد هو تحرير انحواتنا في الريف من ظروفهم البائسة». ويضع بومدين خططاً واضحاً بين الإسلام والثورة من جهة وبين الإسلام والعلمانية من جهة أخرى، فيقول: «بالنسبة لنا، الإسلام كان دائماً جزءاً من ذواتنا. الإسلام هو ديننا... اليوم مثلاً عندما نتحدث عن الثورة والإسلام أنا أقول ان لا تناقض بينهما...». وأظهر بومدين على الدوام حماساً شديداً للاجتهد في الإسلام. فهو يرى انه «إلى جانب المصادر الأساسية الاربعة في التشريع الإسلامي هنالك وسائل تشريعية أخرى مثل الاجتهد، تأخذ في الاعتبار تطور الظروف وتتحزم في الدرجة الاولى مصالح الناس والبلاد».

ازمة دموية ومخاطر على المصير. فأكثر من احاديثه الصحفية، وأهم ما جاء فيها على لسانه: «إن مسألة الانقاذ-جبهة الانقاذ الإسلامية بزعامة عباسى مدنى-لا يمكن حلها باستخدام البوليس أو الجيش... مع الأسف هؤلاء الاخوة (أى اعضاء جبهة الانقاذ)، كما هو حال الذين في افغانستان وباكستان، لا يملكون قراءة راشدة للإسلام المفتح على المستقبل وعلى الحداثة في بعدها الثقافي... أنا موافق على منهم من اللهاب إلى الدورة الثانية (من الانتخابات الاشتراكية) بسبب تطرفهم السياسي الخطير ضد فكرة الديمقراطية... وفي المقابل نرى الماركسيين وهم أيضاً يمثلون خططاً لا يتطابق مع هذا البلد... نحن في حاجة إلى الوسط... يجب أن لا نظل سجناء الماضي. وهذا الماضي يمثله المجلس الاستشاري الذي يسيطر عليه الماركسيون العلمانيون الذين لديهم قراءة قاصرة للإسلام. هؤلاء أيضاً يمارسون الاصولية على طريقتهم».

وفي حزيران ١٩٩١، فاجأَ بن بلة الكثريين حين مُضِّل ثقته حكومة أحمد غزالي، وأيد اعلان حالة الحصار متهمًا جبهة الانقاذ بجر البلاد إلى حافة الحرب الأهلية، ومعلنا استحالة قيام دولة إسلامية في الجزائر وفي غيرها من الدول (راجع «أحمد بن بلة» في باب زعماء ورجال دولة).

الإسلام مع بومدين: كان هواري بومدين الرئيس الجزائري الأكثر ثقافة دينية والرئيس الذي فتح باب الاجتهد إلى حدوده القصوى. وظلت ثقافته الإسلامية التي اكتسبها منذ نعومة أظافره جزءاً لا يتجزأ من شخصيته السياسية.

كان اسلام بومدين، في الدرجة الأولى، اسلام العدل والتقدم، وليس «اسلام المفسرين» الرجعيين الذين يقفون عند حدود قراءة مسطحة للقانون الاهلي من دون ان يدركوا ابداً المعنى العميق والمحققي للإسلام... هو الاسلام الثوري

الريف، ولا هولاء قبلوا بهم، حتى ان عدداً من الفلاحين رفضوا الاراضي الموزعة عليهم واعتبروها «حراماً».

وفي أوج اندفاع الثورة الزراعية، شكل الطلبة الاصوليون عدداً من «الكتائب الطلابية» لكي يواجهوا بها «جان الثورة الزراعية». وقد وقعت بالفعل عدة صدامات بين الجانين (في جامعة بن عكnoon، وجامعة سطيف، ومدينة قسنطينة وفي شتى أنحاء البلاد). وكان الرئيس هواري بومدين يأخذ جانب جان التطوع وما كان يعتبره التيار التقديمي في اوساط الطلاب، والشبيبة عموماً. ففي قمة «الاهور» الاسلامية التي حضرها اثار كلامه ردوداً كثيرة في اوساط الحاضرين حين قال: «إنني أعرف القرآن قادر ما تعرفونه. أنا مسلم وأمارس العبادات ولكن لن تمنعوني من القول إننا لا نرسل الناس إلى الجنة وبطونهم خاوية».

ومهما يكن اعلاص بومدين لمبادئه وصدقه في تطبيقها، فالواقع ان الثورة الزراعية مثل الثورة الثقافية صبت في طاحونة الاصولية. وقد جاءت الثورة الصناعية، رغم طموحها وما أنسق في سبيلها، عاجزة عن سد الخلل الكبير (بأن فاقمت منه) الذي وقع عندما أهملت الزراعة واصبحت المخمرة من الريف إلى المدينة متعاظمة. وتصاعدت معها نسبة البطالة، وأصبح القرار الاقتصادي بين ايدي حفنة قليلة من البيرورقراطيين، فتفشت الرشوة والمحسوبية... ونمّت، بطبيعة الحال، الاصولية التي كانت جاهزة لتتملاً كل ساحة تفشل فيها السلطة (راجع باب البنية التاريخية، و«هواري بومدين» في باب زعماء ورجال دولة).

الاسلام مع الشاذلي بن جديده: ورث الشاذلي الحيات الثلاث من ثورات بومدين الثلاث (الثقافية، الزراعية والصناعية) من دون ان يرث سطوة بومدين وقدرته على كبت مفاعيلها.

إن الثورة الثقافية كما تصورها بومدين كانت تهدف إلى تحقيق غرضين اساسيين هما: اعادة الاسلام إلى مكانته كجواهر للشخصية الجزائرية، واستعادة اللغة العربية كلغة وطنية قادرة على مواكبة عصر العلم والتكنولوجيا الحديثة. وبالفعل بدأت حركة لبناء المساجد لم يسبق لها مثيل في تاريخ البلاد، وكأنها انتقام من القمع الاستعماري الطويل. وفي الوقت نفسه تم «استيراد» الآلاف من المعلميين من المشرق العربي، وخصوصاً من مصر، لكي يقوموا بتعريف الاجيال الجديدة ودخول العروبة إلى كل المجالات في المدرسة وفي الجامعة. ويقال اليوم ان معظم هذه «الكافئات المستوردة» كانت «بضاعة فاسدة»، وإن معظم الذين جاءوا من هذه القطران إنما كانوا فائضاً لا حاجة لدولتهم بهم. ويقال أيضاً ان جمال عبد الناصر ارسل كل المعلميين الذين كانت لديهم ميول «اس壅يجية» (إسوان مسلمون) لكي يتخلص منهم. وتقال أشياء كثيرة. وقد بدأت بالفعل منذ او اخر السبعينات تظهر جماعات اصولية منظمة تنظيمًا جيداً اخذت من المدارس والجامعات قواعد لانطلاقتها الاولى (المثال الابرز على ذلك ظهور جماعات منظمة في بعض الجامعات مثل «كتيبة محمد» التي اخذت على نفسها مهمة صيانة الاخلاق العامة... والحركة الكلامية التي دارت بين امثال هولاء وبين الكاتب المسرحي كاتب ياسين الذي كان يحترم النظام والجيش من هولاء «الاخوان المسلمين» الاصوليين الذين يعملون للمواجهة بين الشعب والجيش...).

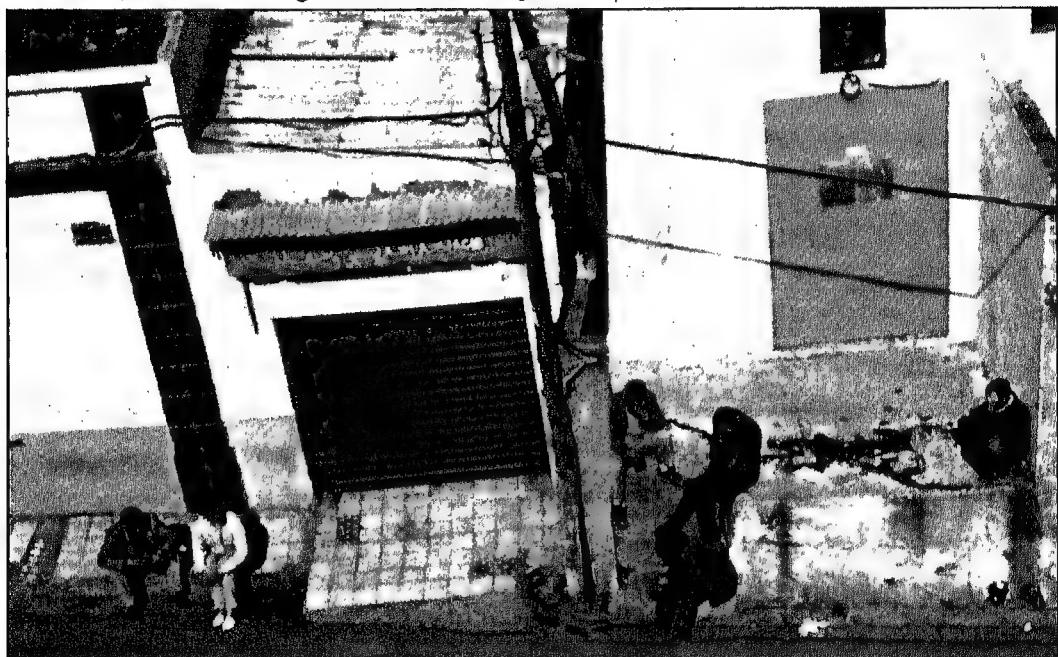
أما الثورة الزراعية فقد كانت طموحة جداً، إذ خططت لبناء ألف قرية (لم يتم بناء أكثر من مئة قرية)، إلا ان جانها وأكثر اعضائها من الطلاب الجامعيين ذوي الارتفاع (أو الميول) للتيارات الاشتراكية واليسارية التي كانت ناشطة على امتداد العالم في تلك الفترة، وأكثراهم لا يحسن العربية. فلا هم تمكنوا من تقييف أهل

وفي الوقت نفسه، انتصبت على كل اسطع المخازن غابات من «الاسطوانات» (الدش) تلتقط تلفزيونات العالم بكل اللغات، خصوصاً التلفزيون الفرنسي. فأصبح من البديهي، مع هذه الظاهرة، التساؤل حول كيف يمكن إنتاج ثقافة وطنية في مرحلة تحدى انتظار الشباب فيها بالشاشات الصغيرة تأثيرها بكل ما طاب سماعه واستواحت العين إلى رؤياه؟ أي ان الثورة الثقافية في عهد بومدين تحولت إلى ثورة ثقافية مضادة في عهد الشاذلي من دون ان يختلط لها أحد ذلك. فمن ناحية سارت الثقافة الوطنية في طريق التراجع لأنعدام مساحات التعبير المتاحة أمامها، ونشأت اجيال جديدة، بمستويات علمية تتدنى باستمرار. ومن ناحية أخرى، شكل الانفتاح القسري على كل ما تأتي به الأقمار الاصطناعية نوعاً من الاستغلال للمشارع لدى الشباب جعلهم يفجرون كبتهم بالانضمام إلى الحركات الدينية، ومحاولة استعادة بعض توازنهم النفسي بارتياد المساجد. وقد ترافق ذلك مع قيام عزآن هائل يصدر أعداداً هائلة باتجاه الأصولية الدينية، ومثل بفشل

وفي السنوات الاولى من عهده، بدأت الحركات الاسلامية المنظمة تؤكد وجودها على الارض يوماً بعد يوم وفي شتى الحالات حتى ان احد مراسلي الصحف الأجنبية كتب تقريراً عام ١٩٨١ يقول فيه: «قريباً جداً ستصبح المساجد هي الصناعة الاولى في البلاد. فهي تنبت في كل مكان. وغالباً ما يهدى الجزائريون في صناديق بريلهم منشورات تدعوهن للمساهمة في بناء المساجد الجديدة... في البداية كان من الممكن فتح باب النقاش معهم، أما الآن فلم يعد النقاش ممكناً. فالاسحاق المسلمون أصبحوا يبشرون جماعات جماعات... وإذا عارضتهم فمعنى ذلك أنك تعرض نفسك لتلقى اللطمات...».

«الكتاب الاسلامية» التي رأت النور في عهد يوميين زادت من نشاطها منذ بداية عهد الشاذلي بن جديد. والمشاجرات بينها وبين التيارات اليسارية في الجامعات تعاظمت. والأشرطة الدينية (على الطريقة الخمينية في ايران) والمواعظ الخامدة في رواج محموم وقد لعبت دوراً اساسياً في تعبئة الشعب.

«الحيطيس»، الذين يضمنون الوقت مسديدين ظهورهم إلى الحالط في الأزقة والساحات، الشوادع، «البطالة مصدر التطرف».



انتخاب الشاذلي أمينا عاما للجبهة، جاء فيه: «ثورة الفاتح من نوفمبر وضعت على رأس اهدافها بعد تحقيق الاستقلال بناء دولة ديمقراطية على اساس مبادئ الإسلام».

فالشيء المؤكّد ان بن حديد عمل على تقوية التيار الديني في مرحلة ١٩٨٤-١٩٨٨، لازلة آخر آثار بومدين من طريقه ومحاباه ما تبقى من مراكز القوى ودفن الاشتراكية إلى الأبد (وكان اباً لها في الاتحاد السوفياتي نفسه يحضرها حفر قبرها). وقد ألقى، قبل يوم واحد من انفجار ١٩٨٨، خطاباً بالغ العنف شن فيه حملة شعواء على مسؤولي الحزب والدولة الذين يعرقلون الاصلاحات.

لقد وفر حكم الشاذلي بين ١٩٨٤ و١٩٨٨ ظروفًا مواتية جدًا للمد الإسلامي. واراد الشاذلي ركوب هذا التيار لكي يكبح جماح ما تبقى من موقع اليسار، ويمرر الاصلاحات الاقتصادية والليبرالية غير آبه (أو انه غير عارف) بأنه يطلق من القمّم مارداً لن يستطيع التحكم به. ولعل أبرز صور هذه السياسة تجلّت في الدور الكبير الذي لعبه الشيخ محمد الغزالى وهو أحد الأئمة المرموقين في الأزهر الشريف. وقد تم استقدامه إلى الجزائر للإشراف على جامعة الأمير عبد القادر في قسنطينة. لكن دوره الفعلي تجاوز كثيراً حدود الجامعة.

وفكرة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية يرجع الفضل الاول فيها إلى هواري بومدين الذي وضع حجرها الأساس في حزيران ١٩٧١، وارادها ان تكون بمثابة «أزهر الجزائر» وان تكون رديفاً لجامعة الزيتونة في تونس والقرقيبين في المغرب تأكيداً لشخصية الجزائر الإسلامية. وقد اشار بومدين على المهندسين الذين تعاقبوا على وضع خرائطها ان يستوحوا الطراز الاندلسي في البناء. وقد تم اختيار مدينة قسنطينة مقرّاً لهذه الجامعة لأنها مدينة بن باديس مؤسس جمعية

الثورة الزراعية وإفراج الريف من أهله وجعل البلاد تستورد أكثر فأكثر حاجاتها الغذائية من الخارج، وبعد قدرة الصناعة على استيعاب المزيد من اليدوي العاملة بسبب تركيزها على الصناعات الثقيلة وإهمال الصناعات الخفيفة والتحويلية وعدم ربطها بالتنمية الزراعية، وأخيراً دمج بالسوق الرأسمالية إن بجهة تصدير المواد النفطية أو بجهة استيراد المصانع والمواد الخام والمخبرات التقنية.

في هذه الاجواء التي اطلقها من عنانها رحيل بومدين المفاجيء، وأججتها الثورة الإسلامية في ايران، وزادها دفعاً اغتيال انور السادات في مصر على يد حمال الاسلامي والجماعات الاسلامية، ظلل الشاذلي محافظاً على خط سلفه، ساعياً إلى إبقاء الدين عارج السياسة وداعياً إلى فتح ابواب الاجتهد، وإن كان أقل من بومدين ثقافة دينية ومعرفة بالعربية.

في القسم الثاني من عهده، وفي غمرة تخلصه من رموز عهد بومدين، وحركته السياسية خارجياً (زيارات لعدة بلدان) وداخلياً، اراد الشاذلي لمشروعه السياسي الجديد ان يطبق من خلال ميثاق حرى اقراره في استفتاء كانون الثاني ١٩٨٦. وفي إطار الحملة لاقرار الميثاق كانت الصحف الجزائرية، وكلها رسمية في ذلك الوقت تفرد صفحات كاملة للحديث عن دور الاسلام وعن علاقة الاسلام بالاشراكية وبالعدالة الاجتماعية. والمثال الأبرز على هذه الكتابات ما نشرته جريدة المجاهد في ٣ تشرين الاول ١٩٨٥ تحت عنوان «الاسلام والاشراكية» حيث جاء: «... بعيداً عن المرابطية وعن الدجالين، فإن الطريق الوحيد الكفيل بتحقيق المثل العليا الوطنية لا يمكن أن يكون غير طريق الاشتراكية، الاشتراكية النابعة من الدينامية الاسلامية».

وكان الشاذلي بن حديد قد رفع تقريراً إلى المؤتمر الخامس لحزب جبهة التحرير المنعقد في ١٩ كانون الاول ١٩٨٣، وهو المؤتمر الذي اعاد

تلك المتعلقة بالمرأة ومفهوم الديمقراطية». بعد اتفاقية تشرين الاول ١٩٨٨ (راجع المعلم التاريخية)، طرأت تغييرات أدت إلى تطبيق التعددية الحزبية من خلال السماح بتشكيل الجمعيات التي لها طابع سياسي، ونزع صفة الحزبية عن الدولة. وفعلاً تقدمت عشرات الأحزاب بطلبات الترخيص ابْرَزَها الترخيص الذي أعطي لـ«جبهة الإنقاذ الإسلامية» (أو الجبهة الإسلامية للإنقاذ) يوم ٢٢ آب ١٩٨٩.

اعتبر رئيس الوزراء مولود حمروش (بعد اقصاء قاصدي مرباح عن هذا النصب) ان همه السياسي الاول هو «احتواء» المد الإسلامي، وحرص على ابقاء الجسور مفتوحة مع الحركات الإسلامية، لأن «هذا الطريق افضل وسيلة للسيطرة على هذه الظاهرة والتحكم فيها». وكشف حمروش انه تناقض مرتين مع زعيم جبهة الإنقاذ، عباسي مدني، ووصفه بأنه «يفكر مثلك ومثلي ومثل بقية الأحزاب... إن عدوبي ليس جبهة الإنقاذ، لكن المافيا التي تتصرف بخمسين مليار دينار جزائري».

وانطلاقاً من اتفاقية تشرين الاول ١٩٨٨، دخل الإسلام السياسي، وبقوة، على المعادلة الجزائرية كعنصر اساسى، بل العنصر الأساس الذي يحدد مصير النظام القائم وربما مصير الدولة.

الإسلام السياسي يحتل الشارع (جبهة الإنقاذ): كان العام ١٩٩٠ دون شك عام التيار الإسلامي الذي ظهر للمرة الأولى إلى العلن بشكل منظم بهدف الاستيلاء على السلطة. وقد كانت التظاهرة الحاشدة التي احترقت شوارع العاصمة الجزائرية يوم الجمعة ٢٠ نيسان ١٩٩٠ (قبل اسابيع قليلة من الانتخابات البلدية) نذيرًا بقدرة التيار الإسلامي على التعبئة وعلى الاستيعاب وعلى التنظيم. فقد سارت تلك التظاهرة حتى

العلماء في الثلاثيات. وفعلاً جاء هذا البناء شامخاً يشتمل على مسجد قادر على استيعاب ١٢ ألفاً من المسلمين.

ومن غريب المصادرات أن بناء جامعة الامير عبد القادر الإسلامية قد أكتمل في العام نفسه الذي أكتمل فيه بناء الحمّع الاستهلاكي «رياض الفتح». وقد افتتح الشاذلي هذين البناءين وكأنه يريد ان يرمي بهما إلى ما كان يخطط للمجتمع الجزائري: عين على الدين والعبادة وعين على الاستهلاك واللذيرالية؛ عين على الشخصية الإسلامية وعين على الحضارة الغربية.

وكان العام ١٩٨٤ هو العام الدراسي الاول في الجامعة الإسلامية، بدأته بحوالي ٣٠٠ طالب وبهيئة تعليمية من ٢٢ استاذًا. وكانت للشيخ الغزالي اليد الطولى في وضع البرامج التعليمية وفي الاشراف على انتلاقة الجامعة. وأصبح في ما بعد شخصية معروفة جداً في البلاد بفضل مواعظ الأسبوعية التي كان يبثها التلفزيون، وبفضل احاديثه الشهيرة في شهر رمضان.

يقول التيار العلماني في الجزائر ان دور الشيخ الغزالي كان سندًا قوياً للحركة الإسلامية. والتيار الديني يقول انه كان دعامة من دعائم حكم الشاذلي. وما لا شك فيه ان الشيخ الغزالي الذي يفتخر بكونه تلميذاً لحسن البنا قد لعب دوراً كبيراً في الصحوة الإسلامية في الجزائر في ظل حكم الرئيس الشاذلي الذي علق على صدره ارفع وسام جزائري تقديرًا لدوره في تنشيط جامعة الامير عبد القادر. وفي حفل تكريمه الوسام، وجه الغزالي نقداً مبطناً بجبهة الإنقاذ الإسلامية حين قال إن مستقبل الجزائر يكمن في الإسلام والعروبة، وإن البعض يختهرون في فهم الانتماء إلى الدين، وانه عائق على الإسلام من الضرر الذي يمكن ان يلحقه به المتطرفون. «والواقع ان افكار الغزالي متقدمة إلى حد كبير على افكار جبهة الإنقاذ الإسلامية، خصوصاً بالنسبة إلى بعض القضايا الحساسة مثل

(راجع باب معلم تاريخية).
هكذا كانت الاجواء العامة السائدة في البلاد وهي على اعتاب اول انتخابات تعددية في تاريخها المعاصر، وهي الانتخابات البلدية التي جرت في ١٢ حزيران ١٩٩٠.

دخلت جبهة الانقاذ الاسلامية هذه الانتخابات وهي في قمة اندفاعها نحو السلطة، في حين كانت بقية الاحزاب إما غائبة عن الساحة أو في حالة من التمزق والفوضى كما كان حال جبهة التحرير. وجاءت تعكس احوال الشارع، ففازت الجبهة الاسلامية بغالبية كبيرة، إذ سيطرت على ٨٥٣ بلدية وجماعة محلية من أصل ما يجموعه ١٥٤١ في حين لم تحصل جبهة التحرير إلا على ٤٨٧ بلدية أي ما نسبته ٣١،٦٤٪ مقابل ٤٢،٥٪ لجبهة الانقاذ، وتوزعت الباقى الاحزاب الأخرى.

جبهة الانقاذ في اتجاه السلطة: الملاحظة الأساسية التي افرزتها تلك الانتخابات ان التيار الاسلامي سيطر على أهم التجمعات الحضرية والمدن الرئيسية، وان مؤيديه ليسوا فقط من العاطلين عن العمل ولكنهم موجودون ايضاً بين سكان الاحياء الراقية في العاصمة والمدن الكبرى. وبعد هذه الانتخابات، أصبح واضحاً ان الجبهة الاسلامية تستعد فعلياً لاستلام السلطة. فقد دعا زعيمها عباسي مدني (بعد نحو شهر من الانتخابات) «حزب الأقلية» الذي ما زال في السلطة_أي جبهة التحرير_إلى احترام إرادة الشعب التي كرسها زعامة الانقاذ. وبقي على اتصالات بالرئيس الشاذلي بن حمид مطالباً إياه باجراء انتخابات تشريعية في اقرب وقت. وتقرر إجراء انتخابات نيابية في ٢٧ حزيران و ١٨ تموز ١٩٩١.

لكن قبل حلول موعد هذه الانتخابات عاشت البلاد احداثاً أدت إلى اعلان السلطة عن

الساحة الموازية لرئاسة الجمهورية حيث رفع قادة جبهة الانقاذ عريضة تضمنت ١٥ مطلبًا سلموها إلى مندوب رئاسي بسبب غياب رئيس الجمهورية عن المقر، واشتملت هذه المطالب على: حل الجمعية الوطنية، حل نقابة العمال المنبثقة عن الحزب الواحد سابقاً، إطلاق سراح المعتقلين، السماح بعودة المنفيين، كسر احتكار جبهة التحرير لوسائل الاعلام والاتصال، وضع قوات الامن في خدمة الشعب لا في خدمة الحكم، تأسيس عدالة مستقلة على أساس الشريعة، حماية حقوق المرأة العاملة والمرأة في المنزل، التسريع في اصلاح النظام التعليمي لكي يتافق مع القيم الاسلامية.

وقد بُرِزَ في هذه التظاهرة الضخمة (مئات الآلاف) التيار الراديكالي في جبهة الانقاذ بزعامة الشيخ عباسي مدني والشيخ علي بن حاج.

وما زاد في حجم الانتصار الاعلامي والجماهيري لجبهة الانقاذ ان جبهة التحرير التي كانت قد قررت هي الأخرى مسيرة جماهيرية في اليوم ذاته «لللاحتجاج على استخدام بيوت العبادة لاهداف سياسية»، عادت في اللحظة الاخيرة والفت مسيرتها بمحنة تجنب الصدام بين مؤيديها ومؤيدي جبهة الانقاذ، وتركـت الساحة تحت السيطرة الكاملة لانصار الانقاذ. وأكتفى انصار جبهة التحرير بتظاهرات رمزية في بعض مدن وولايات البلاد بعيداً عن العاصمة. وهكذا بدأ جبهة الانقاذ وكأنها القوة الوحيدة القادرة على التحرك في الشارع وعلى تحريره، والتي أصبحت تملـك زمام المبادرة في وقت بدا فيه الحكم ضائعاً متهاوياً متراجعاً.

وامام هذا التصعيد الذي قادته جبهة الانقاذ، وهذا التراجع الملحوظ لجبهة التحرير، ظهرت للمرة الأولى محاولات تكوين قوة ثالثة من تجمع بعض الاحزاب الصغيرة تحت شعار «لا جبهة تحرير، ولا جبهة انقاذ، نريد الديموقراطية»

بعض مطالبهم مثل إعادة العمال الذين طردوا من وظائفهم، وأعلن زعيم جبهة الانقاذ وقف الاضراب.

لكن حال الطوارئ استمرت، واستمرت معها مطالبة الانقاذ بعودة الجيش إلى ثكناته. وبرز خلاف داخل مجلس شورى الانقاذ بانشقاق ثلاثة أعضاء اتهموا عباسى مدنى بأنه «عطر على الاسلام والمسلمين». فشكل هذا نقطة مهمة لصالح رئيس الوزراء سيد أحمد غزالي والجيش. وبعد الاعلان عن هذا الانشقاق يومين، أي في ٢٨ حزيران ١٩٩١، ألقى القبض على عباسى مدنى في مقر الجبهة وسط مدينة الجزائر، وعلى أحمد بن حاج امام مبنى التلفزيون، وأودعا سجن البليدة العسكري.

قيادة جديدة للانقاذ: استطاعت جبهة الانقاذ إعادة تكوين قيادة بديلة بسرعة مذهلة، فأعلن الشيخ محمد السعيد نفسه مفوضاً من طرف عباسى مدنى يتسلم القيادة. وما كاد يعيّد تنظيم الصنفوف حتى لحق به إلى المعتقل. وخرج إلى العلن جيل جديد من القياديين الشباب أمثال عبد القادر حشاني وربيع كبير اللذين ظهرتا دهاء سياسياً كبيراً في إدارة الأزمة، وظلا يتألّعان باعصاب السلطة حتى اللحظة الأخيرة التي سبقت الانتخابات النيابية التي حددت دورتها الأولى موعد جديد هو ٢٦ كانون الأول ١٩٩١، مستفيدين من كل أخطاء الحكم وتردداته وافتقاره إلى رؤية واضحة، ناهيك عن الصراعات والتمزقات والمكائد في صفوف ما كان سابقاً «جبهة التحرير»، الحزب الواحد والطبقة الحاكمة. فعرفت القيادة الانقاذية الجديدة كيف تقلب إلى صالحها كل الاجراءات التي اتخذت لتجريمها. فتعايّشت مع الحكم العسكري، وتناست الانتخابات الرئاسية المبكرة، وتغاضت عن قانوني الانتخابات وتقسيم الدوائر الانتخابية. ورغم كل

تأجيلها إلى موعد غير محدد.

ففي ايار ١٩٩١، أصبح واضحاً ان الجبهة الاسلامية تبنّت نهائياً استراتيجية جديدة بهدف تغيير قمة السلطة بعدما ظهر لها جلياً، خلال عام على تجربتها في المجالس البلدية، أنها عاجزة تماماً عن الفعل وعن تطبيق برامجها طالما أن الصالحيات الحقيقية تمسك بها قمة الهرم. وبدأت منازلة حقيقة بين جبهة الانقاذ باعلان عباسى مدنى الاضراب المفتوح في ٢٥ ايار ١٩٩١، وبين السلطة. وانتهت بعد عشرة أيام، في ٤ حزيران باعلان الرئيس الشاذلي حال الطوارئ في البلاد وإقالة رئيس الوزراء مولود حمروش، وتأجيل الانتخابات النيابية، وتعيين سيد أحمد غزالي على رأس وزارة جديدة. وفي حضم هذه الاحداث أعلن الشاذلي استقالته من رئاسة جبهة التحرير. وبهذا، لم يعد حكمه قائماً على التسويات والمعادلات والتوازنات، وربط مصيره بما ستفسر عنه نتائج الانتخابات إن هي حصلت.

فيوم الرابع من حزيران ١٩٩١ هو اليوم الذي كانت فيه جبهة الانقاذ الاسلامية على قاب قوسين من وضع اليد على السلطة. فالبلاد كانت تعيش حالة قصوى من الفلتان ومن الغليان وكانت هناك رغبة حقيقة لدى المتظاهرين المسلمين لقلب الوضع.

وما يمكن استنتاجه اليوم ان السلطة، حتى احداث حزيران ١٩٩١، فشلت في احتواء المد الاسلامي (وأقوى تياراته وتنظيماته هي جبهة الانقاذ) من جهة، وان جبهة الانقاذ، من جهة ثانية، عملت على الحفظ السياسي، وموازاته خط الشارع وزعزعة الامن (ثمة كواذر شابة تلقت تدريبات عسكرية في الخارج خصوصاً إلى جانب المجاهدين الأفغان) بهدف استلام السلطة.

في ظل الاضراب وحال الطوارئ وجود الجيش في الشوارع بشكل سيد أحمد غزالي حكومته، وبasher حواراً مع زعماء الانقاذ، ورضخ

التطهير، إنما يستغلون الحساسية الدينية لدى الجماهير باقتراحهم العودة إلى الجنوبي الإسلامي. إن هذه العودة إلى الدين لا يمكن أن تشكل حلّاً للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسية في عصرنا هذا...».

وعندما حدث زلزال ٢٦ كانون الأول ١٩٩١ بعد الفوز الساحق لجبهة الإنقاذ الإسلامية في الدورة الأولى من الانتخابات التشريعية، وبعد قرار الجيش بتعليق الدورة الثانية وإلغاء نتائج الدورة الأولى، وإقالة الشاذلي، تمكّن الجيش وعدد من الرفاق القدامى من اقتحام بوضياف الخروج من عزّلته وقبول تسلّم مقاليد السلطة في البلاد (١٧ كانون الثاني ١٩٩٢).

قبل أسبوع من تسلمه السلطة، جاء على لسانه (جريدة «هيس الجزائر») التي لم تنشر حديثه إلا في ٢ توز ١٩٩٢، أي بعد ثلاثة أيام على اغتياله:

«إن السؤال الذي أطرحه على نفسي هو لماذا تسير كل هذه الجماهير من الشباب وراء جبهة الإنقاذ؟ لماذا وجدوا لدى هذه الجبهة؟ رعى بعض الحرارة في المساجد... الفقراء يلحظون بالحزب الذي يظنونه أقدر على حل مشكلاتهم... الجزائريون كانوا يرون تغييرًا جذريًا. لكن ما لم أكن أتوقعه على الأطلاق هو أن يكون لهذا التغيير حوره ديني... وانا لا اعلم إذا كانت هذه الجماهير التي صوتت لجبهة الإنقاذ تعني فعلاً ما ستفعله الجبهة. على كل حال فإن الإنقاذ مجرد بالون يجب تنفيسه... اعتبر ان الدين الإسلامي كان من عناصر المخالفة على الشخصية الجزائرية. ولكن يجب أن لا نذهب إلى ابعد من هذا. نحن في القرن العشرين. وهناك محيط دولي يجب أن نأخذ به بالحسبان. هناك مجتمع جزائري غير مصقول حسب التمذوج الذي تتباهه جبهة الإنقاذ. ولو وصلت الجبهة إلى السلطة فأنا لا أعتقد بأنها ستستطيع تسوية مشاكل المجتمع بواسطة السنة

التحطيمات والإجراءات التي اتخذت لمحاصرتها، حققت جبهة الإنقاذ الإسلامية فوزاً كاسحاً في الانتخابات. لكن الجيش لم يكن مستعداً للقبول بهذه النتائج ولا السير قدماً في العملية الانتخابية. فوقع قادته عريضة تطالب الشاذلي بترك منصبه. وهذا ما فعله مساء ١١ كانون الثاني ١٩٩٢ حين أعلن استقالته، وكان قبل ذلك بخمسة أيام أقدم على حل المجلس الشعبي الوطني (البرلمان).

وهكذا تم إلغاء الانتخابات، وإعلان حال الطوارئ واعتقال قائد الإنقاذ، حشاني وكبير، واستسلام الجيش السلطة في إطار المؤسسة الدستورية المستحدثة «المجلس الأعلى للدولة» الذي كان أول من ترأسه محمد بوضياف بعد أن قضى ثلاثين عاماً في المنفى الاختياري والاجباري، وهو رمز حي من رموز ثورة التحرير (راجع «محمد بوضياف» في باب زعماء ورجال دولة).

جبهة الإنقاذ الإسلامية في عهد بوضياف:
إن أفضل مرآة لفكر محمد بوضياف، منذ قبل نحو عشرين سنة من وصوله إلى السلطة كانت جريدة «الشوري» التي أصدرها حزبه «حزب الثورة الاشتراكية» وتحوّلت إلى نشرة تحمل عنوان «الجريدة». وفي أحد أعدادها الصادرة في العام ١٩٧٤، هجوم عنيف على الفكر الديني متطلباً بـ«جمعية العلماء المسلمين» تحت عنوان كبير يقول «جمعية العلماء أو صعوبة ان تكون فرنسيّاً ومسليماً في آن»، وقد ذيل المقال بعبارة لبن باديس يقول فيها: «إنتا من الآن نصاعداً فرنكيو-مسلمين». ويشرح المقال كيف ان جمعية العلماء ظلت تمثل مصالح البورجوازية المدنية الغنية التي تأثرت كثيراً عن اللحاق بركب الثورة.

وفي تشرين الأول ١٩٧٨، أصدر «حزب الثورة الاشتراكية» (يتزعمه بوضياف) كتيباً جاء فيه: «إن الذين يطالبون بالحل الإسلامي سواء كانوا من الأشوان المسلمين أو غيرهم من أدعياء

وطرأ على هذه التشكيلات تغير بارز

خلال ١٩٩٤-١٩٩٢ (أي حتى استسلام اليمين زروال مقاليد السلطة). فانتظم اسلاميو الانقاذ في إطار «الجيش الإسلامي للإنقاذ» الذي قاده أساساً الشيخ محمد السعيد وعبد الرزاق رحام، وانتظم المتشددون في إطار «الجماعة الإسلامية المسلحة». وفشل محاولات دمج الطرفين في إطار تنظيمي واحد بسبب الاختلاف الجذري في وسائل وأهداف العنف المسلح، حيث شدد الانقاذيون في عملياتهم العسكرية على أجهزة الدولة وحرموا اغتيال المدنيين رسمياً حدوداً سياسية واضحة لعملهم العسكري من دون استبعاد الحوار مع السلطة إلى درجة انهم رححوا باحتيصال اليمين زروال رئيساً للجمهورية في مطلع ١٩٩٤.

في المقابل، كان انصار «الجماعة المسلحة» يخوضون حرباً شاملة يمكن تبيين معالمها من خلال فتوى اذاعها الشيخ عبد الحق العيابية في ٢ كانون الأول ١٩٩٢، أي فور وقف العملية الانتخابية، ويقول في فتواه: «إن الحكماء (في الجزائر) في زماننا هذا كلهم كفار من دون استثناء، وزراؤهم وضباطهم وأعوانهم وكل من عمل في بلاطهم وكل من ساعدتهم وكل من سار على دربهم أو رضي أو سكت عنهم وعن نكرهم فهو لاء كلهم كفار خارجون عن الملة والخروج عليهم هو حياة المسلمين وعزتهم لهم». وأسفرت الترجمة العملية لهذه الفتوى عن عمليات اغتيال طالت المثقفين والصحافيين والموظفين الصغار والكبار فضلاً عن العسكريين والدبلوماسيين والمقيمين الأجانب العاملين في مشاريع للدولة باستثناء الأميركيين والآلمان منهم نظراً إلى إيواء كل من الولايات المتحدة وألمانيا قيادات إسلامية ولاختلاف موقفهما عن الموقف الفرنسي الداعم للدولة وللحكومات الجزائرية المتعاقبة.

ووجهت جبهة الإنقاذ الإسلامية الإدانة تلو الإدانة لعدد من هذه العمليات،خصوصاً قتل

والشريعة...».

وفي الحوار الثاني الذي أجرته معه أسبوعية «الجزائر الأحداث» (عدد ٢٣ نيسان ١٩٩٢) مناسبة مرور مئة يوم على ترؤسه المجلس الأعلى للدولة، قال بوضوح:

«يجب أن نضع حدًا لشكلة جبهة الإنقاذ لأنها تطرح موضوعاً جوهرياً هو استخدام الدين كقاعدة للعقيدة السياسية وهو الامر الذي اعتبره عودة إلى السورة... إن المساجد تركت الناس لا يملكون أي مشروع مجتمعي ويريدون السلطة من أجل السلطة... أني اعتبر هذا الحزب-الإنقاذ- خارجاً عن القانون. لقد تجاوز الحدود ودعا إلى الثورة والانفاضة وإلى كل ما من شأنه خلق أوضاع خطيرة جداً في الجزائر... يجب أن نعود إلى قواعد ديمقراطية حقيقة. أولاً، لا احزاب على أساس الدين. فالدين ملك الجميع. ولا احزاب كذلك على أساس لغوي. حتى اللغة الأمازيغية يجب أن لا تستخدم كأساس لخلق حزب... إن جبهة الإنقاذ حصلت على ثلاثة ملايين صوت، وجبهة التحرير على مليون ونصف المليون، وجبهة القوى الاشتراكية على نصف مليون. أى ان ملائين ملايين جزائري لم يصوتوها».

هذه الغالية الصامتة هي التي أراد بوضياف أن يتوجه إليها وإن يحرّكها حين طرح مشروعه «الجمع الوطني» تحت شعار «الجزائر أولاً».

العمل المسلح الإسلامي: ضم التيار
 الإسلامي المسلح جماعات موزعة على حركات «التكفير والهجرة» و«الجهاد» وانصار مصطفى بو يعلي الداعية الإسلامي الذي كان أول من مارس العنف المسلح باسم الاسلام في بداية الثمانينيات وقتل خلال معركة مع الشرطة في ١٩٨٧ (كثيراً ما أبدى الشيخ علي بلحاج، الرجل الثاني-بعد عباسي مدني-في جبهة الإنقاذ الإسلامية اعجابه بمصطفى بو يعلي).

ابو عبدالله أحمد (الشريف قواسمي) الذي قتل في ايلول ١٩٩٤، والذي انضم في عهده إلى الجماعة حناج في جهة الانقاذ الاسلامية. والجماعة أصبحت حتى اواسط ١٩٩٦ تحت إمرة جمال زيتوني (أبو عبد الرحمن أمين).

لا تحالف الجماعة مع أي جماعة أخرى تختلف الكتاب والسنة وهدي السلف. أي أنها لا تحالف، برأيها، مع: الاعوان المسلمين، حزب التحرير، الجزائرية، القطبية، الدعوة والتبلیغ، الطرقية (الصوفية)، الجزيبة، التکفیر والمحررة. وتعتبر الجماعة المسلحة مؤسسات الدولة كافرة.

أما عن العملسلح لجبهة الانقاذ الاسلامية، فقد بدأ مباشرة بعد إلغاء انتخابات ١٩٩١، واستهدف أكثر ما استهدف دوريات قوى الامن. واعتباراً من منتصف ١٩٩٢ ظهرت فكرة تأسيس «الجيش الاسلامي للانقاذ» ليكون الذراع العسكري لجبهة الانقاذ الاسلامية. وسارت خطوات تأسيس هذا الجيش ببطء تحت وطأة الضربات المتلاحقة التي وجهتها قوات الامن لقادته. وفي ظل هذا التأثير، فوجئت جبهة الانقاذ ببيان ١٣ ايار ١٩٩٤ الصادر عن الجماعة المسلحة والذي يعلن عن انضمام جماعات من جبهة الانقاذ وجيشهما «جيش الانقاذ» إلى الجماعة المسلحة، وقد سمي هذا البيان «بيان الوحدة والجهاد والاعتصام بالكتاب والسنّة».

وحاء رد «الانقاذ» ببيان آخر بعد نحو شهرين، وأشار إلى ازدياد الهوة بين الانقاذ والجماعة. وفي مطلع ١٩٩٥، أخذ «جيش الانقاذ» ينهج نهجاً متعدلاً في شكل بارز في تعامله مع مشاريع حل الأزمة، في موازاة تطرف الجماعة التي ما عادت تكفي باصدار بيانات تهدد فيها بتفجير سيارات ملغومة وقتل نساء ورجال قوى الامن، بل باتت تعلن أنها تتجه إلى «الجسم» مع الجيوب الخارجة عن الجهاد، في اشارة واضحة إلى «جيش الانقاذ الاسلامي» الذي بات موحداً

الاجانب والمدنيين الجزائريين. وفي فتوى أخرى اعلنت الجماعة المسلحة رفضها التام للخط السياسي الذي تنتهجه الانقاذ، وحكمت على الانقاذيين بالكفر. وفي حين ينتشر أنصار الجماعة وينشطون أساساً في شرقى العاصمة، فإن الانقاذيين يتوزعون على مختلف مناطق البلاد.

أمير الجماعة الاسلامية الحالي (١٩٩٦)، أبو عبد الرحمن أمين، أوضح في كتابه «هداية رب العالمين في تبيين أصول السلفيين وما يجب من العهد على الماحدين» (صدر اواسط ١٩٩٦) أن الجماعة تؤمن بأن «الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة... وتعتبر الجزائر داراً مركبة أي أنها دار حرب ودار إسلام... وإن قتال المرتدین مقدم على قتال غيرهم من الكفار الأصلين...».

وعن نشأة «الجماعـة»، يقول أميرها أبو عبد الرحمن أمين في كتابه المذكور، إن البدء كان لأنفـاد يؤمنون بالجهاد مثل مصطفـى بو يعلي (الذي قاد أول تمـرد مسلح على الحكم الجزائري في مطلع الثمانينـات) وبعـده جمـوعات متـفرقة مثل: المـجموعة التي نـفذت عملية محـكمة البـليـدة في ١٩٨٩ (تحـت إـمـارة نـصر الدـين كـحـيل)، والمـجموعـة التي قـامت بالـتحـفـيرـات في آـب ١٩٩٠... وتوـحدـت هـذه الجـمـاعـات في آـب ١٩٩١ تحت إـمـارة نـور الدـين سـلامـة (قتلـ في شـباط ١٩٩٢)، وـحلـفـه محمد عـلال (قتلـ أيضـاً). فـشكـلت هـذه الجـمـاعـات «الـنـواـة الأولى» للـجماعـة المسلـحة. فـعـقدـ في تـشـرين الـأـول ١٩٩٢ لـقاءـ لـ«ـجـمـاعـةـ المـليـانيـ» (ـمـتصـوريـ المـليـانيـ) الـذـيـ كـانـتـ جـمـاعـتـهـ مـسـؤـولـةـ عنـ عمـلـيـةـ الـبـحـرـيـةـ فيـ العـاصـمـةـ الـجـزاـئـرـيـةـ فيـ شـبـاطـ ١٩٩٢ـ، وـاعـتـقـلـ المـليـانيـ وـحلـفـهـ أـحمدـ الـوـدـ) تمـ خـلالـهـ الانـضـمامـ إـلـىـ جـمـاعـةـ الـعيـاـيدـةـ تـحـتـ إـسـمـ «ـالـجـمـاعـةـ الـاسـلـامـيـةـ المـسلـحةـ»ـ. وـبـعـدـ اـعـتـقـالـ الـعيـاـيدـةـ فيـ المـغـرـبـ فيـ آـبـ ١٩٩٣ـ، اـنـقـلـتـ الـإـمـارـةـ إـلـىـ عـيسـىـ بـنـ عـمـارـ. وـبـعـدـ مـقـتـلـ بـنـ عـمـارـ فـيـ الشـهـرـ نـفـسـهـ تـوـلـيـ الـإـمـارـةـ جـعـفرـ الـأـفـانـيـ الـذـيـ، بـعـدـ مـقـتـلـهـ فـيـ ١٩٩٤ـ، تـوـلـيـ الـإـمـارـةـ

بالجهاد الافغاني واقامت اتصالات مع مجاهدين مصريين وعرب آخرين في بيشاور (المدينة الباكستانية القرية من الحدود الأفغانية)، ولم تكن هذه العناصر مع اسلوب جبهة الانقاذ في العمل السياسي الداخلي، وغالباً ما كانت تعبر عن انتقاداتها للانقاذ في خطب الجمعة في جامع «النور» في العاصمة الجزائرية، ولم تكن راغبة في الدخول في لعبة الانتخابات النيابية، وقد عبرت عن رفضها للانتخابات في عملية عسكرية شهيرة عندما هاجمت ثكنة «تمار» على الحدود الجزائرية-التونسية، وكانت بقيادة الطيب الافغاني. ويشكل قدماء «المجاهدين» في افغانستان القاعدة الأساسية والنشطة في «الجماعة الاسلامية المسلحة» في الجزائر. ويؤكد كثيرون (وخاصة السلطات الرسمية) في الجزائر ان «الأفغان» الحقروا الضرر الأكبر في الصراع الدائر وكانوا الأكثر عنفاً من غيرهم من الجماعات المسلحة الأخرى.

ما هي خلاصة الصورة الحالية (او اخر تموز ١٩٩٦) للجماعات الاسلامية المسلحة الجزائرية ؟
الانتظار متوجه نحو «الجماعة الاسلامية المسلحة» أكثر من سواها، وهي أحطر جماعات المعارضة وأكثرها شراسة بين مختلف الاطراف الاسلامية المسلحة التي باتت مفتقة على نحو لم يسبق له مثيل. والجماعة نفسها باتت جماعات عدة تتناقض وتقاتل في ما بينها. أما «جيش الانقاذ الاسلامي» فلا يبدو حتى الآن انه استطاع احتراق مناطق الوسط، الأكثر سخونة في البلاد، وظل وجوده محصوراً في منطقتي شرقى الجزائر وغريها. في اواخر تموز ١٩٩٦ ، أعلنت الجماعة الاسلامية المسلحة ان أميرها جمال زيتوني (أبو عبد الرحمن أمين) قتل في مكمن في مدينة المدية، وقالت انها عينت عنتر الزوابري (أبو طلحة) أميراً جديداً لها.

في مواجهة العمل الاسلامي المسلح ثمة عمل حزبي ميليشياوي مضاد يردد عمل القوات

تحت راية امير الشرق مزرق (باستثناء مجموعات منطقة الوسط).

لكن السلطات تجاهلت بالكامل رسائل مزرق رغم اعتدالها ورغم ان اوساطاً عدّة وجدت فيه دليلاً واضحاً على «تضوج» قيادة جيش الانقاذ ورغبتها في حل سلمي للازمة. إلا ان الرأي الغالب في السلطة يعتبر ان اختلاف طريقة عمل «جيش الانقاذ» و«الجماعة المسلحة» لا يعني ان هذين التنظيمين متعارضان. وهذا ما توکده نظرية مقارنة على أهداف التنظيمين عبر بيانهما الرئيسيين: «بيان الوحدة» الذي صدر عن الجماعة المسلحة في ايار ١٩٩٤ ، و«بيان المشترك» الذي صدر في تموز ١٩٩٤ ، حيث يسود التطابق في الاهداف جلياً. ويرى كثيرون حتى اليوم (اواسط ١٩٩٦) ان وحدة «الجماعة» و«الجيش» غير مستبعدة، وان اتصالات بينهما تمت في هذا الصدد، لكنها لم تسفر بعد عن أي خطوة وحدوية عملية.

وإلى «جيش الانقاذ» و«الجماعة»، هناك ايضاً حركة «التكفير والهجرة»، و«الأفغان». الاولى هي فرع من حركة تحمل الاسم نفسه تأسست في مصر عام ١٩٧١ بزعامة المهندس شكري مصطفى الذي اعلن «الجهاد» واعتقل ثم أعدم في وقت لاحق. وكان لا بد من انتظار العام ١٩٧٤ لصدور بيانات باسم «التكفير والهجرة» في الجزائر تطالب هي ايضاً باقامة الدولة الاسلامية في هذا البلد. وقد حرر الحديث عن ارتباط الداعية الاسلامي المتمرد مصطفى بو علي بـ «التكفير والهجرة» المصرية. وكان يعلى انطلاق من حي المدينة الشعبي في الجزائر العاصمة واعلن «الجهاد» ضد الدولة في بداية الثمانينيات قبل ان يقتل في ١٩٨٧ ويلقي القبض على انصاره.

في اواخر الثمانينيات كانت عناصر «التكفير» قد بدأت بالعودة من افغانستان مع عناصر اسلامية جزائرية أخرى سبق لها ان التحقت

نوه فيها «بالمقاومة الشعبية» ووعد بأن الدولة ستسرع على توفير الدعم اللازم لها. وانقسمت الأحزاب بين مؤيدة لتشريع

الميليشيات وبين معارضة. ضمن الفئة الاولى- يندرج «الجمع من اجل الثقافة والديمقراطية» (سعيد سعدي)، وحركة «التحدي» (الشيوخية) بزعامة الطاشي الشريف وحزب «التحدي» بزعامة نور الدين بوكرور. أما الفئة الثانية فتدرج فيها «كتلة روما» التي اعتبرت ان تشريع الميليشيات عملية مغامرة ستكون نتيجتها الوحيدة تغذية الحرب الأهلية، وفي طليعة هذه الكتلة «جبهة القوى الاشتراكية» (حسين آيت أحمد)، و«جبهة التحرير الوطني» (في عهد امينها العام عبد الحميد مهري). ثمة مشروع (موجود فعلاً) حول «الدفاع المدني» يجري درسه، خاصة وان هناك سابقة، ولو كانت مختلفة نوعاً ما، وهي ان البرلمان الجزائري كان قد صادق في منتصف الثمانينيات على قانون للدفاع الشعبي موجه أساساً إلى تنظيم المقاومة الشعبية في حال تعرض البلاد إلى عدوan خارجي. والاشكال المطروحة على قيادة الجيش والسلطات هو كيف يمكن تكييف هذا القانون مع حالة «التمرد المسلح» التي تعيشها البلاد منذ نحو خمس سنوات.

المسلحة (الجيش وقوى الامن)، لا يزال يمارس على نطاق ضيق، لكن هناك من يعمل لتشجيعه ونشره.

ففي مرحلة أولى بادرت السلطة إلى أن تكون «فرق للارهاب المضاد»، وهو ما عبر عنه الرئيس علي كافى في حزيران ١٩٩٢ بعبارته «ارهاب الارهاب».

وفي عهد حكومة رضا مالك (بين ١٩٩٣ و١٩٩٤)، هدد وزير الداخلية باستدعاء احتياط الجيش؛ وقال رئيس الحكومة رضا مالك (ربيع ١٩٩٤) «إن الخوف ينبغي أن يتغلل إلى المعسكر الآخر»، أي إلى العناصر الإسلامية المسلحة. فتتجاوز بذلك مع خارف انصار بعض الأحزاب الاستئصالية (المطالبة باستتصبع العمل الإسلامي المسلح). وفي هذا الإطار تم فعلاً تسلیح عدد من انصار حزب «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» بقيادة سعيد سعدي الذي ما انفك يدعو انصاره إلى حمل السلاح لمقاومة «الإسلاميين المتطرفين».

ومسألة ترسيم أو تشرعیل المیلیشیات الحزبیة
المضادة للإسلاميين أثیرت على نطاق واسع عقب
كلمة الرئيس زروال في ٢٤ شباط ١٩٩٥

البربر (الأمازيغ)

أول مملكة بربرية: يرجع المؤرخون ظهور الحضارة البربرية إلى الألف الأول ق.م. و«البربر» هو الاسم الذي أطلقه الرومان على سكان هذه المناطق. ففي القرن الثالث ق.م. تأسست أول مملكة بربرية في مناطق المخازير الشمالية حين دخل الامير مسيينيسا Massinissa إلى مدينة سيرتا (قسنطينة حالياً). فاتحها. وخلفه على العرش ابن

أخته جوغرورتا Jugurtha في العام 116 ق.م. الذي قاوم الغزو الروماني بين 112 و 106 ق.م. من دون أن ينجح في صدته وفي منع تقسيم المملكة التي كان الرومان يسمونها «ملكة الرعاعة» و«ملكة الرحل» La Numedie. ولعل في هذه التسمية دلالة على أن تلك القبائل إنما بحثت من أماكن، أخرى بتيار الماء نحو في تحديد مضاربها.

الاحتلال الروماني ودخول المسيحية:
وشهدت فترة الاحتلال الروماني سلسلة من

الاول ١٩٩٤، ص ١٩، وآذار ١٩٩٥، ص ٧).

«الظاهرة البربرية»: «الظاهرة البربرية» في الجزائر وثيقة الصلة بالوجود الفرنسي الذي استمر بعد الاستقلال في شكل مكثف على الصعيدين الاقتصادي والثقافي. ويكتفي للدلالة على مدى حساسية هذين العاملين ان بيان اول تشرين الثاني ١٩٥٤ الذي اعلن الثورة المسلحة على الاحتلال الفرنسي تعهد «احترام المصالح الاقتصادية والثقافية» في حال التفاوض مع جبهة التحرير الوطني. وقد عبرت الظاهرة البربرية عن نفسها للمرة الاولى بعد استقلال الجزائر في نيسان ١٩٨٠ من خلال احداث عنف هرت مدينة تizi وزو.

كانت النخبة القبائلية («القبائل»)، «منطقة القبائل»، تسمية اطلقها المارشال الفرنسي بيجو، احد عناة الغزو الفرنسي للجزائر في الاربعينات، والمقصود بها قبائل أزواوه البربرية، وأصبحت تعني بصورة عامة «البربر» أو «المدنية البربرية» قبل الحرب العالمية الثانية تتطلع إلى الاندماج الكلي في المجتمع الفرنسي. لكن في هذه الفترة نفسها انخرط المهاجرون إلى فرنسا من منطقة القبائل (البربرية) بكثافة في حركة «نعم شمالي افريقيا» التي كانت تطالب باستقلال الجزائر.

وحركة «النجم» التي عملت بعد العام ١٩٣٧ باسم «حزب الشعب الجزائري» حركة سياسية معروفة بنزعتها العربية الاسلامية، وتأثير قادتها مصالح الحاج بكل من الامير شكيب ارسلان الذي التقاه سنة ١٩٣٥ في جنيف، وبالزعيم المصري مصطفى كمال. والدليل على الانخراط الكثيف للقبائل (البربر) في هذه الحركة الوطنية الاستقلالية ان مكتبهما السياسي، في مطلع الثلاثينيات، كان يضم خمسة اعضاء اربعة منهم من منطقة القبائل، وكان هؤلاء يعتبرون «النخبة» (الداعية للاندماج في فرنسا) مرتدة.

الثورات المحلية ابرزها ثورة تاكفارناس بين العامين ١٧ و ٢٤ (وتاكفارناس هو الاسم الذي أطلقه على نفسه أحد المغنيين البربر الشباب في الجزائر اليوم تيمناً بتلك الصفحة من صفحات التاريخ القديم للجزائر).

وفي القرن الرابع، دخلت المسيحية إلى الجزائر وولدت بدورها مرحلة من الصراعات الفكرية. وكان أبرز مفكري تلك المرحلة المطران سان أوغسطين الذي كان مطران مدينة عنابة Hipone (٤٣٠-٣٥٤)، وما زالت رفاته محفوظة حتى اليوم في هذه المدينة القائمة أقصى الشرق الجزائري على الحدود التونسية وفي كنيسة أثرية جميلة تحمل إسمه. وعندما كان سان أوغسطين يُسأل عن أصله كان يجيب «أنا من أصل كنعانى» (أي سامي) بعكس الرومان الآتين من أوروبا. وإذا كانت مملكة الفاندال لم تعمّر أكثر من ١٢ سنة (٤٢٩-٤٤٠) فإن البيزنطيين استقروا في البلاد حتى اواخر القرن السادس. وقامت للبربر ممالك، بل امبراطوريات، عديدة إما مستقلة أو تدين بالولاء بصورة أو بأخرى لل الخليفة العباسي في بغداد، أو للخليفة الفاطمي في القاهرة. ومن ابرزها دولة المرابطين ودولة الموحدين (راجع باب «البيئة التاريخية» و«الاسلام الجزائري» و«وادي ميزاب» في باب «مدن ومعالم»).

البربر في التاريخ المعاصر والراهن

(مراجعة هذا المبحث الأساسية: ١ - ما ورد بقلم فيصل حلول و محمد الشاوي في «الوسط»، العدد ١٢٠ تاريخ ١٦ ايار ١٩٩٤، ص ١٧-٢ - جورج الراسي، «الحياة»، تاريخ ٤ ايلول ١٩٩٣، ص ١٤؛ و «لوموند دبلوماتيك»، اعداد ايار ١٩٩٤، ص ٣، و تشرين

اليوم، أي طيلة ٣٣ سنة.

في عهد بومدين: عمل هذا العهد على إنجاح ورشة صهر وطني كبرى أطلق عليها تسمية «معركة بناء الشخصية الوطنية الجزائرية». وقد اخترطت في هذه المعركة العناصر المتحدرة من أصول بربرية أو قسم مهم من نجيتها في إطار المشروع الذي رسمت ملامحه جبهة التحرير الوطني خلال الحقبة اليميدنية (١٩٦٥-١٩٧٩). وأبادت النخبة البربرية حماساً ظاهراً للدمج الجزائري في شخصية وطنية جزائرية وهوية عرفت في حينها على أنها حصيلة التاريخ الطويل للبلاد. ولقد عرّف الميثاق الوطني الشعب الجزائري على أنه أمّة من أصول متعددة وعريقة في التاريخ انصهرت وتلاحمت اليوم في بوتقة واحدة هي الامة الجزائرية المسلمة العربية الحالية. بل ومضى زمن كان فيه تيار نافذ بين النخبة البربرية يتحدث عنعروبة البربر وعن أصول سامية أي عربية لغتهم وفدت مع هجرات القبائل العربية القادمة من جزيرة العرب إلى شمالي إفريقيا.

«الربيع البربرى» (١٩٨٠): من المسار التاريخي العام للعلاقة «عرب-بربر» في إطار الإسلام الموحد بل الدجوي في الجزائر، يمكن استنتاج أن لا مشكلة سياسية على الصعيد الوطني ذات جذور ثقافية أو لغوية. لكن هذا لا يعني أن الاحتقان الفكري لا يولد انفجاراً في بعض الأحيان يؤدي إلى استغلاله سياسياً في بعض الظروف ومن اطراف محلية وخارجية، فيبدو معها بمثابة مشكلة ثقافية أو لغوية أو قومية...

وهذا ما حصل فعلاً في ما أصبح يعرف بـ«الربيع البربرى» في نيسان ١٩٨٠، حين اجتاحت التظاهرات مدينة تizi وزو احتجاجاً على منع السلطات الكاتب البربرى (باللغة الفرنسية) مولود معمرى من إلقاء محاضرات عن

«الازمة البربرية»: وكان من الطبيعي ان تعمل السياسة الفرنسية على تشجيع «النخبة القبائلية» ليصير هناك نوع من «ايديولوجية قبائلية» (أي بربرية). وظهرت الآثار الأولى لهذا العمل السياسي الاستعماري المكثف في ١٩٤٨ إثر نكبة فلسطين التي تراقت مع حملة دعائية على العرب في الإعلام الغربي. ووجد بعض القبائل في ذلك فرصة للطعن في الاتجاه العربي الإسلامي لـ«حزب الشعب الجزائري» ما أدى إلى أزمة قيادة في هذا الحزب (مع بدء بروز نجم حسين آيت أحمد وأحمد بن بلة). غير أن هذه القيادة تحركت بسرعة وجنحت الوطنيين من القبائل، وتمكنـت، بعد معركة عنيفة، من إعادة الامور إلى مجاريها. أما العناصر «القبائلية» المهزومة فالتحقت بالحزب الشيوعي الجزائري. وهذا الأمر يفسر، من جهة امور كثيرة، الارتباط الوثيق والمستمر بين المـركة الشيوعية والحركة البربرية.

البربر إبان ثورة التحرير: حافظت النزعة البربرية إبان ثورة التحرير (١٩٥٤-١٩٦٢) على طابعها النخبوى الضيق، على عكس القاعدة وأكثر قياداتها التي اخترطت في الثورة. وال Shawahed على ذلك كثيرة، أهمها طبيعة التحالفات التي كانت تجري داخل صف القيادة في جبهة التحرير، إذ لم تشكل النزعة البربرية (لدى الـقادة من اصل بـبرـي) عـنصـراً أو دافـعاً هـذهـ التـحـالـفـاتـ.ـ والمـثالـ الأـبـرـزـ على ذلك التـمـرـدـ الذـيـ قـادـ آـيتـ أحـمدـ في ١٩٦٢ـ وـالـذـيـ لمـ يـكـنـ بـداـفعـ نـزـعـةـ بـرـبـرـيـةـ بلـ لأـسـبـابـ سـلـطـوـيـةـ وـدـسـتـورـيـةـ.ـ وـيـوـكـدـ ذـلـكـ المـورـخـ الجزائري محمد حربى الذى يرى ان معارضـةـ كلـ منـ بـوـضـيـافـ وـآـيتـ أحـمدـ «لمـ تـكـنـ تـسـتمـدـ حـقـيقـتهاـ منـ الشـعـبـ بلـ الـاستـيـلاءـ عـلـىـ السـلـطـةـ فـيـ المـدـىـ القـرـيبـ»...ـ وـلـاـ يـزالـ آـيتـ أحـمدـ إـلـىـ الـيـوـمـ مـتـمـسـكاـ بـطـلـبـ «ـاـنـتـخـابـ بـجـلـسـ تـأـسـيـسيـ»ـ طـاعـنـاـ بـذـلـكـ فيـ شـرـعـيـةـ كـلـ الـانـظـمـةـ الـمـعـاقـبـةـ عـلـىـ الـجـزاـئـرـ حتـىـ

وجاءت تظاهرات «الربيع البربرى» والطالب الذى اعقبتها لتعيد إلى الذاكرة اهتمام السياسة الفرنسية، منذ الاستعمار مروراً بمحنة حرب التحرير وحتى اليوم، بـ«القبائل» ودعمها لها. ومن ابرز محطات هذا الدعم تأسيس الأكاديمية البربرية في باريس في ١٩٦٧ التي سعت إلى وضع حروف اللغة الأمازيغية وإثراء قاموسها بكلمات جديدة بعدها كانت تثير طبيعياً مفردات عربية.

مسيرة ببربرية: «لا جازار دون ديمقراطية».

الادب البربرى.

وبعد أشهر، أي في صيف ١٩٨٠، عقد مؤتمر ببربرى في مصيف باكورت الجبلى أصدر وثيقة تضمنت مجموعة من المطالب، في مقدمها:

- اعتبار اللغة الأمازيغية لغة رسمية بنص في الدستور اسوة باللغة العربية.
- إدخال اللغة الأمازيغية في النظام التربوي الجزائري ابتداء من المرحلة الابتدائية.



ويتنازع الحركة البربرية تياران: تيار نخبوi
يتنافس على قيادته كل من حسين آيت أحمد
وسعيد سعدي الذي يريد ربط الحركة بالحاجات
الثقافية الفرنسية، في حين أن آيت أحمد يرفض كل
محاولة لجر البربر إلى مواقف متطرفة. وتيار شعبي
تبناه كل من جبهة التحرير والحركات الإسلامية
ويريد للحركة أن ترتبط بالحاجات الثقافية العربي
الإسلامي مع اعترافه بالأمازيغية. ومن علامات
الاختلاف الأساسية بين التيارين تدور حول
الحروف التي ينبغي أن تكتب بها اللغة الأمازيغية.
فالتيار الأول يعمل على رسماها بالحروف اللاتينية،
بينما يحرص التيار الثاني على كتابتها بالavigida
العربية.

بذلك عناصر الحركة البربرية وما زالت
جهوذاً حديثة منذ اقرار الديمقراطية والتعددية
السياسية والجزئية لكي تخرج من «الغيتو
القبائلي». لكن نتائج الانتخابات المحلية عام
١٩٩٠ والانتخابات التشريعية عام ١٩٩١ بینت
ان إشعاع الحركة لا يزال يتذكر في ولايتي تizi
أوزو وججدة. بل انها تواجه منافسة قوية في منطقة
القبائل ذاتها من طرف جبهة التحرير الوطني
والحركات الإسلامية بدءاً بجبهة الانقاذ.

فالخريطة السياسية-الانتخابية (الانتخابات
التشريعية غير المكتملة في ١٩٩١) دلت على ان
جبهة التحرير والحركات الإسلامية لا تزال الأقوى
بكثير شعبياً من الحركة البربرية في مناطق القبائل.
فالاحزاب البربرية التي ترفع مطالب اثنية وثقافية
ولغوية في برامجها لم تستطع ان تجذب إليها أكثر
من ٢٥٪ من الاصوات، ولم تتمكن أكثر هذه
الاحزاب من تقديم مرشحين في كل الولايات،
وعلى اأن هذه النسبة العامة تتراوح صعوداً
وهوطاماً حسب المناطق: صوت ١٪ فقط لهذه
الاحزاب في منطقة الاوراس (بطنية وأم البواني)،
وارتفع هذا المعدل إلى أكثر من ٥٠٪ في تizi
أوزو عاصمة بلاد القبائل، وتراجع إلى ١٠٪ في

استجابات النظام: لقيت الحركة البربرية
تحارباً من نظام الرئيس الشاذلي بن جديد الذي
ادخل مصطلح «الأمازيغية» في الميثاق الوطني
المعدل في ١٩٨٦، جاعلاً منه واحداً من مقومات
الشخصية الجزائرية أسوة بالعروبة والإسلام. وقبل
ذلك بنحو عامين، كانت السلطات الجزائرية
افتتحت في مدينة تizi أوزو معاهد وكليات
جامعية يومها الطلاب من كل أنحاء البلاد لكسر
طابع «الغيتو» الذي حاول البعض إلصاقه بهذه
المدينة.

وأكثر ما ترجم تحارب السلطات، حتى
الآن، مع المطلب الثقافي الأمازيغي هو ما بدر من
إشادة الأوساط الأدبية والفكرية في الجزائر على
احتلال مشاربها بالكاتب البربرى مولود معمرى
بعد اغتياله في ١٩٨٩. ما يعطي فكرة عن التحول
الجزيئي الذي جرى خلال السنوات التي أعقبت
«الربيع البربرى»، وخصوصاً منذ انتفاضة تشرين
الاول ١٩٨٨، والذي سمح لأنصار اللغة البربرية
باحتلal المساحة الثقافية التي كانوا يطالبون بها.
فأصبح هناك إذاعة تطلق بلسانهم، وكراسي جامعية
خصصت لدراسة لغتهم، وما إليها.

الخريطة السياسية الحالية للبربر: «جبهة
القوى الاشتراكية» التي أنشأها الرعيم القبائلي
(البربرى) حسين آيت أحمد (احد الزعماء الخمسة
المشهورين في جبهة التحرير) في حزيف ١٩٦٣،
كانت حركة محض سياسية، ولم يكن برنامجهما
الاصلى يتضمن اية إشارة إلى مثل هذه المطالب
الثقافية التي رفعت في «الربيع البربرى». لكن بعد
فرار حسين آيت أحمد من سجن الحراش في ايار
١٩٦٦، وبشكل عاًص بعد تأسيس «الأكاديمية
البربرية» في باريس ١٩٦٧، بدأ الطابع الثقافي
للحركة البربرية يتبلور شيئاً فشيئاً، إلى ان بُرِزَ
أخيراً في شعارات مثل «نحن لسنا عرباً»
و«الأمازيغية لغة وطنية ثانية».

قسنطينة (شرقي البلاد) تعود إلى الارتفاع ما بين ١٦٠٣٪ - ٢٦٠٦٪ حيث تتوارد تجمعات ببربرية كثيفة في مدینيّة بجاية وسطيف. أما في الجنوب فهذه النسبة لا تتجاوز ٦٠٦٪ - ٧٠٩٪.

وتتوزع التجمعات البربرية على بلاد القبائل، والشاوية (سكان الاوراس)، ووادي ميزاب (غرادية)، والطوارق (في المغار والجنوب)، وأعداد قليلة متباينة في التوازن (الجنوب الغربي)، ومنطقة القصور في الهضاب المرتفعة.

هذا على الصعيد الآتي. أما على الصعيد اللغوي فإن نسبة ١١٪ فقط من جموع سكان الجزائر يتكلمون اللغة القبلية (الأمازيغية) وربع هؤلاء يتواجدون في منطقة العاصمة. أما البربرية الشاوية فلا يتكلّم بها سوى ٦٪ من المجموع العام لسكان الجزائر حصوصاً سكان منطقة الاوراس. والبربرية المزابية والطوارقية (راجع «أزداد، بلاد الطوارق» في الجزء الأول) فلا تعني أكثر من ١٪ من سكان البلاد.

موقع البربر في الحرب الأهلية الدائرة
ومن «المصالحة الوطنية»: حتى نيسان ١٩٩٤، أي حتى احتفال البربر بالذكرى ١٤ للtribut البربرى، كانت المناطق البربرية آمنة إلى حد كبير بالنسبة إلى الحرب الدائرة في الجزائر بين الإسلاميين (جبهة الإنقاذ) والسلطة (جبهة التحرير)، وقد استقبلت عدداً من الفارين من العاصمة والمدن الكبيرة التي تعيش لياليها في ظل الخوف وأعمال الدهم من طرف المواجهة. وعلى أثر حوادث متفرقة قليلة وقعت في بعض المناطق البربرية، تنادى الأهالي لرفض جر مناطقهم إلى أي من الطرفين. فقد رفضوا عرضاً من الجيش تزويدهم السلاح لردع المهاجمين المحتملين بوسائل عسكرية. والعمليات العسكرية التي نفذها الإسلاميون، وهي ضئيلة كانت محصورة بأهداف

ولاية بجاية، وهبط إلى ٥٪ في ولاية البويرة، ولم يتجاوز ٣٪ في ولايتي الجزائر وبومرداس. وعلى عكس ذلك فإن أهم حزبين، جبهة الإنقاذ وجبهة التحرير (الحاكمية)، لم يرفعا أية مطالب لغوية، وسجلوا معدلات أعلى في المناطق البربرية نفسها: ٣٥٪ في البويرة، ٦٥٪ في تمنست (أقصى الجنوب)، ٤٨٪ في العاصمة، ٥٥٪ في بومرداس، ٧٣٪ في غرداية عاصمة وادي ميزاب و ٩٪ في تizi أوزو، و ٨٪ في بجاية. ومعنى هذه الأرقام أن المطالب ذات الطابع اللغوبي هي بعد ما تكون عن الاهتمامات المباشرة للأغلبية الساحقة من السكان.

الإطار الجغرافي والواقع الديغرافي: تعتبر الظاهرة البربرية في الجزائر ظاهرة قبائلية أساساً، ومنطقها منطقة محددة هي المنطقة الجبلية المعروفة بـ«القبائل» الواقعة على بعد ١٠٠ كلم شرقي العاصمة الجزائرية.

لقد كان شائعاً القول إن ثلث السكان في الجزائر يعنون انتماعهم إلى البربرية. ولكن احصاءات الادارة الاستعمارية الفرنسية نفسها، قبل الاستقلال، وخصوصاً إحصاء تشرين الاول ١٩٥٤ (عشية اندلاع الثورة المسلحة)، وهو الاحصاء المدون في المنشورات الرسمية الصادرة عن العثة العامة للحكومة الفرنسية في الجزائر، يقول إن نسبة السكان البربر من جموع السكان هو ١٧٪ بما في ذلك تعداد المهاجرة الجزائرية إلى فرنسا. والمعروف أن أول إحصاء اجري في الجزائر المستقلة عام ١٩٦٦ اعطى نسبة أعلى بقليل ربما لاعتبارات تقنية.

وتراوح هذه النسبة العامة (١٧٪)، صعوداً وهبوطاً، حسب المناطق. فهي ترتفع في منطقة العاصمة إلى أرقام تتراوح بين ٢٢٪ و ٢٩٪. وتهبط في منطقة وهران الحاذية للمغرب إلى حدود ٣٪ - ٥٪. أما في منطقة

حركة «مجد» التي كان يترأسها رئيس الوزراء قاصدي مراح؛ و«الحركة الديمقراطية للتجديد الجزائري» التي أسسها سليمان عمرات الذي وافاه الأجل وهو يقرأ الفاتحة على جثمان الرئيس محمد بوضياف؛ حركة «التحدي» التي يترأسها السيد الهاشمي الشريف وهي امتداد للحزب الشيوعي الجزائري؛ و«الحركة الإسلامية الأمازيغية المسلحة»، وهي منظمة غير معروفة على نطاق واسع ويدوّن نشاطها ينحصر في مناطق القبائل، وإنها تعمل تحت راية جبهة الإنقاذ الإسلامية.

في الأخير، لا بد من الإشارة إلى أمر مهم أجمع عليه كتابات المخلين للأوضاع الجزائرية عامة، والبربرية خاصة، وهو أنه مهما تأزمت الأوضاع وواثت الظروف الموضوعية والذاتية «نزعنة البربرية» فإن انشقاق القبائل وتشكيل منطقة حكم ذاتي داخلي، على سبيل المثال، إنما هو أمر غير واقعي لأسباب كثيرة من بينها أن البربر يتوزعون في المناطق المختلفة خصوصاً في المدن الكبرى شأن وهران والجزائر العاصمة، وهم ليسوا محصورين بجزء معينة كما هي حالة الكورسيكين، مثلاً، حتى يمكن القول بأنصارهم وأعلانهم القطيعة مع محيطهم.

تعليم الأمازيغية: في ضوء تنامي الحركة البربرية المطالبة باقرار الازدواج اللغوي (عربي- أمازيغي) التي وصلت إلى ذروتها، اواسط ايلول ١٩٩٤، مع الاضراب العام الذي شمل منطقة القبائل (ومدنه الرئيسية: تizi وزو وبجاية والبويرة) للمطالبة باعتبار اللغة البربرية (الأمازيغية) لغة رسمية ثانية إلى جانب العربية، أقرت الحكومة بأنها عاكفة على وضع محطة لنشر تعليم الأمازيغية وإدخال تعديلات على المقررات التعليمية والخيارات الثقافية بحيث تستوعب بعد الأمازيغي «من دون زعزعة الوحدة الوطنية وتماسك المجتمع الجزائري».

تقليدية درجوا على استهدافها.

لكن بدءاً من كانون الثاني ١٩٩٤، وفي الفترة التي استلم فيها الرئيس الحالي اليمين زروال السلطة، استهدفت حوادث الاغتيال، بأكثريتها، عناصر ببربرية، فائزى الدكتور سعيد سعدي رئيس «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» ليدعوا إلى المقاومة المسلحة للبربر ضد الدولة والاسلاميين في آن: «إن البربر فهموا أن عليهم أن يتولوا حماية أنفسهم بوسائلهم الخاصة وأن جمومعات مسلحة ظهرت للدفاع الذاتي ضد الأصولية، وليس لأننا ديمقراطيون لا نستطيع استعمال السلاح». وجدد سعدي مطالبته بالعلمانية في الجزائر وعدم إيهامه بالحل التفاوضي، وعارض المصالحة الوطنية التي دعت إليها حكومة الرئيس اليمين زروال معحركات الإسلامية المسلحة. وهذه الدعوة إلى المصالحة كانت العنصر الأساس في انتقال سعدي من تأييد النظام إلى معارضته.

لا شك أن هذه المواقف للدكتور سعدي، ولجزرية، كان يمكن أن ترتيب نتائج بالغة الخطورة في ما لو كان سعدي يمثل الرعامة الأولى في المناطق البربرية. أما أن هذه الرعامة لا تزال معقودة لحسين آيت أحمد رئيس «جبهة القوى الاشتراكية» وأحد الرعامة التاريخيين في ثورة التحرير، والذي استطاع أن يشكل قطباً نيارياً ثالثاً بعد جبهة الإنقاذ الإسلامية وجبهة التحرير الوطني، فإنه معتبر الناطق الفعلي باسم التيار البربرى. وهو، بصفته هذه، لم يتزدد في التعبير عن مواقف متناقضة تماماً لتلك التي اتخذها سعدي. فسياساته ودعواته تمحور حول رفض الحلول المتطرفة للازمة، ووصل الجسور بين الجزائريين.

إضافة إلى هذين الرافدين الكبيرين للحركة البربرية (آيت أحمد، سعدي)، هناك حركات وتنظيمات ببربرية أخرى تصب ولايتها، بدرجات متفاوتة، في إحدى الجهتين السياسيتين الكبيرتين: جبهة الإنقاذ وجبهة التحرير، وأهمها:



سكان منطقة القبائل (البربر) الجبلية.

مدليان يحرسان قريهما في منطقة القبائل.



لتدريس اللغة والثقافة الأمازيغية بهدف تخريج مدرسين متخصصين في التاريخ واللغة والحضارة الأمازيغية. ومن دوافع هذا التعاطي المرن للحكومة ليس اتساع الحركة الأمازيغية الجزائرية وحسب، بل أيضاً الخطوة التي كان قد قطعها الملك المغربي الحسن الثاني باعلانه رسميًا في آب ١٩٩٤، تدريس اللغة الأمازيغية في المغرب.

وثلة من يخشى في أوساط الحكم وخارجه في الجزائر أن يفضي سوء التعاطي مع هذه الظاهرة الحساسة إلى فتح نافذة صراع ساخن من النوع العرقي والمناطقي يضاف إلى الصراع القائم مع ظاهرة الإسلام الاصولي.

وكانت الحركة الثقافية البربرية، في خطواتها الأخيرة التي اعتبرت الأوسع والأقوى منذ اعلان الاحكام العرفية، قد رفعت شعار «لا مدرسة من دون الأمازيغية» (لغة بربرية غير مكتوبة). وكان حادث اختطاف المغني البربرى معطوب الوناس شارة انطلاق المظاهرات واعلان الاضراب.

وعكست مواقف وزير التربية الجزائري، عمر فخرى، استعداد الحكم للتعاطي المرن مع هذه المطالب. وعيار الحكم في هذا الصدد ليس جديداً، إذ كانت وزارة التربية اشتبحت منذ ١٩٩٠ فصولاً

متن طائرة كارافيل فرنسية متوجهة بهم إلى جنيف.

بعد سبع ساعات من التوقيع، أصدر القائد العام للقوات الفرنسية في الجزائر الجنرال أيريه أمراً عاماً بوقف إطلاق النار. لكن في اللحظة نفسها كان الجنرال سالان، أحد كبار المتمردين في الجيش الفرنسي ضد الجنرال ديغول، يصرخ عبر محطة إذاعية مقرصنة تابعة لمنظمة الجيش السري: «أني أصدر الأمر لمقاتلينا بـ«المواجهة الواقع العادلة في المدن الجزائرية الكبرى كافية، وكذلك أصدر أمراً لمقاتلينا ورفاقنا في القوات المسلحة، من مسلمين وأوروبيين، بأن يسرعوا بالانضمام إلينا».

استحباب كثيرون لنداء سالان ورفاقه من الداعين لبقاء الجزائر فرنسية. غير أن الجزائر تابعت مسیرتها ونالت استقلالها بفضل نضال أبنائها خاصة، ثم على أثر تلك المفاوضات التي

معالم تاريخية

□ اتفاقيات إيفيان: في الساعة الخامسة من صباح يوم ١٩ آذار ١٩٦٢، وبعد ساعات طويلة من النقاش، وقع أربعة أشخاص على ذيل ملف من ٩٣ صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة كانت هذه هي نصوص اتفاقيات إيفيان التي حققت للجزائر استقلالها. بعد نضال طويل. أما الأشخاص الأربع فهم ثلاثة مفاوضين فرنسيين (جان دي بروغلي، روبير بورون ولوبي جوكس)، والجزائري كريم بلقاسم الذي تولى وحده التوقيع على الوثيقة باسم الثوار الجزائريين، وكان رفاته في الأسر الفرنسي وعلى رأسهم أحمد بن بلة، وذلك منذ ١٩٥٤. ولكن في لحظات التوقيع، كانت السلطات الفرنسية تطلق سراحهم ووضعتهم على

المواجهات بين الجيش والمتظاهرين في وسط العاصمة وقدرت المصلحة الرسمية عدد القتلى بنحو ٥٠٠ قتيل.

وفي هذا اليوم بالذات (١٠ تشرين الاول ١٩٨٨)، ظهر الرئيس الشاذلي بن جديـد على التلفزيون ليقول إنه تلقـى الرسـالة وفهم مضمونـها وسيـاشر فورـاً بالاصـلاحـاتـ. وبعد يومـينـ، أعلـنـ عن استفتـاءـ عامـ حـددـ موـعـدهـ يومـ ٣ـ تشرينـ الثـانـيـ ١٩٨٨ـ بهـدـفـ تعـديـلـ الدـسـتـورـ. وفيـ ١٨ـ تشرينـ الاولـ، أعلـنـ عنـ نـيـتهـ نـصـلـ الحـزـبـ عـنـ الـدـوـلـةـ. وبـعـدـ ذـلـكـ باـسـبـوعـ وـاحـدـ (٢٥ـ تشرينـ الاولـ)ـ أـعـطـيـتـ تـفـاصـيلـ عـنـ الـاصـلاـحـاتـ الـعـمـيقـةـ الـتيـ سـيـتـ اـدـخـالـهـ عـلـىـ الحـزـبـ الـواـحـدـ بـهـدـفـ نـزـعـ هـيـمـتـهـ عـلـىـ الـحـيـاـةـ الـعـامـةـ، وـإـنـ كـانـ بـقـيـ «ـالـحـزـبـ الـحـاـكـمـ الـوحـيدـ»ـ (ـنـزـعـتـ عـنـهـ هـذـهـ الصـفـةـ بـعـدـ نـحـوـ سـنـةـ). وفيـ ٢٩ـ تشرينـ الاولـ، صـدرـ قـرـارـ بـاعـادـ أـبـرـزـ رـمـزـينـ فـيـ الـدـوـلـةـ، بـعـدـ الرـئـيـسـ الشـاذـلـيـ بنـ جـديـدـ، وـهـماـ مـسـؤـولـ الـآـمـانـةـ الـعـامـةـ لـحـزـبـ جـبـهـةـ التـحرـيرـ (ـالـحـاـكـمـ)ـ مـحـمـدـ الشـرـيفـ مـسـاعـدـيـ، وـالـأـكـحـلـ عـيـاطـ المـسـؤـولـ عـنـ الـمـخـابـرـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ. وبـعـدـ يـوـمـينـ، وـعـشـيـةـ عـيـدـ الـثـورـةـ، تمـ إـطـلاقـ سـراحـ جـمـيعـ الـذـيـنـ اـعـتـقـلـوـ خـالـلـ الـاحـدـاثـ.

غيرـتـ إنـتـفـاضـةـ تـشـريـنـ الـأـوـلـ ١٩٨٨ـ الخـريـطةـ السـيـاسـيـةـ فـيـ الـجـزاـئـرـ: اـصـلاـحـاتـ كـبـرىـ اـجـراـهاـ الشـاذـلـيـ عـلـىـ مـسـتـوىـ الـحـزـبـ وـالـدـوـلـةـ، وـلـكـنـهاـ جـاءـتـ مـتـأـخـرـةـ وـلـمـ تـوتـ ثـارـهاـ؛ وـدـخـولـ الـاسـلـامـ السـيـاسـيـ عـلـىـ الـمـعـادـلـةـ الـجـزاـئـرـيـةـ كـعـنـصـرـ اـسـاسـيـ لـمـ يـعـدـ بـالـامـكـانـ تـجـاهـلهـ، بلـ أـصـبـحـ الـقـوـةـ الـشـعـبـيـةـ الـأـوـلـيـ فـيـ الـبـلـادـ كـمـاـ أـبـثـتـ ذـلـكـ السـنـوـاتـ الـقـلـيلـةـ الـلـاحـقـةـ (ـرـاجـعـ «ـعـهـدـ الشـاذـلـيـ بنـ جـديـدـ»ـ فـيـ بـابـ النـبـذـةـ التـارـيخـيـةـ).

□ العـرـيبـ وـالـهـوـيـةـ: أـوـجزـ الدـكـتوـرـ تـركـيـ رـابـحـ عـمـارـةـ، رـئـيـسـ جـامـعـةـ الـجـزاـئـرـ، هـذـهـ القـضـيـةـ الشـائـكةـ وـمـاـ آـلتـ إـلـيـهـ حـالـيـاـ، بـقـوـلـهـ:

بدـأـتـ سـرـيـةـ فـيـ قـصـرـ فـيـ منـطـقـةـ الجـوـرـاـ اـعـتـارـاـ مـنـ ٨ـ شـبـاطـ ١٩٦٢ـ، وـكـانـ سـرـيـةـ اـسـتـكـشـافـيـةـ بـيـنـ الـوـزـراءـ الـفـرـنـسـيـنـ وـاعـضـاءـ فـيـ الـحـكـوـمـةـ الـجـزاـئـرـيـةـ الـمـوقـعـةـ. تـلـكـ المـفاـوضـاتـ اـسـتـكـشـافـيـةـ سـرـعـانـ ماـ أـبـحـثـ جـدـيـةـ، وـلـكـنـ دـائـمـاـ سـرـيـةـ، اـعـتـارـاـ مـنـ ٧ـ آـذـارـ التـالـيـ. وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ انـ الصـحـافـةـ كـشـفـتـ عـنـ بـعـضـ اـسـرـارـ المـفـاـوضـاتـ إـلـاـ انـ السـرـيـةـ الـمـطلـقـةـ بـقـيـتـ مـحـيـطـهـ بـهـاـ حـتـىـ فـحـرـ ٩ـ آـذـارـ حـيـثـ جـرـىـ التـوـقـيعـ وـاعـلـانـ الـبـاـءـ عـلـىـ الـعـالـمـ أـجـمـعـ.

تـضـمـنـ الـاـنـفـاقـ عـلـىـ بـنـدـ خـاصـ يـتـحدـثـ عـنـ ضـرـورةـ اـنـ يـمـحـيـريـ اـسـتـفـتـاءـ بـيـنـ ثـلـاثـةـ اـخـتـيـارـاتـ تـطـرـحـ عـلـىـ الـشـعـبـ الـجـزاـئـرـيـ: اـنـ يـسـالـ اـسـتـقلـالـهـ الـتـامـ، اوـ اـسـتـقلـالـاـ ذاتـيـاـ، اوـ انـ يـعـتـبرـ مـنـاطـقـ بـلـادـهـ مـقـاطـعـاتـ فـرـنـسـيـةـ. وـقـدـ لـوـحـظـ اـنـ هـذـهـ الـاـخـتـيـارـاتـ لـمـ يـصـرـ إـلـىـ بـحـثـ أـيـ مـنـهـاـ بـعـدـ ذـلـكـ بـلـ كـانـ الـاستـقلـالـ الـتـامـ هـوـ الـخـيـارـ الـوـحـيدـ. وـقـدـ بـداـ انـ الـبـنـدـ قـدـ أـدـرـجـ فـيـ نـصـ الـاـنـفـاقـ مـنـ اـجـلـ تـهـدـيـةـ خـواـطـرـ الـفـرـنـسـيـنـ الـمـتـشـدـدـيـنـ.

□ الـنـفـاضـةـ تـشـريـنـ الـأـوـلـ ١٩٨٨ـ: فـيـ ٤ـ تـشـريـنـ الـأـوـلـ ١٩٨٨ـ بـدـأـتـ تـظـاهـرـاتـ فـيـ الـاـحـيـاءـ الـشـعـبـيـةـ وـسـطـ الـعـاصـمـةـ، مـاـ لـبـثـتـ اـنـ تـطـورـتـ إـلـىـ عـمـلـيـاتـ شـغـبـ وـاسـعـةـ، إـلـىـ حـرـقـ وـتـدمـيرـ الـعـدـيدـ مـنـ الـحـالـ الـتـجـارـيـةـ وـالـمـتـلـكـاتـ الـعـمـومـيـةـ. وـكـانـ جـلـ الـمـتـظـاهـرـهـنـ مـنـ الـأـوـلـادـ وـالـشـيـابـ الـذـيـنـ قـيلـ اـنـهـمـ تـحـرـكـواـ مـنـ دونـ تـخـطـيـطـ مـسـبـقـ لـلـتـعـبـيرـ عـنـ الضـيـقـ الـذـيـ يـعـيـشـونـ فـيـ الـحـرـمانـ الـذـيـ يـعـانـونـ مـنـهـ. وـفـيـ تـشـريـنـ الـأـوـلـ (١٩٨٨ـ)، بـلـفـتـ الـاـنـفـاضـةـ ذـرـوـتـهـ، فـأـحـرـقتـ مـبـانـ عـامـةـ، وـاعـلـنتـ حـالـةـ الـحـصـارـ، وـفـرـضـ حـظـرـ التـجـولـ. وـفـيـ ٨ـ تـشـريـنـ الـأـوـلـ فـتـحـتـ قـوـاتـ الـجـيـشـ نـيـرانـ اـسـلـحـتهاـ عـلـىـ الـمـتـظـاهـرـهـنـ فـيـ ضـاحـيـةـ الـقبـةـ (ـأـحـدـ مـعـاـقـلـ الـاسـلـامـيـنـ)ـ فـقـتـلـتـ ٦٠ـ مـنـهـمـ. وـانـقـلـتـ الـتـظـاهـرـاتـ وـالـمـواجهـاتـ لـتـشـملـ بـقـيـةـ الـمـدنـ الـجـزاـئـرـيـةـ. وـفـيـ ١٠ـ مـنـ الـشـهـرـ نـفـسـهـ، جـرـتـ اـعـنـفـ

العربية. ولكن بعد الاحتلال الفرنسي (بدءاً من ١٨٣٠) تغيرت امور كثيرة، وعمل الاستعمار على تغيير البنية الاساسية للبلد. ولاحكم سيطرته، عمل الاستعمار على محاور اربعة: محور الفرنسة، محور التنصير، محور التفجير ومحور الاندماج والتجنيد.

أما محور الفرنسة فقد عمل على ابعاد اللغة العربية وأحلَّ مكانها التعليم الفرنسي، وألغى الادارة الجزائرية القديمة وأنشأ ادارة مفرنسة ١٠٠٪. واستمرت هذه السياسة حتى الاستقلال.

أما سياسة التنصير فقد قامت باحتلال المساجد والسيطرة عليها، وحولت المساجد المهمة إلى كنائس وكاتدرائيات، وقد تم ارجاعها بعد الاستقلال إلى مساجد.

اما التفجير، فكما هو معروف ان الجزائر بلد زراعي من الدرجة الاولى وبه اراض زراعية خصبة، وقد قام الاستعمار بتنزع ملكية الاراضي من الجزائريين وأعطتها للأوروبيين الذين احضرهم ملء الجزائر بهم (راجع «المستوطنون الأوروبيون» في هذا الباب: معلم تاريخية).

اما المحور الأخير فهو الخاص بالتجنيد والاندماج، فقد قامت فرنسا بفرض جنسيتها على الجزائريين، فمثلاً الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهو من كبار رجال الاصلاح والسلفية كان مكتوبًا في بطاقةه «مسلم فرنسي». ففرنسا كانت تعرف بالاسلام كدين وتذكر الجنسية العربية، لأنها ارادت ان تمسح شخصية الجزائر العربية وتحلها جزءاً من فرنسا. ولهذا تم عام ١٩٣٨ إصدار قانون رسمي بأن اللغة العربية في الجزائر هي لغة أجنبية، أي ان الشعب الجزائري شعب فرنسي» («العربي»، عدد ايار ١٩٩٤، ص ١٤٨).

□ جهة التحرير الوطني (الجزائرية):
الحزب الحاكم الوحيد في الجزائر منذ الاستقلال

إننا نعاني صراغاً ثقافياً وحضارياً عنيفاً في الجزائر بلد المليون ونصف المليون شهيد، وذات المساحة الواسعة، والشعب المتطور علمياً وتقنياً. هذا الشعب يعاني اليوم من الغزو الثقافي والاستعمار الفكري، لأن فرنسا عرجت من الجزائر وتركـت وراءها كما يقولون «مسمار جحا»، هذا المسـمار هو الفكر الأوروبي والثقافة الأوروبية، وهي طاغية هنا بصورة عنيفة خاصة وان الجزائر مثل تونس والمغرب قرية من أوروبا، فالصحف تصادر في باريس وبعد ساعة تكون في الجزائر.

والـيوم نجد من يناقش في قضية الهوية، فهل نحن عرب أم أمازيغ أم أوروبيون؟ ..

الـجزائر عندما استقلت في ١٩٦٢ كان كل شيء مـفرنسـاً. وبعد الاستقلال ارادت الجزائر ان تعـيد وجهـها الاسلامي مـرة أخرى، فـقامت «ثورة التـعرـيب»، وواجهـت وضـعاً غـايـةـاً في الصـعـوبـةـ والـدقـةـ، إذ وـجـدتـ انـ أـكـثـرـ الجـازـائـريـينـ تـكـوـنـواـ تـكـوـيـتاـ فـرـنـسـيـاـ فيـ عـهـدـ الـاحـتـالـلـ يـدـافـعـونـ عـنـ الثـقـافـةـ الـفـرـنـسـيـةـ وـالـلـغـةـ الـفـرـنـسـيـةـ، وـاـنـهـ يـفـهـمـونـ الـاسـتـقـالـلـ فـهـمـاـ مـادـيـاـ، وـفـيـ نـظـرـهـمـ انـ الـاسـتـقـالـلـ هـوـ النـشـيدـ الـوطـنـيـ وـالـجـيـشـ الـوطـنـيـ وـالـعـلـمـ الـوطـنـيـ، وـلـكـنـ اللـغـةـ وـالـقـاـفـةـ وـالـسـلـوكـ، كـلـهـاـ يـرـيدـونـهـاـ انـ تـبـقـيـ كـمـاـ هـيـ فـرـنـسـيـةـ، وـذـلـكـ بـدـعـوىـ التـطـوـرـ وـالـافـتـاحـ وـمـسـاـيـرـ الـعـالـمـ تـكـوـلـوجـيـاـ.

إن الجزائر قبل ان تقع تحت الاحتلال الفرنسي كانت ولاية تابعة للخلافة العثمانية، وكانت الجزائر إلى جانب اقطار شمال افريقيا لديها ولاء شكلي للواي العثماني، ولكنها عملياً كانت تدير عملها بنفسها، واللغة التركية لم تنتشر في الجزائر بل كانت مقصورة على المحكم العثمانيين وعلى قطاع معين من الجيش يسمى «الانكشارية»، أما التعليم فكان يتم من أفسه إلى ياته باللغة العربية، في المدارس والمساجد والزوايا والكتاتيب، كما ان الادارة كانت تسير باللغة

الجزائري).

انعقد اول مؤتمر لجبهة التحرير الوطني عام ١٩٥٦ في وادي الصومام، وتبني برنامجاً سياسياً عاماً اعتبر بمثابة الايديولوجية الرسمية للجبهة. وقد انعقد هذا المؤتمر بغياب الزعماء السياسيين الموجودين في الخارج، وأنشأ مجلساً وطنياً لقيادة الثورة ولجنة تنسيق وتنفيذ. وقد عارض الزعماء السياسيون في الخارج، وعلى رأسهم بن بلة، مقررات وادي الصومام. إلا انهم لم يؤثروا كثيراً في جهودات الامور خاصة بعد ان اختطفت السلطات الفرنسية الطائرة التي كانت تقلهم واعتقلتهم في ٢٢ تشرين الاول ١٩٥٦ وحتى نهاية الحرب والتوفيق على اتفاقيات إيفيان (راجع «الصومام، مؤتمر» في هذا الباب: معالم تاريخية).

في ١٨ ايلول ١٩٥٧، أعلنت الجبهة عن تشكيل «الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية» في القاهرة برئاسة فرجات عباس، ثم برئاسة يوسف بن خدة في آب ١٩٦١. وكانت هذه الحكومة هي التي قادت مفاوضات إيفيان مع الحكومة الفرنسية في ١٩٦٢ باسم جبهة التحرير الوطني. وقد شهدت الجبهة العديد من الصراعات. واجتمعت غداة الاستقلال بكامل قيادتها وتبنت برنامجاً عاماً ذي توجه اشتراكي (استمرت عليه حتى اواخر الثمانينيات حيث تخلى عنه صراحة الرئيس الشاذلي بن حديد، في وقت كان العالم يعيش اللحظات الأخيرة لانهيار الاتحاد السوفيتي). وعاد الصراع بين الجبهة وبين الحكومة المؤقتة إلى ان حسمه جيش التحرير الوطني بقيادة هواري بومدين الذي كانت الحكومة المؤقتة قد عزلت قيادته. فتشكل مكتب سياسي من خمسة اعضاء هم: بن بلة، خيضر، بيطاط، آيت أحمد وبوضياف؛ وقد انتخب خيضر اميناً عاماً للجبهة، إلا انه اختلف مع بن بلة وكانت النتيجة ان انعقد اول مؤتمر للجبهة منذ الاستقلال تقرر فيه انتخاب بن بلة اميناً عاماً لها

حتى التعديل الدستوري، في ١٩٨٩، الذي قال بالتعددية والديمقراطية. وهو الحزب الذي قاد ثورة تحرير الجزائر.

في آذار ١٩٥٤ انشأ زعماء «التنظيم الخاص» التابع لحركة انتصار الحريات الديمقراطية التي كانت تعرف في السابق بحزب الشعب الجزائري «اللجنة الثورية من اجل الوحدة والعمل» بهدف جمع شمل كل الوطنيين الجزائريين من كل الاتجاهات والميول، وقد دعت هذه اللجنة في اول بياناتها السياسية إلى تشكيل جبهة موحدة من اجل تحرير التراب الوطني الجزائري. وكان الزعماء التاريخيون للثورة (بن بلعيد، ديدوش مراد، بن مهيدى، بن بلة، بوضياف، آيت أحمد، بيطاط وخيضر) هم الذين يشرفون على هذه اللجنة، وقد اجتمعوا في القاهرة، وقرروا في صيف ١٩٥٤، من برن، اعلان النضال المسلح من اول تشرين الثاني ١٩٥٤، واعلان تشكيل جبهة التحرير الوطني في الوقت نفسه. وهكذا تطابق ميلاد الجبهة مع اندلاع الثورة الجزائرية.

مع هذا الاعلان المتطابق مع اول عملية مسلحة (راجع «الشارارة الاولى للثورة الجزائرية» في هذا الباب: معالم تاريخية)، بدأت معظم التنظيمات السياسية تحمل نفسها وتترك لاعبائها حرية الانضمام إلى الجبهة. فبدأت معظم الكوادر الوطنية الجزائرية تتخلى عن تنظيماتها وتتضم إلى جبهة التحرير حتى البعض الذين لم يكونوا موافقين تماماً على اساليب عملها. أما الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر فقد رفض حل نفسه رسميًا، إلا أن وجوده لم يكن ذات أهمية. أما أهم حركة وقفت في وجه الانصهار في الجبهة الناشئة فكانت «الحركة الوطنية الجزائرية» بزعامة «مصالح الحاج» والتي كانت تتمتع ببعض الشعبية في اوساط العمال المغاربة. إلا ان جبهة التحرير تمكنت اخيراً من القضاء عليها، أو على الأقل تحييدها وجعلها هامشية (راجع باب الاسلام

وكانت الجمعية تنشر افكارها من خلال مجلة «الشهاب» وكانت تطالب بحرية تعليم اللغة العربية وحق الجزائريين في إنشاء صحفة عربية. وفي ١٩٤٠، منعت السلطات الفرنسية مجلة «الشهاب» وجريدة «البصائر» من الصدور لمنع بث افكار هذه الجمعية. الأهم من كل ذلك ان الجمعية عملت إلى انشاء العديد من المدارس الدينية الخاصة التي تخرج منها الكثيرون من المناضلين الاستقلاليين، وساعدت على البقاء على الثقافة العربية في وجه الغزو الثقافي الفرنسي. اعتقل بن باديس في ١٩٣٨، ثم أفرج عنه. وبعد وفاته في ١٩٤٠، استلم الرئاسة بشير الإبراهيمي (رائع النبذة التاريخية، وخاصة بباب الإسلام الجزائري)، وعبد الحميد بن باديس في باب زعماء ورجال دولة.

□ حرب التحرير الجزائرية، «ثورة المليون شهيد» (١٩٥٤-١٩٦٢): حرب تحرير وطنية ثورية ضد الاستعمار الاستيطاني الفرنسي خاضها الشعب الجزائري بقيادة جبهة التحرير الوطني الجزائري وكانت نتيجتها انتزاع الجزائر لاستقلالها بعد استعمار دام أكثر من ١٣٠ عاماً.

انطلقت الرصاصة الأولى للثورة الجزائرية في منتصف ليل ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٤ الذي يصادف عند الأوروبيين «عيد جميع القديسين» معلنة قيام الثورة (راجع «الشارارة الأولى للثورة الجزائرية وبيانها» في هذا الباب، معلم تاريخية).

وتم تشكيل الامانة العامة لجبهة التحرير الوطني من تسعه اعضاء، ستة تولوا قيادة الداخل، وهم: رابح بيطاط الذي اعتقل في الشهور الاولى من انطلاق الثورة، كريم بلقاسم، العربي بن المهيدي، ديلوش مراد، مصطفى بن بولعبد، ومحمد بوظيف (اغتيل وهو رئيس الجمهورية). أما قيادة العمل الخارجي فضمت ثلاثة اشخاص هم: أحمد بن بلة (اول رئيس للجمهورية بعد

(للتطورات اللاحقة في شأن جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وزعمائها وتياراتها، وما آلت إليه، راجع مختلف الأبواب لا سيما النبذة التاريخية، والاسلام الجزائري، والبربر في الجزائر، وزعماء ورجال دولة).

إن أكبر وأخطر تحول عاشته جبهة التحرير الوطني كان خلال تولي عبد الحميد مهري منصب أمينها العام، إذ نقلها المهري إلى حزب معارض يعمل في إطار «كتلة روما» و«العقد الوطني»، وهي الجبهة التي كانت الحزب الحاكم منذ الاستقلال حتى ١٩٨٩، ثم الحزب الموالي، ثم الحزب المعارض بزعامة المهري في ١٩٩٤ و ١٩٩٥، إلى أن كانت الدورة الأخيرة للجنحة المركبة التي تحولت فجأة إلى «دورة استثنائية» (كانون الثاني ١٩٩٦) سحب الثقة من المكتب السياسي والأمين العام بعد توجيهه ٢١ تهمة بمحقهما، منها تهمة تحويل جبهة التحرير من حزب حاكم إلى حزب معارض وتهمة جعل الجبهة طرفاً موياناً للإسلاميين في نزاعهم مع السلطة، وتوقيع «العقد الوطني» مع أحزاب لا يمكن للجبهة ان تلتقي معها.

وحاجات إطاحة مهري بعدما صوتت الغالبية المطلقة على سحب الثقة منه ومن المكتب السياسي، وفاز خصمه الدكتور بوعلام بن حمودة الملقب «شيخ المحافظين» (راجع «نوبة روما» في باب معلم تاريخية).

□ جمعية العلماء المسلمين في الجزائر: جمعية دينية ذات طابع ثقافي وسياسي وديني لعبت دوراً بارزاً في الحفاظ على عروبة الجزائر. أسسها في ١٩٣١ الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان يردد باستمرار: «الاسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني» وكان معظم الشيوخ الذين دخلوا الجمعية من المصلحين الذين تأثروا بأفكار محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وشكيك ارسلان.

ونجح هذا الاضراب، وادرجت القضية الجزائرية على جدول اعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة التي اخذت بشأنها توصيات تدعو فرنسا إلى الاعتراف بالشخصية الجزائرية وتختها على التفاوض مع جبهة التحرير.

ومنذ تشرين الثاني ١٩٥٦، بدأ أضخم إضراب طلابي دعا إليه الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين واستمر حتى انتصار الثورة بتحقيق الاستقلال. وكانت العمليات العسكرية للثوار تتصاعد باستمرار، وقامت السلطات الفرنسية بكهرمة الحدود الجزائرية التونسية والحدود الجزائرية المغربية لمنع تسلل الثوار الذين يمحوون في إبطال مفعولهما. فاعلنت الحكومة الفرنسية «حق المطاردة» للثوار إلى داخل الأراضي التونسية والمغربية.

المرحلة الثالثة (١٩٥٨-١٩٦٠): أصعب مراحل الثورة بسبب العمليات العسكرية الضخمة والكثيفة التي قامت بها القوات الفرنسية ضد الثوار في مختلف أرجاء البلاد، سواء في الجبال والارياف أم في المدن، وفرضت على الأهلين معسكرات الاعتقال الجماعي في مختلف المناطق. وتمكن جيش التحرير من الصمود في وجه هذه العمليات والابقاء على بنيته العسكرية وتحقيق انتصارات في بعض المعارك.

وفي ١٩ ايلول ١٩٥٨، تم اعلان الحكومة الجزائرية المؤقتة برئاسة فرحات عباس، فأصبحت ممثل الشعب الجزائري والناطقة باسمه والمسؤولة عن قيادة الثورة سياسياً وعسكرياً ومادياً، واعلنت في اول بيان لها عن موافقتها على اجراء مفاوضات مع الحكومة الفرنسية شرط الاعتراف المسبق بالشخصية الوطنية الجزائرية. وطرحت قضية الجزائر في الاسم المتحدة وفي مؤتمر الشعوب الافريقية في اكرا، ولاقت التضامن والدعم الكاملين. وفي كانون الاول ١٩٥٨، ألقى الجنرال ديفغول خطاباً في الجزائر العاصمة اشار فيه إلى

الاستقلال)، حسين آيت أحمد، ومحمد خضر (اغتيل بعد الاستقلال). وقد احتطفت السلطات الفرنسية القادة الثلاثة في تشرين الأول ١٩٥٦ بينما كانوا يستقلون طائرة مدنية مغربية كانت متوجهة من الرباط إلى تونس لحضور مؤتمر ثلاثي (تونسي-مغربي-جزائري) ولم يفرج عنهم وعن بيطاط إلا بعد الاستقلال.

يمكن تقسيم الثورة الجزائرية التي استمرت حوالي ثمانية اعوام إلى أربع مراحل:

المرحلة الاولى (١٩٥٤-١٩٥٦): تركز العمل فيها على ثبيت العمل العسكري وتوسيعه. وفي آذار ١٩٥٥ رد «المجلس الوطني الفرنسي» على عمليات الثوار باعلان حالة الطوارئ في الجزائر، وارسلت الحكومة الفرنسية حوالي ألف جندي إلى الجزائر لقاومة الثورة.

وفي هذه المرحلة، عقد المؤتمر الاول لجبهة التحرير الوطني في ٢٠ آب ١٩٥٦، وهو المعروف بمؤتمر الصومام الذي أقرّ الميثاق التاريخي للجبهة. (راجع «مؤتمر الصومام» في هذا الباب، معلم تاريخية).

شهدت المرحلة الثانية (١٩٥٦-١٩٥٨) هذه المرحلة ارتفاع حدة المجموع الفرنسي، لكن الثورة ازدادت اشتعالاً بسبب تماويب الشعب معها، ونشطت حركة الفدائيين في المدن، كما ظهر جيش التحرير من اقامة بعض السلطات المدنية في بعض مناطق الجنوب. وبدأت معركة الجزائر العاصمة، وتركزت بشكل رئيسي في حي القصبة التاريخي الشعبي وقادها العربي بن المهدي الذي اعتقلته السلطات الفرنسية وقتله. ولم يستطع الجيش الفرنسي القضاء على ثورة الجزائر العاصمة إلا بصعوبة كبيرة ومحسائر فادحة وذلك بعد استدعاء جنود المظلات الفرنسيين المختصين بالقمع وحرب المدن.

ويمتناسبة انعقاد الجمعية العامة للامم المتحدة، اعلنت الجبهة اضراباً عاماً في الجزائر،

آذار، وتعدد الاول من تموز ١٩٦٢ موعداً لاجراء استفتاء شعبي، فصوت الجزائريون لصالح الاستقلال. وقد صادف بدء انسحاب القوات الفرنسية في ٥ تموز ١٩٦٢ يوم دعوهما ٥ تموز ١٨٣٠، كما انسحبت هذه القوات من المكان نفسه الذي دخلت منه إلى الجزائر في منطقة سيدى فرج القريبة من العاصمة. وتم في هذا اليوم تعيين أحمد بن بلة كأول رئيس لجمهورية الجزائر المستقلة بعد خروجه من السجون الفرنسية مع عدد من قادة الثورة وكوادرها.

يعود الفضل في انتصار الثورة الجزائرية إلى وضوح اهداف قادتها والتضحيات الشعيبة المائلة (نحو مليون شهيد)، وإلى التأييد العربي (قواعد الثوار في تونس والمغرب والدعم الشعبي والمادي الواسع من مصر عبد الناصر وسوريا والعراق، وكثير من دول العالم الثالث)، ومناصرة سياسات عالمية، بما فيها سياسة الولايات المتحدة الأميركيّة التي كانت لا تزال تنهج سياسة اضعاف الاستعمار الفرنسي والبريطاني (راجع النبذة التاريخية).

□ حزب الشعب الجزائري: أسسه عام ١٩٣٧ مصالي الحاج فلالي مبارك. وهو في الواقع حزب نجم ثماني أفريقي الذي كان قد تأسس عام ١٩٢٦ في باريس ثم غير إسمه فصار يعرف باصدقائه الامة. تميزت ايديولوجيته بالمعارضة المطلقة للاستعمار الفرنسي والمطالبة بالاستقلال التام وعدم التعاون بأي شكل من الاشكال مع السلطات الفرنسية. ويعتبر حزب الشعب الجزائري، وبالتالي حزب نجم ثماني أفريقي، المهد الأساسي لثورة ١٩٥٤، كما كان له دور كبير في الاعداد لاتفاقية سطيف في ١٩٤٥. شكل الحزب تنظيمًا خاصًا سرّياً كلف القيام بالأعمال المسلحة وإنهاك الفرنسيين. كان العديد من زعماء الثورة الجزائرية أعضاء في هذا الحزب الذي تعرض

الشخصية الجزائرية، وانتخب في ٢٢ من هذا الشهر رئيساً للجمهورية الفرنسية. وفي ١٦ ايلول ١٩٥٩، أعلن ديغول اعتراف فرنسا بحق الجزائر في تقرير مصيرها. وكان جواب الحكومة الجزائرية المؤقتة قبولها مبدأ تقرير المصير واستعدادها للتفاوض المباشر.

المرحلة الرابعة (١٩٦٠-١٩٦٢): لم يفلح الفرنسيون في الجسم العسكري للقضية الجزائرية رغم تحريرهم حملات عسكرية ضخمة في كل مناطق البلاد، وقد تم في كانون الثاني ١٩٦٠ تشكيل أول هيئة اركان للجيش الجزائري الذي كان متمركزاً على الحدود الجزائرية التونسية والجزائرية الغربية وتعيين العقيد هواري بومدين أول رئيس لاركانه. وعقد المؤتمر الثاني للجبهة في طرابلس (ليبيا) عام ١٩٦١، ورسم المبادئ الأساسية لسياسة الجزائر المستقلة: اعتماد منهج الاشتراكية وسياسة عدم الانحياز. وعقب المؤتمر، تشكلت حكومة جزائرية جديدة برئاسة يوسف بن حدة تولت المفاوضات مع الفرنسيين.

وفي شباط ١٩٦٢، دعت الامم المتحدة (في دورتها الـ١٦) «الطرفين لاستئناف المفاوضات بغية الشروع بتطبيق حق الشعب الجزائري في حرية تقرير المصير والاستقلال. وفي إطار احترام وحدة التراب الجزائري».

وبعد ان قام الفرنسيون بمناورات عددة وتهديدات كثيرة لتحاشي التفاوض، تقابلها حرب تحريرية متصاعدة في الجزائر وعجز فرنسي في الجسم العسكري، تمت بين الوفد الجزائري والوفد الفرنسي مقابلة في قرية فرنسية، بالقرب من الحدود السويسرية، حدّدت الخطوط العريضة للاتفاق.

من ٧ إلى ١٨ آذار ١٩٦٢، عقدت ندوة، في إيفيان، حول إيقاف القتال، تدارست الوفود خلالها تفاصيل الاتفاق. وكان الانتصار حليف وجهة نظر جبهة التحرير. وتوقف القتال في ١٩

باتصار الحلفاء إلى أعمال شغب. وظهرت فيها أولى الشعارات القومية التي جاء فيها «نريد أن نكون متساوين بكم». وتميز قمع التظاهرة بالقسوة بينما كانت الاضطرابات تمتد كبقعة الزيت إلى مدن وقرى أخرى. وعلى الرغم من تباين الآراء يتفق المؤرخون على القول إن تلك الأحداث حضرت نهايةً هوة بين الفرنسيين والجزائريين ومهدت الطريق لاعلان حرب الاستقلال في الاول من تشرين الثاني ١٩٥٤.

وشاركت في حملة القمع هذه الطائرات والسفن الحربية التي قصفت بدون تمييز المدن والقرى الجزائرية انتقاماً لقتل ٨٨ من المستوطنين الفرنسيين و ١٥٠ جريحًا الذين استهدفهم الجزائريون بعد تعرضهم لنيران الجنود الفرنسيين أثناء التظاهرة ووقوع الآلاف من القتلى الجزائريين. ويقدر بعض المؤرخين الجزائريين عدد قتلى هذه المجازر بنحو ٤٥ ألفاً بينما يطرح متخصصون فرنسيون حصيلة تراوح بين ٦آلاف و ١٥ ألف قتيل. وقادت السلطات الفرنسية بحملة اعتقالات طاولت ٤٥٦٠ شخصاً واصدرت المحاكم ١٣٠٦ أحكام من بينها ٩٩ حكماً بالاعدام. وكان العديد من الزعماء بين المعتقلين كفرحات عباس والشيخ بشير الابراهيمي الذي كان قد خلف بن باديس على رأس جمعية العلماء المسلمين.

في ٨ ايار ١٩٩٥، أحييت الجزائر الذكرى الخمسين لـ«مجازر الثامن من ايار ١٩٤٥» في سطيف وخراطة وقملة، ونظمت أسبوع معارض صور ومؤتمرات ولقاءات. وأطلق إسم «الثامن من ايار» على ساحات عامة وشوارع في الجزائر. كما كان قد تم في العام ١٩٩٠ إنشاء مؤسسة باسم «مؤسسة ٨ ايار ١٩٤٥»، على رأس اهدافها العمل لحمل فرنسا والجماعة الدولية على الاعتراف بطابع «جريمة الحرب» و«جريمة الإنسانية» التي تنطوي عليها مجازر سطيف.

إلى العديد من حملات القمع، فحوكم زعماً وسجناً وتشردوا. انقسمت قيادته إزاء الموقف الذي ينبغي اتخاذه من الثورة الجزائرية، إلا أن الأغلبية فضلت الانضمام إليها بالرغم من معارضه مصالي الحاج الذي أصبح شبه وحيد في موقفه المعارض للاندماج بالثورة.

□ حزب نجم شمال إفريقيا: أول وأهم حزب سياسي جزائري طالب بالاستقلال التام عن فرنسا قبل اندلاع ثورة التحرير في ١٩٥٤. تأسس في باريس عام ١٩٢٣ بين أوساط العمال المهاجرين الجزائريين. من أبرز زعمائه المؤسسين مصالي الحاج الذي كان آنذاك عضواً في خلية تابعة للحزب الشيوعي الفرنسي. وقد ظلل هذا الحزب الجديد شديد الصلة بالشيوعية العالمية حتى ١٩٣٧ حين حدثت القطيعة بين الحزبين بسبب معارضته الشيوعيين الفرنسيين ل برنامجه الذي كان ينص على استقلال الجزائر التام. فاصدر ليون بلوم رئيس حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا (تحالف الاشتراكيين والشيوعيين) قراراً بحل هذا الحزب. وابتداء من هذا التاريخ، اتخذ الحزب لنفسه عدة تسميات: أصدقاء الامة (١٩٣٧)، حزب الشعب الجزائري (١٩٤٦-١٩٤٥)، أصدقاء البيان والحرية (١٩٤٥) نتيجة تحالفه مع حزب فرحات عباس، حركة انتصار الحريات الديمقراطية (١٩٤٦) حتى اندلاع الثورة. وقد كان الحزب يبث أفكاره من خلال صحف عديدة كان يصدرها، لكن السلطات كانت توقفها بسرعة. وبحذر الاشارة إلى أن معظم رجال الثورة الجزائرية قد خرجوا من صفوف هذا الحزب (راجع «حزب الشعب الجزائري» في هذا الباب، معلم تاريخية).

□ سطيف، التفاصية ١٩٤٥: ٨ ايار ١٩٤٥، تحولت تظاهرة في سطيف (على بعد ٣٠٠ كلم شرقى الجزائر العاصمة) للاحتفال

البيان، في ختامه، المواطن الجزائري قائلاً: «أيها الجزائري، إننا ندعوك لتبarak هذه الوثيقة (بيان اعلن الثورة)، وواجبك هو ان تنضم إليها لانقاذ بلادنا والعمل على ان تسترجع لها حريتها...».

□ الصومام، مؤتمر (آب ١٩٥٦): أول مؤتمر تأسيسي لجبهة التحرير الوطني الجزائرية عقد في وادي الصومام في منطقة القبائل وكان يهدف بالدرجة الأولى إلى وضع برنامج سياسي واضح وتنظيم سياسي عسكري حازم للثورة التي كان قد مضى على اندلاعها حوالي ١٨ شهراً. وكان زعماء الثورة في الداخل هم الذين بادروا بالدعوة إلى عقد هذا المؤتمر بغية دراسة المشكلات المتزايدة التي يواجهها الثوار، سواء على المستوى التنظيمي أو الفكري أو الأيديولوجي والخواز الاجراءات الكفيلة بالحفاظ على الثورة. والزعماء الذين كانوا وراء هذا الاجتماع هم عبّان رمضان، كريم بلقاسم، يوسف بن خدة، سعد دهبل والعربي بن مهيدى.

تبني المؤتمر برنامجاً سياسياً مفصلاً وانتخب قادة المناطق العسكرية الرئيسين في قسنطينة والجزائر العاصمة والقبائل ووهران، كما قسم الجزائر إلى ست ولايات.

إضافة إلى ذلك عين المؤتمر هيئة عليا للجبهة وهي ما عرفت بلجنة التسويق والتنفيذ، مولفة من خمسة أعضاء، كما شكل مجلساً وطنياً للثورة الجزائرية مولفاً من ٣٤ عضواً (١٧ اصيلاً و ١٧ عضواً رديفاً)، وأكمل المؤتمر أيضاً على أولوية الداخل على الخارج، وبعد أن أدان اتباع مصالي الحاج الذين رفضوا الانضمام إلى الثورة وانتهحوا خطاً مستقلأً وكذلك الشيوعيين، أعلن ان عقيدة الثورة واضحة، فاذهب المنشود هو الاستقلال الوطني، والوسيلة لذلك هي تدمير النظام الاستعماري. ثم حدد المؤتمر موقف الثورة من طبقات وفئات المجتمع كافة، ومن مختلف

□ الشرارة الأولى للثورة وبيانها

العملاني الأول: بين مجزرة سطيف في ١٩٤٥ والأول من تشرين الثاني ١٩٥٤ (تاريخ أول عملية حرب عصابات للثورة الجزائرية)، لم تكن الجزائر قد عرفت أحداً كبيرة. ورغم حدث من هنا وتواتر من هناك، كان يبدو أن كل شيء في البلد هادئ. وكان المسؤولون الفرنسيون يرددون أن ليس هناك ما يجعلهم يخشون «تلك الحلقات الوطنية المتحلقة من حول المحوز مصالي الحاج»، وفاتهم أن ينظروا في آتجاه آخر، آتجاه مناطق القبائل وباتجاه القاهرة. ففي مناطق القبائل كان الثوار يستعدون بزعامة بن بلة، وفي القاهرة كان الوطنيون الجزائريون يجدون لدى مصر التاصرية ملجاً وسندًا ودعمًا على مختلف الصعد.

ففي ليلة ٣٠ تشرين الأول - ١ تشرين الثاني ١٩٥٤، قامت جموعات صغيرة من الثوار المزودين بأسلحة قديمة وبندق صيد وبعض الألغام بعمليات عسكرية استهدفت مراكز الجيش الفرنسي وموقعه في مختلف أنحاء البلاد وفي وقت واحد. واسفرت هذه العمليات، خاصة في وهران وفي مناطق جبال الأوراس، عن سقوط سبعة قتلى جلهم من المستوطنين الفرنسيين، و ٤٤ جريحاً، وعن احرق مستودع للفلين وتحطيم تعاونية زراعية والاستيلاء على منتوجاتها، إضافة إلى إحراق مزرعة ومحاصرة خفر للدرك.

ورافق هذه العملية توزيع بيان على الشعب الجزائري يحمل توقيع «الامانة الوطنية لجبهة التحرير الوطني» وجاء فيه: «إن المهدف من الثورة هو تحقيق الاستقلال الوطني في إطار الشمال الأفريقي وإقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية». كما دعا البيان جميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية إلى الانضمام إلى الكفاح التحريري دون ادنى اعتبار آخر. وعماطل

الشرق الجزائري. وما لبث ان مدد نفوذه ليشمل الثورة الجزائرية بالكامل، خصوصاً على المستويين الأمني والعسكري. وتنبع بقدرة تنظيمية كبيرة في قضايا الأمن والتحسين، وجمع من حوله مجموعة تدين له بالولاء المطلق، من اعضائها بومدين وأحمد مدغري وعبد العزيز بوتفليقة وسواهم من شكلوا اركان جموعة وجدة، وسيطروا على جيش التحرير ومن ثم على دولة الاستقلال.

فحلال تلك الفترة كان عبد الحفيظ
بوصوف اقوى قيادات الثورة، خصوصاً بعد أن تمكّن بومدين من ان يصبح رئيساً لقيادة اركان جيش التحرير المرابط عند الحدود في تونس والمغرب. أما حزب جبهة التحرير فكان إطاراً عريضاً يضم إتجاهات متنافرة في أكثر الأحيان، وقداته التاريخيون (بن بلة، آيت أحمد، بوضيف وخيضر) ف كانوا في السجون الفرنسية من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٢، واما الحكومة المؤقتة باعصابها من الشخصيات الوطنية، مثل فرحات عباس وسواء، فلم تكن إلا جهازاً مفرغاً من أي نفوذ فعلي تتحصر مهمته الأساسية في حشد التأييد الدبلوماسي والاعتزاف الدولي بالثورة.

هكذا، إذا، تحقق ما كان يتتحقق منه عبان رمضان (راجع «عبان رمضان» في باب زعماء ورجال دولة)، وغلب الخارج على الداخل، والعسكريون والأمنيون على السياسيين. فنجح بوصوف في كل ذلك. لكن أحد مرؤوسيه، هواري بومدين، ما إن اشتبد عوده داخل المؤسسة العسكرية حتى احاط نفسه بعدد من الضباط الشبان وانقلب على بوصوف وأزاحه، ولم يتسرن للأئم ان يتولى أي منصب بعد الاستقلال، فانسحب من الحياة السياسية وانصرف إلى تعاطي التجارة حتى وفاته في بداية الثمانينات.

□ المستوطنون الأوروبيون: على رأس
أهداف غزو الجزائر استعمارها، ودعاة الاستعمار

القوى العالمية. والجدير بالذكر ان زعماء الخارج، وعلى رأسهم بن بلة، لم يوكلوا جميعهم نتائج هذا المؤتمر (من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ج ٣، ص ٦٨٠).

أعاد مؤتمر الصومام التأكيد على اللغة العربية وتمسك الشعب الجزائري بها، مع ان مداولاته ومناقشاته كانت تتم باللغة الفرنسية، ولكنك أهمل الجانب الإسلامي في بيانه العام (راجع باب: الاسلام الجزائري).

وكان عبان رمضان هو المهندس الفعلي لمؤتمر الصومام والبيان الصادر عنه (راجع «عبان رمضان» في باب زعماء ورجال دولة).

□ «العقد الوطني»: راجع «نورة روما» في هذا الباب: معالم تاريخية.

□ «مجموعة وجدة»: وجدة، مدينة مغربية محاذية للحدود الجزائرية، كانت مركزاً لتجتمع عدد من قادة ثورة التحرير العاملين في الخارج. وهذه المجموعة من القادة استحوذت على قيادة الثورة، ثم على السلطة واستمرت فيها، بطريقة أو بأخرى، حتى السنوات القليلة الأخيرة. تشكلت «مجموعة وجدة»، من بداياتها، بما يشبه الصيادة. فعند انتطلاقة العملسلح، عمدت جبهة التحرير الوطني إلى تقسيم البلاد إلى عدد من الولايات، لكل ولاية قائدها العسكري المقيم داخلها. وحلتها الولاية الخامسة (تشمل منطقة وهران والغرب الجزائري) وضع مركز قيادتها خارج البلاد، في المغرب، ونصب على رأسها عبد الحفيظ بوصوف الذي سيكون له أبلغ الأثر في مجريات الامور خصوصاً لجهة تأثيره على مرؤوسيه ومن بينهم هواري بومدين.

جعل عبد الحفيظ بوصوف من منطقة الغرب الجزائري مقللاً لنفوذه رغم انه من موالي

الاستيطان المدني كان أكبر عدداً من الاستيطان الريفي. في العام ١٨٧٢، نحو ٦٠٪ من جموع المستوطنين الأوروبيين كانوا مقيمين في المدن. وهذه النسبة استمرت في التزايد طيلة السنوات اللاحقة.

هكذا بدأ يتشكل «شعب جديد» في الجزائر، أكثريته من الفرنسيين، ومن يهود كانوا يقيمون في الجزائر ولكنهم اعلنوا عن «تعييتم الفرنسية» في ١٨٧٠، ومن الأوروبيين نالوا الجنسية بموجب قانون الجنسية الصادر في ١٨٨٩. وهذا «الشعب الجديد» (المستوطنون الأوروبيون)، بدأ ييرز ويتحذّل ماته الواضحة والخاصة ابتداء من ١٨٩٦، إذ في هذه السنة جرى إحصاء هؤلاء المستوطنين اظهر ان عدد الأوروبيين المولودين في الجزائر بدأ يفوق عدد المهاجرين.

كان عدد الأوروبيين ١٠٩ ألف في ١٨٤٧ (أي بعد نحو عقد ونصف العقد من الغزو الفرنسي)، واصبح ٢٢٢ ألفاً في ١٨٧٢، وارتفع إلى ٥٧٨ ألفاً في ١٨٩٦ وإلى ٨٢٩ ألفاً في ١٩٢١. وبذات وتيرة هذا التزايد تخفّ وتأخذ اتجاهها تنازلياً مع بداية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤). فالهجرة الفرنسية توقفت تماماً تقريباً، وخفت إلى حد كبير اعداد المهاجرين الأجانب الآخرين. في الاحصاء الذي جرى قبل قليل من بداية ثورة التحرير (١٩٥٤) كان عدد المستوطنين الأوروبيين ٩٨٤ ألفاً. «الاجانب» (المقصود غير الفرنسيين، أي الأوروبيين) غالبيتهم من الإسبان، وبعدهم يأتي الإيطاليون، ثم المالطيون.

بعد الاستقلال (١٩٦٢)، وخلال العامين اللذين قضاهما أحمد بن بلة رئيساً للجمهورية الجزائرية، تم وضع اليد على الاموال اللامنقولة التي تركها المستوطنون الأوروبيون من عقارات وتجهيزات صناعية وخازن تجارية.

□ مشتى القصبة، مجزرة (٣١) ايار

طالبوa يجعل الجزائر مستعمرة استيطانية، وبدأ في حينه ان هذه الفكرة كانت سابقة للفزو وداعمة له. واستمرت الاوساط الفرنسية والاوروبية تناقش فكرة «الاستعمار الاستيطاني» أو «نظام الخمية» المتوجب تطبيقها على الجزائر حتى ١٨٧٠ (أي على مدى عدة عقود بعد الغزو). ومن البارزين الذين كانوا إلى جانب «المحمية» الاميراطور نابوليون الثالث وجول فوري.

لكن الغلبة في الأخير، أو ان الامور سارت في اتجاه الاستعمار الاستيطاني وإن كانت التسمية التي اعتمدت هي «الاستعمار الرسمي» (Colonisation Officielle) فقامت الادارة الاستعمارية بتصادر الاراضي بمختلف الطرق والذرائع: اراض مشارع، غابات، الخ ... ثم بدأت الادارة بانشاء قرى (مستوطنات) سكنها مهاجرون فرنسيون وزرعت عليهم الاراضي بموجب عقود من شروطها إقامة المهاجرين في القرى المستحدثة. والأفضلية كانت معطاة للمهاجرين القادمين من المناطق الجنوبيّة الشرقيّة من فرنسا، ثم للأوروبيين. وهكذا نشأت ٧٠٠ قرية فرنسية غيرت، بصورة كاملة، ملامع الريف الجزائري الذي كان شبه خال من التجمعات السكينة باستثناء مناطق القبائل.

والاستعمار الاستيطاني «الحر» الذي حرى دون مساعدة الدولة أو تدخل منها كان، لمدة طويلة، أقل أهمية من الاستعمار الاستيطاني «ال رسمي». وبعد العام ١٩٠٠، انقلب الوضع بصدور تشريعات اناحت للمستوطنين الأفراد، من فرنسيين وأوروبيين امتلاك اراض واستثمارها. ففي ٤ ١٩١٤ أصبح جموع ما يملكه الأوروبيون من اراض ٢١٢٣٢٨٨ هكتاراً، وفي ١٩٣٤ ارتفع إلى ٢٤٦٢٥٣٧ هكتاراً، ما يعني ان نحو ربع الاراضي المزروعة اصبح ملكاً للمستوطنين الأوروبيين الريفيين الذين لم يتجاوزوا ٢٪ من جموع سكان الارياف في الجزائر.

الامور متهمة الجبهة بالجزرة، سارعت الجبهة إلى نفي التهمة، متهمة بدورها الجيش الفرنسي بارتکابها من اجل تأجيج حدة الصراع بين الحركتين، بل تحويله من صراع سياسي إلى صراع عرقي علماً ان ضحايا الجزرة كانوا من العرب الجزائريين المناصرين لمصالى الحاج، اما القوات المتهمة بشن الهجوم فكانت من افراد وجندو القبائل التابعين للجبهة. وكان ثمة من رأى في الاوساط الفرنسية، نفسها ان اقوال الجبهة أكثر مصداقية من اقوال القوات العسكرية الفرنسية، والمرجح أكثر ان تكون المخابرات العسكرية الفرنسية ضالعة في الامر حتى لو كان المتفقون من المسلمين المحليين.

مهما يكن، فمن المؤكد ان حرباً عنيفة كانت في ذلك الحين مستمرة بين جماعة الجبهة وجماعة مصالى الحاج، وان عمليات التصفية بين الجماعتين كانت قائمة على قدم وساق في الجزائر كما في فرنسا (ابراهيم العريض، ذاكرة القرن العشرين، «الحياة»، ٣١ ايار ١٩٥٧).

□ ميثاق الجزائر (١٩٦٤) والقلاب

حزيران ١٩٦٥: السنوات الثلاث الاولى من الاستقلال (عهد أحمد بن بلة) قبضتها الجزائر في شهددين، خارجي وداخلي. المشهد الخارجي زاء يعكس اعجاب العالم بالثورة المظفرة وبزعمائها الذين خرجوا من السجون إلى السلطة. ومشهد داخلي سرعان ما عكس تحولاً غير موفق من «الثورة» إلى دولة زعماؤها متاحرون ومتافسون على السلطة.

فريبيع ١٩٦٤ شهد تبدلات سياسية وصراعات معلنة وأخرى مكتومة، وصلت إلى ذروتها يوم تبني مؤتمر جبهة التحرير ما سمي بـ«ميثاق الجزائر» الذي ركز على انتقاد أخطاء جبهة التحرير، وحاول ان يجدد أساس العلاقة بين الدولة التي تحاول العمل السياسي باساليب

١٩٥٧): في هذا التاريخ، ٣١ ايار ١٩٥٧ وحسب الصحف «حدث ان عشر في دوار مشتبى القصبة بالقرب من مدينة مسيلة الجزائرية على جثث ٣٠١، وعلى ١٤ جريحاً كانوا راقدين دون حراك بين القتلى. وقالت الاوساط الفرنسية الرسمية بان الطيران الفرنسي رصد اول الامر حريقاً في المكان، وعلى الفور ابلغ القوات العسكرية بهذا الحريق، فتوجهت قوة على رأسها النقيب كومبيت إلى منطقة كفر الغوير، وما إن وصلت القوة إلى منطقة مشتبى القصبة حتى لقيت -حسب التقرير الذي رفعته هذه القوة العسكرية إلى قيادتها- الكثير من النساء المتبحمات وبعض الرجال. ويقول التقرير الفرنسي إن الرجال الموجودين ابلغوا القوة بما حدث قائلين: إنها غارة قامت بها جماعات تابعة لجبهة التحرير الوطني. ووصلت الجماعات هذا الصباح وامررت بجمع كل رجال القرية ثم اصطحبتهم معها في اتجاه الشرق. أما نحن، يقول الرجال الباقون، فلقد تمكنا من الهرب. وحين تنبه المهاجمون إلى هربنا، هددوا نساءنا بأنهم سوف يعودون عند المساء لذبحهن مع اطفالهن، إذا لم نسلم انفسنا. وبعد ان ترك العسكريون هؤلاء الاشخاص واصلوا سيرهم بضعة كيلومترات في اتجاه الشرق، فإذا بهم يعثرون على الجثث مكومة فوق بعضها البعض وسط منخفض من الأرض.

بالنسبة إلى الاوساط الفرنسية لم يكن ثمة أدنى شك في ان الجزرة نتيجة للصراع الثنائي بين جبهة التحرير وجماعة مصالى الحاج الذي كان معتقداً في فرنسا في ذلك الحين، خاصة وان جبهة التحرير كانت ترتاب في كون مصالى الحاج وجماعته يتفاوضون سراً مع المستعمر الفرنسي بهدف الوصول إلى اتفاق مشترك يوحد جماعة مصالى الحاج مع الفرنسيين في المعركة ضد جبهة التحرير.

عندما ذكرت الصحف الفرنسية هذه

دينية وسياسية مرموقة هو الشيخ الحسين السليماني (راجع باب زعماء ورجال دولة) الذي بدأ مساعيه لاطفاء حريق الجزائر في مطلع ١٩٩٣ إثر خطاب الرئيس كافي الذي أعلن فيه عن نية المجلس الأعلى للدولة سلوك نهج «المخوار الحاد» لتجاوز الازمة السياسية القائمة مع المعارضة الإسلامية المسلحة و«المعارضة التمثيلية» (مختلف الشخصيات والزعماء والاحزاب خارج إطار صفة الاسلام السياسي المسلح) بصفة عامة.

يقول الشيخ الحسين السليماني (المستند الرئيسي بمجلة «الوسط»، العدد ٦٦، تاريخ ٢٧ شباط ١٩٩٥، ص ٢١-٢٣) عن هذه المرحلة من مساعيه، إنه اتصل بالرئيس كافي و«التزم أمامه ضمان إيقاف العنف من جانب المسلمين على الأقل، في حال التوصل إلى اتفاق». وكان الرئيس كافي يدي استعداداً حسناً، بل حاول التحجيل بالأمر. ويبدو أن الجناح الاستنصاري (اواسط في السلطة تدعو إلى استنصار الحركة الإسلامية المسلحة) تنبه لذلك وقام بالضغط عليه وارغامه على إلقاء خطاب عنيف (عناسبة ذكرى ٨ ايار ١٩٤٥: ذكرى تظاهرات سلمية نظمتها الحركة الوطنية الجزائرية بقيادة حزب الشعب الجزائري. وقد تحولت إلى مجزرة رهيبة في منطقة سطيف) هدم به كل ما بنياه».

بعد هذه المغامرة الفاشلة تأكد الشيخ السليماني ومفروضه ان العسكري هم الأساس في المسألة. وزاد في قناعتهم هذه ترد رئيس الحكومة آنذاك بعيد عبد السلام على المجلس الأعلى للدولة، في تصريح شهير أعلن فيه صراحة ان «العسكر هم الذين انتدبوه لرئاسة الحكومة ولا حق لأحد غيرهم في محاسبته».

غداة عيد الاستقلال في ٥ تموز ١٩٩٣،

شهدت المؤسسة العسكرية تغييراً أهمله تعين العميد المتقاعد اليمين زروان وزير الدفاع. استغل الشيخ السليماني هذه الفرصة ليغارد مساعيه لدى

براهماتية غير واضحة، والجيش الذي يستند إلى ماضيه ويستمد منه قوة وسلطة. كما حاول ميثاق الجزائر أن يصيغ منطلقات نظرية لاشتراكية متطرفة اطلق عليها تسمية «الاشتراكية» على الطريقة الجزائرية».

هذه الامور كلها لقيت معارضة عنيفة من جانب القيادة التي كانت تسمى «دينية». أما الجيش فبقي صامتاً، وظل على صمته بعد المؤتمر حين تمرد حسين آيت أحمد وبدأ يعلن مواقف اعتبرها البعض انفصالية. وكذلك ظل الجيش على صمته حين تمرد العقيد شعباني قائد قوات الجيش المرابطة في الجنوب. انتقل آيت أحمد بعد ذلك تدريجياً إلى المعارضة، في ما أعلم شعباني، أما الرئيس بن بلة فبدأت الاصوات تعلو متهمة إياه بالرغبة في التفرد بالحكم، وبادحال مصر جمال عبد الناصر في كل شاردة وواردة من امور الجزائر.

في صبيحة ١٩ حزيران ١٩٦٥، وقبل عشرة أيام من موعد الجزائر العاصمة لاستضافة المؤتمر الآسيوي-الأفريقي الذي كان يطلق عليه اسم «باندونغ الثانية»، تحركت فرقه مدرعة مزودة بعربات ودبابات سوفياتية ومدرية تدريجياً كلّياً من الخبراء والعسكريين السوفيات، قادها قائد الجيش الشعبي العقيد هواري بومدين الذي سرعان ما نجح في جعل تحركه إنقلاباً عسكرياً أطاح نظام الرئيس بن بلة. فشكل مجلساً للثورة برئاسته، ثم شكل حكومة من ٢٠ وزيراً كان هو رئيسها ووزير الدفاع فيها. وحدد بومدين، يومها، أهداف الانقلاب بأنها تتلخص في إعادة تأكيد مبادئ الثورة، وتصحيح اخطاء الحكم الفردي، وأنهاء الانقسامات الداخلية، وخلق مجتمع اشتراكي أصيل.

□ لدّوة روما و«العقد الوطني»: ندوة سياسية ضمت شخصيات وأحزاب جزائرية معارضة. الداعي إليها وحركها الأساسي شخصية

لـ«ندوة روما». فماذا عن ولادتها الفعلية. عندما لمس الشيخ السليماني ان الجو ملائم لاجتماع بعض قادة المعارضة خارج الجزائر، كلف ابنه الذي يقوم بتحضير رسالة دكتوراه بعرض الامر على جماعة «سانت ايبيديو» في ايلول ١٩٩٤. فقبلت الجمعية مبدئياً، لكنها طلبت مهلة شهرين لدراسة المسألة واستشارة وزارة الخارجية الايطالية.

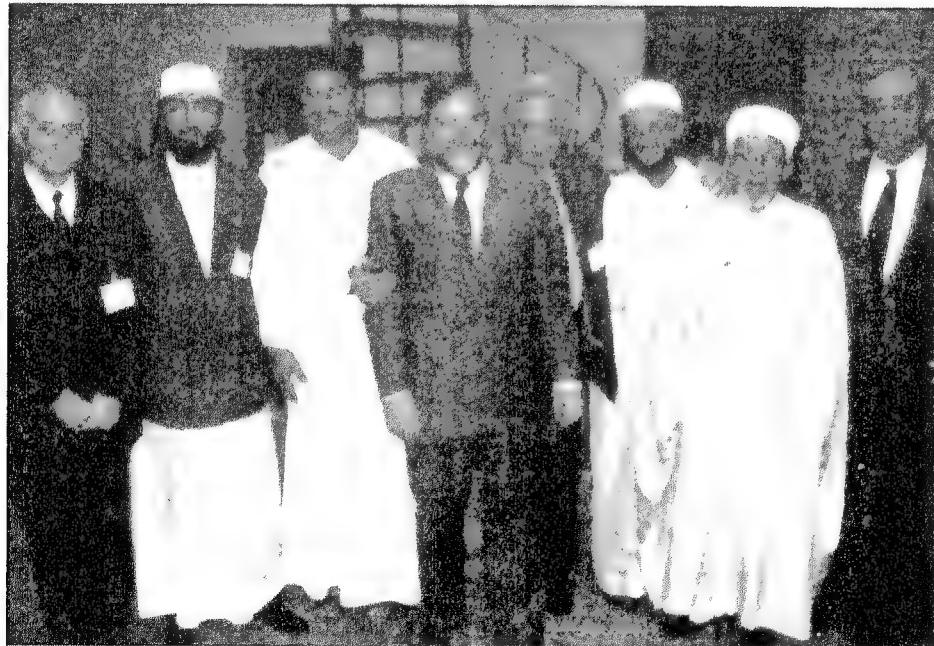
وحاجات الموافقة، وتم اللقاء الاول يومي ٢١ و ٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٤، وبذلت اجتماعات ما عرف بـ«ندوة روما». ويقوم الشيخ السليماني اللقاء الاول على النحو التالي: «كان لقاء للتعارف وازالة الحواجز بين الافراد والاحزاب وقد ذللنا حلاله كثيراً من العقبات وتمكننا من تقرير الموقف. إذ عرجنا بتصور موحد تقريراً للازمة الجزائرية في اسبابها وطرق تجاوزها... وقد حقق التائج المرجو منه». ويضرب الشيخ السليماني مثلاً بمحسين آيت أحمد زعيم جبهة القوى الاشتراكية (بربرى) «الذي جاء وفي اعتقاده ان عليه نوعاً من التحفظ والرفض لاطروحاته، فأحسنا استقباله فبذا عليه الانشراح وعبر عن ارتياده قائلاً (بعد ان استعار طاقية الشيخ حاب الله، زعيم «النهضة») «إن الأمانة يعني التي لا تقبل الاسلام لا قبلها».

اللقاء الثاني كان مكملاً ومتوجاً لسابقه، إذ استغرق ستة ايام قضتها المشاركون (٧ احزاب إضافة إلى منظمة الدفاع عن حقوق الانسان) في مناقشة مشروع «العقد الوطني» بنداً بنداً. وفي اليوم السادس الموافق ٣١ كانون الثاني ١٩٩٥، قدم المجتمعون حصيلة اللقاء إلى الصحافة الدولية، وتم التوقيع على وثيقة «إجماع الخد الأدنى» امام الرأي العام الدولي وشهادته. ويقول السليماني عن هذه الوثيقة: «اخبرنا الفاظها وعباراتها بما لا يخرج مشاعر السلطة ولا يغذى حساسيتها المفرطة إزاء كل مسعى يوحد المعارضة باتجاه افراط حل بدبل

قيادة الجيش عبر قناعة قاصدي مرباح رجل المخابرات المعروف. يقول السليماني: «إن الاتصالات الاولية- عبر مرباح - كانت مشجعة إذ لمسنا ترحيباً وقبولاً حسناً، ووجدنا من وزير الدفاع الجديد اليدين زروال خاصة رغبة صريحة وموافقة مبدئية». لكن اغتيال مرباح في آب ١٩٩٣، وتعيين رضا مالك على رأس الحكومة خلفاً لعبد السلام في اليوم نفسه، حال دون تطور مساعي السلام تطوراً حاسماً بعد العطلة الصيفية.

وابتداء من ١٣ تشرين الاول ١٩٩٣ تعرضت مساعي السلام إلى عملية إجهاض منظمة عبر «لجنة الحوار الوطني» التي أثارت تشكيلتها تشاور المراقبين في العاصمة الجزائرية. وعلى مدار السنة كاملة ظلت علاقة الشيخ السليماني برئاسة الجمهورية حسنة، فكان يدعى بين الفينة والأخرى حفاظاً على شرة معاوية من جهة، وجسداً لنفس الجماعات المسلحة من جهة أخرى. وكان السليماني يحرص باستمرار على نقل رواية الاحداث بشكل مخالف لما يصل إلى حدثيه (رجال السلطة) بواسطة التقارير الامنية والادارية وبنهم إلى «تعمد صغار الحكام إخفاء بعض الحقائق مما يجعل القيادة وقراراتها تسير على غير هدى». لكن، بعد خطاب ٣١ تشرين الاول ١٩٩٤، يقول السليماني، يمسنا من الرئيس زروال فاتحها إلى روما».

وقد ساهم الشيخ السليماني مساهمة فعالة في هذا التوجه مستغلًا علاقة سابقة بجمعية «سانت ايبيديو» الرومانية التي دعته في ١٩٨٨ لالقاء محاضرة ومشاركة في اطار برنامجها «الحوار بين الديانات». ويقول السليماني انه التقى محاضرة يومئذ «ذيلت بنقاش امتد الليل كله تقريراً». ورد الشيخ الدعوة بأحسن منها إذ استقبل جماعة «سانت ايبيديو» في المدينة (الجزائر) وأكرم وفادتهم، وحافظ بذلك على صلاته بهم. كانت هذه البداية غير المباشرة أو التمهيد



القطاب «ندوة روما» وبدا الشیخ الحسین السليمانی (الثاني من يعنی الصورة).



المعارضة في تقديم اقتراحات لحل الازمة». - إن ارضية العقد الوطني ليست اداة للمحاسبة بين السلطة والمعارضة ولكنها مسعى واع لخطورة الاوضاع العامة في البلاد واقتراح مسؤول لعودة السلم والطمأنينة.

- إن ارضية العقد الوطني تعارض كل تدخل اجنبي في الشؤون الداخلية للجزائر، وتندد بالتدليل الفعلي الناجم عن سياسة المواجهة، وتؤكد ان حل الازمة لا يمكن ان يكون إلا من صنع الجزائريين، وانه لا يجسد إلا على الارض الجزائرية.

وبناء على هذه الحقائق، توكل «كتلة روما» ان العقد الوطني يشكل عرض سلام حقيقياً، وان السلطة برفقها له «تحمل مسؤولية كبيرة في تضييع فرصة أخرى لحل الازمة».

ولتجاوز الانسداد السياسي الراهن والذي تحاول السلطة إحكامه أكثر فأكثر، تقترح «كتلة روما» المواجهة السياسية والدبلوماسية مع السلطة القائمة. في بيان الكتلة يتضمن نداء صريحاً «إلى الشعب الجزائري بجميع فئاته وإلى الأحزاب السياسية والجمعيات والمنظمات والشخصيات الوطنية لمساندة ارضية العقد الوطني ودعم هذه المبادرة لعودة السلم والرجوع إلى الادارة الشعبية».

إن تكاسبه كبرى أصابت «كتلة روما» بهزيمة أحد كبار أعضائها، عبد الحميد مهري أمين عام جبهة التحرير الوطني في الدورة الأخيرة للجنة المركزية لهذه الجبهة وفوز الدكتور بوعلام بن حمودة الذي اعاد الجبهة إلى «بيت الطاعة» السلطوية. وترك هذا الامر أثراً سلبياً على تضامن جبهة التحرير وجبهة القوى الاشتراكية (حسين آيت أحمد) مع جبهة الانقاذ الاسلامية، فسارعت اوساط السلطة إلى التزويج بأن «العقد الوطني يتجاوزه الزمن».

في اول تصريح له بعد انتخابه أميناً عاماً

لأزمة الجزائر». وبالنسبة إلى اعلان المدنية يقول: «إن الأحزاب المشاركة كانت تتضرر الاتصال بالحكومة وما يسفر عنه لكي توجه نداء جماعياً لوقف المقاومة». وقد أكد الشيخ السليماني ان الشيوخين عباسى مدنى وعلي بن حاج ارسلوا رسالة تأيد إلى لقاء «سانت ايبيديو» الثاني موقعة منهمما.

وكان الهدف من اللقاء طمانة الأحزاب اولاً لوقف جبهة الانقاذ، أما الهدف من «العقد الوطني» فهو طمانة السلطة من ناحية الانقاذ أو من جانب «المعارضة الفاعلة» ككل.

وقد طالبت ندوة «روما-٢» (أي في اللقاء الثاني، كانون الثاني ١٩٩٥) بهدنة وحكومة انتقالية قبل أي انتخابات. في حين اصرت السلطة على تنظيم الانتخابات الرئاسية بمشاركة «كتلة روما» أو بدونها، ونظمت مسيرات شعبية ضدها. وأجاب على مذكرة الرئيس زروال (١١ شباط ١٩٩٥) الخاصة بشروط إجراء الانتخابات الرئيسية المقبلة حزبان فقط من بين احزاب «العقد الوطني» السبعة. والحزبان هما حزب النهضة (الشيخ عبد الله جاب الله) وحزب العمال (تروتسكي-زعامة الآنسة الوليدة حنون). واحزاب «العقد الوطني» الأخرى جبهة التحرير، وجبهة القوى الاشتراكية (آيت أحمد) والتجمع من أجل الديمقراطية (بن بلة)، وحزب العمال الاشتراكي، إضافة إلى جبهة الانقاذ الاسلامية.

انتظرت «كتلة روما» («ندوة روما»، احزاب «العقد الوطني») ردًا من السلطة على اقتراحها فتح الحوار مدة شهر كامل. ولما حاب املها بادرت إلى عقد مؤتمر صحافى في ١٢ شباط ١٩٩٥، وضع فى فيه امام الرأى العام المحلي والدولي جملة من «الحقائق» ابرزها:

- إن رفض ارضية العقد الوطني جملة وتفصيلاً يعني ان «السلطة لا تعرف حتى بحق

الاحزاب كافة باحترام دستور ٢٣ شباط ١٩٨٩، وعدم امكانية إجراء أي تعديل عليه إلا بالطرق الدستورية.

- العودة إلى السيادة الشعبية عبر مؤتمر وطني يتمتع بصلاحيات فعلية تؤهله تحديد البني الانتقالية والمرحلة الانتقالية التي تبقى أقصر مدة ممكنة تتم خلالها انتخابات حرة ومتعددة.

- الضمانات: الاحزاب الموقعة تلتزم (مع احتفاظها بجريدة قرارها الداخلي)، معارضة كل تدخل في الشؤون الداخلية للجزائر، ورفض كل تدويل للازمة وحصر حلها بالجزائريين، والعمل على المسرح الدولي لتأمين التضامن الدولي مع الشعب الجزائري.

الموقعون على هذا البرنامج الذي دعى «العقد الوطني» مثلو ثانية احزاب معارضة اجتمعوا في روما، بناء على دعوة رابطة سانت ايجيديو الكاثوليكية في ١٣ كانون الثاني ١٩٩٥: عبد النور علي يحيى عن «الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الانسان».

عبد الحميد مهري عن «جبهة التحرير الوطني».

حسين آيت أحمد وأحمد جدای عن «جبهة القوى الاشتراكية».

رابح كbir وانور هدام عن «جبهة الانقاذ الاسلامية».

أحمد بن بلة وخالد بن عماین عن «الحركة من أجل الديمقراطية».

لويزه حنون عن «حزب العمال».

عبد الله جاب الله عن «حركة النهضة الاسلامية» (النهضة).

أحمد بن محمد عن «الجزائر المسلمة

المعاصرة».

لجبهة التحرير، قال بوعلام بن حمودة: «إن وثيقة روما وضعت في سياق كان الرئيس زروال فيه معيناً وليس منتخبًا، ما يوحى أن الوثيقة بمحاجة إلى مراجعة». وهو الموقف نفسه لجبهة القوى الاشتراكية التي باتت ترى أن «العقد الوطني» أصبح بمحاجة إلى تكيف مع المستجدات الطارئة منذ انتخاب زروال.

ماذا في «العقد الوطني»؟

جريدة «الوطن» الجزائرية نشرت هذه الوثيقة بعديها ١٤ و ١٣ كانون الثاني ١٩٩٥ وعنها نقلتها مختلف وسائل الاعلام العالمية. وهذه أهم النقاط التي تضمنها:

- في المبادئ: الالتزام باعلان اول تشرين الثاني ١٩٥٤ الذي ينص على إقامة دولة جزائرية ديمقراطية إشتراكية في إطار مبادئ الإسلام. نبذ العنف وكل دكتاتورية. اولوية الارادة الشعبية، وضمان الحريات الأساسية. تكريس التعديلية وعدم زج الجيش في القضايا السياسية. العناصر المكونة للشخصية الجزائرية هي الإسلام والعروبة والأمازيغية. الثقافة واللغتان (العربية والأمازيغية) تتحو باتجاه موحد لهذه الشخصية من دون إبعاد أو تهميش لأي عنصر من العناصر المكونة لها. فصل السلطات. حرية المعتقدات الدينية واحترامها.

- في الاجراءات الممهدة للمفاوضات (مع السلطة): إطلاق سراح قادة جبهة الانقاذ الاسلامية بشكل كامل ومنهم حرية الاجتماع والممارسة السياسية في ما بينهم، وبينهم وبين سواهم. السماح بالعمل السياسي وحرية مختلف الاحزاب السياسية. إلغاء إجراءات منع وتعليق الجرائد.

- في إعادة السلام: رفع حال الطواريء. ودعوة جميع القوى السياسية إلى طاولة الحوار.

- العودة إلى الشرعية الدستورية: تلتزم

Bougie على اعتبار ان مادة لصنع الشمع كانت تستخرج من ارضها). من أهم مدن ولاية سطيف، واقعة على خليج بجايغربي منطقة القبائل الكبرى. مرفاً نفطي عند تنهى انباب آبار حاسي مسعود. تعداد نحو ٢٠٠ ألف نسمة. وبجة مدينة رومانية، احتلها الفاندال في العام ٤٣٩، ثم العرب في ٧٠٨، ثم الاسبان في ١٥٠٩، ثم الاتراك الذين قدموا من مدينة الجزائر في ١٥٥٥، ثم الفرنسيون في ١٨٣٣.

* بلیدا Blida: من أهم مدن ولاية الجزائر العاصمة. تقع عند أقدام جبال أطلس بلیدا، وجنوبي سهل متيديجا. تعداد نحو ٢٠٠ ألف نسمة.

* بيسکرا Biskra: مدينة جزائرية واقعة عند اقدام جبال الأوراس. تعداد نحو ١٥٠ ألف نسمة. شهيرة بكونها مركز زراعة التحيل والاجثار بشمره، ومجتمعاتها السياحية.

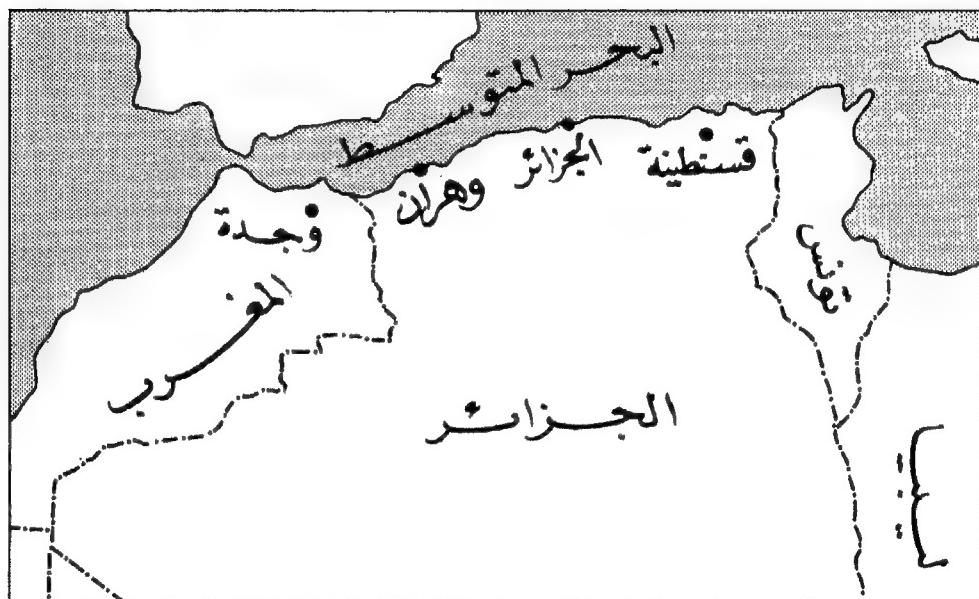
* بیشار Béchar: مدينة جزائرية. قاعدة مقاطعة «الثورة». تقع شمال غربي الصحراء. عقدة

مدن و معالم

* الأصنام (سابقاً أورليانسفيل) Asnam: مدينة جزائرية. قاعدة مقاطعة الأصنام. تقع في سهول الشليف. تعداد نحو ١٥٠ ألف نسمة. أسسها، في ١٨٤٣، القائد الفرنسي بيجو Bugeaud على انقضاض مدينة أثرية تدعى كاستيلوم Timgad، ودعاهما أورليانسفيل Orléansville. في ١٩٥٤، ضربها زلزال قضى على عدد كبير من سكانها. أهم مدن وبلدات مقاطعة الأصنام إضافة إلى مدينة الأصنام: عين، دفله، شرشل، مليانة، عويد، فضة وتيس. بعد الاستقلال، أعطيت إسم الشليف.

* باتنة Batna: مدينة جزائرية واقعة عند اقدام جبال الأوراس، وقاعدة مقاطعة باتنة. تعداد نحو ٢٠٠ ألف نسمة. بالقرب منها آثار رومانية شهيرة. تأسست المدينة في ١٨٤٤.

* بجاية (نجاية) Bejaia: (سابقاً بوحي



الخلفاء انزالهم عليها (٨ تشرين الثاني ١٩٤٢) ووقعوا اتفاقية هدنة مع الاميرال دارلان). وبعد اغتيال دارلان في ٢٤ كانون الاول ١٩٤٢، انتقلت السلطة إلى الجنرال جيرو الذي هزم أمام قوات الجنرال ديغول في ١٩٤٣. وعرفت المدينة أهم احداث وعارك حرب التحرير الجزائرية (١٩٥٤-١٩٦٢).

تعتبر الجزائر أولاً، وقبل كل شيء، مدينة مخصصة. فهي مخاطة بأسوار ومعاقي للمدفعية. وكانت نقطتنا القرة للدفاع عن المدينة موجودتين في القلعة التي تشرف على المدينة والمرسى. وكانت هناك ستة أبواب تربط بين المدينة وقلعتها ومرساها وبباقي البلاد. وتم إعداد هذا النظام الدفاعي في خطوطه العريضة خلال القرن السادس عشر. وكانت التجهيزات السياسية والعسكرية متمركزة أساساً في الجزء الأسفل من المدينة. أما مقر السلطة فيتمثل في قصر «الجنيفة» الخاص بالباشاوات والديابات.

وكما هي الحال في كل المدن الإسلامية، كانت النشاطات المختلفة مرتبة على شكل أسواق وجمعيات حسب الحرف والمهن، وتقابل هذه النشاطات مناطق سكنية تتخللها «سوقيات» يتم فيها التبادل بين أحياء المدينة.

أشهر أحياء الجزائر العاصمة هي القصبة الذي يمثل تحفة من تحف التراث الثقافي الجزائري. ويقع القصبة في قلب المدينة، وقد تحول رمزاً وطنياً لدى الجزائريين لكثره ما شهد من احداث كبرى وما سقط على أرضه من شهداء.

الاماكن-الرموز الأثرية عبّث بها الاستعمار الفرنسي، منذ دخوله وعلى مدى السنوات الأربع الأولى. فاستولى على المباني، ومن ثم انتقل إلى داخل الحصون الموجودة في المدينة، ونظراً إلى عدم استيعابها لهم، استحوذوا على المباني الدينية والمدينة. ومن بين أهم تلك التغييرات التي طرأـت، قيام صافاري عميد الشرطة في عهد

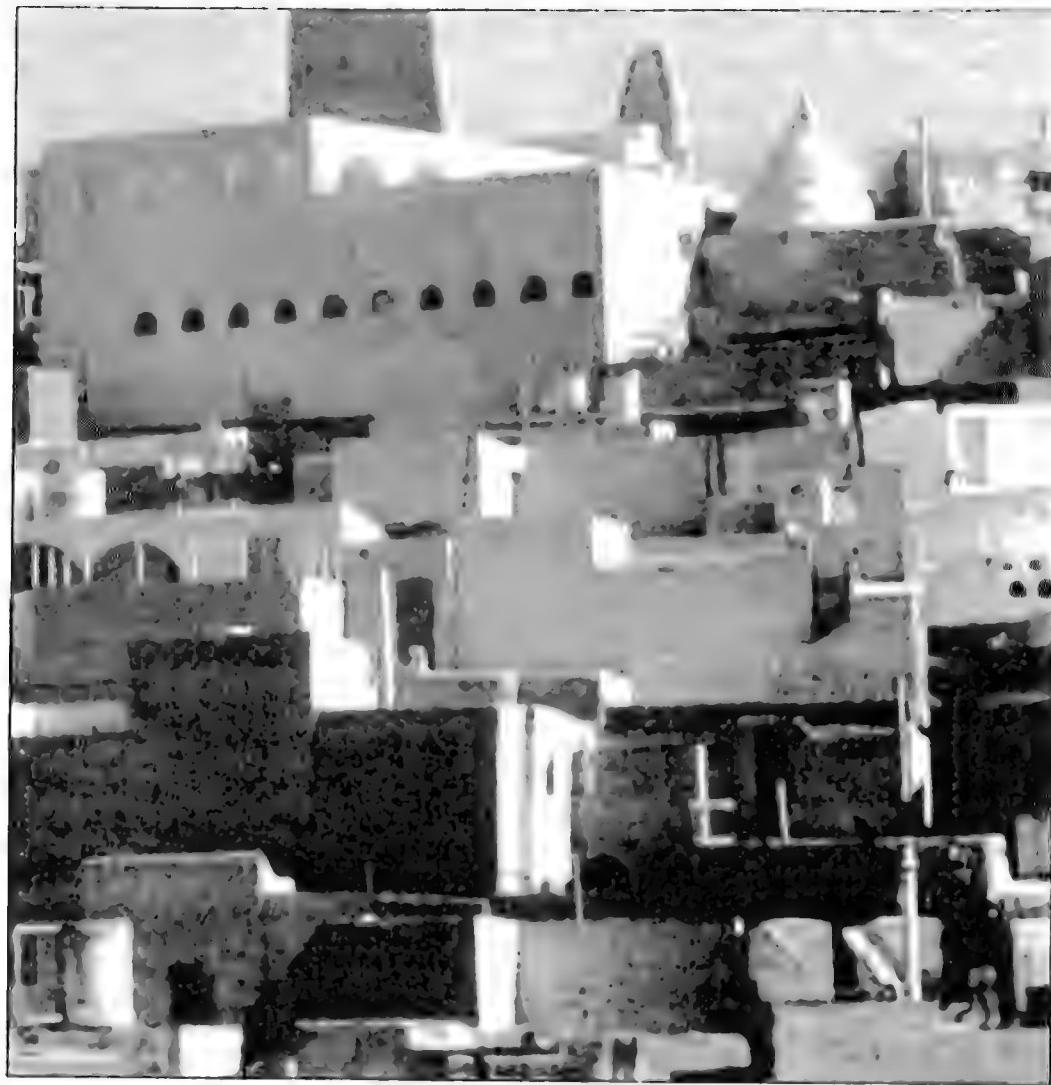
مواصلات نهرية، بالقرب منها مناجم كيندسا. وفي مكان غير بعيد كان الفرنسيون يخرون بمحارب على اسلحتهم الصاروخية. تعداد نحو ١٢٥ ألف نسمة.

* **تلمسان Tlemcen:** مدينة جزائرية. تقع عند أقدام جبال تلمسان. تعداد نحو ١٥٠ ألف نسمة. مركز ديني مهم: مساجد من القرن الحادى عشر والقرن الرابع عشر. أشغال يدوية.

* **تizi-Ouzou Tizi-Ouzou:** مدينة جزائرية. قاعدة مناطق القبائل الكبرى (البير). تعداد نحو ١٥٠ ألف نسمة. مركز تجاري مهم.

* **الجزائر Alger:** عاصمة الجزائر، ومرفأ على البحر المتوسط. تشكل، مع الضواحي (الجزائر الكبرى) أكبر تجمع سككي في إفريقيا الشمالية بعد الدار البيضاء (Casablanca). كانت تعداد في ١٨٧٢ نحو ٤٨ ألف نسمة، وأصبحت في ١٩١٠ نحو مائة ألف نسمة، ويقدر عدد سكانها حالياً (١٩٩٦) بنحو ٣ ملايين نسمة. من أهم معالمها الأثرية المسجد المالكي الكبير (القرن الحادى عشر-القرن الرابع عشر)، والمسجد الحنفى (القرن السابع عشر)، إضافة إلى قلعتها وإلى ما يخترنـه هي القصبة من مبان ومعالم تاريخية.

الجزائر مدينة رومانية قيمة. نهضتها الأولى بدأت مع قدم الور (الموريسكيـن) الذين طردوا من إسبانيا في ١٤٩٢. في ١٥١٠، احتل الإسبان جزيرة صغيرة قبالة المدينة، وطردهم الأحمرـة ببربروسـا وأقاموا مكانـهم باسم السلطان التركـي. حاصرـها شارـل الخامس (شارـلـكانـ) في ١٥٤١ ولم يتمكنـ منها. تعرضـت لقصـف الاسـطـولـ الفـرنـسيـ، ثمـ الانـكـلـيـزيـ فيـ ١٦٨٤ـ ١٦٨٣ـ. احتـلـهاـ الفـرنـسيـونـ فيـ ٥ـ سـوـزـ ١٨٣٠ـ،ـ وـاقـتـلـوهاـ مقـرـاـ لـحـكـمـهـمـ الـاسـتـعـمـارـيـ.ـ فـيـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الثـانـيـةـ،ـ آتـمـ



جانب من مدينة غرداية التي صنفتها الاونيسكو، ومدن وادي الميزاب في صحراء الجزائر، في عداد روابع التراث العالمي.

فأصبح «غرداية». وما زال مكان المغاربة قائماً إلى الآن، تقصده نساء المنطقة حيث يشعلن الشموع ويحرقن البخور (راجع «وادي ميزاب» في هذا الباب: مدن وعالم).

* قسطنطينية Quacentina (سيرتا قدیماً):

مدينة جزائرية، واقعة على جبال قسنطينية، ويقاد نهر عويد روميل يحيط بها من كل الجهات. تعداد نحو ٤٠٠ ألف نسمة. مركز اسقفي. جامعة. متحف أركيولوجي. مركز زراعي. صناعات ميكانيكية ويدوية. مرفاً مدينة سكيكدا ومرفاً مدينة عنابة هما المنفذ التجاري لأهالي قسنطينة. قديماً كانت تدعى سيرتا Cirta، وكانت عاصمة نوميديا Numédie، وعرفت أوج ازدهارها في عهد ميسيسسا. حوالي العام ١١٣ ق.م. احتلها جوغرورتا، فأعمل السيف في رقاب التجار اللاتين فيها، ما أدى إلى تدخل روما التي غزتها وسيطرت عليها وحولتها إلى مستعمرة رومانية باسم قسطنطينية تيمناً بالامبراطور قسطنطين الأول الذي أعاد بناءها بعد تمرد عام ٣١١. انتقلت إلى أيدي العرب، ثم الاتراك، وكان يمثلهم فيها حاكم (باي). قاومت الحملة الفرنسية، ولم تسقط إلا في عام ١٨٣٦ (بعد نحو ٦ سنوات من دخول الفرنسيين الجزائر). أما ولاية قسنطينة فتعد نحو ٢٥ مليون نسمة، ومساحتها تغطي جزءاً مهماً من مناطق القبائل.

* العسكري Mascara: مدينة جزائرية.

تقعند نحو ١٠٠ ألف نسمة. شهرة بزراعة الكرمة وانتاج النبيذ. مسقط رأس الامير عبد القادر الجزائري، وفيها أقام مركز قيادته. غزها القائد الفرنسي غلوزيل في ١٨٣٥، واستردها الامير عبد القادر بوجب معاهدة تافنا (١٨٣٧)، وعاد بجزرال بيجو Bugeaud واحتلتها في ١٨٤١.

* موستغانم Mostaganem: مدينة ومرفأ،

نابوليون بتحويل مسجد كتساوه إلى كاتدرائية في ١٨٣٢.

* عناية (بولة سابقًا) Annaba: مدينة

ومنها في الجزائر الشرقية. قاعدة ولاية (مقاطعة) عنابة التي تتدلى على طول الحدود الجزائرية-التونسية من البحر المتوسط حتى تخوم الصحراء. تعد المدينة نحو ٢٥ ألف نسمة. بالقرب منها آثار مدينة هيبون Hippone الأثرية.

* غرداية: مدينة جزائرية. قاعدة «ولاية

الميزاب» وأهم مدنه السبع. تقع على بعد ٦٠٠ كلم من العاصمة الجزائرية صوب الجنوب، و ٨٠٠ كلم من قسنطينة شرقاً، و ٨٠٠ كلم من وهران غرباً. موقعها مفترق طرق مودية إلى الصحراء الكبرى. كانت في ما مضى مركزاً للقوافل، وما زالت مهبط كل المسافرين والمتوجهين والعابرين من يستعدون لاحتياز المسافات الصحراوية. تقع على هضبة متحاورة عاجية اللون مصقوفة فوقها المنازل بشكل دائري تصاعدي مدهش. زارها الشاعر الفرنسي بول فاليري وافتتن بأزيقتها الحليزونية الضيقية والصاعدة التي تلتف على الهضبة وتدور حولها بين منازل أشبه بالمخابئ.

أسست غرداية قبل ٩ قرون. وتقول الأسطورة ان امرأة رذلها قومها، هامت في القفار إلى ان اهتدت إلى مغارة على التل، فلحوأت إليها متشبثة بالحياة. وكان من حظها ان البقعة التي أوث إليها تقع على طريق القوافل، فإذا بالمسافرين يشفقون على المرأة وإسمها «داية»، فيتصدقون عليها بما تحتاج إليه. وذات يوم أغرم بها أحد الرجال، فمنحها إسمه ورعايتها وتزوجها. وبني بيته فوق المغارة، مؤسساً من حيث لا يدرى المدينة التي حملت إسم المرأة «تعارمت إن داية» بالبربرية، أي «قرية داية الصغيرة»، وأختصر الإسم مع الوقت

إلهم الشرقي القديم «أمون»، الاله نفسه الذي كان يدين به المصريون القدماء. وما زالت المرأة الميزابية ترسم في ليلة زفافها خطًا بالزعران يمتد من الجبهة إلى قمة الأنف يُسمى «أمول» ولعله تحريف لاسم الاله القديم ورمز باق من آثار الرحلة الطويلة. وأصبحوا جماعات بالغة التخصوصية، وهم يبحثون عن الكلأ والماء، واحتضار بنو مصعب الاستقرار أخيراً وسط شبكة الجبال المتداخلة.

مدن وادي ميزاب سبع، تشكل مجموعة تنقسم إلى قسمين: مديتها القرارة وبريان من جهة، ومن جهة أخرى المدن الخمس التي تقع على خط مسيل وادي ميزاب، وهي بالإضافة إلى غرداية، العطف، بنورة، بني يسكن و مليكة.

إذا كانت غرداية عاصمة الوادي (راجع «غرداية» في هذا الباب: مدن ومعالم)، فإن بني يسكن (أو بني يزحن) هي مدينة الثقافة فيه. متحفها الصغير الذي انشأته يضم صور الحياة الماضية التي تعكس مقاومة لا هداوة فيها لشظف الصحراء، وفيها مكتبات عديدة صغيرة مليئة بكتب التراث وبعض الكتب المعاصرة.

سكان وادي ميزاب، ما عدا قلة قليلة، يتبعون المذهب الأباضي الذي يتسبّب في اصل تسميته إلى عبد الله بن إياض التميمي. ولعل هذا ما يفسّر العلاقات التي تربطهم بسلطنة عمان والتشابه في الكثير من العادات بينهما. إنهم تلك الجماعة من المسلمين الذين رفضوا التحكيم بين علي ومعاوية. وقد اختلفوا مع شيعة علي الذين رأوا أن الإمام يجب أن تكون من أهل البيت واعتذروا مع الحكام من بني أمية ومن بعدهم العباسين الذين رأوا أن الحكم والعصبية يجب أن تكون من قريش. لقد رأوا أن الإمامة من حق كل مسلم عاقل راشد حتى ولو كان عبداً جبشاً... ولعل هذا هو السبب الأساسي الذي رأى فيه ببرير الصحراء مبرراً للتمسك بهذا المذهب ومخالفة

تقع على خليج أرزيبو. تعداد نحو ١٣٠ ألف نسمة. مركز تجاري في قلب منطقة غنية بالزراعات.

* **وادي ميزاب:** وادي في الجنوب الجزائري الصحراوي. ومدنه السبع (أهمها غرداية، قاعدة الوادي) تقدم نموذجاً معمارياً فريداً صنفته الأونيسكو في عداد روائع التراث العالمي، منذ ان اعلنت، في ١٩٨٥، «ان وادي ميزاب هو حمية ثقافية وجزء من التراث الإنساني العالمي»، وقد بدأنا في بذل كل الجهد للحفاظ على الوادي بتصوره التقليدية». والمعيار الأهم الذي جئت إليه الأونيسكو في قرارها هذا هو دون شك ما تقدمه مدن الوادي السبع من مثال حي يجسد ملحمة المواجهة الصعبة مع الطبيعة القاسية لتطوريها والتكيف معها، والانطلاق منها لابتکار تنظيم مدني، روحي، اقتصادي، فكري واجتماعي ما زال يدهش الباحثين والمورخين في عصرنا في تقنياته، واستبطاطه أشكال تخطيط وتنظيم للمدينة متكيّفة مع المعطيات البيئية والمناخية والسياسية والأمنية والدينية الخاصة بهم، ومتطابقة في الآن نفسه مع اعقد ما توصلت إليه العلوم والباحثات الحديثة.

إن ما يكاد يجمع عليه المؤرخون إن إسم «ميزاب» هو تحريف بربرى لإسم «صعب بن بادين»، الجد الأول لتلك القبيلة من البربر، الذي قاد عشيرته للسكن في هذا الوادي. والبربر هم أبناء ببرير بن تملا بن مازيق. وهم يسمون أيضاً «أمازيغ» نسبة إلى هذا الجد. الاساطير تحيط بشأنهم شأنهم في ذلك شأن بقية الشعوب القديمة. ومن هذه الاساطير أن جدهم هو حام بين نوح، وأنهم كانوا يعيشون في الشام، ولكن الخلاف وقع بينهم وبين أبناء عمومتهم في فلسطين. ويدو أنهم تلقوا هزيمة قاسية اضطروا على أثرها للنزوح غرباً، فعبروا مصر واستقروا في الصحراء الكبرى. وخلال هذه الرحلة حملوا معهم



التصر القديم في سومه

ثمة مجلس، اليوم، لـلادارة والتنظيم والشورى والحكم المحلي والبلدي يتردد إسمه في مدن وادي ميزاب، وهو «مجلس الغرابة» أو «حلقة الغرابة» أي الحلقة المكونة من غربوا عن الدنيا بما فيها من اطماع شخصية ووهبوا أنفسهم لخدمة الآخرين. إنها حلقة مكونة من ١٢ شخصاً: إمام المسجد والموزن وإناثين وكيلين على الماء، وتتوزع بقية المهام الاجتماعية والدينية على الباقين. انهم يحتلون مكانة الإمام العظم، ويختارون من بين الأصلح والأكثر ورعاً من العشيرة. «لا يدخل أحد حلقة الغرابة حتى تكون فيه حصال اربع: الاولى ان يكون كيساً ادياً، والثانية ان يكون مثمراً في طلب العلم، والثالثة إلا يكثرا من دخول الاسواق، والرابعة ان يغسل جسده بالماء ويفصل قلبه من الغش والكبر».

وقد كان لرئيس حلقة الغرابة وإمامها مهام وصلاحيات كثيرة منها تدبير الحرب ووسائل الدفاع وعقد المعاهدات والاحلاف. وقد اقتصر دوره الآن، مع ظهور الدولة الحديثة، على الشؤون الاجتماعية، فالمجلس يفصل بين الخصوم في كل انواع الخلافات، ويترافق كل خصم عن قضيته في المسجد. ويشرف الاعضاء على المنافع العامة كالاسواق والمسالخ والمتاجر وسوافي المياه والسدود. ويقوم مجلس الغرابة بدور مهم في التعليم.

بعد دخول فرنسا الجزائر من جهة شاطئها المتوسطي، أخذت قواتها تطبق تدريجياً على مناطقها الداخلية، ثم الصحراوية. ووعى أهل الوادي أن الصحراء لن تكون درعاً يقيهم الآلة العسكرية الفرنسية الحديثة. فكثيرون من أبنائه قصدوا الالتحاق بالمقاومة على أسوار قسنطينة. ولكن الفرنسيين أطبقوا على الصحراء من حول وادي ميزاب يقطعون عنه طرق القوافل. حارروا ان يقدروا معه معايدة للحماية، ولكنه في النهاية لم ينج من السقوط في قبضة فرنسا في ١٨٨٢.

الجميع. وهم يؤمنون بحق الآخرين في الاختلاف دون ان يتزعزع ذلك عنهم إسلامهم. ولكن تأسيس دولة على المذهب الإباضي كانت حلمًا عسير المنال. وفي ظل سطوة بني أمية والعباسيين من بعدهم، لم يكن من الممكن إقامة مثل هذه الدولة في المشرق العربي، لذلك هاجر الدعاة غرباً. أقاموا تجربة سرعان ما تم القضاء عليها في ليبيا، وأخرى في القيروان (جنوب تونس) حتى جاءوا إلى صحراء الجزائر. لقد عثر الداعية عبد الرحمن بن رستم على من يناصره في دعوته في أفراد قبيلة لامية وبواسطتهم أقام الدولة الرستمية في مدينة «تهرت». لم تكن دولة يورث فيها الملك، لأن الملك كان من حق أي مسلم عاقل راشد. وكانت تسمح بحرية الاعتقاد، وفتحت باب المناقشة لكل التيارات الفكرية. ولم تخارب عدواً دون إعلان، ولم تفز بلداً دون تنبية. وكان أكبر إنجازاتها الحضارية كما قال المستشرق غوستاف لوبيون «إنها اخرجت سكان الصحراء من بذارتهم وشحذت مداركهم وهذبت احلاقوهم...». ولكنها كانت دولة قصيرة العمر. مثلاً نضجت سريعاً شاخت سريعاً وعجل نهوض دوله الفاطميين بهايتها. لقد سقطت «تهرت» ووُجد الآلاف من الإباضية أنفسهم بلا مأوى مطاردين مرة أخرى. وخرج داعيهم أبو عبد الله محمد بن بكر يبحث عن مأوى آخر، مأوى كالمتنى بعيد وناء. وخرج إلى الصحراء حيث قدم إلى هذا الوادي (وادي ميزاب) الذي كان أهله يتبعون مذهب الاعتزال ليقنعهم بالدخول إلى مذهبة والقبول باتباعه. لم تكن العملية سهلة بالتأكيد. فقد قتل أهل الوادي أحد أبناء الداعية. وضاق السكان القدامى بالمهاجرين الجدد. ودارت المعارك حول هذه الرقعة الضيقة الشحيحة من الأرض. ولكن الداخلين في مذهب الإباضية تکاثروا وأصبحوا هم الأكثريّة، ولا تزال بقايا المعتزلة في الوادي حتى الآن.

سفع جبل المرجاجو الذي يحيط بها. «قلب الدنيا وبورة التاريخ»، وهران هذه تباري في وصفها أليبر كامو، والسياب، وصلاح عبد الصبور.

شيدت وهران في ٩٠٣ بأمر من الخليفة الاموي في الاندلس ابي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، وإن كان تاريخها اقدم من ذلك واعرق، فهي واحدة من الموانئ التي غزاها هميكار في ٢٣٧ ق.م. و gioش روما. وعندما كانت الاندلس عربية كانت وهران مركز التجارة المزدهرة. وعندما ظهرت دول المرابطين والموحدين خضعت وهران للازاهدين المقاتلين. وعند انهيار العرب في الاندلس، استقبلت آلاف العرب في رحلة العودة.

في ١٥٠٢، شن الاسپان أولى هجماتهم على وهران، ونزلوا في منطقة المرسى الكبير، لكنهم فشلوا في اقتحام وهران. في ١٥٠٥، احتلوا المرسى الكبير، وبعد أربع سنوات استطاعوا كسر مقاومة الاهالي واحتلوا المدينة. واستمر الاحتلال لها حتى ١٧٠٨، عندما حررها العثمانيون واستمر حكمهم فيها حتى ١٨٣٥ عندما وقعت تحت الاحتلال الفرنسي. وكانت وهران ميناء من موانئ تصدير الذهب في عصر مملكة الذهب الشهير في التاريخ العربي التي كانت تتمدد من باماكور إلى السودان.

من أبرز شخصيات وهران التاريخية «سيدي الهواري»، وهو ولد من الاولئاء الصالحين. ولد في ١٣٥٠ في بلدة الصدر في ولاية مستغانم، ثم انتقل إلى وهران التي كانت محدودة آنذاك بجي صغير، واقام هناك وأسس مسجداً وهو عبارة عن مدرسة لتلقى العلوم الفقهية والدينية.

يطلق عليها أهلها إسم «الباھية». يبلغ عدد سكانها اليوم (١٩٩٦) نحو ٧٥٠ ألف نسمة. شاطئها منطقة سياحية.

ووجد أهلها انفسهم يتحررون كأس الاحتلال، والتحنيد الاجباري لشبابهم والفن الداخلي بين طوائفهم.

وفي حرب التحرير، بُرِزَ أحد أبناء وادي ميزاب قائداً من قوادها هو المفدى زكريـا (راجع باب زعماء ورجال دولة).

وفي حرب الجزائر الأهلية الحالية، وضع الاهالي نظاماً خاصاً للحراسة يعتمد على المتطوعين من أبنائهم. وقد أرسلت الجماعات الاسلامية المسلحة إنذاراً للأهالي كي يكفوا عن هذا النظام، ولكنهم لم يستجيبوا، خاصة وأن عمليات قتل واغتيال تعرض لها أجانب ورجال أمن على مقربة من منطقتهم، وحارل منفذ عملية قتل ١٦ من رجال الأمن الاختباء في الوادي دون ان يتمكنوا من ذلك.

بدأت إقامة أول منطقة صناعية على بعد ١٠ كيلومتر في وادي ميزاب في ١٩٧٠، ولكنها لم تشهد التوسيع إلا مع الانفتاح الاقتصادي الجزائري مع بدايات ١٩٨٥ حيث انهالت الطلبات على إنشاء المصانع. والمنطقة الصناعية في وادي ميزاب هي الثانية من نوعها على مستوى الجزائر وتحتوي على ١٢٠ صناعة منها النسيج والزجاج والطباعة والسجاد وقطع غيار السيارات، وهم يصدرون إلى ليبيا وتونس، ويعملون للتصدير إلى دول الخليج. وهكذا، لم ينجِ الوادي من طفرة التحديث (مستنداً هذه المادة «وادي ميزاب» الأساسيان: «العربي»، عدد كانون الاول ١٩٩٥، ص ٦٤٠-٦٤١ و«الوسط»، عدد ٨٤، تاريخ ٦ ايلول ١٩٩٣، ص ٥٢-٥٧).

* وهران Wahran (أوران

سابقاً): ثاني مدن الجزائر بعد العاصمة. عاصمة الغرب الجزائري. على ساحل البحر المتوسط، عند



ابهالات على قبور الأولياء، التبور لها أشكال معينة، ترتفع وتختفiate وتقى مكانة الولي أو الفقيه.

والمتمردين الطوارق في نيسان ١٩٩٢. وسبق له كذلك ان اشترك في مفاوضات مع متشددين جزائريين مسحونين.

* **أحمد بن بلة (١٩١٨ -)**: زعيم جزائري وأول رئيس للجمهورية الجزائرية المستقلة. والده ووالدته من المغرب، جاءا إلى الجزائر هرباً من ثأر عائلي، واستقرا في بلدة مغنية (على بعد ١٤ كم من الحدود المغربية-الجزائرية) حيث ولد أحمد بن بلة، وحيث تلقى تعليمه الابتدائي، ثم تابع تعليمه الثانوي في تلمسان. انتسب إلى حزب الشعب وهو في السادسة عشرة من عمره، ثم التحق بالخدمة العسكرية الإجبارية (في الجيش الفرنسي)، وشارك في معركة موتي كاسينيو في إطار الوحدات الجندية من ابناء شمالي إفريقيا، على أثر مجزرة سطيف (١٩٤٥)، التحق بالمنظمة السرية التابعة لحزب الشعب وأصبح مسؤولاً عنها (١٩٤٩)، وشارك في عمليات عسكرية ضد المصالح الفرنسية، واعتقل في ١٩٥٠، وفر من السجن في ١٩٥٢. في اجزاء احداث تونس والمغرب، التقى مع بوضياف ومحاسن في باريس، فقرر الثلاثة اطلاق الثورة. أما جبهة التحرير الوطني فولدت في آخر اجتماع عقده، في سويسرا، مع بوضياف وديدوش مراد في ١٩٥٤.

«كنت معجباً بعد الناصر...». التقى جون كينيدي وكان اول من آيد استقلال الجزائر خلال حملة الانتخابية... التقى كاسترو واستقبلت في كوبا استقبلاً غير عادي... وعرفت تشي غيفارا أكثر من كاسترو. غيفارا أقام في الجزائر (وكان بن بلة رئيساً للجمهورية) خمسة أشهر وجمعته مع ابو جهاد (خليل الوزير) الذي كان معجباً به أشد الاعجاب... كنت معجباً بيتيتو. إنه الوحيد في العسكر الاشتراكي الذي حرر بلاده بالسلاح. في رومانيا وبغاريا وغيرهما جاء القادة في شاحنات الجيش الأحمر... وعرفت ايضاً زعماء إفريقيا،

زعماء ورجال دولة



أحمد أوبيحي.

* **أحمد أوبيحي (١٩٥٣ -)**: دبلوماسي وسياسي جزائري. رئيس الوزراء منذ كانون الثاني ١٩٩٦، خلفاً لمقداد سيفي الذي عين وزير دولة لدى رئاسة الجمهورية. وقد تخدّر الرئيس اليمين زروال هذا الإجراء بعد ستة أسابيع على الانتخابات الرئاسية التي تعهد فيها زروال فتح الحياة السياسية أمام الوجوه الشابة في البلاد التي تمثل أكثر من ثلثي السكان البالغ عددهم نحو ٢٨ مليوناً. وقد بات أوبيحي أصغر من تولى رئاسة الوزراء في الجزائر سناً في تاريخها المعاصر.

ولد أوبيحي في قرية أبو عدنان في إقليم تizi Ouzou، الأقليم الرئيسي للناطقين بالبربرية. عمل دبلوماسياً فيبعثة الجزائر الدائمة لدى الأمم المتحدة بين ١٩٨٤ و١٩٨٩، وكان مساعدًا لممثل الجزائر لدى مجلس الأمن، ومن ثم سفيرًا للبلاد في مالي حتى شباط ١٩٩٤ عندما تولى منصب مدير مكتب رئاسة الجمهورية. أكتسب سمعة مفاوض ماهر بفضل الدور الذي اضطلع به وسيطاً للتوصيل إلى اتفاق سلام انهى حرباً بين حكومة مالي



أحمد بن بلة.

أثر الحركة الانقلابية التي قادها هواري بومدين في ١٩٦٥.

وفي كل مرة كان يستطيع ان ينشط سياسياً كان يقدم على ذلك، بزيارة إلى الخارج، برأي، بعقد تحالف أو بالتخاذل موقف. ولكن كثيراً ما كان يبذل الرأي أو الموقف، خاصة في الفترة الأخيرة التي بدأت (١٩٨٨) مع المد الإسلامي الاصولي في الجزائر وحتى اليوم. وفي آخر موقف له، بعد عودته إلى الجزائر (توز ١٩٩٦) من منفاه الاختياري لوزان في سويسرا، دعوه الحكم الجزائري إلى التفاوض مع جبهة الإنقاذ الإسلامية «لأنه يجب عدم إقصاء أي حزب له ثقله، والمحوار يجب أن يتم بين الجميع»، واعلانه عدم اتفاقه مع النظام على الإصلاحات الدستورية «لأن إجراء انتخابات نزيهة وسليمة ذات صدقية هو الباب الوحيد أمام الجزائر لوضع حد لأعمال العنف».

نيكروما وهو رجل عظيم، وموديوكتينا ونيريري وكينياتا... كل ممثلي الثورات في إفريقيا وأميركا اللاتينية تقريباً كانوا في الجزائر. نلسون مانديلا (غينيا بيسار) وجماعة أنغولا والموزامبيق وبوليفيا وبيرو والفالفادور والأكوادور... لم يكن الاتحاد السوفياتي الخيار الوحيد. واقول بكل صدق إن الاتحاد السوفياتي كان يتمنقنا لأن الجزائر كانت بوابة إلى العالم الثالث والثورات...» (من مقابلة صحافية مع أحمد بن بلة أجريها غسان شربيل، «الوسط»، العدد ٢١١، تاريخ ١٢ شباط ١٩٩٦، ص ٣٠-٣٤).

قضى بن بلة نحو ربع قرن بين سجن واعتقال وإقامة جبرية ونفي جري ونفي اختياري، وذلك منذ ١٩٤٩، مروراً باعتقال السلطة الفرنسية له ولرفاق له عقب اعلانهم جبهة التحرير والثورة، وانتهاء باطاحته من رئاسة الجمهورية على

وبعد المصادقة الشعبية على دستور ٢٣ شباط ١٩٨٩، بارك الشيخ سحنون إنشاء «جبهة الانقاذ الاسلامية»، لكنه رفض قبول العضوية في مجلسها الشوري أو مكتبه التيفيدي. وفي ٩ تشرين الاول ١٩٨٩، أعلن الشيخ سحنون تأسيس «رابطة الدعوة الاسلامية» ورأس جلتها التحضيرية على أساس ان تكون إطاراً تنظيمياً ل مختلف الاطراف الفاعلة في العمل الاسلامي. لكن تسارع الاحداث حال دون انعقاد المؤتمر التأسيسي للرابطة التي بقيت مجرد مشروع.

وفي صيف ١٩٩٠، وإثر فوز جبهة الانقاذ بغالبية مقاعد المجالس المحلية على الصعيدين البلدي والولائي (الولاية)، بدأت نزعة التحرب تهدد وحدة الحركة الاسلامية التي كانت هدفاً اساسياً لكفاح الشيخ سحنون، فأصدر «نداء الوحدة» في ١٥ ايلول ١٩٩٠، ووقعه معه الشيخ الطاهر آيت علجات و محمد السعيد وبختلف شرطياته. وتضمن النداء رسالتين: الاولى، ان التحرب «فرض كفایة». والثانية، دعوة جهة الانقاذ، ضمنياً، إلى فتح الابواب امام مخناج (زعيم حماس)، وجاب الله (النهضة) وانصارهما، مع تعذيرها، من التحول إلى كيان حزبي ضيق يعطي المبررات لكل من يريد شق الصف.

ومنذ اندلاع مسلسل العنف الحالي الذي بدأ في شباط ١٩٩٢، فضل الشيخ سحنون التزام الصمت خشية السقوط في الأعيب بعض الاطراف من السلطة أو من خصومها. ولم يخرج عن صمته ذلك سوى مرتين: الاولى، عندما أصدر بياناً في ١٩٩٣ دعا فيه إلى الافراج عن قادة الانقاذ. وقد وقعه الشيخ واستقطب له توقيع شخصيات سياسية أخرى منها الدكتور أحمد طالب الابراهيمي وبن يوسف بن خدة. وكانت المرة الثانية في ١٠ شباط ١٩٩٥ عندما استقبل بعد صلاة الجمعة مثلي احزاب «العقد الوطني» مباركاً مساعهم كأحسن طريق حل أزمة الجزائر.

* **أحمد سحنون، الشيخ (١٩٠٥-١٩٨٣):**
رجل دين وسياسي جزائري، والأب الروحي للحركة الاسلامية منذ فجر الاستقلال. عارض اشتراكية أحمد بن بلة من خلال «جمعية القيم» التي أنشئت على هامش جامعة الجزائر، وكان بين عاصرها الشيخ الماشي التيجياني الاستاذ الجامعي آنذاك، وأحد تلامذته عباسى مدنى الذي أصبح شيخاً بحلول نهاية السبعينيات.

كان إماماً تابعاً لوزارة الاوقاف في عهد بومدين، وكان من رواد الدعوة إلى استخدام المنابر لانتقاد النظام. لكن حزب بومدين (جبهة التحرير الوطني) لم يكن ليسمح بذلك طويلاً. فاضطر الشيخ سحنون إلى ترك الوظيفة، بعد أن افهمته الوزارة بأنه لم يعد ممكناً «أن تعمل عندنا وتحظى بصلتنا». وبعد ما تبادل الشيخ سحنون لم تخرج السلطات من وضعه تحت الاقامة الجبرية مرات عدّة.

في ١٩٨٢، شهدت الحركة الاسلامية الجزائرية انتعاشًا مفاجئاً بفضل التنسيق بين مختلف رواد الحركة وكان للشيخ سحنون دور بارز في ذلك. وفي خريف السنة نفسها عبر هذا الارتفاع عن نفسه عبر سلسلة من التجمعات، كان أهمها تجمع الجامعة المركزية في تشرين الثاني ١٩٨٢. وأدت تلك الحيوية إلى وقوع صدامات عنيفة خصوصاً في الاحياء الجامعية، وكانت مريراً لتدخل قوات الأمن واعتقال «رؤوس الفتنة»، ولم ينج الشيخ سحنون اسوة بالشيخ عباسى مدنى وعلى بن حاج و محمد السعيد وغيرهم. لكن عامل السن خفف عليه عقوبة السجن التي لم تكن لفترة طويلة.

وإبان اتفاقية تشرين الاول ١٩٨٨، لعب الشيخ سحنون دوراً مهماً في الدعوة إلى الهدوء ووقف النهب والتغريب اللذين كان يقوم بهما الشبان الذين نزلوا الشوارع بعد سنوات من الكبت والاحباط والغليان.



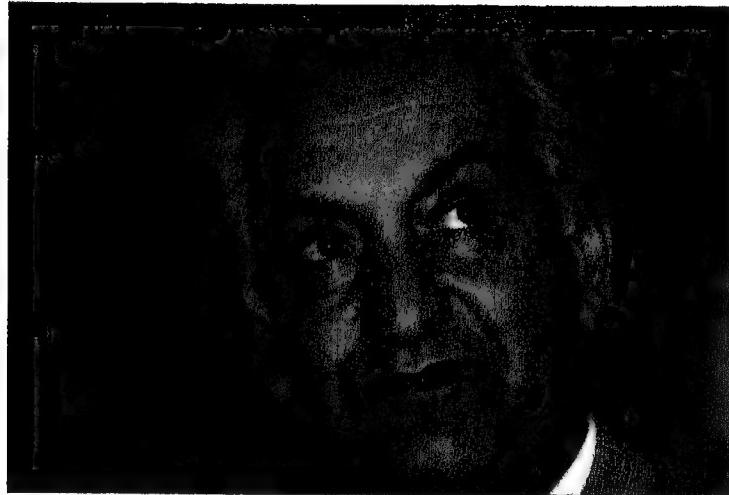
أحمد طالب الابراهيمي.

* حسين آيت أحمد (١٩٢٦ - ١٩٦٣): من زعماء ثورة التحرير التاريخيين. ولد في عين الحمام، في منطقة القبائل الكبرى. كان جده شيخ إحدى الطرق الصوفية التي ما زالت تحظى بالتبجيل الشعبي إلى اليوم، وكان وضع مصنفًا في لغة هي خليط من العربية والأمازيغية، يحوي الكثير من أقوال المتصوفة وبعض التكهنات في شؤون الغيب. انضم منذ ١٩٤٢، وهو لا يزال على مقاعد الدراسة الثانوية، إلى «حزب الشعب الجزائري». كان، منذ ١٩٤٦، من أول الداعين إلى اعتماد الكفاح المسلح واللحوء إلى العنف ضد النظام الاستعماري، خصوصاً عندما أصبح عضواً في المكتب السياسي لحزب الشعب بين عامي ١٩٤٧ و١٩٤٩، وعندما قرر حزب الشعب أن يطلق «المنظمة الخاصة» السرية والمسلحة، كان آيت أحمد من مؤسسيها، ثم تولى قيادتها. فنظم المحجوم على مبني البريد في مدينة وهران في ١٩٤٩ الذي شارك فيه أحمد بن بلة أيضاً. غير أنه ما لبث أن أبعد عن مهماته تلك بعد أن اتهم بالتزوير البربرية في تلك السنة نفسها ليحل محله أحمد بن بلة. بعد ذلك حوكم آيت أحمد غياياً من قبل السلطات الفرنسية، ففر من البلاد متوجهًا إلى القاهرة في ١٩٥١، حيث أصبح مثلاً لحزب الشعب في

محاولة اغتيال الشيخ سحنون (تموز ١٩٩٦) حدثت عشية الإعلان عن موعد بدء المشاورات المتعددة الأطراف الذي كان الرئيس زروال قد دعا إليها.

* أحمد طالب الابراهيمي (١٩٣٢ -) : سياسي جزائري، شغل لمدة طويلة منصب وزير الثقافة والاعلام وأشرف على سياسة التعريب. ولد في مدينة سطيف، وهو ابن الشيخ بشير طالب الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر التي أسسها عبد الحميد بن باديس.

درس أحمد طالب الابراهيمي الطب وحاصل على دكتوراه في هذا المجال. وإلى جانب دراسته كان يقوم بنشاطات سياسية واسعة، إذ كان يدير ما بين ١٩٥٢ و١٩٥٤ صحيفة «الشاب المسلم». وفي تموز ١٩٥٥، انتخب أول رئيس للاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين. انضم إلى الثورة الجزائرية. اعتقلته السلطات الفرنسية في ٢٧ شباط ١٩٥٧ وافرج عنه في ٨ أيلول ١٩٦١، وغادر فرنسا والتحق بالثورة في تونس. عضو في وفد الحكومة الثورية المؤقتة إلى نيويورك لحضور الدورة السنوية للأمم المتحدة ولا يصال صوت الثورة الجزائرية إلى العالم. عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال، وعارض نظام بن بلة الذي اعتقله في حزيران ١٩٦٤، وافرج عنه في كانون الثاني ١٩٦٥. فزار البلدان العربية قبل أن يستدعى في ١٠ تموز ١٩٦٥ ويعين وزيراً للتعليم العالي في حكومة بومدين، ثم وزيراً للثقافة والاعلام، وظل في منصبه هذا حتى ١٩٧٧. وجرى تعديل وزاري في ١٩٧٩ عين على أثره وزيرًا لدى رئاسة الجمهورية. من أعماله: «الجزائر، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية»، و«رسائل من السجن».



حسين آيت أحمد.

بالاعدام، غير ان الحكم لم ينفذ، وبقي الرجل في السجن حتىتمكن من الفرار في ١٩٦٦، في بدايات عهد هواري بومدين.

وبذلك، بدأت فترة طويلة من النفي قضى معظمها في سويسرا حتىتمكن من العودة إلى بلاده بعد ان دخلتالجزائر الطور الديمقراطي أو التعديي إثر احداث تشرين الاول ١٩٨٨. فعاد حزب «جبهة القوى الاشتراكية» إلى العمل ودخل في الانتخابات الاقتراعية الاخيرة (١٩٩١) التي كرسته حزبا ثالثا في البلاد من حيث الوزن الانتخابي بعد جبهة الانقاذ الاسلامية وحزب جبهة التحرير الوطني الذي كان لا يزال يقال عنه حتى هذه الانتخابات بأنه «الحزب الحاكم الوحيد». بل انه كان يأمل في تحسين موقعه في الدورة الثانية، لولا تدخل الجيش الذي انقلب على العملية الاقتراعية وحال دون الاستمرار فيها، ودخلت بذلكالجزائر وضع الحرب الأهلية الذي تعشه اليوم.

وهنا ايضا انحدر حسين آيت أحمد، وهو العلماني الديمقراطي، موقف الاعتراض الشديد على وقف المسار الانتخابي وما انفك منذ تلك اللحظة يطالب بالعودة إليه، ويلاح في اعتبار الخوار، ومع الاسلاميين تحديداً، طرقاً وحيدة

العاصمة المصرية إلى جانب محمد حيضر وذلك حتى ١٩٥٤. وتهمة «التزعنة البربرية» استمرت ملزمة له، ولا تزال حتى اليوم.

ما إن انفجرت ثورة التحرير حتى بادر آيت أحمد من منفاه، إلى إقرارها. فأصبح بذلك أول مثل جبهة التحرير في نيويورك، وأحد أبرز قادتها في الخارج، حتى أنشأ فترة سجنه في فرنسا بدءاً من ١٩٥٦ حتى الاستقلال في ١٩٦٢، وذلك على أثر احتطاف القوات الفرنسية طائرة كانت تقله من المغرب إلى تونس بصحبة بن بلة ورابح بيطاط ومحمد بوضياف و محمد حيضر وهو ما مثل أول عملية قرصنة جوية في التاريخ الحديث.

عند الاستقلال، انتخب آيت أحمد عضواً في الجمعية التأسيسية، غير انه ما لبث ان دخل مواجهة مع بن بلة وقيادة جيش التحرير، مطالباً باعتماد التعديي وبعدم تحويل جبهة التحرير إلى حزب واحد؛ لكنه لم يتمكن من الدفاع عن وجهة نظره هذه داخل المؤسسات القائمة، فعمد إلى إنشاء «جبهة القوى الاشتراكية» وعلى تنظيم تمرد مسلح، يقي منحصراً في منطقة القبائل (البربرية). هكذا، تمكن بن بلة والجيش من القضاء على هذا التمرد، وألقى القبض على آيت أحمد فحكم عليه

فحسین آیت احمد رجل معارضہ وأقلیة، ولكن ليس بالمعنى العرقي الذي يريد خصوصه الصاق به وحصره فيه، بل بالمعنى السياسي. ذلك ما طبع حياته العامة منذ دخوله المعرک السياسي قبل نحو ٥٤ سنة. فطوال هذه الفترة، أو على الأقل في كل واحد من مفاصلها الأساسية والحياتية، كان على الدوام صاحب الطروحات المستقبلية ومن أول المتبنين إلى ضرورة طرحها والمتشبثين بها رغم ما قد تلاقيه من رفض في ابناها، إما لأنها تختلف الرأي السائد وتستبه، أو لأن حسابات البعض ترى أن أوانها لم يحن (من صالح بشير، «الحياة»-تیارات-تاریخ ٧ تشرين الأول ١٩٩٤).

* **الحسين السليماني، الشیخ:** شخصیة دینیة وسیاسیة جزائریة مرموقة. مرکزه مدینة المدیة (على بعد ١٥٠ کلم جنوب غربی العاصمة) التي بات کثیرون، نتیجة الاحداث الدامیة في الجزائر يشیهونها بمدینة قم الایرانیة. وهو شخصیة مستقلة. لم یتوظف في السلک الديني أو التربوي للحكومة. ولم یحصل من الادارة حتى على رخصة التدریس التطوعی في مساجد المالکیة في المدیة التي ما تزال تحضن اقلیة من الاحناف. وهو مستقل ايضاً عن الاحزاب السياسية، لكنه متعاطف مع جبهة الانقاذ الاسلامیة، ومع «كتلة روما» التي یصبح عنصراً فاعلاً فيها. ولله علاقات وطيدة بالجماعات المسلحة وتفوذاً حقيقةً عليها لا سیما ایام قیادة جعفر الافغانی والسایح عطیة. دوره تأسیسي وفاعل في «ندوة روما» (راجع «ندوة روما» في باب معلم تاریخیة).

* **دیدوش مراد (١٩٢٢-١٩٥٥):** من زعماء الثورة الجزائرية التاریخیین. ولد في مدینة الجزائر من عائلة میسورة. انضم بعد ١٩٤٥ إلى حزب الشعب الجزائري وأصبح عضواً في المنظمة

للخلاص. بل انه قاطع جميع دورات الحوار التي نظمتها السلطة بعد ذلك مع احزاب المعارضة، لأنه رأى انها غير ناجعة إن هي أقصت الاسلاميين (ولكنه عاد واشتراك في اللقاءات المتعددة الاطراف التي نظمها الرئيس اليمین زروال تمهدًا للخروج بمشروع وفاق وطني. فاستقبل اليمین زروال حزب حسین آیت احمد، «جبهة القوى الاشتراكیة» في ١٩ تموز ١٩٩٦، مثلاً بالامین العام بالنيابة الصدیق دبایلی).

هذه المخطات البارزة في حیاة آیت احمد رعا ساغدت على رسم ملامح الرجل على أفضل وجه: قائد سياسي ذو نظرية وطنية شاملة وأسبقية جريئة، تدخلت الظروف باستمرار لترج به في موقع سياسي أقلوي (أقلیة)، أو لتحقاصه داخل منطقته الاصلیة. فحسین آیت احمد قضى القسم الأکبر من حیاته سجين هذه المفارقة المضئیة: انه قائد یحمل رؤیة تخص الجزائر بأسرها، لكنه یبقى زعیم منطقة القبائل أساساً. إنه رجل وطني المطامح ولكنه یبقى محلي الاشعاع. وفي ذلك ظلم كبير له ولکفاءاته وقدراته. ليس صاحب دعوة انفصالية، بل یکاد لا یوجد قبائلي یحمل مثل هذه الدعوة، إنه یطالب فقط بالاقرار بالبعد الأمازيغي كعنصر من عناصر الشخصية الجزائریة وبالاعتراف باللغة الأمازيغیة جزءاً من الفضاء العام، بحیث تستعمل في التدریس والنشر وما إلى ذلك.

غير ان ذلك بعد القبائلي لدى حسین آیت احمد، والذي عرق بحركته على المستوى الوطیي حتى الآن، هو الیوم من عناصر قوته. فالمطالب الثقافية الأمازيغیة دخلت الآن نقطة اللاعودة. فهي لم تعد تستند فقط إلى نخبة ضيقة، بل شاعت داخل اوساط واسعة، وأصبح يدعمها إنتاج ثقافی غزیر ومتنوع. ثم ان حزب آیت احمد هو واحد من الاحزاب الديمقراطيّة النادرة في الجزائر التي تستند إلى جمهور وإلى رأي عام تفلح في تعبیته سلمیاً.

* سعيد سعدي (١٩٤٧ -) : سياسي جزائري. ولد في قرية أغريب في ولاية تizi وزو. تأثر في نشأته ودراسته بحركة الآباء البيض التي تعتبر منطقة «القبائل الكبرى» إحدى أهم قلاعها في أفريقيا. ومنذ شبابه الباكر بدأ النضال في صفوف الحركة البربرية (القبلية على وجه التحديد)، أولاً تحت غطاء «جبهة القوى الاشتراكية» التي يتزعمها حسين آيت أحمد الذي انشق عن نظام الرئيس السابق أحمد بن بلة قبل ٣٣ سنة.

في منتصف السبعينات، وأثر تخرجه في جامعة الجزائر وحصوله على الدكتوراه في الامراض النفسية، وأداء الخدمة الوطنية، اخذ سعدي مستشفى تizi وزو منطلقاً لنشاطه في سبيل القضية البربرية التي اكتسبت بقيادته طابع ردة فعل حاد على تصاعد المد العربي-الإسلامي غداة استقلال الجزائر. وما لبث هذا النشاط السري ان خرج إلى العلن في ٢٠ نيسان ١٩٨٠ عبر أعمال عنف وتخريب في مدينة تizi وزو وضواحيها (راجع باب «البربر في الجزائر»). وقد اعتقل الدكتور سعدي ورفاقه إثر هذه الحوادث بتهمة التآمر على أمن الدولة، وسجن في البرواقية (المدية)، ولحق به هناك العام ١٩٨٢ الشيفخان عباسي مدني وعلى بلحاج.

في ١٩٨٥، أُفرج عن الدكتور سعدي ورفاقه بعد مثولهم أمام محكمة أمن الدولة في المدية. فحاول أن يعطي لنضاله بعداً دولياً من خلال المشاركة في تأسيس «الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان» مع بعض المحامين من دافعوا عنه وعن الشيخ عباسي مدني ومن معه، وفي مقدمتهم المحامي ميور عبد النور علي يحيى. كما ساهم سعدي في تأسيس الفرع الجزائري لمنظمة العفو الدولية.

وبداية احداث تشرين الاول ١٩٨٨ كان سعدي من الشخصيات التي شجعتها اطراف في

السرية التابعة لهذا الحزب. وقف ضد مصالح الحاج في ١٩٥٤. عين مسؤولاً عن منطقة قسنطينة في تشرين الاول ١٩٥٤. لاقى مصرعه بينما كان يغطي انسحاب مجموعة كان يقودها بشجاعة كبيرة. أطلق اسمه على الشارع الرئيسي في العاصمة الجزائرية.

* رابح بيطاط (١٩٢٥ -) : سياسي ورجل دولة جزائري. ولد في عين كرمة في ولاية قسنطينة. بدأ منذ شبابه الاول يناضل في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية، وكان في مطلع شبابه عاماً في مصنع للسجاجير، ثم انضم إلى حزب الشعب الجزائري وأصبح عضواً نشطاً في التنظيم الخاص شبه العسكري التابع لهذا الحكم، فحكم عليه غيابياً في ١٩٥٢ بالسجن مدة خمس سنوات، فاضطر إلى العمل السري. كان واحداً من التسعة الذين أسسوا المجلس الشوري للوحدة والعمل. وفي الاول من تشرين الثاني ١٩٥٤ أصبح قائداً عسكرياً لمنطقة الجزائر. في ٢٣ آذار ١٩٥٥، اعتقلته السلطات الفرنسية فحاول عثما الانتحار وقد حكمت عليه السلطات العسكرية بالسجن المؤبد.

في آب ١٩٥٦، عين عضواً في المجلس الوطني للثورة بالرغم من غيابه في السجن، ثم عين وزير دولة في الحكومة الثورية المؤقتة. أطلق سراحه في ١٩٦٢ غداة التوقيع على اتفاقية إيفيان. أيد أحمد بن بلة في صراعه ضد يوسف بن حدة وعين نائباً لرئيس مجلس الوزراء في اول حكومة ألفها بن بلة. ولكن سرعان ما اختلف مع بن بلة فاستقال من الحكومة الثانية ورفض المشاركة في مؤتمر جبهة التحرير الوطني في ١٩٦٤، وذلك قبل ان يلتحق إلى أوروبا. أيد حركة حزيران ١٩٦٥ التي قادها هواري بومدين؛ وفي ١٠ تموز ١٩٦٥، عين وزير دولة ثم وزيراً للنقل قبل ان يصبح رئيس «المجلس الشعبي الوطني» (١٩٧٦).



سيد أحمد غرالي.

بومدين في ١٩ حزيران ١٩٦٥، وترك البلاد. وارسل بومدين ورائعه ليعيده إلى البلاد ويعينه رئيساً لشركة النفط الوطنية «سوناطراك»، ثم احتل أول منصب وزاري في عهد بومدين في ١٩٧٧. وجاء الشاذلي وبعده عن منصبه هو و«والده الروحي» عبد السلام بلعيد، كما أخرجه من اللجنة المركزية لجبهة التحرير، لا بل تعرض لتشويه سمعته وللملاحقة من قبل ديوان المحاسبة. في ١٩٨٤، عاد الشاذلي وحاول التعریض عما اصاب سيد أحمد غرالي من ضرر، فعيّنه سفيراً في بروكسل، ثم وزيراً للخارجية خلفاً لبوعلام بلسايح في حكومة مولود حمروش، كما سبق وفرضه وزيراً للمالية في الحكومة السابقة برئاسة قاصدي مرباح. وفي الحالتين كان غرالي يمارس صلاحياته بارادة الرئيس، ورغم ارادة رئيس الوزراء، مرباح وبعده حمروش، اللذين كانوا لا يديان ارتياحًا كبيراً له.

عين رئيساً للوزراء خلفاً لحمروش، وبادر محمد جسور الحوار مع جهة الإنقاذ الإسلامية،

السلطة على تأسيس احزاب للمساهمة في التعديلية السياسية والديمقراطية، وذلك في إطار البحث عن زعامات بديلة للزعيم التقليدي لمنطقة القبائل حسين آيت أحمد مؤسس «جبهة القوى الاشتراكية» وعضو حركة «الاشتراكية الدولية».

وهكذا أعلن الدكتور سعدي تأسيس «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» في شباط ١٩٨٩. وكان التجمع ثاني حزب يحظى باعتماده حزباً مشارقاً (سبقه «الحزب الاجتماعي الديمقراطي»).

يتسم الدكتور سعدي بضموج مفرط، وطالما أثارت تصريحاته جدلاً، ومنها تصريحه العام ١٩٩٠ بأن حزبه «قادر على استقطاب ثلثي الناخبين الجزائريين» (أي أكثر من ٨ ملايين صوت)، غير أن الانتخابات المحلية في ١٢ حزيران ١٩٩٠ كشفت انه لا يحظى بتأييد كاسح إلا في منطقة القبائل، إذ لم يحصل حزبه يومئذ على أكثر من ١٠٠ ألف صوت،即 ٩٪ من منطقة القبائل (تيزي أوزو وجيجل). ويبدو ان ذلك نفسه لم يتأت لولا قرار «جبهة القوى الاشتراكية» مقاطعة تلك الانتخابات، مخصوصاً أنها أقوى حزب في المنطقة. هذه الحقيقة أكدتها الانتخابات التشريعية (١٩٩١) وسقط فيها سعدي شخصياً في دائرة تيزي أوزو أمام مرشح مغمور ينتمي إلى حزب آيت أحمد (من «الوسط»، العدد ١٩٦، تاريخ ٣٠ تشرين الأول ١٩٩٥، ص ٢٧). وكان سعدي أحد المرشحين الثلاثة لرئاسة الجمهورية (تشرين الثاني ١٩٩٥) الذين فشلوا أمام الرئيس اليمين زروال.

* سيد أحمد غرالي (١٩٣٦ -) : سياسي ورجل دولة جزائري. حائز على شهادة في الفلسفة من دمشق، وشهادة في الهندسة من باريس. كان عمره ٢٩ عاماً عندما استقال من أول منصب وزاري عينه فيه بن بلة غداة انقلاب هواري



الشاذلي بن جليلد.

*** الشاذلي بن جليلد (١٩٢٩ - ١٩٦١):** عسكري وسياسي وثالث رئيس للجمهورية الجزائرية. ولد في قرية صغيرة بالقرب من مدينة عنابة شرقي الجزائر في عائلة فلاحين متواضعة الحال. انخرط في الجيش الفرنسي ويقي فيه حتى ١٩٥٤. وفي مطلع ١٩٥٥، انضم إلى جبهة التحرير، فتميز بشجاعته وترسه بحرب العصابات. قائد الكتيبة ١٣ (في ١٩٦٠) في منطقة قسنطينة، ثم استدعى للعمل في قيادة أركان المنطقة الشمالية على الحدود المغربية التي كان يديرها العقيد هواري بومدين. وقد بقى بن جليلد إلى جانب هواري حصول الجزائر على استقلالها (١٩٦٢). وعندما انفجر الخلاف بين بن بلة وبومدين من جهة، وبين

واستحباب البعض مطالبها مثل إعادة العمال الذين طردو من وظائفهم إبان الأضراب المفتوحة. رخص لحوالي ٤٠ حزيراً. وفي تموز ١٩٩١، انعقدت الندوة الأولى للحوار الذي دعا إليها غزالي؛ وفي إطارها فاجأ الجميع بتأييده لمطلب إعادة أملاك جبهة التحرير إلى الدولة، وعارض القانوان الانتخابي... علمًا أنه كان ما يزال عضواً في جبهة التحرير، إذ إنه لم ينسحب منها رسميًا إلا في تموز ١٩٩٢. وواصل غزالي حملته الاصلاحية باصدار قرار حكومي بتحريك جبهة التحرير من ممتلكاتها ووسائل اعلامها. وأعد مع الرئيس محمد بوظيف قراراً يعلن «وفاة» جبهة التحرير قبل بلوغها الأربعين من العمر، وذلك بمناسبة عيد الاستقلال في ٥ تموز ١٩٩٢. لكن اغتيال بوظيف قبل ذلك الموعد باسبوع واحد فقط، أحيل أو ربما ألغى مثل هذا القرار. وكان قد بدأ بشن حملة شعواء على الجبهة عشية الانتخابات التشريعية في ٢٦ كانون الأول ١٩٩١.

*** سي محمد (١٩٦١ - ١٩٦١):** من قادة الثورة الجزائرية البارزين. إسمه الحقيقي يونعمامة الجيلالي. عمل في سن مبكرة لمساعدة عائلته الفقيرة. في ١٩٥١، نظم إضراباً عاماً لعمال منجم بوقادن دام أربعة أشهر، ونظم علال الأضراب المساعدات المالية لعائلات العمال المضربين. مع اعلان الثورة، اعتقلته السلطات ولم تخرج عنه إلا في تشرين الثاني ١٩٥٥، فالتحق بجيشه التحرير، وعيّنه مؤتمراً الصومام قائداً للمنطقة الثالثة في الولاية الرابعة، ثم قائداً لهذه الولاية. نجح في تنظيم مظاهرات شعبية (١٩٦٠) في مدن وقرى الولاية دعمًا للثورة. اهتم باصدار منشورات تثقيفية واعلامية، وكانت قمة عمله إنشاء محطة إذاعة سرية استمرت في البث إلى أن اكتشفت السلطات الفرنسية مكانها فداحتها، ولاقي سي محمد مصرعه أثناءها.

المركزية لجبهة التحرير، رافق بومدين في زيارته لموسكو (١٩٦٥)، عين بعد ١٩ حزيران (حركة بومدين الانقلابية) في المجلس الوطني للثورة وفي سكرتارية اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير، وقد شغل مدة قصيرة منصب الأمين العام للجبهة دون صدور قرار رسمي بذلك. عين في ما بعد وزير دولة. ثم أبعد في ١٩٧٥.

* عباسى مدنى، الشیخ (١٩٣١ -) :
زعيم سياسي ورجل دین جزائري، مؤسس جبهة الانقاذ الاسلامية، اقوى الاحزاب الجزائرية (قياساً على انتخابات حزيران ١٩٩٠).

ولد الشیخ عباسى مدنى في سیدي حمیة في ولاية بسكرة (الجنوب الشرقي للجزائر) في أسرة متواضعة. وقد اضطر إلى العمل مبكراً بعد ان تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ شيئاً من القرآن في كتاب القرية.

في بداية حياته العملية اشتغل مساعد خطاط في بسكرة حيث بدأ يحتج بـ«حزب الشعب الجزائري» وافكاره التحريرية الاستقلالية، ثم ما

الشیخ عباسى مدنى.



الحكومة المؤقتة برئاسة يوسف بن حمدة من جهة ثانية، وقف الشاذلي بن حديد بصلابة إلى جانب الطرف الأول الذي كان يمثل آنذاك الشرعية الثورية. عيّنته القيادة الجديدة حاكماً عسكرياً لولاية قسنطينة (١٩٦٣)، ثم عين حاكماً عسكرياً لولاية وهران (١٩٦٤). وفي ١٩٦٥، عندما وقع الخلاف بين بن بلة وبومدين الذي قاد انقلاباً استولى على الحكم، ظُفِّعَ عضواً في مجلس الثورة الذي كان الهيئة الفعلية التي تمسك بكمال السلطة في البلاد. ظل الشاذلي بن حديد طيلة فترة حكم بومدين حاكماً عسكرياً لمنطقة وهران. وفي ١٩٦٩، رقي إلى رتبة عقيد. وعندما أصيب بومدين بالمرض عينه مجلس الثورة (كانون الأول ١٩٧٨) ضابطاً ارتباط بين الجيش ومجلس الثورة، أي المسؤول الأول عن القوات المسلحة في الجزائر، وهي مسؤولية كان الرئيس بومدين شديداً المحرص على حصرها بين يديه. ثم عين، قبيل وفاته بومدين وزيراً للدفاع. وبعد وفاته بومدين رشحته جبهة التحرير المنصب رئاسة الجمهورية وفاز به في ٧ شباط ١٩٧٩ (راجع باب «الاسلام الجزائري»، والبذرة التاريخية).

* شريف بلقاسم (١٩٣٣ -) : سياسي جزائري وعضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية. ولد في بيت ملال في المغرب، وأتم دراسته الثانوية هناك، ثم انتسب إلى كلية الحقوق في جامعة الرباط، وانضم إلى الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين.

انضم إلى الثورة، وأصبح قائد منطقة تلمسان، ثم التحق بقيادة الاركان تحت إمرة بومدين. أيد، بعد الاستقلال، قيادة الجيش في صراعها مع الحكومة المؤقتة. انتخب في ١٩٦٢ نائباً عن تلمسان، وعيّن في ١٩٦٣ وزيراً للارصاد القومسي، وأصبح في ١٩٦٤ عضواً في اللجنة

ايضاً لكنه خاب، مرة جديدة، في الفوز برئاسة المجلس.

في ١٩٧١، كان الاستاذ عباسى، عضو المجلس الولائى، في طليعة المتظاهرين من اجل التعريب بعد ان اعلن الرئيس بومدين هذه السنة (١٩٧١) سنة حسم في هذه القضية الشائكة. وبعد أكثر من ستين شكلت على مستوى الجهاز المركزي للحزب الواحد (جبهة التحرير) الذي كان يشرف عليه آنذاك بالنيابة محمد الشريف مساعديه جنة باسم «جنة الثقافة والفكر» أستندت رئاستها إلى الدكتور عبد الله الركيبي، انضم عباسى إلى هذه الهيئة وأخذ يواكب على حضور نشاطاتها. ولعل هذه المشاركة هي التي ساعدته في الحصول على منحة إلى بريطانيا لتحضير رسالة دكتوراه في علم النفس التربوي. ومكث في بريطانيا اربع سنوات حدث، خلالها، التحول من «الوطنية الثورية» (منذهب الحركة الاستقلالية الجزائرية) إلى «الإسلاموية الثورية» في فكر عباسى مدنى. فعاد من بريطانيا، اواخر ١٩٧٨، داعية إسلامياً لا يشق له غبار. فكانت التجربة الاشتراكية في الجزائر موضع تهجم دائم من قبله، لا سيما «أسواق الفلاح» التي كانت ترمي إليها في تلك الفترة. وعندما بدأت ساحة الدعوة الخارجية تضيق امامه انسحب إلى داخل المساجد حيث التقى بدعاة رواد مثل الشيخ سحنون والشيخ سلطانى والشيخ مصباح وآخرين دونه سنًا من امثال الشيخ علي بلحاج.

في ١٩٨٢، بدأت المساجد تتحرك بهذه الدعوة، فحاول اصحابها الخروج بها إلى الشارع؛ لكن نظام الرئيس الشاذلى بن جديد كان لهم بالمرصاد فاعتقلوا وحوكموا بمحكمة أمن الدولة في المدينة، ثم سجنوا في البرواقية طيلة ٣ سنوات. والتقو هناك بعض رواد الحركة البربرية وفي مقدمتهم سعيد سعدي.

بعد الافراج عنه في ١٩٨٥، استأنف

لبث ان اخترط في صفوته. وفي اواخر الاربعينات هاجر إلى العاصمة الجزائرية طلباً للعيش هناك، وهناك تم اختياره عضواً في «المنظمة الخاصة» الجناح العسكري لحزب الشعب الجزائري التي كلفت الاعداد للثورة المسلحة من اجل الاستقلال.

بهذه الصفة، كان في طليعة ثوار الاول من تشرين الثاني ١٩٥٤ ضمن الفوج الذي كلف وضع متogrارات في الاذاعة المحلية، لكن في اليوم الرابع من الشهر نفسه (تشرين الثاني ١٩٥٤) وقع في قبضة الامن الفرنسي، وبقي سجينًا طوال ثورة التحرير ولم يفرج عنه إلا بعد وقف اطلاق النار في ١٩ آذار ١٩٦٢ غداة توقيع اتفاقيات إيفيان بين جبهة التحرير الوطني والسلطات الفرنسية.

رفاقه بالسجن، منهم الحامي والوزير عمار بن التومي، يقولون عنه انه رجل ورع متدين؛ ويبدو انه كان مجتهداً ايضاً إذ خرج من السجن بஹلات جعلته ينضم إلى اسرة التربية والتعليم منذ فجر الاستقلال. ويقول عنه تلاميذه في معهد بوزريعة لتأهيل المعلمين انه معلم طيب مندفع في دفاعه عن قضية التحرير، عميق الایمان باتمامه الجزائر إلى مجال الثقافة العربية الاسلامية. ولم يمنعه التدريس في هذا المعهد من الالتحاق بالجامعة لمواصلة دراسته في معهد الفلسفة، حيث حصل على اجازة في علم النفس التربوي.

في ١٩٦٧، حرت اولى انتخابات المجالس البلدية منذ انقلاب ١٩ حزيران ١٩٦٥، فاتتحم عباسى مدنى غمارها على مستوى بلدية القبة، وكان من اوائل الفائزين. وكان يطمح في ضوء سوابقه النضالية وكفاءته إلى ان يفوز برئاسة البلدية، لكن هذه المهمة أُسندت إلى غيره فسكت على مضمض. وبعد ستين حرت اولى انتخابات المجالس الولائية (الولايات) فترك عباسى مدنى (في جبهة التحرير) مقعده في المجلس البلدي مفضلاً خوض تجربة المجلس الولائي للعاصمة، وفاز هنا

ولم يكن الرأي العام يسمع عنه شيئاً سوى شذرات بين الفينة والأخرى، تتحدث عن مرضه ونقله إلى المستشفى. وفي ٢٣ آب ١٩٩٤، خرج عن صمته برسالة مطولة تشكل ورقة عمل لمؤاوضات واسعة مع السلطة والاحزاب الامامية، ارادها جواباً على خطاب زروال في ٢٠ من الشهر نفسه (آب ١٩٩٤). بمناسبة «يوم المحاهم» وبفضل هذه الرسالة فتحت ابواب الاقامة الجيرية وأغلقت ابواب سجن البليدة العسكري (من «الوسط»، العدد ١٣٨، تاريخ ١٩ ايلول ١٩٩٤، ص ١٢).

وسارت الامور لمصلحة السلطة حتى ان الرئيس اليمين زروال ردد، في استقباله لممثلين عن الاحزاب (تموز ١٩٩٦) في إطار الحوار المألف إلى التحضير لـ«المؤتمر الوطني» وتحديد موعد الانتخابات التشريعية، ان «ملف جبهة الانقاذ الاسلامية أُغلق»، وأنه يرفض دعوة هذا الحزب المحظوظ إلى المشاركة في الحوار السياسي (راجع النبذة التاريخية، وباب «الاسلام الجزائري»).

* عبان رمضان (١٩٥٦-١٩٢٠): أحد قادة ثورة التحرير الجزائرية. ولد في عزوزة. انضم إلى حزب الشعب الجزائري في ١٩٤٥. تفرغ أثناء الحرب العالمية الثانية للعمل السياسي، وعين مسؤولاً عن منطقة سطيف. اعتقل في ١٩٥٠ في عناية، واتهم بالاشتراك في المنظمة السورية التابعة للحرب الشعب، فحكم عليه بالسجن لمدة ست سنوات، وافرج عنه في ١٩٥٥، فعاد إلى صنوف جبهة التحرير الوطني. أصبح مسؤولاً عن منطقة الجزائر العاصمة. أهم وأضخم برنامجه مؤتمر الصومام (راجع «النبذة التاريخية» و«معالم تاريخية»). عضو مجلس الثورة في ١٩٥٦-١٩٥٧، وفي جنة التنسيق والتنفيذ.

تربي جيل كامل من الجزائريين على الرواية الرسمية التي اعتبرت عبان رمضان بطلاً من ابطال

الشيخ عباسي مدني نشاطه الدعوي في المساجد خاصة، إلى أن جاءت احداث تشرين الاول ١٩٨٨ فكانت فرصة الخروج إلى الشارع لكن هذه المرة بطلب من مصالح الأمن على أساس المساعدة في «اطفاء» غضب الشباب.

في مطلع ١٩٨٩، أوعزت مصالح الأمن باللحاج إلى الشيخ عباسي مدني ورفاقه بتكوين جمعية سياسية، بعد ان كان الطموح في البداية لا يتعدى الترخيص لهم بتكوين جمعية ذات طابع ثقافي ومحيري وليس أكثر من ذلك. وهذا الالحاد من مصالح الأمن هو الذي يفسر كيف تم اعتماد جبهة الإنقاذ الإسلامية، في ايلول ١٩٨٩، رغم ان روح دستور ٢٣ شباط وقانون تموز من السنة نفسها (١٩٨٩) والخاص بالاحزاب السياسية، يمنعان تأسيس احزاب على أساس من الدين أو اللغة أو الجهة أو الجنس.

كانت جبهة الإنقاذ سادس حزب يحصل على الاعتماد (الرخصة)، وقبل ذلك عقد اجتماع ضخم في مسجد ابن باديس في القبة تم خلاله تعيين اعضاء المجلس التنفيذي برئاسة الشيخ عباسي الذي عين كذلك، بعد فترة من الفوضى في التصريحات، ناطقاً رسمياً باسم جبهة الإنقاذ.

خلال فترة رئاسة الشيخ عباسي مدني لجبهة الإنقاذ الإسلامية عرفت الحركة نشوء الانتصار في اعقاب انتخابات حزيران ١٩٩٠ المحلية التي حققت فيها الانقاذ فوزاً ساحقاً على حصومها وفي مقدمتهم «حزب السلطة»، جبهة التحرير الوطني. لكن بعد تمام السنة عرفت مرارة الهزيمة والقمع في اعقاب تحركات ايار-حزيران ١٩٩١ والتي كانت احتتمت بالبقاء القبض على قادة الانقاذ وفي مقدمتهم مدني وبلحاج في ٣٠ حزيران ١٩٩١.

حوكم الشيخ عباسي في البليدة في تموز ١٩٩٢، وصدر في حقه حكم بالسجن لمدة ١٢ سنة. وخلال فترة السجن تزعم «الصمت المطبق»

بعيداً عن ساحة المواجهة بانتظار ان تحين ساعة الاستقلال. فكانت حادثة اغتياله ابرز عمل انقلابي قامت بها ما عرفت في ما بعد «مجموعة وحدة» (راجع «مجموعة وحدة» في باب معلم تاريخية).

* عبد الحميد بن باديس (١٨٨٧ - ١٩٤)؛ مفكر ومصلح ورجل دين وسياسي جزائري، ارتبط إسمه بالنضال من أجل تثبيت هوية الجزائر الإسلامية والعربية في وجه الاستعمار الفرنسي. يرجع نسبه إلى المعز بن باديس الصنهاجي مؤسس الدولة الصنهاجية في القيروان. ولد في قسنطينة، ودرس في الزيتونة في تونس. في ١٩١٢، رحل إلى الحجاز ولقي جماعة من العلماء الجزائريين الذين هاجروا هرباً من سلطات الاحتلال الفرنسي، وعرض عليه بعضهم الاقامة في المدينة المنورة، ولكنه رفض قائلاً: «خن لا نهاجر، نحن حراس الإسلام وال العربية والقومية في أرض الوطن».

في الجزائر، مارس الوعظ والتدرис، ووضع نواة للتعليم الديني والعربي، مهدداً مهمته في «اعادة الجزائر إلى الإسلام والعروبة والقومية». كان طريقه يعتمد على صنع الرجال أكثر من تأليف الكتب، فأمضى نحوه من ١٨ عاماً في هذا الطريق حتى أقام «جمعية العلماء الجزائريين» في ١٩٣١ (راجع باب معلم تاريخية) التي كانت الأئب الروحي لثورة الجزائر. أصدر ابن باديس العديد من المجلات والصحف، منها: «المتقدى»، «الشهاب»، «الشريعة»، «الستة الخمديّة»، «الصراط»... وكانت صحفه وبكلاته تتعرض للمصادرة واللغاء من سلطات الاحتلال.

* عبد السلام بلعيد (١٩٢٠ -)؛ سياسي ورجل دولة جزائري. وزير الصناعة والطاقة في

ملحمة التحرير الوطني، تولى قيادة جبهة التحرير في بداياتها فأخرجها من الفوضى إلى الانتظام وأعطتها ملامحها السياسية وكان منظم أحد مؤتمراتها التاريخية (مؤتمر الصومام)، وكان بمثابة نقطة التحول في حرب التحرير. وكانت هذه الرواية الرسمية تقول على الدوام بأنه استشهد في ١٩٥٧ وهو يقاتلورية من الجيش الفرنسي.

في أحواز التعددية والليبرالية السياسية (بدءاً من ١٩٨٨) والنقد المتمامي لجبهة التحرير (الحاكم) والضعف الذي باتت عليه، بدأ تخرج كتابات سياسية تناقض الكتابات «الرسمية» وتفضح بالأدلة وتبين الواقع كثيراً من المواقف، من بينها ما يتعلق بعبان رمضان. أعادت الكتابات الجديدة تأكيد دوره النضالي، لكن قصة مقتله تختلف عما زعم وروي تماماً. ذلك أنه لم يسقط في ساحة الحرب بل تمت تصفيته على أيدي بعض من رفاقه، ولأسباب ليست من النضال في شيء. فقد استدرج رمضان إلى المغرب من قبل كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوصوف، وكلاهما آنذاك من أقوى المسيطرین على مقدرات الشورة الجزائرية في الخارج، وقتلاه خنقاً. وكان بلقاسم نفسه تحدث عن هذه الواقعة في مذكراته التي نشرها بعد ذلك زاعماً أن بوصوف هو الذي تولى خنق عبان رمضان بيديه. وقبل نشره لمذكراته هذه كان بلقاسم قد تحول إلى المعارضة.

فما كان يعييه خصوم عبان رمضان عليه أن الرجل كان على درجة كبيرة من القوة السياسية بحيث أصبح منافساً خطيراً، وأنه كان من دعاة «غلبة الداعل على الخارج». فهو اعتير أن ارجحية القرار السياسي يجب أن تبقى بيد قادة الثورة في الداخل الذين يجاهدون قوات الاحتلال ويعيشون بين الناس، وهو تمكّن من إقرار هذا المبدأ مستشعرًا خطورة أن يتكون جهاز عسكري خارجي، لاجيء في تونس أو المغرب، تتعاظم بين يديه القوة العسكرية والمالية والإعلامية، فيما يعيش

للخارجية، وظل في هذا المنصب حتى وفاة بومدين (١٩٧٩). عمل بنشاط في المجالس والمؤتمرات الدولية، وانتخب في ١٩٧٤ رئيساً للجمعية العامة للأمم المتحدة، وقد كان بذلك من المساهمين في ظهور ياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، في الأمم المتحدة. وبالإضافة إلى مناصبه السياسية، كان بوتفليقة عضواً في المكتب السياسي لجبهة التحرير (١٩٦٤-١٩٨١)، وعضوًا في مجلس الشورة (١٩٧٩-١٩٦٥). وفي ١٩٨١، اخترع اللجنة المركزية لجبهة التحرير قراراً بتعليق عضويته في اللجنة.

* عبد العزيز بوصوف: راجع «مجموعة وحدة» في باب معلم تاريخية.

* عبد الله فلايلي مبارك (١٩٥٧-): سياسي ثوري جزائري. عاش طفولته في قسنطينة، واشتغل عملاً (دهان). انضم إلى حزب نجم شمالي إفريقيا، ثم أصبح عضواً مؤسساً لحزب الشعب الجزائري. اعتقل في ١٩٣٧، وسجن، وأفرج عنه في ١٩٤١. عضو في لجنة التنظيم ومسؤول العمل السياسي في وهران. حكم عليه بالاعدام بعد انتفاضة سطيف (١٩٤٥). عضو في اللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري السري. أصبح في ١٩٤٩ مسؤولاً فدرالية حركة انتصار الحريات الديمقراطية في فرنسا. أبعد عن عضوية اللجنة المركزية. ظل إلى جانب مصالح الحاج في أحلق ساعات، وأصبح مسؤولاً عن المجموعات المسلحة التابعة للحركة الوطنية الجزائرية المعادية لجبهة التحرير الوطني الجزائري. اغتيل في ١٩٥٧ على يد كوماندس تابع لجبهة التحرير.

* عبد النور علي بجي: سياسي ونقابي ومحام جزائري. من رواد حركة حقوق الإنسان في الجزائر. بدأ نضاله في هذا المجال في منتصف

الخzائر منذ ١٩٦٥ ولنحو ١٥ سنة على التوالي ومن أبرز مخطططي السياسة الاقتصادية الجزائرية. ولد في دهمše في ولاية سطيف من عائلة كبار ملاك متحدرة من منطقة القبائل الكبرى. شارك في انتفاضة قسنطينة (١٩٤٥)، فاعتلق وسجن لمدة ٤ سنوات. شمله العفو، فانتسب إلى كلية الطب في الجزائر ثم في غرونوبل (فرنسا). وقد نشط أثناء دراسته في تنظيم الحركة الطلابية فأسس «الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين» الذي قام بدور بارز في مناهضة السلطات الفرنسية.

انضم إلى جبهة التحرير، وأصبح وزير الشؤون الاجتماعية في الحكومة الثورية المؤقتة آنذاك، ثم مستشاراً سياسياً ليوسف بن حدة عندما حلّ هذا الأخير محل فرحات عباس في منصب رئاسة الحكومة المؤقتة. وعلى أثر اتفاقيات إيفيان، أوكلت إليه مهمة تسليم الشؤون الاقتصادية للحكومة الانتقالية.

* عبد العزيز بوتفليقة (١٩٣٧-): سياسي جزائري. وزير الخارجية منذ ١٩٦٣ حتى ١٩٧٩، وعضو مجلس الشورة. ولد في تلمسان. دخل الحياة السياسية وهو على مقاعد الدراسة الثانية في المغرب من خلال اتصاله بحزبه الاستقلال. عضو الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين. ترك دراسته الجامعية والتحق بجبهة التحرير. قام بعدة مهام في الداخل، وبشكل عاًص في الولاية الخامسة. أيد الجيش (بن بلة وبومدين) في صراعه ضد الحكومة المؤقتة. نائب عن تلمسان ووزير الشباب والرياضة في أول حكومة للجزائر المستقلة (١٩٦٢). في ١٩٦٣، وبعد مقتل محمد خيسيتي اعتبر بوتفليقة ليحل محله في وزارة الخارجية وكان عمره آنذاك ٢٦ عاماً. وقف في ١٩٦٥ ضد بن بلة الذي قرر ابعاده، مما عجل في حركة ١٩ حزيران ١٩٦٥ التي اطاحت بن بلة. وقد ثبته نظام بومدين الجديد وزيرًا



عبدالور علي بني.

وفي «التنظيم السري» التابع له. اعتقل في ايار ١٩٤٥ وحكم عليه بالسجن عشر سنوات لعلاقته بالتنظيم السري. عضو مؤسس في اللجنة الثورية من أجل الوحدة والعمل. انتخبه مؤتمر الصومام عضواً في لجنة التسويق والتتنفيذ. عارض أحمد بن بلة بشأن خلافه مع كريم بلقاسم وعبان رمضان. أشرف أثناء معركة الجزائر على نشاط المجموعات المسلحة. اعتقل في ٢٣ شباط ١٩٥٧، ومات تحت التعذيب دون أن يعطي أية معلومات عن تنظيمات وخلالها جبهة التحرير الوطني.

* على بلحاج، الشیخ (١٩٥٥ -) : سياسي ورجل دین اسلامی. بعد الرجل الثاني (بعد عباسي مدنی) في جبهة الانقاد الاسلامية. ولد في ولاية الوادی الواقعه عند تقاطع حدود الجزائر الشرقيه مع حدود كل من تونس وليبيا. وبسبب الاوضطرابات الداميۃ التي عرفتها المنطقة وكانت ثورة التحریر في سنتهما الثانية) التي تغير نقطة عبور حيویة للرجال والسلاح، هاجرت أسرة بلحاج إلى تونس حيث توفى والده.

غداة الاستقلال (١٩٦٢)، عاد مع والدته ليستقر في حي البدر (بلدية القبة) وواصل دراسته إلى أن أصبح معلماً في التعليم المتوسط في إحدى

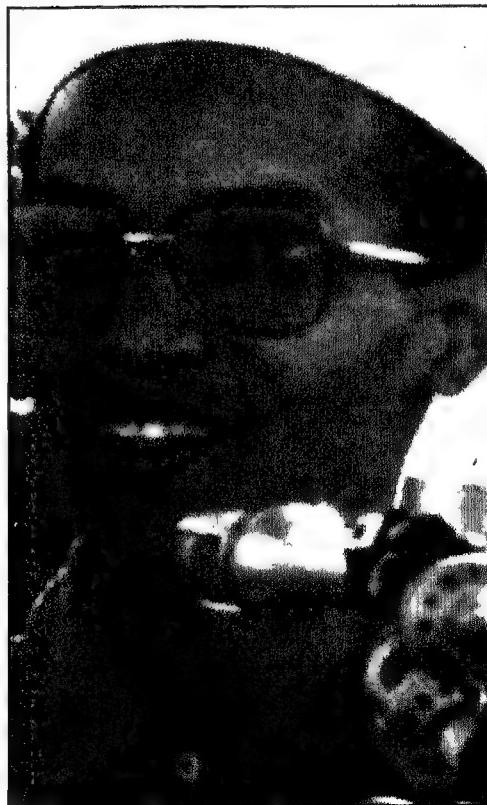
الثمانينيات عندما أسس الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الانسان في ١٩٨٦. وقد شعر بضرورة قيام الرابطة إثر تطوعه للدفاع عن مناضلي الحركة البربرية الذين احتجزوا لمشاركتهم في حوادث نيسان («الربيع البرברי») ، ١٩٨٠، وعن مناضلي الحركة الاسلامية الذين اعتقلوا إثر حوادث عريف ١٩٨٢. وزاد شعوره بال الحاجة إلى تأسيس الرابطة بعدها وجد نفسه معتقلًا في حزيران ١٩٨٦ في سجن البرواقية الشهير (في مدينة المدية) الذي تنقل إليه السلطات عادة الموقوفين بتهمة المساس بـ«أمن الدولة». وهناك تعرف ببني إلى شخصيات عدة في مقدمها على بلحاج وسعيد سعدي وغيرهما. ومنذ ذلك الوقت أضحت، إثر اطلاقه، الحامي الذي يفضل الاسلاميون التعامل معه. وتأتي له غير مرة أن يزور الشیخين عباسي مدنی وبلحاج، لكنه منع من زيارتهم بعد عودته من روما اثر التوقيع على وثيقة «العقد الوطني». وكان بني من قادة الحركة النقابية أثناء ثورة التحرير. وقد تولى منصب وزير الفلاحة من ١٩٦٦ إلى ١٩٦٩.

* العربي بن مهيدی (١٩٢٣-١٩٥٧) : من رجالات الثورة الجزائرية. ولد في عين مليلة في منطقة قسنطينة. عضو في حزب الشعب الجزائري

لأثره معلوماته الفقهية والشرعية، وللتدرُّب على الخطابة والقاء الدروس والمواعظ بصفة خاصة. ونظرًا لما يتمتع به من فصاحة وطلاق في اللسان وسهولة في الكلام أصبح خطيباً يهز بخطبه آلاف الشباب. ويعتبر الشيخ بلحاج، وصديقه السابق الماشي سحنوني (شيخ ضرير) من رواد تيار «السلفية» الذي أصبح حركة منظمة ذات حضور بارز في جبهة الانقاذ. ويعتمد الشيخ عباسى مدنى اعتماداً أساسياً على «السلفية»، وهذا ما يفسر إلى حد ما تأثير علي بلحاج عليه. وفي ١٩٨٢، ساهم بلحاج في إخراج الحركة إلى الشارع.

في تشرين الأول ١٩٨٨، قاد علي بلحاج مسيرة من ساحة الشهداء باتجاه المديرية العامة للأمن في باب الوادي، وعند الاقتراب من المقر قامت «عناصر مدسوسية في صفوف المتظاهرين باطلاق النار على جندي كان يراقب الوضع من على ديابة. فرد هذا الجندي عشوائياً باتجاه المسيرة متسبباً في سقوط العديد من القتلى والجرحى» (من «الوسط»، العدد ١٣٨، تاريخ ١٩ أيلول ١٩٩٤، ص ١٣). ولعب بلحاج دوراً رئيسياً في تنصيب الشيخ عباسى مدنى على رأس جبهة الانقاذ الإسلامية.

من مقولات بلحاج الشهيرة: «هدفنا إرساء الدولة الإسلامية التي تدرس على قانون البشر». يرفض أن يستمع لموسيقى، أو أن يشاهد التلفزيون. دعا إلى تسلیح الشعب بعد الاضراب الشهير (حزيران ١٩٩١). حكم عليه بـ ١٢ سنة سجنًا، وانتقل إلى الإقامة الجبرية (١٩٩٤) مع عباسى مدنى. في ١٤ آب ١٩٩٦، حذرت جبهة الانقاذ من أن حياة الشيخ علي بلحاج في «عطر» وانه موجود في سجن في الصحراء الجزائرية. وهذه هي المرة الأولى التي ترد فيها معلومات عن مصير بلحاج منذ حزيران ١٩٩٥، عندما نقلته السلطات إلى مكان سري بعد فشل الحوار بين قيادة الجبهة والرئيس اليمين زروال، ومنعت الزيارات عنه سواء



الشيخ علي بلحاج.

تمكيليات حي بن عمر في البلدية نفسها. تردد، باكراً، على مساجد القبة إلى أن استقر في مسجد ابن باديس الذي شهد في منتصف السبعينيات معركة شرسة بين الشيخ علي مرحوم الإمام المعين من وزارة الشؤون الدينية والشيخ عبد اللطيف سلطاني من الخارجين على يومدين والثائرين على «اشتراكيته» بصفة خاصة. وانتهت المعركة بفضل شباب مثل علي بلحاج -لصالح الشيخ سلطاني الذي كان وضع كتابين: الأول بعنوان «المذكورة أصل الاشتراكية»، والثاني «سهام الاسلام» التي وجهها لضرب ايديولوجية ثورة التحرير التي كان اعتماد الحزب الواحد عليها كاملاً. ومن اطروحات الكتاب اسقاط صفة «الشهيد» عن مقاتلي جبهة التحرير. استفاد الشاب علي بلحاج من هذه الفترة

تصيرها، وبوضع دستور يكفل الحريات والاصلاح واشراك الجزائريين في حكم بلدهم والافراج عن المعتقلين السياسيين، والمساواة التامة بين المواطنين كافة.

وفي ٢٦ ايار ١٩٤٣ اضاف إلى بيانه بندًا جديداً يطالب به بـ«جزائر حرة ومتحددة مع فرنسا حرية»، أي بمعنى آخر، بدأ فرحات عباس يميل إلى نوع من الفدرالية بتخليه عن افكار «الاندماجية» السابقة. وفي صيف ١٩٤٤، اخذ ينشر افكاره في سائر اخناء الجزائريين من خلال مجلته الاسبوعية الجديدة «المساواة» (*Egalité*)؛ وقد اخذت شعبيته بالتزاييد خاصة وان الشعب الجزائري كان يعني بالفدرالية الاستقلال التام. وهكذا، كسب تأييد المصالحين (جماعة مصالي الحاج) عبر «حزب الشعب الجزائري» الواسع النفوذ والتأثير.

وفي ٨ ايار ١٩٤٥، بدأت انتفاضة سطيف الدموية ضد المستعمرين الفرنسيين فقمعت باسلوب عنيف وتم حلّ «اصدقاء البيان والحرية» و«حزب الشعب الجزائري» واعتقل زعماؤهما من في ذلك فرحات عباس الذي استمر رهن الاعتقال حتى ٩ آذار ١٩٤٦ حين صدر عفو عام عن المتهمنين بأحداث سطيف. وقد أنشأ حزبًا جديداً كان في الحقيقة امتداداً لحزبه السابق الذي حلته السلطات الفرنسية، أطلق عليه إسم «الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري». وقد فاز حزبه هذا بأغلبية المقاعد في انتخابات حزيران ١٩٤٦ بالرغم من الضغوط التي تعرض لها. واستمر فرحات عباس، رغم كل ما جرى، في انتهاج الطريق السلمي: المطالبة بالاصلاح والمساواة عبر المفاوضات والتفاهم فقط. فعندما اندلعت الثورة الجزائرية في تشرين الثاني ١٩٥٤ كان أول من فوجيء بها. وبعد فترة عامي تقريباً من التردد والتفكير، وبالتحديد في نيسان ١٩٥٦، أعلن فرحات عباس من القاهرة عن انضمامه إلى جبهة التحرير الوطني. وقد عجل انضمامه هذا في دفع

من عائلته أو حاميه.

* فرحات عباس (١٨٩٩-١٩٨٥):

سياسي ورجل دولة جزائري. رئيس الحكومة المؤقتة أثناء حرب التحرير بعد أن كان في السابق من أنصار الاندماج مع فرنسا.

ولد في طاهر في منطقة قسنطينة من عائلة بورجوازية. حصل على ثقافة فرنسية. انتخب في ١٩٢٦ رئيساً لاتحاد الطلاب الجزائريين المسلمين، وأصدر كتاباً بعنوان «الشاب الجزائري» ضم مجموعة من كتاباته ومقالاته الصحفية التي كانت تدعو إلى مستقبل جزائري - فرنسي مشترك.

في ١٩٣٣، كان قد أنهى دراسته الجامعية ونال إجازة في الصيدلية كما كان قد أنهى خدمته العسكرية في الجيش الفرنسي، وانشأ صيدلية في سطيف، وانطلق في الوقت نفسه في ميدان العمل السياسي.

في الفترة نفسها، أنشأ فرحات عباس مجلة أسبوعية اسمها «التفاهم» (*L'entente*)، وفيها نشر عام ١٩٣٦ مقالته الشهيرة التي نفى فيها وجود وطن جزائري. ودعم عباس بقوة مشروع «بلسوم - فيولي» القاضي بمنع المواطنة الفرنسية لحوالي ٧٠ ألف جزائري اعتبروا من بين الموظفين وقد ادى المغاربة وحملة الشهادات من اجل تشجيع عملية الانصهار. إلا ان هذا المشروع رفض عام ١٩٣٧، ما جعل فرحات عباس يصاب بخيبة أمل كبيرة ويعد إلى تأسيس «الاتحاد الشعبي الجزائري» عام ١٩٣٨. ولكنه رغم ذلك بقي من المنادين بالانصهار ومن المؤيدين للسياسة الفرنسية.

التحق بالجيش الفرنسي، فوقع في الأسر (١٩٤٠)، وسرعان ما افرج عنه وعاد إلى صيدليته في سطيف. وفي ١٩٤٢، أعلن تأييده الكامل للحلفاء، وأصدر في الوقت نفسه بياناً من خمس نقاط عرف باسم «بيان الشعب الجزائري» طالب فيه بالغاء الاستعمار ويحق الشعوب في تقرير

وخصوصاً وزارتي الزراعة (١٩٨٥) والصحة (١٩٨٨) حيث عمل على تحسين اوضاع المزارعين ومستوى الخدمات الصحية. إلا أن وضعه على رأس أول وزارة ليرالية وهو الذي تربى في حضن الاجهزه قبل ان يلعب فيها دوراً قيادياً لمدة ربع قرن، وهو الذي يعتبر من المؤمنين على تركيبة بومدين، هذا الدور الجديد والمفاجيء أثار الكثير من التكهنات، منها ان الرئيس الشاذلي اراد ان يردد له الجميل لأنّه كان صاحب فكرة ترشيحه لرئاسة الجمهورية بعد رحيل بومدين؛ في حين اعتبر آخرون ان الشاذلي اراد ان يستعمله كمحرقة لكي يختار تلك الأشهر الصعبة التي تفصل بين جمهوريتين وبين نظامين. فقادسي مریباح العسكري القبائلي رجل المخابرات لم توهله مسيرة السياسية لكي يكون صاحب شعبية. إنه رجل ملفات وخدمات ويحترم الشرعية القائمة، عدا عن كونه على اطلاع كامل على خفايا الامور وعلى تشابك الاجهزه وتضارب المصالح داخل السلطة وخارجها. إضافة إلى ان ليس في شخصيته أي شيء يمكن ان يقرره من الشارع الاصوالي. فهو خريج مدرسة سياسية مختلفة تماماً في تربيتها وثقافتها ونظرتها إلى الامور.

ما كادت تمضي الأشهر الصعبة على رئاسته الحكومة حتى قرر الرئيس الشاذلي، في ٩ ايلول ١٩٨٩، اعفاءه من منصبه، وعين مكانه مولود حمروش. ورفض مریباح في بادئ الامر الانصياع إلى اوامر الشاذلي، وقال إنه يعتذر إلى التواب الذين منحوه الثقة لكي يقرروا مصيره. لكنه بعد أيام عاد وقبل بالامر الواقع. ثم عاد وقال، قبل مقتله انه نادم على فعلته، وكان عليه ان يعتصم في مكتبه.

في ٢٢ آب ١٩٩٣، اغتيل قاصدي مریباح في سيارته، في الجزائر العاصمة. وقد ادانت جبهة الانقاذ الاسلامية عملية الاغتيال عبر مثليها في الخارج، لكن «الجامعة الاسلامية المسلحة» تبنتها

معظم المترددين والوسطيين والمعارضين للعنف إلى انتهاء نفس الطريق وبذلك تعاظم نفوذ الجبهة. كانت مهمة فرحات عباس، حتى ايلول ١٩٥٨، الاشراف في سويسرا، على الاعلام الخارجي جبهة التحرير، وبصفته هذه تقلل كثيراً بين معظم العواصم العربية والعالمية شارحاً القضية الجزائرية وطالباً الدعم السياسي والمادي لها. وفي آب ١٩٥٧، قبل في عضوية «لجنة التنسيق والتنفيذ» كمكافأة له على جهوده السياسية.

في ١٩ ايلول ١٩٥٨، تشكلت حكومة ثورية في المنفى عهد إليه برئاستها، واستمر في منصبه هذا حتى ٢٧ آب ١٩٦١ حيث أبعد ليحل محله يوسف بن خدة الامين العام السابق لحركة «انتصار الحريات الديمقراطية».

بعد الاستقلال عاد فرحات عباس إلى الجزائر معلنًا تأييده لبن بلة في صراعه ضد معارضيه. وفي السنة نفسها أصبح رئيساً لأول جمعية وطنية في الجزائر المستقلة. ولكن سرعان ما بدأ يعلن معارضته لسياسة الجزائر الاشتراكية والعربية، فاستقال من رئاسة الجمعية الوطنية في ١٤ آب ١٩٦٣ متهمًا بن بلة بالفاشية والتسلط. وبعد فترة قصيرة أي في نهاية ١٩٦٣ وبداية ١٩٦٤ فرضت عليه الاقامة الجبرية ولم يفرج عنه إلا في عهد الرئيس الشاذلي بن حميد. وفي ١٩٨٤، منحته الحكومة الجزائرية بمناسبة الذكرى الثلاثين للثورة «ميدالية المقاومة» (من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ج ٤، ط ١، ١٩٩٠، ص ٤٩٣-٤٩٤).

* قاصدي مریباح (١٩٩٣-): سياسي جزائري، اول رئيس للوزراء بعد التعديل الدستوري في ١٩٨٩. ارتبط اسمه بالمخابرات العسكرية في أسوأ ايامها (رئيس شعبة المخابرات إبان عهد بومدين). وعلى الرغم من الجدارة التي اظهرها في المناصب الوزارية السابقة التي احتلها

متخصصاً في علم الالكترونيات.

إن العالم الإسلامي، الذي عرف أول قطيعة داخلية إبان معركة صفين في ٦٥٩، قد توقف عن التقدم، في نظر مالك بن نبي، منذ نهاية دولة الموحدين في ١٢٦٩. فمنذ ذلك التاريخ، كفت روح الإسلام الخلاقة عن إحياء المسلمين. فقد المسلمين روح المبادرة وعاشوا على الذكريات والغنى بالماضي. كما أصبحوا فريسة سهلة للاستعمار. ولكن زادت أوروبا من حالة الفوضى التي آلت إليها مصيرهم، فلقد أرغمنهم على البحث عن طريقة عيش تناسب وشروط حياتهم الجديدة. وقد سلكوا في هذا السبيل طريقين: طريق الاصلاح وطريق الخداثة. لكن آيا من هذين التيارين لم يذهب إلى مصدر وحيه بالذات، فيما يعطي النتائج المرجوة منه، فقد ظلت الفوضى هي السائدة في صفوفهم. وتحلى هذه الفوضى في حياة المسلمين اليومية في اشكال عده، يذكر مالك بن نبي من بينها: الخضوع لقانون الصدفة، انعدام المبادرة، التعليق بالشيء لا بالفكرة، النزوح إلى «القول» لا إلى «الفعل»، الشلل على الصعيدين الخلقي والفكري.

ولكن عجزت أوروبا عن ان تثير امام المسلمين طريق التجديد، نظراً إلى أنها لم تعط العالم إلا «سديها المميز» عندما جعلت من «مشعل الحضارة شعلة محروقة»، يتعين على المسلمين أن يهتدوا بأنفسهم إلى هذا الطريق بدون ان يعزلوا أنفسهم داخل عالم ينزع إلى التوحيد، وبدون ان ينفصلوا عن حضارة مثل، رغم كل شيء، تجربة انسانية عظيمة. ويتعين عليهم، على العكس من ذلك، ان يحددوا علاقاتهم مع هذه الحضارة، وان يسعوا إلى تحقيق «اصلاح صوتي الطابع» يسمح لهم بأن يعيشوا الاسلام، الدين الكامل، بروحه الحقيقة. ويقول مالك ان تخلفهم الراهن لا يسمح لهم بأن يؤدوا دورهم على التحرر المنشود، لكن الاحساس بالقيمة الاخلاقية الذي

في بيان صادر عنها يندد بقيادة «الإنقاذ». وربطت جهات في الجزائر، وفي المنفى، عملية الاغتيال هذه بدوائر تنتهي إلى الهيئة الحاكمة بسبب صراعاتها الداخلية. وكان قاصدي مرساج رتب عملية الاتصال بقيادة «الإنقاذ» في المنفى بهدف الحث على مصالحة وطنية.

* **كريم بلقاسم (١٩٢٢-١٩٧٠):** من زعماء الثورة الجزائرية. ولد في دوار آيت بخي موسى. انضم إلى حزب الشعب الجزائري بعد ١٩٤٥ وأصبح عضواً في المنظمة السرية. حمل السلاح منذ ١٩٤٧. صدر عليه حكمان بالاعدام في ١٩٤٧ و ١٩٥٠. آيد مصالي الحاج ضد اللجنة المركزية للحزب في شباط ١٩٥٤، ثم قطع علاقاته به في ١٩٥٤، وأصبح من اعضاء قيادة جبهة التحرير في الداخل وقاداً لمنطقة القبائل. عضو لجنة التنسيق والتنفيذ. غادر الجزائر بعد معركة الجزائر (ايار ١٩٥٨)، واصبح رئيس ادارة الحرب ونائب رئيس الحكومة ووزير القوات المسلحة في الحكومة الثورية المؤقتة، ثم وزير الخارجية (١٩٦٠)، فالداخلية (١٩٦١)، ورئيس وفد جبهة التحرير إلى مفاوضات إيفيان. بعد ١٩٦٢، أصبح المعارض الرئيسي لبن بلة، فابتعد ابتداء من ١٩٦٣ عن الحياة السياسية. بعد تحيية بن بلة، عاد إلى الحياة العامة بعد حزيران ١٩٦٥ (حركة بومدين الانقلابية)، لكنه أدين بتدبير مؤامرة لاطاحة الحكم وحكم عليه غيابياً بالاعدام. اغتيل في فرانكفورت في اواخر ١٩٧٠. أعيد إليه الاعتبار في ١٩٨٤، في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد.

* **مالك بن نبي (١٩٠٥-١٩٧٣):** مفكر إسلامي جزائري، انكب على دراسة المشكلات الراهنة للعالم الإسلامي وإمكانيات تطوره في المستقبل. ولد في قسنطينة ودرس الهندسة

للاخوان المسلمين.
ولد في البليدة لأسرة حرفية، ودرس في مدرسة الارشاد التابعة لحزب الشعب الجزائري مثل الحركة الاستقلالية في الجزائر. التحق بسلك التدريس أثر الاستقلال، وحرص في الوقت نفسه على مواصلة دراسته الجامعية، وتخرج مطلع السبعينيات في كلية الآداب في جامعة الجزائر. واشتغل بالدعوة في المساجد، وكانت مظهراً من مظاهر المعارضة المقنعة لنظام الرئيس هواري بومدين،خصوصاً بعدما أكد النظام اتجاهه الاشتراكي في «الميثاق الوطني» الذي أصدره في ١٩٧٦.

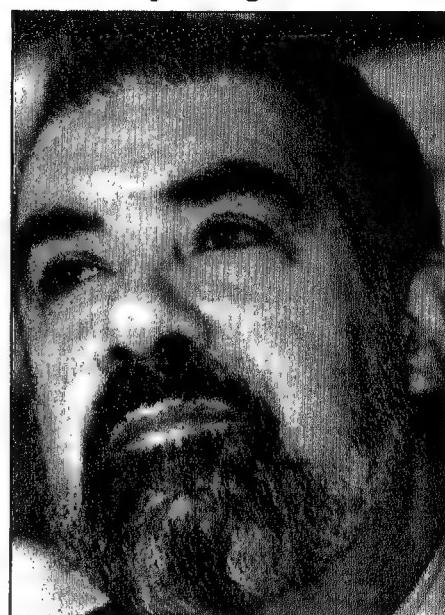
و قبل طرح مشروع الميثاق للمناقشة العامة في ايار ١٩٧٦ أصدرت ٤ شخصيات وطنية بياناً في آذار ١٩٧٦ نددت فيه باتجاه بومدين إلى تكريس النهج الاشتراكي، وهذه الشخصيات: فرجات عباس، يوسف بن خدة، الشيخ محمد خير الدين وهو من اقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحسين لحول من زعماء حزب الشعب الجزائري. وكان رد فعل بومدين على هذه الحركة عنيفاً، إذ سارع بفرض نظام الاقامة الجبرية على الاشخاص الاربعة، واصدر اوامر اعتقال اعضاء هذه الحركة، وكان ضمن المعتقلين الشيخ نخناح الذي حكمت عليه محكمة امن الدولة بالسجن ١٥ عاماً.

غير انه أفرج عنه في بداية عهد الشاذلي بن حديد ليستأنف نشاطه السري في حقل الدعوة الاسلامية. وبعد معركة عريف ١٩٨٢ في الجامعة المركزية في العاصمة والاعتقالات التي تلتها قرر اسلاميون بينهم علي بلحاج والشيخ مصطفى بويعلي اشهار السلاح في وجه السلطة. وقد عرضوا قرارهم على الشيخ نخناح فرفض مبدأ اللجوء إلى العنف السياسي باسم الدعوة الاسلامية. ومنذ ذلك الحين يواجه نخناح اتهاماً بخيانة الحركة الاسلامية المسلحة.

بقي حياً عندهم، والذي يجعلهم يقدمون الواجبات على الحقوق، قد يتبع لهم فرصة ايجاد الحلول لمشكلاتهم، بل المشكلات البشرية قاطبة. ومن هذا المنظور يكون للعالم الاسلامي الذي هو «قيد التحول»، «مستقبل».

من أهم مؤلفاته، وقد كتبت بالفرنسية: «الظاهرة القرآنية»، ١٩٤٦؛ «لبيك»، «دعوة الاسلام»، ١٩٥٤؛ «الآفاق المستقبلية الجزائرية»، ١٩٦٥؛ «مذكرات شاهد القرن»، ١٩٤٦؛ «عمل المستشرقيين»، «الاسلام والديمقراطية»، ١٩٦٨؛ «القضايا الكبرى»، ١٩٧٦ (من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ج ٥، ص ٦٨٢-٦٨٣).

* **محفوظ نخناح، الشيخ (١٩٤٢ -):**
سياسي ورجل دين جزائري، رئيس حركة «حركة المجتمع الاسلامي» (حماس) الجزائرية ومن ابرز وجوه الدعوة الاسلامية في الجزائر منذ مطلع السبعينيات. وتعد حركته امتداداً للحركة الدولية
الشيخ محفوظ نخناح.



ارغم على الاقامة الجبرية في ١٩٤٠ قبيل وفاة ابن باديس، واحتاره زملاؤه ليخلف صديقه ابن باديس على رأس جمعية العلماء الجزائريين (راجع باب معلم تاريخية). ومع اطلاق سراحه، أسس معهد ابن باديس الذي وفر تعليماً ثانوياً بالعربية لفواج من الطلبة، ونمى أكثر فأكثر تيار وعي القوميّة الأصليّة. عاد إلى المشرق، وأقام في مصر حتى حصول الجزائري على استقلالها. توفي في الجزائر العاصمة.

نذر الشيّخ الإبراهيمي حياته في سبيل بعث الثقافة العربية في بلاده، ونبذ جهالة الأولياء والدراويش، ونطق وكتب لثقافة المثل العليا.

* محمد بوظياف (١٩٩٢-١٩٩٢): من زعماء ثورة التحرير التاريخيين. بعد الاستقلال (١٩٦٢) بأقل من عام واحد، اختار لنفسه الابتعاد عن «صراعات السلطة» وقصد المغرب حيث أقام ستة قبل ان يعود إلى الجزائر رئيساً للدولة.

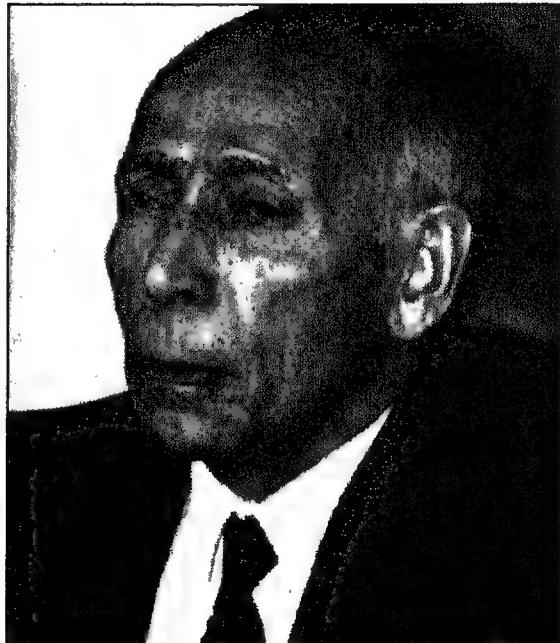
وابتعاده عن ساحة الصراع السلطوي لم يكن ابعاداً عن العمل السياسي. ولعل أفضل مرآة لفكرة خلال رحلة المنفى الطويلة، ولعمله السياسي، كان الحزب الذي انشأه باسم «جريدة الثوري» التي تقولت إلى نشرة تحمل عنوان «الجريدة» وظلت تصدر في باريس بشكل متقطع خلال النصف الثاني من السنتين وحتى منتصف السبعينيات.

كان محمد بوظياف يبني التحليل الماركسي الماوي (نسبة إلى الرؤيم الصهيوني ماو تسي تونغ) للمجتمع الجزائري، من زاوية الصراع الطبقي والرفض المطلق لكل فكر ديني. ففي العدد السادس من جريدة «الثوري» الصادر في كانون الأول ١٩٦٧، تحليل طبقي كامل للمجتمع الجزائري وهو حوم عنيف على الثلاثي فرحات عباس، أحمد بن بلة وقائد أحمد لأنهم تجرأوا

وقد تمجد الاتجاه الإسلامي للشيخ نحناح أولاً في إنشاء جمعية الارشاد والاصلاح الخيرية (١٩٨٨)، وأكتمل بها في البداية، بعد فشل محاولة إقامة جبهة اسلامية موحدة تجمع مختلف اتجاهات الدعوة الاسلامية. واسفر فشل تلك المحاولة عن اعلان الشيّخين عباسي مدنی وعلى بلحاج، قيام «الجبهة الاسلامية للإنقاذ» (أو جبهة الإنقاذ الاسلامية) في آذار ١٩٨٩.

اتجه نحناح بعد ذلك إلى الجامعة والحركة الطلابية من خلال تشجيع حركة موالية باسم «الاتحاد العام الطلابي الحر» الذي ما لبث أن أصبح من أنشط التنظيمات الطلابية على المستوى الوطني. لكن امام جنوح جبهة الإنقاذ إلى التطرف والتطاول على نحناح في معاقله التقليدية، مثل المدينة والبلدية، اضطر إلى الانسلاخ عن تأسيس حركة حماس الجزائرية نهاية ١٩٩٠. وبعد نحو سنة من انشائها شاركت حماس في الانتخابات التشريعية وحصلت على أكثر من ٣٠٠ ألف صوت دون ان تفوز بمقعد واحد. غير ان ذلك العدد من الاصوات مكّنها من احتلال المرتبة الرابعة بعد الجبهات الثلاث (الإنقاذ، التحرير، القوى الاشتراكية) متقدمة على حزب سعيد سعدي بفارق كبير. وعلاقة نحناح بجهاز الحكم جعلته يقبل المشاركة في انتخابات الرئاسة (١٩٩٥)، التي فاز بها الرئيس اليمين زروال (نيابة عن الاسلاميين (من «الوسط»، العدد ١٩٦، تاريخ ٣٠ تشرين الاول ١٩٩٥، ص ٢٨).

* محمد البشير الإبراهيمي (١٨٨٩-١٩٧١): مفكر ومصلح وعلامة وسياسي مناضل جزائري. ولد في ولاية سطيف، وتلقى على يدي عمه مكي الإبراهيمي، ثم تابع تحصيله في المشرق حيث أقام من ١٩١٢ إلى ١٩٢٠. أسس «جمعية العلماء الجزائريين» مع ابن باديس في ١٩٣١، وتعاون معه في محض حركته الاصلاحية الكبرى.



محمد بوضياف.

استمر بوضياف على مطالبه هذه بعدما وصل الشاذلي بن جديدي إلى سدة الرئاسة مطلع ١٩٧٩ ووجه خطابه الأول إلى الأمة يوم ١٥ آذار ١٩٧٩. فعلقت «الجريدة» (الناطقة بلسان بوضياف) بعد نحو عشرة أيام: «خطاب الشاذلي: لم يتغير شيء. إن هذه الرسالة إلى الأمة أقرب إلى كونها نوعاً من التوبيخ والوعظ من كونها رسالة سياسية. ان الحجج الاعلاقية التي يسوقها تزيد من طابعها الأبويء». وفي العدد نفسه مقالة عن الجيش باعتباره القوة المنظمة الوحيدة في البلاد، ودراسة حول «الثورة الزراعية» في مرحلة النزاع الأخير بعد ثانية سنوات من التطبيق الغوغائي و ١٥ حملة من التطوع الذي قاد آلاف الشباب اليساري إلى الريف، وانهارت الزراعة بشكل لم يسبق له مثيل. استمر بوضياف (وحزبه «حزب الثورة الاشتراكية») ناشطاً حتى نهاية عهد بومدين. واستمر نشاطه بشكل أضعف بعد بحريء بن جديدي إلى السلطة: وعندما رأى أن الأمور لم تتغير، كما يجب، عاد إلى معمل القرميد الذي كان يديره

وأعلنوا أن الطبقات الاجتماعية غير موجودة في الجزائر. وفي عدد نيسان ١٩٧٦ من «الجريدة»، تأيد للنداء الذي أصدره في حينه أربعة من رجالات الثورة (فرحات عباس وبين خلدة والاحوال وخير الدين) وانتقلوا فيه بشدة حكم بومدين الفردي الاستبدادي و GAMARTE المختبرة في الصحراء الغربية (أي سياسة بومدين المعادية للمغرب في شأن الصحراء). وفي اعداد لاحقة من الجريدة وبيانات لحزب الثورة الاشتراكية، نقد لامارات النظام (جبهة التحرير الوطني)، وبرنامج عام نشر في ١٩٧٨ ويختصر بخمس نقاط (تدل إلى أي مدى كان بوضياف واعياً لخطورة الازمة الجزائرية ولطرق معالجتها): حلق تيار عام في البلاد لصون الحريات واصلاح الاقتصاد واحلال المساواة ومحاربة الفساد والبطالة، حل جبهة التحرير والمنظمات التابعة لها، اطلاق حرية تأسيس الاحزاب السياسية، انتخاب جمعية وطنية تأسيسية، وتشكيل لجنة للدفاع عن الحريات الديمقراطية.

الجزائر». وتسلّم بوضياف مقاليد الامور رسمياً يوم ١٧ كانون الثاني ١٩٩٢ في أصعب ظرف مرّ على البلاد منذ استقلالها. وكان بالطبع هاجس الإرهاب وتصاعد المدّ الأصولي منه الأول (من جورج الراسي، «الحياة»، العدد ١١٧٩، تاريخ ٢٢ أيلول ١٩٩٣، ص ١٨).

بقي محمد بوضياف في السلطة رئيساً للمجلس الأعلى للدولة ١٦٦ يوماً فقط. إذ أردته رصاصات الملازم مبارك بومعرفي، المكلف فرقة حراسة الرئيس، في بيت الفنان والثقافة لمدينة عنابة ظهر يوم ٢٩ حزيران ١٩٩٢.

«نحن البشر لدينا حياة قصيرة، غداً نحن جميعاً ذاهبون للموت...»، كانت هذه من العبارات الأخيرة التي تلفظ بها بوضياف في حديثه. أما آخر كلمة فكانت «الإسلام».

حول ملابسات حادثة الاغتيال، كتب عبد الوهاب بدرخان مقالاً مطولاً («الحياة»، تيارات عدد ١٤، تاريخ ٣ تموز ١٩٩٣) أنهاء بالفقرات التالية:

عندما عاد إلى الجزائر، بعد ٢٨ سنة نفي، عاد بوضياف وحده من دون سند آخر غير شخصيته كأحد «الرجال التاريخيين». لم تكن لديه قاعدة شعبية أو سياسية، لم يكن لديه حزب أو تنظيم، فهو كان قد حلّ حزبه. أكثر من ذلك، لم يكن له اصدقاء في الحكم. لذا راح يستدعي اصدقائه القدامى الموجودين في الخارج. ويروي بعض العارفين ان اشخاصاً متورطين في اغتيال محمد عيضر، احد زعماء الثورة الجزائرية، ظهروا في جهاز حراسة بوضياف. وشكل ذلك إشارة أولى إلى عزم النافذين في الحكم على ضبط الرئيس «المستورد». لم يكن له مناصرون في جبهة التحرير، الحزب الحاكم سابقاً. لذا راح يفتح قنوات خاصة مع النافذين على قيادة الحزب. ولم يكن له تيار في الجيش، أو على الأقل في قيادته، لذا راح يفتح أيضاً قنوات مع ضباط الصف

قرب بلدة القنيطرة المغربية، وظل يتبع الوضع الجزائري عن كتب يوماً بيوم عن طريق الصحافة والزوار الذين لم ينقطعوا عن دارته المتواضعة.

عندما حدث زلزال ٢٦ كانون الأول ١٩٩١ بعد الفوز الساحق لجبهة الإنقاذ في الدورة الأولى من الانتخابات التشريعية، وبعد قرار الجيش بتعليق الدورة الثانية وإلغاء نتائج الدورة الأولى، وإقالة الشاذلي بن جديد، فاز إسم بوضياف إلى رأس أكثر من مسؤول جزائري. فقد كان منصب الرئاسة شاغراً منذ اللحظة التي اتضحت فيها ان رهان الشاذلي على الإسلاميين كان رهاناً فاشلاً.

في هذه الاجواء، عقدت الجمعية الوطنية آخر اجتماع لها في ٤ كانون الثاني ١٩٩٢ وأعلن رئيسها، بلخادم، نهاية الدورة التشريعية. وفي اليوم التالي، وقع الشاذلي على مرسوم حل الجمعية الذي ظل سراً حتى يوم استقالته. ذلك ان الجيش اراد ان يقطع الطريق على حلول بلخادم محله للفترة الانتقالية التي مدتها ٥ يوماً ظنراً للخط المفتوح بين بلخادم وجبهة الإنقاذ الإسلامية. ولم ييق سوى المجلس الدستوري لتأمين انتقال السلطة؛ لكن رئيسه، بن حبليس، رفض الامر لأن المادة التاسعة من الدستور لا تتحدث عن «استقالة» رئيس الجمهورية بل عن «وفاته» كشرط لانتقال السلطة المؤقتة إلى المجلس. وهكذا، بعد ثلاثة ايام من هذا الجدل، أي في ٧ كانون الثاني ١٩٩٢، جرى اول اتصال هاتفي بين علي هارون وبوضياف، وهو رفياً نضال منذ ما قبل ثورة التحرير. وكان هارون مكلفاً إيقاع بوضياف بقبول الحل، قبل ثلاثة ايام فقط من موعد استقالة الشاذلي التي برجهها الجيش يوم ١١ كانون الثاني (١٩٩٢). ولم يستطع الرجل التاريخي ان يقاوم حتى نهاية هذا العرض، خصوصاً عندما ضرب علي هارون على الوتر الحساس: «أنت، محمد بوضياف، أنت رأس مال سياسي، ملك الجزائر كلها، سواء أردت ذلك أم أبيت... أنت ملك

الاسلاميين. وهكذا استعدى هولاء وأولئك قبل ان يدعم موقعه، وبذلك اتسعت دائرة الخطر التي كان يتحرك فيها. وقتل بوضياف بعد ايام من تشكيل اول عملية لحزبه «التجمع الوطني» في عين موشنت.

* **محمد خيسيتي** (١٩٣٠-١٩٦٣): سياسي جزائري، اول وزير خارجية بعد الاستقلال. درس الطب في كلية مونبلييه (فرنسا). اخترط في العمل السياسي بدءاً من ١٩٥٤، من خلال إطار الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذي أصبح أمين سره، فاعتقل ولم يطلق سراحه إلا في ١٩٦٢. وقف إلى جانب بن بلة، فتولى وزارة الخارجية، فكانت له المسؤولية الأولى في تحديد سياسة الجزائر الخارجية القائمة على عدم الانحياز وعلى دعم حركات التحرر الوطني في إفريقيا، هذه السياسة التي تكرست في المؤتمر التأسيسي لمنظمة الوحدة الأفريقية المنعقد في أديس أبابا في أيار ١٩٦٣. لكن خيسيتي لم يتبنّ له حضور هذا المؤتمر، إذ اغتنم قبل ذلك بستة اسابيع وهو على عتبة الجمعية الوطنية. وقد ترأس بن بلة مائته كما حضره الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي كان وقها في زيارة رسمية للجزائر. وتولى بن بلة بنفسه وزارة الخارجية لبضعة أشهر، ثم عين في هذا المنصب عبد العزيز بوتفليقة.

* **محمد خضر** (١٩١٤-١٩٦٧): احمد قادة الثورة الجزائرية، وتزعم المكتب السياسي لجبهة التحرير بعد الاستقلال. قبل اعلان الثورة (١٩٥٤)، كان احمد مؤسسي المنظمة السرية التي مهدت للثورة، والتي ضمت بالإضافة إليه (وهو الأكبر سنًا): كريم بلقاسم، أحمد بن بلة، رباط بيطاط، محمد بوضياف وحسين آيت أحمد. وكانوا جميعهم ينتمون إلى «حركة انتصار الحريات الديمقراطية» بزعامة مصالي الحاج، إلا انهم كانوا

الثالث. وخلال اسابيع استطاع ان يرهن على ان الذين جاؤوا به ليكون رئيساً صورياً قد أخطأوا في حساباتهم، إذ كان مصمماً على ان يمارس مهمته كما تصورها. راح يتحدث على اساس انه جاء لينقذ الجزائر.

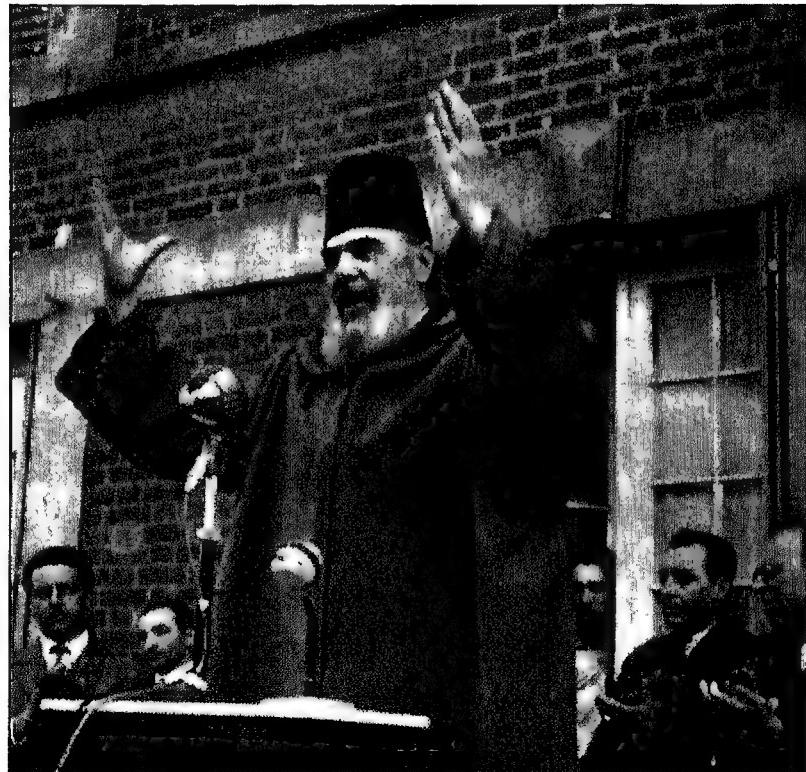
اهتم اولاً بما سماه اعادة صدقية الدولة. لم يكن يرى سبيلاً آخر إلى ذلك إلا بالقضاء على الفساد والرشوة المتفشيين في دولة يهيمن عليها العسكر. صحيح انه تحدث بالعموميات إلا انه كان يعني ما يقول، أي كان ينوي التصدي لرموز الفساد. هولاء كانوا عموماً في جهاز الحكم، وكانتوا من العسكري. إذن، وجده هولاء مصالحهم معرضة للتهديد من جانب الرئيس. لذلك فإن احتمال الاغتيال سيرد عاجلاً أم آجلاً. فالفساد، هنا، ليس حالات خاصة ومعزولة، وإنما يات اشبه بمؤسسة تضم جموعات تتبادل الخدمات والمنافع. وقد درج الجزائريون على تسميتها «المافيات». للدلالة على تنظيمها وتداخل اطرافها. هذه «المافيات» شبه الرسمية تحولت مع بوضياف إلى جمعيات المتضررين من حرية ضد الفساد.

ثم انه سعى إلى بناء قاعدة سياسية وشعبية موالية له. وعندما كان يدرك أهمية مكافحة الفساد، وعي إلى أي حد تراجع الحس الوطني، وإلى أي حد تعمقت الهوة بين الشباب (٧٥٪ من الشعب) والحكم. لأجل ذلك طرح «التجمع الوطني» كبديل سياسي التفت حوله بعض الشرائح. وما لبث ان شكل بداية لاستراتيجية استشعرت الاحزاب الأخرى -خصوصاً جبهة التحرير الوطني- خطورها. كان واضحاً انه يحاول التخلص من الجموعات الحزبية التي تصرفت كأنها وصية عليه، بتشكيل حزبه الخاص استناداً إلى تيار شعبي يبحث عن منفذ جديد يغنه عن التنظيمات الموجودة والمبنية على اقسامات وخلافات قديمة. في الوقت نفسه كان بوضياف يخوض معركة لا هوادة فيها مع جبهة الإنقاذ الإسلامية وسائر

* محمد صديق بن جيسي (١٩٣٢-١٩٨٢)؛ سياسي جزائري شارك في الثورة وفي حكومة فرحات عباس المؤقتة ١٩٥٩-١٩٦٢. رئيس الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين (١٩٥٥)، ومثله في مؤتمر باندونغ. رئيس مكتب فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة، واستمر في هذا المنصب مع يوسف بن حمدة. عين بعد الاستقلال سفيراً للجزائر في الاتحاد السوفيتي (١٩٦٥-١٩٦٥)، ثم في بريطانيا، فالامم المتحدة. وزير الاعلام (١٩٦٦-١٩٧٠)، ثم وزير التعليم العالي والبحث العلمي، ثم وزير المالية (١٩٧٧)، ثم المخاجنة حيث قام بعدة مهام ناجحة: حل مشكلة الرهائن الاميركيين في ايران (١٩٨٠)، تحسين العلاقات الجزائرية-الفرنسية. قتل في حادث طائرة غامض اثناء قيامه بوساطة لحل النزاع العراقي-الايراني.

* مصالي الحاج (١٩٩٨-١٩٧٤): عُرف ايضاً باسم وصا حاج. زعيم وطني جزائري. ولد في تلمسان في عائلة متواضعة. أنهى دراسته الابتدائية واضطر للعمل. أتمّ خدمته العسكرية الالزامية في بوردو في فرنسا بعد الحرب العالمية الاولى، ثم توجه إلى باريس حيث اشتغل عمالةً في مصنع سيارات «رينو»، ودرس في الوقت نفسه في معهد اللغات الشرقية. انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، ثم سرعان ما ابتعد عنه متهمًا إياه بالتخاذل موقف «أبوبي» و«معتال» تجاه العمال المهاجرين الجزائريين. حلف على عبد القادر حاج في قيادة حزب «نجمة ثمالي افريقيا» في حزيران ١٩٢٦ (واثمة مراجع تقول إنه-أي مصالي-هو الذي أسس هذا الحزب في ١٩٢٥). حضر مؤتمر بروكسيل ضد الامبرالية في ١٩٢٧ مع نهرو وسوكرانو وهو شيء منه. وعلى أثر صدور عدة احكام متواتلة بالسجن رحل إلى سويسرا (١٩٣٥) حيث اتصل بشريك ارسلان. دعم «الجبهة الشعبية» الحاكمة

يرفضون سياسة الحزب المعتدلة. وكان حيضر الوحيد الذي يتمتع بخبرة سياسية، إذ سبق له وكان نائباً عن الجزائر في البرلمان الفرنسي. وبعد ان كشف الفرنسيون المنظمة، عاد الزعماء الستة، الذين اطلق عليهم في ما بعد لقب «القادة التاريخيون»، وشكلوا اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي تحولت في اول تشرين الثاني ١٩٥٤ إلى «جبهة التحرير الوطني». واصبح حيضر من زعماء الخارج، فحال على بلدان كثيرة لكسب التأييد الدولي. وفي تشرين الاول ١٩٥٦، أحير الطيران الفرنسي الطائرة التي كانت تقل حيضر وبين بلة وثلاثة آخرين على الهبوط في ما كانت في طريقها من المغرب إلى تونس. وقد اعتقل قادة الجبهة في فرنسا حتى نهاية حرب التحرير. وفي ١٩٥٨، عين حيضر غيابياً وزير دولة فخررياً في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تشكلت في تونس. ولم تطلق السلطات الفرنسية سراحه إلا في آذار ١٩٦٢ بعد توقيع اتفاقية إيفيان. أيد بن بلة، فاصبح له دور اساسي في الدولة الجديدة، وشارك في مؤتمر طرابلس (ليبيا) في ١٩٦٢ الذي أكد على عيار الاشتراكية. عين أميناً عاماً للمكتب السياسي في جهة التحرير، بالإضافة إلى مسؤولياته في إعادة تنظيم الجبهة، فخسر المهاجرين بين الدعول في الجيش وعضوية الجبهة. وُخرج في تمويل الجبهة إلى حزب جماهيري. واصبح المكتب السياسي مركز القرار الرئيسي في الدولة، ما وضع حيضر في موقع القوة. لكن سرعان ما اختلف مع بن بلة، وغادر الجزائر (١٩٦٤) فاصلداً سويسرا حيث سحب ايداعات الجبهة المقدرة بـ ١٢ مليون دولار (كان حيضر أمين الصندوق أيضاً) ليستخدمة في دعم المعارضة، وفي تمويل نشاطها. فطرد من الجبهة، وحكم عليه بالإعدام غيابياً. وفي اوائل ١٩٦٧، قتل وهو في منزله في مدريد على يد أحد الجزائريين.



مصلالي الحاج.

مدة ١٦ عاماً امضى قسماً منها في الجنوب الجزائري وبرازافيل (الكونغو). افرج عنه في ١٩٤٦، وكان الافراج عنه من بين المطالب التي رفعتها اتفاقية سطيف (ايام ١٩٤٥).

بعد عروجه من السجن، أسس ورفاقه «حركة انتصار الحريات الديمقراطية» لتأخذ مكان حزب الشعب الذي ظل منوعاً (وهذه الحركة كانت تضم غالبية قادة ثورة التحرير). وقام بجولة في شرقى البلاد ووسطها فاستقبله استقبلاً ضخماً ما دفع بالسلطات الفرنسية إلى طرده من هذه المناطق وفرض الاقامة الجبرية عليه. وفازت الحركة في انتخابات مجلس الجزائر بثلث المقاعد، غير أنها عانت حتى ١٩٥٤ وانطلاقتها العمل المسلح من عدة ازمات أدت إلى اضعافها. وتمحورت الخلافات حول الاساليب الواجب اتباعها لبلوغ المدف. وعندما تأسست جبهة التحرير في ١٩٥٤، رد مصلالي بانشاء الحركة الوطنية

في فرنسا إلا انه سرعان ما ابتعد عنها بسبب سياستها الاستعمارية.

عارض سياسة المؤتمر الاسلامي التي كان يياركها الشيخ بن باديس والدكتور بن جلول وفرحات عباس والحزب الشيوعي الجزائري، ودعا الجزائريين في آب ١٩٣٦ إلى رفض ضم الجزائر إلى فرنسا. وبعد أن حلت حكومة بلم الاشراكية حزب نجمة شمال افريقيا، أسس مصلالي الحاج حزب الشعب الجزائري (١٩٣٧). فنادي الحزب الجديد باستقلال الجزائر وبالوحدة العربية، وطالب باصلاحات اقتصادية لا سيما الاصلاح الزراعي. وقد شهد نحوه سريعاً إن في الجزائر أو في اوساط العمال الجزائريين في فرنسا بحيث صار يضم عشية الحرب العالمية الثانية أكثر من ١٠ آلاف عضو. عاد إلى الجزائر في ١٩٣٧ فاعتقل وحكم عليه بالسجن مدة عامين، ثم افرج عنه ليعتقل مرة جديدة في ١٩٣٩ ويحكم عليه بالسجن والنفي

السجين: «كان عمره آنذاك حوالي الخامسة والاربعين. كان قوي البنية، قصير القامة، حسير النظر، يضع نظارات لم يتخل عنها قط. وكانت الاحاديث تطول معه إلى ما لا نهاية. كان المفدى زكريا يعيد كل شيء إلى بني يزجن، حيث ولد. كان يشعر بالشوق إلى بني يزجن بشكل مبالغ فيه. وعندما يتحدث عنها كانت عيناه تغوران بالدموع. كان المفدى زكريا يفرض فوق ذلك الاحترام. كان ذا شخصية لاذعة، وهذا الوجه الصارم للمفدى كان يعجب الجميع». كتب المفدى زكريا «من جبالنا طمع صوت الاحرار»، وألف إلهازة الجزائر التي تحكي تاريخ الشعب الجزائري في ألف بيت وبيت. وهب شعره كله لقضية الاستقلال.

* مولود هروش: راجع «عهد الشاذلي بن جديده» في النبذة التاريخية.

* نور الدين بوكرور (١٩٥٠ - ١٩٩٥): سياسي جزائري. رئيس حزب التحديد الجزائري، وكان اصغر المرشحين الرئاسيين في انتخابات ١٩٩٥. ولد في الميلية (ولاية جيجل). وبعد ثلاث سنوات من مولده قررت اسرته الانتقال إلى العاصمة حيث نشأ ودرس.

حصل بداية السبعينيات على ليسانس في العلوم المالية من جامعة الجزائر، والتحق بالقطاع المالي، وعمل في عدد من المؤسسات العمومية كان آخرها «الصندوق الوطني للادخار والاحتياط» الذي استقال منه في ١٩٨٤. وقد صادف ذلك بداية الانفتاح في الجزائر ساعدته على التوجه إلى القطاع الخاص والمساهمة في تأسيس شركة خاصة وضع في خدمتها علاقاته العملية السابقة. وبرز اعلامياً على صفحات صحيفة الجائد (وكانت الوحيدة يومئذ التي تصدر باللغة الفرنسية) التي نشرت له سلسلة مقالات مناهضة لما عرف محلياً

الجزائرية، علمًا بأن مؤسسي الجبهة كانوا كلهم أعضاء في حركته السابقة. وفشلت الحركة الوطنية في مواجهة الجبهة التي استطاعت ان تستوعب تدريجياً كل القوى السياسية الوطنية. فبدأ نجم مصالي بالانحسار أمام ظهور جيل جديد من الشباب الشوري وإزاء التفاف الجزائريين حول جبهة التحرير.

بعد توقيع اتفاقية إيفيان (١٩٦٢)، أفرج عن مصالي الحاج (كان معتقلاً لمرة جديدة أيضًا)، إلا أنه لم يعود إلى الجزائر، ومات في فرنسا في شبه عزلة.

ينتعه البعض بأنه «أب الوطنية الجزائرية» وهو الذي صمم العلم الجزائري. ظل إسمه منوعاً من التداول الرسمي طيلة ٣٠ سنة.

* المفلطي زكريا (١٩١٣ - ١٩٩٤): سياسي (من رجال ثورة التحرير) وشاعر جزائري. ولد في مدينة بني يزجن (من مدن وادي ميزاب السبع) وتلقى فيها تعليمه الابتدائي. انتقل إلى تونس وفيها بدأ نضاله السياسي حين انضم إلى حزب بحمةAFRIQUE، وسال شعره متدققاً. دخل السجن أكثر من مرة، ومنع من العودة إلى وادي ميزاب أكثر من مرة. تنقل كثيراً بين مصر وتونس والمغرب. ومات في الدار البيضاء.

كان بيته بسيطاً وقبره أكثر بساطة، موضوعاً فوقه الحيرة التي كان يستخدمها في الكتابة (من عادات أهل وادي ميزاب أن يضعوا على قبر كل ميت من أمواتهم الشيء الذي كان يحبه).

يقول الطيب فليسي (وهو صديق المفدى) زكريا، لاقى مصرعه في شوارع الجزائر على أيدي إحدى الجماعات الإسلامية المسلحة في الحرب الأهلية الدائرة) في روايته شبه التسجيلية «عنف وعنفوان» التي تحكي وقائع الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي وأصف المفدى زكريا داخل

حدوده القصوى.

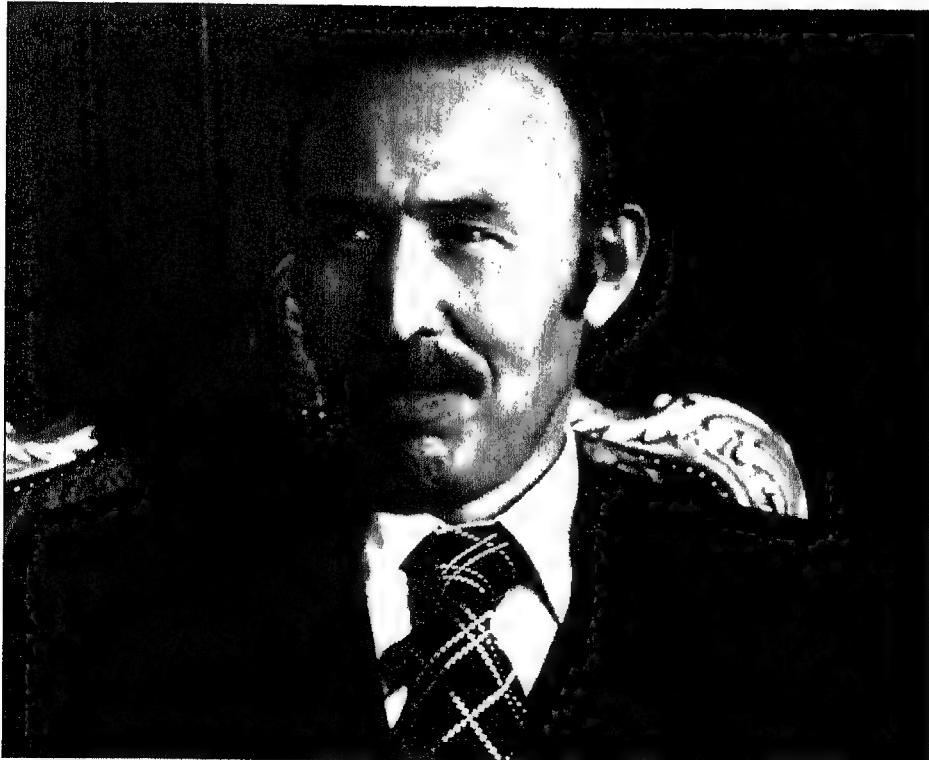
إسمه الحقيقي محمد ابراهيم بومدين. ولد في بلدة هيلوبوليس القرية من مدينة قالمة. كانت عائلته فقيرة بالكلاد يستطيع والده اطعام أولاده السبعة. دخل في السادسة من عمره المدرسة الابتدائية الفرنسية وبقي فيها ٨ سنوات (١٩٣٨ - ١٩٤٦). ولكنه تابع في الوقت نفسه دراسة الدين واللغة في مدرسة فرآنية، ما جعله في الرابعة عشرة من عمره يملك ناصية العربية امتلاكاً جيداً، فينتقل بعد ذلك من مدرسة الكانانية في قسنطينة ١٩٤٩ إلى جامعة الزيتونة في تونس ١٩٥١، ليتهي به الأمر في الأزهر الشريف بعد أشهر قليلة من بحثه جمال عبد الناصر على رأس الضباط الاحرار إلى السلطة في مصر. وسرعان ما بدأ بومدين نشاطه النضالي في القاهرة في إطار «مكتب المغرب العربي» وكان واحداً من ١٥ طالباً جزائرياً تابعوا دراسة عسكرية في المدرسة الحربية في الاسكندرية بعض الوقت.

كان دوره رئيسياً إبان الثورة وتميز بالنضال على أرض المعركة. فقد جاء في شباط ١٩٥٥ على ظهر مركب صغير يحمل أول شحنة سلاح مصرية، ورسى على شواطئ منطقة وهران غربي الجزائر حيث بدأ في تنظيم حرب العصابات متخدنا من بلدة «وجدة» المغربية الحدودية مقراً لقادته. وعرفت الجموعة العسكرية التي آزرته بـ«مجموعة وجدة». وفي هذه الائتماء اخند إسمه حديثاً هو الاسم الذي عرف به في ما بعد «هواري بومدين» تيمناً بأحد الأولياء الصالحين في القرون الوسطى وهو مدفون في جامع «سيدي بومدين» الذي يحمل اسمه والموجود في تلمسان. وأصبح في ١٩٥٧ قائداً للولاية الخامسة قبل أن يتم تعيينه على رأس أركان «جيش التحرير» في تونس أو كان «جيش الحدود» القوة الوحيدة المنظمة في البلاد عندما حصلت على استقلالها. فدخل بومدين الجزائر العاصمة يوم ٣ آب ١٩٦٢ مقدماً

بـ«اشتاكية البقرة الحلوب». وعندما أعلن النظام بدء تطبيق التعددية الحزبية كان بوكرورج جاهزاً للسباق. وكان «حزب التجديد الجزائري» من الأحزاب الأولى التي اعتمد تسجيلها صيف ١٩٨٩. ويعتبر مؤسس هذا الحزب (بوكرورج) ليبراليًا. لكنه يحاول أن يضفي على شخصيته مسحة إسلامية عصرية، بالاتساع إلى المفكر مالك بن نبي وصديقه الدكتور عبد العزيز خالدي.

خاض حزب بوكرورج معركتين انتخابيتين، الانتخابات المحلية (حزيران ١٩٩٠) وفاز في بلديتين فقط (من مجموع ١٥٤١ بلدية)، والانتخابات التشريعية (كانون الأول ١٩٩١) وحصل على ٧٦ ألف صوت (من أصل ١٣ مليون ناخب مسجل)، ما جعل منه «أكبر الأحزاب الصغيرة». ورشح بوكرورج نفسه في دائرة الجزائر الوسطى، لكنه لم يحصل على أكثر من ١٠٨ أصوات. وفي تشرين الثاني ١٩٩٤، شارك في «لقاء روما الأول» الذي ضم أهم أحزاب المعارضة، لكنه رفض المشاركة في الجولة الثانية التي اسفرت عن ابرام «العقد الوطني» في ١٣ كانون الثاني ١٩٩٥، مفضلاً اقصر طريق للمشاركة في الحكم: التحالف مع العسكر (من «الوسط»، العدد ١٩٦، تاريخ ٣٠ تشرين الأول ١٩٩٥، ص ٢٧). كان أحد المرشحين الثلاثة لرئاسة الجمهورية (تشرين الثاني ١٩٩٥) الذين فشلوا أمام الرئيس اليمين زروال.

* هواري بومدين (١٩٢٥-١٩٧٨): من زعماء ثورة التحرير التارخيين. ثاني (بعد أحمد بن بلة) رئيس للجمهورية الجزائرية. ترك أعمق البصمات على تاريخ الجزائر المستقلة. فقد كان عهده عهد بناء مؤسسات الدولة، وبروز الجزائر على الساحة الدولية كرائدة من رواد حركة عدم الانحياز. ولا شك أيضاً أنه كان الرئيس الجزائري الأكثر ثقافة دينية، والذي فتح باب الاجتهد إلى



هواري بومدين.

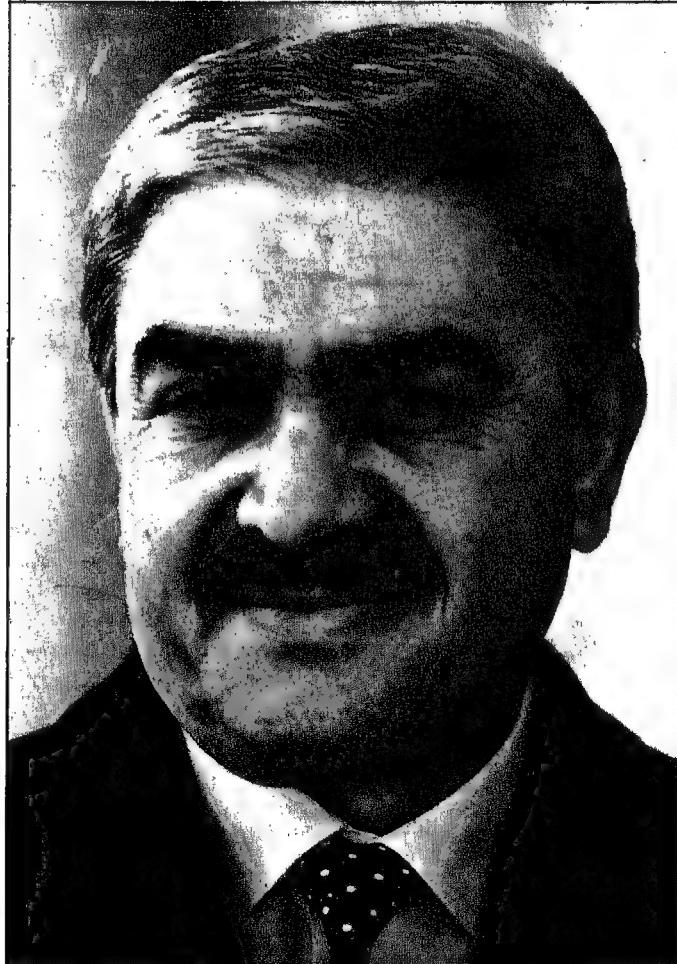
يعروفون ان وزير ماليته (إسماعيل خسروق من اصل قبائلي) لفترة طويلة كان مسيحيًا. وكانت له مواقف ملتفة بتجاه المسيحيين العرب. ففي إحدى المرات دعا بطريق طائفة الروم الكاثوليك في لبنان لزيارة الجزائر وإلقاء محاضرة عن الإسلام والمسيحية ودور المسيحيين العرب. وقدم بومدين مساعدة مالية إلى طائفة الروم الكاثوليك في لبنان، وبنيت قاعة تحمل إسمه في دار المطرانية في بيروت» (جورج الراسي، «الحياة»، العدد ١١٦٩، تاريخ ١٢ ايلول ١٩٩٣، ص ١٤).

أصيب هواري بومدين بمرض عضال اضطربه إلى التوقف عن ممارسة مهامه الرئاسية، وهو مرض نادر يصيب غالبياً الدم، وكان اكتشفعه، كما هو معروف، الطبيب السويدي فالدنشتروم. والمرض نفسه كان قضى، قبل سنوات على الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو.

دعمه لبن بلة وهو على رأس قواته.

في ١٩ حزيران ١٩٦٥، تزعم هواري بومدين انقلاباً عسكرياً ضد بن بلة، فنجاه عن رئاسة الجمهورية بعد اعتقاله، وأبعد أنصاره عن المناصب الكبرى، وكان العقيد بومدين في حينه يشغل منصب قائد جيش التحرير. وقد جاءت العملية الانقلابية نتيجة صراعات سياسية أدت لاقالة المدغري وزير الداخلية ونتيجة حلف على النهج العام للسياسة الداخلية (راجع «الجزائر بعد الاستقلال» وما يلي في باب النبذة التاريخية).

من صفات بومدين الشخصية «التقوى والورع والميل الطبيعي إلى جانب المظلومين والمغضوبين... ونظافة الكف. قال سرة لزوجته: يجب أن تدرسي، وعليك أن تعلمي لأنني لن أترك لك شيئاً. وكان اسلامه اسلاماً منفتحاً متسائلاً (راجع باب «الإسلام الجزائري»). وكثيرون لا



اليمن (الأمين) زروال.

بومدين في هيئة اركان جيش التحرير الذي توسم فيه خيراً، وتبأ له مستقبل ناجح في صفوف الجيش.

بعد الاستقلال استفاد زروال من عدة فترات (دورات) تدريبية، بعد ان تخصص في سلاح المدفعية. وتسوّج ذلك بالالتحاق بمدارس عليا في موسكو وباريس.

وابتداء من ١٩٧٥، بدأ بمحمه يلمع في سماء «الجيش الوطني الشعبي»، عندما عين مديرًا لمدرسة الاسلحة القتالية في باتنة برتبة مقدم. وهنا تعرف إلى زميل شاعت المصادرات أن تجمعهما في قيادة الجيش بعد ١٨ سنة، ولم يكن ذلك الزميل سوى الفريق محمد العماري رئيس هيئة الاركان حالياً.

والغريب ان الرئيس بومدين كان يلقب باسم «السويدي» بسبب لون بشرته وشعره الفاتح.

* **اليمن (الأمين) زروال (١٩٤١ -)**: رئيس الجمهورية الجزائرية الحالي. ولد في باتنة، عاصمة الاوراس، والتحق بشورة التحرير قبل ان يكمل الدراسة في المرحلة الاعدادية ولم يكن عمره يتجاوز ١٦ عاماً. ارسل إلى القاهرة في فترة تدريبية، التحق اثراها بقوات جيش التحرير الوطني المرابطة على الحدود التونسية-الجزائرية. واستطاع الضابط الشاب ان يثير انتباه مسؤوليه في تلك المرحلة التي سبقت استقلال الجزائر، ومن هؤلاء الرائد علي منجلي احد رفاق العقيد هواري

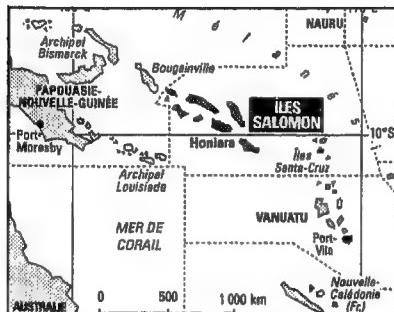
مسؤولياته إذا تقاعست (الاوساط السياسية) عن تحمل مسؤولياتها». لكنه مع ذلك قدم تصوراً لطبيعة الازمة الجزائرية وطرق معالجتها، فهي بمنظوره «سياسية ومن ثم فاحلل لا بد ان يكون سياسياً غير حوار من دون إقصاء» (من «الوسط»، العدد ١٩٦، تاريخ ٣٠ تشرين الاول ١٩٩٥).

وفي الانتخابات الرئاسية التي جرت في تشرين الثاني ١٩٩٥، فاز اليمين زرزال بها بين أربعة مرشحين اختارهم المجلس الدستوري من أصل ٢٣ راغبًا في الترشيح، وهم، إضافة إليه، نور الدين بوكروج، سعيد سعدي، ومفوظ نحناح (راجع النبذة التاريخية).

* يوسف بن خلدة (١٩١٩ -) : سياسي جزائري. ولد في البليدة في الجزائر. اشتغل صيدلياً، وحارب في صفوف الجيش الفرنسي. انضم إلى حزب الشعب في ١٩٣٩. سجن مرات عده. ساهم في تكوين الجهاز الشوري، وتنظيم جيش التحرير وجهة التحرير الوطني. لمع اسمه في عمليات حرب العصابات في جبال الأوراس. انضم إلى مجلس الثورة، وتولى الشؤون الاجتماعية في الحكومة المؤقتة الأولى (١٩٥٧)، وخرج منها (١٩٥٩)، ثم عاد ليتولى الدعاية القضية الجزائرية في الخارج. اختير رئيساً لحكومة الجزائر المؤقتة بعد تتحية فرحات عباس. عاد إلى الجزائر على رأس الحكومة بعد اعلان الاستقلال، وبقى في هذا المنصب لفترة وجيزة، ثم اوقف نشاطه السياسي.

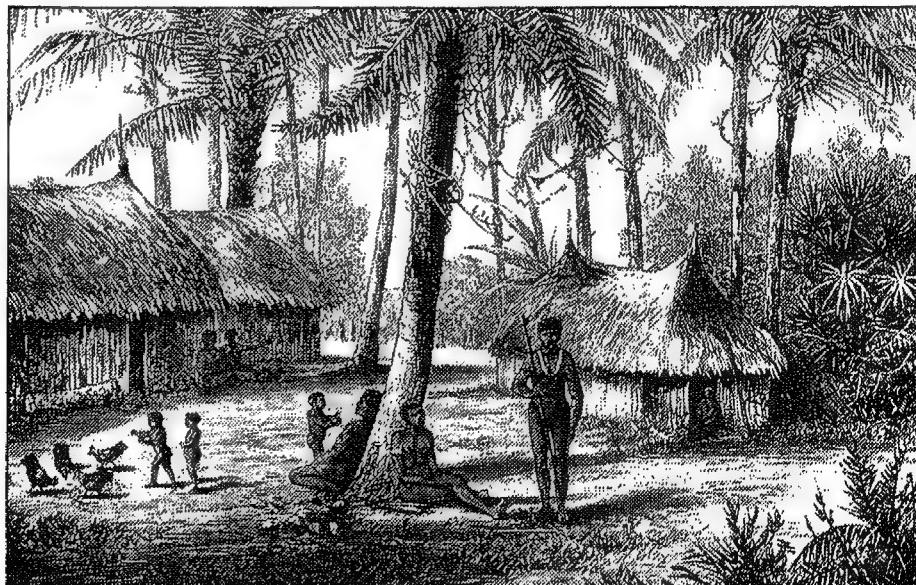
و مع الخطوات الاولى في الحياة المدنية - بعد
قضاء ٣٢ سنة في الخدمة العسكرية - فوجيء
العميد المتقدّم بتعيينه سفيراً لبلاده لدى
بوخارست، فقبل على مضمون، غير انه ما لبث ان
استقال مطلع ١٩٩١.

وفي تموز ١٩٩٣ عين زروال وزيراً للدفاع. ومع هذا التعيين بدأ الكلام على مهام سياسية له في المستقبل. وقد غذى هذا المنحى تصريحات زروال، أثناء توليه وزارة الدفاع، التي كانت تحمل مؤشرات واضحة إلى ذلك الاتجاه، قبل عملية التكريس الأولى في ختام أعمال «ندوة الرفاق الوطني» التي انتهت بتعيينه رئيساً للدولة في ٣٠ كانون الثاني ١٩٩٤. إذ حذر الساحة السياسية غداة تكليفه «بنية الحوار الوطني» في تشرين الأول ١٩٩٣ من «استعداد الجيش لتحمل



جزر سليمان

صورة من
حياة سكان
الريف في
جزر سليمان.



نظرة عامة

جيльт، و ١٪ من أوروبا. لغتهم الرسمية الانكليزية. وهناك ٩٧ لغة قبائلية محلية. نحو ٩٥٪ يعتنقون المسيحية، وهم موزعون بين بروتستانت وكاثوليك.

الحكم: نظام الحكم ملكي. وجزر سليمان عضو في الكومنولث البريطاني. الدستور العمل به صادر في ٧ تموز ١٩٧٨. رئيس الدولة الملكة البريطانية إليزابيث الثانية، والحاكم الحالي (من ٢١ حزيران ١٩٨٨) هو السير جورج لينينغ. رئيس الوزراء (منتخب من أعضاء البرلمان) وهو فرنسيس بيلي هيلي. البرلمان من ٤٧ عضواً منتخبًا لمدة أربعة أعوام.

الموقع والمساحة: أرخبيل واقع شرقياً ببابوا-غينيا الجديدة، يتكون من ٩٩٢ جزيرة مت坦رة على خط يبلغ طوله ١٥٠٠ كيلم. مساحتها الإجمالية ٢٨٥٣٠ كيلم م..

السكان: يبلغ تعدادهم نحو ٣٥٠ ألف نسمة، وغالبيتهم تسكن الجزر السبعة الكبار: ماكيرا، ماليتا، سانتا إيزابيل، جورجيا الجديدة، شوازرو، غوادلكتنال. في هذه الجزيرة الأخيرة (غوادلكتنال) تقع العاصمة هونيارا التي تعد نحو ٣٥ ألف نسمة.

غالبيتهم الساحقة من أصل مالينزي (٩٤٪)، وهناك ٤٪ من بولينيزيا، و ١٪ من جزر

لهذا الارخبيل (جزر سليمان) أهمية استراتيجية باللغة كونه يقع على طريق أوستراليا- الولايات المتحدة الاميركية.

جزر سليمان اليوم: من جان شيسنو، استاذ في جامعة باريس-٧ والختصاري في شؤون الباسيفيك، هذه المقطفات («لوموند ديلوماتيك»، عدد آذار ١٩٩٤، ص ٢٢-٢٣):

هل خسر اليابانيون فعلاً معركة غوادلكتنال منذ نحو نصف قرن؟ إنهم اليوم يعودون بقوة إلى هذه الجزيرة التي تحضن عاصمة جزر سليمان. لقد اعادوا بناء الجسر الذي يربط المطار، ووقعوا على عقد بناء مبني البرلمان رغم أن الولايات المتحدة تبرعت بتمويله حفظاً لجميل الارخبيل للدور الاستراتيجي الذي لعبه في الحرب العالمية الثانية. والشركة اليابانية «كيتانو» التي تشغل مبني ضخماً في العاصمة، هونيارا، تتكلف بتجهيز هذه المشاريع. وسفارة اليابان خلية نحل، وتقدم احياناً مختلف المساعدات والاعانات للسكان، وإن كانت المنظمات غير الحكومية في البلاد اشارت إلى ان الاذرية المضادة للمalaria التي وزعتها السفارة مؤخراً كانت غير صالحة لجهة مرور الوقت عليها.

منذ نحو حسين عاماً، وبين آب ١٩٤٢ وشباط ١٩٤٣، جرت معركة غوادلكتنال، بين الاميركيين واليابانيين، ولقت بـ«ستالينغراد الباسيفيك» لفظاعة خسائرها البشرية ولنتائجها المصيرية: خليج غوادلكتنال تحول إلى مقبرة مجرية حقيقة، إذ

الاقتصاد: الفاكهة الاستوائية، الخضار، الدجاج والسمك في أساس المواد الغذائية للسكان. وأهم ثروة إقتصادية هي الكوبرا (جوز الكوكو المحفف). تصدر البلاد الخشب وبعض المنتجات اليدوية. وهناك مناجم للبوكسيت والفوسفات والقليل من الذهب.

٧٤٪ من اليد العاملة يعملون في الزراعة، ١٪ في المناجم، ٥٪ في الصناعة و٢٠٪ في الخدمات. متوسط المساعدة السنوية التي تتلقاها جزر سليمان ٢٠ مليون دولار.

بلدة تاريخية: في ١٥٦٨، اكتشفها ووصل إليها الاميرال الاسباراني ألفارو در مندينا. لكن جزر سليمان بقيت معزولة حتى ١٨٨٥ عندما غزتها ألمانيا. توصلت بريطانيا إلى جعل الجزر الجنوبية منها محمية بريطانية ابتداء من ١٨٩٣، واستمرت ألمانيا تطالب بالجزر الشمالية. بعد الحرب العالمية الأولى، انتقلت بعض الجزر الشمالية لتصبح من المقاطعات الاوسترالية. في ١٩٤٢، احتلتها اليابان. لكن في شهر آب (١٩٤٢)، أتم الجيش الاميركي انساله عليها إثر معركة غوادلكتنال. في ١٩٦٠، أنشيء مجلس تنفيذي، وأخر تشرعي. في ١٩٧٣، جرت انتخابات، وأصبح على أثرها سليمان مامالوني، زعيم الحزب الشعبي التقديمي، رئيساً للوزراء. في ١٩٧٥، أحرق بعض الجزر ببابوا-غينيا الجديدة. وفي أول كانون الثاني ١٩٧٦، منحت البلاد استقلالاً ذاتياً. وفي ٧ تموز ١٩٧٨، نالت استقلالها التام. في آخر ايلول ١٩٨١، عاد إلى السلطة سليمان مامالوني خلفاً لبيتر كينيلوريا الذي فشل في نيل ثقة البرلمان.

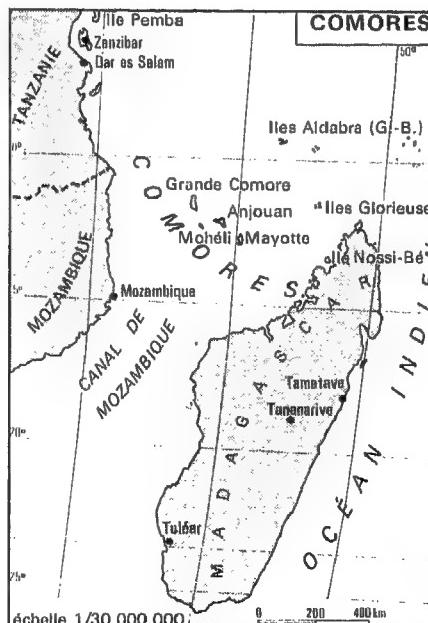
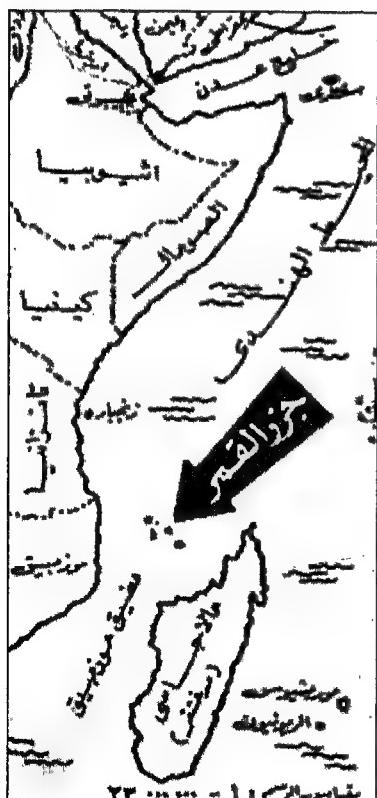
ضم ستة احزاب صغيرة معارضة، أهمها حزب العمال الذي تدعمه النقابات. وأولى المهمات التي تقع على عاتق رئيس الوزراء الجديد مراقبة وتقنين عمليات قطع اشجار الغابات التي تقوم بها شركات كبيرة (يابانية خاصة). والغابات هي أهم ثروات البلاد، وهي التي تأتي بالعملات الصعبة. وقد باشرت الحكومة، فور تأليفها، بالحد من هذه العمليات من حيث كمية الاشجار المسماوح بقطعها، ومن حيث إجبار الشركات على إجراء تصنيع لجزء من الكمية المقطوعة في مكانها بدلاً من شحن الكمية كلها وتصديرها إلى الخارج بحالتها الخام. وسيق لحكومة جزر سليمان ان نجحت في تطبيق إجراء مماثل في ١٩٨٤، عندما فتشت الشرطة سفينة اميركية لصيد سمك الطون (سفينة جانيت-ديانا) كانت تعمل في البحر الاقليمي الخاضع لسيادة جزر سليمان، واضطربت الولايات المتحدة، بعدها، ان تدفع كامل التعويض المتوجب عليها مقررونا بالاعتذار.

غرقت فيه أكثر من ٥٠ بارجة حربية اميركية ويابانية، وعلى البر تكدرست أكثر من ٤ ألف جثة أكثريتها لليابانيين الذين استبسوا ضد الاميركيين قبل ان ينتصر هؤلاء عليهم. وجاء دخول الاميركيين، بتجهيزاتهم المتقدمة، ليعرف العالم على هذه الجزر المعزولة، وليفتح الباب أمام بعض المساعدات الدولية لها.

لا يزال سكان جزر سليمان يحتفظون بنمط عيشهم الريفي. هذا النمط الذي لم يغب بعد، لا على وجوه ولا في عادات الذين يتزدرون على الشارع الرئيسي (شارع ميندانان) في العاصمة هونيارا.

في آب ١٩٩٢، عصفت ازمة حكومية بالحياة السياسية في البلاد بين إثنين من قادتها، سبق لهما وسيطرا على هذه الحياة مدة ١٥ عاماً: كينيلوريا ومامالوني. وكانت النتيجة ان انتخب البرلمان (٤٧ عضواً) رئيساً جديداً للوزراء هو فرنسيس بيلي هيلي خلفاً لمامالوني الذي اتهم بالفساد والرشوة. وجاء ذلك عقب التلاف

جزر القمر



بطاقة تعريف

الاسم: جمهورية جزر القمر الإسلامية الفدرالية.
أما. تسمية «قمر» (بضم القاف، على عكس ما هو متداول) تعود إلى القرن الثامن حيث هبط على ساحل هذه الجزر بعض من الرحالة العرب العاقدة أصولهم إلى عدن ومسقط وحضرموت، ولأن القمر كان بدرًا فقد أسموها «القمر»، وأخذ الأوروبيون الاسم في ما بعد، فأطلقوا على هذه الجزر اسم «كومور» أو «كوموروس». وهناك إسم آخر أطلقه البحارة على الأربع: «جزر العطور» لكثره النباتات والزهور العطرية المنتشرة في أرجاء الجزر الأربع.
الموقع: تقع جزر القمر في مضيق موزمبيق بين مدغشقر والساحل الأفريقي، وتضم أربع جزر رئيسية وعدداً كبيراً من الجزر المرجانية الصغيرة.
المساحة: ٢٢٣٦ كيلومتر مربع.
العاصمة: موروني. وأهم المدن: موتسامودو، فوميوني.
اللغة: العربية والفرنسية (رسميتان). وهناك اللغة «القمريّة» التي تتكلّمها غالبية السكان وهي مزيج من السواحلية والعربية.
الجزر الأربع جمهورية القمر
- هنزوان: ويسمىها الأوروبيون إيجوان. إنها الجزيرة المعطرة، عدد سكانها نحو ١٧٥ ألف نسمة. مساحتها ٤٢٤ كيلومتر مربع. أشهر مدنها موتسامودو، دوموني. فيها عدد كبير من شلالات الماء.
- القمر الكبّرى: ويطلق عليها العرب إسم «أنجارىحة». طولها ٧٠ كيلومتر وعرضها ٣٤ كيلومتر. عدد سكانها نحو ٢٢٥ ألف نسمة. فيها بركان كارتالا الشائر. وأشهر مدنها موروني

ارجحيل القمر جزءه الثلاث التي تمتد عليها السيادة القمرية، بسبببقاء الجزيرة الرابعة (مايوته) تحت السيطرة الفرنسية، جمهورية تتمتع بحكم فدرالي حيث تحظى كل من الجزر بتنوع من الادارة الذاتية في القضايا التي لا تتعلق بالمؤسسات الفدرالية، وهي الرئاسة والمجلس الحكم والمجلس الفدرالي والمحكمة العليا. يتっぽب رئيس الجمهورية لمدة ست سنوات بالاقتراع المباشر، ولا يحق له الاستمرار في الحكم لأكثر من ثلات دورات رئاسية. يعين رئيس مجلس الوزراء، ويقوم بتسمية حاكم كل جزيرة والحاكم يمارس صلاحياته لمدة خمس سنوات. أما المجلس الفدرالي فيتشكل من اعضاء ينتخبون مباشرة ولددة خمس سنوات ولا يحق للناخب الاقتراع لغير مرشح واحد. ويعقد المجلس دورتين في السنة لمدة لا تزيد عن ٤٥ يوماً.

انضمت جزر القمر للامم المتحدة في ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٥، وللمنظمة الاسلامية في ١٩٧٦، ولل-league العربية في ٢٠ ايلول ١٩٩٣. وثمة «معاهدة تعاون ودفاع عسكري» مع فرنسا منذ ١٩٧٨.

الاحزاب: أعطى دستور ١٩٧٨ المواطنين حق ممارسة النشاط السياسي ضمن احزاب. وسحب دستور ١٩٧٩ هذا الحق كاملاً حين ارسى نظام حكم الحزب الواحد، وذلك حتى ١٩٩١ عندما جاء إلى الحكم محمد جوهر، فأعاد الحياة الديمقراطية، وبدأت الاحزاب السياسية ممارسة نشاطاتها وشارك بعضها في حكومات ائتلافية في عهد جوهر، وهذه الاحزاب:- حزب الاصحوة والوحدة (تشوما) ويمارس نشاطه في موروني بقيادة الامير سعيد علي كمال. - الجبهة الديمقراطية، ومقر قيادتها موروني ويترعها سعيد الشيخ. - الحركة الديمقراطية الشعبية، وزعيمها عباس جوسوف. - الحركة من اجل التحديد والعمل الديمقراطي (موراد)،

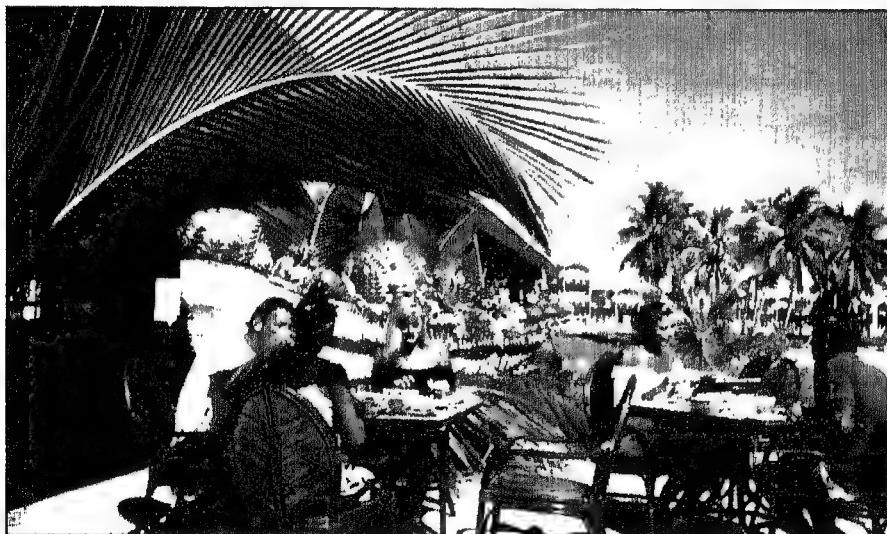
عاصمة البلاد. وميساميهمولي، وإيكوني، وفمبوني.

- مايوته أو ماهوري، ويسمىها الاوروبيون مايوت. أقرب الجزر إلى مدغشقر. مساحتها ٣٧٤ كيلم م.. عدد سكانها نحو ٤ ألف نسمة. تضم سهلاً خصباً كان مزروعاً بقصب السكر؛ أشهر مدنها: زاوي التي كانت عاصمة البلاد حتى ١٩٦٦، وماموتزو، وشنجدني. هذه الجزيرة لا تزال مخاضعة للنفوذ الفرنسي. في اتفاقية التعاون العسكري والاقتصادي التي وقعت بين جزر القمر وفرنسا في ١٩٧٨ تباهلت الدولتان مصدر جزيرة مايوته التي تسيطر عليها قوات فرنسية وتشرف عليها إدارة ذاتية مؤيدة. وفي ١٩٩١، صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة (١١٥ صوتاً وامتناع ٣٤) لصالح شكوى تقدمت بها جزر القمر بشأن الاعتراف لها بالسيادة على مايوته. وكانت فرنسا الدولة الوحيدة التي عارضت القرار.

- موالي: يسمىها الاوروبيون مهيلي، الجزيرة الخضراء، وهي أصغر الجزر، ٢٩٠ كيلم م، وعدد سكانها نحو ٢٢ ألف نسمة. يجوارها ٨ جزر صغيرة غير مأهولة. أشهر مدنها: فمبوني، ونيوماشوا.

السكان: يبلغ تعدادهم نحو ٧٥٠ ألف نسمة (تقديرات ١٩٩٦). خليط إثني تغلب عليه القسمات العربية. فمعظمهم من أصول يمنية وحضرمية وعمانية. وهناك نسب أقل من الملاويين والمالماغاش (مدغشقر) والافارقة والهنود الاسماعيلية. ولأنهم في جملتهم مسلمون فقد تزاوجوا وأمتنعوا عناصرهم لتكون شعوباً مسلماً تغلب عليه السمة العربية باضافات افريقية وآسيوية. وهناك أقلية قليلة من البيض (كاثوليك).

الحكم: جمهورية اسلامية فدرالية. الدستور المعول به صادر في ٧ حزيران ١٩٩٢. يكون



قطاع سياحي مزدهر ينتظر جزر القمر.

وهي تقتصر على مناجم البوزولان (نوع من الصخور البركانية الأصل الضاربة إلى الحمرة). متوسط الانتاج السنوي من السمك نحو ربع مليون طن سنويًا، خاصة من سمك التونة، لا يستهلك منها إلا ٦ إلى ٧ أطنان لحاجة سكان الجزر. ويعيش على شواطئ جزر القمر، دون غيره من شواطئ العالم، نوع نادر جدًا من السمك يقال له «سليكانت» (يلغ وزن السمكة الواحدة ٤٠-٣٠ كيلوغرامًا) وهو الذي اندثر منذ آلاف السنين ولم يبق منها إلا القليل النادر. واصطياد واحد منها، إذا أمكن ذلك، يعني مليون فرنك قمري تدفعها معاهد البحوث المعنية بالبحار والأسماك في أميركا أو فرنسا أو اليابان. أما السياحة، فهي في غزو مطرد، وتعمل الشركات السياحية حالياً على بناء فنادق جديدة وإنفاق ملايين الدولارات «لأن مستقبلاً زاهياً ينتظر جزر القمر» لطيب الاقامة فيها بسبب عزلتها ومتناخها، وما توفره شواطئها من شروط مثلى لمحظوظ الرياضيات المائية. فأكير معهد للتدریب على الرياضيات المائية في المحيط الهندي يتخذ من فندق في جزر

وتأسست في ١٩٩٠، وأبرز أهدافها تطوير الاقتصاد والتجارة. - الاتحاد العارض. - الحزب القمري للديمقراطية والتقدم. - الحزب الاشتراكي القمري (باسوك). - التجمع من أجل الديمقراطي والتغيير (رشاد)، أسسه عضوان انشقا عن حركة «الاتحاد القمريين من أجل التقدم»، وهما سيد علي يوسف وسيد حسن سيد هاشم. - الاتحاد القمريين من أجل التقدم، وتزعمه سيد محمد جوهر. - الاتحاد الوطني الديمقراطي من أجل القمريين. - الاتحاد من أجل جمهورية ديمقراطية للقمريين، تأسس في ١٩٩٠ برئاسة موازوار عبد الله.

الاقتصاد: ٦٥٪ من اليد العاملة القمرية تعمل في الزراعة، و٥٪ في الصناعات، و٣٠٪ في الخدمات. على رأس الدول التي تقدم لها المساعدة الاقتصادية والمالية فرنسا وجنوب إفريقيا.

٤٢٪ من أراضيها مستغلة زراعياً، وتزرع خاصة بالموه والمانيوك، وجوز الكوكسو، والارز، والبطاطا الحلوة، والذرة، والخضار، والفاكهه. تقاد الثروة المنجمية ان تكون معدومة لديها،

إلا بعد عشرين عاماً حيث تعطى ازهاراً تأخذها فرنسا لتصنع منها أنواع العطور (وهنا ربما يكمن «سر العطور الباريسية») وبعض المستحضرات الصيدلانية لطب الاسنان، كما تستخدم لتعطير الأطعمة. وجزر القمر، كانت ولا تزال، مصدراً للزهور والباتات التي تستقطر منها باريس أفضل عطورها. ولهذا السبب، على الأرجح، لا تزال باريس متمسكة بنفوذها في جزيرة مايوت (مايوته) وتختضنها لسيطرتها. وهي جزيرة محاطة بسلاسل من الشعب المرجانية على مدار ساحلها وتعتبر من أفضل البيئات البحرية في العالم.

القمر مقرّاً له، ويقدم جميع النشاطات والتدريبات التي يحتاجها الراغبون في تعلم مهارات الصيد البحري والغوص ويصدر شهادات معترفاً بها دولياً للمتخرجين منه. وفي المعهد ٥٦ مدرّباً، ٤٢ منهم من جزر القمر نفسها و١٤ من السويد وبلجيكا وجنوب إفريقيا وكندا وزيمبابوي.

وثمة قطاع إقتصادي في البلاد يتمثل بوجود نباتات فريدة في العالم وذات مردود إقتصادي مهم، ويتمثل بوجود غابات كثيفة من شجر قرنفل الشكل، الشجرة منه لا تبلغ سن النضج

ذرى العصر الذهبي لل المسلمين) ان يسيطروا على حركة التبادل في المنطقة، وان يفرضوا نقدهم (الدينار). فهبط على ساحل هذه الجزر بعض من الرحالة العرب العائدة اصواتهم إلى عدن ومسقط وحضرموت. ومع استباب التفود العربي الإسلامي في هذا الارخبيل صارت كل جزيرة يحكمها سلطان عربي مسلم يبقى على صلات متينة بينه وبين بلده الأصلي.

أما البرتغاليون فلم يكتشفوا جزر القمر إلا في بداية القرن السادس عشر، ولم يبقوا فيها مدة طويلة، فمضوا عنها، فعاد حكم السلاطين المسلمين إلى جزر القمر في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وعرفت

نبذة تاريخية

في التاريخ القديم والوسطى: يعتقد بعض المؤرخين ان سوداً من قبل البانتو كانوا أول القادمين إلى جزر القمر. وقبيل العهد المسيحي جاء الجزر عدد من المالغاشيين القادمين من أندونيسيا. وابتداء من القرن الخامس، ومع الحركة التجارية الناشطة بين آسيا وأفريقيا الشرقية، سكن جزر القمر ملاحة أندونيسيون، وهنود، وفرس (شيراز) وصينيون. واستطاع العرب (بدءاً من القرن السابع، ثم القرن الثامن، على وجه الخصوص، الذي شكل إحدى

فومبوني (القمر الكبير) عام ١٨٨٤ فأسرعت فرنسا ووضعت جزيرة موالى وهنزوون وجزيرة القمر الكبير تحت وصايتها عام ١٨٨٦، فضلاً عن جزيرة مايوته.

استطاع عالم النبات الفرنسي، ليون همبلو، ان يصبح أكبر ملاك أراضي في جزيرة القمر الكبير، وسيطرت شركته إلى حد بعيد، على الحياة الاقتصادية المحلية، وتوصل، بدعم من الادارة الفرنسية لأن يجبر سعيد علي، آخر سلطنة الجزيرة، على التناحي لمصلحة فرنسا في ١٩٠٩. وفي ١٩١٤، أصبحت الجزر رسمياً مستعمرة فرنسية بعد احاقها بالحكومة العامة في مدغشقر وإبعادها عن الادارة المركزية في تananarive، فقدت أهميتها السياسية في فترة ما بين الحربين العالميتين، ولكنها حافظت على أهميتها الاقتصادية في نظر الشركات الأوروبية.

في التاريخ المعاصر: بعد انضمام مدغشقر إلى حكومة فيشي، احتلت بريطانيا جزر القمر وأقامت عليها قاعدة بحرية. وبعد انتصار الحلفاء، استرجعت فرنسا الجزر وطبقت عليها نظام الأقاليم الفرنسي ما وراء البحار ضمن الاتحاد الفرنسي (١٩٤٦). وقد بدأ ان القمريين اكتفوا بما قدمه لهم قانون دفير (Defferre) - ١٩٥٦ - من حريات لأنهم رفضوا الاستقلال في الاستفتاء الذي جرى في تشرين الاول ١٩٥٨ متمسكون بنظام الاتحاد الفرنسي (الأقاليم الفرنسية ما وراء

المدن المنتشرة على سواحل الجزر، والمحصنة، نزاعات وحروباً في ما بينها قادها الأسياد العرب، فسمّي هذا العهد بعهد «السلاطين المغاربين». وكانت جزيرة هنزوون (أنجوان) المعروفة بزراعاتها الغذائية أكثر جزر الارخبيل التي كان يقصدها الملاحون الفرنسيون والإنكليز والهولنديون طيلة القرن السادس عشر ويتخذون منها محطة في طريقهم إلى الهند عبر قناة موزمبيق، فعرفت لذلك باسم «لولوة جزر القمر».

في التاريخ الحديث: في اواخر القرن الثامن عشر قام المال枷ش بغزوات عديدة على جزر القمر. وقد بدأ القرصنة الأوروبيون باستخدام الجزر كقاعدة لعملياتهم في المحيط الهندي، ونفذ إليها نابوليون عدداً من معارضيه العاقبة (les Jacobins) . ولم يمض الثالث الاول من القرن التاسع عشر حتى كانت جزيرتا موالى ومايوته في قبضة المال枷ش.

استفاد الأوروبيون من الصراعات التي كانت تعصف بين حكام جزر القمر المحليين. وكانت فرنسا اول بلد اوروبي يضع اقدامه هناك عندما وقعت معاهدة مع حاكم جزيرة مايوته في ١٠ شباط ١٨٤٣ إلا ان توسعها في المنطقة أوقفه الانكليز الذين فتحوا قنصلية لهم في جزيرة هنزوون (أنجوان)، ووضع جزيرة موالى (موهيلي) وجزيرة القمر الكبير تحت حماية زنجبار.

وبعد فتح قناة السويس، قلللت انكلترا من اهتمامها بجزر القمر، ما فسح المجال أمام ألمانيا لأن ترفع علمها في

الحصول على الاستقلال في مدة أقصاها خمس سنوات. وفي ٢٢ كانون الاول ١٩٧٤، جرى استفتاء للسكان اعلنوا، من خلاله، وبما يشبه الاجماع (عندهم نسبة من سكان جزيرة مايوته) تأييدهم للاستقلال. فحاولت فرنسا ان تعطل نتائج الاستفتاء بثارة رغبة جزيرة مايوته البقاء تحت الراية الفرنسية. فلجمًا أحمد عبد الله إلى إعلان استقلال جزر القمر من جانب واحد في ٧ تموز ١٩٧٥. واكتفت فرنسا آنذاك بالابقاء على سيطرتها الادارية والعسكرية على مايوته.

أحمد عبد الله وعلى صوبلح: لم يك أحمد عبد الله يمسك بزمام السلطة حتى اطاحه انقلاب ٣ آب ١٩٧٥ الذي جاء بزعيم «الجبهة الموحدة» علي صوبلح (صالح) على رأس السلطة. مساعدة من الامير سعيد محمد جعفر والمرتزق بوب دونار. وسرعان ما انفجرت في وجه صوبلح الازمات الاقتصادية فضلا عن مسألة اعادة جزيرة مايوته إلى المظيرة الوطنية. فلحجأت الحكومة إلى طلب المساعدات من المنظمات الدولية، والجامعة العربية (وكانت الحكومة القمرية قدّمت طلبًا بالانضمام إليها)، والدول الاوروبية، والدول العربية النفطية. ولما لم تنفع هذه النداءات، فرض علىي صوبلح برنامجًا اقتصاديًّا وتقشفائيًّا، كما دفع الشباب إلى نوع من «ثورة ثقافية»، على الطريقة الصينية أو الكمبودية، رفضت التقاليد الاسلامية برمتها.

البحار). إلا ان اصلاحًا دستوريًا جرى في ١٩٦١ أعطى القمريين قدرًا كبيرًا من الحكم الذاتي، إذأخذت الجمعية العمومية والحكومة المحليتان تديران هامشًا واسعًا من شؤون البلاد مع احتفاظ المفروض السامي الفرنسي بوضع اليد على شؤون الدفاع والخارجية والعدل. كما أتيح المجال أمام القمريين لأن يرسلوا ممثلين عنهم (نائبان وشيخان) إلى البرلمان الفرنسي. وجاء اصلاح ١٩٦٨ ليدعم الحكم الذاتي للبلاد.

الاستقلال: بدأت مرحلة من عدم الاستقرار في الحياة السياسية القمرية بعد وفاة رئيس مجلس الوزراء سعيد محمد الشيخ في آذار ١٩٧٠. وكانت مسائل الاستقلال والعلاقات مع باريس والنظام الأساسي الداخلي هي المواضيع الرئيسية للنزاع الداخلي. ففي حزيران ١٩٧٢، اضطرب الامير سعيد ابراهيم، المعروف بتعلقه بالسياسة الفرنسية، على الاستقالة، وكان جاء مباشرة خلفاً لسعيد محمد الشيخ. في ٣ كانون الاول ١٩٧٢، جرت الانتخابات التشريعية فازت بها أكثرية عاملة من أجل الاستقلال (حزب الاتحاد الديمقراطي القمري، وحزب التجمع الديمقراطي للشعب القمري). إلا ان جزيرة مايوته أعلنت، بخلاف الجزر الأخرى، عن رغبتها الابقاء على النظام نفسه الذي يربطها بفرنسا. وتمكن الرئيس المنتخب، أحمد عبد الله، بمحادثاته مع باريس، إنقاذ وحدة الجزر إلى حد بعيد. ووقع في باريس، في ١٥ حزيران ١٩٧٣، اتفاقاً ينص على



أحمد عبد الله.

في الشهر نفسه، وبقي عبد الله رئيساً للبلاد، ثم مددت صلاحياته الرئاسية لست سنوات في انتخابات أجريت في ١٩٨٤ وكان المرشح الوحيد لها رسمياً، وكان حزبه الحزب الحاكم الوحيد.

وخلال زيارة خاصة قام بها إلى باريس في ١٩٨٥، تعرض حكم عبد الله الانقلاب قاده الحرس الرئاسي بالتعاون مع قوى معارضة بينها السكرتير العام للجبهة الديمقراطية المعارضة الخاضورة والذي أودع السجن مع ١٧ آخرين. وفي محاولة منه لإرضاء معارضيه، أعلن عبد الله في شباط ١٩٨٧ عن إجراء انتخابات مجلسي فدرالي

منذ ذلك الحين حالت فرنسا (التي لم تكن قد اعترفت باستقلال الجزر القمرية الثلاث، مبقة على قواتها العسكرية وعلى سيطرتها على جزيرة مايوته) دون تطوير اوضاع الجزر ومنعت عنها جميع المساعدات بما فيها الاقتصادية والتقنية. وفي كانون الثاني ١٩٧٦، انتخب علي صوبيلح رئيساً للدولة، ومنحه الدستور صلاحيات اضافية. لكنه تعرض لمحاولتي انقلاب. فاحبط الاولى (١٩٧٦) لكن الثانية والتي قامت بها مجموعة من المرتزقة تضم ٥٠ شخصاً في ايار ١٩٧٨ بقيادة بوب دونار بمحبت، وقتل صوبيلح أثناءها، وأعيد أحمد عبد الله

خطبة سلمية عُرضت عليه ليغادر. موجبهما البلاد مع مؤيديه. وقد تم ذلك في أواسط كانون الأول ١٩٨٩ حيث غادر دونار على متنه طائرة عسكرية تابعة لجنوب إفريقيا.

بعد رحيل القوات المرتزقة، أعلن سيد محمد جوهر عن الحاجة إلى بقاء القوات الفرنسية لمدة قد تزيد على عامين تتولى في أثنائها تدريب قوات أمنية محلية. واعقب ذلك اتخاذ جوهر خطوة انفراجية واسعة نحو جميع الأحزاب السياسية في البلاد حين دعا إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية وافقت عليها جميع الأحزاب. وفي ظل هذه التطورات أعلن جوهر عن الإفراج عن جميع السجناء السياسيين. كما تقرر إجراء انتخابات في كانون الثاني ١٩٩٠ تنهي نظام حكم الحزب الواحد الذي كان ارساه سلفه عبد الله.

غير أن حكومة جوهر أرجأت موعد الانتخابات مرتين. ثم أجريت في آذار ١٩٩٠، وكان مقرراً أن تجري جولة ثانية إذا حصل أكثر من مرشح على ٥٠٪، غير أن أيّاً من المرشحين الثمانيّة لم يتجاوز هذه النسبة، وفاز جوهر بالمنصب الرئاسي في الجولة الأولى بعد أن حصل على ٣٪٥٥، من أصوات الناخبين فيما حصل منافسه محمد تقى عبد الكرييم رئيس الاتحاد الوطني للديمقراطية من أجل القمرانيين على ٧٪٤٤، وقد شكل جوهر حكومة جديدة شاركت فيها الأحزاب التي أيدت الانتخابات، وأعطيت حقائب وزارية لاربعة أحزاب منها. لكن جوهر اتهم

بحري في ٢٣ آذار (١٩٨٧)، لكنه اشترط أن يكون الترشيح لها إفرادياً. وبنتيجة الانتخابات احتفظت الحكومة بـ٤٢ مقعداً في المجلس تعادل نسبة ٦٥٪ من أعضائه. وقد طعن مرشحو المعارضة في الانتخابات واتهموا الحكومة بالتزوير ومارسة الإرهاب ضد المرشحين من غير مؤيديها. وردت الحكومة باعتقال ٤٠٠ شخص أودع أكثر من ٢٠٠ منهم سجون العاصمة.

سيد محمد جوهر: في أعقاب تجديد أحمد عبد الله رئاسته لست سنوات أخرى في تشرين الثاني ١٩٨٩ بموجب دستور جديد، عممت البلاد تظاهرات معارضة اعتقل في أثنائها زعماء المعارضة السياسية. غير أن حكم عبد الله لم يكمل الشهر نفسه، إذ قام ٦٥٠ من أعضاء المجلس الرئاسي بانقلاب ليلة ٢٦-٢٧ تشرين الثاني قاده بوب دونار حيث قتل عبد الله داخل قصره الرئاسي. ويعتبر انتهاء فترة من الاضطرابات في البلاد لكي تفتح صفحة جديدة على مشاكل وقضايا واضطرابات أخرى.

بعد الانقلاب مباشرة عين رئيس المحكمة العليا سيد محمد جوهر رئيساً مؤقتاً إلى حين إجراء انتخابات. لكن دونار قام بانقلاب ثان قُتل خلاله ٢٧ جندياً من قوات الأمن. وواجه الانقلابيون إدانة المجتمع الدولي إلى جانب اتهام دونار نفسه باغتيال الرئيس أحمد عبد الله. وقد تدخلت فرنسا وارسلت وحدات مظلية إلى العاصمة موروني للضغط على دونار الذي وافق على

الداخلية ابراهيم هاليدي لدوره في المحاولة. لكن متاعب جوهر انتقلت إلى داخل البيت الحزبي الذي ينتمي إليه: «الاتحاد القمريين من أجل التقدم». ففي كانون الأول ١٩٩٠، ترك عضوان في مجلس الوزراء هذا الحزب وكوشا حزباً جديداً معارضاً هو «التجمع من أجل الديمقراطية والتغيير» (رشاد)، ومع ذلك لم يتخليا عن حقيتيهما الوزاريتين. وفي آذار ١٩٩١، أعلنت حكومة جوهر عن نيتها عقد مؤتمر

منافسه عبد الكريم بالسعي إلى إضعاف حكومته، إذ قام مؤيدو عبد الكريم باعمال شغب واشتباكات مع قوات الأمن وقعت خلالها إصابات بين الجانبين. ثم وقع تمرد مسلح يومي ١٨ و ١٩ آب ١٩٩٠، اتهم اثنان من اتباع عبد الكريم بالتحطيط له والوقوف خلفه. وتم اعتقال عبد الكريم إثر المحاولة الفاشلة إلى جانب مجموعة من المرتزقة الأوروبيين حاولوا استفزاز جوهر والضغط عليه لتقديم استقالته، وإقالة وزير

سيد محمد جوهر.



الدستور (وهو الرابع) وأقره الشعب في استفتاء جرى في ٧ حزيران ١٩٩٢ .
وتعرض الرئيس سيد محمد جوهر لمحاولتي انقلاب اخرين في ايلول وتشرين الاول ١٩٩٢ . وقد إحدى المحاولتين نائب الرئيس نفسه عمر تامو الذي كان يشغل منصب وزير الداخلية في الوقت عينه بالتعاون مع أبناء الرئيس السابق أحمد عبد الله . وقد تم إحباط المحاولتين بعد تدخل فرنسي عسكري .

خلال عامي ١٩٩١ و ١٩٩٢ ، شهدت جزر القمر اضرابات الاطباء والمدرسين وموظفي الدولة ما أدى إلى سوء الحالة الصحية للمرضى وتعطيل مصالح الدولة واغلاق المدارس عاماً دراسياً كاملاً، ولم تتوقف هذه الاضطرابات إلا في صيف ١٩٩٣ عندما عاد دفع الرواتب وانتظم بعد ضغط الانفاق والحصول على مساعدات خارجية .

وتميزت احتجاجات الحملة الانتخابية التشريعية (كان الرئيس جوهر قد أجل موعدها ثلاثة مرات حتى استقر موعدها في كانون الاول ١٩٩٣) بخطاب سياسي لم يكن مألوفاً من قبل هو الخطاب الاسلامي مثلاً في حزبي «الانقاذ» و«العدالة» المطالبين بتطبيق الشريعة الاسلامية، من دون تحريض على استخدام العنف . لكن هذا الخطاب أدى إلى ظهور خطابات اسلامية مضادة . وجاءت النتيجة فوزاً للموالين للرئيس جوهر الذي عين رئيساً حكومة جديدة هو محمد عبده .

يحضره ثلاثة مندوبين عن كل تجمع سياسي بغض مناقشة صيغة دستورية تعرض على المؤتمرين . وقد تم عقد المؤتمر فعلاً في ايار ١٩٩١ ، غير ان احزاباً معارضة رئيسية قاطعته .

في ٣ آب ١٩٩١ ، عاد مسلسل الانقلابات في حلقة جديدة قادها وزير الداخلية السابق ابراهيم هاليدي ، وكان رئيساً للمحكمة العليا . فقد أعلن هاليدي ، بقرار المحكمة، عزل الرئيس جوهر وعين نفسه رئيساً مؤقتاً . وقد دانت الحكومة محاولة هاليدي ، واعتقل مع عدد من مؤيديه . وشكل جوهر حكومة ائتلاف وطني جديدة ضمت وزيرين من «الجبهة الديمقراطية». غير ان حركة المعارضة اتسعت في او اخر ١٩٩١ حتى انها شلت حزب «الاتحاد القمريين من اجل التقدم» الذي كان يساند جوهر في السابق . وتمكن جوهر من التوصل، في وقت لاحق، مع قادة الاحزاب الرئيسية، إلى اتفاق نص على المبادرة إلى عقد صلح وطني وتشكيل حكومة اتحاد وطني والتحضير لعقد مؤتمر دستوري . وتضمنت المبادرة أيضاً التأكيد على شرعية انتخابات جوهر رئيساً، في ما تم تشكيل الحكومة الجديدة في مطلع ١٩٩٢ بصورة انتقالية وترأسها محمد تقى وتتمثل فيها حزبان مؤيدان لجوهر إلى جانب الاحزاب المعارض . وتولت الحكومة الانتقالية مهمة التحضير لاجراء انتخابات تحدد موعدها في نيسان ١٩٩٢ ، وكذلك اعداد دستور جديد على ان يجري تصويت عام على الدستور لنيل الشرعية . ووضع

هي «الحياة» (العدد ١١٢٣٠، تاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٩٣، ص ٦) ناشد جوهر الدول العربية مساعدته بلاده ومساندته دبلوماسياً لانهاء الاحتلال الفرنسي لجزيرة مايولته، إحدى الجزر الرئيسية في البلاد، معتبراً أن هذه المشكلة هي مشكلة عربية وأسلامية بقدر ما هي قمرية، إذ ألغت فرنسا تعليم اللغة العربية وفرضت الفرنسية. واتهم فرنسا بمحاولات إشعال الفتنة في بلاده، عبر أحزاب المعارضة، بسبب انضمامها إلى جامعة الدول العربية.

في آب ١٩٩٤، زار جوهر، وزير خارجيته سيد محمد سقاف، العربية السعودية والتقي الملك فهد بن عبد العزيز، وأعلن أن «بلاده بعد انضمامها إلى جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي تتطلع إلى دعم ومساندة الدول العربية الشقيقة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية في دعم البنية الاقتصادية لجمهورية جزر القمر».

لكن بعد نحو سنة واحدة من الانضمام إلى جامعة الدول العربية وقيام المسؤولين بعدة زيارات لمصر والعربية السعودية، ودعوتهم القادة العرب لمساعدتهم على إنهاء الاحتلال الفرنسي لجزيرة مايولته، وفتح سفارات عربية في عاصمتهم موروني، وإجراء استثمارات عربية وخليجية في جزر القمر، صرّح وزير الخارجية والتعاون الدولي محمد السقاف (واسط ايلول ١٩٩٤) بأن بلاده لم تتحقق أي فائدة من انضمامها للجامعة العربية، وأشار إلى احتمال اغلاق سفارة بلاده في

الانضمام إلى الجامعة العربية: تابع الرئيس سيد محمد جوهر طلب بلاده الانضمام إلى الجامعة العربية، وارسل في العامين ١٩٩١ و ١٩٩٢ مبعوثين إلى القاهرة والرياض وصنعاء ومسقط لقبول الطلب بعد تجديده مرة أخرى. وانهزم جوهر فرصة حضوره القمة الأفريقية التاسعة والعشرين في القاهرة، في حزيران ١٩٩٢، فالتقى الرؤساء العرب المشاركون في القمة، خصوصاً الرئيس المصري حسني مبارك، وأمين عام الجامعة العربية، وبمحض في كسب تأييدهم طلبه.

في ٢٠ أيلول ١٩٩٣، وفي دورة المجلس رقم ١٠٠، وافق كل أعضاء مجلس الجامعة على طلب الانضمام الذي قدم للمرة الأولى في الدورة ٦٨ في العام ١٩٧٧. وتحفظ العراق على القرار الذي يحمل الرقم ٥٢٨٠ الذي جاء بناء على الدراسة التي اعدتها الامانة العامة حول استيفاء جزر القمر شروط الانضمام إلى الجامعة. والقى الرئيس جوهر خطاباً باللغة العربية هناً شعبه العربي بالانضمام إلى الجامعة العربية، واعتبر يوم ٢٠ أيلول ١٩٩٣ يوم الاستقلال الحقيقي وليس ٦ تموز ١٩٧٥ (هكذا باتت جزر القمر تنتظر شهر آذار ١٩٩٤ لانعقاد الدورة ١٠١ لمجلس الجامعة لاحتلال مقعد العضو الرقم ٢٢). وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٩٩٣، وأنباء زيارته القاهرة، وقع وزير خارجية جزر القمر مسلم بن موسى وثيقة انضمام بلاده إلى الجامعة العربية. وفي أول حدث إلى صحيفة عربية،

وعُزى هذا التراجع عن تنفيذ الاتفاق إلى «الاستياء البالغ الذي أثاره في الأوساط الشعبية القمرية، وفي بعض الأوساط العربية». وذهب الأمين العام لحزب «جبهة العدالة الوطنية» (معارض) في جزر القمر الشيخ أحمد عبد الله إلى حد اعتبار الاتفاق «خيانة عظمى» و«جريمة مخلة بالشرف».

نهاية عهد الرئيس سيد محمد جوهر: في أواخر آذار ١٩٩٥، أقال جوهر حكومة رئيس الوزراء محمد خليفة وكلف وزير المال السابق كعب اليашورطي تشكيل حكومة جديدة اقتصرت على أربعة وزراء. وجاءت إقالة حكومة خليفة بعد الاتصالات التي تعرضت لها واستمرار الاحتجاجات الشعبية ضدها منذ تشرين الثاني ١٩٩٤، وذلك بسبب توقيعها اتفاق إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل وفشل بيع شركة الخطوط الجوية التابعة لجزر القمر اسطولها الجوي (يضم طائرتين فقط، للنقل الداخلي) بعد فضح البرلمان هوية المشتري رولان أشيلي (من جزيرة موريشيوس) الذي تبين أنه مطلوب اعتقاله في عواصم عدة، وكانت وزارة الخارجية منحته وعائلته جوازات سفر دبلوماسية. وقد اهتمت أحزاب المعارضة وزير الخارجية، السقاف، بأنه وراء الاتفاقيتين مع إسرائيل ومع رولان أشيلي. واتهامته أيضاً باستبعاد العناصر التي تتحدث اللغة العربية من ديوان وزارته وسفارات جزر القمر.

في ٢٨ أيلول ١٩٩٥، قامت مجموعة مسلحة بقيادة المرتزق بوب دونار، بمحاولة

القاهرة. وما قاله: «إن الحكومات تعامل معنا باسلوب اللامبالاة في مسألة طلب المساعدات».

الاعتراف بإسرائيل: تميز الشهرين الأخيران من العام ١٩٩٤ (أي في أحواء، وبعد، إعلان القمريين عن خيبة أملهم بالمساعدات العربية: فتح سفارات، قضية جزيرة ما يوته المحتلة، مساعدات اقتصادية) بحدث علاقات جزر القمر بإسرائيل بدءاً من توقيع الرئيس سيد محمد جوهر والسفير الإسرائيلي لدى فرنسا يهودا لانكري اتفاقاً يقضي بإقامة علاقات دبلوماسية بين جزر القمر وإسرائيل، وذلك في باريس في ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٤ إثر انتقال الرئيس جوهر إلى باريس في ختام أعمال القمة الفرنسية-الأفريقية في بياريتز. وبذلك أصبحت جزر القمر ثالث عضو في الجامعة العربية، بعد مصر والأردن، يقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل.

لكن بعد ثلاثة أيام فقط من توقيعه الاتفاق، أعلن جوهر (وكان لا يزال في باريس) أن تطبيع علاقات بلاده مع إسرائيل «يتم فقط بعد تسوية المسائل التي تشكل جوهر النزاع في الشرق الأوسط، خصوصاً التوصل إلى حل لمسألة القدس يرضي الفلسطينيين، وإلى اتفاقيات سلام مع سوريا ولبنان في مقابل إعادة أراضيهما المحتلة». وفي الوقت نفسه أعلن وزير الخارجية القمرية محمد سعيد السقاف (وكان في زيارة القاهرة) أن الاتفاق الذي وقع في باريس هو «بيان مشترك» فقط.

فرنسي في حال تعرضها لغزو خارجي. وهذا هو الحال، لأن المجموعة التي يتزعمها دونار مؤلفة من أجانب».

أما رئيس الجمهورية سيد محمد جوهر فقد أفرجت عنه قوات التدخل الفرنسي ونقلته إلى جزيرة رينيون. ومن هناك أعلن أنه سيعود إلى موروني في ٢٤ تشرين الأول ١٩٩٥. لكن في اليوم الذي سبق موعد عودته طلبت حكومة كعب اليashorati منه عدم العودة إلى حين توافر الظروف المناسبة لذلك.

وفي آذار ١٩٩٦، جرت انتخابات رئاسية فاز بها الرئيس الحالي محمد تقى عبد الكريم، وهو مهندس زراعي ويرأس حزب الاتحاد الوطني الديمقراطي (U.N.D.C.).

بوب دونار: إسمه الحقيقي جيلبير بورجو. ولد في إحدى قرى جنوب غربى فرنسا في ٧ نيسان ١٩٢٩. التحق جندياً بسلاح البحرية الفرنسي، وحارب في الهند الصينية والجزائر. بعد إعادته إلى بلاده وتسيمه عمل شرطياً وسرعان ما تقاعد. في مستهل السبعينيات تحول دونار بائعاً لآلات المطبخ الحديثة. ويبدو أنه كان سئم عمله عندما قرراً اعلاناً في ١٩٦٥ نشرته إحدى الصحف لشركة التعدين التي كانت تقوم بنشاط كبير في مقاطعة كاتنغا في زaire. كانت الشركة تبحث عن «حراس أمنيين». ومنذ ذلك الوقت لم يعد يعثر للدونار على أثر في باريس. بعد ستة أشهر فقط ظهر في زي ضابط مظلات، وسمى نفسه «الكولونيل بوب»، وبدأ يمارس

انقلابية واحتجزت الرئيس سيد محمد جوهر. وقام وزير الداخلية السابق أيوب كومبر بدور المفاوض بالنيابة عن الانقلابيين. وكان تاموا سجن بعد محاولة انقلاب في أيلول ١٩٩٢، وأطلقه المتمردون في سجن موروني فور وقوع العملية الانقلابية.

وقبل أيام من الانقلاب (أيلول ١٩٩٥)، تواترت أنباء عن عزم الرئيس جوهر السماح بإنشاء مصرف لتبييض أموال المافيا الروسية في موروني، وعن عزمه أيضاً خوض الانتخابات الرئاسية المقررة في نيسان ١٩٩٦ على رغم الاستياء الذي يثيره إمعان مساعديه في الفساد.

بعد نحو أسبوع من وقوع الانقلاب وسيطرة الانقلابيين على مرفق البلاد، وصل ٦٠٠ جندي فرنسي إلى موروني على متنه طائرات عسكرية وسفريتين حربيتين. وسيطر الفرنسيون بسرعة على الوضع واستسلم لهم الانقلابيون وحلفاؤهم المرتزقة. وأيدت الجامعة العربية حق جزر القمر في طلب تدخل فرنسا لاعادة الشرعية في موروني. إذ إن هذا التدخل «جاء تليمة لطلب رئيس الوزراء القمري كعب اليashorati الذي يشغله منصب الرئاسة بصفة مؤقتة نظراً إلى تعذر ممارسة جوهر صلاحياته». وكان اليashorati جاً فور وقوع الانقلاب إلى مقر السفارة الفرنسية. وأعلن في ٣ تشرين الأول ١٩٩٥ تولييه الرئاسة وطلبه «من فرنسا تطبيق المعاهدة الدفاعية الموقعة في ١٩٧٨ التي تخول جزر القمر المطالبة بتدخل عسكري

تفرغ لتجنيد مرتزقة للعمل في بيافرا حيث
دارت أعنف حرب أهلية شهدتها القارة
الأفريقية. وكان في الوقت نفسه يخطط
للقيام بعمليات تخريبية في ليبيا.

غير ان اول تغيير انقلابي ملموس كان وراءه دونار حدث بعد ١٠ سنوات من وصوله إلى افريقيا. ففي ١٩٧٥، نفذ انقلاباً في جزر القمر اطاح حكومة الرئيس أحمد عبد الله. وانتقل الكولونيل دونار بعد ذلك إلى الغابون حيث اختاره رئيسها الحاج عمر بونغو مستشاراً خاصاً له. ومن هناك خطط لعملية فاشلة للسيطرة على إقليم كايندا الانغولي الشري بالنفط. وفي ١٩٧٧، حشد فرقة من المرتزقة نفذت محاولة انقلاب في جمهورية بنين هدفت إلى إطاحة حكومتها الشيوعية. غير ان الاخيرة استعانت بقوات كورية شماليّة احبطت الانقلاب.

مهماً قائدًا لأحدى عصابات مقاطعة
كاثنغا. وأضحى من المستشارين المقربين إلى
زعيم متمندي كاثنغا مويس تشومي.

أثناء بقائه في الكونغو البلجيكي (زائر حالياً) أصيب في ظروف غامضة برصاصة في رأسه، وتوارى عن الانظار شهوراً عدة. وعندما عاد الظهور عشر عليه في اليمن حيث كان يتولى تدريب قوات الامام المناهضة للتدخل المصري.

راجح دونار حساباته ومكاسبه من عمليتي الارتزاق في الكونغو واليمن، فقرر العودة إلى بلاده حيث حصل على وكالة لبيع سيارات «ستروين» قرب مسقط رأسه. وأغراء النجاح بأن يرشح نفسه عمدة للقرية، غير أن الحظ لم يمحالفه.

عادته شهرة المغامرة فأجرى اتصالات مع زعيم حركة يسافرا الانفصالية التيجيرية الجنرال أو جو كو، وعلى الأثر

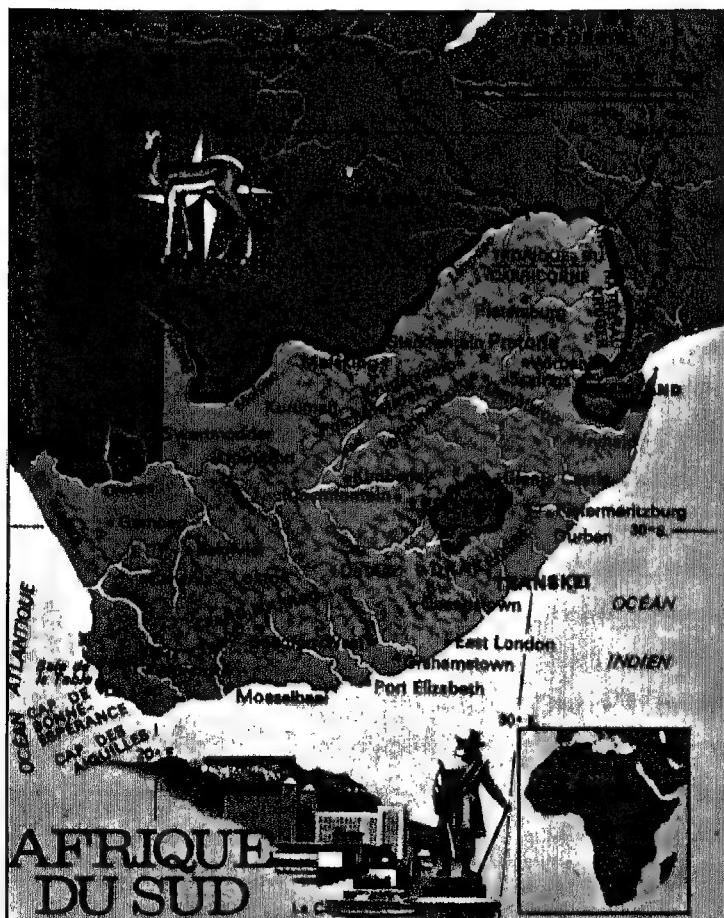
جنديان فرسیان یقتادان بوب دونار.



بتعدیب خصوصه. وإزاء ذلك مارست فرنسا وجنوب افريقيا ضغوطاً شديدة عليه اسفرت عن ارغامه على مغادرة جزر القمر ليقيم في ضياعته الخاصة قرب بريتريرا، وليعلن، في ١٩٩٢، انه قرر التقاعد. غير ان انقلابه الأخير (١٩٩٥) - وهو السابع عشر في سلسلة مغامراته في شتى أنحاء افريقيا - جاء ليؤكد انه لم يتقاد بعد (من «الوسط»، العدد ١٩٣، تاريخ ٩ تشرين الاول ١٩٩٥، ص ١٦).

هذه المرة، بدا ان جميع الاحزاب في جزر القمر رفضت وجود المرتزقة وعلى رأسهم بوب دونار. وقد اقتادتهم (نحو ٣٥ شخصاً جيدهم تقريراً فرنسيون) قوات التدخل الفرنسي إلى فرنسا، التي وصلوا إليها في ١٤ تشرين الاول ١٩٥٥، وأودعتهم السجن. وسجن دونار كذلك لانتهاكه شروط حكم سابق بسجنه خمس سنوات مع وقف التنفيذ يمحظر عليه مغادرة البلاد من دون إذن من القاضي.

إثر تلك الاعيادات قرر المغامر الفرنسي العودة إلى مسرح عملياته الرئيسي: جزر القمر. وفي ايار ١٩٧٨، نفذ انقلاباً عسكرياً أطاح الرئيس علي صوبلح الذي قتل أثناء الاشتباكات. وذكر المرتزقة ان صوبلح سقط أثناء محاولته الفرار. وقرر دونار على الأثر إعادة الرئيس أحمد عبد الله إلى السلطة، لكن إسمياً، إذ ظلّ هو الرئيس الفعلي. وللتوضيح اقدامه وتعزيز تحالفاته بين سكان الارخبيل تزوج من إحدى فتيات جزر القمر، وأعلن انه اعتنق الاسلام. وببدأ يتلقى مساعدات تشمل الاسلحة والاموال من جنوب افريقيا قبل انهيار نظام الأقلية البيضاء. واحتفظ لنفسه منصب رئيس الحرس الجمهوري، وهي القوة العسكرية الوحيدة في جزر القمر، وقوامها ٦٠٠ رجل. وإثر محاولة انقلاب فاشلة وغامضة قتل الرئيس أحمد عبد الله في حضور دونار في ١٩٨٩. وشنت منظمة العفو الدولية حملة شديدة على نظام دونار الذي اتهمته



جنوب افريقيا

بطاقة تعريف

(٧٨٠ كلم²)، وهي جيب داخلي تحيط بها جنوب افريقيا من كل الجهات).

المساحة: مليون و٢٢١ ألفاً و٧٣٠ كلم².
العاصمة: بريتوريا. أهم المدن: كاب (الرأس)، جوهانسبورغ، دوربان، وغيرها (راجع باب «مدن ومعالم»).

السكان: أواخر نيسان ١٩٩٤، وفي أح Rowe اندشاد العالم إلى الحدث التاريخي المصري (الانتخابات) في جنوب افريقيا الذي نقل هذه البلاد من حكم الأقلية البيضاء إلى حكم الأكثريّة السوداء، سيل من الكتابات والدراسات تناقلتها وسائل الاعلام العالمية حول

الاسم: «أزانيا» (Azania) في لغة قبائل الباكتو، وهو الاسم الذي أطلقته عدة منظمات للسود على البلاد. و«جنوب افريقيا البريطانية» حتى ١٩١٠. و«اتحاد جنوب افريقيا» بين ١٩١٠ و«جمهوريّة جنوب افريقيا» منذ ١٩٦١.

الموقع: في أقصى جنوب القارة الإفريقية. طول شاطئها على المحيط الأطلسي ٨٧٢ كلم، وعلى المحيط الهندي ٢٠٨٢ كلم. وتحيط بها موزمبيق (طول حدودها معها ٤٨٠ كلم)، سوازيلاند (٤٧٠ كلم)، زيمبابوي (٢٥٠ كلم)، بوتسوانا (١٥٥٠ كلم)، ناميبيا (٩٢٠ كلم)، ليسوتو

وأدلت مواجهاتهم الطويلة مع السود والناطقين بالإنكليزية إلى انتصار الحزب الوطني في ١٩٤٨ ولالي إقامة نظام الفصل العنصري «أبارتيد» (Apartheid). أما اليوم فان الغالبية منهم تطالب بحق تقرير المصير وإقامة الدولة الأفريقانية.

أما الناطقون بالإنكليزية وعدهم نحو مليوني نسمة، فأقاموا إمبراطوريات اقتصادية قوية بفضل مناجم الذهب والألاس التي يسيطرون عليها.

والخلاصيون الذين يصنفون بين الملونين

فهم أحفاد المستعمرين البيض من علاقات بالسود إبناء البلاد أو من العبيد الذين تم استقدامهم من ماليزيا أو من مناطق إفريقيا أخرى، ويبلغ عددهم نحو ٣ ملايين. وقد تم بصورة تدرجية اعتبار كل الذين لم يستطعوا إيجاد مكان لهم بين البيض أو الهنود أو السود في عداد الخلاسيين. وتعيش نسبة٪٨٠ من الخلاسيين في إقليم الكاب في الجنوب، وهو يتكلمون الأفريقانية ويتبعون الكنيسة الإصلاحية الهولندية. وعارض الخلاسيون الذين نمت بينهم طبقة متوسطة كبيرة المؤتمر الوطني الأفريقي بسبب علاقاته مع الحزب الشيوعي.

أما الهنود، الذين يعدون نحو مليون نسمة ويقيمون في إقليم ناتال، فقد وصلوا إلى جنوب إفريقيا على دفعتين اعتباراً من ١٨٦٠: الأولى كانت يداً عاملة في زراعة قصب السكر، الثانية تعافت التجارة وقدمت إلى البلاد بعد ذلك بسنوات. ومنذ ١٩٨٤، بدأت سلطة البيض تمنح الخلاسيين والهنود تمثيلاً في البرلمان ذاتي الجالس الثلاثة بينما بقي السود مستبعدين عن أي تمثيل برلماني.

٦٨٪ مسيحيون يتوزعون على الكنائس الأفريقانية المستقلة، وعلى الكاثوليك، والميثوديين، والاصلاحيين، والأنجليكان،

ختلف شعون وقضايا جمهورية جنوب إفريقيا، منها تلك المتعلقة بالتوزيع السكاني، ومنها نستخلص التالي:

يعد سكان جنوب إفريقيا ٣٨ مليون نسمة (كان ذلك في نيسان ١٩٩٤)، والتقديرات اليوم-اواسط ١٩٩٦-تشير إلى انهم بلغوا نحو ٣٩ مليوناً، توجه منهم ٢٣ مليوناً إلى صناديق الاقتراع (في ٢٧ نيسان ١٩٩٤) في أول انتخابات متعددة الأعراق، أي خليط من السود (٪٧٥) والبيض (٪١٤) والخلاصيين والآسيويين (٪١١).

يتتمي السكان السود (٢٨ مليوناً) إلى تسعه أعراق ويتحدون ١٢ لغة. وتشكل قبائل الزولو أكبر القبائل السوداء وبلغ عدد افرادها ٩ ملايين نسمة يعيش ثلثاها في إقليم ناتال. وتعتبر الزولو، نظراً إلى سمعتها وتاريخها القتالي، أقوى القبائل في البلاد وأكثرها نفوذاً. وبين الزولو الذين يتحدثون لغتهم الخاصة (زولو) من يؤيد حزب «إنكايانا» الحافظ بزعامة ملك الزولو غردوبل زويلىتي، وبينهم من يؤيد حزب «المؤتمر الوطني الأفريقي» بزعامة نلسون مانديلا. وتسبيب الخلافات بين هذين الحزبين في أعمال عنف يشهدها إقليم ناتال منذ ١٩٨٥. وقد دعا ملك الزولو منذ فترة إلى استقلال إقليم ناتال.

وتعتبر قبيلة حوسا التي ينتمي إليها مانديلا ثاني أكبر القبائل في البلاد وتعد نحو ٦ ملايين نسمة معظمهم يشكلون قاعدة حزب المؤتمر الوطني، وبين ٥٥ ملايين و٤٠٠ ألف من البيض هناك ٦٠٪ من الأفارיקانيين من أحفاد المستعمرين الهولنديين والفرنسيين والألمان الذين وصلوا إلى البلاد في القرن السابع عشر. أما نسبة الـ٪٤٠ الباقية من البيض فهي من أصل بريطاني بشكل أساسي. ويتحدث الأفارיקانيون لغتهم الخاصة (الأفريكانية) وهي لغة مشتقة من الهولندية.

المعارضة. كوديزا (مؤتمر من أجل جنوب إفريقيا ديمقراطية)، نشأ في ٢٠ كانون الأول ١٩٩١، ومكون من ممثلين للحكومة ولـ ١٩ تنظيمًا سياسياً. بعد انتخابات نيسان ١٩٩٤: انتخابات ٢٦-٢٨ نيسان ١٩٩٤ دفت نهائياً نظام الفصل العنصري (أبارtheid Apartheid) بعد أن كان ألغى رسميًا في ١٧ حزيران ١٩٩١، وذلك بالانتصار الكاسح الذي أحرزه حزب المؤتمر الأفريقي بزعامة نلسون مانديلا في هذه الانتخابات، وبانتخاب مانديلا رئيساً للجمهورية بعد ذلك ب أيام، أي في ١٠ أيار ١٩٩٤. ومنذ مطلع ١٩٩٤، ألغى «البرلان الثلاثي» (البيض، الخلاسيون، الهنود). استبعد كلّي للسود، ما جعل السلطة، ولاول مرة في تاريخ البلاد، تمارس على أساس أنها سلطة وطنية موحدة ومتّمة بيني سياسية وإدارية ذات قرارات مطبقة على جميع المواطنين من دون أي تفرقة. كما جرى وضع علم جديد لا يوحّي بأي تفرقة أو غلبة أو ثأر. وجرى أيضًا إلغاء نظام البانتوستان (راجع باب «الأبارtheid» بعد النبذة التاريخية)، فأعيد دمجها لتشكل «الراضي الوطني». فكل جنوب إفريقي أصبح مواطناً في دولة موحدة هي «جنوب إفريقيا». لكن جميع هذه الأمور لم تجر بسهولة ولم ترسُ بعد على شاطئِ أمنٍ. قمة صعوبات هائلة لا تزال تعزّز تطبيقات النظام الجديد، فجنوب إفريقيا تواصل بثتها عن ذاتها لكن على قواعد جديدة لا تعرف مثيلاً لها في التاريخ السياسي. ذلك أن كلّ تصنيف مبسط للجنوب إفريقيين يعتمد معياراً وحيداً لا معنى له. فكل مواطن جنوب إفريقي يراكم في شخصه عدة هويات: دينية، ثقافية، لغوية، إثنية... تربطه ليس بشبكة اجتماعية واحدة، بل بعدة شبكات، ما يجعل هامش التحالفات والمصير واسعاً جدّاً.

الاحزاب: راجع باب «معالم تاريخية».

والمعدانيين، واللوثريين... ٣٢٪ غير مسيحيين ويتوزعون على: مسلمين، هنود، يهود (نحو ٦٠ ألفاً)، بوذيين، ومعتقدات دينية إحيائية محلية أخرى (راجع باب «معالم تاريخية» بالنسبة إلى المسلمين في جنوب إفريقيا).

النظام: قبل انتخابات نيسان ١٩٩٤: جمهورية منذ ٥ تشرين الأول ١٩٦١. الدستور المعمول به (أقره استفتاء ٢ تشرين الثاني ١٩٨٣، ودخل حيز التنفيذ في ٣ آيلول ١٩٨٤) يستوحى القيم المسيحية والحضارية ويضمّن المساحة أمام القانون. السلطة التشريعية: برلمان من ٣ مجالس ينتخب أعضاؤه لمدة ٥ أعوام: الجمعية العمومية من ١٧٨ نائباً أبيض (مقاطعة الكاب ٥٦، الثالث ٢٠، أورانج ١٤، ترانسفال ٦٧، و٤ نواب يعينهم الرئيس و٨ ينتخبون ويمثلون الأحزاب)؛ مجلس الممثلين: عن الخلاسيين، ٨٠ منهم ينتخبون، و٢٠ يعينهما الرئيس و٣ يمثلون الأحزاب؛ مجلس المندوبيين: ٤٥ عضواً يمثلون الهنود. أدان مجلس الأمن الدولي (١٣ صوتاً وتف吉ب صوت الولايات المتحدة وصوت بريطانيا) هذا الدستور واعتبره مناقضاً لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة. السلطة التنفيذية: رئيس الجمهورية، تنتخبه لمدة ٥ أعوام هيئة انتخابية مكونة من ٥٠ عضواً من البيض، و٢٥ من الخلاسيين و١٣ من الهنود، وأعضاء هذه الهيئة منتخبهم المجالس البرلمانية الخاصة بهم (السود غير ممثلين) من دون أن يكونوا حكماً أعضاء في هذه المجالس. ويساعد الرئيس مجلس تنفيذي من ١٥ عضواً يعينهم الرئيس، و١٠ منتخبهم المجالس البرلمانية و١٠ منتخبهم المعارضة. المجلس الرئاسي: من ٦٠ عضواً، منهم ٣٥ منتخبهم المجالس البرلمانية الثلاث (٢٠ أبيض، ١٠ خلاسيين و٥ من الهنود)، و٢٥ يعينهم الرئيس بينهم ١٠ من بين ممثلين الأحزاب.

المربطة العالمية من حيث الانتاج: جنوب افريقيا الاولى في الذهب، الخامسة في الفحم، السابعة في النikel وال الحديد، الثالثة عشر في قصب السكر، الرابعة عشر في الذرة (راجع «جوهانسبورغ» في باب مدن و معامل).

كانت الامم المتحدة فرضت في ١٩٧٧ حظرًا «اختياريًّا» على جنوب افريقيا بسبب نظام الفصل العنصري (ابارtheid) الذي كانت تنتهجه حكومتها، وجاءت (الامم المتحدة) إلى تشديد هذه الاجراءات وفرض حظر واسع النطاق بموجب القرار رقم ٥٦٩ الصادر عن مجلس الامن.

ومع اجراء الانتخابات الديموقراطية (نيسان ١٩٩٤)، زالت مبررات الحظر والقيود الاقتصادية المفروضة على التعامل مع جنوب افريقيا. وتزامن هذا التحول مع تنافس الدول الغربية على الاستفادة من الفرص الاستثمارية التي احدثت تبز في السوق النامية في هذا البلد. وتركزت انتظار المستثمرين الدوليين خصوصًا على المشاريع الطموحة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية التي اعلنت عنها السلطات الجديدة المنتخبة. وأخذت جنوب افريقيا تستقطب استثمارات ضخمة (بريطانية على وجه الخصوص، ثم فرنسية واميركية) بمحاذ عن فرص عمل في هذه الدولة التي تعتبر واحدة من أكثر الدول الأفريقية تقدماً على صعيد التكنولوجيا واليد العاملة المهرلة والقوانين المالية والمصرفية. وجنوب افريقيا تعتبر المنافس الافريقي الوحيد للدول الصناعية خارج القارة.

يرى المسؤولون في جنوب افريقيا ان القضاء على هيمنة البيض على الاقتصاد يحتاج إلى المساعدات الخارجية في الدرجة الاولى، لا سيما تلك التي تركز على مساعدة النشأت الصغيرة والمتوسطة التي لا تحتاج إلى الكثير من الاستثمارات والتكرارات الرأسمالية لدى الفئات

الاقتصاد: تشكل الغابات ١١ مليون هكتار من اراضي البلاد، والاراضي المروية ١٠٠٥ مليون هكتار، والمراعي المروية ٧٠٦ مليون هكتار. معدل الانتاج السنوي من الذرة ٧٧ مليون طن، والقمح ١١٧ مليون طن، والسكر ١٨١ مليون طن، ودوار الشمس ٦٠ مليون طن، والبطاطا (١٤)، والقطن، والكرمة (١٩)، وغيرها من الفواكه والمحاصيل بحيث تشكل جنوب افريقيا سابع مصدر للانتاج الزراعي في العالم. وتنتج نحو مليار و٦٦٠ مليون متري مكعب من اخشاب البناء، ونحو مليار و٣٩٠ مليون متري مكعب من اخشاب مخصصة لصناعة الورق. وتربية الماشية وصيد السمك (نحو ٨٠٠ ألف طن) قطاعان مهمان ايضاً.

أهم مناجم البلاد مناجم الذهب التي يعمل فيها نحو ٣٠٠ ألف من أصل نحو ٦٥٠ ألف عامل يعملون في مختلف انواع المناجم. أول مناجم للذهب اكتشف في ١٨٧١ في مقاطعة ترانسفال. ويشكل ذهب جنوب افريقيا ٤٠٪ من الاحتياطي العالمي و ٤٠٪ من الانتاج العالمي. وهناك ٦٦ منجماً للألماس الذي يشكل ٢٤٪ من الاحتياطي العالمي، ويبلغ متوسط إنتاجه السنوي (في العشر سنوات الأخيرة) في جنوب افريقيا نحو ٨ ملايين و٤٠٠ قيراطاً. الفحم: ١١٠ مناجم عاملة، ويبلغ احتياطيه نحو ١١٥ مليار طن مما يجعل جنوب افريقيا في المرتبة التاسعة عالمياً من حيث امتلاكه. وهناك مناجم الكروم، والمنجنيز، والاورانيوم، والحديد، وغيره. والبلاد غنية بالغاز الطبيعي، وفي السنوات الأخيرة بدأت صناعات حديثة تعمل على تحويل الغاز الطبيعي إلى نفط. وهناك اربع مناطق صناعية كبيرة: في الترانسفال صناعات ثقيلة ومنجمية، في الكاب صناعات غذائية، في دوربان صناعات للسفن ومصافي النفط وللورق، في بورت الزيارات وبريتوريا مصانع السيارات.

لكن ثمة مشكلة مالية ذات إنعكاسات اقتصادية بالغة اعذت، بدءاً من صيف ١٩٩٦، تشغل بالمسؤولين في جنوب إفريقيا، إذ أصبحت هذه الجمهورية الديموقراطية الجديدة، بعد سنتين من فتح حدودها، مركزاً لتهريب الأموال خلو تشرعياتها من قوانين خاصة بكافحة هذا النوع من الجرائم. ولأن تهريب الأموال لا يغير بحد ذاته عملاً مختلفاً للقانون إلا إذا كان مرتبطة بتجارة المخدرات فمن الصعب تقدير قيمة العملات الصعبة «القلدر» التي تمر في جنوب إفريقيا لإعادة ادعاها بعد ذلك في الاقتصادات الغربية. لكن الخبراء يؤكدون تزايد الحسابات الدولية الغامضة في المصارف الجنوب إفريقية. وتعزز السلطات بحجم هذه الظاهرة وتبدى تصميماً على التصدي لها.

الدنيا من المواطنين السود. ويجتمع المستثمرون على الأهمية الإقليمية التي يرتديها الاقتصاد في جنوب إفريقيا، قياساً إلى بقية الاقتصادات المجاورة المتخلفة عنه صناعياً وادارياً وبيورياً. ذلك أن جنوب إفريقيا تشكل نقطة انطلاق للانتعاش الاقتصادي في كامل منطقة إفريقيا الجنوبيّة.

وتسهل عودة جنوب إفريقيا إلى الكومونولث البريطاني واستعادتها عضويتها فيه في أول حزيران ١٩٩٤ بعد قطيعة استمرت ٣٣ عاماً، استفادتها من الخبرات والمساعدة التي تقدمها وزارة التجارة والصناعة البريطانية والتي صنفت جنوب إفريقيا ضمن لائحة من ٨٠ سوقاً تختل الأولوية في العالم.

جنوب إفريقيا بالقول إن أقدم سكان هذه المنطقة المعروفين هم البوشيمان الذين لا ينتسبون، إثنياً، إلى العنصر الأسود، والذين كانوا يعيشون سابقاً في أنحاء إفريقيا الشرقية والجنوبية. وعندما بدأت قبائل البانتو تترك مناطق البحيرات الكبرى في قلب القارة، وتقد إلى الجنوب، طردت البوشيمان باتجاه الأراضي الجدباء المحيطة بالرأس (Cap) أو باتجاه صحاري الكلاري. وعندما بدأ الأوروبيون يتواجدون حوضاً من يقى من

نبذة تاريخية

قديماً: وجدت بقايا هيكل بشري في منطقة ستر كفونتاين في جنوب إفريقيا، وهي شبيهة بتلك التي اكتشفت في منطقة أوللدوفاي من أعمال تنزانيا.. ومع ذلك، لا يزال العلم عاجزاً عن كشف الإنسان الأول الذي قطع جنوب إفريقيا. يبدأ المؤرخون الأوروبيون تأريخهم

يلتحق بالمستوطنين الهولنديين مستوطنة أورويون أكثرتهم الساحقة من طائفة الهوغونو الفرنسيين الذين طردو من فرنسا بسبب الاضطهادات الدينية التي كانت تمرق البلاد في نهاية القرن السابع عشر.

ومع تزايد عدد الأوروبيين في منطقة رأس الرجاء الصالح (الكاب)، أحد يظهر بينهم ميل للابتعاد عن منطقة الكاب والآفلات من هيمنة الشركة الهولندية عليهم، خاصة وانهم بدأوا يستشعرون قوتهم العددية قياساً على عدد الهولنديين، وعلى قدر ما كانوا يتغدون في البلاد كانوا يصطدمون بالسكان السود الذين كانوا يسعون أيضاً وراء المراعي والمياه لماشيتهم.

السيطرة: بدأت تظهر في لغة المستوطنين هناك لفظة «بوير» (Boer) وهي تعني باللغة الهولندية «المزارعين»، وسرعان ما توسع استعمالها ومعناها حتى أصبحت تشير إلى المستوطنين الأوروبيين هناك. ومع تكاثر البوير وتشتيتهم بالاراضي التي استحوذوا عليها، وبالعقيدة البروتستانتية، ومع الرخاء الذي أتاحه لهم الأرض الجديدة الخصبة والرغبة في عزل أنفسهم عن الأفريقيين، تكون لدى البوير شعور كثيراً ما عبّروا عنه هم أنفسهم وما كتبه عنهم المؤرخون، شعور بأنهم «شعب الله المختار».

خلال الحروب النابوليونية، اشتهرت إنكلترا مستعمرة الكاب، من هولندا، التي أصبحت رسماً من الممتلكات البريطانية بموجب مؤتمر فيينا (١٨١٥). واحد

البوشيمان بين فكي الكماشة. وهناك من هم اليوم من أصل البوشيمان في ناميبيا وفي بوتسوانا.

أول القادة الأوروبيين: شكل اكتشاف برتولومور دياز لرأس الرجاء الصالح، في ١٤٨٨، أول اتصال للأوروبيين بجنوب إفريقيا. وبعد عشر سنوات، وصلها أيضاً فاسكر دي غاما. إلا ان البرتغاليين لم يبذلوا أية محاولة لاستعمار منطقة جنوب إفريقيا.

في القرن السابع عشر، احتاج الهولنديون والإنكليز، الذين كانوا يتنافسون على استعمار مناطق الشرق الأقصى، إلى محطات لتموين سفنهم. فقررت الشركة الهولندية بجزر الهند الشرقية، في ١٦٥٢، ان تجعل من نقطة في رأس الرجاء الصالح إحدى محطات تموين سفنها. فأرسلت إلى هناك ثلاثة مراكب تنقل مستوطنين بقيادة الهولندي جان فان ريبيك. ومنذ وصولهم، بدأوا ببناء قلعة دفاعية في الكاب في أقصى جنوب إفريقيا، وزرعوا بعض الحقول وربوا الماشية لتقديم المؤونة الغذائية لطواقم المراكب الهولندية المتوجهة إلى الهند.

التوغل: بعد سنوات، غادر بعض المستوطنين الهولنديين القلعة وتتوغلوا قليلاً في البلاد موسعين من نطاق حقول الزراعة وتربيمة الماشية، إضافة إلى إقامتهم بعض الاتصالات التجارية مع السكان المحليين الأفارقة الذين كانوا يتقونهم. وما هي إلا سنوات قليلة حتى بدأ

بعد حروب عديدة مع السكان السود الأصليين، جمهوريات مستقلة، وعلى الأخص دولة أورانج الحرية، وجنوب إفريقيا أو ترانسفال.

ولأن القوة البريطانية كانت هي القوة الصاعدة خلال القرن التاسع عشر، وهي سيدة البحار، فقد اتسعت شهيتها لعدم الاكتفاء بمنطقة الكاب في جنوب إفريقيا ولابطاع البلاد بكاملها. وعلى الرغم من أن مؤتمر برلين (١٨٨٤-١٨٨٥) قد نظم تقسيم النفوذ الأوروبي في القارة الأفريقية بين الدول المنافسة، إلا أن الربع الأخير من القرن التاسع عشر قد شهد تفوقاً دبلوماسياً وعسكرياً بريطانياً، وأصبح التسابق على السيطرة على أرض الجنوب الأفريقي بين كل من البرتغال والمانيا وبريطانيا هو الأكثر حدة، وكانت الأخيرة هي الأوفر حظاً في جنوب إفريقيا. والامر لم يكن سهلاً، إذ قاوم السكان البيض (البوير) النفوذ البريطاني الجديد. ما نتج عنه نشوب حرب ضروس بين القوات البريطانية وبين البوير، عرفت في التاريخ بـ«حرب البوير» بين ١٨٩٩-١٩٠٢ (راجع: معالم تاريخية)، وقادتها البريطانيون كما قاسى الأفريكانر أو البوير. أما القسوة الهاطلة فقد وقعت على القبائل الأفريقية. خاصة قبائل الزولو التي تصدت للمستعمرين البيض، مختلف جنسياتهم.

التسوية «البيضاء»: إتحاد جنوب إفريقيا: في نهاية صراع البيض (البريطانيين والأفريكانر أو البوير) في ما بينهم، غلبوا

الإنكليز يتزايدون في الكاب، كما اخذ تململ الهولنديين (البوير) يتزايد بدوره من القادمين الجدد.

أما تسخير الأفارقة السود للعمل في المزارع فكان في تزايد وفق الحاجة المتزايدة مع توسيع مزارع المستوطنين. وقد جاء هؤلاء، إضافة إلى ذلك، إلى جلب أرقاء آخرين من مناطق آسيوية، واستباحوهم إلى درجة معاشرة نسائهم دون ضوابط. ظهرت مع الزمن، نتيجة لهذه العلاقة، جماعة أخرى هي «الملونون»، وتسمى في جنوب إفريقيا «جريكاي» وهي أقرب في المعنى إلى «أولاد الحرام»، وينظر إليهم البعض نظرتهم إلى السود والآسيويين سواء بسواء (أتاح البريطانيون بعد ذلك لمجموعات كبيرة من الهنود فرص السكن والعمل في جنوب إفريقيا لمساعدتهم على إدارة الأرض الجديدة).

نزاعات الإنكليز-البوير: لم يمض وقت طويل من شراء إنكلترا المستعمرة الكاب و«تشريعها» لها. بموجب مؤتمر فيينا، حتى دخلت المجموعتان الأوروبيتان في جنوب إفريقيا: الإنكليز والهولنديون (البوير)، في نزاع مفتوح. ففي حدود ١٨٣٠، قرر عدد كبير من البوير مغادرة الكاب. وبين ١٨٣٥ و١٨٣٨، سلكت مئات العربات المحملة بالبوير طرق الشرق وطرق الشمال تاركة وراءها منطقة الكاب بيد الإنكليز. وقد دعيت هذه الهجرة «الرحلة الكبرى». أسس البوير في المناطق التي قصدوها،

منظم بين الأجناس عرف باسم «أبارتيد»
(راجع: معلم تاريخية).

الترم هرتزوج موقف الحياد من الدول المتصارعة في الحرب العالمية الثانية. لكن خليفته سطس (الذي انتخب من جديد في ١٩٣٩) أخذ جانب الحلفاء على الرغم من المعارضة الشديدة التي لقيها من «القوميين الأنقياء» الذين دعوا لتأييد المانيا النازية. وبعد الحرب مباشرة، أى في ١٩٤٦، انفجرت قضية «هنود جنوب إفريقيا» (راجع: معلم تاريخية) حتى أنها أدرجت في تلك السنة على جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة (أول دفعة من العمال المندوب استقدمت إلى ناتال في ١٨٦٠، وفي وقت قصير أصبح عددهم يناهز عدد السكان من أصل أوروبي).

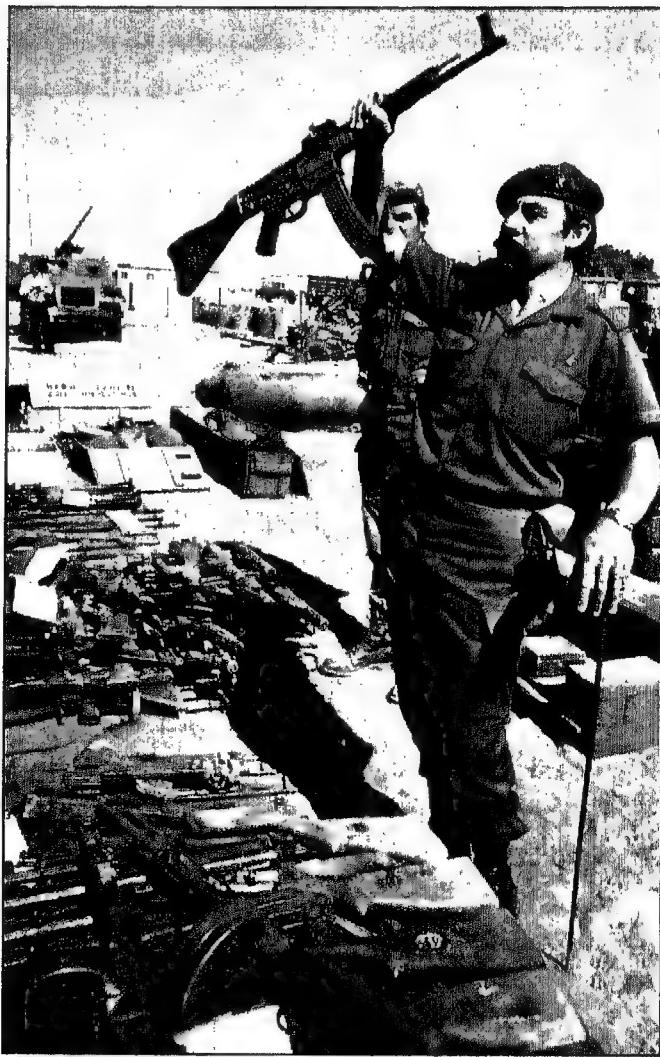
وفي عهد د. مالان (١٩٤٨-١٩٥٤)، بدأت سياسة اتحاد جنوب إفريقيا تطبق الأبارتيد بكل قسوة وتسحق معارضة غير البيض الذين اضطروا إلى موافقة نصاهم سرًا منذ ١٩٦٠. ونتيجة لهذه السياسة وقعت جنوب إفريقيا فيعزلة دولية، تكاد تكون شبه كاملة، إذ خرقتها إسرائيل التي اقامت مع جنوب إفريقيا العنصرية أمن العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية منذ قيامها في فلسطين في ١٩٤٨.

جمهورية جنوب إفريقيا: في تلك الآثناء تزايد المطالبون بإصدار دستور جديد يعلن قيام نظام الجمهورية. وقد هؤلاء من وراء هذا المطلب التحرر من كل رابطة مع

مصالحهم الدائمة والطويلة الأمد، فتوصلوا إلى تسوية تاريخية، حيث قبل البوير الارتباط بالتابع البريطاني، وفي الوقت نفسه قبل البريطانيون بالحفاظ على هوية الأفريكانر فتبقى لغتهم هي اللغة الرسمية للبلاد مع احتفاظهم باستقلال كنائسهم. وأقيم نظام سياسي دستوري برلماني يقتصر على البيض فقط: في ١٩١٠، شكلت دولة أورانج الحرة، وترانسفال، ومستعمرتا الكاب وناتال البريطانيتان دولة متحدة باسم «الاتحاد جنوب إفريقيا»؛ ودخل دستورها حيز التنفيذ في ٣١ آيار ١٩١٠.

بين الحربين العالميين: خلال الحرب العالمية الأولى، قاتلت جنوب إفريقيا إلى جانب البريطانيين (على رغم ترد بعض البوير). وقامت عصبة الأمم في ١٩١٩-١٩٢٠ بوضع المستعمرات الالمانية في جنوب غربي إفريقيا (ناميبيا) تحت انتداب اتحاد جنوب إفريقيا.

ومع تسلم الجنرال هرتزوج مقاليد السلطة في اتحاد جنوب إفريقيا، خلفاً للجنرال سطس، في ١٩٢٤، بدأ بفرض برنامج عنصري منهجي ومتشدد. كما تمكّن، في ١٩٣٤، من تعديل نظام الدومينيون، وتكريس السيادة الكاملة الداخلية والخارجية لاتحاد جنوب إفريقيا. وابتداءً من هذه السنة (١٩٣٤)، بدأ هرتزوج يعدل من سياساته المتشددة، ما أثار حفيظة المتطرفين الذين شكلوا الحزب «القومي النقبي» بزعامة الدكتور مالان الذي كان يهدف إلى تحقيق فصل عنصري



جنود جنوب إفريقيون يلوحون بسلاح سوفياتي استولوا عليه عقب فارة على المولا (١٩٨١).

وفي ٦ أيلول ١٩٦٦، اغتيل رئيس الوزراء، فيرفورد، فخلفه فورستر الذي كان وزيراً للعدل. وفي السنوات الأولى من عهده، شهدت البلاد ولادة حركات مطلبية وقومية، كما بدأ الوعي القومي الأفريقي يتبلور في الأوساط الجامعية. ففي ١٩٦٩، أنشأ بعض الطلاب القوميين السود «منظمة الطلبة الجنوب أفريقي» (ساسو) التي حركت مظاهرات طلابية عديدة تطالب باللغاء

العرش البريطاني والكومونولث. وقد تمّ لهم ذلك في استفتاء تشرين الأول ١٩٦٠. وفي آذار ١٩٦١، أعلن الانسحاب من الكومونولث، وفي ٣١ أيار من العام نفسه صدر دستور الجمهورية.

في ١٩٦٤، حكم على زعيم «المؤتمر الوطني الأفريقي» (راجع: معلمات تاريخية) نلسون مانديلا (راجع: زعماء ورجال دولة) بالسجن مدى الحياة.

للوزراء، وانتخب فورستر رئيساً للجمهورية، وهو منصب فخري بحت. ثم اضطرر فورستر للاستقالة في ٤ حزيران ١٩٧٩ بسبب فضيحة اعلامية تورط فيها، فحل محله ماري فيلجنون في رئاسة الجمهورية.

لكن سياسة زيادة الضغط والقمع المعتمدة لم تعط نتائجها المأملة. فما إن حل شهر إيلار ١٩٨٠ حتى بدأت موجة جديدة من الاضطرابات العنصرية تعم البلاد، وذلك بعد أسبوع قليلة من نهاية النظام العنصري في روديسيا وأعلان قيام دولة زيمبابوي.

وفي شأن ناميبيا، أجرت جنوب إفريقيا وأنغولا مفاوضات في كانون الثاني ١٩٨١ لم تؤد إلى نتيجة. ثم عاد وفدا البلدين واجتمعا في جزر الرأس الأخضر (في كانون الأول ١٩٨٢) للبحث عن سبيل جديد للوصول إلى تسوية لمسألة الناميبيا،

سياسة الفصل العنصري. وتبع هذه المنظمة، في السنوات اللاحقة، تأسيس جمعيات وتنظيمات عديدة تعمل جميعها لرفع الظلم الواقع على السود، حتى كانت اتفاضاً ١٩٧٦ التي قمعها الجيش بمذبح في مدينة سويفتو (السود) في ضاحية جوهانسبورغ ذهب ضحيتها ٦٠٠ طالب أسود وآلاف الجرحى عدا الآلاف من الذين اعتقلوا وشردوا وتُفِيوا.

طالب المتشددون، في الحكومة وفي مراكز النفوذ، بزيادة الضغط على الحركات الليبرالية المطالبة بالغاية نظام الفصل العنصري ولو تدرّيجياً (تيار ليبرالي بدأ يبرز في صفوف البيض أنفسهم). وجاءت انتخابات ١٩٧٨ لتكرّس حكم الأقلية المتسلبة وتوّكّد فوز فورستر بأكثرية مطلقة كما في الدورتين الانتخابيتين السابقتين. لكن ارتُؤي ان يحل بيتر فيلهلم بوتا محل فورستر كرئيس

مظاهرة في باريس معادية لسياسة الإبارتيد عقب اعدام حكومة جنوب إفريقيا لثلاثة مناضلين سود (١٩٨٣).



في ١٥ أيلول ١٩٨٥، تشكلت حكومة ضمت لأول مرة وزيراً خلاسيّاً ووزيراً هنديّاً.

أهم أحداث ١٩٨٥-١٩٩٦: ١٩٨٥: في ٢ شباط، رفض نلسون مانديلا الإفراج المشروط عنه؛ وبعد أيام جرى اعتقال قادة الجبهة الديمقراطيّة الموحّدة (التي كانت تأسست في ١٩٨٣ لتكون الواجهة المعتدلة لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي الذي كان محظوظاً)، والإفراج في الوقت نفسه عن دنيس غولديبرغ الذي كان محكوماً عليه بالسجن مدى الحياة في حزيران ١٩٦٤. في آذار، اضطرابات في بورت إليزابت (وكانَت الاضطرابات من أيلول ١٩٨٤ إلى آذار ١٩٨٥، اُوقعت أكثر من ٢٠٠ قتيلاً). في نيسان، انسحبت القوات الجنوبيّة من مناطق جنوبيّة. في أواسط حزيران، نفذت جنوب إفريقيا غارة على بوتسوانا في سياق عمليات ملاحقة الثوار. في تموز، أعلنت حالة الطوارئ في ٣٦ محافظة (من أصل ٢٦٥) تشكّل عشر مساحة البلاد؛ وشهد الشهر نفسه مزيداً من الضغط الغربي على جنوب إفريقيا خاصة من جانب فرنسا التي دعت إلى اجتماع مجلس الأمن وطالبت بتعليق مشاريع الاستثمارات في جنوب إفريقيا. في آب، وفي مدينة دوربان، جرت مواجهات وأعمال عنف بين السود والهنود؛ وسارّت مظاهره ضخمة في الكاب تأييداً لمانديلا. في أيلول، أعلن الرئيس الأميركي رونالد ريغان إداته نظام الفصل العنصري

خصوصاً بعدما انتهت جهود «مجموعة الاتصال» (الولايات المتحدة وكذا بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية) إلى مأزق. واشتُرطت جنوب إفريقيا، للموافقة على منح ناميبيا استقلالها، انسحاب الجنود الكوبيين من أنغولا. واتخذت الولايات المتحدة موقفاً مشابهاً لموقف بريتوريا، إلا أنها لم تعلن أن انسحاب الكوبيين يعتبر شرطاً لاستقلال ناميبيا التي كان ثوارها يشنون حرب عصابات ضد قوات جنوب إفريقيا منذ أواسط السبعينات.

وفي الأشهر التي سبقت عقد المعاهدة مع موزمبيق (آذار ١٩٨٤)، شهد وضع جنوب إفريقيا بعض التغييرات، أهمها الاستفتاء الذي تقرر في ضوء منح الجنود والخلاصيين (ودائماً استبعد السود الذين كانوا يعودون نحو ٢٥ مليوناً) حق التصويت وتولي الوظائف الحكومية. وفي آب ١٩٨٤، رفض مجلس الأمن الدولي الدستور الجديد لجنوب إفريقيا، ورفض نتائج الانتخابات لتعيين مجلسين منفصلين للملونين والآسيويين يعملان إلى جانب مجلس جنوب إفريقيا الذي تقتصر العضوية فيه على البيض. ومع بدء تطبيق الدستور الجديد في أيلول ١٩٨٤ (إلغاء منصب رئاسة الوزراء) وانتخاب بوتا رئيساً للدولة، عمّت الاضطرابات في مدن السود اعتبرت الأخطىء منذ اضطرابات حي سويتو في ١٩٧٦. وكانت الجولة التي قام بها بوتا إلى أوروبا الغربية (في حزيران ١٩٨٤) عاجزة عن تخفيف حدة العزلة الدوليّة على جنوب إفريقيا بسبب تمسكها بنظامها العنصري.

دواليب يعلقونها في رقابهم ويضرمون فيها النار.

١٩٨٧: في كانون الثاني وشباط،

اعمال عنف بين قبائل خوسا (التي يتتمي إليها مانديلا) في ترانسكاي. وبين قبائل بازروتو (في ليسوتو)، وعودة التلاميذ السود إلى المدارس بعد عامين من الاضراب، والولايات المتحدة سجّلت عدة متنزّحات استراتيجية من قائمة الحظر مع جنوب إفريقيا. في آيار، جرت انتخابات تشريعية ظلت وقفاً على البيض؛ واتفقت جنوب إفريقيا وموزمبيق حول تحديد مرفأ مابورتو. في حزيران، رفض الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران قبول أوراق اعتماد سفير جنوب إفريقيا. استمرت أعمال العنف في ١٩٨٧، وبرز فيها حزب إنكاشا (من قبيلة الزولو ومعارض لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي).

١٩٨٨: في شباط، وضعت خطة

جديدة لإعادة هيكلة الاقتصاد، وتخصيص الكهرباء والهاتف والمواصلات والصناعات التعدينية. ورُقعت اشتباكات (نحو ٤٠٠ قتيل) بين حزب إنكاشا وبين الجبهة الديمقراطية الموحدة (واجهة العمل لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي بزعامة مانديلا) في النatal. ومنع ١٧ تنظيمًا معياديًّا لنظام الأبارtheid من العمل السياسي. في ٣ حزيران، أعلنت التعبئة العامة (٣٢٥ ألف رجل يساندون الجيش المكون من ٩٧ ألف جندي) بسبب التهديد الكوبي على الحدود الأنغولية-الناميбية. في ٢٠ حزيران، صدر

وحظره بيع المواد الالكترونية والتكنولوجيا النووية بجنوب إفريقيا. في تشرين الأول، رد الرئيس بوتا بالتهديد بايقاف تصدير الكروم (٨.٨٪ من محمل ما تستورده الولايات المتحدة من جنوب إفريقيا، و٤٨٪ الدول الأوروبيَّة؛ ما يعني فقدان نحو مليون أميركي لوظائفهم). في الأشهر الأخيرة من ١٩٨٥، تعاظمت عمليات العنف، وغالبيتها كانت في ما بين السود أنفسهم.

١٩٨٦: في ٣١ كانون الثاني،

الرئيس بوتا أعلن بدء تفكيك نظام الفصل العنصري (أبارtheid). وفي ٧ آذار، تم رفع حالة الطوارئ. في ١٤ نيسان، انتخب المونسيور ديزموند توتو (الذي نال جائزة نوبل للسلام في ١٦ تشرين الأول ١٩٨٤) رئيساً للكنيسة الأنجلיקانية لمناطق إفريقيا الجنوبيَّة وأسقف الكاب. في نيسان، قامت جنوب إفريقيا بغارات جوية على هرار (زيمبابوي)، وغابورون (بورتسوانا)، ولوساكا (زامبيا). في آيار، تظاهر نحو ١٠٠ ألف أيضًا في العاصمة بريتوريا احتجاجًا على الاصلاحات المعطاة للسود. في إيلول، عين الرئيس الأميركي، ريجان، ادوارد بركينز، وهو أسود، سفيرًا للولايات المتحدة في بريتوريا؛ وبعد أيام قليلة اقرع الكونغرس الأميركي على إجراءات عقوبات ضد جنوب إفريقيا. في تشرين الأول، أضرب نحو ٢٧٥ ألف عامل مناجم في جنوب إفريقيا. في ١٩٨٦، استمر العنف، وذهب ضحيته مئات من السود، وتبيَّن هذه المرة باشعال بعض السود أنفسهم بواسطة

وبعد يومين، حرت انتخابات تشريعية حيث تبين ان هناك نسبة ٦٨،٥٪ من البيض مع ااصلاحات؛ ونقابات السود، ومعها مختلف الحركات المناهضة للأبارتيد، اعلنت عن إضراب عام تخللته مظاهرات وأعمال عنف. في ١٦ ايلول، تشكلت حكومة جديدة ودخلتها امرأة (ريبا فنر) لأول مرة منذ قبل ٤١ سنة. في ١٥ تشرين الاول، أفرج عن ٨ من قادة العمل الوطني بينهم ويلتون مكواوي الذي خلف مانديلا على رأس الجناح العسكري في حزب المؤتمر الوطني الافريقي؛ وظهر ميل لدى هذا الحزب لتكتيف عمله العسكري، وعقد اول اجتماع علي شعبي له، منذ ٣٠ سنة، شارك فيه الحزب الشيوعي، وضم نحو ٧٠-٥٠ ألف شخص. في ٧ كانون الاول، جرى تخفيض مدة الخدمة العسكرية إلى ١٢ شهراً. في ٩ و ١٠ كانون الاول، عقد مؤتمر ضم ٤٦٠٠ مندوب يمثلون ٢٠٠ منظمة مناهضة للأبارتيد، ورفع شعار «من أجل مستقبل ديمقراطي لجنوب افريقيا»، ورفض برنامج العمل الذي كان تقدم به الرئيس دوكليرك.

١٩٩٠ : تشريع حزب المؤتمر الوطني الافريقي والحزب الشيوعي؛ وفي ١١ شباط، أطلق سراح نلسون مانديلا. واستمرت الصدامات في مدن السود وأحيائهم بين قبائل الزولو وبين اعضاء ومناصري حزب المؤتمر الوطني الافريقي. في ٢٠ شباط، رفعت بريطانيا عقوباتها الاقتصادية عن جنوب افريقيا؛ وبعد يومين

عفو عام عن المفيدين السياسيين. من فيهم اعضاء المؤتمر الوطني الافريقي. في آب، اعتذر الرئيس بوتا بامتلاك الدولة لسلاح نووي عسكري. في ايلول، زار بوتا موزمبيق ومالاوي، وفي تشرين الاول ساحل العاج؛ وانتخابات بلدية أسفرت عن فوز الحزب الوطني (الحاكم) في مواجهة اليمين المتطرف. في ٧ كانون الاول، حُلَّ الحكم على مانديلا بمروجه من السجن ووضعه في الاقامة الجبرية في بارل (Paarl). في ٢٢ كانون الاول، وقعت جنوب افريقيا معاهدتين، واحدة مع أنغولا، والثانية مع كوبا، والمعاهدتان تضمنان انسحاب الكوبيين من أنغولا مقابل استقلال ناميبيا المرتقب في اول تشرين الثاني ١٩٨٩. وانتهى العام ١٩٨٨ على تجدد الاشتباكات بين إنكاشا والجبهة الديمقراطية الموحدة (واجهة العمل لحزب المؤتمر الوطني الافريقي) ومحورها السيطرة على مدن السود وأحيائهم، وبلغ جموع القتلى بين الطرفين خلال سنة واحدة (آخر ١٩٨٧ - آخر ١٩٨٨) نحو ٣٥٠٠ قتيل.

١٩٨٩ : في ٨ كانون الثاني، انسحب عناصر الحزب الوطني الافريقي من أنغولا. في ٤ حزيران، اغتيل الكاتب ريتشارد رايف. في ١٤ آب، قدم الرئيس بوتا استقالته (وكان قبل أشهر وقع مريضاً فقام بهميات الرئاسة لمرحلة انتقالية كرييس هونيسي)؛ وفي اليوم التالي انتخب دوكليرك مكانه لمرحلة انتقالية. في ٤ ايلول، اعلن دوكليرك عن وجوب الانتهاء من الأبارتيد.

فوق اجواء دول إفريقيا الغربية، وكانت ممنوعة من ذلك منذ العام ١٩٦٣. في ١٤ أيلول، جرى إتفاق سلام بين الرئيس دوكليرك ونحو ٢٠ تنظيمًا يضع حدًا لأعمال العنف بين تنظيمات سوداء. خلال هذه السنة (١٩٩١)، ضعفت أعمال العنف بعض الشيء، وعاد عدة آلاف من اللاجئين إلى الخارج، وأفرج عن عدة مئات من المعتقلين والمسجونين.

١٩٩٢ في ٢٤ كانون الثاني، أعلنت الحكومة انه سيكون بمقدور السود الادلاء بصوتهم في استفتاء حول قيام حكومة انتقالية. في ٣ و ٤ شباط، زار دوكليرك ونلسون مانديلا باريس لاستلام جائزة هوغو بوانسي. في ٢٨ شباط، استثنفت العلاقات الدبلوماسية مع روسيا. في ١١ آذار، رفعت فرنسا الحظر عن الفحص من جنوب إفريقيا. في ١٦ آذار، جرى استفتاء خاص بالمجموعة البيضاء حول متابعة مسيرة الاصلاحات: ١٤،٣٪ من مجموع الاصوات (٣ ملايين و ٢٩٠ ألفاً) قاطعوا الاستفتاء، و ٦٨،٣٪ اقترعوا بالموافقة. ضحايا العنف في شهر آذار بلغت ٤٣٧ قتيلاً. في ٦ نيسان، رفعت المجموعة الاوروبية الحظر النفطي المفروض منذ ١٩٨٥. في ١٧ حزيران، جرت صدامات بين المؤتمر وإنكاثا أوقعت ٤٥ قتيلاً، والمؤتمر قطع مفاوضاته، ثم عاد ووضع لائحة من ١٤ شرطاً ليعيد مفاوضاته مع الحكومة. في ١٩ تشرين الاول، جرى تعديل دستوري يسمح بوصول غير برمائيين إلى مقاعد

اشترك الرئيس دوكليرك في قمة الدول الإفريقية. في ٢٥ شباط، خطب مانديلا، في مدينة دوربان في النatal، وامام جماهير من نحو ١٠٠ ألف، وطلب من مختلف الأفرقاء السود عدم اللجوء إلى العنف. في ٢ ايار، جرى اول لقاء رسمي بين حزب المؤتمر الوطني الإفريقي والحكومة أسفر عن اتفاق «غروت شور» (Groote Schur) الذي فتح باب المفاوضات مع حزب المؤتمر. في حزيران، رُفعت حالة الطوارئ؛ وبعد أيام قليلة، أعلن حزب المؤتمر تخليه رسميًا عن الكفاح المسلح، ثم تم لقاء بينه وبين الحكومة جرى خلاله إتفاق على عودة ٢٠ ألفاً من المنفيين. واستمرت، خلال ١٩٩٠، المواجهات بين المؤتمر وإنكاثا.

١٩٩١ في ٤ شباط، تم أول لقاء، منذ ١٩٦١، بين المؤتمر الإفريقي وحزب عموم إفريقيا (حزب انشق عن حزب المؤتمر في ١٩٦١). وفي ١٢ شباط، تم إتفاق بين حزب المؤتمر والحكومة حول التخلص عن السلاح. في ٤ آذار، جرى حل الجبهة الديمقراطية الموحدة إذ لم يعد لها من مبرر وجود بعد ان عاد حزب المؤتمر الوطني للعمل، إذ كانت الجبهة واجهة عمله في سنوات حظره. وكانت الجبهة تضم ٦٠٠ جمعية ورابطة وتنظيم، من بينها الحزب الشيوعي وجمعيات مدنية ودينية وطلابية وإنسانية... في ١٥ نيسان، رفعت المجموعة الاوروبية قسمًا من عقوباتها الاقتصادية على جنوب إفريقيا. في ٩ حزيران، سُمح لخفرط الطيران الجنوب الإفريقي بالطيران



الزعماء الاربعة لدى خروجهم من اجتماع ٨ لیسان ١٩٩٤. من يمين الصورة: منغوسوتو بوتيليزی زعيم الكاثا، وملك الزولو، ودو كليرك ومانديلا.

جنوب إفريقيا عضو في منظمة الوحدة الأفريقية. مانديلا والرئيس التونسي زين العابدين في تونس (حزيران ١٩٩٤).



وعلى قدم المساواة بين اناس يوجد بينهم التفاوت في كل شيء نتيجة لسياسات الانظمة العنصرية التي توالى على الحكم في بريتوريا؛ ٣ - تدارس وتداول السبل الحائلة دون ولوج البلاد في نفق حروب أهلية. وقد تمسك مانديلا بمعارضته اية امكانية لاقامة دولة للأقلية البيضاء، ورفضه لفكرة قيام أي دولة على أساس لوني أو عرقي أو قبلي.

في ٢٣ ايلول شارك رئيس جنوب افريقيا فريدرريك دوكليرك في اعمال الجمعية العمومية للأمم المتحدة بعد غياب بلاده الذي استمر ٤٧ سنة (في ١٩٤٦، حضر رئيس وزراء بريتوريا العنصرية آنذاك جان سيمتس إلى سان فرنسيسكو للمشاركة في جلسات الامم المتحدة في مقرها القديم قبل ان تدان بلاده دولياً، وتسحب عضويتها من كل الهيئات العالمية وفروعها القارية والاقليمية).

وفي اواخر ايلول، التقى مانديلا رئيس الوزراء الاسرائيلي شمعون بيريز في نيويورك واجتمعا لمدة نصف ساعة. وعلى الأثر، اعلن بيان اصدرته البعثة الاسرائيلية في الامم المتحدة ان مانديلا «قبل دعوة بيريز لزيارة اسرائيل».

وفي تشرين الثاني، قام وزير الخارجية بيك بوتا بزيارة القاهرة وقابل الرئيس المصري حسني مبارك الذي كان يترأس منظمة الوحدة الافريقية، ثم اجرى محادثات مع الرئيس التونسي زين العابدين الذي سيتولى رئاسة منظمة الوحدة الافريقية في مؤتمرها المقرر في تونس (في إطار دخول جنوب افريقيا في المنظمة، وقد دخلت

الحكومة، لكن عملياً بقي السود مستبعدين.

١٩٩٣: في ١٢ شباط، إتفاق بين حزب المؤتمر (برعامة مانديلا) والحكومة على : ١ - انتخاب جمعية تأسيسية في مطلع ١٩٩٤ ، ٢ - مجلس تنفيذي موقت تعددى (يشتمل على جميع الاعراق) يبدأ عمله في اواسط حزيران، ٣ - حكومة وحدة وطنية إنتقالية لمدة خمسة اعوام قبل البدء بتنفيذ الدستور الجديد.

في نيسان اغتيل كريس هاني، الأمين العام للحزب الشيوعي وعضو اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني و«بطل التحرير»، فتفجرت موجة من العنف في البلاد، ووجه كل من مانديلا ودوكليرك نداءات لضبط النفس، وقالا ان العنف سيخدم من يحاول تخريب المفاوضات الخاصة بوضع دستور جديد للبلاد يلغى الفصل العنصري. ودان مجلس الامن الدولي والجامعة الاوروبية اغتيال الزعيم الشيوعي.

في اواسط ايلول، جرت سلسلة محادثات الاولى من نوعها في تاريخ جنوب افريقيا بين مانديلا وبين رئيس حركة الاقلية البيضاء المتطرفة «جبهة شعب أفريكانز» الجنرال كونستان فيلجون، وتحورت حول : ١ - رغبة الاقلية البيضاء في إنشاء دولة مستقلة تتزامن مع وصول الغالبية السوداء إلى السلطة؛ ٢ - ساع فيلجون برنامج «المؤتمر الوطني الافريقي» مباشرة من مانديلا في ما يخص اسلوب الحكم وكيفية مشاركة الجميع في صياغة مستقبل واحد

الأخضر الإبراهيمي (وزير خارجية الجزائر سابقاً والوسيط العربي في الحرب اللبنانية) مثلاً خاصاً له لمراقبة أعمال اللجنة المستقلة للانتخابات.

وفي كانون الأول أيضاً، تقدم زعيم حركة قبائل الزولو (إنكاثا) منغوسوتو بوتيليزي بمشروع دولة كونفدرالية لقبائل الزولو. ولم يقبل مانديلا المشروع خشية تطاير جنوب إفريقيا على شكل دويلات قبلية. ومنذ خروج مانديلا من السجن قبلية. ومنذ خروج مانديلا من السجن وبوتيليزي، زعيم إنكاثا، يتخذ مواقف معارضة لمانديلا حتى أنه دخل في «جبهة الرفض» (التي أعلنت في ١٢ تشرين الأول ١٩٩٣ في مدينة جوهانس堡) التي ضمت، إلى إنكاثا، حركة المقاومة الأفريكانية العنصرية البيضاء (بزعامة أوغين تيربلنש)، وجبهة شعب أفريكانر اليمينية المتطرفة (بزعامة قائد هيئة اركان قوات جنوب إفريقيا السابق الجنرال كونستان فيلجون). كما أعلن عن عدم مشاركة إنكاثا في الانتخابات التشريعية المحددة في ٢٧ نيسان ١٩٩٤، رداً على رفض مانديلا اقتراحه إقامة دولة كونفدرالية لقبائل الزولو، أكبر قبائل جنوب إفريقيا السوداء.

وفي ١٩٩٣، توصل مانديلا، مع الرئيس دوكليرك وعدد من الأحزاب الصغيرة إلى اتفاق مبدئي ينص على تقسيم جنوب إفريقيا إلى تسعة أقاليم تتمتع بسلطة ذاتية لإدارة شؤونها الإقليمية، وتعود إلى الحكومة المركزية. وإلى ذلك، أقرت الفالبيه العظمى من القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد تشكيل سبع لجان

فعلَ.

في الساعة صفر و ١٥ دقيقة من ١٨ تشرين الثاني، اعتمدت ٢٣ حركة سياسية في مقدمها «الحزب الوطني» الحاكم برئاسة دوكليرك، و«المؤتمر الوطني الأفريقي» بزعامة مانديلا، دستوراً جديداً يطوي إلى الأبد صفحة الفصل العنصري (أبارتيد). وأقر الدستور مبدأ «إنسان واحد، صوت واحد». وقد عنى هذا تولي الفالبيه السوداء (٠.٨٧٪ من مجمل السكان) السلطة عبر صناديق اقتراع. واعتبرت الأقلية البيضاء على الدستور الجديد الذي يوجهه ستجرى انتخابات اشتراكية تعددية في ٢٧ نيسان ١٩٩٤. وناشد الرئيس دوكليرك الأقلية البيضاء المعترضة بقوله: «تحت وطأة الخوف من المستقبل لا يجب عليكم نسيان عزالتنا السياسية والدبلوماسية الخانقة، والحاصر الاقتصادي الذي كان مفروضاً على بلدنا من المجتمع الدولي، وحرمان ابنائنا من المساهمة في أي تظاهرة رياضية قارية أو دولية، وإنغلق كل الأبواب في وجه انتاجنا الثقافي...». ومن جهته، حرص مانديلا على إشاعة الثقة في وسط الأقلية البيضاء بعدم جلوء حكومته «المقبلة» إلى سياسة تصفيية الحسابات القديمة.

في ٧ كانون الأول، طلب المجلس التنفيذي الموقت في جنوب إفريقيا من الأمم المتحدة إرسال عدد كافٍ من المراقبين للإشراف ومتابعة الانتخابات وتنسيق أعمال المراقبين من المنظمات الدولية والأقليمية الأخرى. وبعد نحو أسبوع من هذا الطلب، وافق الأمين العام وعين

الانتخابي (دوكليرك ومانديلا) والخسار الأبيه المقاطع الانفصالي.

في نيسان، ومع اقتراب موعد الانتخابات في ٢٦ و٢٧ و٢٨ منه، عقدت قمة رباعية: دوكليرك، مانديلا، غودوليل زويتيسي (ملك الزولو)، ومنغوسوتو بوتليزي (زعيم حركة إنكاثا لقبائل الزولو أيضاً). ولم تصل القمة إلى حل الخلافات، سوى أنها وافقت على وساطة دولية. ويدرك أن ملك الزولو (يدعمه زعيم إنكاثا) طالب بالسيادة على إقليم كوازولو-ناتال الذي يقع على ساحل المحيط الهندي ويشكل الزولو ٨٠٪ من سكانه. وجرت الوساطة الدولية فعلاً بين إنكاثا والمؤتمر الوطني الأفريقي وقام بها هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة السابق، وللورد كارنغتون وزير الخارجية البريطاني السابق. وفشلت الوساطة وأعلن زعيم إنكاثا استمرار مقاطعته للانتخابات. لكن حزب إنكاثا (الحرية) عاد وقرر المشاركة في الانتخابات قبل أيام قليلة من موعدها.

الانتخابات ٢٦ و٢٧ و٢٨ نيسان ١٩٩٤: قبل انتصاف ليل ٢٥-٢٦ نيسان ١٩٩٤ بدقة واحدة أُنزل علم جنوب إفريقيا العنصرية استعداداً للبدء بتطبيق دستور جديد يضمن حقوق الغالبية السوداء وذلك للمرة الأولى منذ أكثر من ثلاثة قرون. وصباح ٢٦ نيسان ١٩٩٤ (بعد ساعات قليلة من إزالة العلم) بدأت عمليات الاقتراع في أول انتخابات متعددة الأعراق في جنوب إفريقيا، في وقت تستمر

مركزية، تتالف كل واحدة من ستة أعضاء ويختارون بحسب كفاءتهم، مع مراعاة لعامل تمثيلهم. وصلاحيات هذه اللجان لا تقتصر على المرحلة الانتقالية التي يتأسس فيها «المجلس التنفيذي الانتقالي» منذ اليوم الأول لمصادقة البرلمان على الدستور الجديد ولغاية الانتخابات الاشتراكية المقبلة (المحددة في ٢٧ نيسان ١٩٩٤) بل ستكون القاعدة التي ستسير عليها الحكومة الجديدة حتى عام ١٩٩٩، موعد الانتخابات التعددية الثانية على الصعيدين الاشتراكي والرئاسي.

١٩٩٤: في شباط، فشلت المفاوضات الثلاثية: حكومة بريتوريا والمؤتمر الوطني الأفريقي من جهة، و«تحالف الحرية» المعارض الذي يمثل المتطرفين السود والبيض من جهة ثانية. لكن ما لبثت انشقاقات ان ظهرت في صفوف «تحالف الحرية»، فصبّ هذا التطور في مصلحة عرّابي الاتفاق على تقاسم السلطة: فريدرريك دوكليرك ونلسون مانديلا.

في آذار، وقعت أعمال عنف في إقليم بوفاتسوانا نتيجة اعلان رئيسه وحكومته معارضتهم للانتخابات ومانديلا، وقامت انتفاضة شعبية اجبرت الرئيس المتحالف مع اليمين المتطرف على الفرار، فدخل مانديلا إقليم الناتال و مختلف مناطق قبائل الزولو حيث أعلن دوكليرك حال الطوارئ. وانتهى شهر آذار على احداث متسرعة وحوادث أمنية أوقعت عشرات القتلى، لكنها أشارت إلى غلبة الأبيه التوحيدى

السابق للبلاد.

في خطابه في احتفال التنصيب، قال مانديلا: «إننا مصممون على البدء بالتغييرات التي يفرضها علينا التفويض الذي حصلنا عليه من شعبنا وعلى المضي في تحقيق هذه التغييرات... إننا نطرح على الطاولة تصورنا للنظام الدستوري الجديد في جنوب إفريقيا لا كمتصرين يصدرون الأوامر إلى المهزومين، بل كمواطنين عاديين يريدون تضمين جروح الماضي ويعتزموه بناء نظام جديد قائم على أساس العدالة للجميع».

مئة يوم على حكم مانديلا: في

اواسط آب ١٩٩٤، انتخب الأعلام العالمي (أخباراً وكتابات تحليلية) على نقل صورة عن جنوب إفريقيا هي صورة المئة يوم التي انقضت على حكم الغالية السوداء. وتركزت الصورة على أهم ما أنجز وما لم ينجز بعد:

أهم الإجازات نلسون مانديلا، خلال هذه الفترة، انه استطاع تخفيض حرب اهلية توعدت بها الأقلية البيضاء المتطرفة أثناء الانتخابات، وان وزاراته لم تشهد فساداً على رغم انها لم تقدم ما تفترض به. والحقيقة وصفت بشكل عام انها «بدون اخطاء». ومع انقضاء المئة يوم بدأ العمل بالخطة الخمسية التي انتخب مانديلا على أساسها وأطلق عليها تسمية «برنامج الإنماء والاعمار» في البلاد.

لم تتخذ حكومة مانديلا، على المستوى الداخلي، خطوات مثيرة، إذ إن

البلاد في ان تشهد عمليات عنف.

خاضت الانتخابات ١٩ حزيناً وحركة على مستوى جنوب إفريقيا كلها يضاف إليها ٢٧ حزيناً وحركة على مستوى المقاطعات التسع في البلاد.

أبرز هذه الأحزاب ستة، هي: المؤتمر الوطني الأفريقي (مانديلا)، الحزب الوطني (دو كليرك)، مؤتمر عموم الأفارقة، منشق عن المؤتمر الوطني الأفريقي منذ ١٩٥٩ (يترأسه كلارنس ماكويتو)، الحزب الديمقراطي (رئيسه زاك دى بير)، جبهة الحرية (كونستان فيلجون)، حزب الحرية «إنكاثا» (راجع الأحزاب في باب معالم تاريخية).

فاز حزب المؤتمر الوطني الأفريقي بـ ٢٥٢ مقعداً في البرلمان المؤلف من ٤٠٠ عضو، تلاه في الأهمية الحزب الوطني، ثم حزب الحرية «إنكاثا».

في ٩ أيار ١٩٩٤، عقد أول برلمان متعدد الأعراق في جنوب إفريقيا اجتماعه وانتخب نلسون مانديلا أول رئيس أسود لجمهورية جنوب إفريقيا بعد ٣٤٢ عاماً من هيمنة الأقلية البيضاء. والاجتماع البرلماني عقد في مقاطعة الكاب وفي المبنى نفسه وتحت القبة نفسها حيث كانت أقرت قوانين التمييز العنصري. وفي اليوم التالي، أدى مانديلا القسم الدستوري في حضور أكثر من ٤٠ من الرعماء والرؤساء والملوك من سائر أنحاء العالم. ومعه أدى القسم الدستوري أيضاً نائبه الأول تابو مبيكي رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي، ونائبه الثاني فريديريك در كليرك وهو الرئيس الأبيض



مانديلا والرئيس الأميركي كلينتون يستعرض حرس الشرف أمام البيت الأبيض (٤ تشرين الأول ١٩٩٤).

مانديلا ورئيس وزراء إسرائيل شمعون بيريز في نيويورك (١٩٩٤).



وصوله إلى السلطة الذي تمّ الاعداد له خلال اربع سنوات من المفاوضات والفترات الانتقالية عن فرار أي رساميل أو عن تحركات انفصالية لقبائل الزولو، كما ان الحرب الاهلية التي تبأ بها اليمين المتطرف لم تقع.

أما بعد المغة يوم فتحة حدثان بارزان على الصعيد الخارجي جريأ في ١٩٩٤: زيارة رئيس وزراء بريطانيا، جون ميجور، لجنوب افريقيا (٢٠ ايلول) هي الاولى منذ ان زار رئيس الوزراء هارولد ماكميلان جنوب افريقيا قبل ٣٤ عاماً. والزيارة لاحياء صدقة قديمة. ورافقت ميجور ١٧ رجل أعمال و٦ باحثين علميين وعد من الرياضيين. ووقع مانديلا سلسلة من الاتفاقيات. والحدث الثاني، زيارة مانديلا لواشنطن (٥ تشرين الاول) حيث دعا الامير كين إلى الاستثمار في بلاده، وهي الزيارة الأولى لواشنطن منذ انتخابه رئيساً. وهي المرة الأولى التي يتم فيها استقبال رئيس جنوب افريقي في واشنطن. وبعدها اعلنت واشنطن مساعدة اقتصادية جديدة لتمويل بناء مشاريع إسكان وایصال التيار الكهربائي إلى مستوطنات السود. وكانت إدارة الرئيس الاميركي بيل كلينتون قدّمت إلى جنوب افريقيا في ١٩٩٣ مساعدة قيمتها ٦٠٠ مليون دولار على مدى ثلاث سنوات.

١٩٩٥-١٩٩٦: في حزيران ١٩٩٥، اتخذت المحكمة الدستورية العليا قراراً بالغاء حكم الاعدام وعدم تنفيذ

التغييرات الكبرى بالنسبة إلى جنوب افريقيا كانت في سياساته الدولية أولاً، كالعودـة إلى الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية والكونـولـث وحركة عدم الانحياز.

ويعتبر التطبيب الجناني للحوامل والاطفال، وإنارة ١٠٠ ألف مسكن من الانجازات القليلة التي تحققت على الصعيد الداخلي، علماً ان برنامج اخرى، لا سيما برنامج الاسكان، على وشك ان ترى النور. ومجلس التواب على وشك البدء بدراسة حوالي مئة قانون تراوح بين العفو العام وأصلاح قانون العمل.

إلا ان البطالة والنشاط الاقتصادي المرتبك مرشحان لأن يضعا مانديلا في موقف حرج. وسبق لمانديلا ان أكد ان البلاد ستكون في حاجة إلى عصا سحرية لحو ٤٦ عاماً من نظام الفصل العنصري. وبدأ، منذ اوائل آب، سلسلة مهرجانات في مناطق السود على أمل ان يجعل هذه النشاطات حكومته قريبة من قاعدهما كما حدث أثناء حملته الانتخابية. وفي هذا الاطار حاول مانديلا ان يعطي شيئاً من الدفع لحربه الذي بات «مزقاً»، كما وصفه، بعد ان انتقل مسؤولوه إلى البرلمان أو إلى الحكومة.

وفي هذا الاطار، كتبت صحيفة «بيزنس دائي» الجنوب افريقيا، في مقال قومت فيه الملة يوم الاولى من عمر العهد الجديد: «ليس لدى اقسام معظم الوزارات ما تفخر به لكن الخير الجيد انها لم تشهد انحرافاً حتى الآن». الواقع ان مانديلا يبدو وكأنه حقق انتصاراً سلبياً إذ لم يسفر

بين ١٩٩٠ ونisan ١٩٩٤ . وفي مناسبة زيارته طهران في ١٩٩١ بعد ان مضى ٢٧ عاماً في السجن «استجواب الايرانيون بشكل جيد» للمؤتمر الوطني الافريقي.

في ايار ١٩٩٦ ، اعلن نائب الرئيس في جنوب افريقيا (الرئيس السابق) فريديريك دوكليرك انسحاب حزبه «الحزب الوطني» من الحكومة الائتلافية في البلاد اعتباراً من ٢٠ حزيران ١٩٩٦ . وجاء ذلك غداة تبني البرلمان دستوراً جديداً للبلاد (راجع حول «الدستور الجديد» في باب معلم تاريخية). وأكد دوكليرك انه لن يعتزل العمل السياسي بل سيقود المعارضة لحكومة مانديلا، معتبراً ان هذا الانسحاب يجسد «ولادة مرحلة جديدة من التعددية الخزبية في جنوب افريقيا».

في تموز ١٩٩٦ ، قام مانديلا بزيارة بريطانيا تصحبه مجموعة كبيرة من رجال الاعمال، واجتمع مع رئيس الوزراء البريطاني جون ميجور، ومع زعيم حزب العمال المعارض توني بلير والامين العام للكوندولث أميلكا أنياوكو .

أحكام الاعدام الصادرة خلال السنوات الاخيرة والتي تتجاوز الـ ٤٥ حكماً . وقد اعتبرت المحكمة العليا ان عقوبة الاعدام لا دستورية وباطلة لكونها تتناقض مع الحق في الحياة الذي يضمنه دستور جنوب افريقيا لجميع المواطنين.

في ١٥ آب ١٩٩٥ ، زار وزير الخارجية الايراني علي أكبر ولايتي جنوب افريقيا، واجری «مباحثات مهمة جداً مع عدد من ممثلي الحكومة» كما اعلن نظيره الجنوبي افريقي الفريدو نزو. ووقع الوزيران اتفاقاً ينشئ لجنة دبلوماسية مشتركة ايرانية-جنوب افريقية. وبعد ساعات من توقيع هذا الاتفاق اشارت وزارة الخارجية الاميركية إلى «حيوية امل واشنطن». وكان الاميركيون طلبوا من بريتوريا التخلص عن اتفاق آخر يتعلق بتخزين ٥٠ مليون برميل نفط ايراني في شمالي الكاب بقيمة ١٣ مليون دولار سنوياً. وبعد ان التقى مانديلا الوزير الايراني واجری معه مباحثات، بقاه القلق الاميركي وكشف ان طهران دعمت مالياً حزبه المؤتمر الوطني الافريقي

الاعراق، هذه المبادئ التي توكلها القوانين الدولية والاحكام والاعراف الاخلاقية والدينية على اختلافها. وحدها الكنيسة الاصلاحية المولندية بررت سياسة الفصل العنصري، وكان لها تأثيرها القوي على الاقلية البيضاء هناك.

لم يكن عقدور مثل هذا المنصب العنصري ان يستمر المدة التي استمرها لو لم يستند إلى وقائع ومعتقدات مرتبطة بشكل وثيق بتاريخ الاقلية البيضاء في جنوب افريقيا. فعلى رغم تشابك العلاقات الاتية في جنوب افريقيا التي تشكل معوقاً كبيراً امام الأبارtheid، والمقاومة العنيفة للأغلبية السوداء، والضغوطات الدولية، بمحنت الأبارtheid في فرض قوانينها على كامل اراضي جنوب افريقيا لمدة نحو أربعين سنة. وكان قد بوشر بتطبيق نظام الأبارtheid في العام ١٩٥٠ على يد رئيس الوزراء مالان (١٩٤٨-١٩٥٤)، وعمل على تنمية هذا النظام ستةuros (١٩٥٤-١٩٥٨) الشهير بشعاره «سيطرة الآسياد البيض»؛ وبعده، فيروورد (١٩٥٨-١٩٦٦) الذي حاول عقلنة نظام الأبارtheid باستبطاط نتائج منطقية له.

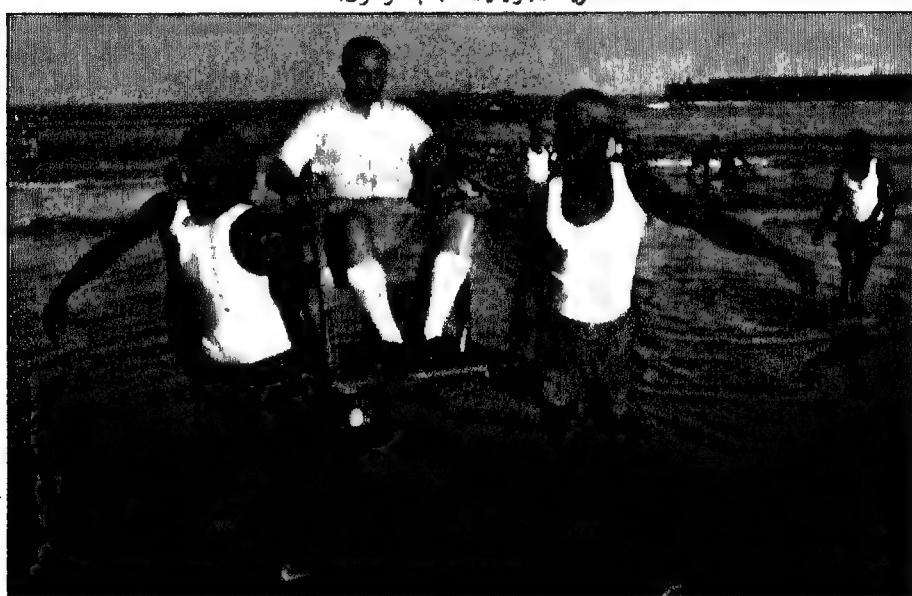
الأبارtheid Apartheid (الفصل العنصري)

تمهيد: كلمة أفريكانية (لغة البيض في جنوب افريقيا) حدّيث العهد، إذ دخلت قاموس التداول اليومي في ١٩٥٠ ككلمة تشير وتعرّف عن السياسة العنصرية للحزب الوطني في جنوب افريقيا منذ استلامه السلطة في ١٩٤٨.

والكلمة تعني «العزل العنصري»، أي ان على كل مجموعة عنصرية ان تنمو بمفردها عن المجموعات العنصرية الأخرى، بحسب قدراتها وخصوصياتها وفي داخل مناطق جغرافية متواجدة فيها ومحصصة لها. والمبدأ الأساسي الذي تستند إليه الأبارtheid هو الذي اطلقه الدكتور فيروورد (Dr. Verwoerd) بقوله: «على كل فرد ان يحتل في المجتمع الموقع الخاص به».

وهذه السياسة العنصرية حررت بصورة متنافية تماماً مع نزعة الدولة التعددية المعاصرة. فهي تعارض علناً مبادئ المساواة والتعاون بين

طريق «أبارtheid» لتعجب الوحول.



حماية الحضارة المسيحية الغربية سواء من العقائد والمذاهب المادية أو من الأخلاقيات السوداء في القارة التي تدين بمعتقدات غير مسيحية. فحماية الحضارة الغربية تقتضي بالضرورة تفوق الأقلية البيضاء وإمساكها بالسلطة.

وأخيراً، الأطروحة الرابعة الداعية إلى ضرورة حماية الصفاء البيولوجي للعرق الأبيض من خلال أسلوب وأحكام «الفصل العنصري» (الأبارtheid). فالعبارة التي اطلقها رئيس وزراء جنوب إفريقيا، في ١٩٥٦، ستريديوم: «المشكلة الأساسية هي في حماية العرق الأبيض والحضارة الغربية»، تشكل القاعدة التي تفسّر مختلف نظريات وتطبيقات سياسة الأبارtheid.

السياسة العنصرية هذه في جنوب إفريقيا تأثرت بالنازية قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها. فكانت هناك ممارسات لا سامية معادية لليهود الذين كانوا يشكلون نحو ٥٪ من مجموع الأقلية البيضاء، والدكتور فوروورد (الذي أصبح في ما بعد رئيساً للوزراء) كان، في ١٩٤٠، رئيس تحرير جريدة «دai ترانسفال» التي عملت على الترويج للفكرة النازية. ونشأت في البلاد منظمات شبه عسكرية موالية للنازيين، أهمها منظمة «أوسيفا-برندناغ» (Ossewa-Brandwag)، وكان أحد قادتها فورستر الذي أصبح في ما بعد رئيساً للوزراء. لكن الجنرال سلطان قام، بعد اشتباكات بين عناصر هذه المنظمة والقوات الحكومية، في جوهانسburغ في ١٩٤١، باعتقال عدة آلاف من أعضائها. وقد حُلت رسمياً في ١٩٥٠. لكن، مع قيام الدولة اليهودية في فلسطين تميزت العلاقات بينها وبين «دولة الأبارtheid» في جنوب إفريقيا بأنها كانت قائمة على التعاون في جميع الحالات رغم العزلة الدولية التي فرضتها الدول والمنظمات الدولية والإقليمية و مختلف الهيئات الرسمية والشعبية الدولية على جنوب إفريقيا بسبب نظام الأبارtheid الذي أتبنته.

أسس الأبارtheid، أربع اطروحات عقائدية:
المعتقدات التقليدية لدى البوير الذين أورثوها للمجموعة البيضاء الإفريkanية من بعدهم في جنوب إفريقيا، يضاف إليها تأثير الأيديولوجيات التوتاليتارية، بما (أي معتقدات البوير والتأثير التوتاليتاري) المتصدران الرئيسيان للأبارtheid.
والحقيقة أن الأبارtheid بمجموعة اطروحات سياسية شكلت الفلسفة السياسية للقومية الأفريكانية، أكثر من كونها عقيدة بالمعنى العلمي للكلمة. وصورة رجل البوير المسلح بـ«الكتاب المقدس في يد والبندقية في اليد الأخرى» الذي يعيش حالة من الخطر والاستهانة الدائرين، هي الصورة المثلثيّة تشكل الأطوار التاريجي والسيكولوجي لاطروحات الأبارtheid.

أربع اطروحات رئيسية يُنزلها الأفريكانز منزلة العقيدة: الأولى، أطروحة التاريخ الوطني لشعب البوير الذي عرف، كما يليهود في العهد القديم، «التنزوح الكبير» (١٨٣٦-١٨٤٠) والذي يستمر في مواجهة الصعوبات الملزمة لوصفه المميز.

الثانية، أطروحة «المشيئة الاهلية» التي تدير شؤون «الامة الأفريكانية». ومقدمة دستور ١٩٦١ هي صدى واضح لهذا المعتقد الراسخ: «... يخضع تام لمشيئة الله القادر على كل شيء»، الذي يبديه مصائر الاسم وتاريخ الشعوب، الذي جمع على هذه الأرض أجدادنا القادمين من كل صوب ومنهم إياها، الذي قادهم من جيل إلى جيل، الذي تخاهم بأعجوبة من كل الأخطار التي كانت تهددهم....». فالله أراد الفصل بين الأجناس، وليس الأبارtheid، القائمة على «الاختلاف» الطبيعي بين البشر، إلا صدى للمشيئة الاهلية.

الاطروحة الثالثة وقد رُوج لها في الفترة المعاصرة (إبتداء من خمسينيات هذا القرن) وتعلق بالدور المميز لجنوب إفريقيا البيضاء القائم على

هذه الأرقام لا تعطى إلا فكرة عامة عن فسيفساء الأعراق الموجودة في جنوب إفريقيا، وتعجز عن وضع تصنيف عرقي دقيق. فالجامعة الأفريقية (السود)، حيث لا أقل من عشر قبائل أساسية، الزولو، حوسا، سوتو، الخ... هي نفسها شديدة الاختلاف من حيث الائتمان العرقي في إطار اللون الأسود للسكان. وكذلك بالنسبة لمجموعة الملونين، حيث في داخلها هناك خلاسيو مقاطعة الكاب والماليزيون الذين اعتنقوا الإسلام، وغيرهم. أما اليابانيون، فعلى الرغم من انهم آسيويون فقد عملوا كما لو انهم من البيض. وكذلك فإن توزيع الائتمان بحسب المقاطعات شديد الاختلاف بدوره: مقاطعة الترانسفال كانت تضم (والكلام لا يزال يجري عن وضع الأبارتيد في السنوات الأولى من تطبيق نظامه في ١٩٥٠) نصف البانتو (السود) الذين يسكنون المدن. ومقاطعة الكاب كانت تضم جميع الخلاسيين تقريباً، في حين أن الملون كانوا يُمنعون من التواجد في مقاطعة أورانج وفي جنوب غرب البلاد.

اعتمد التصنيف الآتي تقنية وإجراءات على غاية من التبسيط باعتماده المظهر الفيزيائي فقط، أي اللون. فاللون والشهرة المعروفة هما المعياران اللذان استند اليهما «قانون السجل الشعبي» الصادر في ١٩٥٠: إن كل شخص «مظهره مظهر شخص أبيض أو معروف بأنه أبيض» يصنف في عدد المجموعة البيضاء، والأمر نفسه يسري على باقي المجموعات الإثنية.

وهذا التصنيف اعتمدته الادارة وذكرته على بطاقة الهوية بالنسبة إلى البيض، وعلى «دفتر خاص» بالنسبة إلى السود، وهو الدفتر الذي ينبغي أن يلازم الأسود بصورة دائمة تحت طائلة العقوبة. وعلى كل معرض على تصفيته في حانة اثنية معينة أن يقدم الدليل على أنه يتبع إلى اثنية أخرى. وعملياً كان من المتعذر العثور على مثل هذا الدليل طالما أن القانون يعتمد اللون في التصنيف.

تصنيف الجموعات العرقية: اقتضى نظام الأبارتيد إجراء إحصاء لجميع سكان جنوب إفريقيا بهدف تحديد انتمائهم الآتي. لكن تداخل الأعراق من جهة، وهشاشة معايير التحديد العرقي من جهة ثانية، جعلا عملية التصنيف العرقي على غاية من الصعوبة. فجاءت، في الأخير، استنسابية تعسفية.

في نيسان ١٩٦٥، كانت جمهورية جنوب إفريقيا تعداد ١٧ مليوناً و٤٧٣ ألف نسمة، موزعين على أربع جموعات عرقية أساسية: البانتو٪٨٦،٢؛ البيض٪١٩؛ الملونون (الخلاسيون)٪٩،٧؛ الآسيويون٪٣،١. وبعد أن كانت المجموعة الأفريقية (البانتو) تعداد نحو ٤ ملايين في العام ١٩٠٤، أصبحت نحو ١٢ مليوناً في ١٩٦٥، ثم تغيراً يعيش في المدن، والآخرون في معازل محجوزة لسكنهم تدعى بانتوستان.

إن الضغط السكاني في المدن الذي أحدهه البانتو خاصة منذ ١٩٥٠، وضغط غوهم الديمغرافي، جعلا إمكانيات إتصالهم بالاعراق الأخرى أمراً لا مفرّ منه. وللحصول دون هذا الاتصال كان المشرع الأبيض جاهراً على الدوام «لتطوير الأبارتيد» نحو ضمان إيقائه صالحاً للحصول العنصري. الخلاسيون كانوا يعدون (١٩٦٥) نحو مليون و٦٠٠ ألف وغالبيتهم تسكن مقاطعة الكاب، والآسيويون (الأقلية الهندية وبضعة آلاف من الصينيين) نحو ٥٠٠ ألف في مقاطعة الناتال. أما المجموعة الأوروبية فتقسم إلى: الأفريكانز (٪٥٨ من الأقلية البيضاء)، والإنكليز (٪٤٢)، تضاف إليها الأقلية اليهودية التي كانت تشكل نحو ٪٥ من الأقلية البيضاء. هذا ما كان عليه الامر العددي في ١٩٥٠، لكنه استمر يتغير لمصلحة السود والملونين، بفعل الفارق الكبير بينهم وبين البيض جهة النمو الديمغرافي، إذ أصبح الخلاسيون وحدهم أكثر عدداً من البيض مع مطلع العقد الأخير (١٩٩٠) من هذا القرن.

عملياً على جميع أصعدة الحياة في جنوب إفريقيا تحميءقوانين التي أربت على ٨٠ قانوناً تنص جميعها على فرض الفصل العنصري بين الأعراق وتصادر كل إسكانية مقاومة لها.

على الصعيد السياسي، استبعد غير البيض من كل مشاركة في الشؤون الوطنية أو المحلية. وفي ١٩٣٦ و ١٩٥٦، خسر الخلاسيون والسود في الكتاب حق الاقتراع الذي كان قد منحهم أيام دستور ١٩٠٩. وأصبحت كل مجموعة تعيش لنفسها وعلى حساب نفسها دونما أي تداخل سياسي أو وطني مع مجموعة أخرى. يمكن أن يكون لها تنظيماتها السياسية أو المهنية على الصعيد المحلي، وكذلك مجالس ثقافية، لكنها ملحة بوزارات البيض. وعلى كل حال، استمرت هذه التنظيمات وال المجالس التمثيلية الخاصة بغير البيض أقرب إلى مسودات مشاريع منها إلى الوجود الفعلي ولو بصيغة إلهاقاتها بوزارات البيض.

على الصعيد الاجتماعي، منعت الزيجات

في نيسان ١٩٦٧، جرى الاقتراع على قانون كان من شأنه تدعيم نظام التصنيف الاتني هذا. وقد وضع لواجهة الخلاسيين الذين قد يسعفهم لونهم الادعاء باتصالهم إلى البيض، والذين كانوا حتى تاريخ هذا القانون يتمتعون بمعاملة شبه متساوية مع البيض باعتبارهم «ملحق الرجل الأبيض» أو «الزائد» عليه.

وجاء سيل من كتابات الأدباء والمورخين والاجتماعيين والاعلاميين (غير استطلاعات ميدانية) لتعكس المأساة المفعجة التي عاشها الأفراد والعائلات والجماعات (وخاصة البنات) نتيجة تطبيقات قوانين التصنيف العرقي في جنوب إفريقيا.

الفصل العمودي بين الأعراق: أحلت حكومة جنوب إفريقيا محل مبدأ التكامل مبدأ آخر قائماً على مقوله «عش ودعيه يعيش منفصلًا عنك» (Live and let live apart) وقد طبق هذا المبدأ

دفتر من ٩٦ صفحة:

بطاقة هوية وعبور
وعمل في الوقت
نفسه، ووظيفته
أن يبقى ملازمًا
لهم ليؤكد على
اتصالهم الأسود.
متظاهرون سود
يلقون به في النار.



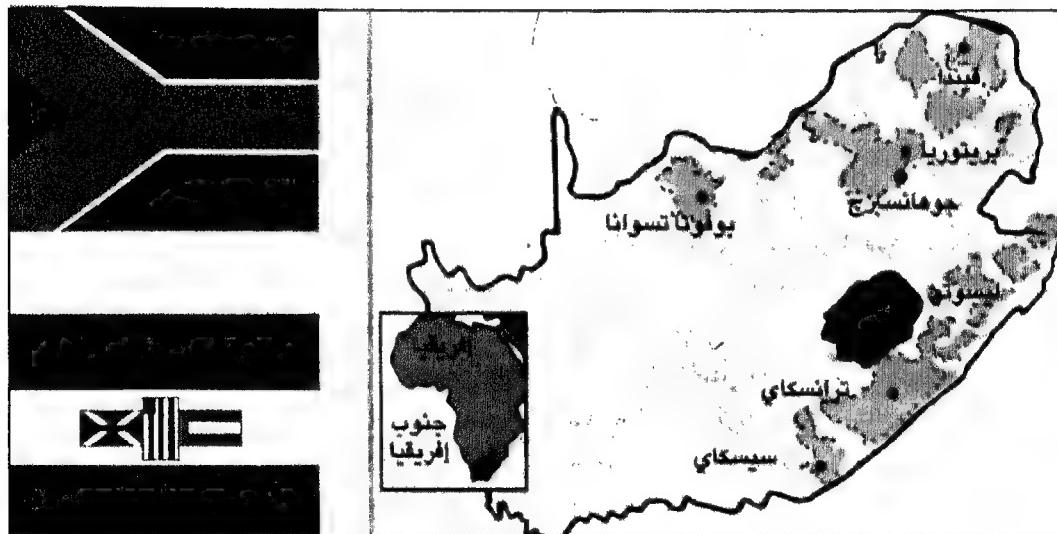
وحاء قانون ١٩٥٠ (وما تبعه من قوانين واحكام مكملة) ليحدد مكان إقامة المجموعات، كل مجموعة ضمن حدود جغرافية معينة. وترتب على هذا القانون تهجير قسري طال خاصة المجموعة الهندية، واحتفت بعض التجمعات السكنية الخيطية ببعض مدن البيض.

في الحياة الاقتصادية والمهنية، حضر كل نزاع مهني، اطرافه من غير البيض، لإجراءات معاصفة يعود القرار النهائي فيها للمسؤولين البيض. الاختبارات مموجعة على الملوكين، وإذا كانت النقابات المختلطة محظورة فإن النقابات الخاصة بكل مجموعة، وإن كانت حرة، إلا أنها غير معترف بها قانونياً، فتصبح عملياً من دون جدوى أو فعالية. الوظائف الرفيعة متوقفة على البيض،

بين البيض وغير البيض. عوجب قانون صادر في ١٩٤٩ المثبت بقانون ١٩٦٧ الذي أبطل صلاحية الزيجات المعقودة في الخارج، ونص على معاقبة كل من يجري علاقات مع عرق آخر خارج نطاق الزواج. فالخوف من «تلوث» العرق الأبيض واضح وجلي في هذه التشريعات. ومنذ ١٩٥٣، فرض القانون فصلاً تاماً بين البيض وغير البيض في كل الامكنته وعلى جميع الصعد التي يمكن أن يقوم فيها اتصال بين انسان وأخر . الامكنة العامة، وسائل النقل، أمكنته التسلية، الرياضة، الفنادق، الخ...). وهناك استثناءات لهذا التمييز العنصري ولكن في حدود ضيقة جداً ودائماً في إطار علاقة السيد بالعبد، كما مثلاً في وضع الخدم في البيوت وفقط خلال دوام عملهم.

ملاكون زراعيون بيض.





على الخريطة: البانتوستانات، والبقعة السوداء هي مملكة ليسوتو.
إلى اليسار: علم المصالحة الوطنية الجديد (أعلى)، وعلم نظام الفصل العنصري (أسفل).

البيض، إلا المشول أمام المحاكم بتهمة «الخيانة» توطئة لصدر حكم بتجريده من الحقوق المدنية. وأول محكمة التأمت للنظر بمثل هذه الدعاوى كانت في كانون الأول ١٩٥٦.

البانتوستان: استعمل نظام الأبارتيد مفردة «بانتوستان» (Bantustan) التي تعني «بلاد» أو «وطن» البانتو، وأحلها محل المفردة التي استعملتها البيض تقليديًا وهي «محمية»، أو «معزل» (Réserve) أو قطعة الأرض المحجوزة لسكن معينين، وهم البانتو، أي السكان الأفريقيين السود في حالة جنوب إفريقيا. والصيغة الجديدة المستعملة «بانتوستان» اعتبرها نظام الأبارتيد خطوة متقدمة على السابق على أساس أنها ترتكز على أفكار رئيسية ثلاثة: ضرورة ضمان نمو البانتو وتقدمهم في إطار إقتصاد زراعي أساساً؛ ضرورة تحديد إقليم تكون مخصصة للاتنيات الأفريقية دون سواهم؛ وضرورة منحهم بنى تحتية إدارية قادرة لأن يجعل الأفريقيين يتعلكون تدريجياً إدارة ذاتية حقيقة ولكنها ملائمة وتقاليدهم.

حاول قانون ١٩١٣ المعروف بـ«لند أكت» Land Act أن يجدد المساحة الإجمالية المثلث

المتوسطة وما دون يمكن ان يدخلها الخلاسيون وبعدهم السود.

منذ ١٩٥٣، أمسكت الحكومة المركزية بادارة التعليم الابتدائي والثانوي لدى البانتو (السود) ووجهت برامج التعليم وفق ما يخدم نظام الأبارتيد. وهذه السياسة التعليمية بدأتها الحكومة أيضاً، منذ ١٩٦٣، إزاء الخلاسيين. وفي ١٩٥٩ صدر قانون الجامعات حيث منعت جامعات البيض من استقبال طلاب من غير البيض. وفي المقابل، افتتحت ثلاثة معاهد للبانتو، ومعهد واحد للخلاسيين والمهندس. الدكتور فيروورود حدّد فلسفة لنظام التعليم المتوازي هذا بقوله: «يجب العمل على الحضارة ولكن ليس وفق النمط الغربي». والأرقام الاحصائية حول انتشار التعليم كثيرة ما كانت حكومة جنوب إفريقيا تلحاً إليها لرفعها في وجه المعارضين والمنتقددين. وفي ١٩٦٧، أصبحت نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة وارتادوا المدارس ٥٥٪ من جموع البانتو، وهي نسبة متقدمة على كثير من البلدان الأفريقية. أما الحرية، التي كثيراً ما كانت الحكومة تتكلم عليها، فكانت متوافرة طالما هي حاضرة لقوانين الأبارتيد. ولم يكن امام المعارضين على الأبارتيد من البيض وغير

وساعدت الوحدة الجغرافية والظروف الديمografية والاقتصادية التي تحيط بها ترانسكاي على تنمية تجربة استقلالها الذاتي. وهذا الأمر لم يكن متوفراً للباتوستانات المقرحة الأخرى التي كانت تضم إثنيات سوداء شديدة الاختلاف تعيش على أرض غير متصلة، أي لا تشكل وحدة اقليمية جغرافية. واحدى الأفكار التي طرحتها فيروورد، والمتعلقة بمسألة الباتوستانات، تعلقت بضرورة تسريع لامركزية صناعات البيض، وإقامتها عند حدود مناطق جنوب إفريقيا البيضاء مع الباتوستانات، ما يتيح الفرصة أمام الصناعيين للحصول على يد عاملة سوداء ورفع مستوى حياتها من دون إجبارها على ترك مكان إقامتها والنزوح إلى مناطق البيض. وقد اقيمت فعلاً استثمارات صناعية في المناطق الحدودية، لكنها لم تعطي النتائج التي لاحظتها دراسة لجنة توملينسون. أما اللاسيون والأسيويون فقد عاشوا في جزر متاثرة داخل مناطق المجموعة البيضاء.

ما هي الباتوستانات وماذا عن وضعها بصورة عامة حتى انتخابات نيسان ١٩٩٤ التي قضت على نظام الأبارتيد؟

- **ترانسكاي Transkei:** باتوستان مستقل غير معترف به لا من هيئة الأمم المتحدة ولا من منظمة الوحدة الأفريقية. مساحته ٤٣٧٩٨ كلم م.، وعدد سكانه نحو ٣،٥ مليون نسمة. أكبر إثنية، أو قبائله، قبيلة خوسا. مستقل، في إطار جمهورية جنوب إفريقيا، منذ ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٦. عاصمته أومنالا.

- **بوفوتاتسوانا Bophuthatswana:** باتوستان مستقل غير معترف به دولياً. مساحته ٤ ألف كلم م.، وهو إقليم غير متصل جغرافياً، متاثر إلى سبعة أجزاء في جنوب إفريقيا وفي بوتسوانا (دولة مستقلة). عدد سكانه نحو ٣،٥ مليون نسمة. أهم قبائله: تسوانا، سوتوا، شانغانس، خوسا، زولو. مستقل منذ ١٢ حزيران

لإنشاء ٢٦٠ محمية للسود. وحدد قانون ١٩٣٦ الرقم النهائي لإجمالي المساحة، وكذلك الشروط التي يجب اتباعها لشراء الأرض تدريجياً من الفلاحين البيض. وعندما انتهت عملية الشراء أثناء الحرب العالمية الثانية، كانت المساحة المعدة للباتوستان تُحتل ١٣٪ من مجموع مساحة جمهورية جنوب إفريقيا، والممساحة المتبقية اعتيرت منطقة تملكها الأقلية البيضاء.

وجاءت مسألة تقطيع الباتوستان لطرح مشكلات معقدة ودقيقة. والدراسة الأشمل والأولى حول هذه المسألة هي التي وضعتها لجنة توملينسون (Tomlinson) في تشرين الأول ١٩٥٤. وما جاء في هذه الدراسة أن بمحاجة الباتوستانات في الثلاثين إلى الخمسين سنة القادمة يمكن بشرط أن تعمد الدولة إلى استثمارات ضخمة فيها، وتحديث البنية الاقتصادية والإدارية، أو تصنيعها. وانتهت الدراسة إلى إطلاق هذا الإنذار في وجه الحكومة: «ال الخيار واضح. إما قبول هذا التحدي والعمل له، وإما قبول ما لا يمكن تجنبه مستقبلاً وقبول نتائجه تاليًا، وهو تكامل السود الأفاريقين والأوروبيين في مجتمع مختلط ».

بعد نحو تسع سنوات من هذه الدراسة، أنشئ باتوستان واحد هو «ترانسكاي» (Transkei) ومنح دستور في ٣٠ أيار ١٩٦٣ وهو كناية عن إقليم في جنوب إفريقيا تعادل مساحته مساحة الدنمارك، وكان يسكنه، في حينه، نحو مليون ونصف مليون من الباتو (أي ما يعادل ٣٪ من مجموع السود الذين كانوا يعيشون في المحبيات) الذين يتمون بغالبيتهم إلى قبيلة، أو اتنية، خوسا التي خرج منها نلسون مانديلا. وكان يمثل جمهورية جنوب إفريقيا (أي الحكومة المركزية) في باتوستان ترانسكاي مفروض عام يشرف على جميع النشاطات المهمة. لكن هذا الأمر لم يمنع ترانسكاي من ان تتطور تدريجياً استقلالها الذاتي.

قبائل الزولو، والباقون من قبائل الخوسا والسوتو والسوazi. عاصمته أولندي.

- كواندييللي Kwandébélé: بانتوستان مستقل ذاتياً منذ اول تشرين الاول ١٩٧٩. مساحتها ٢٣٩٩ كيلم م.. عدد سكانها نحو ٥٥٠ ألف نسمة، غالبيتهم من قبيلة السوتو. عاصمته كوانلنغا.

إضافة إلى بانتوستانات (دول، أو ولايات السود)، هناك ست مقاطعات في إطار التقسيم الإداري السياسي والاتي للبلاد: ١ - مقاطعة الكاب (Cap)، ومساحتها ٦٤١٣٧٩ كيلم م، وعدد سكانها نحو ٦ مليون نسمة، منهم نحو ١،٢ مليون أبيض، ونحو ٢ مليون أسود، ونحو ٢،٧ مليون خلاسي ونحو ٤٠ ألف آسيوي؛ ٢ - مقاطعة النatal (Natal)، ومساحتها ٩١٧٨٥ كيلم م. (مع بانتوستان كوازولو)، وعدد سكانها نحو ٧٠٠ ألف نسمة. وأهم قبائله شانغاني وسوazi. ونسبة كبيرة منهم تعيش في مقاطعة البيض في ترانسفال. استقلاله الذاتي منذ اول تشرين الاول ١٩٧٧. عاصمته لويسفيل.

٣ - مقاطعة، أو دولة أورنج (Orange)، ومساحتها ١٢٧٩٩٣ كيلم م. (مع بانتوستان كواكوا)، وعدد سكانها نحو ٢،٧٥ مليون نسمة، منهم نحو نصف مليون أبيض، و٢،١ مليون أسود، و١٠٠ ألف خلاسي، و١٠٠ ألف آسيوي؛ ٤ - مقاطعة ترانسفال (Transvaal)، وفيها العاصمة بريتوريا. مساحتها ٢٦٢٤٩٩ كيلم م.. وعدد سكانها نحو ١٠ ملايين نسمة، منهم نحو ٣ ملايين أبيض، و٦،٥ مليون أسود، و١٧٥ ألف آسيوي، و٣٢٥ ألف خلاسي؛ ٥ - جزيرة ماريون (Marion) التي تبعد ١٩٢٠ كيلم جنوب الكاب في المحيط الهندي، مساحتها ٣٨٨،٥ كيلم م.. اكتشفت في العام ١٧٧٢ على يد البحار الكابتن ماريون، وتستعمل كمركز للتجارة التورية؛ ٦ - جزيرة الامير إدوارد، وتبعد ٢٠ كيلم عن جزيرة ماريون، مساحتها ٤٧ كيلم م.. وكانت من الممتلكات الفرنسية، وتخللت عنها فرنسا لبريطانيا أيام

١٩٧٧. عاصمته مباتو.

- سيسكاي Ciskei: بانتوستان مستقل غير معترف به دولياً. مساحتها ٨٥٠ كيلم م. (طول شاطئه ٦٠ كيلم)، وعدد سكانه نحو مليون نسمة إضافة إلى مليون آخر يقيمون في جمهورية جنوب أفريقيا، غالبيتهم من قبيلة خوسا. مستقل منذ ٤ كانون الاول ١٩٨١. عاصمته بيشو.

- غزنوكلو Gazankulu: مستقل ذاتياً. مساحتها ٧٩٦٧ كيلم م..، واقع فيه غير متصل جغرافياً، ومقسم إلى أربعة أجزاء. عدد سكانه نحو ٨٥ ألفاً. أهم قبائله: شانغاني، تسونغاس، سوتو... استقلال ذاتي منذ شباط ١٩٧٣. عاصمته جييانجي.

- كنغواني Kangwané: بانتوستان مستقل ذاتياً. مساحتها ٥٠،٥٦ كيلم م.. عدد سكانه نحو ٧٠٠ ألف نسمة. وأهم قبائله شانغاني وسوazi. ونسبة كبيرة منهم تعيش في مقاطعة البيض في ترانسفال. استقلاله الذاتي منذ اول تشرين الاول ١٩٧٧. عاصمته لويسفيل.

- ليوا Lebowa: بانتوستان مستقل ذاتياً منذ تشرين الاول ١٩٧٢. مساحتها ٢٥٢٧٦ كيلم م..، مقسمة إلى إقليمين كبيرين و١٧ إقليماً صغيراً. عدد سكانه نحو ٣،٤ مليون نسمة، وأهم قبائله السوتو. عاصمته ليواكغومو.

- كواكوا Qwaqwa: بانتوستان مستقل استقلالاً ذاتياً منذ ٢٥ تشرين الاول ١٩٧٤. مساحتها ٩٠٢ كيلم م..، واقع في جبال دراكسنيرغ على علو بين ١٧٠٠ و٢٥٠٠ م. عدد سكانه نحو ٣٠ ألف نسمة، غالبيتهم من قبيلة السوتو. عاصمته ويتسيرهوك.

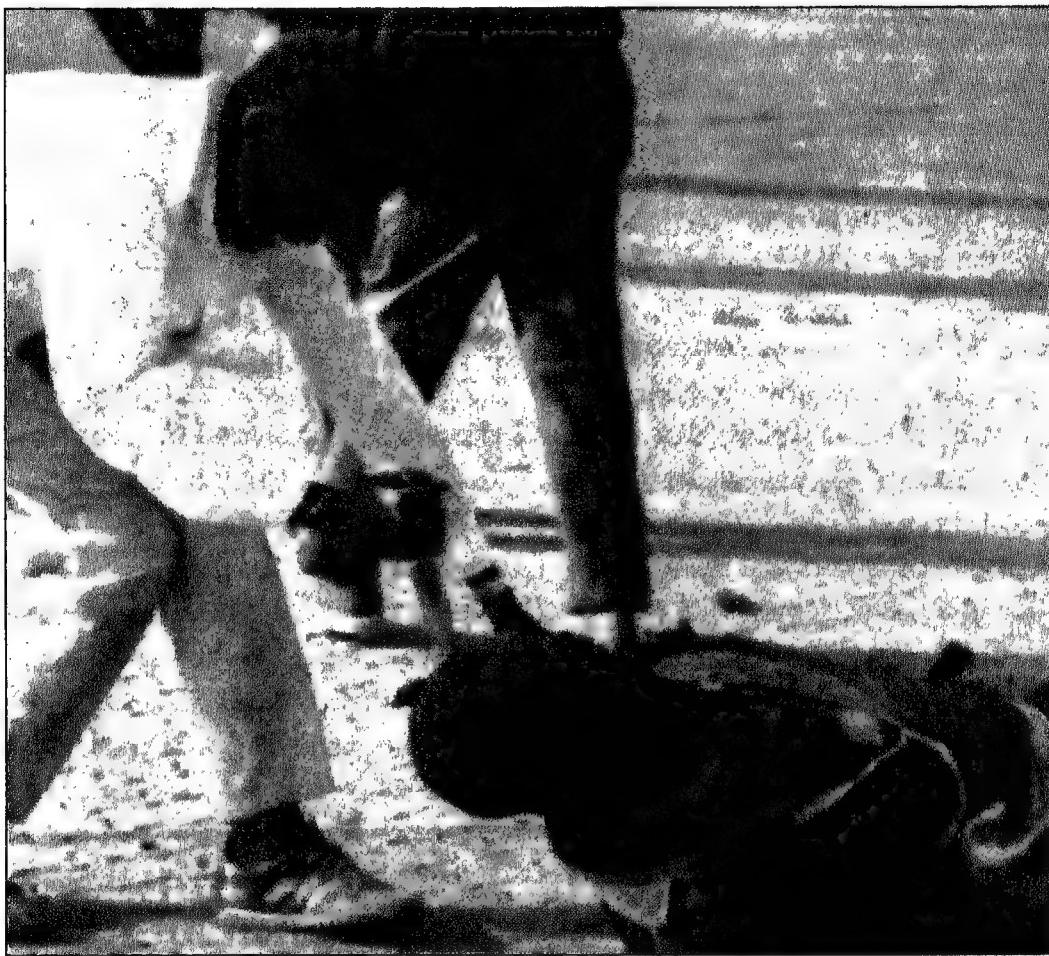
- كوازولو Kwazulu: بانتوستان، مستقل ذاتياً منذ حزيران ١٩٧٠. مساحتها ٣٢٣٩٥ كيلم م..، واقع في مقاطعة الناتال، ومقسم إلى ٧٠ جزءاً تشكل جميعها ٣٥٪ من مساحة المقاطعة. عدد سكانه نحو ٥،٥ مليون نسمة، ٩٨٪ منهم من

بوتيليزي، بينما تبلغ نسبة الهوسا (ومنها نلسون مانديلا) نحو ٢٠٪، والسوتو الشماليين نحو ١٦٪. واعتبرت قبيلة الزولو، من خلال حركة إنكاثا، متحالفة مع الحكومة البيضاء، واتسمت علاقاتها بالمؤتمر الوطني الأفريقي بزعامة مانديلا بالعداء والعنف. واندلع الصراع على السلطة بينهما، إلى أن حسم لمصلحة مانديلا، بتأييد من قطاعات واسعة من قبيلة الزولو نفسها، قبيل انتخابات نيسان ١٩٩٤، وبعد أن كان الخلاف وصل إلى حد تهديد بوتيليزي بانفصال باتنوسان الزولو عن جنوب أفريقيا.

الجمهورية الثالثة، وضمها، وجزيرة ماريون، اتحاد جنوب أفريقيا في العام ١٩٤٨. وهي غير مأهولة.

تشرذم السود: عانت الأغلبية السوداء من التفتت والتشرذم بفعل الطابع القبلي والعشائري المميز للسود في البلاد. فالسود ينقسمون حمس قبائل كبيرة في جنوب أفريقيا: الزولو، الهوسا، السوتو الشمالي، السوتو الجنوبي، تسوانا. وتتمتع قبيلة الزولو بالأغلبية السكانية النسبية حيث تشكل وحدها نحو ٣٨٪ من إجمالي السكان السود، وإليها يتتمي زعيم حركة «إنكاثا» منغوسوتو

العنف الأسود - الأسود.



تفكيك نظام الأبارtheid

عام ١٩٨٣، كما صدرت عدة قوانين تعديل أو تحل محل قوانين سابقة أكثر عنصرية. في ١٩٨٥، أعلن الرئيس بوتا (Botha) أن الأبارtheid أصبح «مفهوماً وقد تجاوزه الزمن»، في ما استمر اليمين المتطرف وحده في الأقلية البيضاء متمسكاً بالمفهوم القديم للأبارtheid. في نيسان ١٩٨٥، تم إبطال كل ما له علاقة بمنع الزواج المختلط. وفي أول إيلول ١٩٨٥، تم أيضاً إلغاء التمييز العنصري في وسائل النقل. في نيسان ١٩٨٦، تم إلغاء الاجراءات الخاصة بـ«دعاة يبر» الذي كان يجبر السود على حمل بطاقة عنصرية تبقى ملزمة له في كل تنقلاته، ومن جراء ذلك كان قد تم توقيف أكثر من ٨٠٠ ألف أسود بين ١٩٨١ و١٩٨٤. في تموز ١٩٨٦، تم الاعتراف بحق السود في التملك. وفي تشرين الأول ١٩٨٦، ادانت الكنيسة الاصلاحية المولندية كل محاولة تبرير إيجيلي (أو توراتي) لنظام الأبارtheid. في ١٢ آب ١٩٨٧، تم القضاء على آخر مظاهر الفصل العنصري في ما يتعلق بالعمل في المناجم. في ٥ تشرين الأول ١٩٨٧، أقر مبدأ فتح كل المناطق أمام السود الراغبين في الاقامة حيثما شاؤوا. في ٢٩ حزيران ١٩٨٨، أنشئ مجلس وطني متعدد الأعراق لوضع دستور جديد للبلاد، مؤلف من ٤٦ عضواً، بينهم ٣٠ من السود. في تشرين الأول ١٩٨٨، حدد موعد لإجراء انتخابات بلدية عامة ومتعددة الأعراق، هو يوم ٢٦ تشرين الأول ١٩٩٩. في ٣ تشرين الثاني ١٩٨٨، بدأ العمل بـ«السلطة التنفيذية» المشتركة بين باتشوتستان كوازاولو ومقاطعة ناتال، ويتمثل فيها ٥ من السود (منهم الرئيس أوسكار دلومو)، و٣ من البيض و٢ من الملون. في ٢٩ حزيران ١٩٨٩، فتحت جوهانسبورغ كل مساحاتها وخطوط مواصلاتها ومرافق تسليتها أمام الجميع من كل الأعراق. في ١٦ أيار ١٩٩٠، تم إلغاء التمييز العنصري في المستشفيات. في ١٥ تشرين الأول ١٩٩٠، تم رسمياً إلغاء قانون التمييز العنصري في الأماكن

روزنامة التفكيك التدريجي: انهيار نظام الأبارtheid في جنوب إفريقيا الذي وقف العالم على انهياره النهائي والقضاء عليه في انتخابات نيسان ١٩٩٤ لم يتم دفعة واحدة من خلال استصدار قانون أو من خلال حدث، بل جاء تدريجياً لسلسلة من التشريعات والإجراءات والأحداث والممارسات دفع إليها عاملان رئيسيان: مقاومة السود التي لم تطفئ جذورها على مر السنين، والضغط الدولي الذي وصل إلى حد وضع جنوب إفريقيا، بنظامها العنصري، في عزلة تامة عن العالم. وفي ما يلي روزنامة بأهم أحداث التفكيك التدريجي لهذا النظام:

في ٢٩ كانون الأول ١٩٧٤، جرت أول مباراة في كرة القدم في جوهانسبورغ بين فريق أبيض وفريق أسود. في ١٩٧٥، تخرجت أول دفعة من الضباط الخلاصيين في الجيش. في ١٩٧٦، أقيم مسبح متعدد الأعراق على شاطئ بورت إليزابيث. في ١٩٧٨، أقيمت مهرة للحث متعددة الأعراق في ترانسفال. في ١٩٧٩، السماح للسود بإنشاء نقابات لهم. في ١٩٨٠، انضم نحو ٢٠٠ ألف أسود إلى النقابات، وسمح بالزواج المختلط بين الرجل أبيض والمرأة الخلاصية. في ١٩٨١، صدر قانون يلغى حصر الوظائف باعراق معينة ويفتح باب العمل النقابي وفتح مراكز التعليم والتأهيل أمام العمال من كل الأعراق. في ١٩٨٢، عقد اجتماع بين الحكومة المركزية في جنوب إفريقيا وبين حكومات أربعة باتشوتستان بهدف تسهيل التعاون فيما بينها. وابتداء من ١٩٨٢، منحت المناطق المدنية للسود نظاماً بلدياً. في ١٧ آب ١٩٨٤، جرى تشرع أول إضراب اعلنته نقابة للسود. وفي ٢٧ و ٢٨ آب ١٩٨٤، جرت انتخابات تشريعية للخلاصيين والملون على أساس الاصلاح الدستوري الصادر في ٢ تشرين الثاني

توصلت حكومة بريتوريا والمؤتمر الوطني الافريقي بحركة إنكاثا وبعض الشخصيات السياسية والدينية إلى اتفاقية سلام في أيلول ١٩٩١. وذلك بهدف إنهاء أعمال العنف في مدن السود التي كان قد راح ضحيتها ما لا يقل عن ١٠ ألف شخص على مدى سبع سنوات. ونص الاتفاق على عدم حواز حمل السلاح أثناء الاجتماعات السياسية وحظر تشكيل الميليشيات المسلحة وتشكيل ثلاث لجان مراقبة لمتابعة تنفيذ الاتفاق.

«كوديزا» والاستفتاء: في إطار التحاور
مع دعوة مانديلا، بدأت في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٩١ محادثات شاملة بين حكومة بريتوريا والقوى الوطنية الافريقية التي يتضمنها نحو ٢١ جماعة سياسية بهدف العمل على بناء جنوب إفريقيا الوحيدة. وقد أفضت تلك المحادثات إلى إقامة «المؤتمر الدستوري من أجل جنوب إفريقيا ديمقراطية» المعروف اختصاراً بـ«كوديزا» في ٢٠ كانون الأول ١٩٩١، وأمكن من خلال هذا المؤتمر التوصل إلى اعلان للنوايا يتضمن العمل على إجراء التحول الدستوري.

وتنقت عملية التسوية قوة دفع كبيرة مع موافقة البيض في الاستفتاء الذي اجرته الحكومة في ١٧ آذار ١٩٩٢ بشأن الاصالحات السياسية المفضية إلى القضاء على الأبارtheid. حيث كان هذا الاستفتاء (٦٨,٧٪ من الأصوات) ضرورياً لقطع الطريق على العناصر البيضاء المناوئة للإصلاح (المحافظون اليمينيون والنازيون الجدد وبعض عناصر المخرب الوطني الحاكم)، ولتأييد الدستور الجديد الذي قدمه دوكليرك والذي ينص على إنشاء مجلسين: الاول، يأتي بالانتخاب الحر المباشر على أساس صوت واحد لكل ناخب واحد؛ والثاني، يعطي مقاعد متساوية لاقاليم جنوب إفريقيا، ويمثل مجلس الأقاليم حق النقض في ما يوافق عليه المجلس المنتخب، وذلك لتوفير قدر من القوة

ال العامة. في ١٧ حزيران ١٩٩١، تم رسمياً إلغاء الأبارtheid وكل القوانين ذات الصلة به.

دوكليرك ومانديلا: مع وصول فريديريك دوكليرك إلى رئاسة الجمهورية في منتصف آب ١٩٨٩، أعلن عن عزمه إدخال اصلاحات جذرية للحد من سياسات التمييز، ويدرك إلى اتخاذ مجموعة من الاجراءات الرامية إلى إنهاء بعض جوانب نظام الأبارtheid. ومن أبرز تلك الاجراءات ما أعلنه دوكليرك في شباط ١٩٩٠، في إطار برنامج الاصلاح السياسي والانهاء التدريجي للنظام العنصري، وما اعتبر أضخم تحول سياسي في البلاد، إذ اشتمل هذا البرنامج على رفع الحظر النهائي عن نشاط حزب المؤتمر الوطني الافريقي (زعيمه نلسون مانديلا)، وحزب عموم إفريقيا، والحزب الشيوعي و٢٣ منظمة وحزباً سياسياً كانت جميعها تكافح النظام العنصري، بالإضافة إلى إطلاق سراح نلسون مانديلا، واحتصار مدة الاحتجاز администратif من دون محاكمة لمدة ستة أشهر فقط كحد أقصى، ووقف تنفيذ احكام الاعدام، ورفع الرقابة عن اجهزة الاعلام وسن قوانين جديدة لها. ثم اعلنت الحكومة عقب ذلك عفوها عاماً عن المفرين السياسيين الذين يصل عددهم إلى نحو ٤٠ ألفاً وإتاحة الفرصة لهم للعودة إلى بلادهم طواعية خلال ١٢ شهراً، بالإضافة إلى إدخال تعديلات على قوانين الحقوق المدنية في البلاد.

وقد بدأت عملية التسوية في جنوب إفريقيا عقب اعلان مانديلا في منتصف ١٩٩١ دعوته كل الأحزاب ذات الوزن الشعبي للمشاركة في محادثات تهدف إلى وضع دستور غير عنصري، ومطالبته بتشكيل حكومة انتقالية تكون مهمتها الرئيسية إنهاء العمل تماماً بنظام الأبارtheid (الفصل العنصري)، وذلك من خلال الاشراف على المفاوضات التي تؤدي إلى انتخاب جمعية تأسيسية تتولى وضع دستور جديد. في اعقاب ذلك،

الارضية امام استئناف المحادلات الدستورية الموسعة المتعددة الاطراف في ٥ آذار ١٩٩٣ عقب انقطاع طويل، بهدف استئناف اعمال نقل البلاد من نظام الأبارtheid إلى النظام الديمقراطي. غير ان اغتيال كريس هاني، زعيم الحزب الشيوعي وأحد أبرز قادة المؤتمر الوطني الافريقي وعضو اللجنة التنفيذية الوطنية التي تتولى وضع سياسة المؤتمر الوطني، أدى إلى تصاعد اعمال العنف في ايار ١٩٩٣. لكن الرعماه الافارقة والبيض اتفقوا على ان احتواء اعمال العنف لا يمكن ان يتم من دون الاسراع في محادلات التحول إلى الديمقراطية. وهذا ما حصل بالفعل رغم ما شابه من معوقات (أمنية على وجه الخصوص) عجزت عن إيقاف المسار التسووي الديمقراطي (استكمالاً لخطوات التسوية الديمقرطية التوازية مع خطوات تفكك الأبارtheid، راجع أواخر باب «النبذة التاريخية»).

مناقشة: ما بين جنوب إفريقيا وفلسطين:
محادلات وإجراءات وتشريعات تفكك الأبارtheid في جنوب إفريقيا تزامنت مع المفاوضات والاتفاقيات الفلسطينية (والعربية)-الإسرائيلية (وكذلك، وإلى حد كبير، مع احداث عالمية كبرى بدءاً بانهيار الاتحاد السوفياتي، وحرب الخليج الثانية، وبعدهما حرب البوسنة-الهرسك...). فائزري الكتاب والخلolloن للربط ما بين هذه الاحداث الكبرى في سياق ما يرتسם من ملامح لنظام عالمي جديد. وكانت المقارنة بين فلسطين وجنوب إفريقيا، تاريخياً وراهناً، مادة الكتابة الأغرى لدى الكتاب والمفكرين السياسيين العرب. من هؤلاء، ورعاً في مقدمتهم، الكاتب والخبير السياسي المصري لطفي الخولي الذي نشرت له «الحياة» (١٣ كانون الثاني ١٩٩٤) المقال التالي:
١ - بداعم ١٩٩٣، في أيامه الأخيرة، كانه زمن المعجزة التي توهجت اخيراً، ولمست بعضها السحرية بورقي الصراع الدامي في

السياسية للبيض لواجهة حكومة الأغلبية السوداء.

التعثر و«إنكاثا»: على ان المباحثات الدستورية دخلت بعد ذلك فترة من التعثر بسبب ما كانت تبديه حكومة دوكليرك من تخوف على الأقلية البيضاء مع بدء تطبيق الدستور الجديد، ساعدت على ذلك حوادث العنف العنصري التي لم تقطع والتي كانت ترتكبها تنظيمات متطرفة من الجنانين، البيض والسود، منها مذبحة مستوطنة «بوبياتونج» الواقعة قرب جوهانسبورغ، راح ضحيتها ٤٢ شخصاً من الرجال والنساء والأطفال، وقام بها اعضاء حركة إنكاثا بالتواطؤ مع قوات الامن العنصري في منتصف حزيران ١٩٩٢، ما دفع انصار حزب المؤتمر الوطني الافريقي (مانديلا) إلى تصعيد اعمال العنف ضد حكومة بريتوريا وطالبة دوكليرك بالاذعان لحكم الأغلبية السوداء.

امتدت فترة التعثر هذه ما لا يقل عن عشرة أشهر، اعتمدت خلالها عملية التسوية على آلية بدائلة تمثلت في اللجوء إلى المحادلات الشائكة سواء في ما بين دوكليرك ومانديلا، أو في ما بين مسؤولي الحكومة البيضاء وحزب المؤتمر.

التسوية: فقد حاول دوكليرك ان يحافظ على استمرار مسيرة التسوية، رغم حوادث العنف شبه اليومية، من خلال التعهد، في ايلول ١٩٩٢، باجراء الاصلاحات التشريعية في غضون ما لا يزيد عن عامين. وبخج دوكليرك ومانديلا في الاتفاق على تفاصيل مشتركة بشأن الحاجة إلى التحرك بسرعة نحو إقامة حكومة وحدة وطنية انتقالية وانتخاب جمعية وطنية ديمقراطياً.

شكل الاتفاق، بحد ذاته، دفعة قوية وتطوراً سياسياً مهماً بما انطوى عليه من تنازل الحكومة في شأن مسألة السلطات وحدود الأقاليم (البانتوستانات) واحتصاصاتها، الامر الذي مهد

الغرب عن حق الشعوب في تقرير مصيرها، والعداء للعنصرية عموماً، وصورها الأوروبية الفاشية والنازية، بصفة خاصة.

وهكذا استمر المشروع الصهيوني في فلسطين في احتاته للفلسطيني من وطنه وحذره وهوبيته القومية والثقافية وحربيه، كذلك مشروع الأبارtheid الساحق لقومات الشعب الأفريقي، خارج الصياغات والمفاهيم الفكرية والسياسية للغرب عن العنصرية.

ان ازدواجية المعايير في تقييم الظواهر الإنسانية والسياسية والاجتماعية، بقيت-ولا تزال- معلماً مميزاً للعقل الغربي، السائد والمهيمن. ييد ان حركة المتغيرات الفكرية والسياسية الدولية راحت تعمل على تعريته وكشفه وحضاره منذ التسعينيات.

ومن السمات المشتركة أيضاً، ما حدث من نهوض وطني في فلسطين وجنوب إفريقيا ضد عنصرية المشروع الصهيوني ومشروع الأبارtheid. اخذ اشكالاً متعددة من المقاومة متقطعة بين وقت وآخر. لكن مع تجمع الخبرات الوطنية، في مناخ ما بعد الحرب العالمية الثانية ودحر الفاشية والنازية والاستقطاب الدولي الثنائي خلال الحرب الباردة وبروز القوى الدولية لحركة عدم الانحياز وحركة التحرير الوطنية أمكن للمقاومة ان تتطور إلى ثورة تحرير مسلحة ذات نفس طويل وأفق سياسي محدد الاهداف. وعلى رغم ان هذه الثورة، لم تستطع ان تتحقق هدف التحرير إلا انها، بتضحيات هائلة تقاد تكون يومية راحت تتضاعف بالضغط الحياتية والأمنية، إلى حد تقولب معه كل من دولة إسرائيل ودولة الأبارtheid في قلعة قوية شديدة التحصين. لكنها محاصرة تتقطع خيوطها مع الواقع الحياة والعالم، صغيراً وكبيراً، من حولها، شيئاً فشيئاً.

تشترك فلسطين وجنوب إفريقيا، في سمة أخرى ثلاثة، وتعني بها تداخل هيكل كل الثورة

فلسطين وجنوب إفريقيا، فإذا بالفرقاء المتصارعين طوال عهود وسنوات ميررة، يتقدون ويتفاوضون ويتصافحون على ارض باردة، لكن اتون البوتين لا يزال مشتعل الاوار من حولها.

في ذلك العام ستحت فرصة استثنائية، لعقد اول توسيبة من نوعها للصراعين المتأزمين، كما لم يتآزم صراع اقليمي آخر طوال القرن العشرين. لكنه ككل توسيبات عام ١٩٩٣ جاءت منقوصة غير مكتملة، تقف مرتخفة في مفترق طرق النجاح أو الانتكاس.

ولأن كل الحسابات الدولية والأقليمية، لم تدخل في اعتبارها امكان حدوث شيء مهم عام ١٩٩٣ يغير مناخ العداء المطلق بين الاطراف المتصارعة في فلسطين وجنوب إفريقيا على وجه المخصوص، فقد ظهر الأمر كأنه معجزة، وتعامل الرأي العالمي والأقليمي مع الحدفين بهذا المنظور. وذلك على رغم ان جماعات تتسمى إلى هذا الطرف أو ذاك، نظرت إليه كأنه كارثة.

سواء كان الامر معجزة أو كارثة، عند هذا البعض أو ذلك، فإنه شد انتباه العالم إلى درجة بات معها الملمع المميز لعام ١٩٩٣، هو الفلسطيني من وجهه، وجنوب إفريقيا من وجه آخر.

٢- اللافت للنظر ان بين الوجهين سمات مشتركة، إلى جانب السمات الخاصة بكل وجه على حدة.

لعل من أبرز السمات المشتركة، ان العنصرية الدموية هي التي حركت نيران الصراع واسعنته في كل من فلسطين وجنوب إفريقيا. حملها معه المهاجر الإسرائيلي، وبشاشة الوافد من الغرب، والمستوطن الأبيض، الوافد من الغرب أيضاً، عقيدة وسلوكاً. وذلك على امتداد العصر الاستعماري، قديمه وجديده.

ظلت هذه العنصرية تلقى الحماية والدعم من الغرب، قديمه وحديثه، على رغم كل ادعاءات

الفلسطيني والجنوب افريقي. ذلك ان الخط الاسترالي الكوني للغرب-مع نهاية القرن العشرين-بات يتحدد في ان أمنه وربما سيادته النسبية في النظام العالمي الجديد قيد التشكيل، مرهون بعدم امتلاك اطراف جدد خارج «ناديه النروي» أي سلاح من هذا النوع، حتى لو كان بأيدي حلفائه، هنا وهناك من العالم،خصوصاً من نوع النظام الاسرائيلي ونظام الأبارtheid، اللذين عرفا دوماً بطابع المغامرة.

٤- في تقديرني ان هذه السمات الاربع المشتركة لفلسطين وجنوب افريقيا حددت مع مطلع عام ١٩٩٣ مسؤولية سادة العالم الغربيين، إزاء أنفسهم المستقبلي أولاً، ثم إزاء صياغة العالم الجديد على أساس الأسواق الإقليمية الكبيرة المفترحة تحت خيمة اتفاقية «الغات» تجاه هذين التنويعين العنصريين الملتدين. أحدهما يحتل موقعه الاسترالي في شرق البحر الايبيض المتوسط والآخر في الطرف الجنوبي من افريقيا.

ومن دون دخول في التفاصيل التي يضيق عنها مجال الحديث، فإن القراءة الموضوعية لعدد من التقارير السياسية الغربية من مصادر مختلفة تشير إلى التصاعد في عزف نغمة واحدة. وهي أن هذين التنويعين أدياً للغرب-في الوقت الاستعماري الذهبي-خدمات جليلة دفعت دول الغرب في مقابلها الثمن الجزي، مادياً وسياسياً. مع التغيرات والتحولات الجديدة التي يعاد معها تشكل النظام الدولي الجديد، لم يعد هذان التنويعان بكيانهما العنصري ومصادرة حقوق الشعب الاصيل، وفي ظروف تجمع الدول في أسواق كبيرة مفتوحة، قادرین على الاستمرار في إفادة الغرب الجديد. بل على العكس صارا يتقاضان بعنصريةهما وكفتهما السياسية والاقتصادية، مزيداً من الاعباء على هذا الغرب الآخذ في التشكيل بصياغات جديدة.

ولم يعد هذا الغرب الجديد يخفى هذا التحول الفكري السياسي عن صانعي القرار

التحريرية، بين الخارج والداخل، وإن بدرجات متباينة، وتركيز النظام الاسرائيلي ونظام الأبارtheid في سبيل تحطيم الروح المعنوية للمقاومة على قتل وسجن ونفي الرموز القيادية للثورة. لكن منطق القلعة الحصينة الحاصرة عندما اضطر إلى محاولة فك الحصار وبدء مسيرة التسوية السياسية، لم ير مفرّاً من ان يفاوض ياسر عرفات «الإرهابي الأول في القائمة الاسرائيلية» الذي حاول جهاز الموساد قتله أكثر من مرة، حتى بعد نفيه بعيداً عن دائرة الصراع المباشر، إلى المغرب العربي في تونس. وفي جنوب افريقيا، اضطر النظام لأن يفرج عن نلسون مانديلا «الإرهابي الأول في قائمة الأبارtheid» من سجنه بعدما يقارب من ربع قرن ويجلس للتفاوض معه.

ثمة سمة رابعة، تمثل في ذلك الارتباط العضوي الذي ظلل يوثق بين عنصرية ومصالح النظمتين في اسرائيل وجنوب افريقيا، في مواجهة شعوب العالم الثالث في كل من آسيا وافريقيا.

تجسد هذا الارتباط في ثلاثة أبعاد:

الاول اقتصادي، يقوم على تبادل الخبراء والخبرات في قمع كل من الشعبين الفلسطيني والجنوب افريقي.

الثاني اقتصادي، ويتحدد في التعاون الاقتصادي الحميم، قفزاً على الحصار السياسي والمقطوعة الاقتصادية للنظمتين، ولعل من بين أهم مصادر الدخل الوطني لاسرائيل (يتراوح بين ١٤ و١٧ في المئة) استيراد الماس من جنوب افريقيا وصقله وتصنيعه وتسويقه.

الثالث عسكري، ويتبلور في المشروع النروي المشترك بين تل أبيب وجوهانسبرغ في انتاج القنابل النروية وتجارب تفجيرها في صحراء جنوب افريقيا.

٣- لعل هذا بعد الاخير، كان أخطر الدوافع الخفية لدى الغرب للتحرك نحو التسوية السلمية للصراعين على اساس الحل الوسط الذي لم يعد يتجاهل الحقوق الوطنية والسياسية للشعبين

يصل، بعد، إلى الدولة الفلسطينية المستقلة. كذلك امام اتفاق حكومة البيض والشعب الاسود في جنوب افريقيا على أساس دستور يساوي بين المواطنين بعض النظر عن اللون أو العرق، وإن كان يسمح للبيض ب نوع من الحكم الذاتي المتميز في بعض الحالات.

الأمر، إذن، ليس معجزة، وإنما حقيقة يضغط الواقع الموضوعية والذاتية. ونقصد بالذاتية ميزان القوى بين الاطراف المتصارعة وقت توقيع اتفاق التسوية. ولكن هذا الميزان لن يظل على حاله، فالتسوية في حركتها على الارض، بما تخلقها من وقائع جديدة ومارسات الشعب المقهور لبعض من حقوقه الأساسية، من شأنه ان يغير بالضرورة من وزن كففي الميزان. ومن هنا فالتسوية المنقوصة ليست بالكارثة إلا إذا تعمدت التسوية على حالها عند التوقيع.

٦- لكن التسوية المنقوصة تظل، مع ذلك، في حالة تأرجح بين النجاح والفشل إذا لم تكتمل. والأكمال، هنا، يقاس بعيار موضوعي.

والعيار الموضوعي يتطور مع حركة الزمن والحداث وقوة فعل الشرعية الدولية ذات الحكم (العيار) الواحد، لا المزدوج.

قوة فعل الشرعية الدولية تعني، في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، شعبين ودولتين كاملي السيادة على ارض محددة وآمنة. وتعني، في الصراع الجنوبي افريقي، دولة واحدة متعددة الاعراق دون تمييز. والفرق، هنا، نابع من الظروف الخاصة بكل صراع في اطار الواقع الراهن والمستقبل المنظور.

أما حركة الزمن والحداث فتعني، أول ما تعني، ان يمحش كل من الشعدين الفلسطيني والجنوبي افريقي، كل قواه وابداعاته وخبراته لبناء سلطته الوطنية الديمقراطية فوق أرضه وحسن إدارتها سياسياً وبيروقراطياً واقتصادياً واجتماعياً. والانطلاق منها نحو استكمال معلم التسوية، أيها كانت الخلافات والصراعات، التي لا مفر منها، بين تيارات الشعب الفكرية والسياسية.

ومراكز الدراسات في كل من النظام الاسرائيلي ونظام الأبارtheid. وبالتالي تعمق الفهم بهذه الحقيقة لدى هذين النظامين منذ السبعينات.

وعلى رغم انه لا تتوافق لدينا، بعد، دلائل وبينات ملموسة أو محسوسة، إلا أننا نستطيع من خلال ربط عدد من الفظواهر التي أحذت تبرير هنا وهناك في علاقات الغرب مع هذين النظامين، ان نستنتج بأن ثمة نوعاً من الوفاق حدث بين الغرب وهذين النظامين على العمل من اجل الوصول إلى «تسوية ما» للصراعن، والمفهوم المحدد للتسوية، هنا، هو ان يحفظ لقوى النظامين أكبر وأوسع الحقوق الممكنة، في حين يعطي للمواطنين الفلسطينيين والجنوبيين افريقيين أقل الحقوق وأضيقها، على قدر المستطاع.

ولأن رموز الغرب الأساسية مثل الولايات المتحدة الاميركية أو بريطانيا أو فرنسا ليست مؤهلة بسبب تاريخها المناصر لأن تقوم بدور وسيط الفاعل بين أطراف الصراع في احداث التسوية، وإن كانت قد مهدت المناخ الدولي لذلك، إذ تقدمت لإداء هذه المهمة دول غربية أو دول صديقة للغرب، لكن غير متورطة تاريخياً في الصراعين مثل النرويج والسويد ودول الشمال الأوروبي عموماً في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني؛ وأيضاً مثل السويد وبعض دول الطوق الافريقي في الصراع بين نظام الأبارtheid والحركة الوطنية للشعب الافريقي.

٥- مع ممارسة الوسيط الغربي الجديد لدوره وسط احوال التغيرات الاقليمية والدولية، وحركة قيام الاسواق الكبيرة، وضبط التسلح النووي، وحالة الانهاك المتبدلة بين اطراف الصراعين، راحت تزايد قوى الدفع نحو «التسوية ما» المنقوصة مع نهاية العام ١٩٩٣ وأصبحنا، قبيل غروبها، امام اتفاق فلسطيني اسرائيلي حول مبادئ إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية، الذي يتجاوز سقف الحكم الذاتي ولا

معالم تاريخية

الاحزاب: هناك احزاب، في جنوب

افريقيا، للبيض، للخلاصيين، للهندود، وللسود.

احزاب البيض

- الحزب الوطني، أسسه، في ١٩١٢، هرتزوج. زعيمه الحالي (منذ ٣ شباط ١٩٨٩) فريدرريك دوكليرك. وهو حزب محافظ، استلم السلطة منذ ١٩٤٨. جسد هذا الحزب غلبة القومية الافريقانية على ذوي الأصول الانكليزية، وأسس لنظام الأبارتيد، ثم تطور باتجاه موقع سياسي هو أقرب لما يُعرف في الغرب بعبارة «يسار الوسط»، وقاد المفاوضات مع السود منذ ١٩٩٠ باتجاه التسوية الديمقراطية.

- الحزب الديموقراطي: تأسس في ٨ نيسان ١٩٨٩ جراء اندماج تم بين الحزب الفدرالي التقديمي وتشكيلات سياسية صغيرة. يترأسه زكريا دو بير، وتمويله أوساط الاعمال والمال (صناعيوا الماس وبخاره على وجه الخصوص)، ليبرالي، يسيطر على وسائل الاعلام.

- الحزب المترنogi الوطني: أسسه جماعة من المطرودين من الحزب الوطني بسبب ميئتهم المتطرفة، وعلى رأسهم الدكتور هرتزوج، وذلك في ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٩. زعيمه جاك ماري.

- الحزب المحافظ: تأسس في ١٩٨٢ إثر انقسام جديد في صفوف الحزب الوطني. زعيمه فردي هارتزنبرغ. يعارض تقاسم السلطة مع السود، ويُدعى إلى تقسيم البلاد.

- الحركة من أجل مستقبلنا: مبنية متطرفة تطالب بضم اراض جديدة.

- حركة المقاومة الافريقانية: تأسست في ١٩٧٣. نازية متطرفة. زعيمها أوجين تريبلانش Terreblanche) التي تعني «الارض البيضاء».

- حزب دولة البوير: تأسس في ١٩٨٨،

وزعيمه روبرت فان توندر، ويدعو إلى تأسيس دولة افريكانية، وقام بالمحاولة، في ١٩٩٠، أحد قادته، فأنشأ مستوطنة في أورانيا أقام فيها ٤٠٠ من مناصري الحزب على مساحة ٢٧٠٠ هكتار.

احزاب الخلاسيين

- حزب العمال، تأسس في ١٩٦٥.
- حزب الحرية.
- حزب الاصلاح الديمقراطي، تأسس في ١٩٦٨.
- حزب العمال الديمقراطيين، تأسس في ١٩٨٤.

احزاب الهنود

- الحزب الوطني.
- حزب التضامن الجديد.
- الحزب المستقل التقديمي.
- الحزب الهندي للإصلاح.
- حزب مؤتمر ترانسفال الهندي.

احزاب السود

- حزب المؤتمر الوطني الافريقي، تأسس في ٨ كانون الثاني ١٩١٢، كحزب مسيحي ليبرالي لاعنفي. علمه من ثلاثة ألوان: الأخضر، الأصفر، والأسود. نشيده: «ليحمي الله افريقيا» Nkosi Sikélelé y Africa، وهي قصيدة للشاعر والروائي الشوري الجنوبي افريقي صموئيل إدوارد كرون مغهافي (١٩٤٥-١٨٧٥). اعضاؤه يتكونون، وخاصة، إلى قبائل خوسا وسوتو. في ١٩٤٢ تأسست، في إطار الحزب، «رابطة الشعبية» فضحت فيه شحنات من المركبة كان بدأ يفتقدتها. بين ١٩٤٩ و١٩٥٢، حاول الحزب أن يتحدد مع منظمات خلاسية وهنددية معارضة. في ١٩٥٠، انضم إليه شيوعيون، وتعاون مع حزب المؤتمر الهندي في إطار برنامج يدعو إلى رفع سقف المطالب حتى العصيان. في ٢٦ حزيران ١٩٥٥، تبنى الحزب «ميثاق الحرية» ودعا إلى مجتمع متعدد الأعراق رغم معارضته التيار الافريkan (داخل

كانت تضم نحو ٥٠٠ منظمة معادية للأبارتيد. أهم قادتها الأب (رجل دين مسيحي) لأن بوساك Allan Boesak، وهو خلاسي ورئيس التجمع العالمي للكنائس الاصلاحية.

- إنكاثا Inkhata، تأسست على أساس أنها منظمة ثقافية للزولو، وتشجع من حزب المؤتمر. لكنها تحولت في ١٩٧٥ إلى حزب سياسي، وأعلنت، في ١٩٩٠، أنها مفتوحة أمام كل الأعراق، وهناك نحو ١٠٠ ألف أبيض من بين اعضائها البالغ عددهم نحو ١٥ مليون عضو. رئيسها منغوسوتو بوتيليزي (مولود في ٢٧ آب ١٩٢٨) الذي سبق له وانشق عن حزب المؤتمر الوطني الأفريقي بموجة أن هذا الحزب أصبح خاضعاً لسيطرة قبيلة خوسا والشيوخين. وقد حكم عليه حزب المؤتمر بالاعدام. تغيرت علاقة إنكاثا وحزب المؤتمر بالعداوة المتبادلة، ووقعت بينهما اعمال عنف ومعارك ومحارب عديدة.

- أزابو (منظمة شعب أزانيا)، تأسست في ١٩٧٨. عضواً في «الندوة الوطنية» التي أوجدت في ١٩٨٣ بهدف إقامة جمهورية اشتراكية. تذهب إلى أبعد من حزب المؤتمر، إذ ترفع شعار «أفريقيا للسود».

- حزب مؤتمر عموم إفريقيا، انشق عن حزب المؤتمر في ١٩٥٩. حظر في ٢٨ آذار ١٩٦٠، فأنشأ جناحاً مسلحاً باسم بووكو (أي «النقى») سمح له بالعمل من جديد في ٢ شباط ١٩٩٠. قام بعدة عمليات عسكرية ضد البيض.

- حركة عموم إفريقيا، تأسست في كانون الأول ١٩٨٩، وهي فرع لمؤتمر الجامعة الأفريقية.

- الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي، تأسس في ١٩٢١. حظر في ١٩٥٠. واعيد تشكيله سرياً في ١٩٥٣. شُرّع في ٢ شباط ١٩٩٠، ويبلغ عدد اعضائه نحو ٢٠ ألفاً. زعيمه دان توم الذي يشغل ايضاً منصب الأمين العام للمالية في حزب المؤتمر، وقبله كان يوسف دادو،

الحزب) الذي كان يرفض هيمنة الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي على قرار حزب المؤتمر الوطني الأفريقي. في كانون الاول ١٩٥٥، انتخب ألبرت لوتوولي رئيساً للحزب، ثم جاء بعده الدكتور مورو كا. في نيسان ١٩٥٩، انشق التيار الأفريkan عن الحزب. في ٨ نيسان ١٩٦٠، مُنع الحزب من العمل، فانتقل عدد من اعضائه إلى زامبيا وأقاموا في عاصمتها لوساكا. في ١٩٦١، أنشأ قادته تنظيماً مسلحًا باسم «رأس حربة الشعب» Umkonto We Sizwe، وعهدت قيادة التنظيم إلى جو سلوفو Joe Slovo، وهو من اصل ليتواني الذي كان كولونيالا سابقاً في المخابرات السوفياتية (KGB)، وأميناً عاماً للحزب الشيوعي الجنوب أفريقي؛ وقد ضم هذا التنظيم المسلح نحو ١٠ آلاف رجل (مخيمات تدريب في ليبيا، غانا، إثيوبيا، تنزانيا، أوغندا) منهم نحو ٥٠٠ رجل كانوا ينشطون سرياً داخل جنوب إفريقيا، ويخوضون مقاومة مسلحة ضد نظام الأبارتيد. في ١٩٦٧، أصبح أوليفر تامبو رئيساً للحزب. وفي ١٩٨٤، أغلقت مكاتب الحزب في موزمبيق وتم طرد اعضائه منها، وفي ١٩٨٩، من أنغولا وزامبيا. في ٢ شباط ١٩٩٠، ألغى حظر الحزب وشرع من جديد، وفي ٥ تموز ١٩٩١، انتخب مانديلا رئيساً له بالاجماع، وولتر سيسولو نائباً لرئيس. في ٢٧ تشرين الاول ١٩٩١، شكل حزب المؤتمر وحزب عموم إفريقيا «الجبهة الوطنية» أو الموحدة. أهم زعماء الحزب، إضافة إلى مانديلا (راجع باب «زعماء ورجال دولة»)، أوليفر تامبو الذي كان قد نفي إلى دار السلام في العام ١٩٦٤؛ توفى في ١٩٩٣. وألفرد نزو (Nzo)، وجو سلوفو، وكريس هاني الذي اغتيل في ١٠ نيسان ١٩٩٣.

- الجبهة الديمقراطيّة الموحدة، تأسست في ١٩٨٣ كواجهة معتدلة لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي أثناء حظره، وقد تم حلها في ١٩٩١.



لوحة فرش

معركة بين الانكلترا والزولو
(القرن التاسع عشر).

على الفلاحين لتمييزهم عن البورغرس *Burghers* أي سكان المدينة. ثم صار يطلق اسم البوير في القرن التاسع عشر على مربى الماشية «التريركرز» المتعددين على السلطة الانكليزية، والذين أدت هجرتهم نحو الشمال إلى تأسيس جمهوري ترانسفال وأورانج.

هاجرت موجات كبيرة من التريركرز (مربي الماشية) بقيادة ستة من زعمائهم، وهم: بوتفغير *Potgieter*، ماريتز *Maritz*، ريف *Retief*، أويس *Uys*، بريتوريوس *Pretorius* وترشاراد *Trichard*، إلى منطقة من مناطق فيلد *Veld* العليا التي كانت قد تعرضت لهجمات قبائل الزولو. وقد استطاعت قوة من البوير ان تهزم محاربي نديبيل *Ndebele* وقادتهم مازيليكاري *Mazilikazi* في كانون الثاني ١٨٣٧. فانسحب هذا الأخير تاركاً في يد البيض المنطقة الممتدة من فال *Vaal* وليمبوبو *Leimpopo*، وهي المنطقة التي أصبحت في ما بعد ترانسفال *Transval*. وفي الشرق، اصطدم التريركرز (وهم البوير، مربى الماشية) بقبائل السوتو *Sotho* الذين كان يقودهم موشوشو *Mosheshoe* والذي لم يكن منه إلا أن وضع بلاده في حماية البريطانيين عام ١٨٤٨، منقاداً بذلك القسم الكبير

منذ ١٩٧٢، وتوفي في ١٩٨٣. ثم كرييس هاني، منذ ٦ حزيران ١٩٩١، خلفاً لجو سلوفو. وقد اغتيل كرييس هاني في ١٩٩٣. وكان الحزب يطبق توصيات وقرارات الأمة الثالثة التي بقيت عصبة على فهم السود الذين يعيشون صراعاً عرقياً وليس طبقياً. لذلك بقي الحزب هامشياً في كل انتخابات، لكنه قوي النفوذ في حزب المؤمن بسبب ان عددًا من كوادر الحزب الشيوعي يشغل مناصب قيادية في حزب المؤمن.

- الحزب المسيحي الموحد للمصالحة، أسسه، في ١٩٨٦، المونسينيرو موكوينا تماستجا ليندا.

□ البوير وحرب البوير: اطلق اسم «البوير» *Boer*، وهو اسم هولندي يعني حرفياً «الفلاح»، على مستوطني جنوب إفريقيا الذين يتحدرون من أصل هولندي والذين يتكلمون اللغة الهولندية، تميّزاً لهم عن البيض الذين يتحدرون من أصل بريطاني. وتدرّيجاً، حل محل اسم «بوير»، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين اسم آخر هو «أفريكانر» *Afrikaner*. أما في القرنين السابع عشر والثامن عشر فكان «البوير» يطلق

١٨٨٤)، وجمهورية دولة أورانج الحرة (كانت إنكلترا قد اعترفت بها منذ ١٨٥٤) اللتان عاشتا حياة مضطربة حتى نهاية القرن التاسع عشر بسبب تهديد القبائل الأفريقية (خاصة الزولو)، فضلاً عن الازمة الاقتصادية الناتجة عن تقسيم البلاد إلى وحدتين سياسيتين متحاربتين (جمهوريات البوير والمستعمرات الانكليزية)، ومطامعmania الاستعمارية في إفريقيا الجنوبيّة، وكذلك البرتغال وفرنسا، والوضع الجديد الناجم عن اكتشاف الماس والذهب الذي ترتب عليه تدفق المهاجرين بكثرة خاصة ابتداء من ١٨٨٦ وقيام مدن جديدة كمدينة جوهانسبرغ. وقد اعتبر البوير أن تدفق المهاجرين هذا هو عثابة غزو انكليزي يهدف إلى نهب ثرواتهم.

أخذت بريطانيا بعد ظهور هذه الشروط المنجمية تتذكر لمعاهداتها السابقة مع زعماء القبائل من جهة، ومع البوير من جهة أخرى، وتتجأ إلى سياسة ضم الأرضي إلى سلطتها التي امتدت بين ١٨٦٥ و ١٨٩٥ من مستعمرتها الكاب حتى ناتال. وهكذا كانت كل إفريقيا الجنوبيّة، في ١٨٩٥، الواقعة جنوب ليمبوبو، خاضعة للسيطرة البريطانية في ما عدا جمهوريتي البوير (ترانسفال وأورانج) اللتين كانت بريطانيا تطمح إلى احتضانهما أيضًا. وبعد مناورات عسكرية عدّة كانت الغلبة فيها احياناً للبوير، اعلنت ترانسفال (التي عاشت لمدة حالة خلاف حاد بين زعيميهما كروجر وسيسيل رودس) الحرب على الانكليز، ثم لحقتها حلقتها أورانج، وبذلت بذلك حرب فعلية بين الانكليز والبوير في ٢١ تشرين الأول ١٨٩٩ امتدت حتى ٣١ أيار ١٩٠٢، وانتهت بهزيمة البوير وباحتفاء دولتهم (معاهدة فرينيغيونغ للسلام)؛ واطلق على البوير، وهم تحت السلطة البريطانية اسم «أفريكان» أو «أفريكانر».

Afrikaner

من أراضي السوتو من مطر البوير.

إلا أن شيئاً جوهرياً كان البوير في حاجة ماسة إليه لتحقيق استقلالهم، وهو منفذ إلى البحر. فعقد زعيمهم رتيف اتفاقاً مع دينغان Dingane زعيم الزولو المقيمين في ناتال. ولكن دينغان الذي كان يتغوف من وصول عدد كبير من المستعمرات إلى البيض، قتل ٧٠٠ من البوير المقيمين في شمالي البلاد. وفي ١٨٤٠، أي بعد ستين من الحرب، هُزم دينغان ثم قُتل في معركة بلود ريفر Blood River، فاضطر الزولو إلى ترك جنوب ناتال للبيض. وفي كانون الأول ١٨٧٩ شن الجيش البريطاني هجوماً على آخر دولة سوداء مستقلة. وبعد أن احرز الزولو انتصاراً في إيزاندلوانا Isandlwana، عادوا فانهزموا نهائياً في معركة أولوندي Uhundi. وفي ١٨٨٧، أصبحت أراضي الزولو محمية بريطانية ما لبست أن الحقن بناatal في ١٨٩٧. وبذلك انتهت مرحلة الحروب التي أدت إلى السيطرة على أراضي الشعوب السوداء، لتبدأ بعدها مباشرة حرب البوير (١٨٩٩-١٩٠٢).

خلفت إنكلترا هولندا رسميًا في ١٨١٤ (تاريخ توقيع اتفاقية لندن)، ولكنها كانت قد بدأت بمارسة سلطتها الفعلية منذ ١٨٠٦. ومنذ ١٨٢٥ بدأت إنكلترا بادخال بعض الاصلاحات على نظامها الاستعماري في البلاد، فأنشأت مجلساً تشريعياً (١٨٣٤)، وعملت على التخفيف من حدة اضطهاد السود (شرعية هوتانتو ١٨٢٨)، وشجعت الهجرة الانكليزية إلى المستعمرة، واعلنت اللغة الانكليزية لغة رسمية، وغنت الارساليات الأنجلوكانية، فأثار كل ذلك حفيظة البوير. فلم يرتكبوا بالوصاية الانكليزية عليهم، ونزحوا بأعداد كبيرة إلى خارج حدود مستعمرة الكاب، إلى منطقة ترانسفال في الشمال، وناتال في الشرق، حيث ما لبوا أن أعلنوا استقلالهم. فظهرت جمهوريات: جمهورية جنوب إفريقيا (ترانسفال،

إلى جزر الهند بثرواتها الأسطورية. ولعن اكتفى البرتغاليون بأنشاء محطة بحرية، فإن الهولنديين ابتكوا، في ١٦٥٢، أول مدينة أوروبية في الجنوب الأفريقي: الكاب. وعماً كما حدث في القارة الأميركية الشمالية، حيث مال المستوطنون إلى الاستقلال بأنفسهم عن الدولة المتروبولية البريطانية، كذلك ظهرت لدى الهولنديين الذين استقروا في الجنوب الأفريقي، نوازع مبكرة إلى الانفصال عن وطنهم الأم. فاستاروا لأنفسهم إسماً قومياً جديداً: البوير، ثم الأفريكان، مثلماً تسمى نظائرهم من المهاجرين في الطرف الآخر من المحيط الأطلسي بـ«الاميركيين» (راجع «كاب» في باب مدن ومعالم).

□ الكنيسة الكاثوليكية والتمييز العنصري: في ١٠ شباط ١٩٧٧، كان صر

□ الكتاب في إطار الاكتشافات البحرية:

في الأساس، كما هو معلوم، كانت الهند وكانت الطريق إليها. هذا الأمل، والعمل على تحقيقه، سيطراً على البشرية في مطلع الأزمنة الحديثة، وتبعهما، منذ نهاية القرن الخامس عشر على اكتشاف القارة الأميركية في شمال المحيط الأطلسي، ورأس الرجاء الصالح (الكاب) في جنوبه. إذ إن الحادثة الوليدة كانت تتطلب طريقاً آمناً إلى الهند وتواجدها، طريقاً بحرياً يغني عن سلوك ذلك الطريق البري الذي وقع تحت سيطرة العثمانيين. قبل أن يطأ كولومبوس الأرض الأميركية (١٤٩٢) بأربع سنوات كان البرتغالي دياز يلف حول القارة الأفريقية من جنوبها ويحط الرحال، موتنَا، في ما سمي أولاً «رأس العواصف» قبل أن يعمد لاحقاً باسم «رأس الرجاء الصالح» في إشارة لا تخفي نفسها إلى الأمل بالوصول بaman

الكاردينال دينمولد توت.



هذا البيان الندد بالتمييز العنصري في جنوب إفريقيا، وفي سياق مواقف ونضالات رجال الكنيسة الكاثوليكية هناك، منح الكاردينال ديزموند توتو جائزة نوبل للسلام في ١٩٨٤.

□ مجازر شاربفيل وسويفتو ودوربان: في ٣١ آذار ١٩٦٠، قام السود في مدينة شاربفيل Charpeville (مدينة عمالية) بانتفاضة احتجاجاً على سماح السلطات للشرطة بمطاردة كل أسود واعتباره مشبوهاً مخصوصاً إذا لم يكن يحمل دفتر هوبيته الذي يجب أن يبقى ملزماً له في كل تنقلاته. واطلقت الشرطة الرصاص الحي على المتظاهرين، فأسقطت ٦٥ قتيلاً.

وفي ١٦ حزيران ١٩٧٦، انطلق طلاب المدارس السود في مدينة سويفتو Soweto (بعد ٥ كلم عن جوهانسبورغ). بمعظامة احتجاج ضد فرض لغة الأفريكان (الأفريكان: مزيج من عدة لغات ولهجات أوروبية، بينها الهولندية والالمانية والإنكليزية، ومطعمة كذلك بمفردات من لغة البانتو المحلية، يستخدمها البيض من غير ذوي الأصول الانكليزية، كما يستخدمها السود في التراسفال الشمالي والأورانج) في المناهج التعليمية كلغة أساسية رسمية. وذهب ضحية هذه الاضطرابات التي امتدت حتى ٢٨ شباط ١٩٧٧ نحو ٥٧٥ قتيلاً، أكثر من ٤٤٠ أردمتهم الشرطة.

وفي ١٠-٧ آب ١٩٨٥، وفي مدينة دوربان Durban، كانت الأقلية الهندية (ولم تكن تعداد أكثر من ٨٥٠ ألف نسمة في جنوب إفريقيا) ضحية مجزرة ارتکبها قبائل الزولو، فقتلتها منها ٧٣ شخصاً وجرحت المئات، ودمرت النصب التذكاري المقام هناك لمهاتما غاندي (كان غاندي قد عاش ٢٣ سنة من حياته في جنوب إفريقيا اعتباراً من ١٨٨٣). وما أنهى العالم في هذه المجزرة كان أمررين، أو همما أن أية مجاهدات بين الهندو والسود كانت قد توقفت منذ ١٩٤٩؟

الكنيسة الكاثوليكية قد نفذ تماماً إزاء التمييز العنصري المستشري في ذلك البلد، وإزاء أعمال القمع والقتل والعنف التي كانت قد سادت طوال الشهور السابقة في سويفتو وغيرها، بشكل خاص. فأصدر ٣١ من كبار رجال الكنيسة بياناً اعلنوا فيه تنديدهم بالتمييز العنصري. وكان تزعم الكاردينال ديزموند توتو لتلك الحركة دليلاً واضحاً على رضا الفاتيكان عنها. ومن المؤكد اليوم أن ذلك الموقف الحاسم والحازم الذي وقفته الكنيسة ضد التمييز العنصري قد لعب دوراً أساسياً في التطورات التي عرفتها تلك المنطقة من العالم بعد ذلك. ولا أحد يمكنه أن ينسى بالطبع نضالات الكاردينال توتو التي تصافرت مع نضالات حزب المؤتمر لتوصيل جنوب إفريقيا إلى عتبات الأمل الذي توقف عنده. فكان دور الكنيسة والفاتيكان واضحاً وحيوياً، لكنه لم يكن جديداً في مثل تلك الظروف.

إذ قبل ذلك بحو أربعين عاماً (أي في آذار ١٩٣٧) كان بيان صادر من الفاتيكان قد أثار غضب النازيين وزعيمهم هتلر بشكل جدي، لأن البيان ندد بالنازية تنديداً صارماً ونبه المؤمنين ضد انحرافاتها. كان ذلك في عهد البابا بيوس الحادي عشر (توفي في ١٠ شباط ١٩٣٩) الذي تميز بسلسلة كبيرة من الأحداث المهمة التي عرفتها الكنيسة الكاثوليكية في قرننا العشرين هذا. والحال أن من يعرف هذه المواقف الكنيسية، ومن تابع حكاية رفض الفاتيكان الاعتراف بدولة إسرائيل قبل أن يعترف الفلسطينيون أنفسهم بذلك الدولة يمكنه أن يفهم خلفيات تحرك الكاردينال توتو في ذلك اليوم المشهود (يوم البيان في ١٠ شباط ١٩٧٧) حين قررت الكنيسة أن تدخل طرفاً في الصراع ضد التمييز العنصري، ويمكنه أكثر من هذا أن يفهم الغزى التاريخي للدور الذي لعبه البابا بيوس الحادي عشر قبل عقود عددة من يومنا هذا. ومن المعروف أنه بعد نحو سبع سنوات من

ليعملوا في مزارع الهولنديين. ومن هؤلاء، إضافة إلى من أسلم من السود، استطاع الشیخ ان يوسع البنات الأولى للجالية الإسلامية التي نمت بعد ذلك ليصبح عددها عام ١٨٤٢ نحو ثلث سكان المنطقة (الکاب).

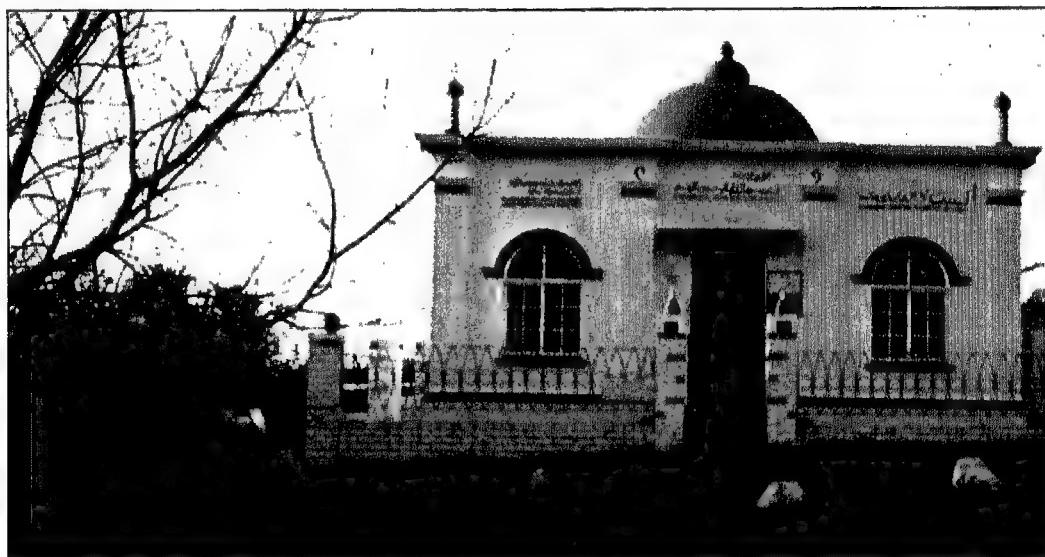
إن زائر منطقة الكاب اليوم يجد في قم الجبال الخيطة بها أضرحة أقيمت على قبور بعض الصالحين وقد شيدت بعد رفع الحظر عن ممارسة الشعائر الإسلامية. و أشهر هذه الأضرحة ضريح الإمام عبد الله قاضي عبد السلام (الملقب بـ«ثوان غورو» أي السيد الاستاذ) الذي توفي في ١٨٠٧ عن عمر يناهز الخامسة والستين، وهو الذي بني أول مسجد في جنوب افريقيا في ١٧٩٤.

في السنتين من هذا القرن (القرن العشرين) سُجن الإمام هارون، إمام مسلمي جنوب افريقيا، وقضى في السجن، تحت التعذيب. وكانت التهمة الموجهة إليه هي نشر الاسلام وبث الروح الوطنية في اوساط السود. ويدرس ابنه محمد هارون اليوم الثقافة الاسلامية في جامعة غربي الكتاب الحكومية. وطوال فترة مكوث نلسون مانديلا في السجن، كان يشاركه الزنزانة مسلم يعتبر من رموز حزب المؤتمر الوطني الافريقي هو أحد قطراة. وعندما أصبح مانديلا رئيساً كافأه بجعله وزيراً للإصلاح (وهي الوزارة المسؤولة عن شؤون السجون)، وبعد ذلك عينه مستشاراً مختصاً له. ولم يكن قطرادة السجين المسلم الوحيد في سجون الفصل العنصري. فالشيخ إسماعيل وادي، عضو المؤتمر الافريقي وأحد نوابه في البرلمان الوطني يقول إن المسلمين كانوا يشكلون في الثمانينيات أكثر من ١٠٪ من السجناء السياسيين المناهضين للفصل العنصري (الأبارtheid)، في حين ان الجالية الإسلامية لا تشكل أكثر من ٢٪ من مجموع السكان. ويقول الشيخ إسماعيل ان الحكومة الحالية (١٩٩٤) «تقدر دور المسلمين في النضال ضد التمييز العنصري». وأحد الادلة التي يستشهد بها

واثنائهما ان الهنود عرفوا بالتعايش مع الجميع، بينما وسوداً، وبأنهم مسلمون يتبعون الحياد مهما اشتدت الصراعات والازمات. من هنا انصبت التحليلات والتفسيرات وقتها، ان الزولو، بارتکابهم لهذه الجرعة إنما أرادوا إيجاد مكانة لأنفسهم في التسویات المقبلة بعد ان بدأ سود حزب المؤتمر يزعامة نلسون مانديلا (وكان ما يزال في السجن) يأخذ منهم الأضواء. وهذه التزعة نفسها لدى الزولو استمروا بها حتى السنوات الأخيرة، وكان حزبهم، «أنكاثا» يتكلف بترجمتها عملياً من خلال اعمال العنف التي ارتكبها.

فأعمال العنف تواصلت، والمحازر تعدّدت (في ما بين السود أنفسهم في أحياناً كثيرة) حتى في إطار محادثات واتفاقيات التسوية الديمقراطية التي قضت على نظام الأبارtheid.

□ المسلمين في جنوب افريقيا: في العام ١٦٩٤، وصلت السفينة دي فوتبوغ وعلى ظهرها ٤٩ مسلماً كانت السلطات الهولندية قررت إعادة نفيهم إلى جنوب افريقيا لأن النفي الأول إلى سيلان (سري لانكا اليوم) لم يمنعهم، كما كانت ترغب، من الاتصال بالمقاومة الاسلامية في اندونيسيا بلدتهم الأصلي، وابرز شخصيات الدفعة الأولى هذه كان «ابو الاسلام في جنوب افريقيا» الشيخ يوسف الناج الخلوي المقادسي، نسبة إلى مقاصد في اندونيسيا حيث ولد ونشأ. وكان الشيخ يوسف، كما يشير إليه المسلمين اليوم، شيخاً للطريقة الخلوية التي ساهمت تحت قيادته في محاربة المستعمر الهولندي في مملكة باتسام في الجزء الغربي من جزيرة جاوه (اندونيسيا). وبعد هزيمة الملكة ووقوع الشيخ في الأسر نفاه الهولنديون مع زوجته وأولاده إضافة إلى ١٢ إماماً إلى سيلان ثم إلى رأس الرجاء الصالح (الکاب). وبعد ذلك توالى عمليات النفي ونقل العبيد المسلمين من جزر الهند الشرقية إلى جنوب افريقيا



ضريح الامام ثوان غورو، باي اول مسجد ومدرسة في جنوب افريقيا في ١٧٩٤.

على ذلك هو تخصيصها إحدى قاعات البرلمان كمحل للنواب المسلمين الذين يزيد عددهم على ٢٢ من أصل ٤٠٠ نائب.

تنقسم الجالية الإسلامية في جنوب افريقيا عموماً إلى ثلاث فئات عرقية متمايزة، أكبرها عدداً واقدمها وجوداً هي الفئة المتحدرة من أصول اندونيسية-ماليزية، وجاء افرادها إلى البلاد قهراً، إما كعبيد للعمل في المزارع الهولندية وإما كمنفيين سياسيين، وكان من بين هؤلاء أمراء وقادة. وتتركز هذه الفئة في منطقة الكاب أساساً، ومعظم افرادها من اتباع المذهب الشافعي وهو المذهب الشائع في بلادها الأصلية. وهي على العموم فئة متrosطة الحال إلى فقيرة ولها عاداتها وتقاليدها، ويفلub عليها الطابع الثوري كونها الأكثر معاناة من التمييز العنصري. ويزيد عددها على ٣٠٠ ألف نسمة.

أما الفئة الثانية فهي المتحدرة من أصول هندية. وهجرتها في الأساس هجرة اقتصادية حيث عمل الانكليز أثناء استعمارهم لاجزاء من جنوب افريقيا على نقل الهنود للعمل معهم في بعض الوظائف الادارية. وهو ما فعلوه في أكثر من

مستعمرة افريقية أخرى. وتتركز هذه الجالية أساساً في مقاطعة الناتال،خصوصاً حول عاصمتها حيث يوجد مقر مركز الدعوة الإسلامية الذي يديره الداعية الشيخ أحمد ديدات. ويشكل المسلمون نحو ربع الجالية الهندية. أما البقية فهم من الهنود الذين كان اشهرهم المهاجراً غاندي مؤسس حزب المؤتمر الهندي في جنوب افريقيا قبل ان يعود إلى تأسيسه في الهند نفسها.

بدأت صورة الجالية الهندية المسلمة تتشكل في ثمانينات القرن التاسع عشر. وعندما تأسس حزب المؤتمر الوطني الافريقي (١٩١٢) احجم الهندو المسلمين عن المشاركة فيه لأنه كان عليهم ان يشاركونا من خلال المؤتمر الهندي لمقاطعة الناتال. وعلى رغم ان أحد الثلاثة الذين أسسوه كان مسلماً، إلا انه غلب عليه الطابع الهنودي وكان ذلك في مرحلة شهدت الهند نفسها مرحلة مخاض ولادة باكستان وما بعده قبل ذلك وبعد ذلك من حساسيات بين المسلمين والهنود انتقلت إلى الجالية الهندية في جنوب افريقيا.

ولم يعد وجود هذه الفئة مقتصرًا على مقاطعة الناتال، بل انتقلت جمومعات منها إلى

وتأييد المسلمين لم يقتصر على احزاب السود، فقد كانت هناك نسبة ضئيلة منهم تؤيد الحزب الوطني الايبيض الذي حكم حتى نيسان ١٩٩٤. بل ان ثلاثة من النواب المسلمين في البرلمان بمحوها على قائمة الحزب الوطني في الانتخابات الاخيرة (نيسان ١٩٩٤). وفي الاشهر الاخيرة من عمر النظام السابق عين الرئيس السابق دوكيليك أحد رجال الاعمال المسلمين مستشاراً له للشؤون العربية والاسلامية.

وشهدت الاسابيع التي سبقت الانتخابات المذكورة ولادة حزبين مسلمين خاضها الانتخابات، هما: الحزب الافريقي المسلم برئاسة الدكتور امتياز سليمان، والحزب الاسلامي بقيادة السيد شريف محمد. وفي حين ان الاول خاض الانتخابات البرلمانية، فإن الثاني حصر اهتمامه بانتخابات البرلمان المحلي لمقاطعة الكاب الغربي. ولم يتمكن أي من الحزبين من ايصال أي من مرشحיהם إلى أي من البرلمانين نظراً إلى حداثة وجودهما وإلى التأييد الكبير الذي يتمتع به حزب المؤتمر الوطني في اوساط المسلمين. وبعد الانتخابات بأسابيع توحد الحزبان. ويقول الدكتور امتياز سليمان ان حزبه «لا يسعى إلى اقامة دولة اسلامية في جنوب افريقيا بل إلى تقديم القيم الاسلامية كمرجعية خلقية للسياسة. ونحن في الحزب نرکز على نشر الاسلام في اوساط السود عن طريق النشاطات الاجتماعية والطبية. كما اننا نحرص على الا تفقد الاقلية المسلمة هويتها».

تواحد الاقلية المسلمة في جنوب افريقيا اليوم جموعة قضايا لعل اخطرها واكثرها أهمية قانون الاحوال الشخصية الاسلامي خصوصاً «الائحة الحقوق» التي تعتبر أعلى مرجعية دستورية في الفترة الانتقالية التي تشهدتها البلاد وتتناقض في بعض تفاصيلها مع بعض مقتضيات الشريعة الاسلامية. وتشهد اوساط الجالية هذه الايام (١٩٩٤) حوارات ونقاشات واسعة حول تقديم

مقاطعة الترانسفال (جوهانسبورغ وبريتوريا وما حوطها). ويغلب على افراد هذه المجموعة اتباع المذهب الحنفي الذي يغلب على مسلمي الهند وباكستان. وما زالت توفد علماءها للدراسة في جامعات هذين البلدين. وهي فئة متوسطة الحال إلى ثرية، وبعض عائلاتها أثرى ثراءً كبيراً مكنته من احتضان نلسون مانديلا بعد خروجه من السجن وساهم في تمويل حملته الانتخابية. وقد يصل عددها إلى حوالي ربع مليون نسمة.

الفئة الثالثة هي الأقل عددًا، وتألف من السود واللونين، سواء الذين اعتنقوا الاسلام من سكان البلد الاصليين أو المسلمين الذين قدموا من افريقيا الوسطى، وهي عموماً من الطبقة الفقيرة. على الصعيد السياسي، فإن الغالبية العظمى من المسلمين في جنوب افريقيا تعتبر ان حزب المؤتمر الوطني الافريقي هو الأكثر تغييراً عن أماها وطموحاتها السياسية. وانعكس هذا على القوائم الانتخابية، إذ إن غالبية المسلمين الذين ترشحوا للانتخابات (نيسان ١٩٩٤) كانوا على قائمة هذا الحزب (برعمادة مانديلا). لذلك لم تكن مصادفة تعين اربعة مسلمين في الحكومة المركزية إضافة إلى تعين مسلمين وزراء في بعض الحكومات المحلية.

ويقول الشيخ نظيم، رئيس مجلس القضاء الاسلامي في منطقة الكاب الذي يعد من أبرز الشخصيات الاسلامية في جنوب افريقيا: «حكومة المؤتمر الوطني هي حكومتنا. الرئيس مانديلا صديقي وكانت أزوره في السجن. الرئيس السابق (دوكيليك) كان يقول إن جنوب افريقيا بلد مسيحي، أما مانديلا فيقول إن هذا بلد كل الاديان ولكل شخص حرية التعبير حسب دينه».

كانت هناك نسبة من المسلمين أيدت حزب مؤتمر عموم افريقيا الذي كان يدعوا إلى طرد كل البيض تحت شعار «طلقة لكل مستوطن». ومدير العلاقات الخارجية في الحزب مسلم وإسمه أحمد غورا ابراهيم.

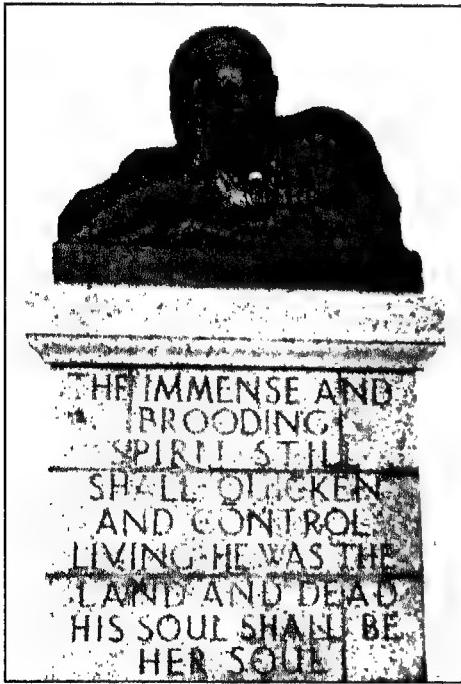


مانديلا والشيخ ناظم محمد
رئيس المجلس القضائي الإسلامي
في جنوب افريقيا.

مواجهة العصابات وتجار المخدرات. ورداً على ما قيل حول «نشاط اسلامي سياسي اصولي مرتبط بدول وقوى خارجية»، أكدت شخصيات اسلامية في جنوب افريقيا، منهم رئيس مجلس العلماء في الكتاب، علي جينا، ان «ثمة عناصر تحاول الاستفادة من الوضع لتجويع التحرك الاسلامي نحو أهداف أخرى. إن هذه المواجهة بين المسلمين والعصابات هي قضية اجتماعية بحتة وليس سياسية ولا علاقة لها بالاصولية ولا ترتبط بقوى خارجية مثل حماس أو حزب الله». وما عمل على صدقية هذا القول اعتزاف مصادر حزب المؤتمر الوطني الافريقي بأن عجز النظام القضائي عن مكافحة الجريمة المنظمة هو السبب في قرار المسلمين، في مدن عدة،أخذ زمام المبادرة في أيديهم. وقال رئيس منظمة «باغداد» محمد علي باركر إن المجموعة تعمل على تطهير المجتمع من شرور المخدرات والعصابات التي نشرت الجريمة المنظمة في جنوب افريقيا.

قانون الاحوال الشخصية الاسلامي وعرضه على الحكومة والبرلمان (من تحقيق كتبه)، في جوهانسبرغ، ماهر عبد الله، «الوسط»، العدد ١٣٥، تاريخ ٢٩ آب ١٩٩٤، ص ٣٣-٣٥).

من جهة أخرى، وقعت، في مقاطعة الكتاب، في آب ١٩٩٦، حوادث أمنية ذكرت بما كان قد صرّح به الدكتور انتياز سليمان رئيس الحزب الاسلامي في ١٩٩٤، من ان حزبه «لا يسعى إلى إقامة دولة اسلامية في جنوب افريقيا بل إلى تقديم القيم الاسلامية كمرجعية خلقية للسياسة». ذلك ان هذه الحوادث، كما صدر عن الشرطة في جنوب افريقيا، تحورت حول صدامات بين ناشطين اسلاميين وبين عصابات المخدرات في الكتاب. والناشطون الاسلاميون يتبعون إلى منظمة «باغداد» (أي «جمعية الشعب المناهضة للجرائم والمخدرات») التي سيرت تظاهرات دعت الشرطة إلى مزيد من الحزم في



لنصب جون سيسيل رودس (١٨٥٢-١٩٠٢) قرب بريتوريا. رودس رجل مالي وسياسي بريطاني ومن أشهر الموز الاستعماري في التاريخ الحديث. عاش والرئي وحكم في جنوب القارة الأفريقية، وأصبح رئيس وزراء مستعمرة الكاب. عند وفاته، ترك ثروة ضخمة من جزءاً كبيراً منها جامعة أوكسفورد.

*** بلويغفولتين: Bloemfontein**: مدينة واقعة في وسط جنوب إفريقيا. عاصمة دولة أورانج الحرة، وفيها مقر المحكمة العليا. مركز صناعي وتجاري مهم. عدد سكانها نحو ٣٥٠ ألف نسمة.

*** بوكسبرغ: Boksburg**: مدينة في مقاطعة الترانسفال. تعداد نحو ١٠٠ ألف نسمة. ذهب وفحم حجري.

*** بيترماريتزبورغ: Pietermaritzburg**: عاصمة مقاطعة الناتال، يربطها خط سكة حديد بمدينة دوربان وجوهانسبورغ. نحو ٢٢٥ ألف نسمة. استخراج البوكسيت. صناعة الحديد والألومنيوم.

مدن ومعالم

*** إيست لندن: East London**: مدينة ومرفأ في مقاطعة الكاب، على بعد ٦٠٢ كيلم عن جوهانسبورغ. يربطها خط سكة حديد بالمدن الرئيسية في البلاد. تعداد نحو ٢٠٠ ألف نسمة. بناء السفن. صناعات مختلفة. مناجم البيتان (شبة معدن له قرابة مع الحديد والكروم) شرقى المدينة.

*** براكبان: Brakpan**: مدينة في مقاطعة ترانسفال. تعداد نحو ١٣٥ ألف نسمة. شهيرة بعنادها بالفحم الحجري، والصناعات المعدنية، والذهب.

*** بريتوريا: Pretoria**: عاصمة جنوب إفريقيا الإدارية، وعاصمة مقاطعة ترانسفال. تبعد ٦٥٦ كيلم شمالي جوهانسبورغ. تأسست المدينة في ١٨٥٥، وأصبحت عاصمة للبلاد في ١٨٦٣. فيها عقدت «اتفاقية بريتوريا» حيث منحت الحكومة البريطانية (حكومة غلايدستون) الترانسفال استقلالاً ذاتياً تحت السيادة البريطانية بعد حرب البيوير الأولى. ثم عادت اتفاقية لندن في ١٨٨٤، وألغت هذا البند.

في أعلى مكان يطل على المدينة، ووسط منطقة تسمى «وين» ومعناها باللغة الأفريقانية «البكاء»، يقوم نصب تذكاري ضخم يسمى «نصب النازحين»؛ وعلى امتداد حدران النصب الداخلية لوحات محفورة في الغرانيت تحكي قصة «التزوح العظيم» للبيوير. أما إسم المدينة فمن إسم قائد البيوير «بريتوريوس» الذي قاد معركة ضد ملك الزولو، انهزم فيها الزولو وبلغ عدد القتلى منهم في يوم واحد ٣ آلاف. وصار تاريخ هذه المعركة، ١٦ كانون الأول (١٨٣٨) عيداً وطنياً للبيوير.



الساحة الرئيسية في بريتوريا.

الاحتياطي الأكبر من الذهب والبلاطينيوم والكروم والمنغنيز، إضافة إلى الماس والفحم والبيورانيوم والأسبرتوس. فناتج الذهب وحده يبلغ ٦٠٠ طن سنويًا أي ما يوازي إنتاج العالم العربي، وهي المنتج الأول للماض من نوع «جم»، واحتياطي المنغنيز المهم في صناعة الصلب يصل إلى ٨٠٪ من الاحتياطي العالمي. ورغم ان النادر الوحيد هو النفط، إلا ان توليد الطاقة والوقود الصناعي من الفحم الوجود بوفرة يغطي ٧٥٪ من احتياجات الطاقة. ناهيك عن الصناعة النووية المتقدمة، إضافة إلى تقدم صناعات الالكترونيات والسيارات والماء الكيميائي والأدوية والملابس. وجوهانسبورغ هي مركز كل هذا النشاط الاقتصادي.

على بعد ١٥ كيلومتر من قلب جوهانسبورغ تقع مدينة «حافة الذهب» التي يصفونها بأنها تحفظ بالماضي من أجل الحاضر. فيها أهم صناعة للذهب، استخراجًا وتكريرًا وصناعة. وفيها «معهد الذهب».

* **دوريان Durban**: إسمها السابق «بورت ناتال». مدينة ومرفأ في مقاطعة ناتال. تبعد ٦٤٢ كيلومتر عن جوهانسبورغ. يربطها خط سكة حديد بمدينة بيتزماريتزبورغ. نحو ١،٣ مليون نسمة (ثلاثهم تقريبًا من السود، «الباتو»). جامعة.

* **Germiston**: مدينة في مقاطعة ترانسفال. تعداد نحو ٣٢٥ ألف نسمة. مصانع كبيرة للذهب. صناعات كيميائية وmekanikية.

* **Johannesburg**: مدينة في مقاطعة ترانسفال. مركز صناعي مهم. مباني ساحتها المركزية تعود، بغالبيتها إلى القرن التاسع عشر. ساحات عامة ومتزهات. بقربها أنشئت أحيا خاصية لسكن السود (راجع «سويفتو» في هذا الباب، مدن ومعالم). أنشئت جوهانسبورغ على أراض تربة (حاوية ذهبًا) تم اكتشافها في ١٨٨٦. فنتمت المدينة بسرعة مذهلة، وأصبح عدد سكانها، بعد أقل من أربعة عقود فقط، نحو ١٠٠ ألف نسمة. وأصبحت تعداد اليوم نحو ٣ ملايين نسمة. هذه المدينة، بكونها المركز الاقتصادي الأول، هي بحق في أساس ما تميز به جنوب إفريقيا اقتصاديًّا: تمتلك جنوب إفريقيا ٤٠٪ من ناتج الصناعة الإفريقية كلها، و٢٥٪ من الناتج الإجمالي للقاراء، و٦٤٪ من كل كهرباء القارة، و٤٥٪ من إنتاج المعادن، و٤٠٪ من إنتاج الذرة (في غير سنوات الجفاف النسبي)، و٦٦٪ من إنتاج الصلب... علمًا أن جنوب إفريقيا لا تمتلك أكثر من ٥٪ من عدد سكان القارة؛ وهي صاحبة



لوحة جدارية من مجموعة لوحات- في «صرح النازحين»، تروي قصة التردد الكبير للبوير.

عناصر المقاومة السوداء من الدخول إلى جنوب إفريقيا. وعلى رغم خطورة المغامرة فإن عدد المتسللين كان، حتى السنتين الأخيرتين (١٩٩٤ - ١٩٩٥)، إلى ازيد من ١٠٠٠، بينما بلغ عدد اللاجئين الذين سقطوا، في ١٩٩٢، في قبضة حراس الحدود ٥ آلاف رجل وامرأة، ففز الرقام، في ١٩٩٣، إلى ٦١ ألفاً و ٢١٠ أعيدوا جميعاً إلى زيمبابوي.

* **سويتو Soweto:** مدينة صفيح يخصها نظام الأبارtheid لسكن السود في ضاحية من ضواحي جوهانسبرغ. بدأت إقامة الأكواخ فيها في ١٩٣٢، وأصبحت تضم في ١٩٦١ نحو ٤٠٠ ألف نسمة. ويقدر عدد سكانها حالياً بأكثر من مليون نسمة. على تلة قرية من أكواخ الصفيح بيت نلسون مانديلا قبل سجنه.

* **كاب Cape:** في الانكليزية Town، في الأفريقانية Kapsad. عاصمة مقاطعة الكاب. تقع أقصى جنوب جنوب إفريقيا، وقريبة جداً من رأس الرجاء الصالح، وتبعد ١٤٥٢ كيلم عن جوهانسبرغ. اكتشف المكان دياز وفاسكر

مصفاة نفط، أحواض لبناء السفن، صناعات غذائية وألبسة، وورق. مركز سياحي. أهم ميناء في جنوب إفريقيا. تأسست المدينة في ١٨٧٤، واشتري الانكليز شريطاً ساحلية من قبيلة الزولو. قبل ذلك، كانت منطقتها الساحلية تدعى بورت ناتال، وأعلنها البوير، في ١٨٤٢، جمهورية مخاضعة لهم، وهاجروا حامية انكليزية. لكن الانكليز، بعد أن أعلنوا ناتال إقليماً انكليزياً في ١٨٤٣، أصبحت دوريان كومونة مستقلة بادارة ذاتها.

* **ريسانو Garsy:** مدينة جنوب إفريقية، على الحدود بين جنوب إفريقيا وموزمبيق، والمعبر الأساسي الذي يربط أغنى دول القارة (جنوب إفريقيا) بإشدها فقرراً (موزمبيق). لذلك شهدت المدينة تدفقاً هائلاً من طالبي العمل واللاجئين رغم الخطر الذي يتهددهم جراء الأسلام المكهربة المتعددة على مسافة ١٦٥ كيلم. بمحاذاة جنوب موزمبيق وزيمبابوي مع جنوب إفريقيا والتي أودت بحياة الآلاف من المتسللين. والأسلام المكهربة هذه المعروفة بتسمية «أفعى السار» أقيمت أصلاً لمنع

يقول علماء آثار، منهم مونيكا ويلسون المتخصصة في تاريخ جنوب إفريقيا: «لقد كانت قطعان الماشية ورعايتها (الهوتنتوت) موجودين قبل جمیء الأوروبيين إلى الكاب. والصور البدیعة للماشیة والرعاة المرسومة على جدران الكهوف الساحلية تشهد بذلك».

ويقول العالم الانثروبولوجي سنجر واينر: «إن دراسات فصائل الدم قادتنا إلى نتيجة مفادها أن الهوتنتوت أساساً وقطعاً هم زنوج إفريقيون مرّوا بتاريخ طويل من التمايز العرقي في جنوب إفريقيا منذ أربعة آلاف عام على الأقل».

* **كيمبرلي Kimberly:** مدينة في وسط جنوب إفريقيا وشمالي مقاطعة الكاب. يربطها خط سكة حديد بـمدينة الكاب وبـمدينة غابرون (بوتسوانا). تعداد نحو ١٥٠ ألف نسمة. مركز مهم لاستخراج الماس.

دي غاما، لكنه استمر مدة طويلة بعدهما من دون أن يعرف استيطاناً أو استعماراً أياً ضم بسبب المقاومة التي ابدأها السكان الأصليون. في ١٦٥٢، توصل الهولنديون إلى إقامة قلعة هناك. وسيطر الانكليز على المستعمرة في ١٨٠٦، وجعلوا مدينة الكاب عاصمة لمقاطعة الكاب التي أصبحت، في ١٩١٠، إحدى مقاطعات «الاتحاد جنوب إفريقيا».

الكاب هي العاصمة التشريعية للبلاد، فيها البرلمان الذي يحتوي مقره أيضاً على بيت للرئيس حيث يقيم ستة أشهر في السنة، بينما الأشهر الستة الأخرى يقضيها في بريتوريا العاصمة الإدارية. هي المدينة الأم لجنوب إفريقيا وإحدى أقدم المدن في التاريخ الحديث، حيث أسسها شبه جزيرتها برأس الرجاء الصالح منذ أكثر من ٥٠٠ سنة، واكتشف خليج المائدة (Baie de la Table) الذي تطل عليه في ١٥٠٣، وانشئت المدينة حول هذا الخليج في ١٦٥٢.

جانب من مدينة الصيف، سويع، لسكن السود.



مرض، فخلفه دوكليرك (راجع النبذة التاريخية، والأبارتيد).

زعماء ورجال دولة

* بوتا، لويس Botha,L. -١٨٦٢ (١٩١٩): سياسي وقائد عسكري عنصري جنوب أفريقي ومن أصل هولندي. دخل السياسة في ١٨٩٧ مناصراً التفاهم مع البريطانيين. اشترك في حرب البوير كقائد قوات الترانسفال، وبعدها أيد الصلح مع بريطانيا. أصبح رئيساً لوزراء الترانسفال. ثم رئيساً لوزراء الاتحاد جنوب أفريقيا. أحمد ثورة البوير الموالية لألمانيا في ١٩١٤، وأحتل المناطق التابعة لألمانيا في جنوب أفريقيا. شارك في مؤتمر باريس للسلام ووقع معاهدة فرساي، وقد حاول حتى الخلفاء على التساهل مع ألمانيا المهزومة.

* بوتيليزي، منغوسوتو غاشا . Buthelezi, M.G. (-١٩٢٨): زعيم قبلي (قبائل الزولو) وسياسي أسود جنوب أفريقي. بدأ حياته السياسية ناشطاً في المنظمة الطلابية لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي (حزب مانديلا) وبقي عضواً فيه أو قريباً منه حتى خلال فترة تعاونه مع النظام العنصري بدءاً من ١٩٧٠، أي من السنة التي أصبح فيها بوتيليزي رئيس حكومة منطقة كوازولو (أي «حيث يعيش الزولو») المتمنعة بحكم ذاتي محدود للغاية التي كانت في عزّها آنذاك حيث عمدت السلطات البيضاء إلى تكوين معازل وبانتوسنات يعيش فيها مختلف الأعراق الزنجية متمتعاً بعد أدنى من صلاحيات الإشراف على شؤونها. تردد بوتيليزي، في بداية الأمر، من القبول بهذه المهمة «المتعاونة» مع البيض، ولم يقبل إلا بعد الحاج من حزب المؤتمر نفسه الذي كان حريراً على اتجاد موقع قدم له في مؤسسات نظام الفصل العنصري.

بعد خمس سنوات، أي في ١٩٧٥، أنشأ

* بوتا، بيتر فيلام Botha,P.W. (١٩١٦): سياسي جنوب أفريقي. متشدد في تطبيق الأبارتيد. ولد في دولة أورانج الحرة، معقل المحافظين البوير. استطاع، بفضل مواهبه الإدارية، أن يترقى بسرعة في أجهزة الحزب الوطني الأفريkan. أصبح نائباً في ١٩٤٨، وهو العام الذي شهد ولادة نظام الأبارتيد الذي استمر حتى انتخابات نيسان ١٩٩٤. وزير الداخلية (١٩٥٨)، وزير الدفاع (١٩٦٦) وفي الوقت نفسه زعيم الحزب في مقاطعة الكاب. عمل على تقوية الجيش حتى أصبح بجنوب أفريقيا أقوى قوة عسكرية في النصف الجنوبي لقارنة إفريقيا. المدبر الأساسي لعملية التدخل العسكري لبلاده (١٩٧٥) في الحرب الأهلية الأنغولية، بهدف منع وصول الرئيس نيتو إلى السلطة في لاوندا. إلا أن الوحدات الجنوب إفريقية انسحب دون أن تحقق هدفها، وعزا بوتا هذا الفشل إلى «جن» الغربيين إلى الذين افترض انهم حلفاء. يعتبر الكثيرون أن بوتا أحد «الصقور المستبرئين» داخل حزب البيض في ما يختص بسياسة الفصل العنصري (الأبارتيد)، على أساس أنه كان من أنصار فتح مسرح نيكو مالان في مقاطعة الكاب أمام جميع الناس من جميع الأعراق. في أيلول ١٩٧٨، انتخبه برلمان جمهورية جنوب إفريقيا رئيساً لوزراء محلقاً لفورستر بسبب مرض هذا الأخير الذي انتخب رئيساً للجمهورية. وعلى أثر وضع الدستور الجديد موضع التنفيذ في ٣ أيلول ١٩٨٤، انتخب بوتا رئيساً للجمهورية، وأول حكومة شكلها ضمت وزيراً خلاسيماً وزيراً هندياً. زار فرنسا مرتين ١٩٨٤ و١٩٨٥. في ٣١ كانون الثاني ١٩٨٦، أصدر بوتا إعلانه الشهير: بدء التفكيك القانوني لنظام الأبارتيد. في ١٥ آذار ١٩٨٩، استقال من منصبه على أثر

التي افضت إلى الدستور الجديد، واعتمد لغة سياسية مستهلكة وبذائية وهي تركيزه على عدائيه للشيوعية التي انهم حزب المؤتمر بها. وذهب إلى حد التعاون مع أكثر أوساط البيض عنصرية وتطرفًا (اليمنيين المتطرف، النازيون الجدد...). استمر متهجّاً بهذه السياسة حتى الأيام القليلة التي سبقت انتخابات ٢٦ و٢٧ و٢٨ نيسان ١٩٩٤ (راجع النبذة التاريخية، وباب: الأبارtheid).

* Tambo, Oliwero. Tambo, O. (١٩١٧-): رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي بعد دخول مانديلا السجن. ولد في بيزانا (شرقي منطقة الكاب)، وكان والده مزارعاً، وقد تلقى تعليمه في لوديسي على أيدي البعثات التبشيرية، ثم دخل مدرسة سانت بيتر الثانوية حيث أكمل تعليمه الثانوي في ١٩٣٨، والتحق بجامعة فورت هير وتخرج منها في ١٩٤١ حائزًا على بكالوريوس العلوم، وعمل ١٩٤٢-١٩٤٣ مدرساً في مدرسة سانت بيتر الثانوية. درس القانون (منذ ١٩٤٨)، ثم عمل بالمحاماة متعاوناً مع نلسون مانديلا، وكان من مؤسسي رابطة شباب المؤتمر الوطني الأفريقي في ١٩٤٤. أصبح عضواً في اللجنة التنفيذية للمؤتمر. وفي ١٩٥٥ تولى منصب السكرتير العام حتى ١٩٥٨ حين انتخب نائباً لرئيس، رئيس المؤتمر (بعد الحكم بالسجن المؤبد على مانديلا).

* De Klerk, F. De Klerk, F. (١٩٣٦-): رئيس جمهورية جنوب إفريقيا من ١٩٨٩ إلى انتخابات نيسان ١٩٩٤ التي قاست على نظام الأبارtheid والتي جاءت بنسون مانديلا كأول رئيس أسود في جنوب إفريقيا. ولد في عائلة أفريقانية متعددة من أصول هولندية وفرنسية. تربى في وسط عالي واجتماعي هو وسط الأقلية البيضاء الواثقة من «حقها» في البلاد وأهليتها للسيطرة عليها. والده كان من دعامتين الحزب:

بوتيлизي حركة «إنكاثا» الثقافية التي تحولت إلى حزب سياسي في ١٩٩٠ بعد الإفراج عن مانديلا في ١١ شباط (١٩٩٠) وبعد أن أعلن فريديريك دوكليرك عزمه على تفكك النظام العنصري وإضعاف وجود القانوني على الأحزاب والمنظمات السياسية المتنوعة منذ ٣٠ سنة. وجاء إنشاء حركة إنكاثا بمبادرة من حزب المؤتمر الذي كان يهدف إلى «إيجاد منظمة ديمقراطية تناضل ضد نظام الفصل العنصري من داخله». ذلك أنه منذ انتفاضة شاريفيل في ١٩٦٠ (راجع باب معالم تاريخية)، أقدمت سلطات بريطانيا على منع جميع الأحزاب السوداء، ومن بينها بطبيعة الحال حزب المؤتمر الذي توزعت قياداته على السجون والمنافي. وهكذا رأى الحزب أن لا بد له من البقاء على صلاته بالداخل، فكان أن أوغر بإنشاء حركة إنكاثا.

ظهرت الخلافات، بين إنكاثا وحزب المؤتمر، وتحولت إلى نزاعات عنيفة و المسلحة عندما بدأ حزب المؤتمر يميل إلى ترجيح الكفاحسلح في مواجهة النظام والدعوة إلى مقاطعته إقتصاديًا. فاعتراض بوتيлизي متذرعاً أنه لا يمكن تركيح دولة في قوة دولة جنوب إفريقيا بالعملسلح الذي سيعكس مزيداً من القمع على المواطنين السود. وفي محاولة لرأب الصدع عقد في العاصمة البريطانية، في ١٩٧٩، لقاء بين بوتيлизي وقيادة المؤتمر الأفريقي في الخارج. وفشل اللقاء وحلت القطيعة وبدأت المواجهات المسلحة التي ذهبت بارواح المئات من السود، خاصة وأن السلطة في جنوب إفريقيا عملت على تشجيع المعارك في ما بين السود أنفسهم.

بعد خروج مانديلا من السجن مخاططاً بهالة قلّ نظيرها، في الداخل والخارج، اعتمد بوتيлизي سياسة الهروب إلى الأمام، إذ أخذ يشاكس مانديلا في كل صغيرة أو كبيرة، مرتكزاً على دعفته «المشاعر القومية» لدى الزولو. فقاطع المحادثات

الذي تقاسم وإياه جائزة نobel للسلام (راجع النبذة التاريخية، وباب «الأبارtheid»).

* سمطس، يان-جان - Smuts, Jan

(١٨٧٠-١٩٥٠): عسكري ورجل دولة عنصري جنوب أفريقي. ولد في جنوب إفريقيا من أصول هولندية وتابعة بريطانية. درس القانون في جامعة كمبرidge. مارس الخamaة في مقاطعة الكاب. بدأ حياته مناصراً سياسة رئيس وزراء مستعمرة الكاب سيسيل رودس. لكنه ما لبث أن انضم إلى البوير، فعينه الرئيس كروغر مديعاً عاماً لبريتوريا في مقاطعة الترانسفال. وفي حرب البوير، تولى سمطس، في ١٩٠١، قيادة قوات البوير في مستعمرة الكاب. وفي ١٩٠٤ تعاون مع لويس بوتا لإقامة تحالف مع بريطانيا في إطار الامبراطورية البريطانية التي والاها حتى آخر حياته، وأسهم في تأسيس اتحاد جنوب إفريقيا في ١٩١٠. وزير الدفاع في حكومة بوتا من ١٩١٠ إلى ١٩١٩، ووزير الداخلية والمناجم (١٩١٠-١٩١٢) والمال (١٩١٢-١٩١٣). اشتهر بالقسوة والعنف واستخدام الجيش والنفي الجماعي ضد عمال المناجم. أحمد ثورة البوير في بداية الحرب العالمية الأولى، وغزا جنوب غربي إفريقيا (ناميبيا). في ١٩١٦، تولى القيادة العسكرية لحملة جنوب إفريقيا ضد ألمانيا في مناطق شرق إفريقيا وأصبح عضواً في وزارة الحرب البريطانية في لندن (١٩١٧-١٩١٨)، وكان من مؤعدي معاهدة فرساي حيث احتج على الشروط القاسية التي فرضها الحلفاء على المانيا باعتبار ان من شأن تلك الشروط إثارة غضب المانيا والخلولة دون قيام نظام عالمي متوازن في ظل عصبة الأمم. وفي ١٩١٩، خلف بوتا في رئاسة الحزب الاتحادي وتولى رئاسة الوزارة والشئون الأهلية (١٩١٩-١٩٢٤). وفي ١٩٢٤، فشل في الانتخابات النيابية نتيجة قيامه باستخدام العنف ضد اضرابات عمال

الوطني حيث تحمل الكثير من المسؤوليات وتولى العديد من الحقائب الوزارية. وانتهى ابنه فريدرريك بدوره إلى الحزب الوطني منذ سنوات حياته الجامعية التي قضتها في جامعة بوتشفستروم التي كانت متقدمة النخبة البيضاء. وفي ١٩٧٢ أصبح فريدرريك دوكليرك نائباً في البرلمان، وكان قريباً من الجناح العنصري المتطرف فيه، ثم بدأ ينحى يلمع داخل المزب بدءاً من ١٩٨٠ بعد ان اختاره بيترو بوتا وقربه حتى اوصله إلى الرئاسة في ١٩٨٩ وسرعان ما بدأ، وهو الرئيس، عملية تفكك نظام الأبارtheid متعاوناً بالدرجة الأولى مع نلسون مانديلا

فريدرريك دوكليرك.



بريتوريا بطلاق سراحه ومجادرة البلاد. فقرر غولديبرغ أن يهاجر إلى إسرائيل (وهو من أصل يهودي). لكنه ما لبث أن غادر إسرائيل إلى الغرب.

* غولدستون، ريتشارد R. Goldstone,

(ـ ١٩٣٨) : رجل قانون وشخصية إنسانية وشعبية مرموقة. ولد في بوكسبورغ في جنوب إفريقيا. بعد دراسته القانون عمل محامياً بين ١٩٦٣ و١٩٨٩ قبل أن يتحول إلى قاض في المحكمة العليا في ترانسفال. وهو بعد ذلك اضطلع بمهام التحقيق والتقصي في الجرائم المركبة وال العامة التي اقترفها بوليس جنوب إفريقيا بطلاق النار على المسيرة التي ضمت ٥٠ ألف متظاهر. وهو التحقيق الذي وضع بسبقه قادة البوليس العنصري في قفص الاتهام ودينوا بجرائم القتل العمد والتصرف غير القانوني. هذه المحاكمة كانت نقطة التحول القانوني في الادارة الحكومية بجنوب إفريقيا، منها انتقل العمل إلى تفكير العنصرية ككيان سياسي وأيديولوجي وقانوني.

عمل غولدستون، منذ ١٩٩١، رئيساً للجنة الدائمة المعنية بمنع العنف العام والاضطهاد في جنوب إفريقيا، والتي كانت أنشئت عشية اتفاق السلام الموقع بين الحكومة والمؤتمر الوطني الأفريقي آنذاك. ومنذ ذلك الوقت كرس غولدستون حياته للعمل من أجل وقف انتهاكات حقوق الإنسان والدفاع عنها قانونياً. وبكلمات قليلة يمكن القول إن وجود غولدستون إلى جانب نلسون مانديلا كان لحظة تاريخية مهمة تطابقت فيها المصالح الأخلاقية الاجتماعية مع المسار القانوني الإنساني، حتى أن بعض الخبراء يدعون القاضي غولدستون «مانديلا الأبيض».

شغل منصب المدعي العام في المحكمة الدولية (لاهالي) مجرمي الحرب في البوسنة، وهي المحكمة التي نص على تشكيلها قرار مجلس الأمن

المناجم. عاد وزيرًا للعدل (١٩٣٣-١٩٣٩). رئيس الوزراء من جديد في الحرب العالمية الثانية. منح لقب فيلدمارشال في ١٩٤١. شارك في الاجتماعات الدولية التي أدت إلى إنشاء الأمم المتحدة. خسر انتخابات ١٩٤٨ بسبب اعتقاد بعض جنوب إفريقيا بتبعيته لبريطانيا.

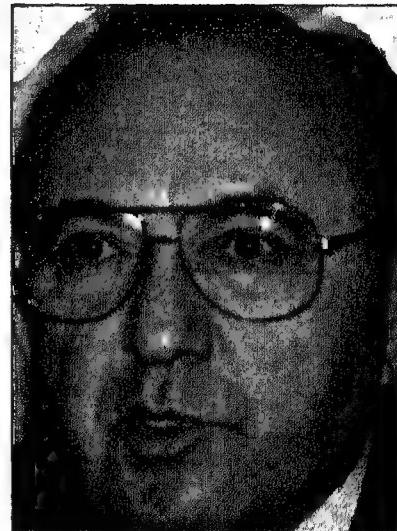
منذ فترة مبكرة من حياته، وقف سلطان إلى جانب تحالف حضارة المستعمرين البيض والاقليمة اليهودية في جنوب إفريقيا ومحارتها، وادعى وجود مهمة حضارية لهذا التحالف. ناصر الحركة الصهيونية وصادق زعيمها حاييم وايز من صداقت عمر، على أساس التشابه بين الوجود الأوروبي العنصري في إفريقيا والوجود الاستيطاني اليهودي الصهيوني في فلسطين وخدمة الصالح المشترك لسيطرة أوروبا والجنس الإيبيض على العالم. ومن هذا المنطلق ساند سلطان جهود الحركة الصهيونية في استدراجه وعد بلفور وبعد ذلك في الدوائر الامبراطورية البريطانية وفي المؤتمرات الدولية بما فيها مؤتمر باريس للسلام (١٩١٩). وعندما توفي كان القادة الصهيونيين في جنوب إفريقيا وفي إسرائيل أكثر الناس اندفاعاً في تكريمه وتأييده باعتباره «صهيونياً عريقاً طيلة حياته» (من «موسوعة السياسة»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ص ٢٣٧-٢٣٨).

* غولديبرغ، ديفيد Goldberg, D.

(ـ ١٩٣٤) : أحد الرعماء المناهضين للعنصرية في جنوب إفريقيا. كان من البيض القلائل الذين ناهضوا بظلم التمييز العنصري. عضو قديم في الحزب الشيوعي، وأحد قادة حزب المؤتمر الوطني الأفريقي. أدخل السجن مع بعض قادة الحزب مثل نلسون مانديلا. وجرت محاكمته في حزيران ١٩٦٤ في سلسلة محاكمات ريفونيا الشهيرة. في ٢٨ شباط ١٩٨٥، قبل غولديبرغ عرض سلطات

منظمة مؤيدة للنازية، قبض عليه في ١٩٤٢ وواحدة تهمة الخيانة وبقي محتجزاً حتى ١٩٤٤. نائب (١٩٥٣). وزير العدل (١٩٦١) حيث استطاع أن يضاعف قوى الأمن بقدر ٤ أضعاف، وأن يشرع قوانين قمعية جديدة ليتمكن من القبض على من يشاء دون الرجوع إلى المحاكم. وقد ساعده سجله المعروف بالتزامه تسلمه زعامة الحزب الوطني ورئاسة الوزراء بعد فيرفورد. في كانون الأول ١٩٧٧، فاز حزبه بأغلبية مطلقة في الانتخابات النيابية. ولكنه اضطر إلى الاستقالة في أيلول ١٩٧٨ بسبب فضيحة سياسية كبرى أطلق عليها اسم «مولدرغيت» (تشبيهاً بفضيحة «روترغيت» الأميركية) نسبة إلى وزير الإعلام الذي خصص أكثر من ٨٠ مليون دولار (بصورة غير شرعية) لشراء بعض الصحفيين والسياسيين الأجانب للتستر على سياسة الأبارtheid ولاعطاء صورة مشرقة عن جنوب إفريقيا في الخارج. وقد انهم فورستر بالتفاضي عن وزير اعلامه لا بل وتشجيعه. وكان السبب الرسمي الذي اعطي لاستقالة فورستر هو اعتلال صحته. ولكن البرلسان انتخبه رئيساً للجمهورية، وهو منصب شكلي قبل أن يصدر الدستور الجديد، في ١٩٨٤، إلا أنه لم يستمر أكثر من ٨ أشهر في منصبه الجديد، إذ إن الفضيحة المالية لاحقته واجبرته على الاستقالة واعتزال العمل السياسي في ٤ حزيران ١٩٧٨. زار إسرائيل في ١٩٧٦، وعمل على تقوية العلاقات وعقد الصفقات الضخمة معها.

* فيرفورد، هنري克 فولش Verwoerd, H.F. (١٩٠١-١٩٦٦): رجل دولة ومؤسس نظام الفصل العنصري (الأبارtheid) في جنوب إفريقيا. هاجر عائلته إلى جنوب إفريقيا بعد ستين من ولادته في Amsterdam في هولندا. أتم تحصيله العلمي في جامعة كيب تاون (مدينة كاب)، ثم جامعة هامبورغ في ألمانيا، ودرس علم



ريتشارد غولدستون.

الدولي ٩٣٦. فكان أحد الرموز التي تشوق إلى مثلها الإنسانية. فظل هو نفسه، رسول الإنسان والعدل والقانون. فلم يعبأ بالحملة التي قامت ضده في الغرب التي رفضتربط ما حصل في البوسنة بما حصل لليهود في أثناء الحرب العالمية الثانية. ولم تشفع للقاضي غولدستون يهوديته ولا النجاح والخصافة والتراحم التي ميزت عمله، فظل هدفاً دائمًا للحملات الغربية الصحفية التي ما وفرت شيئاً للانتقاد من قيمة عمله ونبيل مسامعيه.

في ربيع ١٩٩٦، ودع ريتشارد غولدستون عمل المحكمة الدولية بموجب البوسنة في لاهاي، ليتفرغ لعدد من التزاماته داخل جنوب إفريقيا، ويتصوّل الادعاء العام في المحكمة الماثلة بموجب رواندا التي بدأت أعمالها أواخر ١٩٩٥ (من مقال كتبه إسماعيل زاير، «الحياة»-«تيارات»-العدد ١٢٠٨٩، تاريخ ٣١ آذار ١٩٩٦، ص ١١).

* فورستر، جون-باتزار يوهانس Vorster, B.Y. (١٩١٥-١٩٨٣): رئيس وزراء جنوب إفريقيا من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٨. بدأ حياته السياسية إبان الحرب العالمية الثانية عندما انضم إلى

المخصصة للسود. أول هذه الأقاليم المتمتعة نظريًا بالحكم الذاتي كان ترانسكاي في ١٩٦٣ (راجع «باتوستان» في باب الأبارتيد).

في ١٩٦٦، اغتيل فيرفورد وهو جالس في مقعده في البرلمان على يد رجل أبيض.

* لوثولي، ألبير ميوسي A.M.

(١٨٩٨-١٩٦٧): سياسي وزعيم جنوب إفريقي. حائز على جائزة نوبيل للسلام، ويعتبر أباً للحركة الوطنية الأفريقية في هذا البلد. بعد إتمام تخصيشه العلمي، عمل مدرساً حتى ١٩٣٦ حين اختاره شعبه (الزولو) زعيماً له. انضم إلى حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، واصبح بعد فترة رئيساً لفرعه في إقليم ناتال.

وضع لوثولي ثقل زعامته التقليدية في النضال ضد سياسة الأبارتيد. وحين خيرته الحكومة، في ١٩٥٢، بين الحفاظ على زعامته وبين الالتماء إلى المؤتمر الوطني الأفريقي، اختار مواصلة النضال السياسي فانتزعت منه الرعامة. غير أنه انتخب في السنة نفسها رئيساً لحزب المؤتمر، وقد احتفظ بالرئاسة حتى آخر حياته.

جاهت الحكومة نضاله بالتفويض والاعتقال طوال ترؤسه حزب المؤتمر. وثباته عند موقفه جعل منه بطلاً وطنياً يتمتع برصيد عالٍ لدى الرأي العام العالمي. في آذار ١٩٦٠، أحراق علناً جوازه الداخلي احتجاجاً على مقتل العشرات من السود في مدينة شاريفيل على يد الشرطة ودعا إلى يوم حداد وطني. فبردت السلطة باعتقاله مجدداً. وفي السنة نفسها (١٩٦٠) منح جائزة نوبيل للسلام. ولم تسمح له الحكومة بالترجح إلى استوكهولم لاستلام الجائزة إلا بضغوط كبيرة في الداخل والخارج واشترطت إلا يزور أي بلد آخر.

توفي لوثولي في ١٩٦٧ فيما كان لا يزال في الاقامة الجبرية. وقد لفَّ الغموض موته. إذ زعمت السلطات أن قطاراً صدمه حين كان يقطع

النفس وعلم الاجتماع في الكتاب. انتسب إلى الحزب الوطني في ١٩٣٦، ودخل في العام نفسه في جمعية «بروديربوند» السرية الفاعلة في أوساط الأفريكان (البيض ذو الأصل الهولندي). ترك التدريس الجامعي في العام اللاحق ليتسلم رئاسة تحرير جريدة «دي ترانسفالير» الصادرة باللغة الأفريقانية في جوهانس堡، وبقي فيها حتى ١٩٤٨. وقد تميز خلال هذه الفترة بمناؤاته لبريطانيا وبعدائه للسامية وبآراءه النازية.

في ١٩٤٨، انتخب عضواً في مجلس الشيوخ حيث تزعم كتلة الحزب الوطني. عين وزيرًا لشون «السكان المحليين» (أي الأفارقة السود) في ١٩٥٠. ومن خلال هذا المنصب، عمد إلى وضع أساس نظام الأبارتيد محدداً نهجه بـ«التطور المستقل للإعراق» على قاعدة تقسيم جغرافي، وتكون لكل عرق موسساته وسلطاته في الرقعة الجغرافية المخصصة له. بهذا، لا يتمتع الأفارقة بأية سلطة في المحاد جنوب إفريقيا ولا يكون لهم حق الملكية خارج الأقاليم المعطاة لهم. وقد عني هذا النظام حرمان كل السكان من غير البيض من كل حقوقهم الاقتصادية والسياسية.

في ١٩٥٨، انتخب فيرفورد نائباً وأصبح زعيم الحزب الوطني فرئيساً للوزراء، بعد وفاة ستريدجوم. وسرعان ما ادخل تشريعات مستوحاة من النهج الذي كان قد رسمه. تعرض في ١٩٦٠ لمحاولة اغتيال بعد حوادث شاريفيل الدامية (راجع باب معلم تاريخية). وأحرى استفتاء حول تحويل الاتحاد جنوب إفريقيا إلى جمهورية جنوب إفريقيا. فكانت النتيجة ٥٢٪ من الناخبين البيض (وحق الاقتراع محصور بهم) أيدوا هذه الفكرة. وفي العام نفسه قرر سحب جنوب إفريقيا من الكومنولث بعد انتقادات تعرض لها من الدول الأعضاء أثناء المؤتمر المنعقد في لندن.

واستكملاً لفيرفورد الترتيبات العنصرية بإنشاء نظام الـ«باتوستان»، وهي الأقاليم

إصداره هو، وكمولف، لكتاب سيرته الذاتية:

Nelson Mandella

Long Walk to Freedom

The Autobiography of Nelson Mandella.

Little Brown. 1994. , 6 17 pages.

(نلسون مانديلا، المسيرة الطويلة نحو الحرية، السيرة الذاتية لنلسون مانديلا).

ولد نلسون مانديلا في ١٨ تموز ١٩١٨ في قرية صغيرة، مفيزو، على ضفاف نهر المباشي في إقليم الترانسكاي. وقضى معظم طفولته وصباه الباكر في الإقليم ما بين قريته وأمانتا (عاصمة الترانسكاي) حيث يعيش زعيم قبيلة الخوسا (ثاني أكبر قبائل السود عدداً بعد الزولو) وهو من عائلة مانديلا كذلك. وبعد وفاة والده، انتقل إلى العيش في بيت الزعيم الذي كفله حتى شبّ عن الطوق. ويستذكر مانديلا حياته مع أقرانه في الأودية والمرتفعات ورعاية الماشية حين بلوغه الخامسة، ودخوله المدرسة النظامية المخصصة للسود في السابعة. وفي المدرسة منحته المعلمة إسمًا انكليزيا هو: «نلسون» الذي بات يعرف به ويحمل محل إسمه بالولادة الذي هو «روليهلالا» (أي «مشاغب» بلغة الخوسا). وفي السادسة عشرة، ختن مانديلا مع مجموعة من أقرانه، والختان لدى الخوسا طقس يعبر خلاله الأولاد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة، وبالتالي هو اختبار للشجاعة. واستقبل مانديلا التجربة بمزاج من الوجل والاصرار على التحمل واحتياز الامتحان.

مرحلة الطفولة والراهقة، وبعدهما بسنوات قليلة، امضاها مانديلا في وسطه الأسود بعيداً عن الرجل الأبيض ومؤسساته، في ما عدا حفنة من البيض الذين تعرف عليهم في بلدته والريف المجاور، «إلا أن دورهم في حياتي كان قصيراً، كما أني لم أشغل بالي بالتفكير في العلاقة بين أبناء جنسني وهؤلاء الغرباء العجبيين». في المدرسة، التابعة لـ«الأباء البيض»، تمك

السكة الحديدية. إلا أن معظم السود ما زالوا مقتولين إن الحكومة وراء مقتله. نشر لوثرلي سيرته الذاتية في ١٩٦٢ تحت عنوان «دعوا شعبي يسر».

* **Mangena,A. الفرد Mangena,A. (١٨٧٩-١٩٢٤)**: سياسي وأول محام أسود في جنوب إفريقيا. ولد في إسکورث وتلقى فيها تعليمه الابتدائي، ثم رحل إلى مدينة الكاب لتابعة دراسته في مدرسة خاصة تولى فيها بنفسه نفقات معيشته. وبدأ في الفترة نفسها كفاحه ضد السياسة العنصرية. ثم رحل بعد فترة إلى إنكلترا للدراسة القانون في جامعة لينكولن إن في لندن. وأنشأ وجوده هناك، وإثر محاكمات حائرة في بريتوريا ضد متورطين سود من قبائل الزولو (١٩٠٦)، قدم مانجينا عريضة احتجاج على الحكومة البريطانية طالب فيها باطلاق سراح المعتقلين ودحض ادعاء السلطة العنصرية شرعيتها في الوطن الأم وحقها في فرض الأحكام العرفية، فبرز اسمه على الصعيد السياسي في كل من بريطانيا وجنوب إفريقيا.

بعد عودته، نجح في تخطي التقليد العنصري المفروضة، فأصبح أول محام إفريقي في البلاد، وفتح مكتبه الخاص في بريتوريا. أسس في ١٩١٢ بالتعاون مع آخرين، المؤتمر الوطني المحلي بجنوب إفريقيا (SANNC)، وأصدر، بالتعاون مع رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي، سيفاكو ما بوغو ماكغاتو، بين ١٩١٧ و١٩٢٤، صحفة «الدفاع الوطني» في مدينة بريتوريا.

* **Mandella, N. N. مانديلا، نلسون** (١٩١٨-): زعيم جنوب إفريقي، ورئيس جمهورية جنوب إفريقيا الحالي (١٩٩٤-). الكتابات عنه، سيرة وقصالاً وسجناً وسياسةً وتاريخاً وتحليلات... سيل جارف في العالم بدأ مع إطلاقه من السجن، وتزعم بعد



تلسون مانديلا في لحظة تأديته اليمين الدستورية.

العالم اليوم. فساهم في تلك السنة (١٩٣٨)، إلى جانب تامبو، في تنظيم اضراب طلابي أدى إلى طرده من الجامعة؛ فانتقل إلى مدينة جوهانسبورغ حيث بدأت مرحلة من السنوات العجاف، كان خلالها يقسم وقته بين دراسته القانونية، وبين عدد من المهن الصغيرة يزاولها لتوفير قوتة، وبين العمل السياسي الذي ما لبث أن أصبح علة وجوده.

هكذا انطلق مانديلا، بصحبة جمّع من الشباب في محاولة السيطرة على «منظمة المؤتمر الأفريقي» التي كان يقودها في ذلك الوقت وجيه اسود يدعى الدكتور حوما، وهو رجل كان شديد

من إثراء ثقافته ونعارفه التقليدية القبلية والشفوية بمعرف وثقافة حديثة. وفي ١٩٣٨، التحق بجامعة فورت هير حيث بدأ دراسة القانون، وحيث التقى بوحد من أكثر الشخصيات تأثيراً في مسار حياته، وهو أوليفر تامبو، الذي يعد من مؤسسي الحركة المناهضة للتمييز العنصري (وهي العبارة التي يصبح استعمالها بدلاً من «الفصل العنصري»)-الأبارتيد- في مرحلة ما قبل ١٩٤٨، ذلك أن نظام الأبارتيد بدأ في ١٩٤٨. فبدئوا من تلك السنة، ١٩٣٨، ومن ذلك اللقاء، دخل مانديلا معرك الحياة السياسية وبدأت تتشكل ملامح الرجل الذي يعرفه

الحامين من الدفاع عنهم فقد تولى مانديلا وزملاؤه الدفاع عن أنفسهم، وفي الوقت نفسه أصدرت الحكومة قراراً بمحظر نشاط حزب المؤتمر الوطني. وفي العام نفسه أعلنت الأمم المتحدة عام ١٩٦٠ «عام إفريقيا». ونادي الرئيس الأسود لوتولي الرئيس العام للمؤتمر الأفريقي، مقاطعة دولية لبعضها جنوب إفريقيا. وأثناء ذلك وقعت احداث شاريفيل (راجع معلم تاريخي) التي فجرت غضباً عاصماً، وبغض الولي على ١٢ ألف أسود بعد اعلان حالة الطوارئ، وعدّ المؤتمر الوطني الأفريقي خارجاً على القانون. وفي العام التالي (١٩٦١) حصل مانديلا على البراءة من تهمة الخيانة العظمى. وبعد إطلاق سراحه، أصدرت الحكومة أمراً جديداً بالقبض عليه، فاضطر إلى الاختفاء والعمل السري. بعدها، حضر مؤثراً في مدينة بيترمارتنبورغ حضرة ٤٠٠ متذوب من جميع أبناء البلاد، وألقى خطاباً ضد اعلان جنوب إفريقيا جمهورية بييناء، وسافر في ١٩٦٢ خارج البلاد لحضور مؤتمر في أديس أبابا، ثم سافر إلى لندن فالجزائر، ثم عاد سراً إلى جنوب إفريقيا، وألقى القبض عليه في ٥ آب ١٩٦٢ وحُكم في جوهانسبورغ بتهمة مغادرة البلاد بطريقة غير قانونية، وحكم عليه بالسجن ٥ سنوات، وقد حيء به من السجن إلى المحكمة عام ١٩٦٤ لمحاكمته بتهمة قيادة أعمال التخريب من داخل السجن وصدر عليه الحكم بالسجن مدى الحياة.

أنفق مانديلا عشرة آلاف يوم بين جدران سجون مختلفة، بعضها مفرط في القسوة مثل سجن روبين أيلاند (في المحيط الهندي قبلة مدينة الكاب) حيث قضى ورفاقه جل فتره سجنهم (من ١٩٦٤ إلى ١٩٨٢) في أعمال شاقة، وبعضها مريع نسبياً مثل سجن فكتور فيرستر الذي قضى فيه عامه الأخير وحيداً، وتمكن للمرة الأولى من سنوات طوال من الاختفال بعيد ميلاده الحادي والسبعين مع زوجته ويني وبقية أفراد عائلته. وقبل أيام من

الاحتشام تجاه السلطات البيضاء التي كان يبالغ في احتجاز قوانينها، ويكتفي بتوجيه عرائض الاحتجاج إليها. في حين كان مانديلا وصحبه يومئون بضرورة الانتقال، تدريجياً، من النضال الإسلامي المتأثر إلى حد كبير بالغاندية (وغاندي بدأ حياته السياسية داخل الجالية الهندية المهاجرة في جنوب إفريقيا)، إلى العنف والكفاح المسلح. وجاء انتصار الحزب الوطني داخل الأقلية البيضاء الذي انتزع السلطة من أيدي البيض الناطقين بالإنكليزية والمستندين إلى بريطانيا، وأسس لنظام الأبارtheid، في انتخابات ١٩٤٨، ليسرع من قناعات مانديلا ورفاقه بضرورة اعتماد الكفاح المسلح كطريق وحيد للحرية. وفي الخمسينات، أصبح مانديلا أحد أبرز قياديي المؤتمر الأفريقي، خاصة بعد حظر المنظمة في ١٩٥٢. وشهد يوم ١٦ كانون الأول ١٩٦١ ما لا يقل عن ٢٠ انفجاراً أعلنت ميلاد الحركة المسلحة، أو الجنوح العسكري للمؤتمر الذي أوكل إلى مانديلا تأسيسه وعرف باسم منظمة «رأس حربة الشعب» أو الأمة، بمعونة جو أسلوفو عن الحزب الشيوعي وآخرين.

في ١٩٥٢، كان مانديلا قد انتخب رئيساً لحزب المؤتمر في إقليم ترانسفال؛ فأصدرت الحكومة، على الفور، قراراً بوقفه عن ممارسة الخامة وعدم دخوله العاصمة. وفي ٢٦ حزيران ١٩٥٥، صدق المؤتمر الشعبي في مدينة الكاب على «دستور الحرية»، واشتراك في هذا المؤتمر المهم آلاف من حزب المؤتمر الوطني. وفي العام التالي (١٩٥٦) حُكم مانديلا مع ١٥٦ من رفاقه بتهمة «الخيانة العظمى»، واستمرت محاكمته حتى ١٩٦١، ولكنه قبل ذلك وفي ١٩٥٨ اقتُن بـ ويني مانديلا التي اختبأ لها إبنتين.

في ١٩٦٠، بدأت الحكومة العنصرية إجراءات قمعها الدموي ضد السود والملونين، وأعلنت قانون الطوارئ للحد من المظاهرات، واعتقل مانديلا مع ٢٠ ألفاً، ولأن الحكومة منعت

سياسي مراوغ وضييع».

أما من القليل النادر والشاذ ما اعادت الصحافة البريطانية التذكير به، بمناسبة زيارة مانديلا المذكورة، وهو ما قالته، في ١٩٨٧، مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا، وهي تشجب اية مبادرة للحوار مع حزب المؤتمر الوطني الافريقي (ANC): «إن المؤتمر الوطني الافريقي منظمة أرهابية فعلاً. وإن أي شخص يعتقد انها ستتسلم مقاليد الحكم في جنوب افريقيا إنما يعيش في عالم ضبابي ووهبي». بل ان أحد نوابها، وهو تيدي تايلور، قال في الشمانيات: «ينبغي اعدام نلسون مانديلا رمياً بالرصاص».

في ١٩ آب ١٩٩٦، أذيع رسميًا في جنوب إفريقيا ان رئيس الجمهورية فلسون مانديلا ابلغ اللجنة التنفيذية الوطنية لحزب المؤتمر الوطني الإفريقي، أبناء اجتماعاته التي جرت في جوهانسبورغ لمدة ثلاثة أيام وانتهت في ١٨ آب ١٩٩٦، قراره التخلصي عن زعامة الحزب في ١٩٩٧ (أي)، إبان المؤتمر السنوي للحزب المقرر عقده في كانون الاول ١٩٩٧). وكانت سبقت هذا الإعلان تصريحات متكررة لمانديلا أكد فيها انه سيعتزل العمل السياسي عند انتهاء ولايته الرئاسية في ١٩٩٩.

ماندلا، وینی * Mandella, Winnie

ـ) مناضلة وسياسية جنوب افريقية.
زوجة الرئيس نلسون مانديلا من ١٩٥٨ إلى ١٣
نisan ١٩٩٢ (الطلاق) وأم لابنته زيني وزيندزي
اللتين اهتما بها في السنوات الثلاث الاولى من
زواجها.

ولدت «نومزانو وينيفريدها ديزيكيلا» المعروفة اختصاراً باسم «ليني» في قرية لوندولاند من قرى باترسن ترانسكاي. بعد رحيل والدتها، تركت المدرسة لمدة عام ونصف العام لتربي شقيقها الرضيع، وعملت في الحقول وحلب

اطلاق سراحه استدعاه الرئيس فريديريك دوكليرك ليتبئه بقرار اطلاق سراحه، ففوجيء مانديلا، وطلب مهلة اسبوع، ولكن الرئيس رفض الطلب باعتبار ان الحكومة اعدت للامر عدته وأغطررت الصحافة المحلية والعالمية. ووافق مانديلا أخيراً.

في ١١ شباط ١٩٩٠، خرج مانديلا من بوابة السجن طليقاً تحت اضواء عشرات الكاميرات وحشد من الاقارب والمويدين والصحافيين... « حين صوب أحدهم آلة سوداء طويلة برأس يكسوه الوبر نحوي جفلت. قلت في نفسي ربما كان هذا سلاحاً جديداً طوروه خلال إقامتنا في السجن. إلا أن ويني أعلمتني أن هذا مكّر للصوت... »، وسار يصنع أحد أهم أحداث التاريخ (راجم العينة التاريخية، وباب الأبارتيد).

في سيرته الذاتية (الكتاب المذكور في مطلع هذه المادة، وهو أحد أكثر الكتب مبيعاً في العالم منذ أن صدر) يقول نلسون مانديلا: «لم أولد وهي جوع إلى الحرية، فقد جئت إلى الحياة حراً بكل ما يمكن أن يستوعبه عقلي وووجهاني من معاني الحرية... عندما بدأت أعي في صياغي ان حرري هي مجرد وهم، وعندما اكتشفت وانا شاب ان حرري قد سلبت مني، حينها بدأ عندي ألم الجروح الالحانية».

هذا من جميل ما قاله مانديلا. أما ما قيل عنه، وما زال يُقال، فمحلات لا حصر لها ولا عد، وكلها، باستثناء القليل القليل الشاذ والموغل في عداته لحركة التاريخ، تلتقي، بشكل أو باخر، مع ما قالته ماري بريد، مراسلة صحيفة «إندبندنت»، عشيّة زيارة مانديلا لبريطانيا في الأسبوع الأول من تموز ١٩٩٦: «إن نلسون مانديلا واحد من أعظم رجال الدولة في قرنا العشرين. أنها خصائص هذا الرجل الفريد، تلك التي تجعله يترفع عن وحل السياسة الحديثة. إنه في نظر الآخرين شخص ينضح حيوية وطيبة واستقامة، قائد روحي، أكثر من أن يكون مجرد



وینی مالدیلا۔

عدة بين ١٩٦٧ و ١٩٧٥، وذاقت كل ألوان التعذيب والاهانات، وتم تغيير منزها في ١٩٨٥ وانتشرت النيران في بيتهما في ١٩٨٨، وكانت لا تستقر في مكان ما عخشية السقوط إما بين أيدي الأجهزة الأمنية أو برصاص القوى العنصرية.

لم تخرج ويني سليمية بصورة تامة من جحيم العنصرية بعد كفاح دام ثلاثة عقود ونصف عقد، لكنها اكتسبت خلاله «مناعة» تعد ثمرة من ثمار نضوجها السياسي، وتوازنها النفسي، وموافقها العنيفة من العنصرية وكل رموزها مثل زوجها نلسون الذي حافظ على توازنه العقلي والنفسي لمدة 27 سنة خلف قضبان السجن، فاكتسب حكمة سياسية نادرة وهدوءاً مدهشاً وثقة إلى درجة أن بعض الاصوات من داخل حركته ارتفعت لتقول إن مانديلا الذي تعرفه مات في سجون العنصرية، فهو الآن يجلس إلى جانب حلاده الرئيس دوكليرك وبخاطبه كرفيق درب.

الابقار. كانت تستمع بشغف للقصص التي كان والدتها يقصها عليها حول معارك ونضالات الزعماء السود. في المدرسة الثانوية، احترت اتصالات بجمعية «افريقيا الشابة»، وهي منظمة يسارية، ثم حضرت بعض اجتماعات المؤتمر، ودرست في جوهانسبورغ، وكانت اول امرأة سوداء تعمل في الحال الطبي حيث عملت مساعدة اجتماعية طيبة.

التحقت ويني نلسون مانديلا أول مرة في المحكمة الأقلية في جوهانس堡، وكان محامياً للدفاع عن زميل له قبض عليه البوليس. ورأت ويني، حسب تعبيرها، هذا الرجل الشامخ المهيب الجليل حينما دخل إلى القاعة وسط همس الموجودين باسمه وأعجابهم به. ثم التقته ثانية وقد كان برفقة أوليفر تامبو وزوجته أدولين؛ والتقي بها ثلاثة يستفسر عن إمكانية قيامها بجمع الاموال لهدف نضالي معين. ثم تكررت لقاءاتهما حتى تم زواجهما في ١٩٥٨، وبدأت تشاركه على الفور عمله السري. وكانت حياتها معه حياة بدونه - كما تقول ويني - فلم يكن لديه وقت حتى ليأكل، فالوطن يأتي أولاً، وأي شيء آخر لديه في المرتبة الثانية. وسرعان ما قبضت عليها الشرطة بسبب نشاطها في حركة المرأة السياسية، قبل نهاية شهر العسل، ورجحت بها في السجن.

بعد إطلاق سراح ويني، بدأت عملية مطاردة نلسون، فلم يعرفا طعم الحياة المأهولة تحت سقف واحد. وحلّ عام ١٩٦٢ فقبض على مانديلا ووضع في السجن لمدة ٢٧ سنة.

طوال هذه السنوات كانت ويني تناضل في غير جبهة في آن واحد: جبهة توفير لقمة العيش لابنتهما وأطفال الشهداء، جبهة تأليب الرأي العام المحلي والدولي ضد النظام العنصري، جبهة العمل للإفراج عن زوجها، ومواصلة كفاحها في إطار حزب المؤتمر الوطني الافريقي وفي داخل حركة المرأة في جنوب افريقيا. واعتقلت مرات

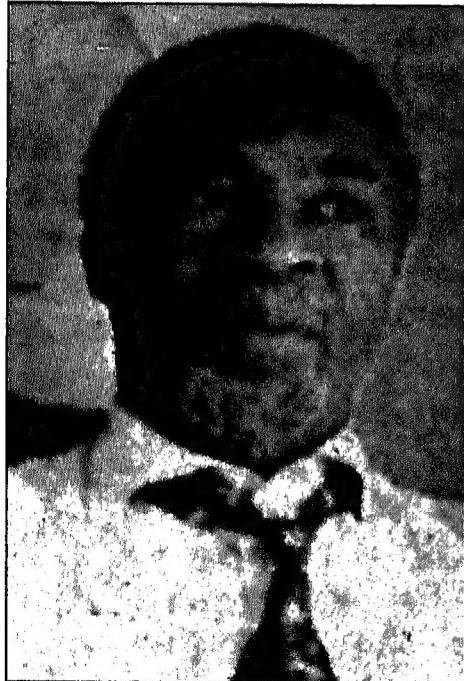
سمعة «المؤتمر الوطني الأفريقي». وضغط الحزب على مانديلا لفسخ عقد زواجه إذا كان يريد البقاء في قيادة «المؤتمر» وان يكون مرشحه الوحيد لرئاسة الدولة. وفي ١٩٩٢، اتخذ مانديلا قرار طلاقه منها، وتخلت عن كل مسؤولياتها القيادية في المؤتمر. ولسخرية القدر، اعادت محكمة العدل في بريتوريا، التي حكمت عليها بالسجن لمدة ٦ سنوات بتهمة المشاركة في قتل المراهق موخيسي، النظر في قرارها، وبرأت وهي مجدة عدم توافر دلائل كافية على تورطها. وهكذا بدأ بمحمي وبين يصعب من جديد في المؤتمر الوطني الأفريقي وغدت «الأم» كما يحلو لبعض السود تلقبيها. وتصدرت قائمة مرشحي المؤتمر في انتخابات نيسان ١٩٩٤. وقبيل هذه الانتخابات، كانت وبين لا تتفق تتقى بحدة المفاوضات المباشرة مع البيض متبرة «إن المفاوضات الدائرة بين صفة الجلادين وصفوة الضحايا لن تكون في خاتمة المطاف إلا على حساب الكاذبين» (من «العربي»، العدد ٣٦٣، شباط ١٩٨٩، ص ٤٦٦-٤٦٠ و«الحياة»، العدد ١١٣٩، تاریخ ٢٤ نيسان ١٩٩٤، ص ٧؛ والكتاب السنوي الفرنسي «كيد» ١٩٩٤-١٩٩٤-ص ٨٨٩).

* مبكي، ثابو (١٩٤٢ -) : نائب الرئيس الحالى بجنوب إفريقيا نلسون مانديلا.
ولد ثابو مبكي (الاسم الأصلى ثابو مفويلوا الذى يعني «حالف الفرج») في الكتاب الشرقية إبانا لتوقف ومتناضل ضد العنصرية إيمه غوفان مبكي. وحين سجن غوفان وأخرون مع مانديلا، هرب النجاحون وناجحون غيره إلى المنفى، فعاش ثابو في بلدان أفريقية عدة حيث مثل المؤتمر الوطني الأفريقي، لكنه قبل ذلك عاش في بريطانيا والاتحاد السوفياتي. ففي ١٩٦٦، نال من جامعة ساسكس البريطانية شهادة M.A. في الاقتصاد، لكنه في روسيا تدرب على القتال، ثم درس

لذلك وجد فيه البيض وفي مقدمتهم دوكليرك الرجل المناسب لفتح باب الحوار معه.

بعد خروجه من السجن كان مانديلا يتوقع أن يجد وبين، التي تركتها قبل ٢٧ سنة، زوجة البيت، فوجد نفسه أمام قائدة سياسية محنكة وعازمة على مواصلة كفاحها. عبرت وبين عن صدمتها النفسية في سيرتها الذاتية، وتصريحاتها الأخيرة بالقول: «انتظرت طويلاً العيش مع انسان يعادلي الشعور نفسه، فوجدت رمزاً تاريخياً وسياسيًّا يحيا حياة غير إنسانية، وغير عادلة. ولذا أمست حياتنا الزوجية صعبة للغاية. سيمانا وانه أضحى غير قادر على الوفاء بواجب الزوج، والأب، والجند. ولم يعد يتصور أبداً آخر في الحياة غير بعد السياسي، وربما مرد ذلك حياته الخاصة بين الجدران الاربعة. وعلى رغم انه عاد إلى البيت رسميًّا، فإنه لم يعد عمليًّا ليس في نظري فقط، بل في نظر ابنائه، واحفاده...». الحياة المشتركة بين وبين ونلسون لم تستمر لأكثر من خمس سنوات فقط (٣ سنوات قبل سجنه، وستنان بعد إطلاق سراحه) مع ان زواجهما دام ٣٤ سنة (١٩٩٢-١٩٥٨).

وليس غريباً، ربما، ولا صدفة ان حملة الاتهامات ضد وبين انطلقت قبل فترة وجيزة من خروج زوجها من السجن فاتهمت بانها وراء طلاق مانديلا من زوجته الأولى، وزعم انها تركض وراء الرجال، وألصقت بها تهمة احتلاس اموال المؤتمر الوطني الأفريقي وتهريبها إلى البنوك الغربية، وتأسيس عصابة ارهابية تعرف باسم «الاتحاد مانديلا لكرة القدم» مهمتها اغتيال كل من يتعامل مع السلطة العنصرية، وذكر ان من ضمن ضحاياها عام ١٩٨٨ مراهق اسود (٤ سنة) ويدعى استوجي موخيسي. وزعم ان وبين قامت بتعذيبه قبل ان تسلمه لـ«العصابة» لتعذيبه عليه. إلى ذلك ذاعت اخبار تفيد بانها مدمنة كحول، واضحت تتصرف بصورة غير مسؤولة وتشوّه



ثابو مبكي.

* هرتسوغ، جيمس (١٨٦٦-١٩٤٢): سياسي بويري من اتحاد جنوب إفريقيا. شارك في حرب البوير (١٩٠٢-١٨٩٩)، وعارض اتفاقية الصلح التي تمت مع البريطانيين، وعمل على إثارة الاضطرابات ضدهم. وزير العدل في حكومة الاتحاد (١٩١٠). في ١٩١٣، أسس الحزب الوطني الذي جعل من برنامجه الاستقلال التام عن بريطانيا. خلف الجنرال سمطس في رئاسة حكومة جنوب إفريقيا بين ١٩٢٤ و١٩٣٩. عارض دخول اتحاد جنوب إفريقيا الحرب العالمية الثانية، ولكنه خذل بـ ٨٠ صوتا ضد ٦٧. فاستقال في أيلول ١٩٣٩، وخلفه سمطس. وفي ١٩٤٠، نادى بتحويل الاتحاد إلى جمهورية مستقلة عن الإمبراطورية البريطانية، وتحالف مع حزب مalan في منأواة البريطانيين .

الماركسية في «معهد لينين». ذلك أن ثابو انتسب مبكراً إلى الحزب الشيوعي في جنوب إفريقيا، التنظيم السياسي الوحيد الكبير نسبياً، والأبيض النشأة، الذي وقف ضد العنصرية، حتى بات من الممكن أن يزدوج الولاء له ولحزب «المؤتمر الوطني» في الوقت نفسه. وفي ١٩٧٩، انتخب مبكي لعضوية المكتب السياسي الشيوعي، لكنه أبعد عنه في ١٩٨١ لعدم مواظبته على حضور الاجتماعات. إلا أن انتخابه إليه تجدد في ١٩٨٤، وظل الرجل شيوعياً حتى السماع للحزب، إلى جانب حزب المؤتمر، بالعمل الشعري (١٩٩٠). ومع انتقال الحزب إلى العلنية، بدا أنه تم تغيير الكوادر بين الاستمرار أو المغادرة. ويبدو أن ثابو اختار مغادرة الحزب (الشيوعي).

أما في ثموء السياسي الموزاي، غير حزب المؤتمر، فقد انتسب ثابو إليه في ١٩٥٦، وعيّن في أواخر السبعينيات نائباً للأمين العام للمجلس الثوري في المؤتمر الوطني، ثم صعد بسرعة فضم إلى الهيئة التنفيذية في ١٩٧٥، وبعد ثلاث سنوات أصبح سكرتير الرئيس في المنفى أوليفير تامبو، ليغدو من ثم، الثالث أهمية بعد مانديلا ووالتر سيسولو.

تولى المحادلات التي أجريت في سويسرا وأفضت في النهاية إلى المفاوضات الدستورية التي تفككت العنصرية بتسيجتها. وكان مبكي أيضاً من القادة الرئيسيين في حزب المؤتمر الذين بنوا ونظموا الحملة ضد الأبارtheid في الثمانينيات، ما سلط عليه الضوء كثيرة. هكذا، فمحمد عودته إلى جنوب إفريقيا بدا بوصفه المحاكم الم قبل، وتعزز هذا التقدير بعدما تغلب على منافسه الرئيس سيريل رامافوسا، والذي لم تسعفه كاريزميته فانسحب من منافسته على نيابة الرئاسة في ١٩٩٤ .

Encyclopédie Historique et Géographique

Continents, Régions, Pays, Nations,
Villes, Sujets, Signes et Monuments

Tome VII

PAR

Massoud Khawand

تم طبع الجزء السابع

في ايلول ١٩٩٦

وتليه الأجزاء الأخرى تباعاً

Ed. Septembre 1996

